الحافظ ابن كثير

البداية والنهاية

منشورات مكتبة المعارف بيروت

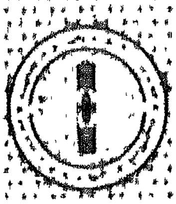

ابو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

الجزء السابع

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة بإشراف الناشر

الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
بيروت - لبنان

مكتبة المعارف
ص.ب: ١٧٦١ - ١١
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والصديق عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام ، وذلك بعد مرجعه من الحج عملا بقوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين] . وبقوله تعالى [قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر] الآية . واقتداء برسول الله (ص) ، فانه جمع المسلمين لغزو الشام – وذلك عام تبوك – حتى وصلها فى حر شديد وجهد ، فرجع عامه ذلك ، ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد مولاه ليغزو تخوم الشام كما تقدم ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق ، فبعث إليها خالد بن الوليد ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق ، فشرع فى جمع الأمراء فى أماكن متفرقة من جزيرة العرب . وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة معه الوليد بن عقبة فيهم ، فكتب إليه يستنفره إلى الشام : « إنى كنت قد رددتك على العمل الذى ولاكه رسول الله (ص) مرة ، وسماه لك أخرى ، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك فى حياتك ومعادك منه ، إلا أن يكون الذى أنت فيه أحب إليك » فكتب إليه عمرو بن العاص : إنى سهم من سهام الاسلام ، وأنت عبد الله الرامى بها ، والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاها فارم بى فيها . وكتب إلى الوليد بن عقبة

بمثل ذلك ورد عليه مثله ، وأقبلا بعد ما استخلفا فى عملهما ، إلى المدينة . وقدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن فدخل المدينة وعليه جبة ديباج ، فلما رآها عمر عليه أمر من هناك من الناس بتحريقها عنه ، فغضب خالد بن سعيد وقال لعلى بن أبى طالب : يا أبا الحسن ! أغلبتم يابنى عبد مناف عن الأمرة ؟ فقال له على : أمغالبة تراها أو خلافة ؟ فقال لايغالب على هذا الأمر أولى منكم فقال له عمر بن الخطاب : أسكت فض الله فاك ، والله لاتزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لاتضر إلا نفسك . وأبلغها عمر أبا بكر فلم يتأثر لها أبو بكر . ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام فى الناس خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم حث الناس على الجهاد فقال : ألا لكل أمر جوامع ، فمن بلغها فهى حسبه ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد فان القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا إيمان لمن لاخشية له ، ولا عمل لمن لانية له ، ألا و إن فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله لما ينبغى للمسلم أن يحب أن يخص به ، هى النجاة التى دل الله عليها ، إذ نجى بها من الخزى ، وألحق بها الكرامة .

ثم شرع الصديق فى تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات ، فيقال إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص ، فجاء عمر بن الخطاب فثناه عنه وذكره بما قال . فلم يتأثر به الصديق كما تأثر به عمر ، بل عزله عن الشام وولاه أرض « تيماء » يكون بها فيمن معه من المسلمين حتى يأتيه أمره . ثم عقد لواء يزيد بن أبى سفيان ومعه جمهور الناس ، ومعه سهيل بن عمرو ، وأشباهه من أهل مكة ، وخرج معه ماشياً يوصيه بما اعتمده فى حربه ومن معه من المسلمين ، وجعل له دمشق . و بعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر ، وخرج معه ماشيا يوصيه ، وجعل له نيابة حمص . و بعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين . وأمر كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر ، لما لحظ فى ذلك من المصالح . وكان الصديق اقتدى فى ذلك بنبى الله يعقوب حين قال لبنيه [يابنىّ لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون] . فكان سلوك يزيد بن أبى سفيان على تبوك . قال المدائنى باسناده عن شيوخه قالوا : وكان بعث أبى بكر هذه الجيوش فى أول سنة ثلاث عشرة . قال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان : خرج أبو بكر ماشياً و يزيد بن أبى سفيان راكباً فجعل يوصيه ، فلما فرغ قال : أقرئك السلام وأستودعك الله ، ثم انصرف ومضى يزيد وأجد السير . ثم تبعه شرحبيل بن حسنة ، ثم أبو عبيدة مدداً لهما ، فسلكوا غير ذلك الطريق . وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العرمات من أرض الشام . ويقال إن يزيد بن أبى سفيان نزل البلقاء أولا . ونزل شرحبيل بالأردن ، ويقال ببصرى . ونزل أبو عبيدة بالجابية . وجعل الصديق يمدهم بالجيوش ، وأمر كل

واحد منهم أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء . ويقال إن أبا عبيدة لما مر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام

ويقال إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربة من أرض فلسطين، فوجه اليهم أبا أمامة فى سرية فقتلهم وغنم منهم ، وقتل منهم بطريقاً عظيما . ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفراء استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال إن الذى استشهد فى مرج الصفراء ابن لخالد بن سعيد ، وأما هو ففر حتى انحاز إلى أرض الحجاز فالله أعلم ، حكاه ابن جرير .

قال ابن جرير : ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم فى جمع كثير من نصارى العرب ، من غيرا ، وتنوخ ، وبنى كلب ، وسليح ، ولخم وجذام ، وغسان ، فتقدم إليهم خالد بن سعيد ، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم فى الاسلام ، وبعث الى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح ، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم ، وأمده بالوليد بن عتبة وعكرمة بن أبى جهل وجماعة ، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له ماهان فكسره ، ولجأ ماهان إلى دمشق ، فلحقه خالد بن سعيد ، وبادر الجيوش إلى لحوق دمشق وطلب الحظوة ، فوصلوا إلى مرج الصفراء فانطوت عليه مسالح ماهان وأخذوا عليهم الطريق ، وزحف ماهان ففر خالد بن سعيد ، فلم يرد إلى ذى المروة . واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فر على الخيل ، وثبت عكرمة بن أبى جهل ، وقد تقهقر عن الشام قريباً وبقى ردءاً لمن نفر إليه ، وأقبل شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد إلى الصديق ، فأمره على جيشه وبعثه إلى الشام ، فلما مر بخالد بن سعيد بذى المروة ، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذى المروة . ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبى سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبى سفيان . ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقى معه بذى المروة إلى الشام . ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد فى الدخول إلى المدينة وقال : كان عمر أعلم بخالد .

وقعة اليرموك

على ما ذكره سيف بن عمر فى هذه السنة قبل فتح دمشق ، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله . وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فانه نقل عن يزيد بن أبى عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبى معشر أنها كانت فى سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . وقال محمد بن إسحاق : كانت فى رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط قال ابن الكلبى : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر ، وهذا هو المحفوظ و [أما] ماقاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه .

قلت : وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره . قال : ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً ، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر . فيقال إنه كان يومئذ بحمص ، ويقال : كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس . فلما انتهى إليه الخبر . قال لهم : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد ، وإنهم لا قبل لأحد بهم ، فأطيعونى وصالحوهم بما تصالحونهم على نصف خراج الشام ويبقى لكم جبال الروم ، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم . فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش كما هى عاداتهم فى قلة المعرفة والرأى بالحرب والنصرة فى الدين والدنيا . فعند ذلك سار إلى حمص : وأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء ، فى مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف ، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاً له لأبويه « تذارق » فى تسعين ألفاً من المقاتلة . وبعث جرجه بن بوذيها إلى ناحية يزيد بن أبى سفيان ، فعسكر بإزائه فى خمسين ألفاً أو ستين ألفاً . وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة . وبعث اللقيقار ويقال القيقلان — قال ابن إسحاق وهو خصى هرقل نسطورس — فى ستين ألفاً إلى أبى عبيدة بن الجراح . وقالت الروم : والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا . وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفاً سوى الجيش الذى مع عكرمة بن أبى جهل . وكان واقفاً فى طرف الشام ردءاً للناس — فى ستة آلاف — فكتب الأمراء إلى أبى بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه . وقال الصديق : والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به ، فاذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق ، فكان ماسنذكره . ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع ، بعث الى أمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش منزلا واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس أخوه بندارق ، وعلى المقدمة جرجه ، وعلى المجنبتين ماهان والدراقص ، وعلى البحر القيقلان .

وقال محمد بن عائذ عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز : إن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً ، وعليهم أبو عبيدة ، والروم كانوا عشرين ومائة ألف عليهم ماهان وسقلاب يوم اليرموك . وكذا ذكر ابن إسحاق أن سقلاب الخصى كان على الروم يومئذ فى مائة ألف ، وعلى المقدمة جرجه — من أرمينية — فى اثنى عشر ألفاً ، ومن المستعربة اثنى عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم : والمسلمون فى أربعة وعشرين ألفاً ، فقاتلوا قتالا شديداً حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال . وقال الوليد

عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير . قال : بعث هرقل مائتي ألف عليهم ماهان الأرمنى . قال سيف : فسارت الروم فنزلوا الواقوصة قريبا من اليرموك ، وصار الوادى خندقا عليهم . و بعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه و يعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك ، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام ، فاذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم . فاستناب المثنى بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعا فى تسعة آلاف وخمسمائة ، ودليله رافع بن عميرة الطائى ، فأخذ به على السماق حتى انتهى إلى قراقر ، وسلك به أراضى لم يسلكها قبله أحد ، فاجتاب البرارى والقفار ، وقطع الأودية ، وتصعد على الجبال ، وسار فى غير مهيع ، وجعل رافع يدلهم فى مسيرهم على الطريق وهو فى مفاوز معطشة ، وعطش النوق وسقاها الماء عللا بعد نهل ، وقطع مشافرها وكمها حتى لاتجتر رحل أدبارها ، واستاقها معه ، فلما فقدوا الماء نحرها فشربوا مافى أجوافها من الماء ، ويقال بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها . ووصل ولله الحمد والمنة فى خمسة أيام ،فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وأركه ، ولما مر بعذراء أباحها وغنم لغسان أموالا عظيمة وخرج من شرق دمشق ، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلمها إليه ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحمد .

و بعث خالد بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحرث المزنى الى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص — وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور — فكانت وأقعة أجنادين . وقد قال رجل من المسلمين فى مسيرهم هذا مع خالد :

لله عينا رافع أنى اهتدى ＊ فوز من قراقر الى سوى

خمسا إذا ماسارها الجيش بكى ＊ ماسارها قبلك إنسي أرى

وقد كان بعض العرب قال له فى هذا المسير : إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك ، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك ، فسار خالد بمن معه وسروا سروة عظيمة فأصبحوا عندها ، فقال خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى . فأرسلها مثلا ، وهو أول من قالها رضى الله عنه . و يقول غير ابن إسحاق كسيف بن عمر وأبى مخنف وغيرهما فى تكميل السياق الأول : حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوصة وانتقل الصحابة من منزلهم الذى كانوا فيه فنزلوا قريباً من الروم فى طريقهم الذى ليس لهم طريق غيره ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا أيها الناس ، فقد حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير . و يقال إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة فى كيفية المسير إلى الروم ، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال : ما كنت أظن أنى أعمر حتى أدرك

قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم ، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء ، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم ، ثم تسير الأثقال والذرارى فى الثلث الآخر ، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا فى مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد . فامتثلوا ما أشار به ونعم الرأى هو .

وذكر الوليد عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير أن الروم نزلوا فيما بين دير أيوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر ، وأذرعات خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة . ويقال إن خالداً إنما قدم عليهم بعد ما نزل الصحابة تجاه الروم بعد ما صابروهم وحاصروهم شهر ربيع الأول بكماله ، فلما انسلخ وأمكن القتال [1] لقلة الماء بعثوا إلى الصديق يستمدونه فقال : خالد لها ، فبعث إلى خالد فقدم عليهم فى ربيع الآخر ، فعند وصول خالد إليهم أقبل ماهان مدداً للروم ومعه القساقسة ، والشمامسة والرهبان يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية ، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف ثمانون ألفا مسلسل بالحديد والحبال ، وثمانون ألفا فارس ، وثمانون ألفا راجل . قال سيف وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لئلا يفروا ثلاثين ألفاً ، فالله أعلم قال سيف وقدم عكرمة بمن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً .

وعند ابن إسحق والمدائنى أيضا أن وقعة أجنادين قبل وقعة اليرموك وكانت وقعة أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان . وكان قد بعث رجلا من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ، فلما رجع إليه قال . وجدت قوماً رهباناً بالليل فرسانا بالنهار ، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه . فقال له القيقلان : والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها . وقال سيف بن عمر فى سياقه : ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبى عبيدة وعمرو بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد فى الناس خطيباً . فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف . فاجتمع الناس وتصافوا مع عدوهم فى أول جمادى الآخرة وقام خالد بن الوليد فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً ، فتعالوا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعونى اليوم أليكم ، فأمروه عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جداً فخرجت الروم فى تعبئة لم

(١) كذا فى النسختين ، الحلبية والمصرية ، والظاهر أن فيه سقطا .

برمثالها قبلها قط وخرج خالد فى تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك . فخرج فى ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين كل كردوس ألف رجل عليهم أمير ، وجعل أباعبيدة فى القلب ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى الميسرة يزيد بن أبى سفيان . وأمر على كل كردوس أميراً ، وعلى الطلائع قباب بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود والقاضى يومئذ ابو الدرداء وقاصهم الذى يعظهم و يحثهم على القتال أبو سفيان بن حرب وقارئهم الذى يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود. وذكر إسحاق بن يسار باسناده أن أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة ، أبوعبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان ، وخرج الناس على راياتهم وعلى الميمنة معاذبن جبل وعلى الميسرة نفاثة بن أسامة الكنانى ، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وعلى الخيالة خالد بن الوليد وهو المشير فى الحرب الذى يصدر الناس كلهم عن رأيه . ولما أقبلت الروم فى خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون باصوات مرتفعة و رهبانهم يتلون الانجيل و يحثونهم على القتال ، وكان خالد فى الخيل بين يدى الجيش فساق بفرسه إلى أبى عبيدة فقال له : إنى مشير بأمر ، فقال : قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع . فقال له خالد إن هؤلاء القوم لابد لهم من حملة عظيمة لامحيد لهم عنها ، و إنى أخشى على الميمنة والميسرة وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم ردءاً فنأتيهم من ورائهم . فقال : له نعم ما رأيت . فكان خالد فى أحد الخيلين من وراء الميمنة وجعل قيس بن هبيرة فى الخيل الأخرى وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله لكى إذا رآه المنهزم استحى منه ورجع الى القتال ، فجعل أبوعبيدة مكانه فى القلب سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم ، وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها ، فقال لهن من رأيتموه مولياً فاقتلنه ، ثم رجع إلى موقفه رضى الله عنه

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال : عباد الله انصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ، يامعشر المسلمين اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدأوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله فى أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى . قالوا : وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكرهم و يقول يا أهل القرآن ، ومتحفظى الكتاب وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لاتنال وجنته لاتدخل بالأمانى ، ولايؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا لقول الله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم الآية . فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم فى قبضته وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره .

وقال عمرو بن العاص : يا أيها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الاسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويجزى بالاحسان إحسانا ، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً كفراً وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل .

وقال أبو سفيان : يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم فى دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموهم فى أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر فى المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة وان الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبرارى ، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هى الحصون . ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنادى : يامعاشر أهل الاسلام حضر ماترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

وقد وعظ الناس أبو هريرة أيضاً فجعل يقول : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل فى جنات النعيم ؛ ما أنتم إلى ربكم فى موطن بأحب إليه منكم فى مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم . قال سيف بن عمر اسناده عن شيوخه : إنهم قالوا كان فى ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر . وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول : الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم دارة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك . قالوا : ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! ! فقال خالد : ويلك ، أتخوفنى بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه ، وأنهم أضعفوا فى العدد ـ وكان فرسه قد حفا واشتكى فى مجيئه من العراق ـ . ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، وأبو جندل بن سهيل ، ونادوا : إنما نريد أميركم لنجتمع به ، فأذن لهم فى الدخول على تذارق ، وإذا هو جالس فى خيمة من حرير . فقال الصحابة : لا نستحل دخولها ، فأمر لهم بفرش بسط من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه . فجلس معهم حيث

أحبوا وتراضوا على الصلح ، ورجع عنهم الصحابة بعد مادعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك .

وذكر الوليد بن مسلم أن ماهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا فى مصلحة لهم فقال ماهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع ، فهلموا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكيسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم ، فاذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها . فقال خالد : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لادم أطيب من دم الروم ، فجئنا لذلك . فقال أصحاب ماهان : هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب . قالوا ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبى جهل والقعقاع بن عمرو ـ وهما على مجنبتى القلب ـ أن ينشئا القتال ، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البراز ، وتنازل الأبطال ، وتجاولوا وحمى الحرب وقامت على ساق . هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدى الصفوف ، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه ، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل ، ويدبر أمر الحرب أتم تدبير .

وقال إسحاق بن بشير عن سعيد بن عبد العزيز عن قدماء مشايخ دمشق ، قالوا : ثم زحف ماهان فخرج أبو عبيدة ، وقد جعل على الميمنة معاذ بن جبل ، وعلى الميسرة قباث بن أشيم الكنانى ، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وعلى الخيل خالد بن الوليد ، وخرج الناس على راياتهم ، وسار أبو عبيدة بالمسلمين ، وهو يقول : عباد الله أنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يامعاشر المسلمين اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤهم بالقتال ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله . وخرج معاذ بن جبل فجعل يذكرهم ، ويقول : يا أهل القرآن ، ومستحفظى الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لاتنال ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا للصادق المصدق ، ألم تسمعوا لقول الله عز وجل [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات] إلى آخر الآية ؟ فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم فى قبضته ، وليس لكم ملتحد من دونه . وسار عمرو بن العاص فى الناس وهو يقول : أيها المسلمون غضوا الأبصار واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ويثيب عليه ، ويمقت الكذب ويجزى الاحسان إحسانا . لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً كفراً وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد لتطايروا تطاير أولاد الحجل . ثم تكلم أبو سفيان فأحسن وحث على القتال فأبلغ فى كلام طويل . ثم قال حين تواجه الناس : يامعشر أهل

الاسلام حضر ماترون ، فهذا رسول الله وا لجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، وحرض أبو سفيان النساء فقال : من رأيتنه فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع .

وأشار خالد أن يقف فى القلب سعيد بن زيد ، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليرد المنهزم . وقسم خالد الخيل قسمين فجعل فرقة وراء الميمنة ، وفرقة وراء الميسرة ، لئلا يفر الناس وليكونوا ردءا لهم من ورائهم . فقال له أصحابه : افعل ما أراك الله ، وامتثلوا ما أشار به خالد رضى الله عنه . وأقبلت الروم رافعة صلبانها ولهم أصوات مزعجة كالرعد ، والقساقسة والبطارقة تحرضهم على القتال وهم فى عدد وعدد لم ير مثله ، فالله المستعان وعليه التكلان .

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا : ألا تحمل فنحمل معك ؟ فقال : إنكم لاتثبتون ، فقالوا : بلى ! فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاؤا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل فى الأولى ، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه ، وفى رواية جرح . وقد روى البخارى معنى ماذكرناه فى صحيحه . وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول : اللهم زلزل أقدامهم ، وأرعب قلوبهم : وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى ، وحبب إلينا اللقاء ، وأرضنا بالقضاء . وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان ، وكان عدو الله متنسكا فيهم ، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحضرموت وخولان ، فثبتوا حتى صدقوا [1] أعداء الله ، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال . فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب ، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، وانكشف زبيد . ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس ، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول :

ياهارباً عن نسوةٍ تقيّاتْ ... فعن قليلٍ ماترى سبيّات

* ولا حصيّاتٍ ولا رضيّات *

قال : فتراجع الناس إلى مواقفهم . وقال سيف بن عمر عن أبى عثمان الغسانى عن أبيه . قال قال عكرمة بن أبى جهل يوم اليرموك : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الازور فى أربعمائة من وجوه المسلمين

(١) كذا فى النسخ . ولعله صدوا .

وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الازور رضى الله عنهم . وقد ذكر الواقدى وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجئ إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا ولم يشربها أحد منهم ، رضى الله عنهم أجمعين .

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجل جاء إلى أبى عبيدة فقال : إنى قد تهيأت لأمرى فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، تقرئه عنى السلام وتقول : يا رسول الله إنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً . قال : فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله . قالوا : وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا . فلم تر يوم اليرموك (إلا) مخا ساقطاً ، ومعصما نادراً ، وكفاً طائرة من ذلك الموطن . ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التى حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب فقتل من الروم فى حملته هذه ستة آلاف منهم ثم قال : والذى نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم ، وإنى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم . ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد ، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم .

قالوا : وبينما هم فى جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب ، إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبر ؟ فقال له — فيما بينه وبينه — : إن الصديق رضى الله عنه قد توفى واستخلف عمر ، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح . فأسرّها خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن فى تلك الحال ، وقال له والناس يسمعون : أحسنت ، وأخذ منه الكتاب فوضعه فى كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، وأوقف الرسول الذى جاء بالكتاب — وهو منجمة بن زنيم — إلى جانبه . كذا ذكره ابن جرير بأسانيده .

قالوا وخرج جرجه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى ختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجه : ياخالد أخبرنى فاصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعنى فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لى : أنت سيف من

سيوف الله سله الله على المشركين . ودعا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

فقال جرجه : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله عز وجل . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فان لم يعطها قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل فى هذا الأمر اليوم ؟ قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجه : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ماسمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ماسمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا ؟ فقال جرجه : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ؟ قال : تالله لقد صدقتك وان الله ولى ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال : علمنى الاسلام ، فمال به خالد إلى فسطاطه فسن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين . وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبى جهل والحرث بن هشام . فركب خالد وجرجه معه والروم خلال المسلمين ، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب . وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء ، وأصيب جرجه رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضى الله عنهما . وضعضعت الروم عند ذلك . ثم نهد خالد بالقلب حتى صار فى وسط خيول الروم ، فعند ذلك هربت خيالتهم ، واسندت بهم فى تلك الصحراء ، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا . وأخر الناس صلاتى العشاءين حتى استقر الفتح ، وعمد خالد إلى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم ، وجاء الروم فى ظلام الليل إلى الواقوصة ، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه . قال ابن جرير وغيره : فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل فى المعركة . وقد قاتل نساء المسلمين فى هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تذهبون وتدعوننا للعلوج ؟ فاذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال .

قال وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا : إذا لم نقدر على نصر دين

النصرانية فلنمت على دينهم . فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم . قالوا : وقتل فى هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين ذهب وضرار بن الأزور ، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسى ، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة . وقد أتلف فى هذا اليوم جماعة من الناس انهزم عمرو ابن العاص فى أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم النساء ، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية .

وثبت يومئذ يزيد بن أبى سفيان وقاتل قتالا شديداً ، وذلك أن أباه مر به فقال له : يابنى عليك بتقوى الله والصبر فانه ليس رجل بهذا الوادى من المسلمين الا محفوفا بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ ! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة ، فاتق الله يابنى ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب فى الأجر والصبر فى الحرب ولا أجرأ على عدو الاسلام منك . فقال : أفعل إن شاء الله . فقاتل يومئذ قتالا شديداً وكان من ناحية القلب رضى الله عنه ،

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال : هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات يامعشر المسلمين ، قال : فنظرنا فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد . وأكمل خالد ليلته فى خيمة تدارق أخى هرقل – وهو أمير الروم كلهم يومئذ – هرب فيمن هرب ، وباتت الخيول تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا وقتل تدارق وكان له ثلاثون سرادقا وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم . وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن عوضهم الله بالفاروق رضى الله عنه .

وقال خالد حين عزى المسلمين فى الصديق : الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت ، وكان أحب إلى من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر وألزمنى حبه

وقد اتبع خالد من انهزم من الروم حتى وصل إلى دمشق فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ؟ قال : نعم . ثم اتبعهم إلى ثنية العقاب فقتل منهم خلقاً كثيراً ثم ساق وراءهم إلى حمص فخرج إليه أهلها فصالحهم كما صالح أهل دمشق . وبعث أبو عبيدة عياض بن غنم وراءهم أيضا فساق حتى وصل ملطية فصالحه أهلها ورجع . فلما بلغ هرقل ذلك بعث إلى مقاتلها فحضروا بين يديه وأمر بملطية فحرقت وانتهت الروم منهزمة إلى هرقل وهو بحمص والمسلمون فى آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون . فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين وترس بها وقال

هرقل : أما الشام فلا شام ، وويل للروم من المولود المشئوم .

ومما قيل من الأشعار فى يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو :

ألم تَرَنا على اليرموك فُزنا * كما فُزنا بأيام العراقِ
وعذراء المدائن قد فتحنا * ومرج الصفر... على العتاقِ
فتحنا قبلها بُصرى وكانت * محرمةَ الجناب لدى النعاقِ
قتلنا من أقامَ لنا وفينا * نهابهمُ بأسيافٍ رقاقِ
قتلنا الرومَ حتى ما تساوى * على اليرموك معروقَ الوراقِ
فضضنا جمعَهم لما استجالوا * على الواقوص بالبتر الرقاقِ
غداةَ تهافتوا فيها فصاروا * الى أمرٍ يعضلُ بالذواقِ

وقال الأسود بن مقرن التميمى :

وكم قد أغرنا غارةً بعد غارةٍ * يوماً ويوماً قد كشفنا أهاوله
ولولا رجالٌ كانَ عشوٌ غنيمةٍ * لدى مأقط رحتْ علينا أوائله
لقيناهمُ اليرموكَ لما تضايقتْ * بمن حلَّ باليرموك منهُ حمائلهْ
فلا يعدمنْ منّا هرقل كتائباً * إذا رامها رامَ الذي لا يحاوله

وقال عمرو بن العاص :

القومُ لخمٌ وجذامٌ في الحربْ * ونحن والرومُ بمرجٍ نضطربْ
فانْ يعودوا بها لا نصطحبْ * بل نعصبُ الفرّارَ بالضربِ الكربْ

وروى أحمد بن مروان المالكى فى المجالسة : ثنا أبو إسمعيل الترمذى ثنا أبو معاويه بن عمرو عن أبى إسحق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض . فقال : أنت صدقتنى .

وقال الوليد بن مسلم : أخبرنى من سمع يحيى بن يحيى الغسانى يحدث عن رجلين من قومه قالا : لما نزل المسلمون بناحية الاردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ،

فبينا نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناه فقال : أنتما من العرب ؟ قلنا نعم ! قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم . فقال : ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم ، وليثبت الآخر على متاع صاحبه . ففعل ذلك أحدنا ، فلبث ملياً ثم جاءه فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقا أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، يريشون النبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدثت جليسك حديثاً مافهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر . قال فالتفت إلى أصحابه وقال : أتاكم منهم مالاطاقة لكم به .

انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة بعد وقعة اليرموك

وصيرورة الأمرة بالشام إلى أبي عبيدة ، فكان أبو عبيدة أول من سمي أمير الأمراء .

قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم يوم اليرموك ، وأن خالداً كتم ذلك عن المسلمين لئلا يقع وهن ، فلما أصبحوا أجلى لهم الأمر وقال ماقال ، ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتخميسها ، وبعث بالفتح والخمس مع قباب بن أشيم إلى الحجاز ، ثم نودي بالرحيل إلى دمشق ، فساروا حتى نزلوا مرج الصفر ، وبعث أبو عبيدة بين يديه طليعة أبا أمامة الباهلي ومعه رجلان من أصحابه . قال أبو أمامة : فسرت فلما كان ببعض الطريق أمرت الآخر (١) فكمن هناك وسرت أنا وحدي حتى جئت باب البلد ، وهو مغلق في الليل وليس هناك أحد ، فنزلت وغرزت رمحي بالأرض ونزعت لجام فرسي ، وعلقت عليه مخلاته ونمت ، فلما أصبح الصباح قمت فتوضأت وصليت الفجر ، فاذا باب المدينة يقعقع فلما فتح حملت على البواب فطعنته بالرمح فقتلته ، ثم رجعت والطلب ورائي فلما انتهينا إلى الرجل الذي في الطريق من أصحابي ظنوا أنه كمين فرجعوا عني ، ثم سرنا حتى أخذنا الآخر وجئت إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رأيت ، فأقام أبو عبيدة ينتظر كتاب عمر فيما يعتمده من أمر دمشق ، فجاءه الكتاب يأمره بالمسير إليها ، فساروا إليها حتى أحاطوا بها . واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب في خيل هناك .

وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد الى الشام

وذلك أن أهل فارس اجتمعوا بعد مقتل ملكهم وابنه على تمليك شهريار بن أزدشير بن شهريار واستغنموا غيبة خالد عنهم فبعثوا إلى نائبه المثنى بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هرمز بن حادويه ، وكتب شهريار إلى المثنى : إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم . فكتب إليه المثنى : من المثنى إلى شهريار

(١) كذا في الأصلين ولعل فيه سقطا .

إنما أنت أحد رجلين إما باغ نذلك شر لك وخير لنا ، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله فى الناس الملوك ، وأما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم إنما اضطررتم إليهم ، فالحمد لله الذى رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير . قال : فجزع أهل فارس من هذا الكتاب ، ولاموا شهريار على كتابه إليه واستهجنوا رأيه . وسار المثنى من الحرة إلى بابل ، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عدوة الصراة الأولى ، اقتتلوا قتالا شديداً جداً ، وأرسل الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين ، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله ، وأمر المسلمين فحملوا ، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فتتلوهم قتلا ذريعاً ، وغنموا منهم مالا عظيما ، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن فى شرحالة ، ووجدوا الملك قد مات فملكوا عليهم ابنة كسرى « بوران بنت أبرويز » فأقامت العدل ، وأحسنت السيرة ، فأقامت سنة وسبع شهور ، ثم ماتت ، فملكوا عليهم أختها « آزرميدخت زنان » فلم ينتظم لهم أمر ، فملكوا عليهم « سابور بن شهريار » ، وجعلوا أمره إلى الفرخزاذ بن البندوان فزوجه سابور بابنة كسرى « آزرميدخت » فكرهت ذلك وقالت : إنما هذا عبد من عبيدنا . فلما كان ليلة عرسها عليه هموا إليه فقتلوه ، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً ، وملكوا عليهم هذه المرأة وهى « آزرميدخت » ابنة كسرى . ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً ، وآخر ما استقر أمرهم عليه فى هذه السنة أن ملكوا امرأة وقد قال رسول الله (ص) : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفى هذه الوقعة التى ذكرنا يقول عبدة بن الطبيب السعدى ، وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل هذه ، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال :

هلْ حبلُ خولةَ بعد البينِ موصولُ ... أمْ أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ
وللأحبةِ أيامٌ تذكرُها ... وللنوى قبلَ يومِ البينِ تأويلُ
حلّتْ خويلةُ فى حيٍ عهدتهمُ ... دونَ المدينةِ فيها الديكُ والفيلُ
يقارعونَ رؤسَ العجمِ ضاحيةً ... منهمْ فوارسُ لاعزلٌ ولا ميلُ

وقد قال الفرزدق فى شعره يذكر قتل المثنى ذلك الفيل :

وبيتُ المثنى قاتلَ الفيلَ عنوةً ... ببابلَ إذْ فى فارسٍ ملكُ بابلِ

ثم إن المثنى بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام ، وما فيه من حرب اليرموك المتقدم ذكره ، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق ، واستناب على العراق بشير بن الخصاصية ، وعلى المسالح سعيد بن مرة العجلى ، فلما انتهى المثنى إلى المدينة وجد الصديق فى آخر مرض الموت . وقد عهد إلى عمر بن الخطاب ، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر : إذا أنا مت فلا تمسين حتى تندب

الناس لحرب أهل العراق مع المثنى ، و إذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحر به .

فلما مات الصديق ندب عمر المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلة من بقى فيه من المقاتلة بعد خالد بن الوليد ، فانتدب خلقا وأمر عليهم أبا عبيدة بن مسعود ، وكان شاباً شجاعاً ، خبيراً بالحرب والمكيدة . وهذا آخر ما يتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصديق وأول دولة الفاروق .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كانت وفاة الصديق رضى الله عنه فى يوم الاثنين عشية ، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته ، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلى عنه فيها بالمسلمين ، وفى أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذى كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا ، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفى ثلاثاً وستين سنة ، للسن الذى توفى فيه رسول الله (ص) ، وقد جمع الله بينهما فى التربة ، كما جمع بينهما فى الحياة ، فرضى الله عنه وأرضاه .

قال محمد بن سعد عن أبى قطن عمرو بن الهيثم عن ربيع بن حسان الصائغ . قال : كان نقش خاتم أبى بكر « نعم القادر الله » . وهذا غريب وقد ذكرنا ترجمة الصديق رضى الله عنه ، وسيرته وأيامه وماروى من الأحاديث ، وماروى عنه من الأحكام فى مجلد ولله الحمد والمنة . فقام بالأمر من بعده أتم القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهو أول من سمى بأمير المؤمنين . وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة ، وقيل غيره كما بسطنا ذلك فى ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التى أفردناها فى مجلد ، ومسنده والآثار المروية مرتباً على الأبواب فى مجلد آخر ولله الحمد .

وقد كتب بوفاة الصديق إلى أمراء الشام مع شداد بن أوس ، ومحمد بن جريج ، فوصلا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قدمنا . وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين ولاه وعزل خالد بن الوليد . وذكر سلمة عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالداً لكلام بلغه عنه ، ولما كان من أمر مالك بن نويرة ، وما كان يعتمده فى حربه . فلما ولى عمر كان أول ما تكلم به أن عزل خالداً ، وقال : لايلى لى عملا أبداً . وكتب عمر إلى أبى عبيدة إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه ، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين . فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد : أمهلنى حتى أستشير أختى ، فذهب إلى أخته فاطمة ـ وكانت تحت الحارث بن هشام ـ فاستشارها فى ذلك ، فقالت له : إن عمر لايحبك أبداً ، وإنه سيعزلك وإن كذبت نفسك . فقال لها : صدقت والله . فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ [إحدى] نعليه وترك له الآخرة ،

وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين .

وقد روى ابن جرير عن صالح بن كيسان أنه قال : أول كتاب كتبه عمر إلى أبى عبيدة حين ولاه وعزل خالداً أن قال : « وأوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه ، الذى هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذى يحق عليك ، لاتقدم المسلمين هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا فى كنف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة ، وقد أبلاك الله بى وأبلانى بك ، فغض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم . وأمرهم بالمسير إلى دمشق » ، وكان بعد مابلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارة ، وحمل الخمس إليه . وقد ذكر ابن إسحاق أن الصحابة قاتلوا بعد اليرموك أجنادين ثم بفحل من أرض الغور قريباً من بيسان بمكان يقال له الردغة سمى بذلك لكثرة مالقوا من الأوحال فيها ، فأغلقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابة . قال : وحينئذ جاءت الامارة لأبى عبيدة من جهة عمر وعزل خالد ، وهذا الذى ذكره ابن إسحاق من مجئ الأمارة لأبى عبيدة فى حصار دمشق هو المشهور .

فتح دمشق

قال سيف بن عمر لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق إذ أتاه الخبر بقدوم مددهم من حمص ، وجاءه الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين ، وهو لا يدرى بأى الأمرين يبدأ . فكتب إلى عمر فى ذلك ، فجاء الجواب أن ابدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، فانهد لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم ، فان فتحها الله قبل دمشق فذلك الذى نحب ، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق ، فاذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين .

قال : فسرح أبو عبيدة إلى فحل عشرة أمراء مع كل أمير خمسة أمراء وعلى الجميع عمارة بن مخشى الصحابى ، فساروا من مرج الصفر إلى فحل فوجدوا الروم هنالك قريباً من ثمانين ألفاً ، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض فسموا ذلك الموضع الردغة ، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول حصن فتح قبل دمشق على ماسيأتى تفصيله . وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث ذا الكلاع فى جيش يكون بين دمشق وبين حمص ، ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل . ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصداً دمشق ، وقد جعل خالد بن الوليد

فى القلب وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص فى المجنبتين ، وعلى الخيل عياض بن غنم ، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة ، فقدموا دمشق وعليها نسطاس بن نسطوس ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى وإليه باب كيسان أيضاً ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير ، ونزل يزيد بن أبى سفيان على باب الجابية الصغير ، ونزل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ونصبوا المجانيق والدبابات ، وقد أرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة يكونون رداً له ، وكذا الذى بينه وبين حمص وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة ، وقيل أربعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً فالله أعلم . وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع ، ويرسلون إلى ملكهم هرقل — وهو مقيم بحمص — يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذى الكلاع ، الذى قد أرصده أبو عبيدة رضى الله عنه بين دمشق وبين حمص — عن دمشق ليلة — فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أبلسوا وفشلوا وضعفوا ، وقوى المسلمون واشتد حصارهم ، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد وعسر الحال وعسر القتال ، فقدر الله الكبير المتعال ، ذو العزة والجلال ، أن ولد لبطريق دمشق مولود فى تلك الليالى فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شراباً . وباتوا عنده فى وليمته قد أكلوا وشربوا وتعبوا فناموا عن مواقفهم ، واشتغلوا عن أماكنهم ، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد فانه كان لاينام ولايترك أحداً ينام ، بل مراصد لهم ليلا ونهاراً ، وله عيون وقصاد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساء . فلما رأى خمدة تلك الليلة ، وأنه لا يقاتل على السور أحد كان قد أعد سلاليم من حبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال ، مثل القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى ، وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فأرقوا إلينا . ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب فى أعناقهم ، فنصبوا تلك السلالم وأثبتوا أعاليها بالشرفات ، وأكدوا أسافلها خارج الخندق ، وصعدوا فيها ، فلما استووا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا فى تلك السلالم وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلوهم ، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف وفتحوا الباب عنوة ، فدخل الجيش الخالدى من الباب الشرقى . ولما سمع أهل البلد التكبير ثاروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من السور ، لايدرون ما الخبر ، فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقى قتله أصحاب خالد ، ودخل خالد البلد عنوة فقتل من وجده . وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذى عند الباب من خارج الصلح — وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم — فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم . ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد . ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده فقالوا له : إنا قد أمناهم ، فقال : إنى فتحتها عنوة . والتقت الأمراء فى وسط البلد عند كنيسة المقسلاط بالقرب من

درب الريحان اليوم . هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالداً فتح الباب قسراً .

وقال آخرون : بل الذى فتحها عنوة أبو عبيدة وقيل يزيد بن أبى سفيان ، وخالد صالح أهل البلد فعكسوا المشهور المعروف والله أعلم .

وقد اختلف الصحابة فقال قائلون هى صلح - يعنى على ما صالحهم الأمير فى نفس الأمر وهو أبو عبيدة - . وقال آخرون : بل هى عنوة ، لأن خالداً افتتحها بالسيف أولا كما ذكرنا ، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم ، فاتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه ، واستقرت يد الصحابة على النصف . ويقوى هذا ما ذكره سيف بن عمر من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة فيأبون ، فلما أحسوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم . ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم والله أعلم ،

ولهذا أخذ الصحابة نصف الكنيسة العظمى التى كانت بدمشق وتعرف « بكنيسة يوحنا » فاتخذوا الجانب الشرقى منها مسجداً ، وأبقوا لهم نصفها الغربى كنيسة ، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة « بيوحنا » ، وهى جامع دمشق اليوم . وقد كتب لهم بذلك خالد بن الوليد كتاباً ، وكتب فيه شهادته أبو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد وشرحبيل : إحداها كنيسة المقسلاط التى اجتمع عندها أمراء الصحابة ، وكانت مبنية على ظهر السوق الكبير ، وهذه القناطر المشاهدة فى سوق الصابونيين من بقية القناطر التى كانت تحتها ، ثم بادت فيما بعد وأخذت حجارتها فى العمارات . الثانية : كنيسة كانت فى رأس درب القرشيين وكانت صغيرة ، قال الحافظ ابن عساكر : و بعضها باق إلى اليوم وقد تشعثت . الثالثة : كانت بدار البطيخ العتيقة . قلت : وهى داخل البلد بقرب الكوشك ، وأظنها هى المسجد الذى قبل هذا المكان المذكور ، فإنها خربت من دهر والله أعلم . الرابعة : كانت بدرب بنى نصر بين درب الحبالين ودرب التميمى . قال الحافظ ابن عساكر : وقد أدركت بعض بنيانها ، وقد خرب أكثرها . الخامسة : كنيسة بولص ، قال ابن عساكر : وكانت غربى القيسارية الفخرية وقد أدركت من بنيانها بعض أساس الحنية . السادسة : كانت فى موضع دار الوكالة وتعرف اليوم بكنيسة القلانسيين . قلت : والقلانسيين هى الخواصين اليوم . السابعة : التى بدرب السقيل اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن درة سابقا ، لأن هذا الدرب كان أقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساحق القرشى العامرى ، ودرة أمه ، وهى درة ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فأبوها خال معاوية . وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هذه الكنيسة إليه ، وكان مسلماً ، ولم يبق لهم اليوم سواها ، وقد خرب أكثرها . والتيعقوبية منهم كنيسة

داخل باب توما بين رحبة خالد ــ وهو خالد بن أسيد بن أبى العيص ــ و بين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهنى ، وهى الكنيسة الثامنة ، وكانت لليعقو بيين كنيسة أخرى فيما بين درب التنوى وسوق على . قال ابن عساكر : قد بقى من بنائها بعضه ، وقد خربت منذ دهر. وهى الكنيسة التاسعة وأما العاشرة فهى الكنيسة المصلبة قال الحافظ ابن عساكر : وهى باقية إلى اليوم بين الباب الشرقى وباب توما بقرب النيبطن عند السور . والناس اليوم يقولون النيطون . قال ابن عساكر : وقد خرب أكثرها هكذا قال . وقد خربت هذه الكنيسة وهدمت فى أيام صلاح الدين فاتح القدس بعد الثمانين وخمسمائة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

الحادية عشرة : كنيسة مريم داخل الباب الشرقى . قال ابن عساكر وهى من أكبر ما بقى بأيديهم . قلت : ثم خربت بعد موته بدهر فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على ماسيأتى بيانه

الثانية عشر : كنيسة اليهود التى بأيديهم اليوم فى حارتهم ، ومحلها معروف بالقرب من الجبر وتسميه الناس اليوم بستان القط وكانت لهم كنيسة فى درب البلاغة لم تكن داخلة فى العهد فهدمت فيما بعد وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن السهروردى ، والناس اليوم يقولون درب الشاذورى . قلت : وقد أخربت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكرها أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره ، وكان إخرابها فى حدود سنة سبع عشرة وسبعمائة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بمرة . ثم قال ابن عساكر : ومما أحدث ــ يعنى النصارى ــ كنيسة بناها أبو جعفر المنصور بنى قطيطا فى الفريق عند قناة صالح قريبا من داز بها وارمن اليوم[1] ، وقد أخربت فيما بعد وجعلت مسجداً يعرف بمسجد الجنيق وهو مسجد أبى اليمن . قال ومما أحدث كنيستا العباد إحداهما عند دار ابن الماشلى وقد جعلت مسجداً . والأخرى التى فى رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً . انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقى رحمه الله . قلت : وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضى أن فتح دمشق وقع فى سنة ثلاث عشرة ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت فى نصف رجب سنة أربع عشرة . كذا حكاه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عائذ القرشى الدمشقى عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصين بن غلاق عن يزيد بن عبيدة قال : فتحت دمشق سنة أربع عشرة . ورواه دحيم عن الوليد . قال : سمعت أشياخاً يقولون إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة . وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر ومحمد بن إسحق ومعمر والأموى وحكاه عن مشايخه وابن الكلبى وخليفة بن خياط وأبو عبيد القاسم بن سلام ، إن فتح دمشق كان فى سنة

(١) هكذا فى الاصلين من قوله كنيسة بناها الى قوله وارمن اليوم .

أربع عشرة . وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأموى : وكانت اليرموك بعدها بسنة . وقال بعضهم : بل كان فتحها فى شوال سنة أربع عشرة . وقال خليفة : حاصرهم أبو عبيدة فى رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح فى ذى القعدة . وقال الاموى فى مغازيه : كانت وقعة أجنادين فى جمادى الاولى ، ووقعة فحل فى ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة — يعنى ووقعة دمشق سنة أربع عشرة — وقال دحيم عن الوليد : حدثنى الاموى أن وقعة فحل وأجنادين كانت فى خلافة أبى بكر ثم مضى المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها فى رجب سنة ثلاث عشرة يعنى ففتحوها فى سنة أربع عشرة . وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة .

فصل

واختلف العلماء فى دمشق هل فتحت صلحاً أو عنوة ؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح ، لأنهم شكوا فى المتقدم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة ، أو فتحت صلحاً ، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً ؟ فلما شكوا فى ذلك جعلوها صلحا احتياطاً .

وقيل بل جعل نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة فى الكنيسة العظمى التى كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها والله أعلم .

ثم قيل : إن أبا عبيدة هو الذى كتب لهم كتاب الصلح ، وهذا هو الأنسب والأشهر ، فان خالداً كان قد عزل عن الامرة ، وقيل بل الذى كتب لهم الصلح خالد بن الوليد ، ولكن أقره على ذلك أبو عبيدة فالله أعلم .

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصديق توفى قبل فتح دمشق ، وأن عمر كتب إلى أبى عبيدة يعزيه والمسلمين فى الصديق ، وأنه قد استنابه على من بالشام ، وأمره أن يستشير خالداً فى الحرب ، فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة كتمه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة ، فقال له خالد : يرحمك الله ، ما منعك أن تعلمنى حين جاءك ؟ فقال : إنى كرهت أن أكسر عليك حربك ، وماسلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه فى دينه ودنياه .

ومن أعجب مايذكر ههنا ما رواه يعقوب بن سفيان الفسوى : حدثنا هشام بن عمار ثنا عبدالملك ابن محمد ثنا راشد بن داود الصنعانى حدثنى أبو عثمان الصنعانى شراحيل بن مرثد ، قال : بعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة ، وبعث يزيد بن أبى سفيان إلى الشام ، فذكر الراوى فقال خالد لأهل اليمامة إلى أن قال : ومات أبو بكر واستخلف عمر فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبى عبيدة بالشام ، فذكر مسير

خالد من العراق إلى الشام كما تقدم وهذا غريب جداً فان الذى لايشك فيه أن الصديق هو الذى بعث أباعبيدة وغيره من الامراء إلى الشام ، وهو الذى كتب الى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدداً لمن به وأميراً عليهم ، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميع الشام على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن عائذ : قال الوليد بن مسلم : أخبرنى صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجراح وافدا إلى أبى بكر بشيرا بالفتح فقدم المدينة فوجد أبا بكر قد توفى واستخلف عمر بن الخطاب فأعظم أن يتأمر أحد من الصحابة عليه فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن بعثناه بريدا فقدم علينا أميرا ،

وقد روى الليث وابن لهيعة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن الحكم عن على بن رباح عن عقبة بن عامر أنه بعثه أبو عبيدة بريدا بفتح دمشق قال : فقدمت على عمر يوم الجمعة فقال لى : منذ كم لم تنزع خفيك ؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة . فقال : أصبت السنة

قال الليث : وبه نأخذ ، يعنى أن المسح على الخفين للمسافر لا يتأقت ، بل له أن يمسح عليهما ما شاء ، وإليه ذهب الشافعى فى القديم . وقد روى أحمد وأبو داود عن أبى بن عمارة مرفوعا مثل هذا ، والجمهور على ما رواه مسلم عن على فى تأقيت المسح للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمقيم يوم وليلة . ومن الناس من فصل بين البريد ومن فى معناه وغيره ، فقال فى الأول لا يتأقت ، وفيما عداه يتأقت لحديث عقبة وحديث على والله أعلم .

فصل

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحه بالسيف . وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون ، وعلى الروم رجل يقال له « سنان » تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون « عين ميسنون » عين الشهداء . واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبى سفيان كما وعده بها الصديق . وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر فى سرية ليمهدوا أمرها . وبعث أبا الزهراء القشيرى إلى البثينة وحوران فصالح أهلها .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله : افتتح خالد دمشق صلحا ، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحا دون أرضيها . فعلى يدى يزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبى عبيدة . وقال الوليد بن مسلم : أخبرنى غير واحد من شيوخ دمشق بينماهم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من

عقبة السلمية مخمرة بالحرير فثار إليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت لهيا والعقبة التى أقبلوا منها ، فهزموهم وطردوهم إلى أبواب حمص ، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحوا دمشق فقال لهم أهل حمص إنا نصالحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وقال خليفة بن خياط حدثنى عبدالله بن المغيرة عن أبيه قال افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلبى . وقالا بعث أبو عبيدة خالداً فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً . وقال ابن المغيرة عن أبيه وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، ووضع الخراج . وقال ابن إسحاق وغيره وفى سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدى أبى عبيدة فى ذى القعدة قال خليفة ويقال فى سنة خمس عشرة

وقعة فحل(١)

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق وإنما ذكرها الامام أبو جعفر بن جرير بعد فتح دمشق وتبعم فى ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسانى وأبى حارثة القيسى قالا : خلف الناس يزيد بن أبى سفيان فى خيله فى دمشق وسار نحو فحل وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد وأبو عبيده على الميمنة وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخيل ضرار بن الأزور ، وعلى الرجالة عياض بن غنم فوصلوا إلى فحل وهى بلدة بالغور وقد انحاز الروم إلى بيسان ، وأرسلوا مياه تلك الأراضى على هنالك من الأراضى فحال بينهم وبين المسلمين ، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم وما صنعه الروم من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين فى عيش رغيد ومدد كبير ، وهم على أهبة من أمرهم . وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة . وظن الروم أن المسلمين على غرة ، فركبوا فى بعض الليالى ليبيتوهم ، وعلى الروم سقلاب بن مخراق ، فهجموا على المسلمين فنهضوا إليهم نهضة رجل واحد لأنهم على أهبة دائما ، فقاتلوهم حتى الصباح وذلك اليوم بكماله إلى الليل . فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم سقلاب وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل الذى كانوا قد كادوا به المسلمين فغرقهم الله فيه ، وقتل منهم المسلمين بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً لم ينج منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاجزيلا . وانصرف أبو عبيدة وخالد بن معهما من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بيسان فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه

(١) بكسر الفاء . وقيل والحاء . والصحيح تسكينها .

دمشق ، وضرب عليهم الجزية والخراج على أراضيهم وكذلك فعل أبو الاعور السلمى بأهل طبرية سواء

ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال

وقد قدمنا أن المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه إلى الشام وقد قيل إنه سار بتسعة آلاف ، وقيل بثلاثة آلاف ، وقيل بسبعمائة وقيل بأقل ، إلا أنهم صناديد جيش العراق ، فاقام المثنى بمن بقى فاستقل عددهم وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وملكاتهم؛ واستبطأ المثنى خبر الصديق فسار إلى المدينة فوجد الصديق فى السياق ، فأخبره بأمر العراق ، فأوصى الصديق عمر أن يندب الناس لقتال أهل العراق . فلما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق ، وحرضهم ورغبهم فى الثواب على ذلك ؛ فلم يقم أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم ، وشدة قتالهم . ثم ندبهم فى اليوم الثانى والثالث فلم يقم أحد وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن ، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدى خالد من معظم أرض العراق ، ومالهم هنالك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد ، فلم يقم أحد فى اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى ثم تتابع الناس فى الاجابة ، أمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابياً ، فقيل لعمر : هلا أمرت عليهم رجلا من الصحابة ؟ فقال : إنما أؤمر أول من استجاب ، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين ، وإن هذا هو الذى استجاب قبلكم . ثم دعاه فوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ ، (وأن يستشير سليط بن قيس فانه رجل باشر الحروب) [1] فسار المسلمون الى أرض العراق (وهم سبعة آلاف رجل) [2] وكتب عمر إلى أبى عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق (فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم ابن عتبة وأرسل عمر جرير بن عبد الله البجلى فى أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم فى دجلة) [3] فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين فى ملكهم ، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم « بوران » بنت كسرى بعد ما قتلوا التى كانت قبلها « أزرميدخت » وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاذ على أن يقوم بأمر الحرب ، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك . وكان رستم هذا منجما يعرف النجوم وعلمها جيداً ، فقيل له : ما حملك على هذا ؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال : الطمع وحب الشرف

(١ ، ٢ ، ٣) نقص فى النسخة المصرية تحقيق محمود الامام .

وقعة النمارق

بعث رستم أميراً يقال له « جابان » وعلى مجنبتيه رجلان يقال لأحدهما « جشنس ماه » ويقال للآخر « مردانشاه » وهو خصي أمير حاجب الفرس ، فالتقوا مع أبي عبيد بمكان يقال له النمارق ، ـ بين الحيرة والقادسية ـ وعلى الخيل المثنى بن حارثة ، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم فاقتتلوا هنالك قتالا شديداً وهزم الله الفرس وأسر جابان ومردانشاه . فأما مردانشاه فانه قتله الذى أسره ، وأما جابان فانه خدع الذى أسره حتى أطلقه فأمسكه المسلمون وأبوا أن يطلقوه ، وقالوا ان هذا هو الأمير وجاؤا به إلى أبي عبيد فقالوا اقتله فانه الأمير فقال وان كان الأمير فانى لا أقتله . وقد أمنه رجل من المسلمين ثم ركب أبو عبيد فى آثار من انهزم منهم وقد لجأوا إلى مدينة كسكر التى لابن خالة كسرى واسمه نرسى فوازرهم نرسى على قتال أبي عبيد فقهرهم أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيرا وأطعمات كثيرة جداً ، ولله الحمد . وبعث بخمس ما غنم من المال والطعام الى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال فى ذلك رجل من المسلمين

لعَمري وما عمري عليَّ بهينٍ * لقد صبّحتْ بالخزيِ أهلَ النمارقِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحوَ ربّهمْ * يجوسونَهم ما بينَ دِرنا وبارقِ
قتلناهُمُ ما بينَ مرجِ مسلّحٍ * وبينَ الهوافي من طريقِ التدارقِ

فالتقوا بمكان بين كسكر والسقاطية وعلى ميمنة نرسى وميسرته ابنا خاله بندويه وبيرويه أولاد نظام وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالينوس فلما بلغ أبو عبيد ذلك اعجل نرسى بالقتال قبل وصولهم فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزمت الفرس وهرب نرسى والجالينوس الى المدائن بعد وقعة جرت من أبي عبيد مع الجالينوس بمكان يقال له باروسما فبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة وسرايا أخر إلى متاخم تلك الناحية كنهر جور ونحوها ففتحها صلحاً وقهراً وضربوا الجزية والخراج وغنموا الاموال الجزيلة ولله الحمد والمنة وكسروا الجالينوس الذى جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وكر هارباً إلى قومه حقيراً ذليلا .

وقعة جسر أبي عبيد ومقتل امير المسلمين وخلق كثير منهم

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقى من المسلمين تذامرت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب « بهمن حادويه » واعطاه راية افريدون وتسمى درفش كابيان وكانت الفرس تتيمن بها . وحملوا معهم راية كسرى وكانت من جلود النمور عرضها ثمانية أذرع . فوصلوا إلى المسلمين و بينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا : إما أن تعبروا إلينا وإما إن نعبر اليكم . فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد أأمرهم فليعبروا هم إلينا . فقال ما هم بأجرأ على الموت منا ثم اقتحم

إليهم فاجتمعوا فى مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالا شديداً لم يعهد مثله والمسلمون فى نحو من عشرة آلاف وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل ، قائمة لتذعر خيول المسلمين فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التى عليها ولا يثبت منها الا القليل على قسر . و إذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة و رشقتهم الفرس بالنبل ، فنالوا منهم خلقاً كثيراً وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف . وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولا ، فاحتوشوها فقتلوها عن آخرها ، وقد قدمت الفرس بين أيديهم فيلا عظيما أبيض ، فتقدم إليه أبو عبيد فضربه بالسيف فقطع ذلومه فحمى الفيل ، وصاح صيحة هائلة وحمل فتخبطه برجليه فقتله و وقف فوقه فحمل على الفيل خليفة أبى عبيد الذى كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل ، ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد ، ثم صارت الى المثنى بن حارثة بمقتضى الوصية أيضاً . وقد كانت دومة امرأة أبى عبيد رأت مناماً يدل على ما وقع سواء بسواء . فلما رأى المسلمون ذلك وهنوا عند ذلك ولم يكن بقى إلا الظفر بالفرس ، وضعف أمرهم ، وذهب ريحهم ، و ولوا مدبرين ، وساقت الفرس خلفهم فقتلوا بشراً كثيرا وانكشف الناس فكان أمرا بليغاً وجاؤا إلى الجسر فمر بعض الناس . ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق فى الفراة نحوا من أربعة آلاف . فانا لله و إنا اليه راجعون . وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذى جاؤا منه ، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقى بنفسه فى الفرات فيغرق ، فنادى المثنى . أيها الناس على هينتكم فانى واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لايبقى منكم أحد هنا ، فلما عدى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فنزل بهم أول منزل ، وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين ، وقد جرح أكثرهم وأثخنوا . ومن الناس من ذهب فى البرية لايدرى أين ذهب ، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مذعوراً ، وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر ، فقال له عمر : ماوراءك ياعبد الله بن زيد ؟ فقال : أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين ، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سراً ، و يقال كان أول من قدم بخبر الناس عبد الله بن يزيد بن الحصين الحطمى فالله أعلم .

قال سيف بن عمر وكانت هذه الوقعة فى شعبان من سنة ثلاث [عشرة] بعد اليرموك بأربعين يوما فالله أعلم ، وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم من فر إلى المدينة فلم يؤنب عمر الناس بل قال أنا فيئكم وأشغل الله المجوس بأمر ملكهم . وذلك أن أهل المدائن عدوا على رستم فخلعوه ثم ولوه وأضافوا إليه الفيرزان ، واختلفوا على فرقتين ، فركب الفرس إلى المدائن ولحقهم المثنى بن حارثة فى نفر من المسلمين ، فعارضه أميران من أمرائهم فى جيشهم ، فأسرهما وأسر معهما بشراً كثيرا

فضرب أعناقهم . ثم أرسل المثنى إلى من بالعراق من أمراء المسلمين يستمدهم ، فبعثوا إليه بالأمداد ، و بعث إليه عمر بن الخطاب بمدد كثير فيهم جرير بن عبد الله البجلى ، فى قومه بجيلة بكمالها، وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيشه .

وقعة البويب التي اقتص فيها المسلمون من الفرس

فلما سمع بذلك امراء الفرس ، و بكثرة جيوش المثنى ، بعثوا إليه جيشا آخر مع رجل يقال له مهران فتوافوا هم و إياهم بمكان يقال له « البويب » قريب من مكان الكوفة اليوم و بينهما الفرات . فقالوا : إما أن تعبروا إلينا ، أو نعبر إليكم . فقال المسلمون : بل اعبروا إلينا . فعبرت الفرس إليهم فتواقفوا ، وذلك فى شهر رمضان . فعزم المثنى على المسلمين فى الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعبى الجيش ، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل و يعظهم و يحثهم على الجهاد والصبر والصمت . وفى القوم جرير بن عبد الله البجلى فى بجيلة وجماعة من سادات المسلمين . وقال المثنى لهم : إنى مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا ، فاذا كبرت الرابعة فاحملوا . فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم ، واقتتلوا قتالا شديدا ، ورأى المثنى فى بعض صفوفه خللا ، فبعث إليهم رجلا يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام و يقول لكم : لاتفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم — وهم بنو عجل — اعجبه وضحك . و بعث إليهم يقول : يامعشر المسلمين عاداتكم ، انصروا الله ينصركم . وجعل المثنى المسلمون يدعون الله بالظفر والنصر . فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بنى تغلب نصرانى فقتل مهران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر .

وقال محمد بن إسحاق بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبى فطعنه واحتز رأسه جرير بن عبدالله البجلى ، واختصما فى سلبه ، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقه . وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلا . وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن منهم المسلمون . فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن أبعد إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف ولله الحمد والمنة . وغنم المسلمون مالا جزيلا وطعاما كثيراً ، و بعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضى الله عنه . وقد قتل من سادات المسلمين فى هذا اليوم بشر كثير أيضا وذلت لهذه الوقعة رقاب الفرس وتمكن الصحابة من الغارات فى بلادهم فيما بين الفرات ودجلة فغنموا شيئا عظيما لا يمكن حصره . وجرت أمور يطول ذكرها بعد يوم البويب وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام . وقد قال الأعور الشنى العبدى فى ذلك : —

هاجت لأعورَ دارُ الحيّ أحزانا * واستبدلت بعد عبدِ القيس حسّانا
وقد أرانا بها والشَّملُ مجتمعٌ * إذ بالنخيلة قتلى جُنْدُ مهرانا
إذ كان سارَ المثنّى بالخيولِ لهم * فقتّلَ الزحفَ من فُرسٍ وجيلانا
سما لمهرانَ والجيشِ الذي معه * حتى أبادهُمُ مثنى ووحدانا

فصل

ثم بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص الزهرى أحد العشرة فى ستة آلاف أميراً على العراق ، وكتب إلى جرير بن عبدالله والمثنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسمعا له و يطيعا ، فلما وصل إلى العراق كانا معه ، وكانا قد تنازعا الامرة ، فالمثنى يقول لجرير : إنما بعثك أمير المؤمنين مدداً إلى . ويقول جرير : إنما بعثنى أميرا عليك . فلما قدم سعد على أمر العراق انقطع نزاعهما . قال ابن إسحاق . وتوفى المثنى بن حارثة فى هذه السنة : كذا قال ابن إسحق . والصحيح أن بعث عمر سعدا إنما كان فى أول سنة أربع عشرة كما سيأتى .

ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم

كان شيرين قد جمع آل كسرى فى القصر الأبيض وأمر بقتل ذكرانهم كلهم ، وكانت أم يزدجرد فيهم ومعها ابنها وهو صغير ، فواعدت أخواله فجاؤا وأخذوه منها وذهبوا به إلى بلادهم ، فلما وقع ما وقع يوم البويب وقتل من قتل منهم كما ذكرنا ، وركب المسلمون أكتافهم وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلدانهم ، ومحالهم وأقاليمهم . ثم سمعوا بقدوم سعد بن أبى وقاص من جهة عمر ، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما رستم والفيرزان فتذامروا فيما بينهم وتواصوا وقالوا لهما لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغى لنقتلنكما ونشتفى بكما . ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة ، فمن كان لها ولد من آل كسرى ملكوه عليهم . فجعلوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها هل لها ولد وهى تنكر ذلك خوفا على ولدها إن كان لها ولد ، فلم يزالوا حتى دلوا على أم يزدجرد ، فأحضروها وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن احدى وعشرين سنة ، وهو من ولد شهريار بن كسرى وعزلوا بوران واستوثقت الممالك له ، واجتمعوا عليه وفرحوا به ، وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام ، واستفحل أمره فيهم وقويت شكوتهم به ، و بعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذممهم ، و بعث الصحابة إلى عمر بالخبر ، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم

وليكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لايخفى أمرها على جيرانهم . وتفاقم الحال جـدا ، وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة ، وقد حج بالناس عمر فى هذه السنة وقيل بل حج بهم عبد الرحمن بن عوف ولم يحج عمر هذه السنة والله أعلم .

ما وقع سنة ثلاث عشر من الحوادث

كانت فيها وقائع تقـدم تفصيلها ببلاد العراق على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فتحت فيها الحيرة والأنبار وغيرهما من الأمصار ، وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور . وفيها كانت وقعة اليرموك فى قول سيف بن عمر واختيار ابن جرير ، وقتل بها من قتل من الأعيان ممن يطول ذكرهم وتراجمهم رضى الله عنهم أجمعين . وفيها توفى أبو بكر الصديق . وقد أفردنا سيرته فى مجلد ولله الحمد . وفيها ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها فولى قضاء المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، وعزل عنها خالد بن الوليد المخزومى ، وأبقاه على شورى الحرب . وفيها فتحت بصرى صلحاً وهى أول مدينة فتحت من الشام ، وفيها فتحت دمشق فى قول سيف وغيره كما قدمنا واستنيب فيها يزيد بن أبى سفيان فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة فحل من أرض الغور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم . وفيها كانت وقعة جسر أبى عبيد فقتل فيها أربعة آلاف من المسلمين منهم أميرهم أبو عبيد بن مسعود الثقفى ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر وكانت امرأة صالحة رحمها الله . ووالد المختار بن أبى عبيد كذاب ثقيف وقد كان نائباً على العراق فى بعض وقعات العراق كما سيأتى . وفيها توفى المثنى بن حارثة فى قول ابن إسحاق ، وقد كان نائباً على العراق استخلفه خالد بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقف مشهورة وله أيام مذكورة ولاسيما يوم البويب بعد جسر أبى عبيد قتل فيه من الفرس وغرق بالفرات قريب من مائة ألف، الذى عليه الجمهور أنه بقى إلى سنة أربع عشرة كما سيأتى بيانه . وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب فى قول بعضهم وقيل بل حج عبد الرحمن بن عوف . وفيها استنفر عمر قبائل العرب لغزو العراق الشام فأقبلوا من كل النواحى فرمى بهم الشام والعراق . وفيها كانت وقعة أجنادين فى قول ابن إسحق يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى منها . وكذا عند الواقدى فيما بين الرملة وبين جسر بن على الروم القيقلان وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو فى عشرين ألفاً فى قول فقتل القيقلان انهزمت الروم وقتل منهم خلق كثير . واستشهد من المسلمين أيضاً جماعة منهم هشام بن العاص

والفضل بن العباس ، وأبان بن سعيد وأخواه خالد وعمرو ، ونعيم بن عبد الله بن النحام ، والطفيل بن عمرو وعبد الله بن عمرو الدوسيان ، وضرار بن الأزور ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمه سلمة بن هشام ، وهبار بن سفيان ، وصخر بن نصر ، وتميم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضي الله عنهم .

وقال محمد بن سعد قتل يومئذ طليب بن عمرو وأمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص) ومن قتل يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدي قال : ولم يكن له رواية وكان ممن صبر يوم حنين . قال ابن جرير وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضي الله عنهم . وفيها كانت وقعة مرج الصفر في قول خليفة بن خياط وذلك لثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى وأمير الناس خالد بن سعيد بن العاص فقتل يومئذ وقيل إنما قتل أخوه عمرو وقيل ابنه فالله أعلم ،

قال ابن إسحق : وكان أمير الروم قلقط فقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دمائهم . والصحيح أن وقعة مرج الصفر في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

ذكر المتوفين في هذه السنة مرتبين على الحروف كما ذكرهم الحافظ الذهبي

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو الوليد المكي صحابي جليل . وهو الذي اجار عثمان ابن عفان يوم الحديبية حتى دخل مكة لأداء رسالة رسول الله (ص) . أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة . خالد ، وعمرو ، فدعواه إلى الاسلام فأجابهما . وساروا فوجدوا رسول الله (ص) قد فتح خيبر . وقد استعمله رسول الله (ص) سنة تسع على البحرين وقتل بأجنادين * أنسة مولى رسول الله (ص) المشهور أنه قتل ببدر فيما ذكره البخاري وغيره ، وزعم الواقدي فيما نقله عن أهل العلم أنه شهد أحداً وأنه بقي بعد ذلك زمانا . قال : وحدثني ابن أبي الزناد عن محمد بن يوسف أن أنسة مات في خلافة أبي بكر الصديق ، وكان يكنى أبا مسروح . وقال الزهري كان يأذن للناس على النبي (ص) * تميم بن الحارث بن قيس السهمي وأخوه قيس صحابيان جليلان هاجرا إلى الحبشة وقتلا بأجنادين * الحارث بن أوس بن عتيك من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين * خالد بن سعيد بن العاص الأموي ، من السابقين الأولين ، ممن هاجر الى الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة ويقال إنه كان على صنعاء من جهة رسول الله (ص) . وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم قتل يوم مرج الصفر في قول ، وقيل بل هرب فلم يمكنه الصديق من دخول المدينة تعزيراً له ، فأقام شهرا في بعض ظواهرها حتى أذن له . ويقال إن الذي قتله أسلم وقال رأيت له حين قتلته نورا ساطعا إلى السماء رضي الله عنه * سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة . ويقال حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن

طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى سيدهم ، أبو ثابت ويقال أبو قيس صحابى جليل كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدرا فى قول عروة وموسى بن عقبة والبخارى وابن ما كولا . وروى ابن عساكر من طريق حجاج بن أرطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن راية المهاجرين يوم بدر كانت مع على وراية الانصار مع سعد بن عبادة رضى الله عنهما .

قلت : والمشهور أن هذا كان يوم الفتح والله أعلم . وقال الواقدى : لم يشهدها لأنه نهسته حية فشغلته عنها بعد أن تجهز لها ، فضرب له رسول الله (ص) بسهمه وأجره ، وشهد أحداً وما بعدها . وكذا قال خليفة بن خياط . وكانت له جفنة تدور مع النبى (ص) حيث دار من بيوت نسائه بلحم وثريد ، أو لبن وخبز ، أو خبز بسمن أو بخل وزيت ، وكان ينادى عند أطمة كل ليلة لمن أراد القرى . وكان يحسن الكتابة بالعربى ، والرمى والسباحة ، وكان يسمى من أحسن ذلك كاملا . وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصديق حتى خرج إلى الشام فمات بقرية من حوران سنة ثلاث عشرة فى خلافة الصديق . قاله ابن اسحاق والمدائنى وخليفة . قال : وقيل فى أول خلافة عمر . وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة . وقال الفلاس وابن بكر سنة ست عشرة

قلت : أما بيعة الصديق فقد روينا فى مسند الامام أحمد أنه سلم للصديق ما قاله من إن الخلفاء من قريش . وأما موته بأرض الشام فمحقق والمشهور أنه بحوران . قال محمد بن عائذ الدمشقى عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : أول مدينة فتحت من الشام بصرى ، وبها توفى سعد ابن عبادة . وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقرية من غوطة دمشق ، يقال لها « المنيحة » وبها قبر مشهور به . ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر فى ترجمته بالكلية فالله أعلم . قال ابن عبد البر : ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً فى مغتسله ، وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلا يقول :

قتلنا سيدَ الخزرجِ سعدَ بنَ عبادةْ * رميناهُ بسهمٍ فلمْ يخطئْ فؤادَهْ

قال ابن جريج : سمعت عطاء (يقول) سمعت أن الجن قالوا فى سعد بن عبادة هذين البيتين . له عن النبى (ص) أحاديث ، وكان رضى الله عنه من أشد الناس غيرة ، ما تزوج امرأة إلا بكراً ، ولا طلق امرأة فتجاسر أحد أن يخطبها بعده . وقد روى أنه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنيه ، فلما توفى ولد له ولد فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس بن سعد فأمراه أن يدخل هذا معهم ، فقال إنى لا أغير ماصنع سعد ولكن نصيبى لهذا الولد * سلمة بن هشام بن المغيرة ، أخو أبى جهل بن هشام ،

أسلم سلمة قديماً وهاجر إلى الحبشة فلما رجع منها حبسه أخوه وأجاعه فكان رسول الله (ص) يدعو له في القنوت ولجماعة معه من المستضعفين . ثم انسل فلحق برسول الله (ص) بالمدينة بعد الخندق ، وكان معه بها ، وقد شهد أجنادين وقتل بها رضى الله عنه * ضرار بن الأزور الأسدى ، كان من الفرسان المشهورين ، والأبطال المذكورين ، له مواقف مشهودة ، وأحوال محمودة . ذكر عروة وموسى بن عقبة أنه قتل بأجنادين . له حديث فى استحباب إبقاء شئ من اللبن فى الضرع عند الحلب * طليب ابن عمير بن وهب بن كثير بن هند بن قصى القرشى العبدى ، أمه أروى بنت عبد المطلب عمة النبى (ص) . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدراً . قاله ابن إسحاق والواقدى والزبير بن بكار . ويقال إنه أول من ضرب مشركا ، وذلك أن أبا جهل سب النبى (ص) فضربه طليب بلحى جمل فشجه . استشهد طليب بأجنادين وقد شاخ رضى الله عنه * عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، ابن عم النبى (ص) كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، قتل يوم أجنادين بعد ماقتل عشرة من الروم مبارزة كلهم بطارقة أبطال . وله من العمر يومئذ بضع وثلاثون سنة * عبد الله بن عمرو الدوسى قتل بأجنادين . وليس هذا الرجل معروفا * عثمان بن طلحة العبدرى الحجبى . قيل إنه قتل بأجنادين ، والصحيح أنه تأخر إلى مابعد الاربعين * عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية الأموى أبو عبد الرحمن أمير مكة نيابة عن رسول الله (ص) استعمله عليها عام الفتح ، وله من العمر عشرون سنة ، فحج بالناس عامئذ ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه السلام . وكانت وفاته بمكة ، قيل يوم توفى أبو بكر رضى الله عنهما . له حديث واحد رواه أهل السنن الأربعة * عكرمة بن أبى جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشى المخزومى ، كان من سادات الجاهلية كأبيه ، ثم أسلم عام الفتح بعد مافر ، ثم رجع إلى الحق . واستعمله الصديق على عمان حين ارتدوا فظفر بهم كما تقدم . ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال : إنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم . وكان يقبل المصحف ويبكى ويقول . كلام ربى كلام ربى . احتج بهذا الامام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته . وقال الشافعى : كان عكرمة محمود البلاء فى الاسلام . قال عروة : قتل بأجنادين . وقال غيره : باليرموك بعد ماوجد به بضع وسبعون ما بين ضربة وطعنة رضى الله عنه * الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، قيل إنه توفى فى هذه السنة ، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثمانى عشرة * نعيم بن عبد الله بن النحام أحد بنى عدى ، أسلم قديماً قبل عمر ولم يتهيأ له هجرة إلى ما بعد الحديبية ، وذلك لأنه كان فيه بر بأقاربه ، فقالت له قريش : أقم عندنا على أى دين شئت ، فوالله لايتعرضك أحد إلا ذهبت أنفسنا دونك . استشهد يوم أجنادين وقيل يوم اليرموك رضى الله عنه * هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشى الاسدى ،

هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي (ص) يوم خرجت من مكة حتى أسقطت ، ثم أسلم بعد حسن إسلامه ، وقتل بأجنادين رضى الله عنه * هبار بن سفيان بن عبد الأسود المخزومي ابن أخي أم سلمة . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة واستشهد يوم أجنادين على الصحيح ، وقيل قتل يوم مؤتة والله أعلم * هشام بن العاص بن وائل السهمي أخو عمرو بن العاص . روى الترمذي أن رسول الله (ص) قال « ابنا العاص مؤمنان » وقد أسلم هشام قبل عمرو ، وهاجر إلى الحبشة ، فلما رجع منها احتبس بمكة . ثم هاجر بعد الخندق ، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم . وكان من الفرسان . وقتل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، والاول أصح والله أعلم * أبو بكر الصديق رضى الله عنه تقدم وله ترجمة مفردة ولله الحمد .

سنة اربع عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق ، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر ، وانتظام شمل الفرس ، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذى أقاموه من بيت الملك ، ونقض أهل الذمة بالعراق عهودهم ، ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم ، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم . وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد . قال ابن جرير رحمه الله . وركب عمر رضى الله عنه في أول يوم من المحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار ، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة. ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابه فيما عزم عليه ، ونودى أن الصلاة جامعة ، وقد أرسل إلى علي فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق ، إلا عبدالرحمن بن عوف فانه قال له : إني أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض ، وإني أرى أن تبعث رجلا وترجع أنت إلى المدينة . فارثا[1] عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأى ابن عوف . فقال عمر فمن ترى أن نبعث إلى العراق ؟ فقال : قد وجدته . قال ومن هو ؟ قال الأسد في براثنه سعد بن مالك الزهرى . فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال : ياسعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (ص) وصاحبه ، فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ؛ الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت

---

(١) كذا في الحلبية (بالثاء) وفي المصرية هكذا : فارطا . ولعلها فارقاً بمعنى جنح كما يفهم من النهاية والقاموس .

رسول الله (ص) منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فانه الأمر . هذه عظتي إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين . ولما أراد فراقه قال له : إنك ستقدم على أمر شديد ، فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك ، تجمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين ، فى طاعته واجتناب معصيته ، وإنما طاعة من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وإنما عصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فأن تكون حامده وذامه فى الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس ، ومن محبة الناس فلا تزهد فى التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حببه ، وإذا أبغض عبداً بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس . قالوا : فسار سعد نحو العراق فى أربعة آلاف ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس ، وقيل فى ستة آلاف . وشيعهم عمر من صرار إلى الأعوص وقام عمر فى الناس خطيباً هنالك فقال : إن الله إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول لتحيى القلوب فان القلوب ميتة فى صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، فان للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين . وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الاموال . والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فان لم يكفه الكفاف لم يغنه شئ . إنى بينكم وبين الله ، وليس بينى وبينه أحد ، وإن الله قد ألزمنى دفع الدعاء عنه فانهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع فالى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع . ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بمن معه من المسلمين إلى المدينة . ولما انتهى سعد إلى نهر زرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالمثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه ، انتقض جرح المثنى بن حارثة الذى كان جرحه يوم الجسر فمات رحمه الله ورضى الله عنه ، واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية . ولما بلغ سعداً موته ترحم عليه وتزوج زوجته سلمى . ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره وأمده عمر بأمداد أخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون . وقال عمر : والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب . وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة عريفاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعد ، عرف العرفاء ، وأمر على القبائل ، وولى على الطلائع ، والمقدمات ، والمجنبات والساقات ، والرجالة ، والركبان ، كما أمر أمير المؤمنين عمر .

قال سيف باسناده عن مشايخه قالوا : وجعل عمر على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النون ، وجعل إليه الاقباض وقسمة الفيء ، وجعل داعية الناس وقاصّهم سلمان الفارسي . وجعل الكاتب زياد بن أبي سفيان . قالوا وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلثمائة و بضعة عشر صحابياً ، منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبعمائة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم . و بعث عمر كتابه إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وأن يكون بين الحجر والمدر ، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ، وأن يبدروهم بالضرب والشدة ، ولا يهولنك كثرة عددهم وعُدّدهم ، فانهم قوم خدعة مكرة ، و إن أنتم صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم . و إن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وراءكم حتى تصلوا إلى الحجر فانكم عليه أجرأ ، و إنهم عنه أجبن و به أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة . وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه ، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فان النصر يأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، وسلوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، واكتب إليّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها ، وكيف تنزلون وأين يكون منكم عدوكم ، واجعلني بكتبك إلى كأني أنظر إليكم ، واجعلني من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجه ولا تدل بشيء ، واعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم . فكتب إليه سعد يصف له كيفية تلك المنازل والاراضي بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب إليه يخبره بأن الفرس قد جردوا لحربه رستم وأمثاله ، فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وأمر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم ، إلى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية

وكتب إليه عمر : قد جاءني كتابك وفهمته ، فاذا لقيت عدوك ومنحك الله أدبارهم ، فانه قد ألقي في روعي أنكم ستهزمونهم فلا تشكن في ذلك ، فاذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها إن شاء الله . وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله وللمسلمين عامة .

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاذ بن ازاذويه ، فغنموا مما معه شيئاً كثيراً ووقع منهم موقعاً كبيراً ، فخمسها سعد وقسم أربعة أخماسها في الناس واستبشر الناس بذلك وفرحوا ، وتفاءلوا ، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحريم ، على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثي .

غزوة القادسية

ثم سار سعد فنزل القادسية ، و بث سراياه ، وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس ، فكتب إلى عمر بذلك ، والسرايا تأتي بالميرة من كل مكان . فعجت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد

من الذين يلقون من المسلمين من النهب والسبي . وقالوا : إن لم تنجدونا والا أعطينا ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون . واجتمع رأى الفرس على إرسال رستم إليهم ، فبعث إليه يزدجرد فأمره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك ، وقال : إن هذا ليس برأى فى الحرب ، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة . فأبى الملك إلا ذلك ، فتجهز رستم للخروج . ثم بعث سعد كاتفاً الى الحيرة و إلى صلوبا فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاذ الأرمنى ، وأمده بالعساكر . فكتب سعد الى عمر بذلك فكتب إليه عمر : لا يكر بنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم ، وا كتب إلى فى كل يوم . ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بساباط كتب سعد إلى عمر يقول : إن رستم قد عسكر بساباط وجر الخيول والفيول وزحف علينا بها ، وليس شىء أهم عندى ، ولا أكثر ذكراً منى لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل . وعبأ رستم فجعل على المقدمة وهى أربعون ألفاً الجالنوس ، وعلى الميمنة الهرمزان ، وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون ألفاً ، وعلى الساقة البندران فى عشرين ألفاً ، فالجيش كله ثمانون ألفاً فيما ذكره سيف وغيره . وفى رواية : كان رستم فى مائة ألف وعشرين ألفاً ، يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل أبيض كان لسابور ، فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت الفيلة تألفه . ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان بن مقرن ، وفرات بن حيان ، وحنظلة بن الربيع التميمى ، وعطارد بن حاجب ، والاشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معدى كرب ، يدعون رستم الى الله عز وجل . فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعود الله إيانا ، أخذ بلادكم وسبى نسائكم وأبنائكم وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رستم فى منامه كأن ملكا نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كله ودفعه الى رسول الله (ص) فدفعه رسول الله (ص) إلى عمر . وذكر سيف بن عمر أن رستم طاول سعداً فى اللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن وملتقاه سعداً بالقادسية أربعة أشهر كل ذلك لعله يضجر سعداً ومن معه ليرجعوا ، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه ، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم ، لما رأى فى منامه ، ولما يتوسمه ، ولما سمع منهم ، ولما عنده من علم النجوم الذى يعتقد صحته فى نفسه لما له من المدارسة لهذا الفن . ولما دنا جيش رستم من سعد أحب سعد أن يطلع على أخبارهم على الجلية ، فبعث رجلا سرية لتأتيه برجل من الفرس وكان فى السرية طليحة الاسدى الذى كان ادعى النبوة ثم تاب . وتقدم الحارث مع أصحابه حتى رجعوا . فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجيوش والصفوف ، وتخطى الألوف ، وقتل جماعة من الأبطال حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئاً ، فسأله

سعد عن القوم فجعل يصف شجاعة طليحة، فقال دعنا من هذا وأخبرنا عن رستم، فقال: هو فى مائة ألف وعشرين ألفاً، ويتبعها مثلها. وأسلم الرجل من فوره رحمه الله.

قال سيف عن شيوخه: ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه. فبعث اليه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه. فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولا قال له: إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به إلا عز. فقال له رستم: فما هو؟ فقال أما عموده الذى لا يصلح شئ منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والاقرار بما جاء من عند الله، فقال ما أحسن هذا؟! وأى شئ أيضا؟ قال وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضا وأى شئ أيضا؟ قال: والناس بنو آدم، فهم أخوة لأب وأم، قال وحسن أيضاً. ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا فى دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إى والله ثم لا نقرب بلادكم إلا فى تجارة أو حاجة. قال: وحسن أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه فى الاسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه قبحهم الله وأخزاهم وقد فعل.

قالوا: ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه وهو ربعى بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة. وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعى بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إنى لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتمونى فان تركتمونى هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: إئذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ماجاء بكم؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى. فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال نعم! كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال:

ماسن لنا رسول الله ص... أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر فى أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال ! لا : ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم . فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شئ من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لاتنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة . إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب . ثم بعثوا يطلبون فى اليوم الثانى رجلا فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ماقال ربعى . وفى اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل . قال فيه رستم للمغيرة : إنما مثلكم فى دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل . فقال من يوصلنى إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول من يخلصنى وله أربعة دراهم ؟ ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جحراً فى كرم فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه ، فلما سمن أفسد شيئاً كثيراً فجاء بجيشه ، واستعان عليه بغلمانه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمنه فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضباً وأقسم بالشمس لأقتلنكم غداً [. فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرت لكم بكسوة . ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ، ولنامدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم ؟ ! فلما قال ذلك استشاط غضباً .] (١)

وقال ابن جرير حدثنى محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفى ثنا أمية بن خالد ثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن . قال قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس.قال لا أدرى لعلنا لانزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً ونحو ذلك ، فقالوا لايد لكم ولا قوة ولا سلاح ، ماجاء بكم ؟ ارجعوا . قال : قلنا ما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون دوك دوك وشبهونا بالمغازل . فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلا من عقلائكم يبين لنا ماجاء بكم . فقال المغيرة بن شعبة ، أنا : فعبر إليهم فقعد مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا ، فقال : إن هذا لم يزدنى رفعة ولم ينقص صاحبكم . فقال رستم : صدق ، ماجاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قوماً فى شر وضلالة ، فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبة تنبت فى هذا البلد ، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لاصبر لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة . فقال رستم إذا نقتلكم . قال إن قتلتمونا دخلنا الجنة ، وإن

(١) مابين القوسين المربعين زيادة عن المصرية في النسخة الحلبية .

قتلنا كم دخلتم النار وأديتم الجزية . قال : فلما قال وأديتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا : لاصلح بيننا وبينكم . فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبر إليكم . فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم .

وذكر سيف أن سعداً كان به عرق النسا يومئذ ، وأنه خطب الناس وتلى قوله تعالى : [ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون] ، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا : لاحول ولاقوة إلا بالله ، فى طردهم إياهم ، وقتلهم لهم . وقعودهم لهم كل مرصد ، وحصرهم لبعضهم فى بعض الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنانير . ومارد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند ، ولجأ أكثرهم إلى المدائن ، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها . وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال فى أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها . وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عَددها وعُددها . ولما استأذنوا على الملك يزدجرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبراً قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ؟ عن الأردية ، والنعال ، والسياط ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل فرد الله فأله على رأسه . ثم قال لهم : ما الذى أقدمكم هذه البلاد ؟ أظننتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ فقال له النعمان بن مقرن : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ؛ ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه فى دينه إلا الخواص ، فمكث كذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينهد إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط ، وطائع إياه فازداد . فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الاسلام حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء (١) فان أبيتم فالمناجزة . وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا كم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وأن أتيتمونا بالجزى (١) قبلنا ومنعنا كم وإلا قاتلنا كم . قال فتكلم يزدجرد فقال : إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى ليكفونا كم ، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم . فان كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا ، وان كان الجهد دعا كم فرضنا

(١) (١) كذا بالنسختين والمراد « الجزية » اه مصححه .

لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم . فأسكت القوم فقام المغيرة بن شعبة فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبني فأكون أنا الذى أبلغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ماذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فانما هى ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغى بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهى حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ماذكرت لك [وفى المعاد على ما ذكرت لك] فبعث الله إلينا رجلا معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته خير بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو نفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد . أول ترب كان له الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقذف الله فى قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين . فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : أنا الله وحدى لاشريك لى كنت إذ لم يكن شئ وكل شئ هالك إلا وجهى ، وأنا خلقت كل شئ وإلى يصير كل شئ ، وان رحمتى أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التى أنجيكم بها بعد الموت من عذابى ، ولأحلكم دارى دار السلام . فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتى ، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه . فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجى نفسك . فقال يزدجرد : اتستقبلنى بمثل هذا ؟ فقال ما استقبلت إلا من كلمنى ، ولو كلمنى غيرك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لاتقتل لقتلتكم ، لا شئ لكم عندى . وقال إئتونى بوقر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن . إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده فى خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور . ثم قال : من أشرفكم ؟ فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وافتات ليأخذ التراب أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء فحملنيه ، فقال : أكذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه فخرج به من الايوان والدار حتى أتى راحلته

لحمله عليها ثم انجذب فى السير ليأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه وقال بشروا الأمير بالظفر ، ظفرنا إن شاء الله تعالى ، ثم مضى حتى جعل التراب فى الحجر ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر . فقال : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم ، وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم . ثم لم يزل أمر الصحابة يزداد فى كل يوم علواً وشرفاً ورفعة ، وينحط أمر الفرس سفلا وذلا ووهناً .

ولما رجع رستم إلى الملك يسأله عن حال من رأى من المسلمين ؛ فذكر له عقلهم وفصاحتهم وحدة جوابهم ، وأنهم يرومون أمراً يوشك أن يدركوه . وذكر ما أمر به أشرفهم من حمل التراب وأنه استحمق أشرفهم فى حمله التراب على رأسه ، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر . فقال له رستم : إنه ليس أحمق ، وليس هو بأشرفهم ، إنما أراد أن يفتدى قومه بنفسه ولكن والله ذهبوا بمفاتيح أرضنا وكان رستم منجماً ، ثم أرسل رجلا وراءهم وقال : إن أدرك التراب فرده تداركنا أمرنا ، وإن ذهبوا به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا . قال : فساق وراءهم فلم يدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب . وساء ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشد الغضب واستهجنوا رأى الملك .

فصل

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها ، وذلك أنه لما تواجه الصفان كان سعد رضى الله عنه قد أصابه عرق النسا ، ودمامل فى جسده ، فهو لا يستطيع الركوب ، وإنما هو فى قصر متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره ، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبدالله البجلى ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مدداً من عند أبى عبيدة من الشام بعد ما شهدا وقعة اليرموك .

وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستم كان فى ستين ألفاً ، فصلى سعد بالناس الظهر ثم خطب الناس فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى [ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون] وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره ، ثم كبر سعد أربعاً ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفريقين بشر كثير ، ثم أصبحوا إلى مواقفهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقفهم ، فاقتتلوا حتى أمسوا ثم اقتتلوا فى اليوم الثالث كذلك وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الهرير ، فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالا شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً ، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها ، وقلعوا عيونها ، وأبلى جماعة من الشجعان فى هذه الأيام مثل طليحة الأسدى ، وعمرو بن معدى كرب ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبدالله البجلى ، وضرار بن الخطاب ، وخالد بن عرفطة ، وأشكالهم وأضرابهم . فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم

ويسمى يوم القادسية ، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة كما قاله سيف بن عمر التميمى ، هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أماكنها وألقت سرير رستم الذى هو منصوب له ، فبادر فركب بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدم الطلائع القادسية ، وانهزمت الفرس ولله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم ، ولحقهم المسلمون فى أقفائهم فقتل يومئذ المسلمون بكمالهم وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل فى المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك . وقتل من المسلمين فى هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رحمهم الله . وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهى المدائن التى فيها الايوان الكسروى ، وقد أذن لمن ذكرنا عليه : فكان منهم إليه ما قدمنا . وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والسلاح مالا يحد ولا يوصف كثرة ، فحصلت الغنائم بعد صرف الأسلاب وخمست وبعث بالخمس والبشارة إلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد كان عمر رضى الله عنه يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشق الخبر ؛ فبينما هو ذات يوم من الأيام إذا هو براكب يلوح من بعد ، فاستقبله عمر فاستخبره ، فقال له : فتح الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة وجعل يحدثه وهو لا يعرف عمر وعمر ماش تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعل الناس يحيون عمر بالامارة فعرف الرجل عمر فقال : يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتنى أنك الخليفة ؟ فقال لاحرج عليك يا أخى .

وقد تقدم أن سعداً رضى الله عنه كان به قروح وعرق النسا ، فمنعه من شهود القتال لكنه جالس فى رأس القصر ينظر فى مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يغلق عليه باب القصر لشجاعته ، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد ، لا يمتنع منهم ، وعنده امرأته سلمى بنت حفص التى كانت قبله عند المثنى بن حارثة ، فلما فر بعض الخيل يومئذ فزعت وقالت : وامثنياه ولامثنى لى اليوم . فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها ، فقالت — أغيرة وجبنا يعنى أنها تعيره بجلوسه فى القصر يوم الحرب — وهذا عناد منها فانها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع من ذلك ، وكان عنده فى القصر رجل مسجون على الشراب كان قد حد فيه مرات متعددة ، يقال سبع مرات ، فأمر به سعد فقيد وأودع فى القصر فلما رأى الخيول تجول حول حمى القصر وكان من الشجعان الأبطال قال :

كفى حزناً أن تدحمَ الخيلُ بالفتى * وأتركُ مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قمتُ عنَّاني الحديدُ وغلِّقتْ * مصاريعُ من دوني تصمُّ المناديا
وقدْ كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ * وقدْ تركوني مفرداً لا أخاليا

ثم سأل من زبراء أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيضع

رجله فى القيد فأطلقته ، وركب فرس سعد وخرج فقاتل قتالا شديداً ، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها ويشبهه بأبى محجن ولكن يشك لظنه أنه فى القصر موثق ، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله فى قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال : ما هذا ؟ فذكروا له قصة أبى محجن فرضى عنه وأطلقه رضى الله عنهما .

وقد قال رجل من المسلمين فى سعد رضى الله عنه :

نقاتل حتى أنزلَ اللهُ نصره * وسعدٌ بباب القادسيةِ معصم
فأُبنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرةٌ * ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنَّ أيّمُ

فيقال إن سعداً نزل إلى الناس فاعتذر إليهم مما فيه من القروح فى فخذيه وإليتيه ، فعذره الناس . ويذكر أنه دعا على قائل هذين البيتين وقال : اللهم إن كان كاذباً ، أو قال الذى قال رياء وسمعة وكذباً فاقطع لسانه ويده . فجاءه سهم وهو واقف بين الصفين ، فوقع فى لسانه فبطل شقه فلم يتكلم حتى مات رواه سيف عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر فذكره . وقال سيف عن المقدام بن شريح الحارثى عن أبيه قال قال جرير بن عبد الله البجلى :

أنا جريرٌ وكنيتى أبو عمرو * قدْ فتحَ اللهُ وسعدٌ فى القصْر

فأشرف سعد من قصره وقال :

وما أرجو بُجيلةَ غيرَ أني * أؤملُ أجرها يومَ الحسابِ
وقدْ لقيتْ خيولُهمْ خيولاً * وقد وقعَ الفوارسُ فى الضرابِ
وقد دلفتْ بعرصتهمْ خيولٌ * كأنَّ زهاءَها إبلُ الجرابِ
فلولا جمعُ قعقاعِ بنِ عمرو * وحمالٌ للجُّوا فى الركابِ
ولولا ذاكَ ألفيتمْ رعاعا * تسيل جموعكمْ مثلَ الذبابِ

وقد روى محمد بن إسحق عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم البجلى ـ وكان ممن شهد القادسية ـ قال : كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتداً ، فأخبرهم أن بأس الناس فى الجانب الذى فيه بجيلة . قال : وكنا ربع الناس ، قال : فوجهوا إلينا ستة عشر فيلا ، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ، ويرشقوننا بالنشاب ، فلكأنه المطر ، وقربوا خيولهم بعضها إلى بعض لئلا ينفروا . قال : وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدى يمر بنا فيقول : يامعشر المهاجرين ، كونوا أسوداً فانما الفارسى تيس . قال : وكان فيهم أسوار لا تكاد تسقط له نشابة ، فقلنا له يا أبا ثور تق ذاك الفارس فانه لا تسقط له نشابة ، فوجه إليه الفارس ورماه بنشابة فأصاب ترسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب ، ويلمقا من ديباج . قال : وكان المسلمون

ستة آلاف أو سبعة آلاف ، فقتل الله رستم وكان الذى قتله رجل يقال له هلال بن علقمة التميمى ، رماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحتز رأسه وولت الفرس فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فأدركوهم فى مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ هجم عليهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ؛ وقتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حوية التميمى . ثم ساروا خلفهم فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن ، وخذل حزب الشيطان وعبدة النيران ؛ واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره ميزان وقبان ، حتى أن منهم من يقول من يقايض بيضاء بصفراء لكثرة ماغنموا من الفرسان . ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم وفتحوا المدائن وجلولاء على ما سيأتى تفصيله فى موضعه إن شاء الله تعالى و به الثقة

وقال سيف بن عمر عن سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعى قالت : شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس ، شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوى ثم أتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ؛ ومن كان من المشركين أجهزنا عليه ، ومعنا الصبيان فنوليهم ذلك ــ تعنى استلابهم ــ لئلا يكشفن عن عورات الرجال .

وقال سيف باسانيده عن شيوخه قالوا : وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح و بعدة من قتلوا من المشركين . و بعدة من قتل من المسلمين ، بعث بالكتاب مع سعد بن عميلة الفزارى وصورته « أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل ، و زلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الأنهار ، وصفوف الآجام ، وفى الفجاج . وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وفلان وفلان ، و رجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله ، فانه بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كدوى النحل ، وهم آساد فى النهار لاتشبههم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم »

فيقال إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضى الله عنهم . ثم قال عمر للناس : إنى حريص على أن لا أرى حاجة إلا سددتها ، ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجز ذلك عنا تأسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ، ولست معلمكم إلا بالعمل ، إنى والله لست بملك فأستعبدكم ، ولكنى عبد الله عرض على الأمانة فان أبيتها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم وترووا سعدت بكم ، و إن أنا حملتها واستتبعتكم إلى بيتى شقيت بكم ، ففرحت قليلا وحزنت طويلا ، فبقيت لا أقال ولا أرد فأستعتب .

وقال سيف عن شيوخه قالوا : وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين ، يتربصون وقعة

القادسية هذه ، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف ما يكون من خبرهم ، فلما كان ما كان من الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى البلاد قبل رسل الأنس فسمعت امرأة ليلا بصنعاء على رأس جبل وهي تقول :

حييتَ عنا عكرمَ ابنةَ خالدٍ * وما خيرُ زادٍ بالقليلِ المصردِ
وحييتَ عني الشمسَ عند طلوعها * وحييتَ عني كلَّ تاجٍ مفردِ
وحيتكَ عنى عصبةٌ نخعيةٌ * حسانُ الوجوهِ آمنوا بمحمدِ
أقاموا لكسرى يضربونَ جنودَهُ * بكلِّ رقيقِ الشفرتينِ مهندِ
إذا ثوّبَ الداعي أناخوا بكلكلٍ * منَ الموتِ مسودِّ الغياطلِ أجردِ

قالوا : وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغنى بهذه الأبيات :

وجدنا الأكرمينَ بنى تميمٍ * غداةَ الروعِ أكثرهمْ رجالا
هموا ساروا بأرعنَ مكفهرٍّ * إلى لجبٍ يرونهمُ رعالا
بحورٌ للأكاسرِ من رجالٍ * كأسدِ الغابِ تحسبهمْ جبالا
تركنَ لهمْ بقادسَ عزَّ فخرٍ * وبالخيفينِ أياماً طوالا
مقطعةً أكفهمُ وسوقٌ * بمردٍ حيثُ قابلتِ الرجالا

قالوا : وسمع ذلك فى سائر بلاد العرب ، وقد كانت بلاد العراق بكمالها التى فتحها خالد نقضت العهود والذمم والمواثيق التى كانوا أعطوها خالداً ، سوى أهل بانقيا وبرسما ، وأهل أليس الآخرة ثم عاد الجميع بعد هذه الوقعة التى أوردناها ، وادعوا أن الفرس أجبروهم على نقض العهود ، وأخذوا منهم الخراج وغير ذلك . فصدقوهم فى ذلك تألفاً لقلوبهم وسنذكر حكم أهل السواد فى كتابنا الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقد ذهب ابن إسحاق وغيره إلى أن وقعة القادسية كانت فى سنة خمس عشرة . وزعم الواقدى أنها كانت فى سنة ست عشرة . وأما سيف بن عمر وجماعة فذكروها فى سنة أربع عشرة ، وفيها ذكرها ابن جرير فالله أعلم .

قال ابن جرير والواقدى : فى سنة أربع عشرة جمع عمر بن الخطاب الناس على أبى بن كعب فى التراويح وذلك فى شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع فى قيام شهر رمضان قال ابن جرير وفيها بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها بمن معه من المسلمين ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم فى قول المدائنى ، وروايته . قال : وزعم سيف أن البصرة إنما مصرت فى ربيع من سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ، وجهه إليها سعد بأمر عمر رضى الله عنهم .

وقال أبو مخنف عن مجالد عن الشعبي رضي الله عنهم : إن عمر بعث عتبة بن غزوان إلى أرض البصرة فى ثلثمائة و بضعة عشر رجلا ، وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة ، فنزلها فى ربيع الأول سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة ، وجعل يرتاد لهم منزلا حتى جاؤا حيال الجسر الصغير فاذا فيه حلفا وقصب نابت ، فنزلوا . فركب إليهم صاحب الفرات فى أربعة آلاف أسوار ، فالتقاه عتبة بعد مازالت الشمس ، وأمر الصحابة فحملوا عليهم فقتلوا الفرس عن آخرهم ، وأسروا صاحب الفرات ، وقام عتبة خطيباً فقال فى خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء ، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا عما بحضرتكم ، فقد ذكر لى لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً ولتملأنه ، أو عجبتم ؟ ولقد ذكر لى أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد رأيتنى وأنا سابع سبعة ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق السمر ، حتى تفرحت أشداقنا ، والتقطت بردة فشققتها بينى و بين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار ، وسيجربون الناس بعدنا . وهذا الحديث فى صحيح مسلم بنحو من هذا السياق .

وروى على بن محمد المدائنى أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة : ياعتبة إنى استعملتك على أرض الهند وهى حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمى يمدك بعرفجة بن هرثمة . فاذا قدم عليك فاستشره وقربه ، وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة ، وإلا فالسيف فى غير هوادة ، واتق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك الى كبر فتفسد عليك آخرتك ، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت بعد الذلة ، وقويت بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلطاً ، وملكا مطاعا ، تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ، فيالها نعمة إذا لم ترق فوق قدرك ، وتبطر على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وهى أخوفهما عندى عليك أن يستدرجك ويخدعك فتسقط سقطة فتصير بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسى من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتق مصارع الظالمين .

وقد فتح عتبة الأبلة فى رجب أو شعبان من هذه السنة . ولما مات عتبة بن غزوان فى هذه السنة استعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة سنتين ، فلما رمى بما رمى به عزله وولى عليها أبا موسى الأشعرى رضى الله عنهم . وفى هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله فى الشراب هو وجماعة معه ، وفيها ضرب أبا محجن الثقفى فى الشراب أيضاً سبع مرات ، وضرب معه ربيعة بن أمية بن

خلف ، وفيها نزل سعد بن أبي وقاص الكوفة ، وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب . قال وكان بمكة عتاب بن أسيد ، وبالشام أبو عبيدة ، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص وقيل العلاء بن الحضرمي ، وعلى العراق سعد ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

ذكرى من توفي في هذا العام من المشاهير

ففيها توفي سعد بن عبادة في قول والصحيح في التي قبلها والله أعلم * عتبة بن غزوان بن جابر بن هيب المازني ، حليف بني عبد شمس صحابي بدري ، وأسلم قديماً بعد ستة[1] وهاجر إلى أرض الحبشة وهو أول من اختط البصرة عن أمر عمر في إمرته له على ذلك كما تقدم ، وله فضائل ومآثر ، وتوفي سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين فالله أعلم . وقد جاوز الخمسين ، وقيل بلغ ستين سنة رضي الله عنه * عمرو بن أم مكتوم الأعمى ، ويقال اسمه عبد الله ، صحابي مهاجري ، هاجر بعد مصعب بن عمير ، قبل النبي (ص) فكان يقرئ الناس القرآن ، وقد استخلفه رسول الله (ص) على المدينة غير مرة ، فيقال ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسية مع سعد زمن عمر فيقال إنه قتل بها شهيداً ويقال إنه رجع إلى المدينة وتوفي بها والله أعلم * المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني نائب خالد على العراق ، وهو الذي صارت اليه الأمرة بعد أبي عبيد يوم الجسر ، فدارى بالمسلمين حتى خلصهم من الفرس يومئذ ، وكان أحد الفرسان الأبطال ، وهو الذي ركب إلى الصديق فحرضه على غزو العراق ، ولما توفي تزوج سعد بن أبي وقاص بامرأته سلمى بنت خصفة رضي الله عنهما وأرضاهما . وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الغابة في أسماء الصحابة * أبو زيد الأنصاري النجاري أحد القراء الأربعة الذين حفظوا القرآن من الأنصار في عهد رسول الله (ص) ، كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك ، وهم معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال أنس أحد عمومتي . قال الكلبي واسم أبي زيد هذا قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حزم بن جندب بن غنم بن عدي بن النجار شهد بدراً . قال موسى بن عقبة واستشهد يوم جسر أبي عبيد وهي عنده في سنة أربع عشرة ، وقال بعض الناس أبو زيد الذي يجمع القرآن سعد بن عبيد ، وردوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك قال : افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، ومنا الذي اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ ، ومنا الذي جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت . فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص) أبي ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ ، وأبو زيد رضي الله عنهم أجمعين * أبو عبيد بن

(١) كذا في الأصلين ولعله يريد بعد ستة من البعثة لانه من السابقين الأولين .

مسعود بن عمرو الثقفى والد المختار بن أبى عبيـد أمير العراق ، ووالد صفية امرأة عبـد الله بن عمر .
أسلم أبو عبيد فى حياة النبى (ص) وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر فى الصحابة .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى : ولا يبعد أن يكون له رواية والله أعلم .

أبو قحافة والد الصديق واسم أبى بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن صخر ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، أسلم أبو قحافة عام الفتح فجاء به الصديق يقوده إلى النبى (ص) فقال « هلا أقررتم الشيخ فى بيته حتى كنا نحن نأتيه » تكرمة لابى بكر رضى الله عنـه فقال : بل هو أحق بالسعى إليك يارسول الله . فأجلسه رسول الله (ص) بين يديه ورأسه كالثغامة بياضاً ودعا له ، وقال : « غيروا هـذا الشيب بشئ وجنبوه السواد » . ولما توفى رسول الله (ص) وصارت الخلافة إلى الصديق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة ، فقال : أو أقرت بذلك بنو هاشم وبنو مخزوم ؟ قالوا : نعم ! قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ثم أصيب بابنه الصديق رضى الله عنه . ثم توفى أبو قحافة فى محرم وقيل فى رجب سنة أربع عشرة بمكة ، عن أربع وسبعين سنة رحمه الله وأكرم مثواه .

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبى من المستشهدين فى هذه السنة مرتبين على الحروف

أوس بن أوس بن عتيك قتل يوم الجسر * بشير بن عنبس بن يزيد الظفرى أحدى ، وهو ابن عم قتادة بن النعمان ويعرف بفارس الحواء اسم فرسه * ثابت بن عتيك ، من بنى عمرو بن مبذول ، صحابى قتل يوم الجسر * ثعلبة بن عمرو بن محصن النجارى بدرى قتل يومئـذ * الحارث بن عتيك ابن النعمان النجارى شهد أحداً قتل يومئذ * الحارث بن مسعود بن عبدة صحابى أنصارى قتل يومئذ ، الحارث بن عدى بن مالك أنصارى أحدى قتل يومئذ * خالد بن سعيد بن العاص ، قيل إنه استشهد يوم مرج الصفر ، وكان فى سنة أربع عشرة فى قول * خزيمة بن أوس الأشهلى قتل يوم الجسر * ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أرخ وفاته فى هـذه السنة ابن قانع * زيد بن سراقة يوم الجسر * سعد بن سلامة بن وقش الأشهلى * سعد بن عبادة فى قول * سلمة بن أسلم بن حريش يوم الجسر * ضمرة بن غزية يوم الجسر * عباد وعبد الله وعبد الرحمن بنو مريم بن قيظى قتلوا يومئذ * عبد الله بن صعصعة بن وهب الأنصارى النجارى ، شهد أحداً وما بعدها . قال ابن الأثير فى الغابة : وقتل يوم الجسر * عتبة بن غزوان تقدم * عقبة وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قيظى بن قيس وقتلا يومئذ * العلاء بن الحضرمى توفى فى هذه السنة فى قول وقيل بعدها وسيأتى * عمرو بن أبى اليسر قتل يوم الجسر * قيس بن السكن أبو زيد الأنصارى رضى الله عنه تقدم * المثنى بن حارثة الشيبانى ، توفى فى هذه السنة رحمه الله وقد تقدم * نافع بن غيلان قتل يومئذ * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

وكان أسن من عمه العباس ، قيل إنه توفى فى هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم * واقد بن عبد الله قتل يوم[(١)] * يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصارى الظفرى شهد أحداً وما بعدها ، قتل يوم الجسر ، وقد أصابه يوم أحد جراحات كثيرة وكان أبوه شاعراً مشهوراً * أبو عبيد بن مسعود الثقفى أمير يوم الجسر و به عرف لقتاله عنده ، تخبطه الفيل حتى قتله رضى الله عنه بعد ما قطع بسيفه خرطومه كما تقدم * أبو قحافة التيمى والد أبى بكر الصديق ، توفى فى هذه السنة رضى الله عنه . هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن أمية الأموية ، والدة معاوية بن أبى سفيان ، وكانت من سيدات نساء قريش ذات رأى ودهاء ورياسة فى قومها ، وقد شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل المسلمين يومئذ ، ولما قتل حمزة مثلت به وأخذت من كبده فلاكتها فلم تستطع إساغتها ، لأنه كان قد قتل أباها وأخاها يوم بدر ، ثم بعد ذلك كله أسلمت وحسن إسلامها عام الفتح ، بعد زوجها بليلة . ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله (ص) لتبايعه استأذنت أبا سفيان فقال لها : قد كنت بالأمس مكذبة بهذا الأمر ، فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله لقد باتوا ليلهم كلهم يصلون فيه . فقال لها : إنك قد فعلت ما فعلت فلا تذهبى وحدك . فذهبت إلى عثمان ابن عفان ويقال إلى أخيها أبى حذيفة بن عتبة فذهب معها ، فدخلت وهى متنقبة ، فلما بايعها رسول الله (ص) مع غيرها من النساء قال « على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين » فقالت : أو تزنى الحرة ؟ « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغاراً فقتلتهم كباراً ؟ ! فتبسم رسول الله (ص) ، « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك » فبادرت وقالت : فى معروف . فقال فى معروف ، وهذا من فصاحتها وحزمها ، وقد قالت لرسول الله (ص) : والله يا محمد ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلىّ من أن يذلوا من أهل خبائك ، فقد والله أصبح اليوم وما على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل خبائك . فقال : وكذلك والذى نفسى بيده . وشكت من شح أبى سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفيها ويكفى بنيها بالمعروف ، وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة ، وقد شهدت اليرموك مع زوجها وماتت يوم مات أبو قحافة فى سنة أربع عشرة وهى أم معاوية بن أبى سفيان .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير قال بعضهم فيها مصّر سعد بن أبى وقاص الكوفة دلهم عليها ابن بقيلة قال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الفلاة ؟ فدلهم على موضع الكوفة اليوم ، قال : وفيها كانت وقعة مرج الروم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالد من وقعة فحل قاصدين إلى حمص حسب

(١) بياض بالاصلين . وفى الاصابة انه توفى فى أول خلافة عمر

ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما تقدم فى رواية سيف بن عمر ، فسارا حتى نزلا على ذى الكلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له توذرا فى جيش معه فنزل بمرج دمشق وغربها ، وقد هجم الشتاء فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس وعسكر معه كثيف ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توذرا فسار توذرا نحو دمشق لينازلها ، وينتزعها من يزيد ابن أبى سفيان ، فاتبعه خالد بن الوليد وبرز إليه يزيد بن أبى سفيان من دمشق ، فاقتتلوا وجاء خالد وهم فى المعركة فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد توذرا وأخذوا من الروم أموالا عظيمة فاقتسماها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبى عبيدة فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلة عظيمة حتى أنتنت الأرض من زهمهم ، وقتل أبو عبيدة شنس وركبوا أكتافهم إلى حمص فنزل عليها يحاصرها .

وقعة حمص الأولى

لما وصل أبو عبيدة فى اتباعه الروم المنهزمين إلى حمص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك فى زمن البرد الشديد ، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد ، وصبر الصحابة صبراً عظيما بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهى فى الخف ، والصحابة ليس فى أرجلهم شئ سوى النعال ، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع أيضاً ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار ، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالح والملك منا قريب ؟ فيقال إن الصحابة كبروا فى بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفطرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور ، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضى ، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر . وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم بلال والمقداد وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده .

وقعة قنسرين

لما فتح أبو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما جاءها ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالد فيها قتالا شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيرا ، فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميناس . وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا

فقبل منهم خالد وكف عنهم ثم خلص إلى البلد فتحصنوا فيه ، فقال لهم خالد إنكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا . ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه ولله الحمد .

فلما بلغ عمر ما صنعه خالد فى هذه الوقعة قال يرحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال منى ، والله إنى لم أعزله عن ريبة ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه . وفى هذه السنة تقهقر هرقل بجنوده، وارتحل عن بلاد الشام إلى بلاد الروم . هكذا ذكره ابن جرير عن محمد بن إسحاق . قال وقال سيف : كان ذلك فى سنة ست عشرة ، قالوا : وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول عليك السلام ياسورية ، تسليم مودع لم يقض منك وطراً وهو عائد . فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرها ، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم ، فقالوا : إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك ، فتركهم . فلما وصل إلى شمشاط وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال : عليك السلام ياسورية سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلم عليك تسليم المفارق ، ولا يعود إليك رومى أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشئوم ، وياليته لم يولد . ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم ! ! ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه ، وقد سأل رجلا ممن اتبعه كان قد أسر مع المسلمين ، فقال : أخبرنى عن هؤلاء القوم ، فقال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالنهار ، رهبان بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم الا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتنى ليملكن موضع قدمى هاتين .

قلت وقد حاصر المسلمون قسطنطينية فى زمان بنى أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون فى آخر الزمان كما سنبينه فى كتاب الملاحم ، وذلك قبل خروج الدجال بقليل على ما صحت به الأحاديث عن رسول الله ص فى صحيح مسلم وغيره من الأئمة ولله الحمد والمنة ،

وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر ، كما ثبت به الحديث فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله عز وجل » وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت ، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبداً لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم . فهذا لا يعود لهم أبداً .

وقعة قيسارية

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أمّر عمر معاوية بن أبى سفيان على قيسارية وكتب إليه : أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله

العلى العظيم ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير . فسار إليها فحاصرها ، وراحمه أهلها مرات عديدة ، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما ، وصمم عليهم معاوية ، واجتهد فى القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة ، و بعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

قال ابن جرير : وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ، ومناجزة صاحبها فاجتاز فى طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت .

وقعة اجنادين

وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبدالله بن عمرو ، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكى ، من بنى مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمى : فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرطبون ، وكان أدهى الروم وأبعدها غورا ، وأنكاها فعلا ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيما وبإيلياء جنداً عظيما ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عما تنفرج . و بعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسى ، ومسروق بن بلال العكى على قتال أهل إيليا . وأبا أيوب المالكى إلى الرملة ، وعليها التذارق ، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمرو كلما قدم عليه أمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء . وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطبون فى نفسه : والله إن هذا لعمرو أو أنه الذى يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله . فدعا حرسيا فساره فأمره بفتكه فقال : اذهب فقم فى مكان كذا وكذا ، فاذا مر بك فاقتله ، ففطن عمرو ابن العاص فقال للأرطبون : أيها الامير إنى قد سمعت كلامك وسمعت كلامى ، وإنى واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالى لنشهد أموره . وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت . فقال الأرطبون : نعم ! فاذهب فأتنى بهم ، ودعا رجلا فساره فقال : اذهب إلى فلان فرده . وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص ، فقال : خدعنى الرجل ، هذا والله أدهى العرب . و بلغت عمر بن الخطاب فقال : لله در عمرو . ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالا عظيما ، كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو ابن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد ، وكثر جيشه ، فكتب الأرطبون الى عمرو بأنك صديق ونظيرى ، أنت فى قومك مثلى فى قومى ، والله لاتفتح من فلسطين شيئاً بعد

أجنادين فارجع ولا تغرَّ فتلقى مثل ما لقى الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرطبون وقال : اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتب إليه معه : جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للأرطبون : من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف . فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له : إني أعالج حربا كؤدا صدوما ، وبلاداً ادخرت لك ، فرأيك . فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس كما سنذكر تفصيله .

قال سيف بن عمر عن شيوخه : وقد دخل عمر الشام أربع مرات ، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس ، والثانية على بعير ، والثالثة وصل إلى سرغ ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الوباء . والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه .

فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر وملخص ما ذكره هو وغيره أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذنوا بحرب . فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه . فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا الى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوى ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤس الأمراء ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة فكف عمر . ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم الى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله (ص) ليلة الاسراء . ويقال إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل ، ثم جاء الى الصخرة

فاستدل على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية . ثم جعل المسجد فى قبلى بيت المقدس وهو العمرى اليوم ثم نقل التراب عن الصخرة فى طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه فى ذلك ، وسخر أهل الأردن فى نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود ، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى فى الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهى المكان الذى كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلاجل ذلك سمى ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التى بناها النصارى هنالك .

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوى وهو بإيلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا فى القاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم : انكم لخليق أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ثم أمروا بازالتها فشرعوا فى ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونه الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبى القاسم بن عساكر فى كتابه المستقصى فى فضائل المسجد الاقصى .

وذكر سيف فى سياقه : أن عمر رضى الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها على بن أبى طالب ، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها : « أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه و بين آدم أب حى ولا بينه و بين الله هوادة ، فمن أراد لحب (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، ولا يخلون أحدكم بامرأة فان الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » وهى خطبة طويلة اختصرناها . ثم صالح عمر أهل الجابية ورحل إلى بيت المقدس وقد كتب الى أمراء الأجناد أن يوافوه فى اليوم الفلانى إلى الجابية فتوافوا أجمعون فى ذلك اليوم إلى الجابية ، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبى سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد فى خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج ، فسار إليهم عمر ليحصبهم فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح ، وأنهم يحتاجون إليه فى حروبهم . فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعد ما استخلفوا على أعمالهم ، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل فانهما موافقان الأرطبون بأجنادين ، فبينما عمر فى الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسللة ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر : إن هؤلاء قوم يستأمنون . فساروا نحوهم فاذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر رضى الله عنه إلى ما سألوا ، وكتب لهم كتاب أمان

ومصالحة ، وضرب عليهم الجزية ، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير ، وشهد فى الكتاب خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وهو كاتب الكتاب وذلك فى سنة خمسة عشر . ثم كتب لأهل لد ومن هنالك من الناس كتاباً آخر وضرب عليهم الجزية ، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء ، وفر الأرطبون إلى بلاد مصر ، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص ، ثم فر الى البحر فكان يلى بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسى وقتله القيسى وقال فى ذلك .

فان يكن أرطبونُ الرومِ أفسدها * فانّ فيها بحمد الله منتفعا
وإن يكن أرطبونُ الروم قطّعها * فقد تركتُ بها أوصالهُ قطعا

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد ، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكباً ، فلما اقتربا منه أكبا على ركبتيه فقبلاها واعتنقهما عمر معاً رضى الله عنهم * قال سيف ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحّى فرسه فأتوه ببرذون فركبه فجعل يهملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علّم الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ففتحت إيلياء وأرضها على يديه ماخلا أجنادين فعلى يدى عمرو . وقيسارية فعلى يدى معاوية . هذا سياق سيف بن عمر وقد خالفه غيره من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان فى سنة ست عشرة .

قال محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علاق قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المقدس سنة ست عشرة وفيها قدم عمر بن الخطاب الجابية . وقال ابو زرعة الدمشقى عن دحيم عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد فى سنة سبع عشرة فرجع من سرغ ثم قدم سنة ثمانى عشرة فاجتمع إليه الأمراء وسلموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسمها وجند الأجناد ومصر الأمصار ثم عاد إلى المدينة .

وقال يعقوب بن سفيان : ثم كان فتح الجابية وبيت المقدس سنة ست عشرة . وقال أبو معشر : ثم كان عمواس والجابية فى سنة ست عشرة . ثم كانت سرغ فى سبع عشرة ، ثم كان عام الرمادة فى سنة ثمانى عشرة قال : وكان فيها طاعون عمواس ـ يعنى فتح البلدة المعروفة بعمواس ـ فأما الطاعون المنسوب إليها فكان فى سنة ثمانى عشرة كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

قال أبو مخنف : لما قدم عمر الشام فرأى غوطة دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين] ثم أنشد قول النابغة .

هما فتيا دهر يكرّ عليهما • نهارٌ وليلٌ يلحقان التواليا
إذا ما هما مرّا بحيّ بغبطة • أناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

وهذا يقتضى بادى الرأى أنه دخل دمشق وليس كذلك ، فانه لم ينقل أحد أنه دخلها فى شىء من قدماته الثلاث إلى الشام ، أما الأولى وهى هذه فانه سار من الجابية إلى بيت المقدس ، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم وقال الواقدى أما رواية غير أهل الشام فهى أن عمر دخل الشام مرتين ورجع الثالثة من سرغ سنة سبع عشرة وهم يقولون دخل فى الثالثة دمشق وحمص وأنكر الواقدى ذلك .

قلت : ولايعرف أنه دخل دمشق إلا فى الجاهلية قبل إسلامه كما بسطنا ذلك فى سيرته . وقد روينا أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان الصخرة فقال : يا أمير المؤمنين اذرع من وادى جهنم كذا وكذا ذراعاً فهى ثمّ . فذرعوا فوجدوها وقد اتخذها النصارى مزبلة ، كما فعلت اليهود بمكان القمامة ، وهو المكان الذى صلب فيه المصلوب الذى شبه بعيسى فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح . وقد كذبوا فى اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطئهم فى ذلك . والمقصود أن النصارى لما حكموا على بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلثمائة سنة ، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين بانى المدينة المنسوبة اليه ، واسم أمه هيلانة الحرانية البندقانية . وأمرت ابنها فبنى للنصارى بيت لحم على موضع الميلاد ، وبنت هى على موضع القبر فيما يزعمون . والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود مزبلة أيضا ، فى مقابلة ماصنعوا فى قديم الزمان وحديثه . فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة ، أمر بازالة ماعليها من الكناسة حتى قيل إنه كنسها بردائه ، ثم استشار كعباً أين يضع المسجد ؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة ، فضرب فى صدره وقال . يا ابن أم كعب ضارعت اليهود : وأمر ببنائه فى مقدم بيت المقدس .

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا حماد بن سلمة عن أبى سنان عن عبيد بن آدم وأبى مريم وأبى شعيب أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال قال ابن سلمة : فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس . وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسى فى كتابه المستخرج ، وقد تكلمنا على رجاله فى كتابنا الذى أفردناه فى مسند عمر ، ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روى عنه من الآثار الموقوفة مبوباً على أبواب الفقه ولله الحمد والمنة .

وقد روى سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق ،

فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؟ لا هالله لا ترجع حتى يفتح الله عليك إيلياء .
وقد روى أحمد بن مروان الدينورى عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن الهيثم بن عدى عن أسامة ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم مولى عمر بن الخطاب أنه قدم دمشق فى تجار من قريش ، فلما خرجوا تخلف عمر لبعض حاجته ، فبينما هو فى البلد إذا ببطريق يأخذ بعنقه ، فذهب ينازعه فلم يقدر ، فأدخله دارا فيها تراب وفأس ومجرفة وزنبيل ، وقال له : حول هذا من ههنا إلى ههنا ، وغلق عليه الباب وانصرف فلم يجئ إلى نصف النهار . قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال لى شيئاً . فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ ولكمنى فى رأسى بيده قال : فأخذت الفأس فضربته بها فقتلته وخرجت على وجهى فجئت ديراً لراهب فجلست عنده من العشى ، فأشرف على فنزل وأدخلنى الدير فأطعمنى وسقانى ، وأتحفنى ، وجعل يحقق النظر فى ، وسألنى عن أمرى فقلت : إنى أضللت أصحابى . فقال : إنك لتنظر بعين خائف ، وجعل يتوسمنى ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أنى أعلمهم بكتابهم ، وإنى لأراك الذى تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لى كتاب أمان على ديرى هذا ؟ فقلت : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب . فلم يزل بى حتى كتبت له صحيفة بما طلب منى ، فلما كان وقت الانصراف أعطانى أتاناً فقال لى اركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك فابعث إلى بها وحدها فانها لا تمر بدير إلا أكرموها . ففعلت ما أمرنى به ، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب وهو بالجابية بتلك الصحيفة فأمضاها له عمر واشترط عليه ضيافة من يمر به من المسلمين ، وأن يرشدهم إلى الطريق . رواه ابن عساكر وغيره . وقد ساقه ابن عساكر من طريق أخرى فى ترجمة يحيى بن عبيد الله بن أسامة القرشى البلقاوى عن زيد بن أسلم عن أبيه فذكر حديثا طويلا عجيباً هذا بعضه . وقد ذكرنا الشروط العمرية على نصارى الشام مطولا فى كتابنا الاحكام ، وأفردنا له مصنفاً على حدة ولله الحمد والمنة .

وقد ذكرنا خطبته فى الجابية بألفاظها وأسانيدها فى الكتاب الذى أفردناه لمسند عمر ، وذكرنا تواضعه فى دخوله الشام فى السيرة التى أفردناها له .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى الربيع بن ثعلب نا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم ابن هرمز المكى عن أبى الغالية الشامى قال : قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتى الرحل بلا ركاب ، وطاؤه كساء انبجانى ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفاً ، هى حقيبته اذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جيبه . فقال : ادعوا لى رأس القوم ، فدعوا له الجلومس ، فقال : اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى ثوباً أو قميصاً .

فأتى بقميص كتان فقال : ماهذا ؟ قالوا : كتان . قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع وأتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه . فقال له الجلومس : أنت ملك العرب وهذه بلاد لاتصلح بها الابل ، فلو لبست شيئاً غير هذا وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم فى أعين الروم . فقال : نحن قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب بغير الله بديلا . فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتى بجمله فركبه .

وقال إسماعيل بن محمد الصفار : حدثنا سعدان بن نصر حدثنا سفيان عن أيوب الطائى عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده ، وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيما عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصك فى صدره وقال : أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة ــ أعنى سنة خمس عشرة ــ كانت بين المسلمين وفارس وقعات فى قول سيف بن عمر . وقال ابن إسحاق والواقدى : إنما كان ذلك فى سنة ست عشرة ، ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بينهم ، وذلك حين بعث عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص يأمره بالمسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والعيال بالعقيق[1] فى خيل كثيرة كثيفة . فلما تفرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حويه ، ثم أتبعه بالأمراء واحداً بعد واحد ، ثم سار فى الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبى وقاص على خلافته مكان خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً هذا على الساقة ، فساروا فى خيول عظيمة ، وسلاح كثير ، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة ، فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن ، فلقيه بها بصبهرى فى جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس فى هزيمتهم إلى بابل وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرزان ، فبعث زهرة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل ، فسار سعد بالجيوش الى بابل ، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفة الرداء ، وانهزموا بين يديه فرقتين فرقة ذهبت إلى المدائن ، وأخرى سارت إلى نهاوند ، وأقام سعد ببابل أياما ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعاً آخر من الفرس فاقتتلوا قتالا شديداً وبارزوا أمير الفرس ، وهو شهريار ، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له نائل الأعرجى أبو نباتة من شجعان بنى تميم ، فتجاولا ساعة بالرماح ، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما ، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض ، فوقع شهريار على صدر أبى نباتة ، وأخرج خنجراً ليذبحه بها ، فوقعت أصبعه فى فم أبى نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه ، وأخذ الخنجر فذبح شهريار بها وأخذ

(١) العقيق : كذا فى الاصلين وفى ابن جرير بالعتيق .

فرسه وسواريه وسلبه ، وانكشف أصحابه فهزموا ، فأقسم سعد على نائل ليلبس سوارى شهريار وسلاحه ، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك . قالوا : وكان أول من تسور بالعراق : وذلك بمكان يقال له كوثى . وزار المكان الذى حبس فيه الخليل وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء ؛ وقرأ [وتلك الأيام نداولها بين الناس] الآية

وقعة نهر شير [١]

قالوا : ثم قدّم سعد زهرة بين يديه من كوثى الى نهرشير فمضى إلى المقدمة وقد تلقاه شيرزاد إلى ساباط بالصلح والجزية فبعثه إلى سعد فأمضاه ، ووصل سعد بالجنود إلى مكان يقال له مظلم ساباط ، فوجدوا هنالك كتائب كثيرة لكسرى يسمونها بوران ، وهم يقسمون كل يوم لايزول ملك فارس ماعشنا ، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرَّط ، قد أرصدوه فى طريق المسلمين فتقدم إليه ابن أخى سعد ، وهو هاشم بن عتبة ، فقتل الأسد والناس ينظرون وسمى يومئذ سيفه المتين [٢] وقبل سعد يومئذ رأس هاشم ، وقبل هاشم قدم سعد . وحمل هاشم على الفرس فأزالهم عن أماكنهم وهزمهم وهو يتلو قوله تعالى [أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال] فلما كان الليل ارتحل المسلمون ونزلوا نهرشير فجعلوا كلما وقفوا كبروا وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا فى الثالث وفرغت السنة .

قال ابن جرير : وفيها حج بالناس عمر وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى الكوفة والعراق سعد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية [٣] وعلى البحرين واليمامة عثمان بن أبى العاص ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

قلت : وكانت وقعة اليرموك فى سنة خمس عشرة فى رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبى معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلبى ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبى عبد الله الذهبى الحافظ . وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة اليرموك فى سنة ثلاث عشرة . وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير ، وهكذا وقعة القادسية عند بعض الحفاظ أنها كانت فى أواخر هذه السنة ـ سنة خمس عشرة ـ وتبعهم فى ذلك شيخنا الحافظ الذهبى . والمشهور أنها كانت فى سنة أربع عشرة كما تقدم ثم ذكر شيخنا الذهبى .

من توفي في هذه السنة مرتبين على الحروف

سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى ، وهو أحد أقوال المؤرخين . وقد تقدم * سعد بن عبيد بن

---

(١) وفى فتوح العجم والعراق للواقدى « نهمنير » . وفى الطبرى « بَهُرَسِير » .

(٢) كذا بالأصلين . وفى الطبرى « المتن » بفتح النونين . (٣) فى الطبرى « منية »

النعمان أبو زيد الأنصارى الأوسى ، قتل بالقادسية ، و يقال إنه أبو زيد القارى أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص) . وأنكر آخرون ذلك ، و يقال إنه والد عمير بن سعد الزاهد أمير حمص . وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال : كانت فى سنة ست عشرة والله أعلم * سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤى أبو يزيد العامرى أحد خطباء قريش وأشرافهم ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثير الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء . و يقال إنه قام وصام حتى شحب لونه . وله سعى مشكور فى صلح الحديبية . ولما مات رسول الله (ص) خطب الناس بمكة خطبة عظيمة تثبت الناس على الاسلام ، وكانت خطبته بمكة قريباً من خطبة الصديق بالمدينة ، ثم خرج فى جماعة إلى الشام مجاهداً فحضر اليرموك وكان أميراً على بعض الكراديس ، و يقال إنه استشهد يومئذ . وقال الواقدى والشافعى : توفى بطاعون عمواس * عامر بن مالك بن أهيب الزهرى أخى سعد بن أبى وقاص ، هاجر إلى الحبشة ، وهو الذى قدم بكتاب عمر إلى أبى عبيدة بولايته على الشام وعزل خالد عنها ، استشهد يوم اليرموك * عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد المخزومى ، صحابى هاجر إلى الحبشة مع عمه أبى سلمة بن عبد الأسد . روى عنه عمرو بن دينار منقطعاً لانه قتل يوم اليرموك * عبد الرحمن بن العوام ، أخو الزبير ابن العوام ، حضر بدراً مشركا ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك فى قول * عتبة بن غزوان ، توفى فيها فى قول * عكرمة بن أبى جهل استشهد باليرموك فى قول * عمرو بن أم مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم ، و يقال بل رجع إلى المدينة * عمرو بن الطفيل بن عمرو تقدم * عامر بن أبى ربيعة تقدم * فراس بن النضر بن الحارث يقال استشهد يوم اليرموك * قيس بن عدى بن سعد بن سهم من مهاجرة الحبشة قتل باليرموك * قيس بن أبى صعصعة * عمرو بن زيد بن عوف الأنصارى المازنى شهد العقبة و بدراً ، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك ، وقتل يومئذ ، وله حديث قال : قلت يارسول الله فى كم أقرأ القرآن ؟ قال : « فى خمس عشرة » الحديث ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبى : ففيه دليل على أنه ممن جمع القرآن فى عهد رسول الله (ص) * نصير بن الحارث بن علقمة بن كلدة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القرشى العبدرى ، أسلم عام الفتح ، وكان من علماء قريش ، وأعطاه رسول الله (ص) يوم حنين مائة من الابل ، فتوقف فى أخذها وقال : لا أرتشى على الاسلام ، ثم قال : والله ماطلبتها ولاسألتها ، وهى عطية من رسول الله (ص) ، فأخذها وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص) ، كان أسن من أسلم من بنى عبد المطلب ، وكان ممن أسر يوم بدر ففاداه العباس ، و يقال إنه هاجر أيام الخندق وشهد الحديبية والفتح ، وأعان رسول الله (ص) يوم حنين بثلاثة آلاف رمح ، وثبت يومئذ وتوفى سنة خمس عشرة ،

وقيل سنة عشرين والله أعلم ، توفى بالمدينة وصلى عليه عمر ومشى فى جنازته ودفن بالبقيع وخلف عدة أولاد فضلاء وأكابر * هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم وقال ابن سعد : قتل يوم اليرموك .

ثم دخلت سنة ست عشرة

استهلت هذه السنة وسعد بن أبى وقاص منازل مدينة نهرشير ، وهى إحدى مدينتى كسرى مما يلى دجلة من الغرب ، وكان قدوم سعد إليها فى ذى الحجة من سنة خمس عشرة ، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعث السرايا والخيول فى كل وجه ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مائة ألف فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إن من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانه ، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به . فأطلقهم سعد بعد مادعاهم إلى الاسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبق من غربى دجلة إلى أرض العرب أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج ، وامتنعت نهرشير من سعد أشد الامتناع ، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسى فدعاهم إلى الله عز وجل أو الجزية أو المقاتلة ، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان ، ونصبوا المجانيق والدبابات ، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرون منجنيقاً ، ونصبت على نهرشير ، واشتد الحصار وكان أهل نهرشير يخرجون فيقاتلون قتالا شديداً ويحلفون أن لا يفروا أبداً ، فأكذبهم الله وهزمهم زهرة بن حوية بعد ما أصابه سهم وقتل بعد مصابه كثيراً من الفرس وفروا بين يديه ولجأوا إلى بلدهم ، فكانوا يحاصرون فيه أشد الحصار ، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنانير وقد أشرف رجل منهم على المسلمين فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونكم . قال : فبدر الناس رجل يقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة فأنطقه الله بكلام لم يدر ما قال لهم ؛ قال : فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون من نهرشير إلى المدائن . فقال الناس لأبى مقرن : ما قلت لهم ؟ فقال : والذى بعث محمداً بالحق ما أدرى ما قلت لهم إلا أن على سكينة وأنا أرجو أن أكون قد انطلقت بالذى هو خير ، وجعل الناس ينتابونه يسألونه عن ذلك ، وكان فيمن سأله سعد بن أبى وقاص ؛ وجاءه سعد إلى منزله فقال : يا أبا مقرن ما قلت ؟ فوالله إنهم هراب . فحلف له أنه لا يدرى ما قال . فنادى سعد فى الناس ونهد بهم إلى البلد والمجانيق تضرب فى البلد ، فنادى رجل من البلد بالأمان فأمناه ، فقال والله ما بالبلد أحد ، فتسور الناس السور فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن . وذلك فى شهر صفر من هذه السنة فسألنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأى شئ هربوا ؟ قالوا بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابه ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبداً حتى نأكل

عمل افريذين بأترج كوثى . فقال الملك : ياو يلاه إن الملائكة لتتكلم على ألسنتهم ، ترد علينا وتجيبنا عن العرب . ثم أمر الناس بالرحيل من هناك إلى المدائن فجازوا فى السفن منها إليها و بينهما دجلة ، وهى قريبة منها جداً ، ولما دخل المسلمون نهرشير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذى ذكره رسول الله ص أنه سيفتحه الله على أمته ، وذلك قريب الصباح ، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب ، فقال : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ماوعدنا الله ورسوله . ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح .

ذكر فتح المدائن

لما فتح سعد نهرشير واستقر بها ، وذلك فى صفة لم يجد فيها أحداً ولاشيئاً مما يغنم ، بل قد تحولوا بكاهم إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم ، ولم يجد سعد رضى الله عنه شيئا من السفن وتعذر عليه تحصيل شئ منها بالكلية ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ، و رمت بالزبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنك إن لم تدركه قبل ثلاث فات عليك وتفارط الأمر . فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤا فيناوشونكم فى سفنهم ، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور و يقول : من يبدأ فيحمى لنا الفراض — يعنى ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى — ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمائة ، فأمّر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم : من ينتدب معى لنكون قبل الناس دخولا فى هذا البحر فنحمى الفراض من الجانب الآخر ؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين — والأعاجم وقوف صفوفاً من الجانب الآخر — فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض فى دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى [وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا] ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس ، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل الذكور ، وأصحاب الخيل الاناث . فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : ديوانا ديوانا . يقولون مجانين مجانين . ثم قالوا : والله ماتقاتلون إنساً بل تقاتلون جناً . ثم أرسلوا فرسانا منهم فى الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح و يتوخوا الأعين ، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم ، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من

الماء ، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة فى دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال ، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو . وهذا كله وسعد والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس ، وسعد واقف على شاطئ دجلة . ثم نزل سعد ببقية الجيش ، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملئوا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده ، ولأن أميرهم سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفى رسول الله (ص) وهو عنه راض ، ودعا له . فقال « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » والمقطوع به أن سعداً دعا لجيشه هذا فى هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم فى هذا اليم فسددهم الله وسلمهم ، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير أن رجلا واحداً يقال له غرقدة البارقى ، زل عن فرس له شقراء ، فأخذ القعقاع بن عمرو بلجامها ، وأخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجز النساء أن يلدن مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شئ من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له مالك بن عامر ، كانت علاقته رثة فأخذه الموج ، فدعا صاحبه الله عز وجل ، وقال : اللهم لا تجعلنى من بينهم يذهب متاعى . فرده الموج إلى الجانب الذى يقصدونه فأخذه الناس ثم ردوه على صاحبه بعينه . وكان الفرس إذا أعيا وهو فى الماء يقيض الله له مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها ، وكان يوماً عظيما وأمراً هائلا ، وخطباً جليلا ، وخارقاً باهراً ، ومعجزة لرسول الله (ص) ، خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها فى تلك البلاد ، ولا فى بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمى المتقدمة ، بل هذا أجل وأعظم ، فان هذا الجيش كان أضعاف ذلك . قالوا : وكان الذى يساير سعد ابن أبى وقاص فى الماء سلمان الفارسى ، فجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إن الاسلام جديد . ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، أما والذى نفس سلمان

بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً . فخرجوا منه كما قال سلمان لم يغرق منهم أحد ، ولم يفقدوا شيئا .

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة ، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن ، فلم يجدوا بها أحداً ، بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الانعام والثياب والمتاع ، والآنية والالطاف والادهان ما لا يدرى قيمته . وكان فى خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه. فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء ، فأخذوا فى سككها لا يلقون أحداً ولا يخشونه غير القصر الابيض ففيه مقاتلة وهو محصن .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسى ، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الايوان مصلى ، وحين دخله تلا قوله تعالى [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين] ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح ، وذكر سيف فى روايته أنه صلاها بتسليمة واحدة وأنه جمع بالايوان فى صفر من هذه السنة فكانت أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك لأن سعداً نوى الاقامة بها ، وبعث إلى العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوا جلولاء وتكريت والموصل ، ثم تحولوا الى الكوفة بعد ذلك كما سنذكره . ثم أرسل السرايا فى إثر كسرى يزدجرد فلحق بهم طائفة فقتلوهم وشردوهم واستلبوا منهم أموالا عظيمة . وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليه . وشرع سعد فى تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف ، مما لا يقوم ولا يحد ولا يوصف كثرة وعظمة . وقد روينا أنه كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان ، فقال سعد : إن هذا لم يوضع هكذا سدى ، فأخذوا ما يسامت أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيما من كنوز الأكاسرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالا عظيمة جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحفاً فاخرة . واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد فى الدنيا أعجب منه . وكان فى جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التى تحير الأبصار ، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه ، وكان مربعاً ستون ذراعا فى مثلها ، من كل جانب ، والبساط مثله سواء ، وهو منسوج بالذهب واللآلئ والجواهر الثمينة ، وفيه مصور جميع ممالك كسرى ، بلاده بأنهارها وقلاعها ، وأقاليمها ، وكنوزها ، وصفة الزروع والاشجار التى فى بلاده . فكان إذا جلس على كرسى مملكته ودخل تحت تاجه ، وتاجه معلق بسلاسل الذهب ، لأنه كان لا يستطيع أن يقله

على رأسه لثقله ، بل كان يجيء فيجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت التاج والسلاسل الذهب تحمله عنه ، وهو يستره حال لبسه فاذا رفع الحجاب عنه خرت له الامراء سجوداً . وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر فينظر في البلدان واحدة واحدة ، فيسأل عنها ومن فيها من النواب ، وهل حدث فيها شيء من الأحداث ؟ فيخبره بذلك ولاة الامور بين يديه . ثم ينتقل الى الاخرى ، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده في كل وقت لايهمل أمر المملكة ، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكاراً له بشأن الممالك ، وهو إصلاح جيد منهم في أمر السياسة . فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والاراضي وتسلمها المسلمون من أيديهم قسراً ، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية ضافية ، ولله الحمد والمنة . وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن فكان أول ما حصل ما كان في القصر الابيض ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن ، وما كان بالايوان مما ذكرنا ، وما يفد من السرايا الذين في صحبة زهرة بن حوية ، وكان فيما رد زهرة بغل كان قد أدركه وغصبه من الفرس وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم وقال إن لهذا لشأنا فرده إلى الأقباض وإذا عليه سفطان فيهما ثياب كسرى وحليه : ولبسه الذي كان يلبسه على السرير كما ذكرنا ، وبغل آخر عليه تاجه الذي ذكرنا في سفطين أيضاً ردا من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا ، وكان فيما ردت السرايا أموال عظيمة وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته والاشياء النفيسة التي استصحبوها معهم ، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم . ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم ، ولا حمل الاموال لكثرتها . فانه كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملآنا إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة ، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً ، فيحسبونه ملحاً ، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجدوه مراً حتى تبينوا أمره فتحصل الفيء على أمر عظيم من الأموال ، وشرع سعد فخمسه وأمر سلمان الفارسي (١) فقسم الاربعة الاخماس بين الغانمين ، فحصل لكل واحد من الفرسان اثنا عشر ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، ومع بعضهم جنائب ، واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين ، ليبعثه إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه ، فطيبوا له ذلك وأذنوا فيه : فبعثه سعد إلى عمر مع الخمس مع بشير بن الخصاصية ، وكان الذي بشر بالفتح قبله حليس بن فلان الأسدي ، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إن قوماً أدوا هذا لأمناء ، فقال له علي بن أبي طالب : إنك عففت فعفت رعيتك ، ولو رتعت لرتعت . ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب عليا قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً ،

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى لخشبة ونصبها أمامه ليرى الناس ما في هذه الزينة من العجب ، وما عليها من زهرة الحياة الدنيا الفانية . وقد روينا أن عمر

(١) ـ ابن ربيعة الباهلي لا سلمان الفارسي .

ألبس ثياب كسرى لسراقة بن مالك بن جعشم أمير بنى مدلج رضى الله عنه

قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانى ثنا أبو سعيد ابن الأعرابى . قال وجدت فى كتابى بخط يدى عن أبى داود حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد ثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفى القوم سراقة بن مالك بن جعشم ، قال فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما فى يده فبلغا منكبيه فلما رآهما فى يدى سراقة قال الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز فى يدى سراقة بن مالك بن جعشم أعرابى من بنى مدلج . وذكر الحديث . هكذا ساقه البيهقى . ثم حكى عن الشافعى أنه قال : وإنما ألبسهما سراقة لأن رسول الله (ص) قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه « كأنى بك وقد ألبست سوارى كسرى » قال الشافعى : وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سوارى كسرى : قل الله أكبر . فقال الله أكبر . ثم قال : قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابى من بنى مدلج . وقال الهيثم بن عدى : أخبرنا أسامة بن زيد الليثى ثنا القاسم بن محمد بن أبى بكر ، قال بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخفيه ، قال فنظر عمر فى وجوه القوم . وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن جعشم فقال ياسراق قم فالبس ، قال سراقة فطمعت فيه فقمت فلبست فقال أدبر فأدبرت ، ثم قال أقبل فأقبلت ، ثم قال بخ بخ ، أعيرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه . رب يوم ياسراق بن مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ، انزع . فنزعت . فقال : اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك ، وكان أحب إليك منى وأكرم عليك منى . ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى ، وأكرم عليك منى ، وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى . ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسى .

وذكر سيف بن عمر التميمى : أن عمر حين ملك تلك الملابس والجواهر جئ بسيف كسرى ومعه عدة سيوف منها سيف النعمان بن المنذر نائب كسرى على الحيرة وأن عمر قال : الحمد لله الذى جعل سيف كسرى فيما يضره ولا ينفعه . ثم قال : إن قوما أدوا هذا لأمناء ، أو لذوا أمانة . ثم قال : إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته فجمع لزوج امرأته ، أو زوج ابنته ، ولم يقدم لنفسه ، ولو قدم لنفسه ووضع الفضول فى مواضعها لحصل له . وقد قال بعض المسلمين وهو أبو نجيد نافع بن الأسود فى ذلك :

وأملنا على المدائن خيلا * بحرها مثل برهن أريضا

فانتشلنا خزائنَ المرءِ كسرى * يوم ولوا وحاصَ منا جريضا

وقعة جلولاء

لما سار كسرى وهو يزدجرد بن شهريار من المدائن هاربا إلى حلوان شرع فى أثناء الطريق فى جمع رجال وأعوان وجنود ، من البلدان التى هناك ، فاجتمع إليه خلق كثير ، وجم غفير من الفرس وأمر على الجميع مهران ، وسار كسرى إلى حلوان فأقام الجمع الذى جمعه بينه وبين المسلمين فى جلولاء ، واحتفروا خندقاً عظيما حولها ، وأقاموا بها فى العدد والعدد وآلات الحصار ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك . فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذى يبعثه إلى كسرى ، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو ، وعلى الميمنة سعد بن مالك وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهنى . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيفاً يقارب اثنى عشر ألفاً ، من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار ، ورءوس العرب . وذلك فى صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر المدائن ، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال فى كل وقت فيقاتلون قتالا لم يسمع بمثله . وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد ، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه ، مرة بعد أخرى . وحمى القتال ، واشتد النزال ، واضطرمت نار الحرب ، وقام فى الناس هاشم فخطبهم غير مرة ، فحرضهم على القتال والتوكل على الله . وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت ، وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب . فلما كان الموقف الأخير وهو يوم الفيصل والفرقان ، تواقفوا من أول النهار ، فاقتتلوا قتالا شديداً لم يعهد مثله حتى فنى النشاب من الطرفين ، وتقصفت الرماح من هؤلاء ومن هؤلاء ، وصاروا إلى السيوف والطبرزينات ، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماءً ، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكانها أخرى ، فقام القعقاع بن عمرو فى المسلمين فقال : أهالكم مارأيتم أيها المسلمون ؟ قالوا : نعم إنا كالون وهم مريحون ، فقال : بل إنا حاملون عليهم ومجدون فى طلبهم ، حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطهم ، فحمل وحمل الناس ، فأما القعقاع فانه صمم الحملة فى جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان ، حتى انتهى إلى باب الخندق ، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بمن معهم فى الناس وجعلوا يأخذون فى التحاجز من أجل إقبال الليل وفى الأبطال يومئذ طليحة الأسدى ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وقيس بن مكشوح ، وحجر بن عدى . ولم يعلموا بما صنعه القعقاع فى ظلمة الليل ، ولم يشعروا بذلك ، لولا مناديه ينادى : أين أيها المسلمون ، هذا أميركم على باب خندقهم . فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فاذا هو على باب الخندق قد ملكه

عليهم ، وهربت الفرس كل مهرب ، وأخذهم المسلمون من كل وجه ، وقعدوا لهم كل مرصد ، فقتل منهم فى ذلك الموقف مائة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . وغنموا من الاموال والسلاح والذهب والفضة قريباً مما غنموا من المدائن قبلها

وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو فى إثر من انهزم منهم وراء كسرى ، فساق خلفهم حتى أدرك مهران منهزماً ، فقتله القعقاع بن عمرو ، وأفلتهم الفيرزان فاستمر منهزماً ، وأسر سبايا كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة ، وغنموا دواب كثيرة جداً . ثم بعث هاشم بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبى وقاص فنفل سعد ذوى النجدة ثم أمر بقسم ذلك على الغانمين .

قال الشعبى : كان المال المتحصل من وقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف ، فكان خمسه ستة آلاف ألف وقال غيره : كان الذى أصاب كل فارس يوم جلولاء نظير ما حصل له يوم المدائن - يعنى اثنى عشر ألفاً لكل فارس - وقيل أصاب كل فارس تسعة آلاف وتسع دواب . وكان الذى ولى قسم ذلك بين المسلمين وتحصيله ، سلمان الفارسى رضى الله عنه . ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبى سفيان ، وقضاعى بن عمرو ، وأبى مقرن الاسود . فلما قدموا على عمر سأل عمر زياد بن أبى سفيان عن كيفية الوقعة فذكرها له ، وكان زياد فصيحاً ، فأعجب إيراده لها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأحب أن يسمع المسلمون منه ذلك ، فقال له : أتستطيع أن تخطب الناس بما أخبرتنى به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه ليس أحد على وجه الارض أهيب عندى منك ، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك ؟ فقام فى الناس فقص عليهم خبر الوقعة ، وكم قتلوا ، وكم غنموا ، بعبارة عظيمة بليغة فقال عمر : إن هذا لهو الخطيب المصقع - يعنى الفصيح - فقال زياد : إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا . ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يجن هذا المال الذى جاؤا به سقف حتى يقسمه ، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه فى المسجد ، فلما أصبح جاء عمر فى الناس ، بعد ما صلى الغداة وطلعت الشمس ، فأمر فكشف عنه جلابيبه ، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الاصفر وفضته البيضاء ، بكى عمر ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا لموطن شكر ، فقال عمر : والله ما ذاك يبكينى ، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم . ثم قسمه كما قسم أموال القادسية .

وروى سيف بن عمر عن شيوخه أنهم قالوا : وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة من سنة ستة عشر ، وكان بينه وبين فتح المدائن تسعة أشهر وقد تكلم ابن جرير ههنا فيما رواه عن سيف على ما يتعلق بأرض السواد وخراجها ، وموضع تحرير ذلك كتاب الاحكام .

وقد قال هاشم بن عتبة فى يوم جلولاء :

يومُ جلولاء ويومُ رستم * ويومُ زحفِ الكوفةِ المقدمِ
ويومُ عرضِ الشهرِ المحرمْ * وأيامٌ خلتْ من بينهنَّ صرمِ
شيّبن أصدغي فهي هرم * مثلُ ثغام البَلَدِ المحرّمِ

وقال أبو نجيد فى ذلك :

ويومُ جلولاءَ الوقيعةُ أصبحتْ * كتائبنا تردى بأسدٍ عوابسِ
فضضتُ جموعَ الفرسِ ثم أنمتهمْ * فتباً لأجسادِ المجوسِ النجائسِ
وأفلتهنّ الفيرزانُ بجرعةٍ * ومهرانُ أردتْ يومَ حزِ القوانسِ
أقاموا بدارٍ للمنيةِ موعدٌ * وللتربِ تحثوها خجوجُ الروامسِ

ذكر فتح حلوان

ولما انقضت الوقعة أقام هشام بن عتبة بجلولاء عن أمر عمر بن الخطاب ــ فى كتابه إلى سعد ــ وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، عن أمر عمر أيضاً ليكون رداً للمسلمين هنالك ، ومرابطاً لكسرى حيث هرب . فسار كما قدمنا ، وأدرك أمير الوقعة وهو مهران الرازى ، فقتله وهرب منه الفيرزان ، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء ، وما جرى على الفرس بعده ، وكيف قتل منهم مائة ألف ، وأدرك مهران فقتل ، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الرى ، واستناب على حلوان أميراً يقال له خسروشنوم ، فتقدم إليه القعقاع بن عمرو ، وبرز إليه خسروشنوم إلى مكان خارج من حلوان ، فاقتتلوا هنالك قتالا شديداً ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهزم خسروشنوم ، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا ، وأقاموا بها ، وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم ، بعد ما دعوا إلى الدخول فى الاسلام فأبوا إلا الجزية . فلم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة ، فسار إليها كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

فتح تكريت والموصل

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له الأنطاق ، فكتب إلى عمر بأمر جلولاء واجتماع الفرس بها ، وبأمر أهل الموصل ، فتقدم ما ذكرناه من كتاب عمر فى أهل جلولاء ، وما كان من أمرها . وكتب عمر فى قضية أهل الموصل الذين قد اجتمعوا بتكريت على الأنطاق ، أن يعين جيشاً لحربهم ، ويؤمر عليه عبد الله بن المعتم ، وان يجعل على مقدمته ربعى بن الأفكل العنزى ، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الذهلى ، وعلى الميسرة فرات بن حيان العجلى ، وعلى الساقة هانىء بن قيس ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة . ففصل عبد الله ابن المعتم فى خمسة آلاف من المدائن ، فسار فى أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق ، وقد اجتمع

إليه جماعة من الروم ، ومن الشهارجة ، ومن نصارى العرب ، من إياد وتغلب والنمر . وقد أحدقوا بتكريت ، فحاصرهم عبد الله بن المعتم أربعين يوماً . وزاحفوه فى هذه المدة أربعة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويفل جموعهم ، فضعف جانبهم ؛ وعزمت الروم على الذهاب فى السفن بأموالهم ، وراسل عبد الله بن المعتم إلى من هنالك من الأعراب ، فدعاهم إلى الدخول معه فى النصرة على أهل البلد ، فجاءت القصاد إليه عنهم بالاجابة إلى ذلك ، فأرسل إليهم : إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء من عند الله . فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا فبعث إليهم : ان كنتم صادقين فاذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسكوا علينا أبواب السفن ، وامنعوهم أن يركبوا فيها ، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله . ثم شد عبد الله وأصحابه ، وكبروا تكبيرة رجل واحد ، وحملوا على البلد فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى ، فحار أهل البلد ، وأخذوا فى الخروج من الابواب التى تلى دجلة ، فتلقتهم إياد والنمر وتغلب ، فقتلوهم قتلا ذريعاً ، وجاء عبد الله بن المعتم بأصحابه من الابواب الأخر فقتل جميع أهل البلد عن بكرة أبيهم ، ولم يسلم إلا من أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر ، وقد كان عمر عهد فى كتابه إذا نصروا على تكريت أن يبعثوا ربعى بن الأفكل إلى الحصنين وهى الموصل سريعاً ، فسار إليها كما أمر عمر ، ومعه سرية كثيرة ، وجماعة من الابطال ، فسار إليها حتى فجئها قبل وصول الاخبار إليها ، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى الصلح فضربت عليهم الذمة عن يد وهم صاغرون ، ثم قسمت الاموال التى تحصلت من تكريت ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف ، وسهم الراجل ألف درهم . وبعثوا بالاخماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولى إمرة حرب الموصل ربعى بن الأفكل ، وولى الخراج بها عرفجة بن هرثمة .

فتح ما سبذان من ارض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى عمر بالمدائن ، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس ، فكتب إلى عمر فى ذلك ، فكتب إليه أن ابعث جيشاً وأمر عليهم ضرار ابن الخطاب . فخرج ضرار فى جيش من المدائن ، وعلى مقدمته ابن الهزيل الاسدى ، فتقدم ابن الهزيل بين يدى الجيش ، فالتقى مع آذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه ، فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس ، وأسر آذين بن الهرمزان ، وفرعنه أصحابه ، وأمر ابن الهزيل فضرب عنق آذين بين يديه ، وساق وراء المنهزمين حتى انتهى إلى ماسبذان — وهى مدينة كبيرة — فأخذها عنوة ، وهرب أهلها فى رءوس الجبال والشعاب ، فدعاهم فاستجابوا له ، وضرب على من لم يسلم الجزية ، وأقام نائباً عليها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة كما سيأتى .

فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة

قال ابن جرير وغيره : لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن وكان أهل الجزيرة قد أمدوا أهل حمص على قتال أبي عبيدة وخالد ـ لما كان هرقل بقنسرين ـ واجتمع أهل الجزيرة فى مدينة هيت ، كتب سعد إلى عمر فى ذلك ، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشاً ، وأن يؤمر عليهم عمر بن مالك ابن عتبة بن نوفل بن عبد مناف ، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت ، فوجدهم قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم حيناً فلم يظفر بهم ، فسار فى طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث ابن يزيد ، فراح عمر بن مالك إلى قرقيسيا فأخذها عنوة ، وأنابوا إلى بذل الجزية ، وكتب إلى نائبه على هيت : إن لم يصالحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقا ، ويجعل له أبوابا من ناحيته . فلما بلغهم ذلك أنابوا إلى المصالحة .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي : وفى هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب ، ومنبج ، وأنطاكية ، على الجزية . وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة . قال : وفيها افتتحت سروج والرها على يدى عياض بن غنم .

قال : وفيها فيما ذكر ابن الكلبي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر إيليا فسألوا الصلح على أن يقدم عمر فيصالحهم على ذلك ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر فقدم حتى صالحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة . قلت : قد تقدم هذا فيما قبل هذه السنة والله أعلم .

قال الواقدى : وفى هذه السنة حمى عمر الربذة بخيل المسلمين ، وفيها غرّب عمر أبا محجن الثقفى إلى باضع[1] ، وفيها تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت أبى عبيد . قلت : الذى قتل يوم الجسر ، وكان أمير السرية ، وهى أخت المختار بن أبى عبيد أمير العراق فيما بعد ، وكانت امرأة صالحة ، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً . قال الواقدى : وفيها حج عمر بالناس ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت . قال : وكان نائبه على مكة عتاب ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى العراق سعد ، وعلى الطائف عثمان ابن أبى العاص ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمى ، وعلى عمان حذيفة بن محصن ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة ، وعلى الموصل ربعى بن الأفكل ، وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعرى .

قال الواقدى وفى ربيع الأول من هذه السنة ـ أعنى سنة ست عشرة ـ كتب عمر بن الخطاب التاريخ ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه فى سيرة عمر ، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحل عليه فى شعبان ، فقال : أى شعبان ؟ أمن هذه السنة

(١) فى الاصلين : الى ما صنع وحكاية نفيه معروفة . وباضع عين أو جزيرة بساحل اليمن .

أم التى قبلها ، أم التى بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم . فيقال إنهم أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذى بعده ، فكرهوا ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان اسكندر فكرهوا ذلك ، ولطوله أيضاً . وقال قائلون : أرخوا من مولد رسول الله (ص) . وقال آخرون من مبعثه عليه السلام . وأشار على بن أبى طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فانه أظهر من المولد والمبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابة ، وأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله (ص) وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها ، وعند مالك رحمه الله فيما حكاه عن السهيلى وغيره أن أول السنة من ربيع الأول لقدومه عليه السلام إلى المدينة . والجمهور على أن أول السنة من المحرم ، لأنه أضبط لئلا تختلف الشهور ، فان المحرم أول السنة الهلالية العربية . وفى هذه السنة - أعنى سنة ست عشرة - توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله (ص) ، وذلك فى المحرم منها فيما ذكره الواقدى وابن جرير وغير واحد ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودفنت بالبقيع رضى الله عنها وأرضاها ، وهى مارية القبطية ، أهداها صاحب اسكندرية - وهو جريج بن مينا - فى جملة تحف وهدايا لرسول الله (ص) ، فقبل ذلك منه ، وكان معها أختها شيرين التى وهبها رسول الله (ص) لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان . ويقال أهدى المقوقس معهما جاريتين أخرتين ، فيحتمل أنهما كانتا خادمتين لمارية وسيرين . وأهدى معهن غلاماً خصياً اسمه مابور . وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها الدلدل ، وأهدى حلة حرير من عمل الاسكندرية . وكان قدوم هذه الهدية فى سنة ثمان . فحملت مارية من رسول الله (ص) بإبراهيم عليه السلام ، فعاش عشرين شهراً ، ومات قبل أبيه رسول الله (ص) بسنة سواء . وقد حزن عليه رسول الله (ص) وبكى عليه وقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا مايرضى ربنا ، وإنا بك ياإبراهيم لمحزونون ، وقد تقدم ذلك فى سنة عشر . وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان . وقد حظيت عند رسول الله (ص) وأعجب بها ، وكانت جميلة ملاحة ، أى حلوة ، وهى تشابه هاجر سرية الخليل ، فان كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبى كريم ، وخليل جليل ، عليهما السلام .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

فى المحرم منها انتقل سعد بن أبى وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أن الصحابة استوخموا المدائن ، وتغيرت ألوانهم ، وضعفت أبدانهم ، لكثرة ذبابها وغبارها ، . فكتب سعد إلى عمر فى ذلك ، فكتب عمر : إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها . فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد يرتادان للمسلمين منزلا مناسباً يصلح لاقامتهم . فمرا على أرض الكوفة وهى حصباء فى رملة حمراء ،

فأعجبتهما و وجد هنالك ديرات ثلاث دير حرقة بنت النعمان ،ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، و بين ذلك خصاص خلال هذه الكوفة ، فنزلا فصليا هنالك وقال كل واحد منهما : اللهم رب السماء وما أظلت ، ورب الأرض وما أقلت ، و رب الريح وما ذرت ، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلت ، والخصاص وما أجنت ، بارك لنا فى هذه الكوفة واجعلها منزل ثبات . ثم كتبا إلى سعد بالخبر ، فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها فى أول هذه السنة فى محرمها ، فكان أول بناء وضع فيها المسجد . وأمر سعد رجلا رامياً شديد الرمى ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم ، وعمر قصراً تلقاء محراب المسجد للامارة و بيت المال ، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب ، فاحترقت فى أثناء السنة ، فبنوها باللبن عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد . و بعث سعد إلى الامراء والقبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفه ، وأمر سعد أبا هياج الموكل بانزال الناس فيها بأن يعمروا و يدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعاً . ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً ، وللازقة سبعة أذرع . و بنى لسعد قصر قريب من السوق ، فكانت غوغاء الناس تمنع سعداً من الحديث ، فكان يغلق بابه و يقول : سكن الصويت فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطباً و يحرق باب القصر ثم يرجع من فوره . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر ، وأمر سعداً أن لا يغلق بابه عن الناس ، ولا يجعل على بابه أحداً يمنع الناس عنه ، فامتثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله ، و رجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك فى الكوفة ثلاث سنين ونصف ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

أبو عبيدة وحصر الروم له بحمص وقدوم عمر الى الشام

وذلك أن جمعاً من الروم عزموا على حصار أبى عبيدة بحمص ، واستجاشوا بأهل الجزيرة ، وخلق ممن هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين ، وكتب إلى عمر بذلك ، واستشار أبو عبيدة المسلمين فى أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجئ أمر عمر ? فكلهم أشار بالتحصن ، إلا خالداً فانه أشار بمناجزتهم ، فعصاه وأطاعهم . وتحصن بحمص وأحاط به الروم ، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمرهم ، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لا نخرم النظام فى الشام كله . وكتب عمر إلى سعد أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، و يسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب ، نجدة لأبى عبيدة فانه محصور ، وكتب اليه أن يجهز جيشاً إلى أهل الجزيرة الذين مالأوا الروم على حصار أبى عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض ابن غنم . فخرج الجيشان معاً من الكوفة ، القعقاع فى أربعة آلاف نحو حمص لنجدة أبى عبيدة ،

وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة ، فبلغ الجابية وقيل إنما بلغ سرغ . قاله ابن إسحاق ، وهو أشبه والله أعلم . فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم ، انشمروا إلى بلادهم ، وفارقوا الروم ، وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً . وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة . وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الامداد إليهم بثلاث ليال . فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم ؟ فجاء الجواب بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فان العدو إنما ضعف وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم ، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة . وقال عمر : جزى الله أهل الكوفة خيراً يحمون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

فتح الجزيرة

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فتحت الجزائر فيما قاله سيف بن عمر ، قال ابن جرير : في ذي الحجه من سنة سبع عشرة فوافق سيف بن عمر في كونها في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان ذلك في سنة تسع عشرة . سار إليها عياض بن غنم . وفي صحبته أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد ابن أبي وقاص ، وهو غلام صغير السن ليس إليه من الأمر شئ ، وعثمان بن أبي العاص . فنزل الرها فصالحه أهلها على الجزية ، وصالحت حران على ذلك . ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ، وعمر بن سعد إلى رأس العين ، وسار بنفسه إلى دارا ، فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية ، فكان عندها شئ من قتال قتل فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً . ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزية ، على كل أهل بيت دينار .

وقال سيف في روايته : جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان فسلك على رجليه حتى انتهى إلى الموصل فعبر إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة . وبعث إلى عمر بروس النصارى من عرب أهل الجزيرة ، فقال لهم عمر : أدوا الجزية . فقالوا : أبلغنا مأمننا فوالله لئن وضعت علينا الجزية لندخلن أرض الروم ، والله لتفضحنا من بين العرب . فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسكم ، وخالفتم أمتكم ، ووالله لتؤدن الجزية وأنتم صغرة قمئة ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ، ثم لأسبينكم . قالوا : فخذ منا شيئاً ولا تسميه جزية . فقال : أما نحن فنسميه جزية ، وأما أنتم فسموه ما شئتم . فقال له علي بن أبي طالب : ألم يضعف عليهم سعد الصدقة ؟ قال : بلى : وأصغى إليه ورضي به منهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام فوصل إلى سرغ

فى قول محمد بن إسحاق ، وقال سيف : وصل إلى الجابية . قلت : والأشهر أنه وصل سرغ ؛ وقد تلقاه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وخالد بن الوليد ، إلى سرغ فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه ، فمن قائل يقول : أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه . ومن قائل يقول : لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله (ص) على هذا الوباء . فيقال إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ! نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداها مخصبة والأخرى مجدبة ، فان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم قال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة .

قال ابن إسحاق فى روايته وهو فى صحيح البخارى : وكان عبد الرحمن بن عوف متغيباً فى بعض شأنه ، فلما قدم قال : إن عندى من ذلك علماً ، سمعت رسول الله (ص) يقول : إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . فحمد الله عمر – يعنى لكونه وافق رأيه – ورجع بالناس . وقال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا سفيان بن حسين بن أبى ثابت عن إبراهيم بن سعد عن سعد بن مالك بن أبى وقاص وخزيمة بن ثابت وأسامة بن زيد قالوا : قال رسول الله (ص) « إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم ، فاذا وقع بأرض أنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه » ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد عن سعد بن أبى وقاص به . قال سيف بن عمر : كان الوباء قد وقع بالشام فى المحرم من هذه السنة ثم ارتفع ، وكأن سيفاً يعتقد أن هذا الوباء هو طاعون عمواس ، الذى هلك فيه خلق من الأمراء ووجوه المسلمين ، وليس الأمر كما زعم، بل طاعون عمواس من السنة المستقبلة بعد هذه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى . وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، ويزور الأمراء ، وينظر فيما اعتمدوه وما آثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة فمن قائل يقول ابدأ بالعراق ، ومن قائل يقول بالشام . فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم مواريث من مات من المسلمين فى طاعون عمواس ، فانه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك . وهذا يقتضى أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون فى سنة ثمانى عشرة كما سيأتى ، فهو قدوم آخر غير قدوم سرغ . والله أعلم .

قال سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع بن النعمان قالوا : قال عمر : ضاعت مواريث الناس بالشام أبدأ بها فأقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ، ثم أرجع فأتقلب فى البلاد وأنبذ إليهم أمرى . قالوا : فأتى عمر الشام أربع مرات مرتين فى سنة ست عشرة ، ومرتين فى سنة سبع

عشرة ، ولم يدخلها فى الأولى من الأخريين . وهــذا يقتضى ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس فى سنة سبع عشرة . وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد ، فذهبوا إلى أنه كان فى سنة ثمانى عشرة . وفيه توفى أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبى سفيان ، وغيرهم من الأعيان ، على ما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى .

شيء من أخبار طاعون عمواس

الذى توفى فيــه أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبى سـفيان وغيرهم من أشراف الصحابة وغيرهم . أورده ابن جرير فى هذه السنة .

قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المختار بن عبد الله البجلى عن طارق بن شهاب البجلى . قال : أتينا أبا موسى وهو فى داره بالكوفة لنتحدث عنــده فلما جلسنا قال : لا تحفوا فقد أصيب فى الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تتنزهوا عن هــذه القرية فتخرجوا فى فسيح بلادكم ونزهها ، حتى يرتفع هــذا البلاء ، فانى سأخبركم بما يكره مما يتقى . من ذلك أن يظن من خرج أنه لو قام مات ، ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه ، فاذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنــه ، إنى كنت مع أبى عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس ، فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبى عبيدة ليستخرجه منــه : أن سـلام عليك أما بعد فانه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافهك بها ، فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلى : قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقال : يغفر الله لأمير المؤمنين . ثم كتب إليه ياأمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلى ، وإنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمره وقضاءه ، فخلنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ، ودعنى فى جندى . فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأن قد . قال : ثم كتب إليه « سلام عليك أما بعد فانك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة » قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعانى فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قــد جاءنى بما ترى ، فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهــم ، فرجعت إلى منزلى لأرتحل فوجدت صاحبتى قد أصيبت ، فرجعت إليه وقلت : والله لقد كان فى أهلى حدث . فقال : لعل صاحبتك قد أصيبت ؟ قلت : نعم ، فأمر ببعير فرحــل له فلما وضع رجله فى غرزه طعن فقال : والله لقد أصبت ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء .

وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رابة ـ رجل من قومه ـ وكان قد خلف على أمه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عمواس . قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة فى

الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هـذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلـكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه ، فطعن ، فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيبا بعده . فقال : أيها الناس ، إن هـذا الوجع رحمة بكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلـكم ، وإن معاذا يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظهم ، فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا لنفسه فطعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقلب[1] ظهر كفه ثم يقول : ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس ، إن هـذا الوجع إذا وقع فانما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه في الجبال . فقال أبو وائل الهذلي : كذبت والله لقد صحبت رسول الله (ص) وأنت شر من حماري هـذا . فقال : والله ما أرد عليك ما تقول ، وأيم الله لا نقيم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ودفعه الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص فوالله ما كرهه . قال ابن إسحاق : ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا : لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه ، وفنى خلق كثير من الناس ، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك .

قلت : ولهذا قـدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء ، وطابت قلوب الناس بقدومه ، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام ولله الحمد والمنة .

وقال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة ، قال : فلما أراد القفول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا إني قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا بينكم فيأكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغناكم ما لدينا ، فجندنا لكم الجنود ، وهيأنا لكم الفروج ، وبوأنا لكم ، ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شامكم ، وسمينا لكم أطماعكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم . فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال وحضرت الصلاة فقال الناس : لو أمرت بلالا فأذن ؟ فأمره فأذن فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله (ص) وبلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته ، وعمر أشدهم بكاء ، وبكى من لم يدركه لبكائهم ولذكره (ص) .

وذكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد أن عمر بن الخطاب

(١) كذا بالنسختين . وفي الطبري : يقبل .

بعث ينكر على خالد بن الوليد فى دخوله إلى الحمام ، وتدلكه بعد النورة بعصفر معجون بخمر ، فقال فى كتابه : إن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر الاثم و باطنه ، وقد حرم مس الخمر فلا تمسوها أجسامكم فإنها نجس ، فإن فعلتم فلا تعودوا . فكتب إليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر . فكتب إليه عمر : إنى أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فانتهى لذلك .

قال سيف : وأصاب أهل البصرة تلك السنة طاعون أيضاً فمات بشر كثير وجم غفير ، رحمهم الله و رضى الله عنهم أجمعين ، قالوا : وخرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة . فقال المهاجر بن خالد فى ذلك .

مَنْ يسكنْ الشامَ يعرسْ بهِ * والشامُ إن لم يفننا كاربُ
أفنى بنى ريطةَ فرسانَهمْ * عشرونَ لم يقصصْ لهم شاربُ
ومن بني أعمامِهِم مثلهمْ * لمثلِ هذا يعجبُ العاجبُ
طعناً وطاعوناً منايَاهمْ * ذلكَ ما خطَّ لنا الكاتبُ

كائنة غريبة فيها عزل خالد عن قِنَّسرين ايضاً

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، أى سلكا درب الروم وأغارا عليهم ، فغنموا أموالا عظيمة وسبياً كثيراً . ثم روى من طريق سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع وأبى المجالد . قالوا : لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة انتجعه الناس يبتغون رفده ونائله ، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبى عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويكشف عمامته وينزع عنه قلنسوته ويقيده بعمامته ويسأله عن هذه العشرة آلاف ، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف ، وإن كان من مال الصائفة فهى خيانة ثم اعزله عن عمله . فطلب أبو عبيدة خالداً وصعد أبو عبيدة المنبر ، وأقيم خالد بين يدى المنبر ، وقام إليه بلال ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد الذى قدم بالكتاب . هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم ، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره و إرادته ، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له فى ذلك . ثم سار خالد إلى قنسرين فخطب أهل البلد و ودعهم ، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضاً وودعهم وسار إلى المدينة ، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر

صنعتَ فلم يصنع كصنعكَ صانعٌ * وما يصنعُ الأقوامُ فالله صانعُ

ثم سأله من أين هذا اليسار الذى تجيز منه بعشرة آلاف ؟ فقال : من الأنفال والسهمان . قال :

فما زاد على الستين ألفاً فلك ، ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال : والله إنك علىّ لكريم ، وإنك إلى لحبيب ؛ ولن تعمل لى بعد اليوم على شئ .

وقال سيف عن عبد الله عن المستورد عن أبيه عن عدى بن سهل . قال : كتب عمر إلى الأمصار : إنى لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . ثم رواه سيف عن مبشر عن سالم قال : لما قدم خالد على عمر فذكر مثله . قال الواقدى : وفى هذه السنة اعتمر عمر فى رجب منها ، وعمر فى المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم ، أمر بذلك لمخرمة بن نوفل ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وسعيد بن يربوع . قال الواقدى : وحدثنى كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده قال : قدم عمر مكة فى عمرة سنة سبع عشرة ؛ فمر فى الطريق فكلمه أهل المياه أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة ـ ولم يكن قبل ذلك بناء ـ فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

قال الواقدى : وفيها تزوج عمر بأم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، من فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ودخل بها فى ذى القعدة . وقد ذكرنا فى سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمهرها أربعين ألفاً ، وقال إنما تزوجتها لقول رسول الله (ص) « كل سبب ونسب فانه ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى » قال : وفى هذه السنة ولى عمر أبا موسى الأشعرى البصرة ، وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة فى ربيع الأول ، فشهد عليه فيما حدثنى معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب : أبو بكرة ، وشبل بن معبد البجلى ، ونافع بن عبيد ، وزياد . ثم ذكر الواقدى وسيف هذه القصة وملخصها : أن امرأة كان يقال لها أم جميل بنت الافقم ، من نساء بنى عامر بن صعصعة ، ويقال من نساء بنى هلال . وكان زوجها من ثقيف قد توفى عنها ، وكانت تغشى نساء الأمراء والأشراف ، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة ، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبى بكرة ، وكان بينهما الطريق ، وفى دار أبى بكرة كوة تشرف على كوة فى دار المغيرة ، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبى بكرة شنآن . فبينما أبو بكرة فى داره وعنده جماعة يتحدثون فى العلية ، إذ فتحت الريح باب الكوة ، فقام أبو بكرة ليغلقها ، فاذا كوة المغيرة مفتوحة ، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجليها ، وهو يجامعها ، فقال أبو بكرة لأصحابه : تعالوا فانظروا إلى أميركم يزنى بأم جميل . فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة ، فقالوا لأبى بكرة : ومن أين قلت إنها أم جميل ؟ ـ وكان رأساهما من الجانب الآخر ـ . فقال : انتظروا ، فلما فرغا قامت المرأة فقال أبو بكرة : هذه أم جميل . فعرفوها فيما يظنون . فلما خرج المغيرة ـ وقد اغتسل ـ ليصلى بالناس منعه أبو بكرة أن يتقدم . وكتبوا إلى عمر فى ذلك ، فولى عمر أبا موسى الأشعرى أميراً على البصرة . وعزل المغيرة ، فسار إلى البصرة فنزل

البرد . فقال المغيرة : والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً ولا جاء إلا أميراً . ثم قدم أبو موسى على الناس وناول المغيرة كتابا من عمر هو أوجز كتاب فيه «أما بعد فانه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم مافى يديك والعجل» وكتب إلى أهل البصرة : إنى قد وليت عليكم أبا موسى ليأخذ من من قويكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دينكم وليجبى لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم . وأهدى المغيرة لأبى موسى جارية من مولدات الطائف تسمى عقيلة وقال : إنى رضيتها لك ، وكانت فارهة . وارتحل المغيرة والذين شهدوا عليه وهم أبو بكرة ، ونافع بن كلدة ، وزياد بن أمية ، وشبل بن معبد البجلى . فلما قدموا على عمر جمع بينهم و بين المغيرة . فقال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد كيف رأونى ؟ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها ، فان كانوا مستقبلى فكيف لم يستتروا ؟ أو مستدبرى فكيف استحلوا النظر فى منزلى على امرأتى ؟ والله ما أتيت إلا امرأتى وكانت تشبهها. فبدأ عمر بأبى بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلى أم جميل وهو يدخله و يخرجه كالميل فى المكحلة ، قال : كيف رأيتهما ؟ قال : مستدبرهما . قال : فكيف استبنت رأسها قال : تحاملت . ثم دعا شبل ابن معبد فشهد بمثل ذلك ، فقال استقبلتهما أم استدبرتهما ؟ قال : استقبلتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبى بكرة ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال : رأيته جالساً بين رجلى امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان وأستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاناً شديداً . قال : هل رأيت كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها . قال : فتنح . وروى أن عمر رضى الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة فجلدوا الحد وهو يقرأ قوله تعالى [فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون] فقال المغيرة : اشفنى من الأعبد . قال : اسكت أسكت الله فاك ، والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك

فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري

قال ابن جرير : كان فى هذه السنة ، وقيل : فى سنة ست عشرة . ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهرمزان كان قد تغلب على هذه الأقاليم وكان ممن فر يوم القادسية من الفرس ، فجهز أبو موسى من البصرة ، وعتبة بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله ، فنصرهم الله عليه ، وأخذوا منه مابين دجلة إلى دجيل ، وغنموا من جيشه ما أرادوا ، وقتلوا من أرادوا ، ثم صانعهم وطلب مصالحتهم عن بقية بلاده ، فشاوروا فى ذلك عتبة بن غزوان فصالحه ، و بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر ، و بعث وفداً فيهم الأحنف بن قيس . فأعجب عمر به وحظى عنده . وكتب إلى عتبة يوصيه به و يأمره بمشاورته والاستعانة برأيه . ثم نقض الهرمزان العهد والصلح ، واستعان بطائفة من الأكراد ، وغرته نفسه ، وحسن له الشيطان عمله فى ذلك . فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جماً

غفيراً ، وخلقاً كثيراً ، وجمعاً عظيما ، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تستر ، فتحصن بها ، و بعثوا إلى عمر بذلك . وقد قال الأسود بن سريع فى ذلك ـ وكان صحابياً رضى الله عنه ـ .

لعمركَ ما أضاعَ بنو أبينا * ولكنْ حافظوا فيمنْ يطيعوا
أطاعوا ربهمْ وعصاهُ قومٌ * أضاعوا أمرهُ فيمنْ يضيعُ
بجوسُ لاينهنهها كتابٌ * فلاقوا كبّةً فيها قبوعُ
وولى الهرمزانُ على جوادٍ * سريعِ الشدِّ يثفنهُ الجميعُ
وخلى سرةَ الأهوازِ كرهاً * غداةَ الجسرِ إذ نجمَ الربيعُ

وقال حرقوص بن زهير السعدى وكان صحابياً أيضاً :

غلبنا الهرمزانَ على بلادٍ * لها فى كلِ ناحيةٍ ذخائرْ
سواءٌ برهمْ والبحرُ فيها * إذا صارت نواحيها بواكرْ
لهـا بحرٌ يعجُ بجانبيهِ * جعافرُ لا يزالُ لها زواخرْ

فتح تستر المرة الأولى صلحاً

قال ابن جرير : كان ذلك فى هذه السنة فى قول سيف وروايته . وقال غيره : فى سنة ست عشرة وقال غيره : كانت فى سنة تسع عشرة . ثم قال ابن جرير : ذكر الخبر عن فتحها ، ثم ساق من طريق سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا : ولما افتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز ، وفر الهرمزان بين يديه ، فبعث فى إثره جزء بن معاوية ـ وذلك عن كتاب عمر بذلك ـ فما زال جزء يتبعه حتى انتهى إلى رامهرمز فتحصن الهرمزان فى بلادها ، وأعجز جزءاً تطلبه ، واستحوذ جزء على تلك البلاد والأقاليم والأراضى ، فضرب الجزية على أهلها ، وعمر عامرها ، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها : فصارت فى غاية العمارة والجودة . ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه لمجاورة المسلمين ، طلب من جزء بن معاوية المصالحة ، فكتب إلى حرقوص ، فكتب حرقوص إلى عتبة بن غزوان ، وكتب عتبة إلى عمر فى ذلك . فجاء الكتاب العمرى بالمصالحة على رامهرمز ، وتستر ، وجند سابور ، ومدائن أخر مع ذلك . فوقع الصلح على ذلك كما أمر به عمر رضى الله عنه .

ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين
عن ابن جرير عن سيف

وذلك أن العلاء بن الحضرمى كان على البحرين فى أيام الصديق ، فلما كان عمر عزله عنها وولاها لقدامة بن مظعون . ثم أعاد العلاء بن الحضرمى إليها . وكان العلاء بن الحضرمى يبارى سعد بن أبى وقاص . فلما افتتح سعد القادسية ، وأزاح كسرى عن داره ، وأخذ حدود ما يلى السواد ، واستعلى

وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمى من ناحية البحرين . فأحب العلاء أن يفعل فعلا فى فارس نظير ما فعله سعد فيهم ، فندب الناس إلى حربهم ، فاستجاب له أهل بلاده ؛ فجزأهم أجزاء ، فعلى فرقة الجرود بن المعلى ؛ وعلى الأخرى السوار بن همام ؛ وعلى الأخرى خليد بن المنذر بن ساوى ، وخليد هو أمير الجماعة . فحملهم فى البحر [1] فارس ، وذلك بغير إذن عمر له فى ذلك ـ وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله صـ ، وأبا بكر ما أغزيا فيه المسلمين ـ فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا من عند اصطخر فحالت فارس بينهم و بين سفنهم ، فقام فى الناس خليد بن المنذر فقال : أيها الناس ، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم ، وأنتم جئتم لمحاربتهم ، فاستعينوا بالله وقاتلوهم ؛ فانما الأرض والسفن لمن غلب ، واستعينوا بالصبر والصلاة و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديداً فى مكان من الأرض يدعى طاوس ، ثم أمر خليد المسلمين فترجلوا وقاتلوا فصبروا ، ثم ظفروا فقتلوا فارس مقتلة لم يقتلوا قبلها مثلها . ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم ، ولم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سبيلا و وجدوا شهرك فى أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق ، فعسكروا وامتنعوا من العدو . ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمى ، اشتد غضبه عليه ، و بعث إليه فعزله وتوعده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه . فقال : الحق بسعد بن أبى وقاص [فخرج العلاء إلى سعد بن أبى وقاص [1،2]] مضافاً إليه ، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمى خرج بجيش فأقطعهم أهل فارس وعصانى ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إن لا ينصروا ، أن يغلبوا و ينشبوا ، فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا . فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه فى ذلك ، فانتدب جماعة من الأمراء الأبطال ، منهم هاشم بن أبى وقاص ، وعاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، والأحنف بن قيس ؛ وغيرهم ، فى اثنى عشر ألفاً . وعلى الجميع أبو سبرة بن أبى رهم . فخرجوا على البغال يجنبون الخيل سراعاً ، فساروا على الساحل لا يلقون أحداً حتى انتهوا إلى موضع الوقعة التى كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء ؛ و بين أهل فارس بالمكان المسمى بطاوس ؛ و إذا خليد بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب ، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه ، وقد تكاملت أمداد المشركين ، ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم فى أحوج ما هم فيه إليهم ، فالتقوا مع المشركين رأساً ، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة ؛ وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً ، وأخذ منهم أموالا جزيلة باهرة ، واستنقذ خليداً ومن معه من المسلمين من أيديهم ، وأعز به الاسلام وأهله ؛ ودفع

---

(١) بياض بالنسخة المصرية . (٢) زيادة بالمصرية عن محمود الامام .

الشرك وذلك ولله الحمد والمنة ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان إلى البصرة .

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية ، استأذن عمر فى الحج فأذن له فسار إلى الحج واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبى رهم ، واجتمع بعمر فى الموسم ، وسأله أن يقيله فلم يفعل ، وأقسم عليه ليرجعن إلى ع . فدعا عتبة الله عز وجل فمات ببطن نخلة ، وهو منصرف من الحج ، فتأثر عليه عمر وأثنى عليه خيراً ، وولى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبة ، فوليها بقية تلك السنة والتى تليها ، لم يقع فى زمانه حدث ، وكان مرزوق السلامة فى عمله . ثم وقع الكلام فى تلك المرأة من أبى بكرة فكان من أمره ما قدمنا . ثم بعث إليها أبا موسى الأشعرى واليا عليها رضى الله عنهم .

ذكر فتح تستر ثانية وأسر الهرمزان وبعثه الى عمر بن الخطاب

قال ابن جرير : كان ذلك فى هذه السنة فى رواية سيف بن عمر التميمى . وكان سبب ذلك أن يزدجرد كان يحرض أهل فارس فى كل وقت ويؤنبهم بملك العرب بلادهم وقصدهم إياهم فى حصونهم فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وأن يقصدوا البصرة . وبلغ الخبر إلى عمر ، فكتب إلى سعد - وهو بالكوفة - أن ابعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النعمان بن مقرن وعجل وليكونوا بازاء الهرمزان ، وسمى رجالا من الشجعان الأعيان الأمراء يكونون فى هذا الجيش ، منهم جرير بن عبد الله البجلى ، وجرير بن عبد الله الحميرى ، والنعمان بن مقرن ، وسويد بن مقرن : وعبد الله بن ذى السهمين . وكتب عمر إلى أبى موسى وهو بالبصرة أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهيل بن عدى ، وليكن معه البراء بن مالك ، وعاصم ابن عمرو ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن ثور ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن معبد . وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبى رهم ، وعلى كل من أتاه من المدد . قالوا : فسار النعمان بن مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فانتهى إلى رامهرمز وبها الهرمزان ، فخرج إليه الهرمزان فى جنده ونقض العهد بينه وبين المسلمين ، فبادره طمعاً أن يقتطعه قبل مجىء أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس ، فالتقى معه النعمان بن مقرن بأربل ، فاقتتلا قتالا شديداً ، فهزم الهرمزان وفر إلى تستر ، وترك رامهرمز فتسلمها النعمان عنوة وأخذ ما فيها من الحواصل والذخائر والسلاح والعدد . فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه فر فلجأ إلى تستر ، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً ، وعلى الجميع أبو سبرة [فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً . وكتبوا إلى عمر فى ذلك وسألوه أن يمدهم ، فكتب إلى أبى موسى أن يسير إليهم . فسار إليهم - وكان أمير أهل

البصرة واستمر أبو سبرة] [١] على الامرة على جميع أهل الكوفة والبصرة ، لحاصرهم أشهراً وكثر القتال من الفريقين ، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك ، وكذلك فعل كعب بن ثور ، ومجزأة بن ثور ، وأبو يمامة [٢] وغيرهم من أهل البصرة ، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مبارزة كحبيب بن قرة ، وربعى بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود وقد تزاحفوا أياماً متعددة ، حتى إذا كان فى آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة - : يابراء اقسم على ربك ليهز منهم لنا . فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدنى قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم ، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به ، وقد ضاقت بهم البلد ، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبى موسى فأمنه ، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد ، وهو من مدخل الماء إليها ، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجال من الشجعان والأبطال ، وجاؤا فدخلوا مع الماء - كالبط - إلى البلد ، وذلك فى الليل ، فيقال كان أول من دخلها عبد الله بن مغفل المزنى ، وجاؤا إلى البوابين فأناموهم وفتحوا الأبواب ، وكبر المسلمون فدخلوا البلد ، وذلك فى وقت الفجر إلى أن تعالى النهار ، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس [كما حكاه البخارى عن أنس بن مالك قال : شهدت فتح تستر ، وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلابعد طلوع الشمس] [٣] فما أحب أن لى بتلك الصلاة حمر النعم . احتج بذلك البخارى لمكحول والأوزاعى فى ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال . وجنح إليه البخارى واستدل بقصة الخندق فى قوله عليه السلام «شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً» وبقوله يوم بنى قريظة «لايصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة» فأخرها فريق من الناس إلى بعد غروب الشمس ، ولم يعنفهم ، وقد تكلمنا على ذلك فى غزوة الفتح

والمقصود أن الهرمزان لما فتحت البلد لجأ إلى القلعة فتبعه جماعة من الأبطال ممن ذكرنا وغيرهم فلما حصروه فى مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافه أو تلافهم ، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور رحمهما الله : إن معى جعبة فيها مائة سهم ، وإنه لايتقدم إلى أحد منكم إلا رميته بسهم قتلته ، ولا يسقط لى سهم إلا فى رجل منكم ، فماذا ينفعكم إن أسرتمونى بعد ما قتلت منكم مائة رجل ؟ قالوا : فماذا تريد ؟ قال : تؤمنونى حتى أسلمكم يدى فتذهبوا بى إلى عمر بن الخطاب فيحكم فىّ بما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونشابه وأسروه فشدوه وثاقاً وأرصدوه ليبعثوه إلى أمير

---

(١) لم ترد فى المصرية . (٢) كذا فى الحلبية . وفى المصرية : وأبو عتبة . وفى الطبرى أبو تميمة (٣) لم ترد فى الحلبية .

المؤمنين عمر ، ثم تسلموا ما فى البلد من الأموال والحواصل فاقتسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم .

فتح السوس

ثم ركب أبو سبرة فى طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعرى والنعمان بن مقرن ، واستصحبوا معهم الهرمزان ، وساروا فى طلب المنهزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس ، فأحاطوا بها . وكتب أبو سبرة إلى عمر فجاء الكتاب بأن يرجع أبو موسى إلى البصرة ؛ وأمر عمر زر بن عبد الله بن كليب الفقيمى - وهو صحابى - أن يسير إلى جند سابور ، فسار . ثم بعث أبو سبرة بالخمس وبالهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، فلما اقتربوا من المدينة هيؤا الهرمزان بلبسه الذى كان يلبسه من الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللآلئ . ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فتيمموا به منزل أمير المؤمنين ، فسألوا عنه فقالوا : انه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة . فجاؤا المسجد فلم يروا أحداً فرجعوا ، فاذا غلمان يلعبون فسألوهم عنه فقالوا : إنه نائم فى المسجد متوسداً برنساً له . فرجعوا إلى المسجد فاذا هو متوسد برنساً له كان قد لبسه للوفد ، فلما انصرفوا عنه توسد البرنس ونام وليس فى المسجد غيره ، والدرة معلقة فى يده . فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا . وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينبهوه ، وجعل الهرمزان يقول : وأين حجابه ؟ أين حرسه ؟ فقالوا : ليس له حجاب ولا حرس ، ولا كاتب ولا ديوان . فقال : ينبغى أن يكون نبياً . فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء . وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم . فتأمله وتأمل ما عليه ثم قال : أعوذ بالله من النار وأستعين بالله . ثم قال : الحمد لله الذى أذل بالاسلام هذا وأشياعه ، يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدى نبيكم ، ولا تبطرنكم الدنيا فانها غدارة . فقال له الوفد : هذا ملك الأهواز فكلمه . فقال : لا حتى لا يبقى عليه من حليته شئ . ففعلوا ذلك وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر : يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : ياعمر : انا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، اذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا . فقال عمر : إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا . ثم قال : ما عذرك وما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك . فاستسقى الهرمزان ماء فأتى به فى قدح [غليظ ، فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى هذا . فأتى به فى قدح] آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترتعد ، وقال : إنى أخاف أن أقتل وأنا أشرب . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه . فقال عمر :

أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش . فقال : لا حاجة لى فى الماء ، إنما أردت أن أستأنس به . فقال له عمر : إنى قاتلك ، فقال انك أمنتنى . قال : كذبت ، فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أنا أؤمن من قتل مجزأة والبراء ؟ لتأتينى بمخرج والا عاقبتك ، قال : قلت لا بأس عليك حتى تخبرنى . وقلت لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك . فأقبل على الهرمزان فقال : خدعتنى والله لا أنخدع الا أن تسلم . فأسلم ففرض له فى ألفين وأنزله المدينة . وفى رواية أن الترجمان بين عمر و بين الهرمزان كان المغيرة بن شعبة ، فقال له عمر : قل له من أى أرض أنت ؟ قال مهرجانى . قال : تكلم بحجتك . فقال : أ كلام حى أم ميت ؟ قال : بل كلام حى . فقال قد أمنتنى ، فقال خدعتنى ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له فى ألفين وأنزله المدينة . ثم جاء زيد فترجم بينهما أيضاً .

قلت : وقد حسن إسلام الهرمزان وكان لايفارق عمر حتى قتل عمر فاتهمه بعض الناس بممالأة أبى لؤلؤة هو وجفينة ، فقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتى تفصيله .

وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبيد الله بالسيف قال : لا إله إلا الله . وأما جفينة فصلب على وجهه .

والمقصود أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسعوا فى بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم ، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس بأن المصلحة تقتضى توسعهم فى الفتوحات فان الملك يزدجرد لا يزال يستحثهم على قتال المسلمين ، وإن لم يستأصل شأو العجم وإلا طمعوا فى الاسلام وأهله ، فاستحسن عمر ذلك منه وصوبه . وأذن للمسلمين فى التوسع فى بلاد العجم ، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً ، ولله الحمد . وأكثر ذلك وقع فى سنة ثمانى عشرة كما سيأتى بيانه فيها .

ثم نعود إلى فتح السوس وجند سابور وفتح نهاوند فى قول سيف . كان قد تقدم أن أبا سبرة سار بمن معه من علية الأمراء من تستر إلى السوس ، فنازلها حيناً وقتل من الفريقين خلق كثير ، فأشرف عليه علماء أهلها فقالوا : يا معشر المسلمين لا تتعبوا فى حصار هذا البلد فانا نأثر فيما نرويه عن قدمائنا من أهل هذا البلد أنه لا يفتحه إلا الدجال أو قوم معهم الدجال ، واتفق أنه كان فى جيش أبى موسى الأشعرى صاف بن صياد ، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره ، فجاء إلى الباب فدقه برجله فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالامان ودعوا الى الصلح فأجابوهم إلى ذلك ، وكان على السوس شهريار أخو الهرمزان ، فاستحوذ المسلمون على السوس ، وهو بلد قديم العمارة فى الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض والله أعلم . وذكر ابن جرير أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس ، وأن أبا موسى لما قدم بها بعد مضى أبى سبرة

إلى جندى سابور ، كتب الى عمر فى أمره فكتب اليه أن يدفنه وأن يغيب عن الناس موضع قبره ، ففعل . وقد بسطنا ذلك فى سيرة عمر ولله الحمد .

قال ابن جرير : وقال بعضهم ان فتح السوس ورامهز وتسيير الهرمزان من تستر إلى عمر فى سنة عشرين والله أعلم وكان الكتاب العمرى قد ورد بأن النعمان بن مقرن يذهب إلى أهل نهاوند فسار إليها فمر بماه ـ بلدة كبيرة قبلها ـ فافتتحها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها ولله الحمد .

قلت : المشهور أن فتح نهاوند إنما وقع فى سنة إحدى وعشرين كما سيأتى فيها بيان ذلك ، وهى وقعة عظيمة وفتح كبير ، وخبر غريب ونبأ عجيب ، وفتح زر بن عبد الله الفقيمى مدينة جندى سابور (١) فاستوثقت تلك البلاد للمسلمين . هذا وقد تحول يزدجرد من بلد إلى بلد ، حتى انتهى أمره إلى الاقامة بأصبهان ، وقد كان صرف طائفة من أشراف أصحابه قريبا من ثلثمائة من العظماء عليهم رجل يقال له سياه ، فكانوا يفرون من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر واصطخر ، فقال سياه لأصحابه : إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أماكن الملوك الأقدمين ، ولا يلقون جندا إلا كسروه ، والله ما هذا عن باطل . ـ ودخل فى قلبه الاسلام وعظمته ـ فقالوا له : نحن تبع لك . وبعث عمار ابن ياسر فى غضون ذلك يدعوهم إلى الله ، فأرسلوا إلى أبى موسى الأشعرى باسلامهم [وكتب فيهم إلى عمر فى ذلك ، فأمره أن يفرض لهم فى ألفين ألفين ، وفرض لستة منهم فى ألفين وخمسمائة ، وحسن إسلامهم](٢) وكان لهم نكاية عظيمة فى قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصنا فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه فى الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم ، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم ، ففتحوا إليه باب الحصن ليأووه فثار إلى البواب فقتله ، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن ، وقتلوا من فيه من المجوس . إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وذكر ابن جرير أن عمر بن الخطاب عقد الألوية والرايات الكبيرة فى بلاد خراسان والعراق لغزو فارس والتوسع فى بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنف بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات كثيرة فى السنة المستقبلة بعدها كما سنبينه وننبه عليه ولله الحمد والمنة .

قال : وحج بالناس فى هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم ذكر نوابه على البلاد ، وهم من ذكر فى السنة قبلها غير المغيرة فان على البصرة بدله أبو موسى الأشعرى .

قلت : وقد توفى فى هذه السنة أقوام قيل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم ، وقيل فيما بعدها وسيأتى ذكرهم فى أماكنهم والله تعالى أعلم .

---

(١) فى النسختين « جند سابور بدون ياء . والتصحيح من الطبري (٢) لم ترد فى الحلبية .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة

المشهور الذى عليه الجمهور ان طاعون عمواس كان بها ، وقد تبعنا قول سيف بن عمر وابن جرير فى إيراده ذلك فى السنة التى قبلها ، لكنا نذكر وفاة من مات فى الطاعون فى هذه السنة إن شاء الله تعالى ، قال ابن إسحاق ، وأبو معشر : كان فى هذه السنة طاعون عمواس وعام الرمادة ، فتفانى فيهما الناس . قلت : كان فى عام الرمادة جدب عم أرض الحجاز ، وجاع الناس جوعاً شديداً . وقد بسطنا القول فى ذلك فى سيرة عمر . وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد . وقيل : لأنها تسفى الريح تراباً كالرماد . ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم . وقد أجدبت الناس فى هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده ، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان فى زمن الخصب يبث له الخبز باللبن والسمن ، ثم كان عام الرمادة يبث له بالزيت والخل ، وكان يستمرئ الزيت . وكان لا يشبع مع ذلك ، فاسود لون عمر رضى الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف . واستمر هذا الحال فى الناس تسعة أشهر ، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم .

قال الشافعى : بلغنى أن رجلا من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة : لقد انجلت عنك ولانك لابن حرة . أى واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنت إليهم . وقد روينا أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك ، ولا يتحدث الناس فى منازلهم على العادة ، ولم ير سائلا يسأل ، فسأل عن سبب ذلك فقيل له : ياأمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال ، والناس فى هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون . فكتب عمر إلى أبى موسى بالبصرة أن ياغوثاه لأمة محمد . وكتب الى عمرو بن العاص بمصر أن ياغوثاه لأمة محمد . فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو فى البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة . وهذا الأثر جيد الاسناد ، لكن ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة مشكل ، فان مصر لم تكن فتحت فى سنة ثمانى عشرة ، فاما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة ، أو يكون ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة وهم والله أعلم .

وذكر سيف عن شيوخه أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً ، فأمره عمر بتفريقها فى الأحياء حول المدينة ، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ، فلح عليه عمر حتى قبلها .

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثماني عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الانس، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال: أنا رسول رسول الله إليك، يقول لك رسول الله (ص): «لقد عهدتك كيساً، وما زلت على ذلك[1]، فما شأنك»؟ قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة. فخرج فنادى في الناس الصلاة جامعة، فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال: أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون مني أمراً غيره خير منه؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية. قالوا: صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين. فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصورا - فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاء مدته فانكشف. ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء. وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغيثوا أهل المدينة ومن حولها، فانه قد بلغ جهدهم. وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشيا، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبتيه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا. ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران.

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلا من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء. فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر فقال يامحمداه. فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله (ص) يقول له: «أبشر بالحياة، إيت عمر فاقرءه مني السلام وقل له إن عهدي بك وفيّ العهد شديد العقد، فالكيس الكيس ياعمر»، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله (ص). فأتى عمر فأخبره ففزع ثم صعد عمر المنبر فقال للناس أنشدكم الله الذي هداكم للاسلام هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه؟ فقالوا: اللهم لا، وعم ذاك؟ فأخبرهم بقول المزني - وهو بلال بن الحارث - ففطنوا ولم يفطن. فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا. فنادى في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولاحول ولاقوة إلا بك، اللهم اسقنا وأحي العباد والبلاد.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي (ص)

(١) في الطبري: فما زالت على ذلك.

فقال : يارسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله (ص) فى المنام فقال : إيت عمر فأقره منى السلام وأخبرهم أنهم مسقون ، وقل له عليك بالكيس الكيس . فأتى الرجل فأخبر عمر فقال : يارب ما آلوا إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح

وقال الطبرانى : حدثنا أبو مسلم الكشى حدثنا أبو محمد الأنصارى ثنا أبى عن ثمامة بن عبد الله ابن أنس ، عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى يقول : اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا ، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا (ص) . وقد رواه البخارى عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبد الله به ولفظه «عن أنس أن عمر كان اذا قحطوا يستسقى بالعباس ابن عبد المطلب فيقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا - فى كتاب المطر و فى كتاب مجابى الدعوة - حدثنا أبو بكر النيسابورى ثنا عطاء بن مسلم عن العمرى عن خوات بن جبير قال : خرج عمر يستسقى بهم فصلى ركعتين فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك فما برح من مكانه حتى مطروا فقدم أعراب فقالوا : يا أمير المؤمنين بينا نحن فى وادينا فى ساعة كذا إذ أظلتنا غمامة فسمعنا منها صوتاً : أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص . وقال ابن أبى الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان عن مطرف بن طريف عن الشعبى قال : خرج عمر يستسقى بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا يا أمير المؤمنين ماتراك استسقيت . فقال : لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ثم قرأ [استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا] ثم قرأ [وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه] الآية .

وذكر ابن جرير فى هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبى المجالد والربيع وأبى عثمان وأبى حارثة وعن عبد الله بن شبرمة عن الشعبى قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل بن سهيل ، فسألناهم فقالوا : خيرنا فاخترنا ، قال فهل أنتم منتهون ، ولم يعزم . فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون أى انتهوا . وأجمعوا على جلدهم ثمانين ثمانين ، وأن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يقتل . فكتب عمر إلى أبى عبيدة أن ادعهم فسلهم عن الخمر فإن قالوا هى حلال فاقتلهم ، وإن قالوا هى حرام فاجلدهم . فاعترف القوم بتحريمها ، فجلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه ، حتى وسوس أبو جندل فى نفسه ، فكتب أبو عبيدة الى عمر فى ذلك ، وسأله أن يكتب إلى أبى جندل ويذكره ، فكتب إليه عمر بن الخطاب فى ذلك ، من عمر إلى أبى جندل ، إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فإن الله تعالى يقول

[قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم] وكتب عمر إلى الناس : إن عليكم أنفسكم ومن غـير فغيروا عليـه ، ولا تعيروا أحداً فيفشو فيكم البلاء ، وقد قال أبو الزهراء القشيرى فى ذلك .

ألم تر أنَّ الدهرَ يعثرُ بالفتى * وليسَ على صرفِ المنونِ بقادرِ
صبرتُ ولم أجزعْ وقد ماتَ إخوتى * ولستُ عن الصهباءِ يوماً بصابرِ
رماها أميرُ المؤمنينَ بحتفها * فخلانها يبكونَ حولَ المقاصرِ

قال الواقدى وغيره : وفى هذه السنة فى ذى الحجة منها حول عمر المقام ـ وكان ملصقا بجدار الكعبة ـ فأخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنـده على الطائفين . قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك فى سيرة عمر ولله الحمد والمنة * قال : وفيها استقضى عمر شريحا على الكوفة ، وكعب ابن سور عـلى البصرة [قال وفيها حج عمر بالناس وكانت نوابه فيها الذين تقـدم ذكرهم فى السنة الماضية] (1) وفيها فتحت الرقة والرها وحران على يدى عياض بن غنم . قال : وفتحت رأس عين الوردة عـلى يدى عمر بن سعد بن أبى وقاص . وقال غـيره خلاف ذلك . وقال شيخنا الحافظ الذهبى فى تاريخه : وفيها ـ يعنى هذه السنة ـ افتتح أبو موسى الأشعرى الرها وشمشاط عنوة ، وفى أوائلها وجه أبو عبيـدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل صلحا . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وماحولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة. وقال الواقدى : وفيها كان طاعون عمواس فمات فيـه خمسة وعشرون ألفا . قلت : هـذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس ـ وهى بين القدس والرملة ـ لأنها كان أول مانجم الداء بها ، ثم انتشر فى الشام منها فنسب إليها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال الواقدى توفى : فى عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفا . وقال غيره : ثلاثون ألفا . وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضى الله عنهم

الحارث بن هشام

أخو أبى جهل أسلم يوم الفتح ، وكان سـيداً شريفاً فى الاسلام كما كان فى الجاهليـة ، استشهد بالشام فى هذه السنة فى قول ، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة .

شرحبيل بن حسنة

أحد أمراء الأرباع ، وهو أمير فلسطين ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن الـكندى حليف بنى زهرة ، وحسنة أمه ، نسب إليها وغلب عليه ذلك . أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة وجهزه الصـديق إلى الشام ، فـكان أميراً على ربع الجيش ، وكذلك فى الدولة العمرية ، وطعن هو

(1) لم ترد فى المصرية محمود الامام .

وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد سنة ثماني عشرة . له حديثان روى ابن ماجه أحدهما في الوضوء وغيره

عامر بن عبد الله بن الجراح

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو عبيدة بن الجراح الفهري ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد ، وهم عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة بن الجراح . أسلموا على يدي الصديق . ولما هاجروا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ ، وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهد بدراً وما بعدها ، وقال رسول الله ﷺ : « إن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ثبت ذلك في الصحيحين . وثبت في الصحيحين أيضا أن الصديق قال يوم السقيفة . وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوه - يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة - وبعثه الصديق أميراً على ربع الجيش إلى الشام ، ثم لما انتدب خالداً من العراق كان أميراً على أبي عبيدة وغيره لعلمه بالحروب . فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالداً وولى أبا عبيدة ابن الجراح ، وأمره أن يستشير خالداً ، فجمع للأمة بين أمانة أبي عبيدة وشجاعة خالد . قال ابن عساكر : وهو أول من سمي أمير الأمراء بالشام . قالوا : وكان أبو عبيدة طوالا نحيفا أجنى معروق الوجه ، خفيف اللحية ، أهتم ، وذلك لأنه لما انتزع الحلقتين من وجنتي رسول الله ﷺ يوم أحد خاف أن يؤلم رسول الله ﷺ ، فتحامل على ثنيتيه فسقطتا ، فما رأى أحسن هتما منه . توفي بالطاعون عام عمواس كما تقدم سياقه في سنة سبع عشرة عن سيف بن عمر . والصحيح أن عمواس كانت في هذه السنة - سنة ثماني عشرة - بقرية فحل ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة ينسب إليه والله أعلم . وعمره يوم مات ثمان وخمسون سنة .

الفضل بن عباس بن عبد المطلب

كان حسنا وسيما جميلا ، أردفه رسول الله ﷺ وراءه يوم النحر من حجة الوداع ، وهو شاب حسن ، وقد شهد فتح الشام ، واستشهد بطاعون عمواس في قول محمد بن سعد والزبير بن بكار وأبي حاتم وابن البرقي وهو الصحيح . وقيل يوم مرج الصفر ، وقيل بأجنادين . ويقال باليرموك سنة ثمان وعشرين .

معاذ بن جبل

ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني صحابي جليل كبير القدر . قال الواقدي : كان طوالا حسن الشعر والثغر براق الثنايا ، لم يولد له . وقال غيره : بل ولد له ولد وهو عبد الرحمن . شهد معه اليرموك . وقد شهد معاذ العقبة . ولما هاجر الناس آخى رسول الله ﷺ

بينه و بين ابن مسعود . وحكى الواقدى الاجماع على ذلك . وقد قال محمد بن إسحق: آخى بينه وبين جعفر بن أبى طالب . وشهد بدرا وما بعدها. وكان أحد الأربعة من الخزرج ، الذين جمعوا القرآن فى حياة النبي (ص) ، وهم أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد عمر بن أنس بن مالك. وصح فى الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى من حديث حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن أبى عبد الرحمن الجبلى عن الصنابحى. عن معاذ أن رسول الله (ص) قال له «يامعاذ والله إنى لأحبك فلا تدعن أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وفى المسند والنسائى وابن ماجه من طريق أبى قلابة عن أنس مرفوعا «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» وقد بعثه رسول الله (ص) إلى اليمن وقال له «بم تحكم» ؟ فقال: بكتاب الله وبالحديث . وكذلك أقره الصديق على ذلك يعلم الناس الخير باليمن . ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعد ما استخلفه أبو عبيدة حين طعن ثم طعن بعده فى هذه السنة . وقد قال عمر بن الخطاب : إن معاذاً يبعث أمام العلماء بربوة . ورواه محمد بن كعب مرسلا. وقال ابن مسعود : كنا نشبهه بإبراهيم الخليل . وقال ابن مسعود : إن معاذاً كان قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين . وكانت وفاته شرقى غور بيسان سنة ثمانى عشرة . وقيل سنة تسع عشرة [وقيل سبع عشرة ، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور] (١) وقيل غير ذلك والله أعلم .

يزيد بن أبي سفيان

أبو خالد صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى ، أخو معاوية ، وكان يزيد أكبر وأفضل . وكان يقال له يزيد الخير ، أسلم عام الفتح ، وحضر حنينا وأعطاه رسول الله (ص) مائة من الابل وأربعين أوقية ، واستعمله الصديق على ربع الجيش إلى الشام ، وهو أول أمير وصل إليها ، ومشى الصديق فى ركابه يوصيه ، وبعث معه أبا عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة فهؤلاء أمراء الأرباع . ولما افتتحوا دمشق دخل هو من باب الجابية الصغير عنوة كخالد فى دخوله من الباب الشرقى عنوة وكان الصديق قد وعده بأمرتها ، فوليها عن أمر عمر وأنفذ له ما وعده الصديق ، وكان أول من وليها من المسلمين . المشهور أنه مات فى طاعون عمواس كما تقدم . وزعم الوليد بن مسلم أنه توفى سنة تسع عشرة بعد ما فتح قيسارية . ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضى الله عنهم . وليس له فى الكتب شىء ، وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعرى أن رسول الله (ص) قال « مثل الذى يصلى ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع الذى لا يأكل إلا التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا » .

(١) لم ترد فى الحلبية .

أبو جندل بن سهيل

ابن عمرو ، وقيل اسمه العاص أسلم قديما وقد جاء يوم صلح الحديبية مسلما يرسف فى قيوده لأنه كان قد استضعف فرده أبوه وأبى أن يصالح حتى يرد ، ثم لحق أبوجندل بأبى بصير إلى سيف البحر ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام . وقد تقدم أنه تأول آية الخمر ثم رجع ، ومات بطاعون عمواس رحمه الله ورضى عنه * أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله تقدم * أبو مالك الاشعرى ، قيل اسمه كعب بن عاصم قدم مهاجرا سنة خيبر مع أصحاب السفينة ، وشهد ما بعدها ، واستشهد بالطاعون عام عمواس هو وأبو عبيدة ومعاذ فى يوم واحد رضى الله عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقدى وغيره : كان فتح المدائن وجلولاء فيها . والمشهور خلاف ما قال كما تقدم . وقال محمد ابن إسحق : كان فتح الجزيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين فى هذه السنة . وقد خالفه غيره . وقال أبو معشر وخليفه وابن الكلبى : كان فتح قيسارية فى هذه السنة وأميرها معاوية . وقال غيره يزيد بن أبى سفيان . وقد تقدم أن معاوية افتتحها قبل هذا بسنتين . وقال محمد بن إسحق كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر فى سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : كان فتح قيسارية وفتح مصر فى سنة ست عشرة . قال ابن جرير : فأما فتح قيسارية فقد تقدم ، وأما فتح مصر فانى سأذكره فى سنة عشرين إن شاء الله تعالى . قال الواقدى : وفى هذه السنة ظهرت نار من حرة ليلا فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها ، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفئت ولله الحمد . ويقال كان فيها وقعة أرمينية ، وأميرها عثمان بن أبى العاص ، وقد أصيب فيها صفوان بن المعطل بن رخصة السلمى ثم الذكوانى ، وكان أحد الامراء يومئذ . وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما علمت عليه إلا خيرا » وهو الذى ذكره المنافقون فى قصة الافك فبرأ الله ساحته ، وجناب أم المؤمنين زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما قالوا . وقد كان إلى حين قالوا لم يتزوج ، ولهذا قال والله ما كشفت كنف أنثى قط . ثم تزوج بعد ذلك ، وكان كثير النوم ربما غلب عليه عن صلاة الصبح فى وقتها ، كما جاء فى سنن أبى داود وغيره . وكان شاعرا ثم حصلت له شهادة فى سبيل الله . قيل بهذا البلد ، وقيل بالجزيرة ، وقيل بشمشاط . وقد تقدم بعض هذا فيما سلف . وفيها فتحت تكريت فى قول والصحيح قبل ذلك ، وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبد الله بن حذافة . وفيها فى ذى الحجة منها كانت وقعة بأرض العراق قتل فيها أمير المجوس شهرك ، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبى العاص رضى الله عنه . قال ابن جرير وفيها حج بالناس عمر ، ونوابه فى البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم *

ذكر من توفي فيها من الأعيان

وممن توفى فيها من الأعيان أبي بن كعب سيد القراء، وهو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو المنذر وأبو الطفيل، الأنصارى النجارى سيد القراء شهد العقبة و بدرا وما بعدها، وكان سيداً جليل القدر. وهو أحد القراء الأربعة الخزرجيين الذين جمعوا القرآن فى حياة رسول الله ص، وقد قال لعمر يوما. انى تلقيت القرآن ممن تلقاه منه جبريل وهو رطب. وفى المسند والنسائي وابن ماجه من طريق أبى قلابة عن أنس مرفوعا «أقرأ أمتى أبى ابن كعب» وفى الصحيح أن رسول الله ص، قال له «إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن». قال: وسمانى لك؟ «قال نعم» فزرفت عيناه وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير عند سورة [لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة] قال الهيثم بن عدى: توفى أبى سنة تسع عشرة. وقال يحيى بن معين: سنه سبع عشرة أو عشرين. وقال الواقدى عن غير واحد: توفى سنة ثنتين وعشرين. و به قال أبو عبيد وابن نمير وجماعة. وقال الفلاس وخليفة: توفى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه * وفيها مات خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين شهد بدرا وما بعدها، وهو صحابى من السابقين وصلى عليه عمر * ومات فيها صفوان بن المعطل فى قول كما تقدم والله أعلم.

سنة عشرين من الهجرة

قال محمد بن إسحق: فيها كان فتح مصر. وكذا قال الواقدى: إنها فتحت هى واسكندرية فى هذه السنة. وقال أبو معشر: فتحت مصر سنة عشرين، واسكندرية فى سنة خمس وعشرين. وقال سيف: فتحت مصر واسكندرية فى سنة ست عشرة فى ربيع الأول منها. ورجح ذلك أبو الحسن ابن الأثير فى الكامل لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرمادة، وهو معذور فيما رجحه والله أعلم. وفيها كان فتح تستر فى قول طائفة من علماء السير بعد محاصرة سنتين وقيل سنة ونصف والله أعلم.

صفة فتح مصر عن ابن إسحق وسيف

قالوا: لما استكمل عمر والمسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر وزعم سيف أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس، وأردفه بالزبير بن العوام وفى صحبته بشر بن أرطاة، وخارجة بن حذافة، وعمير ابن وهب الجمحى. فاجتمعا على باب مصر فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام فى أهل الثبات، بعثه المقوقس صاحب اسكندرية لمنع بلادهم، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص لا تعجلوا حتى نعذر، ليبرز إلىّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد، فبرزا إليه، فقال لهما عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا، إن الله بعث محمداً ص، بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ص، وأدى

إلينا كل الذى أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الاعـذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الاسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية و بذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظا لرحمنا منكم ، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة . ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً ، فان رسول الله صـ. أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رحما وذمة . فقالوا : قرابة بعيدة لايصل مثلها إلا الأنبياء معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلا . أمنّا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثلى لايخدع ولكنى أؤجلكما ثلاثا لتنظروا ولتناظرا قومكما و إلا ناجزتكم . قالا : زدنا ، فزادهم يوما ، فقالا : زدنا . فزادهم يوما . فرجعا إلى المقوقس فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم . وقد بقيت أربعة أيام قاتلوا وأشار عليهم بأن يبيتوا المسلمين ، فقال الملأ منهم : ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم. فألح الأرطبون فى أن يبيتوا المسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشئ بل قتل منهم طائفة منهم الأرطبون ؛ وحاصر المسلمون عين شمس من مصر فى اليوم الرابع . وارتقى الزبير عليهم سور البلد ، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذى عليه عمرو فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمان : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو ابن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم و بحرهم لايدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزيه إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم ، فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة . و إن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة ، فله مثل مالهم وعليه مثل ماعليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثا ، فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر » فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر وعمروا الفسطاط ، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلما عمراً فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة . فأبى عمرو أن يردها عليهما ، وأمر بطردهما واخراجهما من بين يديه ، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمنوهم فيها أن يرد عليهم ، وكل سبي أخذ ممن لم يقاتل وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سباياه . وقيل إنه أمره أن يخيروا من في أيديهم من السبي بين الاسلام وبين أن يرجع إلى أهله ، فمن اختار الاسلام فلا يردوه إليهم ، ومن اختارهم ردوه عليهم وأخذوا منه الجزية ؛ وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرها ، فانه لا يقدر على ردهم ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر الوفاء به . ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم فمنهم من اختار الاسلام ، ومنهم من عاد إلى دينه ، وانعقد الصلح بينهم . ثم أرسل عمرو جيشا إلى اسكندرية ــ وكان المقوقس صاحب الاسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم ــ فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم : إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم ؛ والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم . ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول : إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إلي منكم ــ فارس والروم ــ ثم صالحه على أداء الجزيه ، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف فجعل عمر يزمرهم ويحثهم على الثبات : فقال له رجل من أهل اليمن : إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد. فقال له عمرو : اسكت فانما ، أنت كلب . فقال له الرجل فأنت إذا أمير الكلاب . فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله (ص) فلما اجتمع إليه من هناك من الصحابة قال لهم عمرو : تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين . فنهدوا إلى القوم ففتح الله عليهم وظفروا أتم الظفر . قال سيف : ففتحت مصر في ربيع الأول من سنة ست عشرة وقام فيها ملك الاسلام ولله الحمد والمنة . وقال غيره : فتحت مصر في سنة عشرين ، وفتحت اسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة ، وقيل صلحا على اثني عشر ألف دينار . وقد ذكر أن المقوقس سأل من عمرو أن يهادنه أولا ، فلم يقبل عمرو وقال له : قد علمتم ما فعلنا بملككم الاكبر هرقل . فقال المقوقس لأصحابه : صدق فنحن أحق بالاذعان . ثم صالح على ما تقدم . وذكر غيره أن عمراً والزبير سارا إلى عين شمس فحاصراها وأن عمراً بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية ، فقال كل منهما لأهل بلده : إن نزلتم فلكم الامان . فتربصوا ماذا يكون من أهل عين شمس ، فلما صالحوا صالح الباقون . وقد قال عوف بن مالك لأهل اسكندرية : ما أحسن بلدكم ؟ فقالوا : إن اسكندر لما بناها قال : لأبنين مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس . فبقيت بهجتها . وقال أبرهة لاهل الفرما : ما أقبح مدينتكم ؟ فقالوا إن الفرما ــ وهو أخو الاسكندر ــ لما بناها قال لأبنين مدينة

غنية عن الله فقيرة إلى الناس . فهي لا يزال ساقطا بناؤها فشوهت بذلك

وذكر سيف أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم رءوسا من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كل سنة ، ويعوضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة . وأقر ذلك عثمان بن عفان وولاة الامور بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمضاه أيضا نظراً لهم ، وإبقاء لعهدهم . قلت : وإنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص ، وذلك أنه نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصر اليوم ، وبنى الناس حوله ، وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم ، ثم رفع الفسطاط وبني موضعه جامعا وهو المنسوب إليه اليوم . وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة فنالهم جراحات كثيرة ، وأصيبت أعين كثيرة ، لجودة رمي النوبة فسموهم جند الحدق . ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة : وقد اختلف في بلاد مصر فقيل : فتحت صلحا إلا الاسكندرية ، وهو قول يزيد بن أبي حبيب . وقيل : كلها عنوة وهو قول ابن عمر وجماعة . وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال : ماقعدت مقعدي هذا ولاحد من القبط عندي عهد إن شئت قتلت ، وإن شئت بعت وإن شئت خمست إلا لاهل الطابلس فان لهم عهداً نوفي به .

قصة نيل مصر

روينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال : لما افتتحت مصر أتى اهلها عمرو بن العاص — حين دخل بؤنة من أشهر العجم — فقالوا : أيها الامير ، لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الاسلام ، إن الاسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيراً ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر ابن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فان كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك » قال : فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم .

قال سيف بن عمر : وفي ذي القعدة من هذه السنة — وهي عنده سنة ست عشرة — جعل عمرو المسالح على أرجاء مصر ، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر في البحر . قال ابن جرير : وفي هذه

السنة غزا أرض الروم أبو بحرية عبد الله بن قيس العبدى - وهو أول من دخلها فيما قيل - فسلم وغنم، وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى. قال الواقدى: وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين، وحده في الشراب. وولى على البحرين واليمامة أبا هريرة الدوسى رضى الله عنه. قال: وفيها شكا أهل الكوفة سعدا في كل شئ، حتى قالوا: لا يحسن يصلى، فعزله عنها وولى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان - وكان نائب سعد - وقيل بل ولاها عمرو بن ياسر. وقال الامام أحمد: حدثنا سفيان عن عبد الملك سمعه من جابر بن سمرة. قال: شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا: إنه لا يحسن يصلى، قال الاعاريب؟ والله ما آلوهم صلاة رسول الله (ص) في الظهر والعصر، اردد في الأولين وأصرف في الأخيرين. فسمعت عمر يقول: كذا الظن بك يا أبا إسحق. وفى صحيح مسلم أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأثنوا خيراً إلا رجلا يقال له: أبو سعدة قتادة بن أسامة قام فقال: أما إذ أنشدتنا فان سعداً لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية، ولا يخرج في السرية. فقال سعد: اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة، فأطل عمره وأدم فقره وعرضه للفتن. فأصابته دعوة سعد - فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عينيه، ويتعرض للجوارى فى الطرق فيغمزهن، فيقال له في ذلك، فيقول: شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد. وقد قال عمر في وصيته - وذكره في الستة - «فان أصابت الامرة سعداً فذاك، وإلا فليستعن به أيكم ولى، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة. قال: وفيها أجلى عمر يهود خيبر عنها إلى أذرعات وغيرها، وفيها أجلى عمر يهود نجران منها أيضاً إلى الكوفة، وقسم خيبر، ووادى القرى، ونجران بين المسلمين. قال: وفيها دون عمر الدواوين، وزعم غيره أنه دونها قبل ذلك فالله أعلم. قال: وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجى إلى الحبشة في البحر فأصيبوا فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعدها. وقد خالف الواقدى في هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين - يعنى في خلافة عثمان بن عفان - والله أعلم. قال الواقدى: وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد بن عتبة. التى مات عنها الحارث بن هشام في الطاعون. وهى أخت خالد بن الوليد. قال: وفيها مات هلال بدمشق، وأسيد بن الحضير في شعبان، وزينب بنت جحش أم المؤمنين. وهى أول من مات من أمهات المؤمنين رضى الله عنها. قال: وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين. قال: وحج بالناس في هذه السنة عمر ونوابه وقضاته من تقدم في التى قبلها. سوى من ذكرنا أنه عزله وولى غيره.

ذكر المتوفين من الأعيان - أسيد بن الحضير

ابن سماك الأنصارى الأشهلى من الأوس، أبو يحيى أحد النقباء ليلة العقبة، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حضير الكتائب، يقال إنه أسلم

على يدى مصعب بن عمير . ولما هاجر الناس آخى رسول الله (ص) بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدراً . وفى الحديث الذى صححه الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أسيد بن الحضير » وذكر جماعة . وقدم الشام مع عمر وأثنت عليه عائشة ، وعلى سعد بن معاذ ، وعباد بن بشر ، رضى الله عنهم . وذكر ابن بكير أنه توفى بالمدينة سنة عشرين ، وأن عمر حمل بين عموديه وصلى عليه ودفن بالبقيع ، وكذا أرخ وفاته سنة عشرين الواقدى وأبو عبيد وجماعة .

انيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي

هو وابوه وجده صحابة وكان أنيس هذا عينا لرسول الله يوم حنين ، ، يقال إنه الذى قال له رسول الله (ص) «إغد يا أنيس إلى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها» والصحيح أنه غيره ، فان فى الحديث « فقال لرجل من أسلم » فقيل : انه أنيس بن الضحاك الأسلمى . وقد مال ابن الأثير إلى ترجيحه والله أعلم . له حديث فى الفتنة قال إبراهيم بن المنذر : توفى فى ربيع الأول سنة عشرين .

بلال بن ابي رباح الحبشي المؤذن مولى ابي بكر

ويقال له بلال بن حمامة . وهى أمه . أسلم قديما فعذب فى الله فصبر فاشتراه الصديق فأعتقه ، شهد بدراً وما بعدها . وكان عمر يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا رواه البخارى . ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذى يؤذن بين يدى رسول الله (ص) وابن أم مكتوم يتناوبان ، تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال ندى الصوت حسنه ، فصيحاً ، وما يروى « أن سين بلال عند الله شينا » فليس له أصل . وقد أذن يوم الفتح على ظهر الكعبة . ولما توفى رسول الله (ص) ترك الأذان ، ويقال أذن للصديق أيام خلافته ولا يصح . ثم خرج إلى الشام مجاهدا ، ولما قدم عمر إلى الجابية أذن بين يديه بعد الخطبة لصلاة الظهر ، فانتحب الناس بالبكاء . وقيل إنه زار المدينة فى غضون ذلك [فأذن فبكى الناس بكاء شديداً ويحق لهم ذلك] (١) رضى الله عنهم . وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) قال لبلال « إنى دخلت الجنة فسمعت خشف نعليك أمامى فأخبرنى بأرجى عمل عملته » . فقال : ما توضأت إلا وصليت ركعتين . « فقال بذاك » وفى رواية « ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا رأيت أن على أن أصلى ركعتين » قالوا : وكان بلال آدم شديد الأدمة طويلا نحيفا كثير الشعر خفيف العارضين . قال ابن بكير : توفى بدمشق فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة . وقال محمد بن إسحق وغير واحد : توفى سنة عشرين . قال الواقدى : ودفن بباب الصغير وله بضع وستون سنة .

---

(١) لم ترد فى الحلبية .

. وقال غيره : مات بداريا ودفن بباب كيسان . وقيل دفن بداريا ، وقيل إنه مات بحلب . والأول أصح والله أعلم .

سعيد بن عامر بن خذيم

من أشراف بني جمح ، شهد خيبر وكان من الزهاد والعباد ، وكان أميراً لعمر على حمص بعد أبي عبيدة ، بلغ عمر أنه قد أصابته جراحة شديدة ، فأرسل إليه بألف دينار فتصدق بها جميعها ، وقال لزوجته : أعطيناها لمن يتجر لنا فيها رضى الله عنه . قال خليفة : فتح هو ومعاوية قيسارية كل منهما أمير على من معه .

عياض بن غُنم

أبو سعد الفهري من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا وما بعدها ، وكان سمحا جوادا ، شجاعا ، وهو الذي افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازيا ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين عن ستين سنة .

أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب بن عم رسول الله (ص) قيل اسمه المغيرة . أسلم عام الفتح فحسن إسلامه جدا وكان قبل ذلك من أشد الناس على رسول الله (ص) ، وعلى دينه ومن تبعه ، وكان شاعراً مطيقاً يهجو الاسلام وأهله ، وهو الذي رد عليه حسان بن ثابت رضى الله عنه فى قوله :

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عني * مغلغلةً فقدْ برحَ الخفاءُ
هجوتَ محمداً وأجبتَ عنه * وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزاءُ
أتهجوهُ ولستَ لهُ بكفءٍ * فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ

ولما جاء هو وعبد الله بن أبي أمية ليسلما لم يأذن لهما عليه السلام حتى تشفعت أم سلمة لأخيها فأذن له ، و بلغه أن أبا سفيان هذا قال : والله لئن لم يأذن لي لآخذن بيد بني هذا ـ لولد معه صغير ـ فلا ذهبن فلا يدرى أين أذهب . فرق حينئذ له رسول الله (ص) ، وأذن له ، ولزم رسول الله (ص) ، يوم حنين وكان آخذاً بلجام بغلته يومئذ ، وقد روى أن رسول الله (ص) أحبه وشهد له بالجنة ، وقال « أرجو أن تكون خلفا من حمزة » وقد رثى رسول الله (ص) حين توفى بقصيدة ذكرناها فيما سلف وهى التى يقول فيها :

أرقتُ فبات ليلى لا يزولُ * وليلُ أخِ المصيبةِ فيهِ طولُ
وأسعدنى البكاءُ وذاكَ فيما * أصيبَ المسلمونَ بهِ قليلُ
فقدْ عظمتْ مصيبتُنا وجلتْ * عشيةَ قيلَ قدْ قبضَ الرسولُ

فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل

ذكروا أن أبا سفيان حج فلما حلق رأسه قطع الحالق ثؤلولاله في رأسه فتمرض منه فلم يزل كذلك حتى مات بعد مرجعه إلى المدينة، وصلى عليه عمر بن الخطاب. وقد قيل إن أخاه نوفلا توفى قبله بأربعة أشهر والله أعلم.

ابو الهيثم بن التيهان

هو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن دعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى، شهد العقبة نقيبا، وشهد بدراً وما بعدها، ومات سنة عشرين، وقيل إحدى وعشرين، وقيل إنه شهد صفين مع على، قال ابن الأثير وهو الأكثر. وقد ذكره شيخنا هنا فالله أعلم.

زينب بنت جحش

ابن رباب الأسدية من أسد خزيمة أول أمهات المؤمنين وفاة، أمها أميمة بنت عبد المطلب، وكان اسمها برة، فسماها رسول الله زينب، وتكنى أم الحكم، وهى التى زوجه الله بها، وكانت تفتخر بذلك على سائر أزواج النبى (ص)، فتقول: زوجكن أهلوكن وزوجنى الله من السماء. قال الله تعالى [فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها] الآية. وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، فلما طلقها تزوجها رسول الله (ص). قيل كان ذلك فى سنة ثلاث وقيل أربع وهو الأشهر. وقيل سنة خمس. وفى دخوله عليه السلام بها نزل الحجاب كما ثبت فى الصحيحين عن أنس. وهى التى كانت تسامى عائشة بنت الصديق فى الجمال والحظوة، وكانت دينة ورعة عابدة كثيرة الصدقة. وذلك الذى أشار إليه رسول الله (ص) بقوله «أسرعكن لحاقا بى أطولكن يداً» أى بالصدقة. وكانت امرأة صناعا تعمل بيديها وتتصدق على الفقراء. قالت عائشة: ما رأيت امرأة قط خيراً فى الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة من زينب بنت جحش. ولم تحج بعد حجة الوداع لا هى ولا سودة، لقوله عليه السلام لأزواجه «هذه ثم ظهور الحصر» وأما بقية أزواج النبى (ص) فكن يخرجن إلى الحج وقالتا زينب وسودة: والله لاتحركنا بعده دابة. قالوا: وبعث عمر إليها فرضها اثنى عشر ألفاً فتصدقت به فى أقاربها. ثم قالت. اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد هذا. فماتت فى سنة عشرين وصلى عليها عمر. وهى أول من صنع لها النعش، ودفنت بالبقيع.

صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول

وهى أم الزبير بن العوام، وهى شقيقة حمزة والمقوم وحجل، أمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهرة. لاخلاف فى إسلامها وقد حضرت يوم أحد ووجدت على أخيها حمزة وجدا كثيراً، وقتلت

يوم الخندق رجلا من اليهود جاء فجعل يطوف بالحصن التي هي فيه وهو فارع حصن حسان فقالت لحسان : انزل فاقتله ، فأبى ، فنزلت إليه فقتلته ثم قالت : انزل فاسلبه فلولا أنه رجل لاستلبته . فقال: لا حاجة لي فيه . وكانت أول امرأة قتلت رجلا من المشركين . وقد اختلف في إسلام من عداها من عمات النبي (ص) فقيل : أسلمت أروى وعاتكة . قال ابن الأثير وشيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ : والصحيح أنه لم يسلم منهن غيرها . وقد تزوجت أولا بالحارث بن حرب بن أمية . ثم خلف عليها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة . وقيل تزوج بها العوام بكراً ، والصحيح الاول توفيت بالمدينة سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة . ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وقد ذكر ابن إسحق من توفي غيرها .

عويم بن ساعدة الأنصاري

شهد العقبتين والمشاهد كلها وهو أول من استنجى بالماء ، وفيه نزل قوله تعالى [فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] وله روايات توفي هذه السنة بالمدينة * بشر بن عمرو بن حنش يلقب بالجارود ، أسلم في السنة العاشرة ، وكان شريفاً مطاعاً في عبد القيس، وهو الذي شهد على قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر ، فعزله عمر عن اليمن وحده قتل الجارود شهيدا * أبو خراشة خويلد بن مرة الهذلي ، كان شاعرا مجيداً مخضرما أدرك الجاهلية والاسلام وكان إذا جرى سبق الخيل . نهشته حية فمات بالمدينة .

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وكانت وقعة نهاوند

وهي وقعة عظيمة جداً لها شان رفيع ونبأ عجيب ،وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح

قال ابن إسحق والواقدي : كانت وقعة نهاوند في سنة إحدى وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة سبع عشرة . وقيل في سنة تسع عشرة والله أعلم . وإنما ساق أبو جعفر بن جرير قصتها في هذه السنة فتبعناه في ذلك وجمعنا كلام هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقا واحداً ، حتى دخل سياق بعضهم في بعض . قال سيف وغيره : وكان الذي هاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز ومنعوا جيش العلاء من أيديهم واستولوا على دار الملك القديم من اصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم حديثا ، وهي المدائن ، وأخذ تلك المدائن والأقاليم والكور والبلدان الكثيرة ، فحموا عند ذلك واستجاشهم يزدجرد الذي تقهقر من بلد إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعداً طريداً ، لكنه في أسرة من قومه وأهله وماله ، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان ، فتجمعوا وتراسلوا حتى كمل لهم من الجنود مالم يجتمع لهم قبل ذلك ، فبعث سعد إلى عمر يعلمه بذلك ، وثار أهل الكوفة على سعد في غضون هذا الحال . فشكوه في كل شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلي . وكان الذي نهض

بهذه الشكوى رجل يقال له : الجراح بن سنان الأسدى فى نفر معه ، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه قال لهم عمر : إن الدليل على ماعندكم من الشر نهوضكم فى هذا الحال عليه ، وهو مستعد لقتال أعداء الله ، وقد جمعوا لكم ، ومع هذا لايمنعنى أن أنظر فى أمركم . ثم بعث محمد بن مسلمة ـ وكان وصول العمال ـ فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة فكل يثنى على سعد خيراً إلا ناحية الجراح بن سنان فانهم سكتوا فلم يذموا ولم يشكروا ، حتى انتهى إلى بنى عبس ، فقام رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة ، فقال : أما إذ ناشدتنا فان سعدا لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى الرعية ، ولايغزو فى السرية . فدعا عليه سعد فقال : اللهم إن كان قالها كذبا ورياء وسمعة فاعم بصره ، وكثر عياله ، وعرضه لمضلات الفتن . فعمى واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فاذا عثر عليه قال : دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكل أصابته قارعة فى جسده ، ومصيبة فى ماله بعد ذلك . واستنفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند فى غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب . ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجراح وأصحابه حتى جاءوا عمر فسأله عمر : كيف يصلى ؟ فأخبره أنه يطول فى الأوليين ويخفف فى الأخريين وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله (ص) . فقال له عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحق . وقال سعد فى هذه القصة . لقد أسلمت خامس خمسة ، ولقد كنا ومالنا طعام إلا ورق الحبلة حتى تقرحت أشداقنا ، وإنى لأول رجل رمى بسهم فى سبيل الله ، ولقد جمع لى رسول الله (ص) أبويه وما جمعهما لأحد قبلى ، ثم أصبحت بنو أسد يقولون لا يحسن يصلى . وفى رواية يعزرونى على الاسلام ، لقد خبت إذا وضل عملى . ثم قال عمر لسعد : من استخلفت على الكوفة ؟ فقال : عبد الله بن عبد الله ابن عتبان ، فأقره عمر على نيابته الكوفة ـ وكان شيخا كبيراً من أشراف الصحابة حليفا لبنى الحبلى من الأنصار ـ واستمر سعد معزولا من غير عجز ولا خيانة وتهدد اولئك النفر وكاد يوقع بهم بأساً . ثم ترك ذلك خوفا من أن لا يشكو أحدا أميراً .

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند . حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل ، وعليهم الفيرزان ويقال : بندار ، ويقال ذو الحاجب . وتذامروا فيما بينهم ، وقالوا : إن محمداً الذى جاء العرب لم يتعرض لبلادنا ، ولا أبو بكر الذى قام بعده تعرض لنا فى دار ملكنا ، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا فى عقر دارنا ، وأخذ بيت المملكة وليس بمنته حتى يخرجكم من بلادكم . فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغلوا عمر عن بلاده ، وتواثقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتابا . فلما كتب سعد بذلك إلى عمر ـ وكان قد عزل سعداً فى غضون ذلك ـ شافه سعد عمر بما

تمالؤا عليه وقصدوا إليه ، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفا . وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله ابن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدى بأنهم قد اجتمعوا وهم مستحرفون متذامرون على الاسلام وأهله ، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن تقصدهم فنعاجلهم عما هموا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا . فقال عمر لحامل الكتاب : ما اسمك ؟ قال : قريب . قال : ابن من ؟ قال : ابن ظفر . فتفاءل عمر بذلك وقال : ظفر قريب . ثم أمر فنودى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبى وقاص ، فتفاءل عمر أيضا بسعد ، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال : إن هـذا يوم له مابعده من الأيام ، ألا وإنى قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، إنى قـد رأيت أن أسير بمن قبلى حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستنفر الناس ، ثم أكون لهم ردءاً حتى يفتح الله عليهـم . فقام عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف فى رجال من أهل الرأى ، فتكلم كل منهم بانفراده فأحسن وأجاد ، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوث ويحصرهم برأيه ودعائه . وكان من كلام على رضى الله عنـه أن قال : ياأمير المؤمنين ، إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، هو دينـه الذى أظهر ، وجنـده الذى أعزه وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ . فنحن على موعود من الله والله منجز وعـده ، وناصر جنـده ، ومكانك منهـم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الخرز يجمعه و يمسكه ، فاذا انحل تفرق مافيه وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهـم كثير عزيز بالاسـلام ، فأقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، فليذهب منهم الثلثان ويقيم الثلث ، واكتب إلى أهل البصرة يمدونهم أيضا ــ وكان عثمان قد أشار فى كلامه أن يمدهم فى جيوش من أهل اليمن والشام . ووافق عمر على الذهاب إلى مابين البصرة والكوفة ــ فرد على على عثمان فى موافقته على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم ، ورد رأى عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفا على بلادهم إذا قل جيوشها من الروم . ومن أهل اليمن خوفا على بلادهم من الحبشة . فأعجب عمر قول على وسر بـه ــ وكان عمر إذا استشار أحدا لايبرم أمرا حتى يشاور العباس ــ فلما أعجبه كلام الصحابة فى هـذا المقام عرضه على العباس فقال : يا أمير المؤمنين خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم . ثم قال عمر : أشيروا على بمن أوليه أمر الحرب وليكن عراقيا . فقالوا : أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين . فقال : أما والله لأولين رجلا يكون أول الأسنة إذا لقيها غدا . قالوا : من يا أمير المؤمنين ؟ قال . النعمان بن مقرن . فقالوا : هو لها ــ وكان النعمان قـد كتب إلى عمر وهو عـلى كسكر وسأله أن يعزله عنها و يوليه قتال أهل نهاوند ــ فلهذا أجابه إلى ذلك وعينه له ، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود

منها ، وكتب إلى أبى موسى أن يسير بجنود البصرة ، وكتب إلى النعمان ـ وكان بالبصرة ـ أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن . فاذا قتل فحذيفة بن اليمان ، فان قتل فجرير بن عبدالله ، فان قتل فقيس بن مكشوح ، فان قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة ، وقيل لم يسم فيهم والله أعلم .

وصورة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر أمير المؤمنين ، إلى النعمان بن مقرن سلام عليك ، فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فانه قد بلغنى أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فاذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله و بعون الله و بنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة ، فان رجلا من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار ، والسلام عليك . فسر فى وجهك ذلك حتى تأتى ماه فانى قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها ، فاذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا وأكثروا من لاحول ولاقوة إلا بالله » . وكتب عمر إلى نائب الكوفة ـ عبد الله بن عبد الله ـ أن يعين جيشا و يبعثهم إلى نهاوند ، وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهى إلى النعمان بن مقرن ، فان قتل النعمان فحذيفة ، فان قتل فنعيم بن مقرن . وولى السائب بن الأقرع قسم الغنائم . فسار حذيفة فى جيش كثيف نحو النعمان ابن مقرن ليوافوه بماه ، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق ، وقد أرصد فى كل كورة ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس فى كل ناحية ، واحتاطوا احتياطا عظيما ، ثم انتهوا إلى النعمان ابن مقرن حيث اتعدوا ، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده فى هذه الوقعة ، فكمل جيش المسلمين فى ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبى ، فمنهم من سادات الصحابة و رءوس العرب خلق كثير وجم غفير ، منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وحذيفة بن اليمان ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وطليحة بن خويلد الأسدى ، وقيس بن مكشوح المرادى . فسار الناس نحو نهاوند و بعث النعمان بن مقرن الأمير بين يديه طليعة ثلاثة وهم طليحة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وعمرو بن أبى سلمة . ويقال له عمرو بن ثبى أيضاً ، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه . فسارت الطليعة يوما وليلة فرجع عمرو بن ثبى فقيل له : ما رجعك ؟ فقال : كنت فى أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها . ثم رجع بعده عمرو بن معدى كرب وقال : لم نر أحدا وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ، ونفذ طليحة ولم يحفل برجوعهما فسار بعد ذلك نحواً من بضعة عشر فرسخا حتى انتهى إلى نهاوند ، ودخل فى العجم وعلم من أخبارهم ما أحب ، ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك ، وأنه ليس بينه و بين نهاوند

شئ يكرهه . فسار النعمان على تعبئته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن ، وعلى المجنبتين حذيفة وسويد بن مقرن ، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان ، ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية فى تلك الأيام المتقدمة ، وهو فى مائة وخمسين ألفا ، فلما تراءا الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعبا شديدا . ثم أمر النعمان بحط الاثقال وهو واقف ، فحط الناس أثقالهم ، وتركوا رحالهم ، وضربوا خيامهم وقبابهم . وضربت خيمة للنعمان عظيمة ، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشراف الجيش ، وهم حذيفة بن اليمان ، وعتبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن الخصاصية ، وحنظلة الكاتب ، وابن الهوبر ، وربعى بن عامر ، وعامر بن مطر ، وجرير بن عبد الله الحميرى ، وجرير بن عبد الله البجلى ، والأقرع بن عبد الله الحميرى ، والأشعث بن قيس الكندى ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، ووائل بن حجر ، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة ، وحين حطوا الأثقال أمر النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء ، فاقتتلوا ذلك اليوم والذى بعده والحرب سجال ، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا فى حصنهم ، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ماشاء الله ، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا . وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلا من المسلمين ليكلمه ، فذهب إليه المغيرة بن شعبة ، فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه ، وفيما خاطبه به من الكلام فى احتقار العرب واستهانته بهم ، وأنهم كانوا أطول الناس جوعا ، وأقلهم دارا وقدرا . وقال : ما يمنع هؤلاء الأساورة حولى أن ينتظموكم بالنشاب إلا تجا من جيفكم ، فان تذهبوا نخل عنكم ، وإن تأبوا نزركم مصارعكم . قال : فتشهدت وحمدت الله وقلت : لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت ، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر فى الدنيا ، والخير فى الآخرة ، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا ، وقد جئناكم فى بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على بلادكم وما فى أيديكم أو نقتل بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعور لقد صدقكم مافى نفسه . فلما طال على المسلمين هذا الحال واستمر ، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأى من الجيش ، وتشاوروا فى ذلك ، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون فى صعيد واحد ، فتكلم عمرو بن أبى سلمة أولا ـ وهو أسن من كان هناك ـ فقال : إن بقاءهم على ماهم عليه أضر عليهم من الذى يطلبه منهم وأبقى على المسلمين . فرد الجميع عليه وقالوا : إنا لعلى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا . وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال : ناهدهم وكاثرهم ولاتخفهم . فردوا جميعا عليه وقالوا : انما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا . وتكلم طليحة الأسدى فقال : إنهما لم يصيبا ، وإنى أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم وينادشوهم بالقتال ويحمشوهم فاذا برزوا إليهم فليفروا إليهم هرابا ، فاذا استطردوا

وراءهم وانتموا إلينا عزمنا أيضا على الفرار كلنا ، فانهم حينئذ لا يشكون فى الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم ، فاذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضى الله بيننا . فاستجاد الناس هذا الرأى ، وأمر النعمان على المجردة القعقاع بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم . ففعل القعقاع ذلك ، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاع بمن معه ثم نكص ثم نكص فاغتنمها الأعاجم ، ففعلوا ما ظن طليحة ، وقالوا : هى هى ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب ، حتى انتهوا إلى الجيش ، والنعمان بن مقرن على تعبئته . وذلك فى صدر نهار جمعة ، فعزم الناس على مصادمتهم ، فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وتهب الأرواح ، وينزل النصر كما كان رسول الله (ص) يفعل . وألح الناس على النعمان فى الحملة فلم يفعل — وكان رجلا ثابتاً — فلما حان الزوال صلى بالمسلمين ثم ركب برذوناً له أحوى قريبا من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات ، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبر الأولى فيتأهب الناس للحملة ، ويكبر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة . ثم رجع إلى موقفه . وتعبت الفرس تعبئة عظيمة واصطفوا صفوفاً هائلة . فى عدد وعُدد لم ير مثله ، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم فى بعض وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار ، ولا التحيز . ثم إن النعمان بن مقرن رضى الله عنه كبر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة ، ثم كبر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضاً ، ثم كبر الثالثة وحمل وحمل الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة ، حتى تصافحوا بالسيوف فاقتتلوا قتالا لم يعهد مثله فى موقف من المواقف المتقدمة ، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها ، قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبق وجه الأرض دما ، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه ، حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه فى ذلك الدم فوقع وجاءه سهم فى خاصرته فقتله ، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد ، وقيل نعيم ، وقيل غطاه بثوبه وأخفى موته ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان ، فأقام حذيفة أخاه نعيما مكانه ، وأمر بكتم موته حتى ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس . فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون [وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقعوا فى الخندق وفى تلك الأودية نحو مائة ألف] (١) وجعلوا يتساقطون فى أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون ، سوى من قتل فى المعركة ، ولم يفلت منهم إلا الشريد . وكان الفيرزان أميرهم قد صرع فى المعركة فانفلت وانهزم واتبعه نعيم بن مقرن ، وقدم القعقاع بين يديه

(١) سقط من المصرية .

وقصد الفيرزان همدان فلحقه القعقاع وأدركه عند ثنية همدان ، وقد أقبل منها بغال كثير وحُمُر تحمل عسلا ، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم ، وذلك لحينه فترجل وتعلق فى الجبل فاتبعه القعقاع حتى قتله ، وقال المسلمون يومئذ : إن لله جنوداً من عسل ، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال وسميت تلك الثنية ثنية العسل . ثم لحق القعقاع بقية المنهزمين منهم إلى همدان وحاصرها وحوى ماحولها، فنزل إليه صاحبها — وهو خسرشنوم — فصالحه عليها . ثم رجع القعقاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين ، وقد دخلوا بعد الوقعة نهاوند عنوة ، وقد جمعوا الأسلاب والمغانم إلى صاحب الأقباض وهو السائب ابن الأقرع . ولما سمع أهل ماه بخبر أهل همدان بعثوا إلى حذيفة وأخذوا لهم منه الأمان : وجاء رجل يقال له الهربذ — وهو صاحب نارهم — فسأل من حذيفة الأمان ويدفع إليهم وديعة عنده لكسرى ، ادخرها لنوائب الزمان ، فأمنه حذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءتين جوهراً ثميناً لا يقوم ، غير أن المسلمين لم يعبئوا به ، واتفق رأيهم على بعثه لعمر خاصة ، وأرسلوه صحبة الأخماس والسبى صحبة السائب بن الأقرع ، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم ، ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة فى الغانمين ، ورضخ ونفل لذوى النجدات ، وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من ورائهم ، ومن كان ردءاً لهم ، ومنسوباً إليهم . وأما أمير المؤمنين فانه كان يدعو الله ليلا ونهاراً لهم ، دعاء الحوامل المقربات ، وابتهال ذوى الضرورات ، وقد استبطأ الخبر عنهم فبينما رجل من المسلمين ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل ؟ فقال : من نهاوند . فقال : ما فعل الناس ؟ قال : فتح الله عليهم وقتل الأمير . وغنم المسلمون غنيمة عظيمة أصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . ثم فاته وقدم ذلك الرجل المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله عمن أخبره ، فقال : راكب . فقال : إنه لم يجئنى ، وإنما هو رجل من الجن وهو بريدهم واسمه عثيم ، ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام ، وليس معه سوى الفتح ، فسأله عمن قتل النعمان فلم يكن معه علم حتى قدم الذين معهم الأخماس فأخبروا بالأمر على جليته ، فاذا ذاك قد الجنى شهد الوقعة ورجع سريعاً إلى قومه نذيراً . ولما أخبر عمر بقتل النعمان بكى وسأل السائب عمن قتل من المسلمين فقال : فلان وفلان وفلان ، لأعيان الناس وأشرافهم .

ثم قال وآخرون من أفناد الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين ، فجعل يبكى ويقول : وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين ؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر . ثم أمر بقسمة الخمس على عادته ، وحملت ذانك السفطان إلى منزل عمر ، ورجعت الرسل ، فلما أصبح عمر طلبهم فلم يجدهم ، فأرسل فى إثرهم البرد فما لحقهم البريد إلا بالكوفة .

قال السائب بن الأقرع : فلما أنخت بعيرى بالكوفة ، أناخ البريد على عرقوب بعيرى ، وقال :

أجب أمير المؤمنين ، فقلت : لماذا ؟ فقال : لا أدرى . فرجعنا على إثرنا ، حتى انتهيت إليه . قال : مالى ولك يا ابن أم السائب ، بل مالا بن أم السائب ومالى ، قال : فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك والله إن هو إلا أن نمت فى الليلة التى خرجت فيها فباتت ملائكة الله تسحبنى إلى ذينك السفطين وهما يشتعلان ناراً ، يقولون لنكوينك بهما . فأقول : إنى سأقسمهما بين المسلمين . فاذهب بهما لا أبالك فبعهما فاقسمهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم ، فإنهم لايدرون ما وهبوا ولم تدر أنت معهم .

قال السائب : فأخذتهما حتى جئت بهما مسجد الكوفة وغشيتنى التجار فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بألفى ألف . ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف . فما زال أكثر أهل الكوفة مالا بعد ذلك . قال سيف : ثم قسم ثمنهما بين الغانمين فنال كل فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطين . قال الشعبى : وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللراجل ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً .

قال : وافتتحت نهاوند فى أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر ، رواه سيف عن عمرو ابن محمد عنه . وبه عن الشعبى قال : لما قدم سبى نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة — فيروز غلام المغيرة ابن شعبة — لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدى — وكان أصل أبى لؤلؤة من نهاوند فأسرته الروم أيام فارس وأسرته المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سبى — قالوا : ولم تقم للأعاجم بعد هذه الوقعة قائمة ، وأتحف عمر الذين أبلوا فيها بألفين تشريفاً لهم وإظهاراً لشأنهم .

وفى هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نهاوند مدينة جىّ — وهى مدينة أصبهان — بعد قتال كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفراً إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين . وقيل : إن الذى فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه قتل بها ، ووقع أمير المجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهزم أصحابه . والصحيح أن الذى فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان — الذى كان نائب الكوفة — وفيها افتتح أبو موسى قم وقاشان ، وافتتح سهيل بن عدى مدينة كرمان .

وذكر ابن جرير عن الواقدى : أن عمرو بن العاص سار فى جيش معه إلى طرابلس قال : وهى برقة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار فى كل سنة .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهرى إلى زويلة ففتحها بصلح ، وصار ما بين برقة إلى زويلة سلماً للمسلمين . قال : وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة الذى ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال ، فاشتكى

أهل الكوفة من عمار فاستعفى عمار من عمله ، فعزله وولى جبير بن مطعم ، وأمره أن لا يعلم أحداً ، وبعث المغيرة بن شعبة امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت : اذهبي فأتيني به . فذهب المغيرة إلى عمر فقال : بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة . فقال : وما ذاك ؟ و بعث إلى جبير بن مطعم فعزله وولى المغيرة بن شعبة ثانية ، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضى الله عنهم

قال : وفيها حج عمر واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلدان المتقدمون فى السنة التى قبلها سوى الكوفة .

قال الواقدى : وفيها توفى خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال غيره توفى سنة ثلاث وعشرين ، وقيل بالمدينة . والأول أصح . وقال غيره : وفيها توفى العلاء بن الحضرمى فولى عمر مكانه أبا هريرة . وقد قيل إن العلاء توفى قبل هذا كما تقدم والله أعلم .

وقال ابن جرير فيما حكاه عن الواقدى : وكان أمير دمشق فى هذه السنة عمير بن سعيد ، وهو أيضاً على حمص وحوران وقنسرين والجزيرة ، وكان معاوية على البلقاء والأردن ، وفلسطين ، والسواحل وإنطاكية ، وغير ذلك .

ذكر من توفي سنة إحدى وعشرين

خالد بن الوليد

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى أبو سليمان المخزومى ، سيف الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يقهر فى جاهلية ولا إسلام . وأمه عصماء بنت الحارث ، أخت لبابة (١) بنت الحارث ، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين . قال الوقدى : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الامارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالا شديداً لم ير مثله ، اندقت فى يده تسعة أسياف ، ولم تثبت فى يده إلا صفيحة يمانية . وقد قال رسول الله ص « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه » . وقد روى أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو فى الحرب فجعل يستحث فى طلبها فعوتب فى ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله ص ، وإنها ما كانت معى فى موقف إلا نصرت بها .

وقد روينا فى مسند أحمد من طريق الوليد بن مسلم عن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده وحشى بن حرب عن أبى بكر الصديق أنه لما أمر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله ص يقول « فنعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله

(١) الذى فى المصرية : أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

سله الله على الكفار والمنافقين» وقال أحمد : حدثنا حسين الجعفى عن زائدة عن عبدالملك بن عمير قال : استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيـدة على الشام وعزل خالد بن الوليد ، فقال خالد : بعث إليكم أمين هذه الأمة ، [سمعت رسول الله (ص.) يقول « أمين هذه الأمة] (١) أبو عبيدة بن الجراح » فقال أبو عبيدة : سمعت رسول الله (ص.) يقول « خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشيرة » وقد أورده ابن عساكر من حديث عبد الله بن أبى أوفى ، وأبى هريرة ، ومن طرق مرسلة يقوى بعضها بعضاً . وفى الصحيح « وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعبده فى سبيل الله » وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزا بنى جذيمة أميراً فى حياته عليه السلام . واختلف فى شهوده خيبر [وقد دخل مكة أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش ، كما قدمنا ذلك مبسوطا فى موضعه ، ولله الحمد والمنة . و بعثه رسول الله (ص.) إلى العزى ـ وكانت لهوازن ـ فكسر قبتها أولا ثم دعثرها وجعل يقول : ياعزى كفرانك لا سبحانك * إنى رأيت الله قد أهانك . ثم حرقها] (٢) وقـد استعمله الصديق بعد رسول الله (ص.) على قتال أهل الردة وما نعى الزكاة ، فشفى واشتفى . ثم وجهه إلى العراق ثم أتى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقر بها القلوب والعيون ، وتتشنف بها الأسماع . ثم عزله عمر عنها وولى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً فى الحرب ، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضى الله عنه .

وقد روى الواقدى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال : لقد حضرت كذا وكذا زحفاً ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء . وقال أبو يعلى : ثنا شريح بن يونس ثنا يحيى بن زكريا عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس . قال : قال خالد بن الوليد : ما ليلة يهدى إلى فيها عروس ، أو أبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو . وقال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن خيثمة قال : أتى خالد برجل معه زق خمر فقال : اللهم اجعله عسلا ، فصار عسلا . وله طرق ، وفى بعضها مر عليه رجل معه زق خمر فقال له خالد : ماهذا ؟ فقال : عسل فقال : اللهم اجعله خلا ، فلما رجع إلى أصحابه قال : جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثله ، ثم فتحه فاذا هو خل ، فقال أصابه والله دعوة خالد رضى الله عنه . وقال حماد بن سلمة عن ثمامة عن أنس . قال : لقى خالد عدواً له فولى عنه المسلمون منهزمين وثبت هو وأخو البراء بن مالك ؛ وكنت بينهما واقفاً ، قال : فنكس خالد رأسه ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعة ـ قال : وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا ـ ، ثم

(١) و (٢) سقط من الحلبية .

قال لأخى البراء : قم فركبا ، واختطب خالد من معه من المسلمين وقال : ماهو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل . ثم حمل بهم فهزم المشركين .

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبى بكر : اكتب إلى خالد أن لا يعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمرك . فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك ، فكتب إليه خالد : إما أن تدعنى وعملى ، و إلا فشأنك بعملك . فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر : فمن يجزى عنى جزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال : فأنت . فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر فى الدار ، ثم جاء الصحابة فأشاروا على الصديق بإبقاء عمر بالمدينة و إبقاء خالد بالشام . فلما ولى عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله ، وقال : ما كان الله ليرانى آمر أبا بكر بشئ لا أنفذه أنا . وقد روى البخارى فى التاريخ وغيره من طريق على بن رباح عن ياسر بن سمى البزنى ، قال : سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد ، فقال : أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس ، وذا الشرف واللسان ، فأمرت أبا عبيدة . فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة : ما اعتذرت ياعمر ، لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله (ص.) ، ووضعت لواء رفعه رسول الله (ص.) ، وأغمدت سيفاً سله الله ، ولقد قطعت الرحم ، وحسدت ابن العم . فقال عمر : إنك قريب القرابة ، حديث السن ، مغضب فى ابن عمك .

قال الواقدى رحمه الله ، ومحمد بن سعيد وغير واحد : مات سنة إحدى وعشرين بقرية على ميل من حمص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال دحيم وغيره : مات بالمدينة . والصحيح الأول . وقدمنا فيما سلف تعزير عمر له حين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف ، وأخذه من ماله عشرين ألفاً أيضاً . وقدمنا عتبه عليه لدخوله الحمام وتدلكه بعد النورة بدقيق عصفر معجون بخمر ، واعتذار خالد إليه بأنه صار غسولا . وروينا عن خالد أنه طلق امرأة من نسائه وقال : إنى لم أطلقها عن ريبة ، ولكنها لم تمرض عندى ولم يصبها شئ فى بدنها ولا رأسها ولا فى شئ من جسدها . وروى سيف وغيره : أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن العراق : إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعاً . وروى سيف أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ : إنك على لكريم ، وإنك عندى لعزيز ، ولن يصل إليك منى أمر تكرهه بعد ذلك . وقد قال الأصمعى عن سلمة عن بلال عن مجالد عن الشعبى قال : اصطرع عمر وخالد وهما غلامان — وكان خالد ابن خال عمر — فكسر خالد ساق عمر ، فعولجت وجبرت ، وكان ذلك سبب العداوة بينهما . وقال الأصمعى عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير فقال عمر : ما هذا ياخالد ؟ فقال : وما بأس يا أمير المؤمنين ، أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف ؟ فقال : وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك مثل ما لابن عوف ؟ عزمت

على من بالبيت إلا أخذ كل واحد منهم بطائفة مما يليه . قال : فمزقوه حتى لم يبق منه شئ . وقال عبد الله بن المبارك عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ـ ثم شك حماد في أبي وائل ـ قال : ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال : لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي . وما من عملي شئ أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلني تمطر إلى الصبح ، حتى نغير على الكفار . ثم قال : إذا أنامت فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله . فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن مالم يكن نقعا أو لقلقة .

قال ابن المختار : النقع التراب على الرأس ، واللقلقة الصوت . وقد علق البخاري في صحيحه بعض هذا فقال : وقال عمر : دعهن يبكين على أبي سليمان مالم يكن نقع أو لقلقة . وقال محمد بن سعد ثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن نمير قالوا : حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بني المغيرة في دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهن قد اجتمعن في دار خالد يبكين عليه ، وهن خلقاء أن يسمعنك بعض ماتكره . فأرسل إليهن فانههن . فقال عمر : وما عليهن أن ينزفن من دموعهن على أبي سليمان ، مالم يكن نقعاً أو لقلقة . ورواه البخاري في التاريخ من حديث الأعمش بنحوه .

وقال إسحق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تندبه وتقول :

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ من القو * مِ إذا ما كبتْ وجوهُ الرجالِ

فقال : صدقت والله إن كان لكذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم . قال : فأقام خالد في المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به ، وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى خالد بعده وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها احدروني إلى مهاجري ، فقدمت به المدينة ومرضته فلما ثقل وأظل قدوم عمر لقيه لاق على مسيرة ثلاث صادراً عن حجة فقال له عمر بهم (١) فقال : خالد بن الوليد ثقيل لمابه . فطوى عمر ثلاثاً في ليلة فادركه حين قضى ، فرق عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جهز ، وبكته البواكي ، فقيل لعمر : ألا تسمع ألا تنهاهن ؟ فقال : وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ؟ مالم يكن نقع ولا لقلقة . فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محرمة تبكيه وتقول :

أنتَ خيرٌ منْ ألفِ ألف منَ النا * سِ إذا ما كبت وجوهُ الرجالِ

(١) كذا بالحلبية وفي المصرية بياض .

أشجاعٌ فأنتَ أشجعُ منْ ليثٍ * ضمرٍ بن جهمٍ أبى أشبالِ
أجوادٌ فأنتَ أجود منْ سيلٍ * دياسٍ يسيلُ بينَ الجبالِ

فقال عمر : من هـذه ؟ فقيل له : أمه . فقال : أمهُ والإله ثلاثاً . وهل قامت النساء عن مثل خالد . قال : فـكان عمر يتمثل فى طيه تلك الثلاث فى ليلة و فى قدومه .

تبكي ما وصلتْ بهِ الندامى * ولا تبكي فوارسَ كالجبالِ
أولئكَ إنْ بكيتَ أشد فقداً * من الاذهابِ والعكرِ الجلالِ
تمنى بعدهمْ قومٌ مدامٌ * فلمْ يدنوا لأسبابِ الـكمالِ

وفى رواية أن عمر قال لأم خالد : أخالداً أوأجره ترزئين ؟ عزمت عليك أن لا تبيتى حتى تسود يداك من الخضاب . وهذا كله مما يقتضى موته بالمدينة النبوية ، وإليه ذهب دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقى ، ولـكن المشهور عن الجمهور وهم الواقدى ، وكاتبه محمد بن سعد ، وأبو عبيد القاسم ابن سـلام ، و إبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن عبـد الله بن نمير ، وأبو عبد الله العصفرى ، وموسى بن أيوب ، وأبو سليمان بن أبى محمد وغـيرهم ، أنه مات بحمص سـنة إحدى وعشرين . زاد الواقدى : وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقد روى محمد بن سـعد عن الواقدى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد وغيره قالوا : قدم خالد المدينة بعد ما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام ، فلم يزل بها حتى مات فى سنة إحدى وعشرين . وروى الواقدى أن عمر رأى حجاجاً يصلون بمسجد قباء فقال : أين نزلتم بالشام ؟ قالوا : بحمص ، قال : فهل من معرفة خبر ؟ قالوا : نعم مات خالد بن الوليد . قال : فاسترجع عمر وقال : كان والله سـداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة . فقال له على : فلم عزلته ؟ قال : لبذله المال لذوى الشرف واللسان .

وفى رواية أن عمر قال لعلى : ندمت على ما كان منى . وقال محمد بن سعد : أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدى ثنا سفيان بن عيينة ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، سمعت قيس بن أبى حازم يقول : لما مات خالد بن الوليد قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت . وقال جويرية عن نافع قال : لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلامه وسـلاحه ، وقال القاضى المعافا بن زكريا الحريرى : ثنا أحمد بن العباس العسكرى ، ثنا عبد الله بن أبى سـعد حدثنى عبد الرحمن بن حمزة اللخمى ثنا أبو عـلى الحرنازى قال : دخل هشام بن البحترى فى ناس من بنى مخزوم على عمر بن الخطاب فقال له : ياهشام أنشدنى شعرك فى خالد . فأنشده فقال : قصرت فى الثناء على أبى سليمان رحمـه الله ، إنه كان ليحب أن يذل الشرك وأهله ، وإن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله . ثم قال عمر قاتل الله أخا بنى تميم ما أشعره

وقلْ للذى يبقى خلافَ الذى مضى * تهيأْ لأخرى مثلها فكأنْ قدى
فما عيشُ منْ قد عاشَ بعدى بنافعى * ولا موتُ منْ قد ماتَ يوماً بمخلدى

ثم قال عمر : رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه . ولقد مات سعيداً وعاش حميداً ولكن رأيت الدهر ليس بقائل .

طليحة بن خويلد

ابن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمر بن قعير بن الحارث بن ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمة الأسدى الفقعسى ، كان ممن شهد الخندق من ناحية المشركين ، ثم أسلم سنة تسع ، ووفد على رسول الله (ص) إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله (ص) فى أيام الصديق ، وادعى النبوة كما تقدم .. وروى ابن عساكر أنه ادعى النبوة فى حياة رسول الله (ص) وأن ابنه خيال قدم على رسول الله (ص) فسأله : ما اسم الذى يأتى إلى أبيك ؟ فقال : ذو النون الذى لا يكذب ولا يخون ، ولا يكون كما يكون . فقال : لقد سمى ملكا عظيم الشأن ، ثم قال لابنه : قتلك الله وحرمك الشهادة . ورده كما جاء . فقتل خيال فى الردة فى بعض الوقائع قتله عكاشة بن محصن ثم قتل طليحة عكاشة وله مع المسلمين وقائع . ثم خذله الله على يدى خالد بن الوليد ، وتفرق جنده فهرب حتى دخل الشام فنزل على آل جفنة ، فأقام عندهم حتى مات الصديق حياء منه ، ثم رجع إلى الاسلام واعتمر ، ثم جاء يسلم على عمر فقال له : اغرب عنى فانك قاتل الرجلين الصالحين ، عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم ، فقال : يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدى ولم يهنى بأيديهما . فأعجب عمر كلامه ورضى عنه . وكتب له بالوصاة إلى الأمراء أن يشاور ولا يولى شيئاً من الأمر ثم عاد إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك وبعض حروب كالقادسية ونهاوند الفرس ، وكان من الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، وقد حسن إسلامه بعد هذا كله . وذكره محمد بن سعد فى الطبقة الرابعة من الصحابة وقال : كان يعد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره بالحرب . وقال أبو نصر بن ماكولا : أسلم ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ، وكان يعدل بألف فارس . ومن شعره أيام ردته وادعائه النبوة فى قتل المسلمين أصحابه .

فما ظنكمْ بالقوم إذْ تقتلونهمْ * أليسوا وإنْ لم يسلموا برجالِ
فانْ يكنِ اذداد أصبنَ ونسوةٌ * فلم يذهبوا فرغاً بقتلِ خيالِ
نصبتُ لهم صدرَ الحالقِ إنها * معاودةٌ قتلَ الكماةِ نزالِ
فيوماً تراها فى الجلالِ مصونةً * ويوماً تراها غيرَ ذاتِ جلالِ
ويوماً تراها تضئُ المشرفيةُ نحوها * ويوماً تراها فى ظلالِ عوالي

عشيةَ غادرتُ ابنَ أقرمَ ثاوياً * وعكاشةُ العمى عندَ مجالِ

وقال سيف بن عمر عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبد الله . قال : بالله الذى لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كما هجمنا عليهم من أمانتهم و زهدهم ، طليحة بن خويلد الأسدى ، وعمرو بن معدى كرب ، وقيس ابن المكشوح . قال ابن عساكر : ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن الفراس الوراق أن طليحة استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معدى كرب رضى الله عنهم .

عمرو بن معدي كرب

ابن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن عمرو بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة ابن شيبة وهو زبيد الأكبر بن الحارث بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج الزبيدى المذحجى أبو ثور ، أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المذاكير ، قدم على رسول الله (ص) سنة تسع ، وقيل عشر ، مع وفد مراد ، وقيل فى وفد زبيد قومه . وقد ارتد مع الأسود العنسى فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص ، فقاتله فضربه خالد بن سعيد بالسيف على عاتقه فهرب وقومه ، وقد استلب خالد سيفه الصمصامة ، ثم أسر ودفع إلى أبى بكر فأنبه وعاتبه واستتابه ، فتاب وحسن إسلامه بعد ذلك ، فسيره إلى الشام ، فشهد اليرموك ثم أمره عمر بالمسير إلى سعد وكتب بالوصاة به ، وأن يشاور ولا يولى شيئاً ، فنفع الله به الاسلام وأهله ، وأبلى بلاء حسناً يوم القادسية . وقيل إنه قتل بها ، وقيل بنهاوند ، وقيل مات عطشاً فى بعض القرى يقال لها روذة فالله أعلم . وذلك كله فى إحدى وعشرين فقال بعض من رثاه من قومه :

لقدْ غادرَ الركبانُ يومَ تحملوا * بروذةَ شخصاً لا جباناً ولا غمرا

فقلْ لزبيدٍ بلْ لمذحجَ كلها * رزئتمْ أبا ثورٍ قريعَ الوغى عمرا

وكان عمرو بن معدى كرب رضي الله عنه من الشعراء المجيدين ، فمن شعره :

أعاذلُ عدتى بدنى ورمحى * وكلُّ مقلصٍ سلسِ القيادِ

أعاذلُ إنما أفنى شبابى * إجابتى الصريخَ إلى المنادى

معَ الأبطالِ حتى سلَّ جسمى * وأقرعَ عاتقى حملُ النجادِ

ويبقى بعدَ حلمِ القومِ حلمى * ويفنى قبلَ زادِ القومِ زادى

تمنى أنْ يلاقينى قييسٌ * وددتُ وأينما منى ودادى

فمنْ ذا عاذرى من ذى سفاهٍ * يرودُ بنفسهِ منى المرادى

أريدُ حياتهُ ويريدُ قتلى * عذيركَ منْ خليلكَ منْ مرادى

له حديث واحد فى التلبية رواه شراحيل بن القعقاع عنه ، قال : كنا نقول فى الجاهلية إذا لبينا : لبيك تعظيما إليك عذراً * هذى زبيد قد أتتك قسراً * يعدو بها مضمرات شزراً * يقطعن خبتا وجبالا وعرا * قد تركوا الاوثان خلواً صفراً * قال عمرو : فنحن نقول الآن ولله الحمد كما علمنا رسول الله (ص) : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

العلاء بن الحضرمي

أمير البحرين لرسول الله (ص) وأقره عليها أبو بكر ثم عمر . تقدم أنه توفى سنة أربع عشرة ومنهم من يقول إنه تأخر إلى سنة إحدى وعشرين ، وعزله عمر عن البحرين وولى مكانه أباهريرة . وأمره عمر على الكوفة فمات قبل أن يصل إليها منصرفه من الحج . كما قدمنا ذلك والله أعلم . وقد ذكرنا فى دلائل النبوة قصته فى سيره بجيشه على وجه الماء وماجرى له من خرق العادات ولله الحمد .

النعمان بن مقرن بن عائذ المزني

أمير وقعة نهاوند ، صحابى جليل ، قدم مع قومه من مزينة فى أربعمائة راكب ، ثم سكن البصرة وبعثه الفاروق أميراً على الجنود إلى نهاوند ، ففتح الله على يديه فتحاً عظيما ، ومكن الله له فى تلك البلاد ، ومكنه من رقاب أولئك العباد ، ومكن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد ، ومنحه النصر فى الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وأتاح له بعد ما أراه ما أحب شهادة عظيمة وذلك غاية المراد ، فكان ممن قال الله تعالى فى حقه فى كتابه المبين وهو صراطه المستقيم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين

وفيها كانت فتوحات كثيرة منها فتح همدان ثانية ثم الري وما بعدها ثم اذربيجان

قال الواقدى وأبو معشر : كانت فى سنة ثنتين وعشرين . وقال سيف : كانت فى سنة ثمانى عشرة بعد فتح همدان والرى وجرجان . وأبو معشر يقول بأن أذربيجان كانت بعد هذه البلدان ، ولكن عنده أن الجميع كان فى هذه السنة . وعند الواقدى أن فتح همدان والرى فى سنة ثلاث وعشرين ، فهمدان افتتحها المغيرة بعد مقتل عمر بستة أشهر ، قال : ويقال كان فتح الرى قبل وفاة عمر بسنتين ، إلا أن الواقدى وأبا معشر متفقان على أن أذربيجان فى هذه السنة ، وتبعهما ابن جرير وغيره . وكان السبب فى ذلك أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقدم ، فتحوا

حلوان وهمذان بعد ذلك . ثم إن أهل همذان نقضوا عهدهم الذى صالحهم عليه القعقاع بن عمرو ، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همذان ، وأن يجعل على مقدمته أخاه سويد بن مقرن ، وعلى مجنبتيه ربعى بن عامر الطائى ، ومهلهل بن زيد التميمى . فسار حتى نزل على ثنية العسل ، ثم تحدر على همذان ، واستولى على بلادها ، وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثنى عشر ألفاً من المسلمين اذ تكاتف الروم والديلم وأهل الرى وأهل أذربيجان ، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن فى جمع كثير ، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا ، وعلى أهل الرى أبو الفرُّخان ، وعلى أذربيجان اسفَنْدياذ أخو رستم ، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج الروذ ، فاقتتلوا قتالا شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تك دونها ، فقتلوا من المشركين جمعاً كثيراً ، وجمًّا غفيراً لا يحصون كثرة ، وقتل ملك الديلم موتا وتمزق شملهم ، وانهزموا بأجمعهم ، بعد من قتل بالمعركة منهم ، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين . وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فهمه ذلك واغتم له . ثم يفجأه إلا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس ، ففرحوا وحمدوا الله عز وجل . ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثة من الأمراء وهم سماك بن خرشة ، ويعرف بأبى دجانة ، وسماك بن عبيد ، وسماك بن مخرمة . فلما استسماهم عمر قال : اللهم اسمك بهم الاسلام ، وأمد بهم الاسلام ، ثم كتب إلى نعيم بن مقرن بأن يستخلف على همذان ويسير إلى الرى فامتثل نعيم . وقد قال نعيم فى هذه الوقعة :

ولما أتانى أنّ موتاً ورهطَهُ * بنى باسلٍ جروا جنودَ الأعاجمِ
نهضتُ إليهمْ بالجنودِ مسامياً * لأمنعَ منهمْ ذمتى بالقواصمِ
فجئنا إليهم بالحديدِ كأننا * جبالٌ تراءى من فروعِ القلاسمِ
فلما لقيناهمْ بها مستفيضةً * وقدْ جعلوا يسمونَ فعلَ المسامِ
صدمناهمُ فى واجِ روذٍ بجمعنا * غداةَ رميناهمْ باحدى العظائمِ
فما صبروا فى حومةِ الموتِ ساعةً * لحد الرماحِ والسيوفِ الصوارمِ
كأنهمُ عندَ انبثاثِ جموعِهمْ * جدارٌ تشظّى لبْنُهُ للهادمِ
أصبنا بها موتاً ومنْ لفّ جمعهُ * وفيها نهابٌ قسمهُ غيرُ عاتمِ
تبعناهمُ حتى أووا فى شعابِهمْ * فنقتلهمْ قتلَ الكلابِ الجواحمِ
كأنّهمُ فى واجِ رُوذَ وجوّهِ * ضئينٌ أصابتها فرُوجُ المخارمِ

فتح الرىّ

استخلف نعيم بن مقرن على همذان يزيد بن قيس الهمدانى وسار بالجيوش حتى لحق بالرى فلقى

هناك جمعاً كثيراً من المشركين فاقتتلوا عند سفح جبل الرى فصبروا صبراً عظيما ثم انهزموا فقتل منهم النعمان بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب فيها ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون من المدائن . وصالح أبو الفرخان على الرى ، وكتب له أماناً بذلك ، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس ولله الحمد والمنة .

فتح قومس

ولما ورد البشير بفتح الرى وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قومس . فسار إليها سويد ، فلم يقم له شئ حتى أخذها سلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح .

فتح جرجان

لما عسكر سويد بقومس بعث إليه أهل بلدان شتى منها جرجان وطبرستان وغيرها يسألونه الصلح على الجزية ، فصالح الجميع وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح . وحكى المدائنى أن جرجان فتحت فى سنة ثلاثين أيام عثمان فالله أعلم .

وهذا فتح اذربيجان

لما افتتح نعيم بن مقرن همذان ثم الرى ، وكان قد بعث بين يديه بكير بن عبد الله من همذان إلى أذربيجان ، وأردفه بسماك بن خرشة ، فلقى أسفندياذ بن الفرخزاذ بكيراً وأصحابه ؛ قبل أن يقدم عليهم سماك ، فاقتتلوا فهزم الله المشركين ، وأسر بكير اسفندياذ ، فقال له اسفندياذ : الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ فقال : بل الصلح . قال : فأمسكنى عندك . فأمسكه ثم جعل يفتح بلداً بلداً وعتبة بن فرقد أيضاً يفتح معه بلداً بلداً فى مقابلته من الجانب الآخر . ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدم بكير إلى الباب وجعل سماك موضعه نائباً لعتبة بن فرقد ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد ، وسلم إليه بكير اسفندياذ ، وسار كما أمره عمر إلى الباب . قالوا : وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاذ لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام ، فلما بلغ ذلك اسفندياذ وهو فى الأسر عند بكير قال : الآن تم الصلح وطفئت الحرب . فصالحه فأجاب إلى ذلك كلهم . وعادت أذربيجان سلماً ، وكتب بذلك عتبة و بكير إلى عمر ، و بعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبة حين انتهت إمرة أذربيجان لأهلها كتاب أمان وصلح .

فتح الباب

قال ابن جرير : وزعم سيف أنه كان فى هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالامرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو ـ الملقب بذى النور ـ وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، ويقال له

ـ ذو النور أيضاً ـ وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد ، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي ـ وكان قد تقدمهم إلى الباب ـ وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة . فساروا كما أمرهم عمر وعلى تعبئته ، فلما انتهى مقدم العساكر ـ وهو عبد الرحمن بن ربيعة ـ إلى الملك الذى هنالك عند الباب وهو شهربراز ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذى قتل بنى إسرائيل وغزا الشام فى قديم الزمان ، فكتب شهربراز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأنهى إليه أنّ صغوه إلى المسلمين ، وأنه مناصح للمسلمين . فقال له : إن فوقى رجلا فاذهب اليه . فبعثه إلى سراقة ابن عمرو أمير الجيش ، فسأل من سراقة الأمان ، فكتب الى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان ؛ واستحسنه ، فكتب له سراقة كتاباً بذلك . ثم بعث سراقة بكيراً ، وحبيب بن مسلمة ، وحذيفة ابن أسيد ، وسلمان بن ربيعة ، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللان وتفليس وموقان ، فافتتح بكير موقان ، وكتب لهم كتاب أمان ومات فى غضون ذلك أمير المسلمين هنالك ، وهو سراقة بن عمرو ، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك .

اول غزو الترك

وهو تصديق الحديث المتقدم الثابت فى الصحيح عن أبى هريرة وعمرو بن تغلب ، أن رسول الله (ص) قال : لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً عراض الوجوه ، ذلف الأنوف ، حمر الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة » وفى رواية « ينتعلون الشعر »

لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك ، سار حتى قطع الباب قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهربراز : أين تريد ؟ قال : أريد ملك الترك بلنجر ، فقال له شهربراز : إنا لنرضى منهم بالموادعة ، ونحن من وراء الباب . فقال له عبد الرحمن : إن الله بعث إلينا رسولا ، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر . ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل الترك وسار فى بلاد بلنجر مائتى فرسخ ، وغزا مرات متعددة . ثم كانت له وقائع هائلة فى زمن عثمان كما سنورده فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال سيف بن عمر عن الغصن بن القاسم عن رجل عن سلمان بن ربيعة . قال : لما دخل عليهم عبدالرحمن بن ربيعة بلادهم حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت . فتحصنوا منه وهربوا بالغنم والظفر . ثم إنه غزاهم غزوات فى زمن عثمان فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم . فلما ولى عثمان على الكوفة بعض من كان ارتد ، غزاهم فتذامرت الترك وقال بعضهم لبعض : إنهم لا يموتون ، قال : انظروا وفعلوا فاختفوا لهم فى الغياض .

فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حتى عرفوا أن المسلمين يموتون ، فاقتتلوا قتالا شديداً ونادى مناد من الجو صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة ، فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجو صبراً آل سلمان بن ربيعة . فقاتل قتالا شديداً ثم تحيز سلمان وأبو هريرة بالمسلمين ، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد السديد على جيلان فقطعوها إلى جرجان ، واجترأت الترك بعدها ، ومع هذا أخذت الترك عبد الرحمن بن ربيعة فدفنوه فى بلادهم ، فهم يستسقون بقبره إلى اليوم . وسيأتى تفصيل ذلك كله .

قصة السد

ذكر ابن جرير بسنده أن شهر براز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لما قدم عليه حين وصل إلى الباب وأراه رجلا فقال شهر براز : أيها الأمير إن هذا الرجل كنت بعثته نحو السد ، وزودته مالا جزيلا وكتبت له إلى الملوك الذين يولونى ، وبعثت لهم هدايا ، وسألت منهم أن يكتبوا له إلى من يليهم من الملوك حتى ينتهى إلى سد ذى القرنين ، فينظر إليه ويأتينا بخبره . فسار حتى انتهى إلى الملك الذى السد فى أرضه ، فبعثه إلى عامله مما يلى السد ، فبعث معه بازياره ومعه عقابه ، فلما انتهوا إلى السد إذا جبلان بينهما سد مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين ، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده ، فنظر إلى ذلك كله وتفرس فيه ، ثم لما هم بالانصراف قال له البازيار : على رسلك ، ثم شرح بضعة لحم معه فألقاها فى ذلك الهواء ، وانقض عليها العقاب . فقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شئ ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شئ . قال : فلم تدركها حتى وقعت فى أسفله واتبعها العقاب فأخرجها فاذا فيها ياقوتة وهى هذه . ثم ناولها الملك شهر براز لعبد الرحمن بن ربيعة ، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردها إليه ، فلما ردها إليه فرح وقال : والله لهذه خير من مملكة هذه المدينة ـ يعنى مدينة باب الأبواب التى هو فيها ـ ووالله لأنتم أحب إلى اليوم من مملكة آل كسرى ، ولو كنت فى سلطانهم وبلغهم خبرها لانتزعوها منى . وأيم الله لا يقوم لكم شئ ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر . ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذى ذهب على السد فقال : ما حال هذا الردم ؟ ـ يعنى ما صفته ـ فأشار إلى ثوب فى زرقة وحمرة فقال : مثل هذا . فقال رجل لعبد الرحمن : صدق والله لقد نفذ ورأى . فقال : أجل وصف صفة الحديد والصفر . قال الله تعالى [آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً] وقد ذكرت صفة السد فى التفسير ، وفى أوائل هذا الكتاب . وقد ذكر البخارى فى صحيحه تعليقاً أن رجلا قال للنبى (ص) رأيت السد . فقال : « كيف رأيته » ؟ قال : مثل البرد المحبر رأيته .

قالوا : ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهر براز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مائة ألف فى بلادى وثلاثة آلاف ألف فى تلك البلدان .

بقيه من خبر السد

أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبى الحافظ فى هذه السنة ما ذكره صاحب كتاب مسالك الممالك عما أملاه عليه سلام الترجمان ، حين بعثه الواثق بأمر الله بن المعتصم ــ وكان قد رأى فى النوم كأن السد قد فتح ــ فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاة به ، وبعث معه ألفى بغل تحمل طعاماً فساروا بين سامرا إلى إسحق بتفليس ، فكتب لهم إلى صاحب السرير ، وكتب لهم صاحب السرير إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى فيلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجه معه خمسة أولاد فساروا ستة وعشرين يوما ، انتهوا إلى أرض سوداء منتنة حتى جعلوا يشمون الخل ، فساروا فيها عشرة أيام ، فانتهوا إلى مدائن خراب مدة سبعة وعشرين يوماً ، وهى التى كانت يأجوج ومأجوج تطارقها فخربت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم انتهوا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فذكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الواثق فلم يعرفوه بالكلية . ثم انتهوا إلى جبل أملس ليس عليه خضرا وإذا السد هنالك من لبن حديد مغيب فى نحاس ، وهو مرتفع جدا لا يكاد البصر ينتهى إليه ، وله شرفات من حديد ، وفى وسطه باب عظيم بمصراعين مغلقين : عرضهما مائة ذراع ، فى طول مائة ذراع ، فى ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ باع ــ وذكر أشياء كثيرة ــ وعند ذلك المكان حرس يضربون عند القفل فى كل يوم فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيما مزعجاً : [illegible] أن وراء هذا الباب حرس وحفظة ، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة ، وفى إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولبن من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف فى مثله ، فى سمك شبر . وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبروهم أنهم رأوا منهم يوما أشخاصا فوق الشرفات ، فهبت الريح فألقتهم إليهم ، فإذا طول الرجل منهم شبر أو نصف شبر والله أعلم

قال الواقدى : وفى هذه السنة غزا معاوية الصائفة ، من بلاد الروم ، وكان معه جماد والصحابة فسار وغنم ورجع سالما . وفيها ولد يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان . وفيها حج بالناس عمر ابن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد ، هم الذين كانوا فى السنة قبلها . وذكر أن عمر عزل عماراً فى هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا : لا يحسن السياسة ، فعزله وولى أباموسى الأشعرى ، فقال أهل الكوفة : لا نريده ، وشكوا من غلامه فقال : دعونى حتى أنظر فى أمرى ، وذهب إلى طائفة من

المسجد ليفكر من يولى. فنام من الهم فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ فقال له: إن هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين، الذى بلغ بك هذا. قال: وكيف وأهل الكوفة مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير. ثم جمع الصحابة واستشارهم، هل يولى عليهم قوياً مشدداً أو ضعيفاً مسلماً؟ فقال له المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، إن القوى قوته لك وللمسلمين وتشديده لنفسه، وأما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه. فقال عمر للمغيرة ـ واستحسن ما قال له ـ: اذهب فقد وليتك الكوفة. فرده إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدم حدهم بسبب قذفه، والعلم عند الله عز وجل. وبعث أبا موسى الأشعرى إلى البصرة [فقيل لعمار: أساءك العزل؟ فقال: والله ما سرتنى الولاية، ولقد ساءنى العزل. وفى رواية أن الذى سأله عن ذلك عمر رضى الله عنه] (١) ثم أراد عمر أن يبعث سعد بن أبى وقاص على الكوفة بدل المغيرة فعاجلته المنية فى سنة ثلاث وعشرين على ما سيأتى بيانه، ولهذا أوصى لسعد به.

قال الواقدى: وفى هذه السنة غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان، وقصد البلد الذى فيه يزدجرد ملك الفرس. قال ابن جرير: وزعم سيف أن هذا كان فى سنة ثمانى عشرة. قلت: والأول هو المشهور والله أعلم.

قصة يزدجرد بن شهريار بن كسرى

لما استلب سعد من يديه مدينة ملكه، ودار مقره، وإيوان سلطانه، وبساط مشورته وحواصله، تحول من هناك إلى حلوان، ثم جاء المسلمون ليحاصروا حلوان فتحول إلى الرى، وأخذ المسلمون حلوان ثم أخذت الرى، فتحول منها إلى أصبهان، فأخذت أصبهان، فسار إلى كرمان فقصد المسلمون كرمان فافتتحوها، فانتقل إلى خراسان فنزلها. هذا كله والنار التى يعبدها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد، ويبنى لها فى كل بلد بيت توقد فيهم على عادتهم، وهو يحمل فى الليل فى مسيره إلى هذه البلدان على بعير عليه هودج ينام فيه. فبينما هو ذات ليلة فى هودجه وهو نائم فيه، إذ مروا به على مخاضة فأرادوا أن ينبهوه قبلها لئلا ينزعج إذا استيقظ فى المخاضة، فلما أيقظوه تغضب عليهم شديداً وشتمهم، وقال: حرمتمونى أن أعلم مدة بقاء هؤلاء فى هذه البلاد وغيرها، إنى رأيت فى منامى هذا أنى ومحمداً عند الله، فقال له: ملككم مائة سنة، فقال: زدنى. فقال: عشراً ومائة. فقال: زدنى. فقال: عشرين ومائة سنة. فقال: زدنى فقال لك، وأنبهتمونى، فلو تركتمونى لعلمت مدة هذه الأمة.

---

(١) سقط من الحلبية

خراسان مع الأحنف بن قيس

وذلك أن الأحنف بن قيس هو الذى أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات فى بلاد العجم ، و يضيقوا على كسرى يزدجرد ، فانه هو الذى يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين . فأذن عمر بن الخطاب فى ذلك عن رأيه ، وأمّر الأحنف ، وأمره بغزو بلاد خراسان . فركب الأحنف فى جيش كثيف إلى خراسان قاصداً حرب يزدجرد ، فدخل خراسان فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ، ثم سار إلى مرو الشاهجان وفيها يزدجرد ، و بعث الأحنف بين يديه مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور ، والحارث بن حسان إلى سرخس . ولما اقترب الأحنف من مرو الشاهجان ، ترحل منها يزدجرد إلى مرو الروذ [فافتتح الأحنف مرو الشاهجان فنزلها . وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ] (١) إلى خاقان ملك الترك يستمده ، وكتب إلى ملك الصغد [يستمده ، وكتب إلى ملك الصين] (٢) يستعينه . وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو الشاهجان حارثة بن النعمان ، وقد وفدت إلى الأحنف أمداد من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلما بلغ مسيره إلى يزدجرد [ترحل إلى بلخ ، فالتقى معه ببلخ يزدجرد] (٣) فهزمه الله عز وجل وهرب هو ومن بقى معه من جيشه فعبر النهر واستوثق ملك خراسان على يدى الأحنف ابن قيس ، واستخلف فى كل بلدة أميراً ، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكمالها . فقال عمر : وددت أنه كان بيننا و بين خراسان بحر من نار . فقال له على : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن أهلها سينقضون عهدهم ثلاث مرات فيجتاحون فى الثالثة ، فقال : ياأمير المؤمنين [لأن يكون ذلك بأهلها ، أحب إلى من] (٤) أن يكون ذلك بالمسلمين وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور إلى ما وراء النهر . وقال : احفظ ما بيدك من بلاد خراسان . ولما وصل رسول يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره ، فلما عبر يزدجرد النهر ودخل فى بلادهما تعين عليهما إنجاده فى شرع الملوك ، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك ، ورجع يزدجرد بجنود عظيمة فيهم ملك التتار خاقان ، فوصل إلى بلخ واسترجعها ، وفر عمال الأحنف [إليه إلى مرو الروذ ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف] (٥) بمرو الروذ فتبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلا يقول لآخر : إن كان الأمير ذا رأى فانه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة . فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا فى ذلك الموقف بعينه ،

---

(١) ـ (٥) سقط من الحلبية .

وكان أمارة النصر والرشد ، وجاءت الأتراك والفرس فى جمع عظيم هائل مزعج ، فقام الأحنف فى الناس خطيباً فقال : إنكم قليل وعدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين] فكانت الترك يقاتلون بالنهار ولا يدرى الأحنف أين يذهبون فى الليل . فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان ، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز .

إن على كل رئيس حقاً * أن يخضب الصعدة أو يندقا

إن لها شيخاً بها ملقى * بسيف أبى حفص الذى تبقى

قال : ثم استلب التركى طوقه ووقف موضعه ، فخرج آخر عليه طوق ومعه طبل فجعل يضرب بطبله ، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً واستلبه طوقه ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكلية . وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من صبيتهم حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله ، ثم الثانى ثم الثالث ، ثم يخرجون بعد الثالث . فلما خرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث ، فأتوا على فرسانهم مقتلين ، تشاءم بذلك الملك خاقان وتطير ، وقال لعسكره : قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله ، مالنا فى قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرفوا بنا . فرجعوا إلى بلادهم وانتظرهم المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شعبهم فلم يروا أحدا منهم ، ثم بلغهم انصرافهم إلى بلادهم راجعين عنهم [وقد كان يزدجرد ـ وخاقان فى مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته ـ ذهب] (١) إلى مرو الشاهجان فحاصرها وحارثة بن النعمان بها واستخرج منها خزانته التى كان دفنها بها ، ثم رجع وانتظره خاقان ببلخ حتى رجع إليه .

وقد قال المسلمون للأحنف : ماترى فى اتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . وقد أصاب الأحنف فى ذلك ، فقد جاء فى الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » وقد [رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً] . ورجع كسرى خاسراً الصفقة لم يشف له غليل ، ولا حصل على خير ، ولا انتصر كما كان فى زعمه ، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه ، وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه ، وبقى مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء [ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا] وتحير فى أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ وقد أشار عليه بعض أولى النهى من قومه حين قال : قد عزمت أن أذهب إلى بلاد الصين أو أكون مع خاقان فى بلاده

(١) سقط من الحلبية .

فقالوا : إنا نرى أن نصالح هؤلاء القوم فان لهم ذمة وديناً يرجعون إليه ، فنكون فى بعض هذه البلاد وهم مجاورينا ، فهم خير لنا من غيرهم . فأبى عليهم كسرى ذلك . ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به و يستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيل والابل ، وماذا يصنعون ؟ وكيف يصلون . فكتب معه إلى يزدجرد : إنه لم يمنعنى ان أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ؛ ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك [صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ، ولو جئت لنصرك أزالونى ما داموا على ما وصف لى رسولك][1] فسالمهم وارض منهم بالمسالمة . فأقام كسرى وآل كسرى فى بعض البلاد مقهورين . ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد سنتين من إمارة عثمان كما سنورده فى موضعه . ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم ، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة ، ثم ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً . فقام عمر على المنبر وقرئ الكتاب بين يديه ، ثم قال عمر : إن الله بعث محمداً بالهدى [ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، فقال : [هو الذى أرسل رسوله بالهدى][2] ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون] فالحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر جنده . ألا و إن الله قد أهلك ملك المجوسية ؛ نرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضير بمسلم ، ألا و إن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، فقوموا فى أمره على وجل ، يوف لكم بعهده ، و يؤتكم وعده ، ولا تغيروا يستبدل قوماً غيركم ، فانى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبى الحافظ فى تاريخ هذه السنة - أعنى سنة ثنتين وعشرين - : وفيها فتحت أذربيجان على يدى المغيرة بن شعبة . قاله ابن إسحاق : فيقال ، إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهم . وقال أبو عبيدة : فتحها حبيب بن سلمة الفهرى بأهل الشام عنوة ، ومعه أهل الكوفة فيهم حذيفة فافتتحها بعد قتال شديد والله أعلم . وفيها افتتح حذيفة الدينور عنوة - بعد ما كان سعد افتتحها فانتقضوا عهدهم - . وفيها افتتح حذيفة ماه سندان عنوة - وكانوا نقضوا أيضاً عهد سعد - وكان مع حذيفة أهل البصرة فلحقهم أهل الكوفة فاختصموا فى الغنيمة ، فكتب عمر : إن الغنيمة لمن شهد الوقعة . قال : أبو عبيدة ثم غزا حذيفة همذان فافتتحها عنوة ، ولم تكن فتحت قبل ذلك ، و إليها انتهى فتوح حذيفة . قال : ويقال افتتحها جرير بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال : افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين . وفيها افتتحت جرجان . قال خليفة : وفيها افتتح عمرو بن العاص

---

(١) و (٢) سقط من الحلبية .

طرابلس المغرب ، ويقال فى السنة التى بعدها . قلت : وفى هذا كله غرابة لنسبته إلى ما سلف والله أعلم . قال شيخنا : وفيها توفى أبى بن كعب فى قول الواقدى وابن نمير والذهلى والترمذى ، وقد تقدم فى سنة تسع عشرة . ومعضد بن يزيد الشيبانى استشهد بأذربيجان ولا صحبة له .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

وفيها وفاة عمر بن الخطاب

قال الواقدى وأبو معشر : فيها كان فتح اصطخر وهمذان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح توّج الآخرة . ثم ذكر أن الذى افتتح توّج مجاشع بن مسعود ، بعد ما قتل من الفرس مقتلة عظيمة وغنم منهم غنائم جمة ، ثم ضرب الجزية على أهلها ، وعقد لهم الذمة ، ثم بعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ثم ذكر أن عثمان بن أبى العاص افتتح جور بعد قتال شديد كان عندها ، ثم افتتح المسلمون اصطخر ـ وهذه المرة الثانية ـ ، وكان أهلها قد نقضوا العهد بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمى افتتحوها حين جاز فى البحر ـ من أرض البحرين ـ والتقوا هم والفرس فى مكان يقال له طاوس ، كما تقدم بسط ذلك فى موضعه . ثم صالحه الهربذ على الجزية ، وأن يضرب لهم الذمة . ثم بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر . قال ابن جرير : وكانت الرسل لها جوائز ، وتقضى لهم حوائج ، كما كان رسول الله (ص) يعاملهم بذلك . ثم إن شهرك خلع العهد ، ونقض الذمة ، ونشط الفرس ، فنقضوا ، فبعث إليهم عثمان بن أبى العاص ابنه وأخاه الحكم ، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتل الحكم بن أبى العاص شهرك ، وقتل ابنه معه أيضاً . وقال أبو معشر : كانت فارس الأولى واصطخر الآخرة سنة ثمان وعشرين فى إمارة عثمان ، وكانت فارس الآخرة ووقعة جور فى سنة تسع وعشرين .

فتح فسا ودار أبجرد وقصة سارية بن زنيم

ذكر سيف عن مشايخه أن سارية بن زنيم قصد فسا ودار أبجرد ، فاجتمع له جموع ـ من الفرس والأكراد ـ عظيمة ، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير ، فرأى عمر فى تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم فى وقت من النهار ، وأنهم فى صحراء وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فنادى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كانت الساعة التى رأى أنهم اجتمعوا فيها ، خرج إلى الناس وصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثم قال : ياسارية الجبل الجبل ، ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم الله على عدوهم ، وفتحوا البلد . وذكر سيف فى رواية أخرى عن شيوخه أن عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال : ياسارية بن زنيم الجبل الجبل . فلجأ المسلمون إلى جبل هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة

فأظفرهم الله بهم ، وفتحوا البلد . وغنموا شيئاً كثيراً ، فكان من جملة ذلك سفط من جوهر فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس - ولم يعرفه - ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل، فاستأذن فأذن له وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح ، فقال : ادن فكل . قال : فجلست فجعل يقول لامرأته : ألا تخرجين ياهذه فتأكلين ؟ فقالت : إنى أسمع حس رجل عندك . فقال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لى غيرهذه الكسوة . فقال : أوماترضين أن يقال أم كلثوم بنت على وامرأة عمر. فقالت : ما أقل غناء ذلك عنى . ثم قال للرجل : ادن فكل فلوكانت راضية لكان أطيب مما ترى . فأكلا فلما فرغا قال : أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلا . ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية بن زنيم ، فأخبره ثم ذكر له شأن السفط من الجوهر فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتاً يوم الوقعة ؟ قال : نعم ، سمعنا قائلا يقول : ياسارية الجبل ، وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا.
ثم رواه سيف عن مجالد عن الشعبي بنحو هذا . وقال عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر وجه جيشاً ورأس عليهم رجلا يقال له سارية ، قال : فبينما عمر يخطب فجعل ينادى : ياسارى الجبل ياسارى الجبل ثلاثاً . ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر : فقال : يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً ياسارية الجبل ثلاثاً فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك . وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدى : حدثنى نافع بن أبى نعيم عن نافع مولى ابن عمر . أن عمر قال على المنبر : ياسارية ابن زنيم الجبل . فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زنيم المدينة على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا محاصرى العدو فكنا نقيم الأيام لايخرج علينا منهم أحد ، نحن فى خفض من الأرض وهم فى حصن عال ، فسمعت صائحاً ينادى بكذا وكذا ياسارية بن زنيم الجبل ، فعلوت بأصحابى الجبل ، فما كان إلا ساعة حتى فتح الله علينا وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائى من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بنحوه ، وفى صحته من حديث مالك نظر . وقال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد عن أسلم عن أبيه . وأبو سليمان عن يعقوب بن زيد قالا : خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة فصعد المنبر ثم صاح : ياسارية بن زنيم الجبل ، ياسارية بن زنيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم . ثم خطب حتى فرغ ، فجاء كتاب سارية إلى عمر : إن الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا - لتلك الساعة التى خرج فيها عمر فتكلم على المنبر - قال : سارية فسمعت صوتاً

يا سارية بن زنيم الجبل ، يا سارية بن زنيم الجبـل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم ، فملوت بأصحابي الجبل ، ونحن قبل ذلك فى بطن واد ، ونحن محاصروا العدو ففتح الله علينا . فقيل لعمر بن الخطاب ماذلك الـكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلا بشئ ألقى على لسانى . فهذه طرق يشد بعضها بعضاً .

ثم ذكر ابن جرير من طريق سيف عن شيوخه فتح كرمان على يدى سهيل بن عدى وأمده عبدالله ابن عبد الله بن عتبان ، وقيل على يدى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وذكر فتح سجستان على يدى عاصم بن عمرو ، بعد قتال شديد ، وكانت ثغورها متسعة ، وبلادها متنائية ، مابين السند إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون القندهار والترك من ثغورها وفروجها . وذكر فتح مكران على يدى الحكم بن عمرو ، وأمده بشهاب بن المخارق بن شهاب ، وسهيل بن عدى ، وعبد الله بن عبد الله ، واقتتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند ، وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة ، وكتب الحكم ابن عمرو بالفتح و بعث بالأخماس مع صحار العبدى ، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال : يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبـل ، وماؤها وشل ، وتمرها دَقَل ، وعـدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر[1] منها . فقال عمر : أسجاع أنت أم مخبر ؟ فقال : لا ، بل مخبر ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لا يغزو بعد ذلك مكران ، وليقتصروا على مادون النهر . وقد قال الحكم بن عمرو فى ذلك :

لقد شبع الأراملُ غيرَ فخرٍ * بفيءٍ جاءهم من مكّرانِ
أتاهم بعدَ مسغبةٍ وجهدٍ * وقد صفرَ الشتاءُ من الدُّخانِ
فانى لا يذم الجيشُ فعلي * ولا سَيفِي يُذمُّ ولا لسانى
غداةَ أدافعُ الأوباشَ دفعاً * إلى السندِ العريضةِ والمدانى
ومهرانٌ لنا فيما أردنا * مطيعٌ غيرُ مسترخى العَنانِ
فلولا ما نهى عنه أميرى * قطعناهُ إلى البدرِ الزوانى

غزوة الأكراد

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن سيف عن شيوخه : أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس اجتمعوا فلقيهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ قريب من نهر تيرى ، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فتسلم الحرب وحنق عليهم ، فهزم الله العـدو وله الحـمد والمنة ، كما هى عادته المستمرة وسنته المستقرة ، فى عباده المؤمنين ، وحزبه المفلحين ، من أتباع سيد المرسلين . ثم خمست الغنيمة و بعث بالفتح والخمس

(١) فى المصرية خير منها .

إلى عمر رضى الله عنه ، وقد سار ضبة بن محصن العنزى فاشتكى أبا موسى إلى عمر ، وذكر عنه أموراً لاينقم عليه بسببها ، فاستدعاه عمر فسأله عنها فاعتذر منها بوجوه مقبولة فسمعها عمر وقبلها ، ورده إلى عمله وعذر ضبة فيما تأوله [ومات عمر ، وأبو موسى على صلاة البصرة] (١) .

خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

بعثه عمر على سرية ووصاه بوصايا كثيرة بمضمون حديث بريدة فى صحيح مسلم « اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله » الحديث إلى آخره ، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعوهم إلى إحدى ثلاث خلال ، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها ، فقاتلوهم فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وغنموا أموالهم . ثم بعث سلمة بن قيس رسولا إلى عمر بالفتح وبالغنائم ، فذكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس ، وذهابه معه إلى منزله ، كنحو ماتقدم من قصة أم كلثوم بنت على ، وطلبها الكسوة كما يكسى طلحة وغيره أزواجهم ، فقال : ألا يكفيك أن يقال بنت على وامرأة أمير المؤمنين ؟ ثم ذكر طعامه الخشن ، وشرابه من سلت ، ثم شرع يستعلمه عن أخبار المهاجرين ، وكيف طعامهم وأشعارهم ، وهل يأكلون اللحم الذى هو شجرتهم ، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم ؟ وذكر عرضه عليه ذلك السفط من الجوهر ، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك ، وأمره بأن يرده فيقسم بين الغانمين. وقد أورده ابن جرير مطولا جداً .

وقال ابن جرير : وفى هذه السنة حج عمر بأزواج النبى ﷺ ، وهى آخر حجة حجها رضى الله عنه . قال : وفى هذه السنة كانت وفاته . ثم ذكر صفة قتله مطولا أيضاً ، وقد ذكرت ذلك مستقصى فى آخر سيرة عمر ، فليكتب من هناك إلى هنا .

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشى ، أبو حفص العدوى ، الملقب بالفاروق قيل لقبه بذلك أهل الكتاب . [وأمه حنتمة بنت هشام أخت أبى جهل بن هشام . أسلم عمر وعمره سبع وعشرين سنة ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع النبى ﷺ ، وخرج فى عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التراويح ، وأول من عسّ بالمدينة ، وحمل الدرة وأدب بها ، وجلد فى الخمر ثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، وجنّد الأجناد . ووضع الخراج ، ودوّن الدواوين ، وعرض الأعطية ، واستقضى القضاة ، وكوّر الكوَر ، مثل السواد والأهواز والجبال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كله ، والجزيرة والموصل ،

---

(١) سقط من المصرية .

وميا فارقين ، وآمد ، وأرمينية ، ومصر واسكندرية . ومات وعساكره على بلاد الرى . فتح من الشام اليرموك و بصرى ودمشق والأردن ، و بيسان ، وطبرية ، والجابية، وفلسطين والرملة ، وعسقلان وغزة والسواحل والقدس وفتح مصر واسكندرية وطرابلس الغرب و برقة ، ومن مدن الشام بعلبك وحمص وقنسرين وحلب و إنطاكية وفتح الجزيرة وحران والرها والرقة ونصيبين و رأس عين وشمشاط وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة و بلاد الموصل وأرمينية جميعها . وبالعراق القادسية والحيرة ونهرسير وساباط ، ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والابلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند وهمذان والرى وقومس وخراسان واصطخر وأصبهان والسوس ومرو و نيسابور وجرجان وأذربيجان وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً ، وكان متواضعاً فى الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً فى ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القربة على كتفيه ، مع عظم هيبته ، و يركب الحمار عرياً ، والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظاً ياعمر .

وقال النبى (ص) « أشد أمتى فى دين الله عمر » وعن ابن عباس أن النبى (ص) قال « إن لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراى من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراى من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، و إنهما السمع والبصر » وعن عائشة أن النبى (ص) قال « إن الشيطان يفرق من عمر » وقال « أرحم أمتى أبو بكر ، وأشدها فى دين الله عمر » وقيل لعمر إنك فظ. فقال : الحمد لله الذى ملأ قلبى لهم رحما وملأ قلوبهم لى رعباً . وقال عمر : لا يحل لى من مال الله إلا حلتان حلة للشتاء وحلة للصيف ، وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ، ثم أنا رجل من المسلمين . وكان عمر إذا استعمل عاملا كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين واشترط عليه أن لا يركب برذونا ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات . فان فعل شيئا من ذلك حلت عليه العقوبة . وقيل إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر : احبس هذه احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كلما حدثتك به حق غير ما أمرتنى أن أحبسه .

وقال معاوية بن أبى سفيان : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته فلم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن . وعوتب عمر فقيل له : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ، فقال : إنى تركت صاحبىَّ على جادة ، فان أدركت جادتهما فلم أدركهما فى المنزل . وكان يلبس وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم و يطوف بالأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ، و إذا مر بالنوى وغيره يلتقطه و يرمى به فى منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : كان بين كتفى عمر أربع رقاع ، و إزاره مرقوع بأدم . وخطب على المنبر وعليه إزار

فيه اثنى عشر رقعة ، وأنفق فى حجته ستة عشر ديناراً ، وقال لابنه: قد أسرفنا ، وكان لا يستظل بشئ غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر ويستظل تحته ، وليس له خيمة ولا فسطاط . ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة قد طبق رجليه بين شعبى الرحل بلا ركاب ، ووطاؤه كبش من صوف ، وهو فراشه إذا نزل ، وحقيبته محشوة ليفاً ، وهى وسادته إذا نام ، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جيبه ،فلما نزل قال : ادعوا لى رأس القرية ، فدعوه فقال : اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى قميصاً ، فأتى بقميص كتان ، فقال : ماهذا ؟ فقيل كتان . فقال : فما الكتان ؟ فأخبروه . فنزع قميصه فغسلوه وخاطوه ثم لبسه ، فقال له : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الابل . فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلاسرج ولا رحل ، فلما سار جعل [البرذون] يهملج به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جملى . ثم نزل وركب الجمل .

وعن أنس قال : كنت مع عمر فدخل حائطاً لحاجته فسمعته يقول ـ وبينى وبينه جدار الحائط ـ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ ، والله لتتقين الله بنى الخطاب أو ليعذبنك . وقيل : إنه حمل قربة على عاتقه فقيل له فى ذلك فقال : إن نفسى أعجبتنى فأردت أن أذلها ؟ وكان يصلى بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلى إلى الفجر . وما مات حتى سرد الصوم ، وكان فى عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده ويقول : بئس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع . وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء ، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعاً إلى منزله فيعاد أياماً ليس به مرض إلا الخوف . وقال طلحة بن عبد الله : خرج عمر ليلة فى سواد الليل فدخل بيتاً فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة فقلت لها : ما بال هذا الرجل يأتيكى ؟ فقالت : إنه يتعاهدنى مدة كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى . فقلت لنفسى : ثكلتك أمك ياطلحة ، أعثرات عمر تتبع ؟ .

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال : نعم ! فباتا يحرسانهم ويصليان ، فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقى الله تعالى وأحسنى إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبى فأتى إلى أمه فقال لها : ويحك ، إنك أم سوء ، مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ ! فقالت : ياعبد الله إنى أشغله عن الطعام فيأبى ذلك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطوم . قال : وكم عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، فقال : ويحك لا تعجليه عن الفطام . فلما صلى الصبح وهو لا يستبين الناس

قراءته من البكاء . قال : بؤساً لعمر . كم قتل من أولاد المسلمين. ثم أمر مناديه فنادى ، لاتعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فاذا فيه امرأة تمخض وتبكى ، فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة عربية وليس عندى شئ . فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب : هل لك فى أجر ساقه الله إليك ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل على ظهره دقيقاً وشحما ، وحملت أم كلثوم مايصلح للولادة وجاءا ، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها ــ وهو لايعرفه ــ يتحدث ، فوضعت المرأة غلاماً فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر . فقال عمر : لا بأس عليك ، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال : يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم ، فأتيناهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر: السلام عليكم ياأصحاب الضوء ، قالت : وعليك السلام . قال : أدنو . قالت : ادن أو دع . فدنا فقال : مابالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : من الجوع . فقال : وأى شئ على النار ؟ قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا ، الله بيننا و بين عمر. فبكى عمر و رجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وجراب شحم ، وقال : يا أسلم احمله على ظهرى ، فقلت : أنا أحمله عنك . فقال : أنت تحمل وزرى يوم القيامة ؟ . فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق فى القدر ، وألقى عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ، ثم أنزلها عن النار وقال : إيتينى بصحفة . فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدى الصبيان وقال : كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا ــ والمرأة تدعو له وهى لاتعرفه ــ فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف ، ثم أقبل علىّ فقال : يا أسلم الجوع الذى أسهرهم وأبكاهم .

وقيل : إن على بن أبى طالب رضى الله عنه رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين ياأمير المؤمنين ؟ فقال : قد ندّ بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه . فقال : قد أتعبت الخلفاء من بعدك . وقيل : إنه رأى جارية تمايل من الجوع فقال : من هذه ؟ فقالت ابنة عبدالله : هذه ابنتى . قال : فما بالها ؟ فقالت : إنك تحبس عنا مافى يدك فيصيبنا ما ترى . فقال : ياعبد الله ، بينى و بينكم كتاب الله ، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم ، أتريدون منى أن أعطيكم ما ليس لكم ؟

فأعود خائنا ؟][١] . روى ذلك عن الزهرى .

وقال الواقدى : حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبى عمرو قال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق أمير المؤمنين ؟ قالت : النبى (ص) قال « أمير المؤمنين هو » وأول من حياه بها المغيرة بن شعبة » وقيل غيره فالله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنى أحمد بن عبد الصمد الأنصارى حدثتنى أم عمرو بنت حسان الكوفية ـ وكان قد أتى عليها مائة وثلاثون سنة ـ عن أبيها قال : لما ولى عمر قالوا : ياخليفة خليفة رسول الله . فقال عمر : هذا أمر يطول ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فسمى أمير المؤمنين .

وملخص ذلك أن عمر رضى الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته ، وانتشرت رعيته ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضه إليه ، وأن يمن عليه بالشهادة فى بلد النبى (ص) ، كما ثبت عنه فى الصحيح أنه كان يقول : اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك ، وموتاً فى بلد رسولك ، فاستجاب له الله هذا الدعاء ، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة فى المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسى الأصل ، الرومى الدار ، وهو قائم يصلى فى المحراب ، صلاة الصبح من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات ، إحداهن تحت سرته قطعت السفاق فخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العلج بخنجره لايمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنساً فانتحر نفسه لعنه الله ، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه ـ وذلك قبل طلوع الشمس ـ فجعل يفيق ثم يغمى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولاحظ فى الاسلام لمن تركها . ثم صلى فى الوقت ، ثم سأل عمن قتله من هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يدى رجل يدعى الايمان ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبحه الله ، لقد كنا أمرنا به معروفاً ـ وكان المغيرة قد ضرب عليه فى كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد فى خراجه فانه نجار نقاش حداد فزاد فى خراجه إلى مائة فى كل شهر ـ وقال له : لقد بلغنى أنك تحسن أن تعمل رحا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملن لك رحا يتحدث عنها الناس فى المشارق والمغارب ـ وكان هذا يوم الثلاثاء عشية ـ وطعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده فى ستة ممن توفى رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، وهم عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير

---

(١) من أول السطر الخامس عشر من الصحيفة نمرة ١٣٣ إلى هنا سقط من المصرية .

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشية أن يراعى فى الامارة بسببه ، وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضى الله عنه بعد ثلاث ، ودفن فى يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصديق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى ذلك ، وفى ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قال الواقدى رحمه الله: حدثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وأحداً وعشرين يوماً ، وبويع لعثمان يوم الاثنين لثلاث مضين من المحرم . قال : فذكرت ذلك لعثمان الأخنس فقال : ما أراك إلا وهلت . توفى عمر لأربع ليال بقين من ذى الحجة وبويع لعثمان لليلة بقيت من ذى الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين . وقال أبو معشر : قتل عمر لأربع بقين من ذى الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وبويع عثمان ابن عفان .

وقال ابن جرير : حدثت عن هشام بن محمد قال : قتل عمر لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة ايام . وقال سيف عن خليد بن وفرة ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث من المحرم فخرج فصلى بالناس صلاة العصر . وقال على بن محمد المدائنى عن شريك عن الأعمش ـ أو جابر الجعفى ـ عن عوف بن مالك الأشجعى وعامر بن أبى محمد عن أشياخ من قومه ، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهرى قال : طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

صفته رضي الله عنه

كان رجلا طوالا أصلع أعسر أيسر أحور العينين ، آدم اللون ، وقيل كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة ، أشنب الأسنان ، وكان يصفر لحيته ، ويرجل رأسه بالحناء .

واختلف فى مقدار سنه يوم مات رضى الله عنه على أقوال عدتها ـ عشرة ـ فقال ابن جرير : حدثنا زيد بن أحزم ثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قتل عمر ابن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ورواه الدراوردى عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر . وقاله عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهرى ، ورواه أحمد عن هشيم عن على بن زيد عن سالم بن عبد الله ابن عمر ، وعن نافع رواية أخرى ست وخمسون سنة . قال ابن جرير : وقال آخرون : كان عمره

ثلاثا وخمسين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد . ثم روى عن عامر الشعبي أنه توفى وله ثلاث وستون سنة .

قلت : وقد تقدم فى عمر الصديق مثله ، وروى عن قتادة أنه قال : توفى عمر وهو ابن إحدى وستين سنة ، وعن ابن عمر والزهرى خمس وستون . وعن ابن عباس ست وستون ، وروى ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال : توفى وهو ابن ستين سنة . قال الواقدى : وهذا أثبت الأقاويل عندنا . وقال المدائني : توفى عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

ذكر زوجاته وأبنائه وبناته

قال الواقدى وابن الكلبي وغيرهما : تزوج عمر فى الجاهلية زينب بنت مظعون أخت عثمان ابن مظعون فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة رضى الله عنهم . وتزوج مليكة بنت جرول فولدت له عبيد الله فطلقها فى الهدنة ، فخلف عليها أبو الجهم بن حذيفة ، قاله المدائنى .

وقال الواقدى : هى أم كلثوم بنت جرول فولدت له عبيد الله و زيداً الأصغر . قال المدائنى وتزوج قريبة بنت أبى أمية المخزومى ففارقها فى الهدنة ، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبى بكر . قالوا : وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها ــ حين قتل فى الشام ــ فولدت له فاطمة ثم طلقها . قال المدائنى وقيل لم يطلقها . قالوا : وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح من الأوس . وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبى مليكة ولما قتل عمر تزوجها بعده الزبير بن العوام رضى الله عنهم ، ويقال هى أم ابنه عياض فالله أعلم . قال المدائنى : وكان قد خطب أم كلثوم ابنة أبى بكر الصديق وهى صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم : لاحاجة لى فيه ، فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خشن العيش فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصده عنها ودله على أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، ومن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وقال تعلق منها بسبب من رسول الله (ص) ، فخطبها من على فزوجه إياها ، فأصدقها عمر رضى الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقية ، قالوا : وتزوج لهية ــ امرأة من اليمن ــ فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقال الواقدى : هى أم ولد وليست زوجة ، قالوا : وكانت عنده فكيهة أم ولد فولدت له زينب . قال الواقدى وهى أصغر ولده . قال لواقدى : وخطب أم أبان بنت عتبة بن شيبة فكرهته وقالت : يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً .

قلت : فجملة أولاده رضى الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو

أبو شحمة ، وعبد الرحمن الأصغر وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ، رضى الله عنهم . ومجموع نسائه اللاتى تزوجهن فى الجاهلية والاسلام ممن طلقهن أو مات عنهن سبع ، وهن جميلة بنت عاصم بن ثابت بن الأفلح ، وزينب بنت مظعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وقريبة بنت أبى أمية ، ومليكة بنت جرول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، وأم كلثوم أخرى وهى مليكة بنت جرول . وكانت له أمتان له منهما أولاد ، وهما فكيهة ولهية ، وقد اختلف فى لهية هذه فقال بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فالله أعلم .

ذكر بعض ما رُثي به

قال على بن محمد المدائنى : عن ابن داب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان عن المغيرة ابن شعبة قال : لما مات عمر بكته ابنة أبى خيثمة فقالت : واعمراه ، أقام الأود وأبر العهد ، أمات الفتن وأحيا السنن ، خرج نقى الثوب بريئاً من العيب .

قال فقال على بن أبى طالب : والله لقد صدقت ، ذهب بخيرها ، ونجا من شرها ، أما والله ما قالت ولكن قولت . قال : وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فى زوجها عمر .

فجّعنى فيروز لا درَّ درّهُ * بأبيضَ تالٍ للكتابِ منيبِ
رؤفٌ على الأدنى غليظٌ على العدى * أخى ثقةٍ فى النائباتِ نجيبِ
متى ما يقلْ لا يُكذبُ القولَ فعلهُ * سريعٌ إلى الخيراتِ غيرُ قطوبِ

وقالت أيضاً :

عينُ جودى بعبرةٍ ونحيبِ * لا تملّى على الأمامِ النجيبِ
فجعتنا المنونُ بالفارسِ المعـ * ـلمِ يومَ الهياجِ والتلبيبِ
عصمةَ الناسِ والمعينُ على الدهـ * ـرِ وغيثُ المنتابِ والمحروبِ
قل لأهلِ السراءِ والبؤسِ موتوا * قدْ سقتهُ المنونُ كأسَ شعوبِ

[وقالت امرأة من المسلمين تبكيه :

سيبكيكَ نساءُ الحـ * ـىِ يبكينَ شجيات
ويخمشنَ وجوهاً كالـ * ـدنانيرِ نقيات
ويلبسنَ ثيابَ الحز * نِ بعدَ القصبيات] (١)

وقد ذكر ابن جرير ترجمة طويلة لعمر بن الخطاب ، وكذلك أطال ابن الجوزى فى سيرته ،

---

(١) زيادة من المصرية .

وشيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي فى تاريخه ، وقد جمعنا متفرقات كلام الناس فى مجلد مفرد ؛ وأوردنا لما أسنده وروى عنه من الأحكام مجلداً آخر كبيراً مرتباً على أبواب الفقه ولله الحمد .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة توفى قتادة بن النعمان ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت ، وأبو أيوب ، وأبو ذر ، وشداد بن أوس . وفيها فتح معاوية عسقلان صلحاً . قال : وفيها كان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة كعب بن سوار ، قال : وأما مصعب الزبيرى فانه ذكر أن مالكا روى عن الزهرى أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي فى تاريخه فى سنة ثلاث وعشرين . فيها كانت قصة سارية بن زنيم . وفيها فتحت كرمان وأميرها سهيل بن عدى . وفيها فتحت سجستان ، وأميرها عاصم بن عمرو وفيها فتحت مكران ، وأميرها الحكم بن أبى العاص ، أخو عثمان ، وهى من بلاد الجبل . وفيها رجع أبو موسى الأشعرى من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية . ثم ذكر وفاة من مات فيها . فنهم قتادة بن النعمان الأنصارى الأوسى الظفرى أخو أبى سعيد الخدرى لأمه ، وقتادة أكبر منه ، شهد بدراً وأصيبت عينه فى يوم أحد حتى وقعت على خده فردها رسول الله (ص) فصارت أحسن عينيه ، وكان من الرماة المذكورين ، وكان على مقدمة عمر حين قدم إلى الشام توفى فى هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة ، ونزل عمر فى قبره ؛ وقيل إنه توفى فى التى قبلها . ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فأطال فيها وأكثر وأطنب ، وأتى بمقاصد كثيرة مهمة ، وفوائد جمة ، وأشياء حسنة ، فأثابه الله الجنة . ثم قال : ذكر من توفى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

الأقرع بن حابس

ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمى المجاشعى . قال ابن دريد : واسمه فراس بن حابس ولقب بالأقرع لقرع فى رأسه ، وكان أحد الرؤساء ، قدم على رسول الله (ص) مع وفد بنى تميم ، وهو الذى نادى من وراء الحجرات : يامحمد إن مدحى زين ، وذمى شين ، وهو القائل ـ وقد رأى رسول الله (ص) يقبل الحسن ـ أتقبله ؟ والله إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم . فقال « من لا يرحم لا يرحم » . وفى رواية « ما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك » وكان ممن تألفه رسول الله (ص) فأعطاه يوم حنين مائة من الابل ، وكذلك لعيينة بن حصن الفزارى ، وأعطى عباس بن مرداس خمسين [1] من الابل فقال :

أتجعلُ نهبى ونهبَ العبيـ * ـد بينَ عيينة * والأقرع
فما كانَ حصنٌ ولا حابسٌ * يفوقانِ مرداسَ فى مجمع

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية : خمساً من الابل .

وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما * ومنْ يخفضِ اليومَ لا يرفعِ

فقال له رسول الله (ص) أنت القائل

أتجعلُ نهبي ونهبَ العبيـ * ـدِ بينَ عيينةَ والأقرعِ

رواه البخاري قال السهيلي : إنما قدم رسول الله (ص) ذكر الأقرع قبل عيينة لأن الأقرع كان خيراً من عيينة [ولهذا لم يرتد بعد النبي (ص) كما ارتد عيينة] [1] فبايع طليحة وصدقه ثم عاد . والمقصود أن الأقرع كان سيداً مطاعاً ، وشهد مع خالد وقائعه بأرض العراق ، وكان على مقدمته يوم الأنبار . ذكره شيخنا فيمن توفي في خلافة عمر بن الخطاب . والذي ذكره ابن الأثير في الغابة أنه استعمله عبد الله بن عامر على جيش وسيره إلى الجوزجان فقتل وقتلوا جميعاً ، وذلك في خلافة عثمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

حباب بن المنذر

ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبو عمر ويقال أبو عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي ، ويقال له ذو الرأي لأنه أشار يوم بدر أن ينزل رسول الله (ص) على أدنى ماء يكون إلى القوم ، وأن يغور ما وراءهم من القلب فأصاب في هذا الرأي ، ونزل الملك بتصديقه وأما قوله يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير . فقد رده عليه الصديق والصحابة .

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

عتبة بن مسعود الهذلي ، هاجر مع أخيه لأبويه ، عبد الله إلى الحبشة شهد أحداً وما بعدها . قال الزهري : ما كان عبد الله بأفقه منه ، ولكن مات عتبة قبله ، وتوفي زمن عمر على الصحيح ، ويقال في زمن معاوية سنة أربع وأربعين .

علقمة بن علاثة

ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وأعطى يومئذ مائة من الابل تأليفاً لقلبه ، وكان يكون بتهامة وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، وقد ارتد أيام الصديق فبعث إليه سرية فانهزم ثم أسلم وحسن إسلامه ، ووفد على عمر في خلافته ، وقدم دمشق في طلب ميراث له ثمّ ، ويقال استعمله عمر على حوران فمات بها ، وقد كان الحطيئة قصده ليمتدحه فمات قبل مقدمه بليال فقال :

فما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى إلا ليال قلائل

---

(١) زيادة في المصرية نه

علقمة بن مجزز

ابن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج الكنانى المدلجى ، أحد أمراء رسول الله (ص) ، على بعض السرايا ، وكانت فيه دعابة ، فأجج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتنعوا ، فقال النبي (ص) « لو دخلوا فيها ما خرجوا منها » وقال « إنما الطاعة فى المعروف » وقد كان علقمة جواداً ممدحاً رثاه جواس العذرى فقال :

إنّ السلامَ وحسنَ كلِ تحيةٍ * تغدو على ابنِ مجززٍ وتروحُ

عويم بن ساعدة

ابن عابس أبو عبد الرحمن الأنصارى الأوسى ، أحد بنى عمرو بن عوف شهد العقبة وبدراً وما بعدها له حديث عند أحمد وابن ماجه فى الاستنجاء بالماء . قال ابن عبد البر : توفى فى حياة النبي (ص) وقيل فى خلافة عمر ، وقال وهو واقف على قبره : لا يستطيع أحد أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر مانصبت راية للنبي (ص) إلا وهو واقف تحتها . وقد روى هذا الأثر ابن أبى عاصم كما أورده ابن الأثير من طريقه .

غيلان بن سلمة الثقفي

أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله (ص) أن يختار منهن أربعاً ، وقد وفد قبل الاسلام على كسرى فأمره أن يبنى له قصراً بالطائف ، وقد سأله كسرى أى ولدك أحب إليك ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم ، فقال له كسرى أنى لك هذا ؟ هذا كلام الحكماء . قال : فما غذاؤك ؟ قال : البلا . قال نعم هذا من البر لا من التمر واللبن .

معمر بن الحارث

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشى الجمحى أخو حاطب وحطاب ، أمهم قيلة بنت مظعون ، أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول النبي (ص) دار الأرقم وشهد بدراً وما بعدها وآخى رسول الله (ص) بينه وبين معاذ بن عفراء .

ميسرة بن مسروق العبسي

شيخ صالح قيل إنه صحابى شهد اليرموك ودخل الروم أميراً على جيش ستة آلاف وكانت له همة عالية فقتل وسبى وغنم وذلك فى سنة عشرين ، وروى عن أبى عبيدة وعنه أسلم مولى عمر ، لم يذكره ابن الأثير فى الغابة .

واقد بن عبد الله

بن عبد مناف بن عرين الحنظلى اليربوعى حليف بنى عدى بن كعب ، أسلم قبل دخول النبي

(ص) دار الأرقم وشهد بدراً وما بعدها وآخى رسول الله (ص) بينه و بين بشر بن البراء بن معرور، وهو أول من قتل فى سبيل الله عز وجل ببطن نخلة، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحضرمى، توفى فى خلافة عمر رضى الله عنه.

ابو خراش الهذلي الشاعر

واسمه خويلد بن مرة، كان يسبق الخيل على قدميه، وكان فتاكا فى الجاهلية، ثم أسلم وحسن إسلامه، وتوفى فى زمن عمر، أتاه حجاج فنهب يأتيهم بماء فنهشته حية فرجع إليهم بالماء وأعطاهم شاة وقدراً، ولم يعلمهم بما جرى له، فأصبح فمات فدفنوه. ذكره ابن عبد البر وابن الأثير فى أسماء الصحابة، والظاهر أنه ليست له وفادة، وإنما أسلم فى حياة النبى (ص) فهو مخضرم والله أعلم.

ابو ليلى عبد الرحمن بن كعب

ابن عمرو الأنصارى شهد أحداً وما بعدها، إلا تبوك فانه تخلف لعذر الفقر، وهو أحد البكائين المذكورين.

سودة بنت زمعة

القرشية العامرية أم المؤمنين، أول من دخل بها رسول الله (ص) بعد خديجة رضى الله عنها، وكانت صوامة قوامة، ويقال كان فى خلقها حدة، وقد كبرت فأراد رسول الله (ص) أن يفارقها — ويقال بل فارقها — فقالت: يارسول الله لاتفارقنى وأنا أجعل يومى لعائشة، فتركها رسول الله (ص) وصالحها على ذلك. وفى ذلك أنزل الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) الآية. قالت عائشة: نزلت فى سودة بنت زمعة، توفيت فى خلافة عمر بن الخطاب.

هند بن عتبة

يقال: ماتت فى خلافة عمر وقيل توفيت قبل ذلك كما تقدم فالله أعلم.

خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفّان
ثم استهلت سنة أربع وعشرين

ففى أول يوم منها دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك يوم الأحد فى قول وبعد ثلاث أيام بويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

كان عمر رضى الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهم. وتحرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين، وقال لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً،

وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم (ص) ، ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشي أن يراعي فيولى لكونه ابن عمه، فلذلك تركه . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال لست مدخله فيهم ، وقال لأهل الشورى يحضركم عبد الله - يعني ابنه - وليس إليه من الأمر شيء - يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئاً - وأوصى أن يصلي بالناس صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلا من المسلمين وجعل عليهم مستحثاً أبا طلحة الأنصاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله (ص) بما ينزل به جبريل عليه . قالوا : فلما مات عمر رضي الله عنه وأحضرت جنازته تبادر إليها علي وعثمان أيهما يصلي عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : لستما من هذا في شيء ، إنما هذا إلى صهيب الذي أمره عمر أن يصلي بالناس . فتقدم صهيب وصلى عليه ، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فانه كان غائباً ، فلما فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة ، وقيل في حجرة عائشة ، وقيل في بيت المال ، وقيل في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه والله أعلم . فجلسوا في البيت وقام أبو طلحة يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا من وراء الباب فحصبهم سعد بن أبي وقاص وطردهما وقال جئتما لتقولا حضرنا أمر الشورى ؟ رواه المدائني عن مشايخه والله أعلم بصحته .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثر القول، وعلت الاصوات وقال أبو طلحة : إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم مالهم في ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الامارة إلى علي ، وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه والله عليه والاسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن: إني أترك حقي من ذلك والله علي والاسلام أن أجتهد وأولي أولاكما بالحق ؛ فقالا نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن ، فقال كل منهما نعم ! ثم تفرقوا ، ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليوليه ، فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا

يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلى : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به على ؟ قال : [بعثمان. وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟] (١) قال : بعلى بن أبى طالب . والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر فى ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والاسلام ليجتهدن فى أفضل الرجلين فيوليه . ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأى المسلمين برأى رؤس الناس وأقيادهم جميعا وأشتاتا ، مثنى وفرادى ، ومجتمعين ، سراً وجهراً ، حتى خلص إلى النساء المخدرات فى حجابهن ، وحتى سأل الولدان فى المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والاعراب إلى المدينة ، فى مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان فى تقدم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلى بن أبى طالب ، ثم بايعا مع الناس على ماسنذكره ، فسعى فى ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاءاً واستخارة ، وسؤالا من ذوى الرأى عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، فلما كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته المسور بن مخرمة فقال : أنائم يامسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، إذهب فادع إلى علياً وعثمان قال المسور : فقلت بأيهما أبدأ ؟ فقال بأيهما شئت ، قال فذهبت إلى على فقلت أجب خالى ، فقال أمرك أن تدعو معى أحداً ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت لم يأمرنى بذلك ، بل قال ادعو لى أيهما شئت أولا ، فجئت إليك قال فخرج معى فلما مررنا بدار عثمان بن عفان جلس على حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لى كما قال لى على سواء ، ثم خرج فدخلت بهما على خالى وهو قائم يصلى ، فلما انصرف أقبل على على وعثمان فقال إنى قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن ، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التى عممه رسول الله (ص) ، وتقلد سيفاً ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودى فى الناس عامة الصلاة جامعة ، فامتلأ المسجد حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس إلا فى أخريات الناس ـ وكان رجلا حيياً رضى الله عنه ـ ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله (ص) ، فوقف وقوفاً طويلا ، ودعا دعاء طويلا ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها الناس ، إنى سألتكم سراً وجهراً بأمانيكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما على وإما عثمان ، فقم إلى ياعلى ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه (ص) وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى ، قال

(١) زيادة من المصرية .

فأرسل يده وقال : قم إلى ياعثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه (ص) وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ! قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده فى يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إنى قد خلعت مافى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان . قال وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال فقعد عبد الرحمن مقعد النبى (ص) وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه على بن أبى طالب أولا ، ويقال آخراً . وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن خدعتنى ، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم فى شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن [فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما] إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت فى الصحاح فهى مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم .

والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ، ومستقيمها وسقيمها ، ومبادها وقويمها ، والله الموفق للصواب . وقد اختلف علماء السير فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان بن عفان رضى الله عنه ، فروى الواقدى عن شيوخه أنه بويع يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وهذا غريب جداً . وقد روى الواقدى أيضاً عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال : بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال ، وهذا أغرب من الذى قبله ، وكذا روى سيف بن عمر عن عامر الشعبى أنه قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين الأذان والاقامة فخرج فصلى بهم العصر . وقال سيف عن خليفة بن زفر ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس - يعنى فى أعطياتهم - مائة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أول من صنع ذلك . قلت : ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضى أن ذلك كان قبل الزوال ، لكنه لما بايعه الناس فى المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب يومئذ الظهر فى المسجد النبوى وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر ، كما ذكره الشعبى وغيره . وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتى منبر النبى (ص) فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى (ص) ، وقال : إنكم فى دار قلعة وفى بقية أعمار ،

فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا . أين أبناء الدنيا واخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب لها مثلا ، بالذى هو خير فقال تعالى [واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدراً ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا] قال : وأقبل الناس يبايعونه .

قلت وهذه الخطبة : إما بعد صلاة العصر يومئذ ، أو قبل الزوال [وعبد الرحمن بن عوف جالس فى رأس المنبر] [1] وهو الأشبه والله أعلم . وما يذكره بعض الناس من أن [عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدر ما يقول حتى قال : أيها الناس ، إن][2] أول مركب صعب ، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها ، فهو شئ يذكره صاحب العقد وغيره ، ممن يذكر طرف الفوائد ، ولكن لم أر هذا باسناد تسكن النفس إليه والله أعلم .

وأما قول الشعبى إنه زاد الناس مائة مائة ـ يعنى فى عطاء كل واحد من جند المسلمين ـ زاده على ما فرض به عمر مائة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين فى كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليه ، ولأمهات المؤمنين درهمين درهمين ، فلما ولى عثمان أقر ذلك وزاده ، واتخذ سماطا فى المسجد أيضاً للمتعبدين ، والمعتكفين ، وأبناء السبيل ، والفقراء ، والمساكين ، رضى الله عنه . وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التى تحت الدرجة التى كان رسول الله (ص) يقف عليها ، فلما ولى عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبى بكر رضى الله عنهما ، فلما ولى عثمان قال إن هذا يطول ، فصعد إلى الدرجة التى كان يخطب عليها رسول الله (ص) ، وزاد الأذان الأول يوم الجمعة ، قبل الأذان الذى كان يؤذن به بين يدى رسول الله (ص) إذا جلس على المنبر ، وأما أول حكومة حكم فيها فقضية عبيد الله بن عمر ، وذلك أنه غدا على ابنة أبى لؤلؤة قاتل عمر فقتلها ، وضرب رجلا نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله ، وضرب الهرمزان الذى كان صاحب تستر فقتله ، وكان قد قيل إنهما مالآ أبا لؤلؤة على قتل عمر فالله أعلم .

وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده ، فلما ولى عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه فى شأن عبيد الله ، فقال على : ما من العدل تركه ، وأمر بقتله ، وقال بعض المهاجرين : أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك ،

(١) ـ (٢) زيادة من المصرية .

قضية لم تكن فى أيامك فدعها عنك ، فودى عثمان رضى الله عنه أولئك القتلى من ماله ، لأن أمرهم إليه ، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال ، والامام يرى الأصلح فى ذلك ، وخلى سبيل عبيد الله . قالوا فكان زياد بن لبيد البياضى إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول :

ألا يا عبيدَ اللهِ مالكَ مهربٌ * ولا ملجأٌ من ابن أروى ولا خفرْ
أصبتَ دماً والله فى غير حلهِ * حراماً وقتلُ الهرمزانِ له خطرْ
على غير شئٍ غيرَ أن قالَ قائلٌ * أتتهمونَ الهرمزانَ على عمرْ
فقالَ سفيهٌ والحوادثُ جمةٌ * نعمْ أتهمهُ قدْ أشارَ وقدْ أمرْ
وكانَ سلاحُ العبدِ فى جوفِ بيتهِ * يقلبها والأمرُ بالأمرِ يعتبرْ

قال : فشكا عبيد الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبيد فأنشأ زياد يقول فى عثمان :

أبا عمرو عبيد اللهِ رهنٌ * فلا تشككْ بقتلِ الهرمزانِ
[فانكَ إنْ غفرتَ الجرمَ عنهُ * وأسبابُ الخطا فرسا رهانِ] (١)
أتعفو إذْ عفوتَ بغيرِ حقٍّ * فمالكَ بالذى يخلى يدانِ

قال فنهاه عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لبيد عما يقول . ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب ، والأئمة على الصلوات ، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ، ويحرضهم على الاتباع وترك الابتداع ﴿قال﴾ ابن جرير : وفى هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولى عليها سعد بن أبى وقاص فكان أول عامل ولاه ، لأن عمر قال : فان أصابت الامرة سعداً فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ولى ، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة . فاستعمل سعداً عليها سنة وبعض أخرى ، ثم رواه ابن جرير من طريق سيف عن مجالد عن الشعبى . وقال الواقدى فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر أوصى أن تقر عماله سنة ، فلما ولى عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة [ثم عزله ، واستعمل سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط . قال ابن جرير : فعلى ما ذكره الواقدى تكون ولاية سعد على الكوفة سنة] (٢) خمس وعشرين . قال ابن جرير : وفى هذه السنة – أعنى سنة أربع وعشرين – غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الاسلام فى أيام عمر بن الخطاب ، وهذا فى رواية أبى مخنف ، وأما فى رواية غيره فان ذلك كان فى سنة ست وعشرين ، ثم ذكر ابن جرير : ههنا هذه الوقعة وملخصها أن الوليد بن عقبة سار بجيش

---

(١) زيادة من الطبرى . وقوله : يخلى فى المصرية وابن جرير وفى الحلبية يحكى

(٢) زيادة من المصرية .

الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين نقضوا العهد فوطئ بلادهم وأغار بأواضى تلك الناحية فغنم وسبى وأخذ أموالا جزيلة فلما أيقنوا بالملكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان ثمانمائة ألف درهم فى كل سنة فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالما غانما الى الكوفة ، فمر بالموصل . وجاءه كتاب عثمان وهو بها يأمره أن يمد أهل الشام على حرب أهل الروم . قال ابن جرير : وفى هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام و بعثوا إلى عثمان رضى الله عنه يستمدونه فكتب إلى الوليد بن عقبة : أن إذا جاءك كتابى هذا فابعث رجلا أميناً كريماً شجاعاً فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام . فقام الوليد بن عتبة فى الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمّر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب فى ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهرى ، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ولله الحمد .

وزعم الواقدى أن الذى أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضى الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب ابن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومى فى ثمانين ألفاً من الروم والترك ، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً فعزم على أن يبيت جيش الروم فسمعته امرأته يقول للأمراء ذلك فقالت له : فأين موعدى معك - تعنى أين أجتمع بك غداً - فقال لها : موعدك سرادق الموريان أو الجنة ، ثم نهض إليهم فى ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك ، فخلف عليها بعده الضحاك بن قيس الفهرى ، فهى أم ولده . قال ابن جرير : واختلف فيمن حج بالناس فى هذه السنة فقال الواقدى وأبو معشر : حج بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان . وقال آخرون : حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه . والأول هو الأشهر فان عثمان لم يتمكن من الحج فى هذه السنة لأجل رعاف أصابه مع الناس فى هذه السنة حتى خشى عليه وكان يقال لهذه السنة سنة الرعاف ، وفيها افتتح أبو موسى الأشعرى الرى بعد ما نقضوا العهد الذى كان اتهم عليه حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه ، وفيها توفى سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ويكنى بأبى سفيان ، كان ينزل قديداً وهو الذى اتبع رسول الله (ص) وأبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الديلى حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أن يردهم على أهل مكة لما جعلوا فى كل واحد من النبى (ص) وأبى بكر مائة مائة من الابل ، فطمع أن يفوز بهذا الجعل فلم يسلطه الله عليهم ، بل

لما اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله (ص) ساخت قوائم فرسه فى الأرض حتى ناداهم بالأمان ، فأعطوه الأمان ، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله (ص) ، [ثم قدم به بعد غزوة الطائف فأسلم وأكرمه النبى (ص)] (١) . وهو القائل : يا رسول الله أعمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال له : « بل لأبد الأبد . دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

وفيها نقض أهل الاسكندرية العهد ، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم منويل الخصى فى مراكب من البحر فطمعوا فى النصرة ونقضوا ذمتهم ، فغزاهم عمرو بن العاص فى ربيع الأول ، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحاً . وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه . وفيها فى قول سيف عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط مكانه ، فكان هذا مما نقم على عثمان . وفيها وجه عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح لغزو بلاد المغرب ، واستأذنه ابن أبى سرح فى غزو إفريقية فأذن له و يقال فيها أيضاً عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وقيل بل كان هذا فى سنة سبع وعشرين كما سيأتى والله أعلم . وفيها فتح معاوية الحصون ، وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية .

ثم دخلت سنة ست وعشرين

قال الواقدى : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم . وفيها وسع المسجد الحرام . وفيها عزل سعداً عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة ، وكان سبب عزل سعد أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال ، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا ، وجرت بينهما خصومة شديدة ، فغضب عليهما عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملا لعمر على عرب الجزيرة - فلما قدمها أقبل عليه أهلها فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب ، وكان فيه رفق برعيته . قال الواقدى : وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقال غيره : وفيها افتتح عثمان بن أبى العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف ألف وثلثمائة ألف .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقدى وأبو معشر : وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح - وكان أخا عثمان لأمه - وهو الذى شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسول الله (ص) دمه .

غزوة افريقية

أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس

---

(١) سقط من الحلبية .

الخمس من الغنيمة نفلا . فسار إليها فى عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا على الطاعة والاسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار . قال الواقدى : وصالحه بطريقها على ألفى ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها عثمان فى يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان .

غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتتح قسطنطينية فى الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها ولله الحمد والمنة .

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفا إفريقية ، وعليهم عبدالله بن سعد بن أبى سرح ، وفى جيشه عبد الله بن عمر . وعبد الله بن الزبير ، صمد إليهم ملك البربر جرجير فى عشرين ومائة ألف ، وقيل فى مائتى ألف ، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون فى موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه ، قال عبدالله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون ، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح فسألته أن يبعث معى من يحمى ظهرى وأقصد الملك ، فجهز معى جماعة من الشجعان ، قال فأمر بهم فحموا ظهرى وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه — وهم يظنون أنى فى رسالة إلى الملك — فلما اقتربت منه أحس منى الشر ففر على برذونه ، فلحقته فطعنته برمحى ، وذففت عليه بسيفى ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالا كثيرة ، وسبياً عظيما ، وذلك ببلد يقال له سبيطلة — على يومين من القيروان — فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

قال الواقدى : وفى هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يدى عثمان بن أبى العاص ، وفيها غزا معاوية قنسرين ، وفيها حج بالناس عثمان بن عفان . قال ابن جرير قال بعضهم وفى هذه السنة غزا معاوية قبرص ، وقال الواقدى : كان ذلك فى سنة ثمان وعشرين . وقال أبو معشر : غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

فتح قبرص

ففيها ذكر ابن جرير فتح قبرس تبعاً للواقدى ، وهى جزيرة غربى بلاد الشام فى البحر ، مخلصة وحدها ، ولها ذنب مستطيل إلى نحو الساحل مما يلى دمشق ، وغربيها أعرضها ، وفيها فواكه كثيرة ، ومعادن ، وهى بلد جيد ، وكان فتحها على يدى معاوية بن أبى سفيان ، ركب إليها فى جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان التى تقدم حديثها فى ذلك حين نام رسول الله (ص) فى بيتها ثم استيقظ يضحك فقالت : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : « ناس من أمتى عرضوا على يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة » . فقالت : يارسول ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت : ادع الله أن يجعلنى منهم فقال : « أنت من الأولين » فكانت فى هذه الغزوة وماتت بها وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره . والمقصود أن معاوية ركب البحر فى مراكب فقصد الجزيرة المعروفة بقبرص ومعه جيش عظيم من المسلمين ، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضى الله عنه له فى ذلك بعد سؤاله إياه ، وقد كان سأل فى ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يمكنه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم الذى لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم ، فلما كان عثمان لح معاوية عليه فى ذلك فأذن له فركب فى المراكب فانتهى إليها ، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبى سرح إليها من الجانب الآخر ، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة ، وغنموا مالا جزيلا جيداً ، ولما جئ بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكى ، فقال له جبير بن نفير : أتبكى وهذا يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله ؟ فقال : ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك ، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى ، سلط الله عليهم السبى ، وإذا سلط على قوم السبى فليس لله فيهم حاجة ، وقال ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره ! ! ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار فى كل سنة ، وهادنهم ، فلما أرادوا الخروج منها قدمت لأم حرام بغلة لتركبها فسقطت عنها فاندقت عنقها فماتت هناك فقبرها هنالك يعظمونه ويستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة .

قال الواقدى : وفى هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم . وتزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها ـ وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ففيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعرى عن البصرة ، بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث ،

وامر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص وله من العمر خمس وعشرون سنة ، فأقام بها ست سنين . وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس فى قول الواقدى وأبى معشر . زعم سيف أنه كان قبل هذه السنة فالله أعلم .

وفيها وسع عثمان بن عفان مسجد النبى (ص) ، و بناه بالقصة — وهى الكلس — كان يؤتى به من بطن نخل والحجارة المنقوشة ، وجعل عمده حجارة مرصصة ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت عليه فى زمان عمر بن الخطاب ، ابتدأ بناءه فى ربيع الأول منها .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان ، وضرب له بمنى فسطاطاً فكان أول فسطاط ضرب به عثمان بمنى ، وأتم الصلاة عامه هذا ، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة ، كعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، حتى قال ابن مسعود ليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ، وقد ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله ، فروى ابن جرير أنه قال : تأهلت بمكة ، فقال له : ولك أهل بالمدينة و إنك تقوم حيث أهلك بالمدينة . قال : و إن لى مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر ، قال : إن بينك و بين الطائف مسيرة ثلاث ، فقال : و إن طائفة من أهل اليمن قالوا : إن الصلاة بالحضر ركعتان فربما رأونى أصلى ركعتين فيحتجون بى ، فقال له : قد كان رسول الله (ص) ينزل عليه الوحى والناس يومئذ الاسلام فيهم قليل ، وكان يصلى ههنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلى ههنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليت أنت ركعتين صدراً من إمارتك ، قال فسكت عثمان ثم قال : إنما هو رأى رأيته .

سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان فى قول الواقدى وأبى معشر والمدائنى ، وقال : هو أول من غزاها . وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها ، على مال بذله له أصبهبذها فالله أعلم . فذكر المدائنى أن سعيد بن العاص ركب فى جيش فيه الحسن والحسين ، والعبادلة الأربعة ، وحذيفة بن اليمان ، فى خلق من الصحابة فسار بهم فمر على بلدان شتى يصالحونه على أموال جزيلة ، حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان ، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف ، فسأل حذيفة : كيف صلى رسول الله (ص) ؟ فأخبره فصلى كما أخبره ، ثم سأله اهل ذلك الحصن الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحداً ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلا واحداً ، وحوى ما كان فى الحصن ، فأصاب رجل من بنى نهد سفطاً مقفولا فاستدعى به سعيد ؟ ففتحوه فاذا

فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها ، فاذا فيها خرقة حمراء فنشروها ، وإذا داخلها خرقة صفراء ، وفيها إيران كميت وورد . فقال شاعر يهجو بهما بنى نهد .

آبَ الكرامُ بالسبايا غنيمة * وفازَ بنو نهد بايرينَ فى سفطِ
كميتٌ وورد وافرينَ كلاهما * فظنوهما غنماً فناهيكَ منْ غلط

قالوا : ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص ، وامتنعوا عن أداء المال الذى ضرب عليهم — وكان مائة ألف دينار وقيل مائتى ألف دينار وقيل ثلثمائة ألف دينار — ثم وجه إليهم يزيد بن المهلب بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة عزل عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وولى عليها سعيد بن العاص وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً ثم التفت فقال أزيدكم ؟ فقال قائل : ما زلنا منك منذ اليوم فى زيادة . ثم إنه تصدى له جماعة يقال كان بينهم وبينه شنآن ، فشكوه إلى عثمان ، وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقاياها ، فأمر عثمان باحضاره وأمر بجلده ، فيقال إن عليا نزع عنه حلته ، وأن سعيد بن العاص جلده بين يدى عثمان بن عفان ، وعزله وأمر مكانه على الكوفة سعيد بن العاص .

وفى هذه السنة سقط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان فى بئر أريس ، وهى على ميلين من المدينة ، وهى من أقل الآبار ماء ، فلم يدرك خبره بعد بذل مال جزيل ، والاجتهاد فى طلبه ، حتى الساعة ، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضة ، ونقش عليه محمد رسول الله ، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه . وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً طويلا فى اتخاذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب ، ثم من فضة ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى كسرى ، ثم دحية إلى قيصر ، وأن الخاتم الذى كان فى يد النبى صلى الله عليه وسلم ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر ثم فى يد عثمان ست سنين ، ثم إنه وقع فى بئر أريس ، وقد تقدم بعض هذا فى الصحيح . وفى هذه السنة وقع بين معاوية وأبى ذر بالشام ، وذلك أن أبا ذر أنكر على معاوية بعض الأمور ، وكان ينكر على من يقتنى مالا من الأغنياء ، ويمنع أن يدخر فوق القوت ، ويوجب أن يتصدق بالفضل ، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى [والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ، فبعث يشكوه إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبى ذر أن يقدم عليه المدينة ، فقدمها فلامه عثمان على بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالربذة — وهى شرق المدينة — ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم بها وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى « إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها » وقد بلغ البناء سلعاً ، فأذن له عثمان بالمقام بالربذة وأمره أن يتعاهد المدينة فى بعض الأحيان ، حتى لا يرتد

أعرابياً بعد هجرته ، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سنذكره رضي الله عنه .

وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء .

فصل

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة ثلاثين - . أبى بن كعب فيما صححه الواقدى .

جبار بن صخر

ابن أمية بن خنساء ، أبو عبد الرحمن الأنصارى ، عقبي بدرى ، وقد بعثه رسول الله ص ، إلى خيبر خارصاً ، وقد توفى عن ستين سنة .

حاطب بن بلتعة

ابن عمرو بن عمير اللخمى حليف بنى أسد بن عبد العزى ، شهد بدراً وما بعدها ، وهو الذى كان كتب إلى المشركين يعلمهم بعزم رسول الله ص ، [على فتح مكة ، فعذره رسول الله ص ،] (١) بما اعتذر به ، ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الاسكندرية .

الطفيل بن الحارث

ابن المطلب أخو عبيدة ، وحصين ، شهد بدراً . قال سعيد بن عمير : توفى فى هذه السنة .

عبدالله بن كعب

ابن عمرو المازنى أبو الحارث ، وقيل أبو يحيى الأنصارى ، شهد بدراً وكان على الخمس يومئذ .

عبد الله بن مظعون

أخو عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً .

عياض بن زهير

ابن أبى شداد بن ربيعة بن هلال أبو سعيد القرشى الفهرى ، شهد بدراً وما بعدها .

مسعود بن ربيعة

وقيل ابن الربيع ، أبو عمرو القارّى [شهد بدراً وما بعدها . توفى عن نيف وستين سنة .

معمر بن ابي سرح

ابن ربيعة بن هلال القرشى أبو سعد الفهرى] (٢) ، وقيل اسمه عمرو ، بدرى قديم الصحبة .

من ١ - ٢ زيادة من المصرية .

أبو أسيد

مالك بن ربيعة قال الفلاس : مات فى هذه السنة ، والأصح أنه مات سنة أربعين ، وقيل سنة ستين فالله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

وفيها كانت غزوة الصوارى ، وغزوة الأساودة فى البحر فيما ذكره الواقدى وقال أبو معشر : كانت غزوة الصوارى سنة أربع وثلاثين . وملخص ذلك فيما ذكره الواقدى وسيف وغيرهما أن الشام كان قد جمعها لمعاوية بن أبى سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد أحرزه غاية الحفظ وحمى حوزته ، ومع هذا له فى كل سنة غزوة فى بلاد الروم فى زمن الصيف — ولهذا يسمون هذه الغزوة الصائفة — فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصوناً ويغنمون أموالا ويرعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبى سرح من أصاب من الفرنج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين فى جمع لم ير مثله منذ كان الاسلام ، خرجوا فى خمسمائة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبى سرح فى أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلبون ، وبات المسلمون يقرؤن ويصلون ، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً فى المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا إلينا فى أمر لم ير مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا صواريها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريح عنا ، فقلنا لهم : إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر فمات الا عجل منا ومنكم ، قال فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا : الماء الماء ، قال فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر ، وضربت الأمواج فى عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه — وقد قلوا جداً — وبه جراحات شديدة مكينة مكث حينا يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصوارى أياماً ، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً . قال الواقدى : فحدثنى معمر عن الزهرى قال : كان فى هذه الغزوة محمد بن أبى حذيفة ، ومحمد بن أبى بكر ، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف أبا بكر وعمر ، ويقولان دمه حلال لأنه استعمل عبد الله ابن سعد — وكان قد ارتد وكفر بالقرآن العظيم وأباح رسول الله (ص) دمه ، وأخرج رسول الله (ص) أقواماً واستعملهم عثمان ، ونزع أصحاب رسول الله (ص) واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن

عامر، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا فى مركب مافيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو فكانا أنكل المسلمين قتالا ، فقيل لهما فى ذلك فقالا : كيف نقاتل مع رجل لاينبغى لنا أن نحكمه ؟ فأرسل إليهما عبد الله بن سعد فنهاهما أشد النهى وقال : والله لولا لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما . قال الواقدى وفى هذه السنة فتحت أرمينية على يدى حبيب بن مسلمة . وفى هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس .

كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد

قال ابن إسحاق : هرب يزدجرد من كرمان فى جماعة يسيرة إلى مرو ، فسأل من بعض أهلها مالا فمنعوه وخافوه على أنفسهم ، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه ، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية على شط ، فأوى إليه ليلا ، فلما نام قتله . وقال المدائنى : لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشياً عليه تاجه ومنطقته وسيفه ، فانتهى إلى منزل هذا الرجل الذى ينقر الأرحية فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذ ما كان عليه ، وجاءت الترك فى طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله ، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته وأخذوا ما كان مع كسرى ، ووضعوا كسرى فى تابوت وحملوه إلى اصطخر ، وقد كان يزدجرد وطئ امرأة من أهل مرو قبل أن يقتل فحملت منه ووضعت بعد قتله غلاماً ذاهب الشق وسمى ذلك الغلام المخدج ، وكان له نسل وعقب فى خراسان ، وقد سبى قتيبة بن مسلم فى بعض غزواته بتلك البلاد جاريتين من نسله ؛ فبعث باحداهما إلى الحجاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنه يزيد بن الوليد الملقب بالناقص . وقال المدائنى فى رواية عن بعض شيوخه : إن يزدجرد لما انهزم عنه أصحابه عقر جواده وذهب ماشياً حتى دخل رحى على شط نهر يقال له المرغاب فمكث فيه ليلتين والعدو فى طلبه فلم يدر أين هو ، ثم جاء صاحب الرحى فرأى كسرى وعليه أبهته ، فقال له : ما أنت ؟ إنسى أم جنى ؟ قال : إنسى ، فهل عندك طعام ؟ قال : نعم ! فأتاه بطعام فقال : إنى مزمزم فأتنى بما أزمزم به ، قال : فذهب الطحان إلى أسوار من الأساورة فطلب منه مايزمزم به ، قال : وما تصنع به ؟ قال : عندى رجل لم أر مثله قط وقد طلب منى هذا ، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد - مرو واسمه ماهويه بن باباه - فأخبره خبره ، فقال هو يزدجرد ، اذهبوا فجيئونى برأسه ، فذهبوا مع الطحان [فلما دنوا من دار الرحى هابوا أن يقتلوه وتدافعوا وقالوا للطحان] (١) ادخل أنت فاقتله ، فدخل فوجده نائماً فأخذ حجراً فشدخ به رأسه ثم احتزه فدفعه إليهم وألقى جسده فى النهر ، فخرجت العامة إلى الطحان فقتلوه ، وخرج أسقف فأخذ جسده من النهر وجعله فى تابوت وحمله إلى اصطخر فوضعه فى ناووس ، ويروى أنه مكث فى منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكل

(١) زيادة من المصرية .

حتى رق له وقال له : ويحك يامسكين ألا تأكل ؟ وأتاه بطعام فقال : إنى لا أستطيع أن آكل إلا بزمزمة ، فقال له : كل وأنا أزمزم لك ، فسأل أن يأتيه بزمزم ، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شموا رائحة المسك من ذلك الرجل ، فأنكروا رائحة المسك منه فسألوه فأخبرهم فقال : إن عندى رجلا من صفته كيت وكيت ، فعرفوه وقصدوه مع الطحان وتقدم الطحان ندخل عليه وهم بالقبض عليه فعرف يزدجرد ذلك فقال له : ويحك خذ خاتمى وسوارى ومنطقتى ودعنى أذهب من ههنا ، فقال لا ، اعطنى أربعة دراهم وأنا أطلقك ، فزاده إحدى قرطيه من أذنه فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم أخرى ، فهم فى ذلك إذ دهمهم الجند فلما أحاطوا به وأرادوا قتله قال : ويحكم لا تقتلونى فانا نجد فى كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلونى واذهبوا بى إلى الملك أو إلى العرب ، فانهم يستحيون من قتل الملوك ، فأبوا عليه ذلك فسلبوه ما كان عليه من الحلى فجعلوه فى جراب وخنقوه بوتر وألقوه فى النهر فتعلق بعود فأخذه أسقف — واسمه إيليا — فحن عليه مما كان من أسلافه من الاحسان إلى النصارى الذين كانوا ببلادهم ، فوضعه فى تابوت ودفنه فى ناووس ، ثم حمل ما كان عليه من الحلى إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ففقد قرط من حليه فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأغرمه ذلك . وكان ملك يزدجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين فى دعة ، وباقى ذلك هارباً من بلد إلى بلد ، خوفاً من الاسلام وأهله ، وهو آخر ملوك الفرس فى الدنيا على الاطلاق ، لقول رسول الله (ص) « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » رواه البخارى . وثبت فى الحديث الصحيح أنه لما جاء كتاب النبى (ص) مزقه ، فدعا عليه النبى (ص) أن يمزق كل ممزق ، فوقع الأمر كذلك ، وفى هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح ، فمن ذلك ما فتح عنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان فى جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهى مرو على ألفى ألف ومائتى ألف ، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتى ألف .

وفى هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق — مضيق القسطنطينية — ومعه زوجته عاتكة ، ويقال فاطمة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . قاله أبو معشر والواقدى : وفيها استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على جيش وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بلنجر فحصروها ونصبت عليها المجانيق والعرادات . ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم الترك فاقتتلوا قتالا شديداً — وكانت الترك تهاب

قتال المسلمين ، و يظنون أنهم لا يموتون ـ حتى اجترأوا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتتلوا ، فقتل يومئذ عبدالرحمن بن ربيعة ـ وكان يقال له ذو النون ـ وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، ففرقة ذهبت إلى بلاد الخزر . وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان ، وفى هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي . وأخذت الترك جسد عبدالرحمن بن ربيعة ـ وكان من سادات المسلمين وشجعانهم ـ فدفنوه فى بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة ، وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ، فتنازع حبيب وسلمان فى الأمرة حتى اختلفا ، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام ، حتى قال فى ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس :

فإن تضربوا سلمانَ نضربْ حبيبكمْ * وإنْ ترحلوا نحوَ ابن عفانَ نرحلِ

وإنْ تقسطوا فالثغرُ ثغرُ أميرنا * وهـذا أمير فى الكتائب مقبلُ

ونحنُ ولاة الثغرِ كنا حماته * ليالىَ نرمى كلَّ ثغرٍ وننكل

وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان . فأما مرو الروذ فبعث إليهم أبو عامر الأحنف بن قيس لحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطرهم إلى حصنهم ، ثم صالحوه على مال جزيل وعلى أن يضرب على أراضى الرعية الخراج ، ويدع الأرض التى كان اقتطعها كسرى لوالد المرزبان ، صاحب مرو ، حين قتل الحية التى كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم ، فصالحهم الأحنف على ذلك ، وكتب لهم كتاب صلح بذلك ، ثم بعث الأحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم ، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين ، ثم نصروا فقال فى ذلك أبو كثير النهشلى قصيدة طويلة فيها :

سقى مزنَ السحابِ إذا استهلتْ * مصارعُ فتيةٍ بالجوزجانِ

إلى القصرينِ منْ رستاقَ حوطٍ * أبادهمُ هناكَ الأقرعانِ

ثم سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصرهم حتى صالحوه على أربعمائة ألف ، واستناب ابن عمه أسيد بن المشمس على قبض المال ، ثم ارتحل يريد الجهاد ، وداهمه الشتاء فقال لأصحابه : ما تشاءون ؟ فقالوا : قد قال عمرو بن معد يكرب :

إذا لمْ تستطعْ شيئاً فدعهُ * وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد إلى عامر فقيل لابن عامر ما فتح على أحد ما فتح عليك ، فارس وكرمان وسجستان وعامر خراسان ، فقال : لا جرم ، لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أحرم بعمرة من موقفى هذا مشمراً فأحرم بعمرة من نيسابور ، فلما قدم على

عثمان لامه على إحرامه من خراسان . وفيها أقبل قارن فى أربعين ألفاً فالتقاه عبد الله بن حازم فى أربعة آلاف ، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل ، وأمر كلا منهم أن يحمل على رأس رمحه ناراً ، وأقبلوا إليهم فى وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم ، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فالتقوا هم وإياهم ، فولى المشركون مدبرين ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤا كيف شاؤا . وغنموا سبيا كثيراً وأموالا جزيلة ، ثم بعث عبد الله بن حازم [بالفتح إلى ابن عامر ، فرضى عنه وأقره على خراسان ـ وكان قد عزله عنها ـ فاستمر بها عبد الله بن حازم] [(١)] إلى ما بعد ذلك .

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

العباس بن عبد المطلب

ابن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى أبو الفضل المكى عم رسول الله ﷺ ، ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث ، أسر يوم بدر فافتدى نفسه بمال ، وافتدى ابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث . وقد ذكرنا أنه لما أسر وشد فى الوثاق وأمسى الناس ، أرق رسول الله ﷺ فقيل يارسول الله مالك ؟ فقال « إنى أسمع أنين العباس فى وثاقه فلا أنام » فقام رجل من المسلمين فحل من وثاق العباس حتى سكن أنينه فنام رسول الله ﷺ ، ثم أسلم عام الفتح ، وتلقى رسول الله ﷺ إلى الجحفة فرجع معه ، وشهد الفتح ، ويقال إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة باذن النبى ﷺ له فى ذلك ، كما ورد به الحديث فالله أعلم . وقد كان رسول الله ﷺ يجله ويعظمه وينزله منزلة الوالد من الولد ، ويقول « هذا بقية آبائى » وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم ، وكان ذا رأى وعقل تام واف ، وكان طويلا جميلا أبيض بضا ذا ظفرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الاناث ، وهم تمام ـ وكان أصغرهم ـ والحارث ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعون ، والفضل ، وقثم ، وكثير ، ومعبد . وأعتق سبعين مملوكا من غلمانه [وقال الامام أحمد : ثنا على بن عبد الله قال حدثنى محمد بن طلحة التيمى من أهل المدينة حدثنى أبو سهيل نافع بن مالك عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله ﷺ للعباس « هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفاً وأوصلها » تفرد به [(٢)]] وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ « ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه

(١) سقط من الحلبية (٢) سقط من المصرية . الله وقوله تفرد به كذا فى أصل الحلبية ولعله سقط منه لفظ أحمد .

وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل الله ، وأما العباس فهى على ومثلها » ثم قال : « ياعمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » ؟ وثبت فى صحيح البخارى عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى به ، وقال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، قال فيسقون ، ويقال إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجلا إكراماً له . قال الواقدى وغير واحد : توفى العباس فى يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع وقيل توفى سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين ، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

عبدالله بن مسعود

ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذلى ، أبو عبد الرحمن حليف بنى زهرة ، أسلم قديماً قبل عمر ، وكان سبب إسلامه حين مر به رسول الله (ص) وأبو بكر رضى الله عنه ، وهو يرعى غنما فسألاه لبنا فقال : إنى مؤتمن ، قال فأخذ رسول الله (ص) عناقاً لم ينز عليها الفحل فاعتقلها ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع « أقلص » فقلص ، فقلت علمنى من هذا الدعاء فقال : إنك غلام معلم ، الحديث . وروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه أن ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بمكة ، بعد النبى (ص) عند البيت ، وقريش فى أنديتها قرأ سورة الرحمن علم القرآن ، فقاموا إليه فضربوه ، ولزم رسول الله (ص) ، وكان يحمل نعليه وسواكه ، وقال له إذنك على أن تسمع سوادى(١) ولهذا كان يقال له صاحب السواك والوساد ، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وهو الذى قتل أبا جهل بعد ما أثبته ابنا عفراء ، وشهد بقية المشاهد ، وقال له رسول الله (ص) يوماً « اقرأ على » فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال « إنى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله [فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً] فبكى رسول الله (ص) وقال « حسبك » وقال أبو موسى : قدمت أنا وأخى من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبى (ص) ، لكثرة دخولهم بيت النبى (ص) . وقال حذيفة ما رأيت أحداً أشبه برسول الله (ص) فى هديه ودله وسمته من ابن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى ، وفى الحديث « وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » وفى الحديث الآخر الذى رواه أحمد عن محمد بن فضيل عن مغيرة عن أم حرسى عن على أن ابن

---

(١) فى النهاية اذنك على أن ترفع الحجاب وتستمع سوادى حتى أنهاك . السواد بالكسر السرار

مسعود صعد شجرة يجتنى الكباث فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه ، فقال رسول الله (ص) « والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وقد نظر إلى قصره وكان يوازى بقامته الجلوس ـ فجعل يتبعه بصره ثم قال هو كنيف ملئ علماً . وقد شهد ابن مسعود بعد النبى (ص) مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، وكان قدم من العراق حاجاً فمر بالربذة فشهد وفاة أبى ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة فمرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً ، فيروى أنه قال له : ماتشتكى ؟ قال ذنوبى ، قال فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى ، قال ألا آمر لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضنى ، قال ألا آمر لك بعطائك ؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال : لا حاجة لى فيه . فقال : يكون لبناتك من بعدك ، فقال أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، و إنى سمعت رسول الله (ص) يقول « من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » وأوصى عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام ، فيقال إنه هو الذى صلى عليه ليلا ، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك ، وقيل بل صلى عليه عثمان ، وقيل عمار ، فالله أعلم .ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة .

عبد الرحمن بن عوف

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، أبو محمد القرشى الزهرى ، أسلم قديماً على يدى أبى بكر ، وهاجر إلى الحبشة و إلى المدينة ، وآخى رسول الله (ص) بينه و بين سعد ابن الربيع ، وشهد بدراً وما بعدها ، وأمره رسول الله (ص) حين بعثه إلى بنى كلب وأرخى له عذبة بين كتفيه ، لتكون أمارة عليه للامارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا . ثم كان هو الذى اجتهد فى تقديم عثمان رضى الله عنه ، وقد تقاول هو وخالد بن الوليد فى بعض الغزوات فأغلظ له خالد فى المقال ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) قال « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهو فى الصحيح . وقال معمر عن الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبى (ص) بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل على خمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة ، فأما الحديث الذى قال عبد بن حميد فى مسنده ثنا يحيى بن إسحق ثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر آخى رسول الله (ص) بينه و بين عثمان بن عفان فقال له إن لى حائطين فاختر أيهما شئت ، فقال : بارك الله لك فى حائطيك ، ما لهذا أسلمت ، دلنى على السوق ، قال فدله فكان يشترى السمنة والاقيطة والاهاب ، فجمع فتزوج فأتى النبى (ص) فقال « بارك الله لك

أو لم ولو بشاة » قال فكثر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام ، قال : فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجة ؟ فقيل لها عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام . فقالت عائشة : سمعت رسول الله (ص) يقول « يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً » فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال : أشهدك يا أمه أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله . وقال الامام أحمد : ثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة - هو ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال : بينما عائشة فى بيتها إذ سمعت صوتاً فى المدينة قالت : ماهذا ؟ قالوا عير لعبدالرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شئ - قال وكانت سبعمائة بعير - قال فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة سمعت رسول الله (ص) يقول : «قد رأيت عبدالرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلها قائماً ، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله . فقد تفرد به عمارة بن زاذان الصيدلانى وهو ضعيف . وأما قوله فى سياق عبد بن حميد : إنه آخى بينه و بين عثمان بن عفان ، فغلط محض مخالف لما فى صحيح البخارى من أن الذى آخى بينه و بينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنهما ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر فى بعض الأسفار ، وهذه منقبة عظيمة لا تبارى . ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقى من أهل بدر بأر بعمائة دينار - وكانوا مائة - فأخذوها حتى عثمان وعلى ، وقال على : اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زيفها وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاه الله من السلسبيل . وأعتق خلقا من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلا ، من ذلك ذهب قطع بالفؤس حتى مجلت أيدى الرجال ، وترك ألف بعير ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع ، وكان نساؤه أربعاً فصولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً ، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحمل فى جنازته سعد بن أبى وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة . وكان أبيض مشرباً حمرة حسن الوجه ، دقيق البشرة ، أعين أهدب الأشفار ، أقنى ، له جمة ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، لايغير شيبه رضى الله عنه .

أبو ذرّ الغفاري

واسمه جندب بن جنادة على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة . وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة ، وهو أول من حيا رسول الله (ص) بتحية الاسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزم رسول الله (ص) حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وجاء فى فضله أحاديث كثيرة ، من

أشهرها ما رواه الأعمش عن أبى اليقظان عثمان بن عمير عن أبى حرب بن أبى الأسود عن عبد الله ابن عمر و أن رسول الله «ص» ، قال «ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر» وفيه ضعف . ثم لما مات رسول الله «ص» ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه و بين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، ثم نزل الربذة فأقام بها حتى مات فى ذى الحجة من هذه السنة ، وليس عنده سوى امرأته وأولاده ، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق فى جماعة من أصحابه ، فحضروا موته ، وأوصاهم كيف يفعلون به ، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنه ، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوه بعد الموت ، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كان فتح قبرص فى قول أبى معشر ، وخالفه الجمهور فذكروها قبل ذلك كما تقدم ، وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح إفريقية ثانية ، حين نقض أهلها العهد . وفيها سيّر أمير المؤمنين جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام ، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح فى مجلس سعيد بن عامر ، فكتب إلى عثمان فى أمرهم ، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام ، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد أخرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم . فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة ، فاحتملهم معاوية لحلمه ، وأخذ فى مدح قريش ـ وكانوا قد نالوا منهم ـ وأخذ فى المدح لرسول الله «ص» ، والثناء عليه ، والصلاة والتسليم . وافتخر معاوية بوالده وشرفه فى قومه ، وقال فيما قال : وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً ، فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت ، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبى سفيان من خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البر والفاجر ، والأحمق والكيس . ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فإذا هم يتمادون فى غيهم ، و يستمرون على جهالتهم وحماقتهم ، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام ، لئلا يشوشوا عقول الطغام ، وذلك أنه كان يشتمل مطاوى كلامهم على القدح فى قريش كونهم فرطوا وضيعوا مايجب عليهم من القيام فيه ، من نصرة الدين وقمع المفسدين . و إنما يريدون بهذا التنقيص والعيب ورجم الغيب ، وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص ، وكانوا عشرة ، وقيل تسعة وهو الأشبه ، منهم كميل بن زياد ، والأشتر النخعى ـ واسمه مالك بن يزيد ـ وعلقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعى ، وجندب بن زهير العامرى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وعروة بن الجعد

وعمرو بن الحمق الخزاعى [١] . فلما خرجوا من دمشق أووا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة ، ثم ولى حمص بعد ذلك - فهددهم وتوعدهم ، فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الاقلاع عما كانوا عليه ، فدعا لهم وسير مالكا الأشتر النخعى إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه ، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيرهم أن يقيموا حيث أحبوا ، فاختاروا أن يكونوا فى معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقدموا عليه حمص ، فأمرهم بالمقام بالساحل ، وأجرى عليهم الرزق . ويقال بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردهم إليه ، فلما رجعوا كانوا أزلق ألسنة ، وأكثر شراً ، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان ، فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، وأن يلزموا الدروب . وفى هذه السنة سير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ، وإلى مصر بأسباب مسوغة لما فعله رضى الله عنه ، فكان هؤلاء ممن يؤلب عليه ويمالئ الأعداء فى الحط والكلام فيه ، وهم الظالمون فى ذلك ، وهو البار الراشد رضى الله عنه . وفى هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وتقبل الله منه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر : فيها كانت وقعة الصوارى ، والصحيح فى قول غيره أنها كانت قبل ذلك كما تقدم . وفى هذه السنة تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم فى معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة ، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة ، وتألبوا عليه ، ونالوا منه ومن عثمان ، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بنى أمية من أقربائه ، وأغلظوا له فى القول ، وطلبوا منه أن

(١) كذا فى الحلبية . والذى فى المصرية

كميل بن زياد ، والأشتر النخعى ، - واسمه مالك بن الحارث - وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ، وكعب بن مالك الأوسى ، والأسود بن زيد بن علقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وعروة بن الجعد ، وعمرو ابن الحمق الخزاعى .

والذى فى الطبرى .

مالك بن الحارث الأشتر ، وثابت بن قيس النخعى ، وكميل بن زياد النخعى ، وزيد بن صوحان العبدى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وعروة بن الجعد ، وعمرو بن الحمق الخزاعى .

يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة ، حتى شق ذلك عليه جداً ، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم ، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ، وعمرو بن العاص أمير مصر ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب ، وسعيد بن العاص أمير الكوفة ، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر وافتراق الكلمة فأشار ، فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر ، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه ؛ وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته فان غوغاء الناس اذا تفرغوا وبطلوا إشتغلوا بما لا يغني وتكلموا بما لا يرضي واذا تفرقوا نفعوا أنفسهم وغيرهم ، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم ، وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر ، فانهم أقل وأضعف جنداً . وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطيهم منه ما يكف به شرهم . ويأمن غائلتهم ، ويعطف به قلوبهم إليه . وأما عمرو بن العاص فقام فقال : أما بعد يا عثمان فانك قد ركبت الناس ما يكرهون فأما أن تعزل عنهم ما يكرهون ، وإما أن تقدم فتنزل عمالك على ماهم عليه ، وقال له كلاماً فيه غلظة ، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليبلغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا ، فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه ، وتألف قلوب أولئك بالمال ، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو إلى الثغور ، فجمع بين المصالح كلها ، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعرى ، وكان اجتماعهم بمكان يقال له الجرعة ،[1] - [وقد قال يومئذ الأشتر النخعي: والله لا يدخلها علينا ماحملنا سيوفنا ، وتواقف الناس بالجرعة] .[2] وأحجم سعيد عن قتالهم وصمموا على منعه ، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، فجعل أبو مسعود يقول : [والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء . فجعل حذيفة يقول :][3] والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم ، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد حي . والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة ، فأعجب ذلك أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان أن يولي عليهم ابا موسى الأشعري بذلك فأجابهم عثمان إلى ماسألوا إزاحة لعذرهم ، وإزالة لشبههم ، وقطعاً لعللهم.

وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلا يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الاسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل : نعم ! فيقول له فرسول الله (ص) أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ ثم يقول : وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب ، فمحمد خاتم الأنبياء ،

---

(١) الجرعة مكان مشرف قرب القادسية . (٢) - (٣) سقط من الحلبية .

وعلى خاتم الأوصياء ، ثم يقول :فهو أحق بالأمرة من عثمان ، وعثمان معتد فى ولايته ما ليس له . فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، فتمالؤا على ذلك ، وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا أن يجتمعوا فى الأنكار على عثمان ، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوى رحمه وعزله كبار الصحابة . فدخل هذا فى قلوب كثير من الناس ، فجمع عثمان بن عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له فالله أعلم .

وقال الواقدى فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس بالمقالة على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، فكلم الناس على بن أبى طالب أن يدخل على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إن الناس ورائى وقد كلمونى فيك ، ووالله ما أدرى ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشئ فنبلغكه ، وما خصصنا بأمور خفي عنك إدراكها ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله (ص) ، ونلت صهره ، وما ابن أبى قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشئ من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله (ص) رحما ، ولقد نلت من صهر رسول الله (ص) ما لم ينالا ، ولا سبقاك إلى شئ ، فالله الله فى نفسك ، فانك والله ما تبصر من عمى ، ولا تعلم من جهل . وإن الطريق لواضح بين ، وإن أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هدى وهدى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة معلومة ، فوالله إن كلا لبين ، وإن السنن لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل به فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ، وإنى سمعت رسول الله (ص) يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى فى جهنم فيدور فيها كما تدور الرحا ثم يرتطم فى غمرة جهنم ، وإنى أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته ، فان عذابه أليم شديد ، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فانه كان يقال يقتل فى هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس أمورها عليها ، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرحون فيها مرحاً . فقال عثمان : قد والله علمت لتقولن الذى قلت ، أما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ، ولا عبت عليك ، ولا جئت منكراً ، إنى وصلت رحماً ، وسددت خلة ، وآويت ضائعاً ، ووليت شبيها بمن كان عمر يولى ، أنشدك الله ياعلى هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال : نعم ! قال : فتعلم أن عمر ولاه ؟ قال : نعم ! قال : فلم تلومونى أن وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته ؟ فقال على : سأخبرك ان عمر كان كلما ولى اميراً فانما يطأ على صماخيه وأنه إن بلغه حرف جاء به ، ثم بلغ

به القصى الغاية في العقوبة، وأنت لا تفعل، ضعفت ورفقت على أقربائك . فقال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال على لعمرى إن رحمهم منى لقريبة ، ولكن الفضل فى غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها ، فقد وليته ، فقال على : أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه ؟ قال : نعم ! قال على : فان معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان، فليبلغك فلا تنكر ولا تغير على معاوية ثم خرج علىّ من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر فوعظ وحذر وأنذر، وتهدد وتوعد ، وأبرق وأرعد ، فكان فيما قال : ألا فقد والله عبتم على بما أقررتم به لابن الخطاب ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم وأوطأت لكم كتفى ، وكففت يدى ولسانى عنكم ، فاجترأتم على ، أما والله لأنا أعز نفراً وأقرب ناصراً وأكثر عدداً وأقمن ، إن قلت : هلمّ إلىّ إلىّ ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نابى ، فأخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه ، ومنطقا لم أنطق به ، فكفوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فانى قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يليكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا ، ألا فما تفقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى . ثم اعتذر عما كان يعطى أقرباه بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم والله حكمنا بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكمْ * مغارسكمْ تبنونَ فى دِمنِ الثرى

فقال عثمان : اسكت لاسكتّ ، دعنى وأصحابى ، ما منطقك فى هذا ، ألم أتقدم إليك أن لا تنطق . فسكت مروان ونزل عثمان رضى الله عنه .

وذكر سيف بن عمر وغيره أن معاوية لما ودعه عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فانهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء . فقال : لا أختار بجوار رسول الله (ص) سواه . فقال : أجهز لك جيشاً من الشام يكونون عندك ينصرونك ؟ فقال : إنى أخشى أن أضيق بهم بلد رسول الله (ص) على أصحابه من المهاجرين والأنصار . قال معاوية : فوالله يا أمير المؤمنين لتغتالن – أو قال : لتغزين – فقال عثمان : حسبى الله ونعم الوكيل . ثم خرج معاوية من عنده وهو متقلد السيف وقوسه فى يده ، فمر على ملأ من المهاجرين والأنصار ، فيهم على بن أبى طالب ، وطلحة ، والزبير ، فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلم بكلام بليغ يشتمل على الوصاة بعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه ، ثم انصرف ذاهباً . فقال الزبير : ما رأيته أهيب فى عينى من يومه هذا . وذكر ابن جرير أن معاوية استشعر الأمر لنفسه من قدمته هذه إلى المدينة ، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز فى أيام الموسم فى هذا العام وهو يقول :

قد علمت ضوامر المطى * وضمرات عوج القسى . أن الأمير بعده على * وفى الزبير خلف رضى وطلحة الحامى لها ولى .

فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك فى نفسه حتى كان ما كان على ما سنذكره فى موضعه إن شاء الله وبه الثقة . قال ابن جرير : وفى هذه السنة مات أبو عبس بن جبير بالمدينة وهو بدرى . ومات أيضاً مسطح بن أثاثة . وغافل بن البكير . وحج بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ففيها مقتل عثمان

وكان السبب فى ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولى عليها عبد الله بن سعد ابن أبى سرح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص ، مقهورين معه لا يستطيعون ان يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير

فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم ويولى عليهم من هو ألين منه . فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبى سرح . ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما ، حتى كان بينهما كلام قبيح . فأرسل عثمان فجمع لابن أبى سرح جميع عمالة مصر ، خراجها [وحربها] وصلاتها ، وبعث إلى عمرو يقول له : لاخير لك فى المقام عند من يكرهك ، فأقدم إلى ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفى نفسه من عثمان أمر عظيم وشر كبير فكلمه فيما كان من أمره بنفس ، وتقاولا فى ذلك ، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان ، وأنه كان أعز منه . فقال له عثمان : دع هذا فانه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان . وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا ، وينقمون عليه فى عزله جماعة من علية الصحابة وتوليته من دونهم ، أو من لا يصلح عندهم للولاية . وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتحه بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والانكار عليه ؛ وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، حتى استنفرا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة فى صفة معتمرين فى شهر رجب ، لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق ، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران السكونى . وأقبل معهم محمد بن أبى بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبى حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء . وكتب عبد الله بن سعد بن أبى سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين عليه فى صفة معتمرين . فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي بن أبى طالب أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . ويقال : بل ندب الناس إليهم ، فانتدب على لذلك فبعثه ،

وخرج معه جماعة الاشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر . فقال على لعمار فأبى عمار أن يخرج معه . فبعث عثمان سعد بن أبى وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع على إليهم ، فأبى عمار كل الاباء ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان متعصباً على عثمان بسبب تاديبه له فيما تقدم على أمر وضربه إياه فى ذلك ، وذلك بسبب شتمه عباس بن عتبة بن أبى لهب ، فأدبهما عثمان ، فتآمر عمار عليه لذلك ، وجعل يحرض الناس عليه ، فنهاه سعد بن أبى وقاص عن ذلك ولامه عليه ، فلم يقلع عنه ولم يرجع ولم ينزع ، فانطلق على بن أبى طالب إليهم وهم بالجحفة ، وكانوا يعظمونه ويبالغون فى أمره ، فردهم وأنبهم وشتمهم ، فرجعوا على أنفسهم بالملامة ، وقالوا : هذا الذى تحاربون الأمير بسببه ، وتحتجون عليه به . ويقال إنه ناظرهم فى عثمان ، وسألهم ماذا ينقمون عليه ، فذكروا أشياء منها أنه حمى الحمى وانه حرق المصاحف ، وانه أتم الصلاة وانه ولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بنى أمية أكثر من الناس فأجاب على عن ذلك : أما الحمى فانما حماه لابل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لابله ولا لغنمه وقد حماه عمر من قبله . وأما المصاحف فانما حرق ما وقع فيه اختلاف ، وأبقى لهم المتفق عليه ، كما ثبت فى العرضة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فانه كان قد تأهل بها ونوى الاقامة فأتمها ؛ وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلا سوياً عدلا ، وقد ولى رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة ، وولى أسامة بن زيد بن حارثة ، وطعن الناس فى إمارته فقال انه لخليق بالامارة وأما ايثاره قومه بنى امية فقد كان رسول الله (ص) يؤثر قريشا على الناس ، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدى لأدخلت بنى أمية إليها . ويقال : إنهم عتبوا عليه فى عمار ومحمد بن أبى بكر ، فذكر عثمان عذره فى ذلك ، وأنه أقام فيهما ما كان يجب عليهما . وعتبوا عليه فى إيوائه الحكم بن أبى العاص ، وقد نفاه رسول الله (ص) إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله (ص) كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ، ثم نفاه إليها ، قال فقد نفاه رسول الله (ص) ثم رده ، وروى أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له . ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت عللهم ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم فصفح عنهم ، رضى الله عنه . وردهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا ، ولم ينالوا شيئا مما كانوا أملوا وراموا ؛ ورجع على إلى عثمان ، فأخبره برجوعهم عنه ، وسماعهم منه ، وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقاربه ، ويشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله ، وأنه لا يحيد عنها ، كما كان الأمر أولا فى مدة ست سنين الأول ، فاستمع عثمان هذه النصيحة وقابلها بالسمع والطاعة ، ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه فى أثناء الخطبة ، وقال اللهم إنى أستغفرك

وأتوب إليك ، اللهم إنى أول تائب مما كان منى ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأنه قد سبل بابه لمن أراد الدخول عليه ، لايمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلى بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أومسألة أو سؤال، لايمنع أحد من ذلك مدة . قال الواقدى : فحدثنى على بن عمر عن أبيه قال : ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاما تسمعه الناس منك ويشهدون عليك، ويشهد الله على مافى قلبك من النزوع والانابة ، فان البلاد قد تمخضت عليك ، ولا آمن ركبا آخرين يقدمون من قبل الكوفة ، فتقول ياعلى اركب إليهم ، ويقدم آخرون من البصرة فتقول ياعلى اركب إليهم ، فان لم أفعل قطعت رحمك واستخففت بحقك . قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها ، وأعلم الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: أما بعد ، أيها الناس ، فوالله ماعاب من عاب شيئا أجهله ، وماجئت شيئا إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضل رشدى ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « من زل فليتب ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتمادى فى الهلكة ، إن من تمادى فى الجور كان أبعد عن الطريق » فأنا أول من اتعظ ، أستغفر الله مما فعلت وأتوب ، فمثلى نزع وتاب ، فاذا نزلت فليأتنى أشرافكم ، فوالله لأكونن كالمرقوق إن ملك صبر ، وإن عتق شكر ، وماعن الله مذهب إلا إليه . قال : فرق الناس له وبكى من بكى ، وقام إليه سعيد بن زيد فقال: ياأمير المؤمنين ! الله الله فى نفسك ! فأتم على ما قلت . فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتكلم ياأمير المؤمنين أم أصمت ؟ فقالت امرأة عثمان - نائلة بنت الفرافصة الكلبية - من وراء الحجاب : بل اصمت ، فوالله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لاينبغى النزوع عنها . فقال لها : وما أنت وذاك ! ؟ فوالله لقد مات أبوك ومايحسن أن يتوضأ . فقالت له : دع ذكر الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان . وقال لعثمان :ياأمير المؤمنين أتكلم أم أصمت ؟ فقال له عثمان : بل تكلم ، فقال مروان : بأبى أنت وأمى ، لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنع منيع ، فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ماقلت حين جاوز الحزام الطبيين ، وبلغ السيل الزبا ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لاقامة على خطيئة يستغفر منها ، خير من توبة تخوف عليها ، وإنك لوشئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : قم فاخرج إليهم فكلمهم ، فانى أستحى أن أكلمهم ، قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضا ، فقال : ما شأنكم

كأنكم قد جئتم لنهب ، شاهت الوجوه كل إنسان آخذ باذن صاحبه إلا من أريد (١) جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، أخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتمونا لتمرن عليكم أمر يسؤكم ولا تحمدوا غبه ، ارجعوا إلى منازلكم ، فوالله مانحن مغلوبين على مابأيدنا ، قال فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى اتى عليا فأخبره الخبر ، فجاء على مغضبا حتى دخل على عثمان . فقال : أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟ ! وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به ، والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه ، وأيم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، أذهبت سوقك ، وغلبت على أمرك . فلما خرج على دخلت نائلة على عثمان فقالت : أتكلم أو أسكت ؟ فقال : تكلمى ، فقالت : سمعت قول علي أنه ليس يعاودك ، وقد أطعت مروان حيث شاء ، قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك ، فانك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة ، فأرسل إلى على فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى . قال فأرسل عثمان إلى على فأبى أن يأتيه ، وقال : لقد أعلمته أنى لست بعائد . قال : وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء الى عثمان فقال : أتكلم أو سكت ؟ فقال : تكلم ، فقال : إن نائلة بنت الفرافصة ، فقال عثمان لاتذكرها بحرف فأسوء الى وجهك ، فهى والله أنصح لى منك . قال : فكف مروان

ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان ، وغضب على على عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغير ولم يسلك سيرة صاحبيه كاتب ، تكاتب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا ، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان على وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم . وذكر سيف بن عمر التميمى عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان فى شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر فى أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقلل لهم يقول ستمائة ، والمكثر يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن ابن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر الليثى ، وسودان بن حمران السكونى ، وقتيرة السكونى وعلى القوم جميعا الغافقى بن حرب العكى ، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً ، ومعهم ابن السوداء ـ وكان أصله ذميا فأظهر الاسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية ، قبحه الله ـ وخرج أهل الكوفة فى عددهم فى أربع رفاق أيضاً ، وأمراؤهم : زيد بن صوحان ، والأشتر النخعى ، وزياد بن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الأصم ، وعلى الجميع عمرو بن الأصم . وخرج أهل البصرة فى عددهم أيضا فى أربع

(١) كذا بالاصل والطبرى وفى عقد الجمان مهملة من التنقيط ووصلها ابن الاثير بشاهت الوجوه

رايات مع حكيم بن جبلة العبدى ، و بشر بن شريح بن ضبيعة القيسى ، وذريح بن عباد العبدى ، وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدى ، وأهل مصر مصرون على ولاية على بن أبى طالب ، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير ، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة . لا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم ، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا فى كتبهم ، فى شهر شوال فنزل طائفة منهم بذى خشب ، وطائفة بالأعوص ، والجمهور بذى المروة ، وهم على وجل من أهل المدينة ، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاؤا للحج لا لغيره ، وليستعفوا هذا الوالى من بعض عماله ، ماجئنا إلا لذلك ، واستأذنوا للدخول ، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه ، فتجاسروا واقتربوا من المدينة ، وجاءت طائفة من المصريين إلى على وهو فى عسكر عند أحجار الزيت ، عليه حلة أفواف ، معتم بشقيقة حمراء يمانية ، متقلدا السيف وليس عليه قميص

وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه ، فسلم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذى خشب ملعونون على لسان محمد ص ، فارجعوا لا صبحكم الله ، قالوا : نعم ! وانصرفوا من عنده على ذلك ، وأتى البصريون طلحة وهو فى جماعة أخرى إلى جنب على — وقد أرسل ابنيه إلى عثمان — فسلموا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لهم كما قال على لأهل مصر ، وكذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة . فرجع كل فريق منهم إلى قومهم ، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم ، وساروا أياما راجعين ، ثم كرو عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها ، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان ، وقالوا للناس : من كف يده فهو آمن ، فكف الناس ولزموا بيوتهم ، وأقام الناس على ذلك أياماً . هذا كله ولايدرى الناس ما القوم صانعون ولا على ماهم عازمون ، وفى كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلى بالناس ، فيصلى وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون ، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على رجوعهم ، حتى قال على لأهل مصر : ما ردكم بعد ذهابكم و رجوعكم عن رأيكم ؟ فقالوا : وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا . وكذلك قال البصريون لطلحة ، والكوفيون للزبير . وقال أهل كل مصر : إنما جئنا لننصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمتم بذلك من أصحابكم ، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضعوه على ما أردتم ، لا حاجة لنا فى هذا الرجل ، ليعتزلنا ونحن نعتزله — يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا — وكان المصريون فيما ذكر ، لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا فى الطريق بريداً يسير ، فأخذوه ففتشوه ، فاذا معه فى إداوة كتاباً على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم ، و بصلب آخرين ، و بقطع أيدى آخرين منهم وأرجلهم ، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان ، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جمله ، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب

وداروا به على الناس ، فكلم الناس أمير المؤمنين فى ذلك ، فقال : بينة على بذلك وإلا فوالله لا كتبت ولا أمليت ، ولا دريت بشىء من ذلك ، والخاتم قد يزور على الخاتم ، فصدقه الصادقون فى ذلك ، وكذبه الكاذبون . ويقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبى سرح ، ويولى محمد بن أبى بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد ابن أبى بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما رجعوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبى بكر وآخرين معه ، فرجعوا ، وقد حنقوا عليه حنقا شديداً ، وطافوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك فى أذهان كثير من الناس . وروى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، أن الذى كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمى ، على جمل لعثمان ، وذكر ابن جرير من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه ، وهذا كذب على الصحابة ، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، كما كتبوا من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج كتبا مزورة عليهم أنكروها ، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضا ، فانه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً . واستمر عثمان يصلى بالناس فى تلك الأيام كلها ، وهم أحقر فى عينه من التراب ، فلما كان فى بعض الجمعات وقام على المنبر ، وفى يده العصا التى كان يعتمد عليها رسول الله ص . فى خطبته ، وكذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من بعده ، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه ، وانزله عن المنبر ، فطمع الناس فيه من يومئذ ، كما قال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : بينا أنا أنظر إلى عثمان على عصا النبى ص . التى كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر ، فقال له جهجاه قم يا نعثل فانزل عن هذا المنبر وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيها فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة ، فرأيتها تدود ، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين ، حتى حصر فقتل .

قال ابن جرير : وحدثنا أحمد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن الجهجاه الغفارى أخذ عصا كانت فى يد عثمان فكسرها على ركبته ، فرمى فى ذلك المكان بالأكلة . وقال الواقدى : وحدثنى ابن أبى الزناد عن موسى بن عقبة عن ابن أبى حبيبة قال : خطب عثمان الناس فى بعض أيامه فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : إنك ركبت نهابير وركبناها معك ، فتب نتب معك . فاستقبل عثمان القبلة وشمر يديه ، قال ابن أبى حبيبة : فلم أر يوماً أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفارى فصاح إليه : يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنابها عليها عباءة وجامعة ، فانزل فلندرجك فى العباءة ولنطرحك فى الجامعة

ولنحملك على الشارف ثم نطرحك فى جبل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، ثم نزل عثمان . قال ابن أبى حبيبة : وكان آخر يوم رأيته فيه * وقال الواقدى : حدثنى أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد . قال : كان أول من اجترأ على عثمان بالنطق السيء جبلة بن عمرو الساعدى مر به عثمان وهو فى نادى قومه ، وفى يد جبلة جامعة ، فلما مر عثمان سلم فرد القوم ، فقال جبلة : لم تردون عليه ؟ رجل قال كذا وكذا ، ثم أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحن هذه الجامعة فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه ، فقال عثمان : أى بطانة ؟ فوالله لأتخير الناس ، فقال مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح تخيرته ، منهم من نزل القرآن بذمه ، وأباح رسول الله (ص) دمه ، قال : فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم . قال الواقدى : وحدثنى محمد بن صالح عن عبيدالله بن رافع بن نقاخة عن عثمان بن الشريد . قال : مر عثمان على جبلة بن عمرو الساعدى وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال : يانعثل! والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء ، ولأخرجنك إلى حرة النار . ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه . وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضا فقال فى خطبته : ياهؤلاء الغرباء ! الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد (ص) ، فامحوا الخطأ بالصواب ، فإن الله لا يمحو السيء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقام زيد بن ثابت فقال : إنه فى الكتاب . فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبى مريرة فأقعده وقال يانطع ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون فى أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن جعفر ، وعمار ابن ياسر . وأقبل على وطلحة والزبير إلى عثمان فى أناس يعودونه ويشكون إليه بثهم وماحل بالناس ، ثم رجعوا إلى منازلهم ، واستقبل جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة وابن عمر ، وزيد بن ثابت فى المحاربة عن عثمان ، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضى الله ما يشاء .

ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لما وقع ماوقع يوم الجمعة ، وشج أمير المؤمنين عثمان ، وهو فى رأس المنبر ، وسقط مغشيا عليه ، واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر ، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس ، وألجأوه إلى داره وضيقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ولزم كثير من الصحابة بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير — وكان أمير الدار — وعبد الله ابن عمرو ، وصاروا ، يحاجون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس

رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فإنهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، ولم يقع فى خلد أحد أن القتل كان فى نفس الخارجين . وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلا فى أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكلية فى آخره ، وكان يصلى بالناس فى هذه الأيام الغافقى بن حرب . وقد استمر الحصر أكثر من شهر : وقيل أربعين يوما ، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً رضى الله عنه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى . والذى ذكره ابن جرير أن الذى كان يصلى بالناس فى هذه المدة وعثمان محصور ، طلحة بن عبيد الله . وفى صحيح البخارى عن[1] وروى الواقدى أن علياً صلى أيضاً ، وصلى أبو أيوب ، وصلى بهم سهل بن حنيف ، وكان يجمع بهم على ، وهو الذى صلى بهم بعد ، وقد خاطب الناس فى غبوب ذلك بأشياء ، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان .

قال الامام أحمد : حدثنا بهز ثنا أبو عوانة ثنا حصين عن عمرو بن جاوان قال : قال الأحنف انطلقنا حجاجا فمررنا بالمدينة ، فبينا نحن فى منزلنا إذ جاءنا آت فقال : الناس فى المسجد ، فانطلقت أنا وصاحبى ، فاذا الناس مجتمعون على نفر فى المسجد ، قال : فتخللتهم حتى قمت عليهم ، فاذا على ابن أبى طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشى ، فقال : ههنا على ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا الزبير ؟ قالوا نعم ! قال : ههنا طلحة ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا سعد بن أبى وقاص ؟ قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله (ص) فقلت : إنى قد ابتعته ، فقال : « اجعله فى مسجدنا وأجره لك » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو تعلمون أن رسول (ص) قال : « من يبتاع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله (ص) فقلت إنى قد ابتعتها - يعنى بئر رومة - قال : « اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله (ص) نظر فى وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : « من يجهز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالا ؟ قالوا : اللهم نعم ! فقال : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثم انصرف . ورواه النسائى من حديث حصين وعنده إذ جاء رجل وعليه ملاءة صفراء .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنى عبد الله بن عمر القواريرى حدثنى القاسم بن الحكم بن أوس

(١) بياض بأصل المصرية وفى الرياض النضرة وتاريخ الخميس : وروى عن عبد الله بن سلام أنه قال لما حصر عثمان ولى أبا هريرة على الصلاة .

الأنصارى حدثنى أبو عبادة الدرقى الأنصارى ، من أهل الحديبية ، عن زيد بن أسلم عن أبيه . قال : شهدت عثمان يوم حصر فى موضع الجنائز ، ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التى تلى مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس : أفيكم طلحة ؟ فسكتو ، ثم قال أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله ، فقال له عثمان : ألا أراك ههنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون فى جماعة قوم تسمع ندای إلى آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبنى ؟ أنشدك الله ياطلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص.) فى موضع كذا وكذا ، ليس معه أحد من أصحابه غيرى وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله (ص.) : « ياطلحة إنه ليس من نبى إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه فى الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا - يعنى - رفيقى فى الجنة » فقال طلحة : اللهم نعم ! ثم انصرف ، لم يخرجوه .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا محمد بن أبى بكر المقدسى ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ثنا هلال بن إسحاق عن الجريرى عن ثمامة بن جزء القشيرى . قال : شهدت الدار يوم أصيب عثمان ، فاطلع عليه اطلاعة ، فقال ادعوا لى صاحبيكم اللذين ألباكم على ، فدعيا له ، فقال : أنشدكما الله تعلمان أن رسول الله (ص.) لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله ، فقال : من يشترى هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين ، وله خير منها فى الجنة » ؟ فاشتريتها من خالص مالى فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعونى أن أصلى فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص.) لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله (ص.) : « من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين ، وله خير منها فى الجنة » ؟ فاشتريتها من خالص مالى ، وأنتم تمنعونى أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أنى صاحب جيش العسرة ؟ قالوا : اللهم نعم ! وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، وعباس الدورى وغير واحد ، أخرجه النسائى عن زياد بن أيوب كلهم عن سعيد بن عامر عن يحيى بن أبى الحجاج المنقرى عن أبى مسعود الجريرى به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا القاسم - يعنى ابن المفضل - ثنا عمرو بن مرة عن سالم ابن أبى الجعد . قال : دعا عثمان رجالا من أصحاب رسول الله (ص.) ، فيهم عمار بن ياسر ، فقال : إنى سائلكم و إنى أحب أن تصدقونى ، نشدتكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص.) كان يؤثر قريشا على الناس ، و يؤثر بنى هاشم على سائر قريش ؟ فسكت القوم . فقال : لو أن بيدى مفاتيح الجنة لأعطيتها

بنى أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم . فبعث إلى طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه - يعنى عماراً - أقبلت مع رسول الله (ص.) . أخذ بيدى يمشى فى البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وهم يعذبون » فقال أبو عمار : يارسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال له النبى (ص.) اصبر ، ثم قال : « اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » تفرد به أحمد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب .

طريق أخرى

قال الامام أحمد: حدثنا اسحاق بن سليمان سمعت معاوية بن سلمة يذكر عن مطرف عن نافع عن ابن عمر أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور ، فقال : على م تقتلوننى ؟ فانى سمعت رسول الله (ص.) يقول : « لا يحل دم امرئ إلا باحدى ثلاث ، رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم ، او قتل عمداً فعليه القـ ، او ارتد بعد إسلامه فعليه القتل » ، فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا إسلام ، ولا قتلت أحداً فأقيد نفسى منه ، ولا ارتددت منذ أسلمت ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده و رسوله . ورواه النسائى عن أحمد بن الأزهر عن إسحاق بن سليمان به .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا يحيى بن سعيد عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال : كنت مع عثمان فى الدار وهو محصور ، قال : وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط ، قال : فدخل عثمان يوما لحاجته فخرج إلينا منتقما لونه ، فقال . إنهم ليتواعدونى بالقتل آنفا . قال : قلنا يكفيكهم الله ياأمير المؤمنين ، قال : ولم يقتلوننى ؟ فانى سمعت رسول الله (ص.) يقول : « لايحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث ، رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، او قتل نفسا بغير نفس » فوالله مازنيت فى جاهلية ولا إسلام قط ، ولا تمنيت بدلا بدينى منذ هدانى الله له ، ولاقتلت نفسا ، فبم يقتلوننى ؟ . وقد رواه اهل السنن الأربعة من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد حدثنى أبو أسامة . زاد النسائى وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالا : كنا مع عثمان ، فذكره . وقال الترمذى : حسن . وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا قطن ثنا يونس - يعنى ابن ابى إسحاق - عن أبيه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن . قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله (ص.) يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال : « اسكن حراء ليس عليك إلا نبى أو صديق أوشهيد » وأنا معه ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم بيعة الرضوان إذ بعثنى إلى المشركين إلى أهل مكة فقال : « هذه يدى وهذه يد عثمان » . ووضع يديه إحداهما على الأخرى فبايع لي فانتشد له رجال . ثم قال :

قال : أنشد بالله من شهد رسول الله قال : من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت له بيتا فى الجنة » فابتعته من مالى فوسعت به المسجد . فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال : « من ينفق اليوم نفقة متقبلة » ؟ فجهزت نصف الجيش من مالى ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى فأبحتها ابن السبيل قال : فانتشد له رجال . ورواه النسائى عن عمران بن بكار عن خطاب بن عثمان عن عيسى بن يونس بن أبى إسحاق عن أبيه عن جده أبى إسحاق السبيعى به .

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضى الله عنه لما رأى مافعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار ، من محاصرته فى داره ، ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام ، وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة ، يستنجدهم فى بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبعث معاوية مسلمة بن ابن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيرى فى جيش ، وبعث أهل الكوفة جيشا ، وأهل البصرة جيشا ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموا فى الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضى الله عنه كما سنذكره . وذكر ابن جرير أن عثمان استدعى الأشتر النخعى ووضعت لعثمان وسادة فى كوة من داره ، فأشرف على الناس ، فقال له عثمان : ياأشتر ماذا يريدون ؟ فقال : إنهم يريدون منك إما أن تعزل نفسك عن الأمرة ، وإما أن تفدى من نفسك من قذفته ، أو جلدته ، أو حبسته ، وإما أن يقتلوك . وفى رواية أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولى عليها من يريدون هم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زور على عثمان كتابه إلى مصر ، فخشى عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه ، فيكون سببا فى قتل امرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحق بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن . وأما ما سألوه من خلعه نفسه فإنه لايفعل ولاينزع قميصا قمصه الله إياه ، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض ويولى السفهاء من الناس من يختارونه هم فيقع الهرج ويفسد الأمر بسبب ذلك ، ويقع الأمر كما ملنه فسدت الأمة ووقع الهرج ، وقال لهم فيما قال ، وأى شىء إلى من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميراً عزلته ، وكلما رضيتم عنه وليته ؟ وقال لهم فيما قال : والله لئن قتلتمونى لا تتحابوا بعدى ، ولا تصلوا جميعاً أبداً ، ولا تقاتلوا بعدى عدواً جميعاً أبداً ، وقد صدق رضى الله عنه فيما قال .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبى قيس حدثنى النعمان بن بشير قال : كتب معى عثمان إلى عائشة كتاباً فدفعت إليها كتابه فحدثتنى أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان : « إن الله لعله يقمصك قميصا ، فإن أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه ، ثلاث مرات » قال النعمان : فقلت ياأم المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يابنى والله أنسيته . وقد رواه الترمذى من حديث الليث عن معاوية بن صالح

عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان عن عائشة به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجه من حديث الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد عن النعمان ، فأسقط عبد الله بن عامر .

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن إسماعيل ثنا قيس عن أبى سهلة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : « ادعوا لى بعض أصحابى ، قلت أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت عمر ؟ قال : لا ، قلت ابن عمك على ؟ قال : لا ! قالت قلت عثمان ؟ قال : نعم ! فلما جاء قال : تنحى فجعل يساره ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر فيها ، قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إن رسول الله (ص) عهد إلى عهداً وإنى صابر نفسى عليه » تفرد به أحمد . وقال محمد بن عائذ الدمشقى : حدثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفهمى يقول : قدمت على عثمان فبينا أنا عنده فخرجت فاذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته ، قال : فكيف رأيتهم ؟ فقلت : رأيت فى وجوههم الشر ، وعليهم ابن عديس البلوى ، فصعد ابن عديس منبر رسول الله (ص) فصلى بهم الجمعة ، وتنقص عثمان فى خطبته ، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم ، فقال : كذب والله ابن عديس ، ولولا ما ذكرت ما ذكرت ، إنى رابع أربعة فى الاسلام ، ولقد أنكحنى رسول الله (ص) ابنته ثم توفيت فأنكحنى ابنته الأخرى ، ولا زنيت ولا سرقت فى جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت ، ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله (ص) ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله (ص) ولا أتت على جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت ، إلا أن لا أجدها فى تلك الجمعة فأجمعها فى الجمعة الثانية . ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن أبى بكر عن ابن لهيعة ، قال : لقد اختبأت عند ربى عشراً ، فذكرهن .

فصل

كان الحصار مستمراً من أواخر ذى القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة : فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده فى الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة ، وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم : أقسم على من لى عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير ، وقال لرقيقه : من أغمد سيفه فهو حر . فبرد القتال من داخل ، وحمى من خارج ، واشتد الأمر ، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى فى المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده ، وشوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليكون خير ابنى آدم حيث

قال حين أراد أخوه قتله : (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين) وروى أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم فى الخروج ، الحسن بن على وقد خرج ، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم . وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ ، إلا يوم الدار ويوم نجدة الحرورى . قال أبو جعفر الدارى عن أيوب السختيانى عن نافع عن ابن عمر : إن عثمان رضى الله عنه أصبح يحدث الناس ، قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال : يا عثمان افطر عندنا » فأصبح صائما وقتل من يومه ، وقال سيف بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن رجل قال دخل عليه كثير بن الصلت فقال : ياأمير المؤمنين اخرج فاجلس بالفناء فيرى الناس وجهك فإنك إن فعلت ارتدعوا . فضحك وقال : يا كثير رأيت البارحة وكأنى دخلت على نبى الله وعنده أبو بكر وعمر ، فقال : « ارجع فإنك مفطر عندى غدا » ثم قال عثمان : ولن تغيب الشمس والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة ، قال : فوضع سعد وأبو هريرة السلاح وأقبلا حتى دخلا على عثمان . وقال موسى بن عقبة : حدثنى أبو علقمة ـ مولى لعبد الرحمن بن عوف ـ حدثنى ابن الصلت قال : أغفى عثمان بن عفان فى اليوم الذى قتل فيه فاستيقظ فقال : لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم . قال : قلنا أصلحك الله ، حدثنا فلسنا نقول ما يقول الناس ، فقال : إنى رأيت رسول الله ﷺ فى منامى هذا ، « فقال : إنك شاهد معنا الجمعة » . وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا أبو عبد الرحمن القرشى ، ثنا خلف بن تميم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلى ، ثنا عبد الملك بن عمير حدثنى كثير بن الصلت قال : دخلت على عثمان وهو محصور ، فقال لى : يا كثير ما أرانى إلا مقتولا يومى هذا . قال : قلت ينصرك الله على عدوك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم أعاد على فقلت وقت لك فى هذا اليوم شئ ؟ أو قيل لك شئ ؟ قال : لا ! ولكنى سهرت فى ليلتى هذه الماضية ، فلما كان وقت السحر أغفيت إغفاءة فرأيت فيما يرى النائم رسول الله ﷺ ، وأبا بكر وعمر ، ورسول الله ﷺ يقول لى : يا عثمان الحقنا لا تحبسنا ، فإنا ننتظرك » قال : فقتل من يومه ذلك . وقال [1] ابن أبى الدنيا حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فضالة عن مروان بن أبى أمية عن عبد الله بن سلام . قال : أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه فقال : مرحباً بأخى ، رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى هذه الخوخة ـ قال : وخوخة فى البيت ـ فقال : « يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم ! قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ! فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنى

(١) كذا بأصل المصرية

لاجد برده بين ثديي و بين كتفي ، وقال لي : إن شئت نصرت عليهم ، و إن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده» فقتل ذلك اليوم .

وقال محمد بن سعد : أنا عفان بن مسلم ثنا وهيب ثنا داود عن زياد بن عبد الله عن ام هلال بنت وكيع عن امرأة عثمان ـ قال : وأحسبها بنت الفرافصة ـ قالت : أغفى عثمان فلما استيقظ قال : إن القوم يقتلونني ، قلت : كلا يا أمير المؤمنين . قال : إني رأيت رسول الله (ص) وابا بكر وعمر ، فقالوا : افطر عندنا الليلة ، أو إنك مفطر عندنا الليلة . وقال الهيثم بن كليب : حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ثنا شبابة ثنا يحيي بن أبي راشد مولى عمر بن حريث عن محمد بن عبد الرحمن الجرشي . وعقبة بن أسد عن النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ امرأة عثمان ـ قالت : لما حصر عثمان ظل اليوم الذي كان فيه قتله صائما ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركي . وركي في الدار الذي يلقى فيه النتن ـ قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة ـ وذلك في السحر ـ فسألتهم الماء العذب ، فأعطوني كوزاً من ماء ، فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فاذا الفجر قد طلع فقال : إني أصبحت صائما ، قالت : فقلت ومن اين أكلت؟ ولم ار احداً أتاك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إني رأيت رسول الله (ص) اطلع عليّ من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال : اشرب يا عثمان ، فشربت حتى رويت ، ثم قال : ازدد فشربت حتى نهلت ، ثم قال : أما ان القوم سينكرون عليك ، فان قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا ، قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد الله بن الامام أحمد : حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا يونس بن أبي يعفور العبدي عن أبيه عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكا ودعا بسراويل فشدها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله (ص) في المنام ، وأبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لي : اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه . قلت : إنما لبس السراويل رضي الله عنه في هذا اليوم لئلا تبدو عورته إذا قتل فانه كان شديد الحياء ، كانت تستحي منه ملائكة السماء ، كما نطق بذلك النبي (ص) ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه ، واستسلم لقضاء الله عز وجل ، وكف يده عن القتال ، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه ، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه ، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : إن عثمان رضي الله عنه أوصى إلى الزبير . وقال الأصمعي عن العلاء بن الفضل عن أبيه . قال : لما قتل عثمان فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً مقفلا ففتحوه

فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها : « هذه وصية عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم : عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من فى القبور ، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيى وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى » .

وروى ابن عساكر أن عثمان رضى الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه :

أرى الموتَ لا يبقى عزيزاً ولم يدعْ * لعادٍ ملاذاً فى البلادِ ومرتَعا

وقال أيضا :

يُبيِّتُ أهلَ الحصنِ والحصنُ مغلقٌ * ويأتى الجبالَ الموتُ فى شماريخها العلا

صفة قتله رضي الله عنه

وقال خليفة بن خياط : حدثنا ابن علية ثنا ابن عوف عن الحسن قال أنبأنى رباب . قال : بعثنى عثمان فدعوت له الأشتر فقال : ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بد ، قال : ما هن ؟ قال : يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فاختاروا من شئتم ، وبين أن تقتص من نفسك ، فان أبيت فان القوم قاتلوك . فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله ، وأما أن أقتص لهم من نفسى ، فوالله لئن قتلتمونى لا تحابون بعدى ، ولا تصلون بعدى جميعا ، ولا تقاتلون بعدى جميعا عدواً أبداً . قال : وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع ، وجاء محمد بن أبى بكر فى ثلاثة عشر رجلا ، فأخذ بلحيته فمال بها حتى سمعت وقع أضراسه ، فقال : ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، قال : ارسل لحيتى يا ابن أخى ، قال : فأنا رأيته استعدى رجلا من القوم بعينه - يعنى أشار إليه - فقام إليه بمشقص فوجى به رأسه . قلت : ثم مه ؟ قال : ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه .

قال سيف بن عمر التميمى رحمه الله عن العيص بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد - وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان - أنها كانت فى الدار ودخل محمد بن أبى بكر فأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فيجأ بها فى حلقه ، فقال مهلا يا ابن أخى ، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به ، فتركه وانصرف مستحييا نادماً ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلا حتى غلبوه ، فدخلوا وخرج محمد راجعاً . فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه ، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه ، ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدى بالسيف ، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه ، وقالت :

يابنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين ؟ وأخذت السيف ، فقطع الرجل يدها ، وانتهبوا متاع[1] [الدار] ومرّ رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال : ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم . قال : والله ما تركوا فى داره شيئا حتى الأقداح إلا ذهبوا به .

وروى الحافظ ابن عساكر أن عثمان لما عزم على أهل الدار فى الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أبنائهم ، إلا محمد بن أبى بكر ، وسبقه بعضهم ، فضربوه حتى غشى عليه وصاح النسوة فانزعروا وخرجوا ودخل محمد بن أبى بكر وهو يظن أنه قد قتل ، فلما رآه قد أفاق قال : على أى دين أنت يانعثل ؟ قال: على دين الاسلام ، ولست بنعثل ولكنى أمير المؤمنين ، فقال : غيرت كتاب الله ، فقال : كتاب الله بينى وبينكم ، فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال : إنا لايقبل منا يوم القيامة أن نقول : [ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا] وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار ، وهو يقول : يا ابن أخى ما كان أبوك ليأخذ بلحيتى . وجاء رجل من كندة من أهل مصر ، يلقب حماراً ، ويكنى بأبى رومان . وقال قتادة: اسمه رومان ، وقال غيره : كان أزرق أشقر ، وقيل كان اسمه سودان بن رومان [المرادى] . وعن ابن عمر قال : كان اسم الذى قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتا قال ثم جاء فضربه به فى صدره حتى أقعصه ، ثم وضع ذباب السيف فى بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله ، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضى الله عنها ، وروى أن محمد بن أبى بكر طعنه بمشاقص فى أذنه حتى دخلت فى حلقه . والصحيح أن الذى فعل ذلك غيره ، وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان : لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها . فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك فى الكتاب مسطوراً .

وروى ابن عساكر عن ابن عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبيه ، وضربه سودان بن حمران المرادى بعد ماخر لجنبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره ، وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهن فلله ، وست لما كان فى صدرى عليه .

وقال الطبرانى : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادى ، وإسحاق بن داود الصواف التسترى قالا : ثنا محمد بن خالد بن خداش ثنا مسلم بن قتيبة ثنا مبارك عن الحسن . قال : « حدثنى سياف عثمان أن رجلا من الأنصار دخل على عثمان فقال : ارجع يا ابن أخى فلست بقاتلى ، قال : وكيف

---

(١) ساقط بأصل المصرية والتصحيح من عقد الجمان للبدر العينى .

علمت ذلك ؟ قال : لأنه أتى بك النبى (ص.) يوم سابعك فحنكك ودعا لك بالبركة . ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء. ثم دخل محمد بن أبى بكر فقال : أنت قاتلى . قال : وما يدريك يانعثل؟ قال : لأنه أتى بك رسول الله (ص.) يوم سابعك ليحنكك ويدعو لك بالبركة ، فخريت على رسول الله (ص) ، قال : فوثب على صدره وقبض على لحيته ، ووجأه بمشاقص كانت فى يده » . هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة . وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم]ويروى أنه كان قد وصل إليها فى التلاوة أيضا حين دخلوا عليه ، وليس ببعيد فانه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن .

وروى ابن عساكر أنه لما طعن قال : بسم الله توكلت على الله ، فلما قطر الدم قال : سبحان الله العظيم . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه بأسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر ، فيه الأمر بقتل بعضهم ، وصلب بعضهم ، وبقطع أيدى بعضهم وأرجلهم ، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان ، متأولا قوله تعالى [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم] وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه من جملة المفسدين فى الأرض ، ولا شك أنهم كذلك ، لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ، ويزور على خطه وخاتمه ، ويبعث غلامه على بعيره ، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين ، على تأمير محمد بن أبى بكر على مصر ، بخلاف ذلك كله ، ولهذا لما وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه ، وظنوا أنه من عثمان ، أعظموا ذلك ، مع ماهم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤس الصحابة ، وأعانهم على ذلك قوم آخرون ، حتى ظن بعض الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضى الله عنه ، فلما قيل لعثمان رضى الله عنه فى أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين ، حلف بالله العظيم ، وهو الصادق البار الراشد ، أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه ، ولا علم به ، فقالوا له : فان عليه خاتمك . فقال : إن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا : فانه مع غلامك وعلى جملك . فقال : والله لم أشعر بشئ من ذلك . فقالوا له ـ بعد كل مقالة ـ إن كنت قد كتبته فقد خنت ، وإن لم تكن قد كتبته بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت ، ومثلك لا يصلح للخلافة ، إما لخيانتك ، وإما لعجزك ، وهذا الذى قالوا باطل على كل تقدير فانه لو فرض أنه كتب الكتاب ، وهو لم يكتبه فى نفس الأمر ، لا يضره ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة فى إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الامام ، وأما إذا لم يكن قد علم به فأى

عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد اطلع عليه وزور على لسانه ؛ وليس هو بمعصوم بل الخطأ والغفلة جائز أن عليه رضى الله عنه ، وإنما هؤلاء الجهلة البغاة متعنتون خونة ، ظلمة مفترون ، ولهذا صمموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه ، حتى منعوه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، وتهددوه بالقتل ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومن وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكر أنه لم يقتل نفسا ، ولا ارتد بعد إيمانه ، ولا زنى فى جاهلية ولا إسلام ؛ بل ولا مس فرجه بيمينه بعد أن بايع بها رسول الله (ص) ، وفى رواية بعد أن كتب بها المفصل . ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر منهم ، فأبوا إلا الاستمرار على ما هم عليه من البغى والعدوان . ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتد عليه الحال ، وضاق المجال ، ونفد ما عنده من الماء ؛ فاستغاث بالمسلمين فى ذلك فركب على بنفسه وحمل معه قربا من الماء فبالجهد حتى أوصلها إليه بعد ما نال من جهلة اولئك كلام غليظ ، وتنفير لدابته ، وإخراق عظيم بليغ ؛ وكان قد زجرهم أتم الزجر ، حتى قال لهم فيما قال : والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا بهذا الرجل ، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامته فى وسط الدار . وجاءت أم حبيبة راكبة بغلة وحولها حشمها وخدمها ، فقالوا ، ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا بنى أمية ، لأيتام وأرامل ، فأحببت أن أذكره بها ، فكذبوها فى ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة وندّت بها ، وكادت أو سقطت عنها ، وكادت تقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير جداً ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم فى الخفية ليلاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما وقع هذا أعظمه الناس جداً ، ولزم أكثر الناس بيوتهم ، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة فى هذه السنة إلى الحج ، فقيل لها : إنك لو أقمت كان أصلح ، لعل هؤلاء القوم يهابونك ، فقالت : إنى أخشى أن أشير عليهم برأى فينالنى منهم من الأذية ما نال أم حبيبة ، فعزمت على الخروج . واستخلف عثمان رضى الله عنه فى هذه السنة على الحج عبد الله بن عباس ، فقال له عبدالله ابن عباس : إن مقامى على بابك أحاجف عنك أفضل من الحج . فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع اليسير من الحج ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغهم

أيضا أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو في جيش، وأن أهل البصرة بعثوا مجاشعاً في جيش، فعند ذلك صمموا على أمرهم وبالغوا فيه، وانتهزوا الفرصة بقلة الناس وغيبتهم في الحج ، وأحاطوا بالدار ، وجدوا في الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجف الناس عن عثمان أشد المحاجفة ، واقتتلوا على الباب قتالاً شديداً ، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة يقول : هذا يوم طاب فيه الضراب ، وقتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار ، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن علي ومروان ابن الحكم فقطع إحدى علباويه فعاش أوقص حتى مات . ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة ، ويقال إنه انهزم أصحاب عثمان ثم رجعوا . ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة ، فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده ، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال ، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية [الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقه ، فتركه وهو يظن أنه قد قتله ، ودخل ابن أبي بكر فمسك بلحيته ثم ندم فخرج ، ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها ؛ وقيل : بل قطعها ولم يبنها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها أول يد كتبت المفصل ، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها . ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه ، رضي الله عن عثمان . وفي رواية أن الغافقي بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بحديدة في فيه ، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضي الله عنه . وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فمانعته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله ، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله ، فضرب الغلام رجل يقال له قترة فقتله .

وذكر ابن جرير أنهم أرادوا حز رأسه بعد قتله ، فصاح النساء وضربن وجوههن ، فيهن امرأتاه

نائلة وأم البنين ، وبناته ، فقال ابن عديس : اتركوه ، فتركوه . ثم مال هؤلاء الفجرة على ماف البيت فنهبوه ، وذلك أنه نادى مناد منهم : أيحل لنادمه ولا يحل لنا ماله ، فانتهبوه ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وقتيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قترة فقتله ، وجعلوا لايمرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي ، ملاءة نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وقتل الغلام أيضا ، ثم تنادى القوم : أن أدركوا بيت المال لاتسبقوا إليه ، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا : يا قوم النجا النجا ، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من ان قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا انهم انما قاموا لاجله وكذبوا انما قصدهم الدنيا ، فانهزموا وجاء الخوارج فاخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا .

فصل

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط فى أيدى الناس ، فأعظموه جداً ، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممن قص الله علينا خبرهم فى كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل . فى قوله تعالى [ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين]

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان ـ وكان قد خرج من المدينة ـ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال : تباً لهم ، ثم تلا قوله تعالى [ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون] وبلغ عليا قتله فترحم عليه . وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى [كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين] ولما بلغ سعد بن أبى وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه ، وتلا فى حق الذين قتلوه [قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا] ثم قال سعد : اللهم اندمهم ثم خذهم . وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولا . رواه ابن جرير .

وهكذا ينبغى أن يكون لوجوه (منها) دعوة سعد المستجابة كما ثبت فى الحديث الصحيح . وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جن . وقال الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال : الذى قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى . وكانت امرأة منظور بن سيار الفزارى تقول : خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلا يغنى تحت الليل :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

ولما رجع الحج وجدوا عثمان رضى الله عنه قد قتل ، وبايع الناس على بن أبى طالب رضى الله عنه . ولما بلغ أمهات المؤمنين فى أثناء الطريق أن عثمان قد قتل ، رجعن إلى مكة فأقمن بها نحواً من أربعة أشهر كما سيأتى

فصل

كانت مدة حصار عثمان رضى الله عنه فى داره أربعين يوماً على المشهور ، وقيل كانت بضعا وأربعين يوماً . وقال الشعبى : كانت ثنتين وعشرين ليلة . ثم كان قتله رضى الله عنه فى يوم الجمعة بلا خلاف . قال سيف بن عمر عن مشايخه : فى آخر ساعة منها ، ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون . وقال آخرون ضحوة نهارها ، وهذا أشبه ، وكان ذلك لثمانى عشر ليلة خلت من ذى الحجة على المشهور ، وقيل فى أيام التشريق ، رواه ابن جرير : حدثنى أحمد بن زهير ثنا أبو خيثمة ثنا وهب بن جرير سمعت يونس عن يزيد عن الزهرى . قال : قتل عثمان فزعم بعض الناس أنه قتل فى أيام التشريق ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثلاث خلت من ذى الحجة . وقيل قتل يوم النحر ، حكاه ابن عساكر ويستشهد له بقول الشاعر :

ضحّوا بأشمطَ عنوانُ السجودِ به * يقطعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا

قال : والأول هو الأشهر ، وقيل إنه قتل يوم الجمعة لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور ، وقيل سنة ست وثلاثين ، قال مصعب بن الزبير وطائفة : وهو غريب . فكانت خلافته ثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما ، لأنه بويع له فى مستهل المحرم سنة أربع وعشرين . فأما عمره رضى الله عنه فانه جاوز ثنتين وثمانين سنة ، وقال صالح بن كيسان : توفى عن ثنتين وثمانين سنة وأشهر ، وقيل : أربع وثمانون سنة ، وقال قتادة : توفى عن ثمان وثمانين أو تسعين سنة . وفى رواية عنه توفى عن ست وثمانين سنة . وعن هشام بن الكلبى : توفى عن خمس وسبعين سنة ، وهذا غريب جداً ، وأغرب منه ما رواه سيف بن عمر عن مشايخه ، وهم محمد وطلحة وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا : قتل عثمان رضى الله عنه عن ثلاث وستين سنة .

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه دفن بحش كوكب ـ شرقى البقيع ـ وقد بنى عليه زمان بنى أمية قبة عظيمة وهى باقية إلى اليوم . قال الامام مالك رضى الله عنه : بلغنى أن عثمان رضى الله عنه كان يمر بمكان قبره من حش كوكب فيقول : إنه سيدفن ههنا رجل صالح .

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضى الله عنه بقى بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن . قلت : وكأنه

اشتغل الناس عنه بمبايعة على رضى الله عنـه حتى تمت ، وقيل إنه مكث ليلتين ، وقيل بل دفن من ليلته ، ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج ، وقيل بل استؤذن فى ذلك بعض رؤسائهم . فخرجوا به فى نفر قليل من الصحابة ، فيهم حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، ونيار بن مكرم الأسلمى ، وجبير بن مطعم ، وزيد بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وطلحة والزبير ، وعلى بن أبى طالب وجماعة من أصحابه ونسائه ، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين ، وصبيان . ـ وهذا مجموع من كلام الواقدى وسيف بن عمر التميمى ـ وجماعة من خدمه حملوه على باب بعد ما غسلوه وكفنوه . وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن ، والصحيح الأول . وصلى عليه جبير بن مطعم ، وقيل الزبير بن العوام ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل مروان ابن الحكم . وقيل المسور بن مخرمة وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجمه ، وإلقاءه عن سريره ، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع ، حتى بعث على رضى الله عنه إليهم من نهاهم عن ذلك وحمل جنازته حكيم بن حزام ، وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مخرمة ، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم ، وجبير بن مطعم ، وذكر الواقدى أنه لما وضع ليصلى عليه ـ عند مصلى الجنائز ـ أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك ، فقال أبو جهم بن حذيفة : ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته ثم قالوا : لا يدفن فى البقيع ولكن ادفنوه وراء الحائط ، فدفنوه شرقى البقيع تحت نخلات هناك .

وذكر الواقدى أن عمير بن ضابى نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : أحبست ضابيا حتى مات فى السجن . وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابى هذا وقال البخارى فى التاريخ : حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن منهال ثنا غالب عن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول : اللهم اغفرلى ، وما أظن أن تغفر لى ، فقلت : ياعبد الله ماسمعت أحداً يقول ما تقول ، قال : كنت أعطيت لله عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته ، فلما قتل وضع على سريره فى البيت والناس يجيئون يصلون عليه ، فدخلت كأنى أصلى عليه ، فوجدت خلوة فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته وقد يبست يمينى . قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنها عود . ثم أخرجوا بعبدى عثمان اللذين قتلا فى الدار ، وهما صبيح ونجيح ، رضى الله عنهما ، فدفنا إلى جانبه بحش كوكب ، وقيل إن الخوارج لم يمكنوا من دفنهما ، بل جروهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما الكلاب ، وقد اعتنى معاوية فى أيام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين .

ذكر صفته رضي الله عنه

كان رضى الله عنه حسن الوجه دقيق البشرة ، كبير اللحية ، معتدل القامة ،عظيم الكراديس ، بعيد مابين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، حسن الثغر ، فيه سمرة ، وقيل كان فى وجهه شئ من آثار الجدرى ، رضى الله عنه . وعن الزهرى : كان حسن الوجه والثغر ، مربوعاً ، أصلع ، أروح الرجلين . يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وقد كسى ذراعيه الشعر .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى سبرة عن سعيد بن أبى زيد عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة . قال : كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ، ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، ومائة ألف دينار ، فانتهبت وذهبت ، وترك ألف بعير بالربذة ، وترك صدقات كان تصدق بها ، ببئر أريس ، وخيبر ، ووادى القرى ، فيه ، اثنا ألف دينار . [وبئر رومة كان اشتراها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسبلها] (١)

فصل

قال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن الدجال . وروى الحافظ بن عساكر من طريق شبابه عن حفص بن مورق الباهلى ، عن حجاج بن أبى عمار الصواف عن زيد بن وهب عن حذيفة . قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذى نفسى بيده لايموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه ، آمن به فى قبره . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا وغيره : أنا محمد بن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابى ثنا أبو الأشهب حدثنى عوف عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال : اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً . فليس لى فيه نصيب ، وإن كان قتله شراً فأنا منه برئ ، والله لئن كان قتله خيراً ليحلبنه لبناً ، وإن كان قتله شراً ليمتصن به دماً . وقد ذكره البخارى فى صحيحه .

طريق أخرى عنه

قال محمد بن عائذ : ذكر محمد بن حمزة حدثنى أبو عبد الله الحرانى أن حذيفة بن اليمان فى مرضه الذى هلك فيه كان عنده رجل من إخوانه وهو يناجى امرأته ففتح عينيه فسألهما فقالا خيراً ، فقال : شيئاً تسرانه دونى ماهو بخير ، قال : قتل الرجل - يعنى عثمان - قال: فاسترجع ثم قال : اللهم إنى كنت من هذا الأمر بمعزل ، فان كان خيراً فهو لمن حضره وأنا منه برئ ، وإن كان شراً فهو لمن حضره وأنا منه برئ ، اليوم تغيرت القلوب ياعثمان ، الحمد لله الذى سبق بى الفتن ، قادتها وعلوجها الخطى ، من تردى بغيره فشبع شحماً وقبل عمله. وقال الحسن بن عرفة : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن

(١) زيادة من عقد الجمان منسوبة لابن كثير .

علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي موسى الأشعرى . قال لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دما ، وهذا منقطع . وقال محمد بن سعد : أنا حازم بن الفضل أنا الصعق بن حزن ثنا قتادة عن زهدم الجرمى . قال : خطب ابن عباس فقال : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وقد روى من غير هذا الوجه عنه . وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد عن أبي جعفر الأنصارى . قال : لما قتل عثمان جئت علياً وهو جالس فى المسجد وعليه عمامة سوداء فقلت له : قتل عثمان ، فقال : تباً لهم آخر الدهر . و فى رواية :خيبة لهم . وقال أبو القاسم البغوى : أنبأنا على بن الجعد أنا شريك عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى . قال : سمعت علياً وهو بباب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعا صوته يقول: اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان . وقال أبو هلال عن قتادة عن الحسن . قال : قتل عثمان وعلى غائب فى أرض له ، فلما بلغه قال : اللهم إنى لم أرض ولم أمالئ . وروى الربيع بن بدر عن سيار بن سلامة عن أبي العالية : أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكى حتى ظنوا أنه سيلحق به . وقال الثورى وغيره عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : قال على يوم قتل عثمان : والله ما قتلت ولا أمرت ولكنى غلبت . ورواه غير ليث عن طاوس عن ابن عباس عن على نحوه . وقال حبيب بن أبي العالية عن مجاهد عن ابن عباس . قال : قال على إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ، ولقد نهيتهم فعصونى ، وقد روى من غير وجه عن على بنحوه . وقال محمد بن يونس الكديمى : ثنا هارون بن إسماعيل ثنا قرة بن خالد عن الحسن عن قيس بن عباد . قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول : اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسى ، وجاءونى للبيعة فقلت : والله إنى لأستحى من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلا قال فيه رسول الله (ص) : « إنى لأستحى ممن تستحى منه الملائكة » وإنى لأستحى من الله أن أبايع وعثمان قتيل فى الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما دفن رجع الناس يسألونى البيعة فقلت : اللهم إنى أشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزمة فبايعت . فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدع قلبى وأسكت نفرة من ذلك . وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن على أنه تبرأ من دم عثمان ، وكان يقسم على ذلك فى خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضى به ، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ولله الحمد والمنة . وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال : إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم [ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين] وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال : [كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا] وفى رواية

أنه قال : كان عثمان رضى الله عنه خيرنا وأوصلنا للرحم ، وأشدنا حياء ، وأحسننا طهوراً ، وأ تقانا للرب عز وجل . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مجالد عن عمير ابن رودى (كذا) أبى كثير . قال : خطب على فقطع الخوارج عليه خطبته فنزل فقال : إن مثلى ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة ، أحمر وأبيض وأسود ، ومعهم فى أجمة أسد ، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخران ، فقال للأسود والأحمر : إن هذا الأبيض قد فضحنا فى هذه الأجمة فخليا عنه حتى آكله ، فخليا عنه فأكله ، ثم كان كلما أراد أحدهما منعه الآخر فقال للأحمر : إن هذا الأسود قد فضحنا فى هذه الأجمة ، وإن لونى على لونك فلوخليت عنه أكلته فخلى عنه الأحمر فأكله ، ثم قال للأحمر : إنى آكلك ، فقال : دعنى حتى أصيح ثلاث صيحات ، فقال دونك ، فقال : ألا اني انما اكلت يوم اكل البيض ثلاثاً فلو اني نصرته لما أكلت ثم قال علي : وإنما انا وهنت يوم قتل عثمان ، ولو أني نصرته لما وهنت قالها ثلاثاً . وروى ابن عساكر من طريق محمد بن هارون الحضرمى عن سويد بن عبد الله القشيرى القاضى عن ابن مهدى عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب . قال : كانت المرأة تجيء فى زمان عثمان إلى بيت المال فتحمل وقرها وتقول : اللهم بدل ، اللهم غير . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان رضى الله عنه :

قلتم بدلْ فقد بذلكم * سنة حرّى وحرباً كاللهبْ
مانقمتم من ثياب خلفة * وعبيدٍ وإماءٍ وذهبْ

قال : وقال أبو حميد أخو بنى ساعدة ـ وكان ممن شهد بدراً ، وكان ممن جانب عثمان ـ فلما قتل قال : والله ما أردنا قتله ، ولا كنا نرى أن يبلغ منه القتل ، اللهم إن لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك ، وقال محمد بن سعد أنا عبد الله بن إدريس أنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . قال : لقد رأيتنى وأن عمر موثق وأخته على الاسلام ، ولو ارفض أحد فيما صنعتم بابن عفان لكان حقيقا . وهكذا رواه البخارى فى صحيحه . وروى محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عباس عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير . قال : سمع عبدالله بن سلام رجلا يقول لآخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان . فقال ابن سلام أجل ! إن البقر والمعز لا تنتطح فى قتل الخليفة ، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح ، والله لتقتلن به أقوام إنهم لفى أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد . وقال ليث عن طاووس . قال : قال ابن سلام : يحكم عثمان يوم القيامة فى القاتل والخاذل . وقال أبو عبد الله الحاملى : ثنا أبو الأشعث ثنا حزم بن أبى حزم سمعت أبا الأسود يقول سمعت أبا بكرة يقول : لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أشرك فى قتل عثمان . وقال أبو يعلى : ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا محمد بن عبادالهباني ثنا البراء

ابن أبي فضال ثنا الحضرمي عن أبي مريم رضيع الجارود . قال : كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيباً فقال : أيها الناس ! رأيت البارحة في منامي عجبا ، رأيت الرب تبارك وتعالى فوق عرشه فجاء رسول الله (ص) حتى قام عند قائمة من قوائم العرش ، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبي (ص) ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر ، ثم جاء عثمان فكان بيده - يعني رأسه - فقال : رب سل عبادك فيم قتلوني ؟ فانبعث من السماء ميزا بان من دم في الأرض ، قال فقيل لعلي ألا ترى مايحدث به الحسن ؟ ! فقال : حدث بما رأى . ورواه أبو يعلى أيضا عن سفيان بن وكيع عن جميع بن عمير عن عبد الرحمن بن مجالد عن حرب العجلي : سمعت الحسن بن علي يقول : ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت العرش ورأيت رسول الله (ص) متعلق بالعرش ، ورأيت أبا بكر واضعا يده على منكب رسول الله ، وكان عمر واضعا يده على منكب أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعا يده على منكب عمر ، ورأيت دماً دونهم ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : دم عثمان يطلب الله به . وقال مسلم بن ابراهيم : ثنا سلام بن مسكين عن وهب بن شبيب عن زيد بن صوحان أنه قال : يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها ، والذي نفسي بيده لاتتألف إلى يوم القيامة ، وقال محمد بن سيرين : قالت عائشة : مصصتموه مص الاناء ، ثم قتلتموه ؟ وقال خليفة بن خياط ثنا أبو قتيبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن عون بن عبدالله ابن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ، استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالعقب المصفى قتلتموه . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق . قال : قالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه . وفي رواية : ثم قربتموه ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش ؟ فقال لها مسروق : هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه ، فقالت : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها . وهذا إسناد صحيح إليها . وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوروا كتبا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان ، كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حزم القطعي ثنا أبو الأسود بن سوادة أخبرني طلق بن حسان قال : قال قتل عثمان فتفرقنا في أصحاب محمد (ص) ، نسألهم عن قتله فسمعت عائشة تقول : قتل مظلوماً لعن الله قتلته . وروى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس . قال : قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان : رحمه الله ، أما إنه لم يحلبوا بعده إلا دما .

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له ، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله انكم مثلهم او أعظم جرماً اما مررتم ببلاد ثمود ؟ قالوا : نعم ! قال : فأشهد

أنكم مثلهم ، الخليفة الله أكرم عليه من ناقته . وقال إبن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن . قال : لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دماً .
وقال أبوجعفر الباقر : كان قتل عثمان على غير وجه الحق .

وهذا ذكر بعض ما رُثي به رضي الله عنه

قال مجالد عن الشعبي : ما سمعت من مراثى عثمان أحسن من قول كعب بن مالك :

فكفَّ يديه ثم أغلقَ بابهُ * وأيقنَ أنَّ اللهَ ليسَ بغافلِ
وقالَ لأهلِ الدارِ لا تقتلوهُمُ * عفا اللهُ عن كلِ امرئٍ لم يقاتلِ
فكيفَ رأيتَ اللهَ صبَّ عليهمُ * العداوةَ والبغضاءَ بعدَ التواصلِ
وكيفَ رأيتَ الخيرَ أدبرَ بعدهُ * عن الناسِ إدبارَ النعامِ الجوافلِ

وقد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى أبي المغيرة الأخنس بن شريق . وقال سيف بن عمر : وقال حسان بن ثابت :

ماذا أردتمْ من أخي الدينِ باركتْ * يدُ اللهِ في ذاكَ الأديمِ المقددِ
قتلتمْ ولى اللهِ في جوفِ دارهِ * وجئتمْ بأمرٍ جائرٍ غيرِ مهتدِ
فهلا رعيتمْ ذمةَ اللهِ بينكمْ * وأوفيتمْ بالعهدِ عهدِ محمدِ
ألمْ يكُ فيكمْ ذا بلاءٍ ومصدقٍ * وأوفاكُمُ عهداً لدى كلِ مشهدِ
فلا ظفرتْ أيمانُ قومٍ تبايعوا * على قتلِ عثمانَ الرشيدِ المسددِ

وقال ابن جرير : وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

من سرَّهُ الموتُ صرفاً لا مزاجَ لهُ * فليأتِ مأسدةً فى دارِ عثمانا
مستحقبى حلقَ الماذىِّ قد سفعتْ * فوقَ المخاطمِ بيضٌ زانَ أبدانا
ضحوا بأشمطَ عنوانُ السجودِ بهِ * يقطعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا
صبراً فدى لكمْ أمى وما ولدتْ * قد ينفعُ الصبرُ فى المكروهِ أحيانا
فقدْ رضينا بأرضِ الشامِ نافرةً * وبالأميرِ وبالاخوانِ إخوانا
إنى لمنهمْ وإن غابوا وإنْ شهدوا * ما دمتُ حياً وما سُميتُ حسانا
لتسمعنَّ وشيكاً فى ديارهمُ * اللهُ أكبرُ ياثاراتِ عثمانا
ياليتَ شعرى وليتَ الطيرَ تخبرنى * ما كانَ شأنُ علىٍ وابنِ عفانا

[وهو القائل أيضاً

إنَّ تمسِ دارُ ابن أروى منهُ خاويةً * بابٌ صريعٌ وبابٌ محرقٌ خربُ
فقدْ يصادفُ باغي العرفِ حاجتَهُ * فيها ويأوي إليها الجدُ والحسبُ
يامعشرَ الناسِ ابدوا ذاتَ أنفسكمْ * لايستوي الصدقُ عندَ اللهِ والكذبُ

وقال الفرزدق

إنَّ الخلافةَ لما أظعنتْ ظعنتْ * عنْ أهلِ يثربَ إذْ غيرَ الهدى سلكوا
صارتْ إلى أهلها منهمْ ووارثها * لما رأى اللهُ في عثمانَ ما انتهكوا
السافكي دمهُ ظلماً ومعصيةً * أي دمٍ لا هدوا منْ غيِّهم سفكوا](١)

وقال راعي الابل النميري في ذلك :

عشيةَ يدخلونَ بغيرِ إذنٍ * على متوكلٍ أوفى وطابا
خليلُ محمدٍ ووزيرُ صدقٍ * ورابعُ خيرِ منْ وطئَ الترابا

فصل

إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضى الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضى الله عنهم ؟ فجوابه من وجوه (أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فان أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة . وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ، ولا أن هؤلاء يجترؤن عليه إلى ما هذا حده ، حتى وقع ماوقع والله أعلم . ـ الثاني ـ أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ، ولكن لما وقع التضييق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا ، فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ماظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية ـ الثالث ـ أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لما اقترب مجيئهم ، انتهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ماصنعوا من الأمر العظيم ـ الرابع ـ أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة ، لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ، ومن كان يحضر منهم المسجد لايجيء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رضى الله عنه ، وربما

(١) زيادة من تاريخ البدر العيني نقلها في سياق عبارة ابن كثير.

لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضى الله عنه، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فجئ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما مايذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله ، فهذا لايصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان رضى الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته ، وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر ، كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبى بكر ، وعمرو بن الحمق وغيرهم .

وقد ذكر ابن عساكر فى ترجمة سهم بن خنش أوخنيش أوخنش الأزدى ـ وكان قد شهد الدار ـ ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبى عنه وكان فيما ستماده عمر بن عبدالعزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه ان وفد السبائية وفد مصر كانوا قد قدموا على عثمان فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثم كروا إلى المدينة ووافقوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو الظهر فحصبوه بالحصا والنعال والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وطلحة ومروان والمغيرة بن الأخنس فى ناس ، وطاف وفد مصر بداره ، فاستشار الناس فقال عبد الله ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إنى أشير باحدى ثلاث خصال إما أن تحرم بعمرة فيحرم عليهم دماؤنا وإما أن نركب معك إلى معاوية بالشام ، وإما أن نخرج فنضرب بالسيف إلى ان يحكم الله بيننا وبينهم فأنا على الحق وهم على الباطل . فقال عثمان : أما ما ذكرت من الاحرام بعمرة فتحرم دماؤنا فانهم يرونا ضلالا الآن وحال الأحرام وبعد الأحرام ، ومن الذهاب إلى الشام فانى استحيى أن أخرج من بينهم خائفا فيرانى أهل الشام وتسمع الأعداء من الكفار ذلك . وأما القتال فانى أرجو ان ألقى الله وليس يهراق بسببي محجمة دم . قال : ثم صلينا معه صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال : إنى رأيت أبا بكر وعمر أتيانى الليلة فقالا لى : صم يا عثمان فانك تفطر عندنا ؛ وإنى أشهدكم أنى قد أصبحت صائما وإنى أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالما مسلوما منه . فقلنا : ياأمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمن منهم علينا فأذن لنا أن نكون معه فى بيت من الدار تكون لنا فيه جماعة ومنعة ، ثم أمر بباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه وعنده امرأتاه بنت الفرافصة وابنة شيبة فكان أول من دخل عليه محمد بن أبى بكر فأخذ بلحيته فقال : دعها يا ابن أخى فوالله لقد كان أبوك يتلهف لها بأدنى من هذا، فاستحيى فخرج فقال للقوم : قد أشعرته لكم وأخذ عثمان ما امتعط من لحيته فأعطاه إحدى امرأتيه ثم دخل رومان بن سودان رجل أزرق قصير محدد عداده من مراد معه جرز من حديد فاستقبله فقال : على أى ملة أنت يا نعثل ؟ فقال عثمان : لست بنعثل ولكنى عثمان بن عفان ، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين فقال : كذبت ، وضربه بالجرز على صدغه الأيسر فقتله فخر فأدخلته نائلة بينها وبين ثيابها ـ وكانت جسيمة ضليعة ـ فألقت نفسها عليه وألقت بنت شيبة نفسها على مابقى من جسده ودخل رجل من أهل مصر بالسيف مصلتا فقال : والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة عنه فغلبته فكشف عنها درعها من

خلفها حتى نظر إلى متنها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فقبضت على السيف تقطع أناملها، فقالت: يارباح، لغلام عثمان أسود ياغلام ادفع عنى هذا الرجل، فمشى إليه الغلام فضربه فقتله وخرج أهل البيت يقاتلون عن أنفسهم فقتل المغيرة بن الأخنس وجرح مروان قال: فلما أمسينا قلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فاحتملناه إلى بقيع الغرقد فى جوف الليل وغشينا سواد من خلفنا فهبناهم وكدنا أن نتفرق عنه فنادى مناديهم: أن لا روع عليكم اثبتوا إنما جئنا لنشهده معكم - وكان أبو حبيش يقول: هم ملائكة الله - فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا فلقينا الجيش بوادى القرى عليه حبيب بن مسلمة قد أتوا فى نصرة عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه.

قال أبو عمر بن عبد البر: دفنوا عثمان رضى الله عنه بحش كوكب - وكان قد اشتراه وزاده فى البقيع - ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقتيل الفجرة، مخذول من خذله، منصور من نصره.

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبى فى آخر ترجمة عثمان وفضائله - بعد حكايته هذا الكلام: الذين قتلوه أو ألبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته، والذين خذلوه خذلوا وتنغص عيشهم، وكان الملك بعده فى نائبه معاوية وبنيه، ثم فى وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بنى عمه بضعا وثمانين سنة، فالحكم لله العلى الكبير. وهذا لفظه بحروفه

بعض الأحاديث الواردة فى فضائل عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أبو عمرو وأبو عبد الله، القرشى، الأموى، أمير المؤمنين، ذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس. وأمها أم حكيم وهى البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص)، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم.

أسلم عثمان رضى الله عنه قديما على يدى أبى بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيبا فيما ذكره الحافظ ابن عساكر، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله (ص) زوج ابنته رقية - وكانت ذات جمال - من ابن عمها عتبة بن أبى لهب، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهموما فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز - وكانت كاهنة - فقالت له: أبشر وحييت ثلاثا تترا، ثم ثلاثا

وثلاثا أخرى ، ثم بأخرى كى تتم عشرا ، أتاك خـير ووقيت شراً ، أنكحت والله حصانا زهرا ، وأنت بكر ولقيت بكرا ، وافيتها بنت عظيم قدرا ، بنيت أمراً قد أشاد ذكرا * قال عثمان : فعجبت من أمرها حيث تبشرنى بالمرأة قد تزوجت بغيرى ؛ فقلت : ياخالة ! ماتقولين ؟ فقالت : عثمان لك الجمال ، ولك اللسان ، هذا النبى معه البرهان . أرسله بحقه الديان . وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه لاتغتالك الأوثان . قال : فقلت إنك لتذكرين أمراً ما وقع ببلدنا . فقالت : محمـد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : مصباحه مصباح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصياح ، لو وقع الذباح ، وسلت الصفاح ومدت الرماح . قال عثمان : فانطلقت مفكراً فلقينى أبو بكر فأخبرته ، فقال : ويحك يا عثمان إنك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الأصنام التى يعبدها قومنا ؟ أليست من حجـارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ قال : قلت بلى ! والله إنها لكذلك ، فقال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا رسـول الله محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته ، هل لك أن تأتيه ؟ فاجتمعنا برسول الله فقال : ياعثمان أجب الله إلى حقـه ، فانى رسول الله إليك و إلى خلقه قال : فوالله ما تمالكت نفسى منذ سمعت رسول الله (ص) أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله (ص) فكان يقال :

أحسنُ زوجٍ رآه إنسانُ * رقيةُ وزوجها عثمانُ

فقالت فى ذلك سعدى بنت كريز :

هـدى اللهُ عثمانا بقولى إلى الهـدى * وأرشـدهُ واللهُ يهدى إلى الحقِ
فتابعَ بالرأىِ السـديدِ محمداً * وكانَ برأيٍ لا يصدُّ عنِ الصدقِ
وأنـكحهُ المبعوثُ بالحقِ بنتـهُ * فـكانا كبدرٍ مازجَ الشمسَ فى الأفقِ
فداؤكَ يا ابنَ الهاشميينَ مهجتى * وأنتَ أمينُ اللهِ أرسلتَ للخلقِ

قال : ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون ، و بأبى عبيدة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبى الأرقم ، فأسلموا وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ثمانية وثلاثون رجلا . وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله (ص) ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله (ص) ، وأقام بسببها فى المدينة ، وضرب له رسول الله (ص) بسهمه منها وأجره فيها ، فهو معدود فيمن شهدها . فلما توفيت زوجه رسول الله (ص) بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضا فى صحبته ، وقال رسول الله (ص) : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان » وشهد أحداً وفر يومئذ فيمن تولى ، وقد نص الله على العفو عنهم ، وشهد

الخندق والحديبية ، وبايع عنه رسول الله (ص) يومئذ بإحدى يديه ، وشهد خيبر وعمرة القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجهز جيش العسرة. وتقدم عن عبدالرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبها فى حجر رسول الله (ص) فقال (ص) : «ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين . وحج مع رسول الله (ص) حجة الوداع ، وتوفى وهو عنه راض ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته ، وتوفى وهو عنه راض ، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفى وهو عنه راض . ونص عليه فى أهل الشورى الستة ، فكان خيرهم كما سيأتى .

فولى الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار ، وتوسعت المملكة الاسلامية ، وامتدت الدولة المحمدية ، و بلغت الرسالة المصطفوية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلفُ الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً] وقوله تعالى :[هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون] وقوله (ص) : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد فى زمان عثمان رضى الله عنه .

وقد كان رضى الله عنه حسن الشكل ، مليح الوجه ، كريم الأخلاق ، ذا حياء كثير ، وكرم غزير ، يؤثر أهله وأقاربه فى الله ، تأليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفانى ، لعله يرغبهم فى إيثار ما يبقى على ما يفنى ، كما كان النبى (ص) يعطى أقواماً ويدع آخرين ، يعطى أقواماً خشية أن يكبهم الله على وجوههم فى النار ، ويكل آخرين إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الهدى والايمان ، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام ، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله (ص) فى الايثار . وقد قدمنا ذلك فى غزوة حنين حيث قسم غنائمها * وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل عثمان رضى الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة ، وهى قسمان ـ الأول ـ فيما ورد فى فضائله مع غيره .

فمن ذلك الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه : حدثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم قال : « صعد النبى (ص) أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف فقال : اسكن أحد ـ أظنه ضربه برجله ـ فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » تفرد به دون مسلم .

وقال الترمذى : ثنا قتيبة ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) « كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب وطلحة والزبير ،

فتحركت الصخرة . فقال النبي (ص) : اهدئي فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » . ثم قال في الباب : عن عثمان بن سعيد بن زيد وابن عباس ، وسهيل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وبريدة الأسلمي ؛ وهذا حديث صحيح . قلت : ورواه أبو الدرداء ، ورواه الترمذي عن عثمان في خطبته يوم الدار ، وقال : على ثبير .

حديث آخر

وهو عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله (ص) في حائط ، فأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجل يستأذن فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقال رسول الله (ص) : ائذن له وبشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فدخل وهو يقول : اللهم صبراً وفي رواية ـ الله المستعان » رواه عنه قتادة وأيوب السختياني . وقال البخاري : وقال حماد بن زيد : حدثنا عاصم الأحول وعلي بن الحكم سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى الأشعري بنحوه ، وزاد عاصم أن رسول الله (ص) كان قاعداً في مكان قد انكشف عن ركبتيه ، أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها . وهو في الصحيحين أيضا من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى ، وفيه « أن أبا بكر وعمر دليا أرجلهما مع رسول الله في باب القف وهو في البئر ، وجاء عثمان فلم يجد له موضعاً » قال سعيد : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن مروان ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة . قال : قال نافع بن الحارث : « خرجت مع رسول الله (ص) حتى دخل حائطا فقال : امسك على الباب ، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجليه ، فضرب الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت يارسول الله هذا أبو بكر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، فدخل فجلس مع رسول الله (ص) على القف ودلى رجليه في البئر ، ثم ضرب الباب : فقلت : من هذا ؟ قال : عمر ، قلت : يارسول الله هذا عمر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، ففعلت ، فجاء فجلس مع رسول الله على القف ودلى رجليه في البئر ، ثم ضرب الباب فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هذا عثمان ، قال : ائذن له وبشره بالجنة معها بلاء ، فأذنت له وبشرته بالجنة ، فجلس مع رسول الله (ص) على القف ودلى رجليه في البئر » هكذا وقع في هذه الرواية ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي سلمة ، فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا موكلين بالباب ، أو أنها قصة أخرى .

وقد رواه الامام أحمد عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث « أن رسول الله (ص) دخل حائطا فجلس على قف البئر ، فجاء أبو بكر

فاستأذن فقال لأبى موسى : ائذن له و بشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له و بشره بالجنة وسياقى بلاء » وهذا السياق أشبه من الأول ، على أنه قد رواه النسائى من حديث صالح بن كيسان عن أبى الزناد عن أبى سلمة عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث عن أبى موسى الأشعرى فالله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد أنا همام عن قتادة عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد عن عبدالله ابن عمرو قال : « كنت مع رسول الله (ص) فجاء أبو بكر فاستأذن فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، ثم جاء عمر فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فاستأذن فقال ائذن له و بشره بالجنة . قال : قلت فأين أنا ؟ قال : أنت مع أبيك » تفرد به أحمد . وقد رواه البزار وأبو يعلى من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا ليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبى (ص) وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على النبى (ص) وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة ، فأذن لأبى بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، فاستأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال : اجمعى عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتى ثم انصرفت ، فقالت عائشة : يارسول الله ! مالى لا أراك فزعت لأبى بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟ فقال رسول الله (ص) : إن عثمان رجل حيى ، و إنى خشيت إن اذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى حاجته » قال الليث : وقال جماعة الناس : إن رسول الله (ص) قال لعائشة : « ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة ؟[1] » ورواه مسلم من حديث محمد بن أبى حرملة عن عطاء وسليمان بن يسار عن أبى سلمة عن عائشة . ورواه أبو يعلى الموصلى من حديث سهيل عن أبيه عن عائشة . ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان ثنا عبد الله بن يسار سمعت عائشة بنت طلحة تذكر عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله (ص) « كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلت : يارسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك : فقال : يا عائشة ألا نستحى من رجل والله إن الملائكة لتستحى منه ؟ » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

---

(١) كذا فى المصرية . وفى الحلبية : ملائكة الرحمن .

طريق أخرى عن حفصة

رواه الحسن بن عرفة وأحمد بن حنبل عن روح بن عبادة عن ابن جريج ، أخبرني أبو خالد عثمان بن خالد عن عبد الله بن أبي سعيد المدني حدثتني حفصة ، فذكر مثل حديث عائشة ، وفيه : فقال « ألا نستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ » .

طريق أخرى عن ابن عبّاس

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير ثنا النضر - هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفي - عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) « ألا نستحي ممن تستحي منه الملائكة عثمان بن عفان ؟ » ثم قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الاسناد قلت هو على شرط الترمذي ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا أبو معشر حدثني إبراهيم بن عمر بن أبان حدثني أبي عمر بن أبان عن أبيه . قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : « بينما رسول الله (ص) جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل ورسول الله (ص) يتحدث كاشفا عن ركبته ، فرد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان ، وقال لامرأته : استأخري ، فتحدثوا ساعة ثم خرجوا ، فقالت عائشة : يانبي الله ! دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخرني عنك ، فقال النبي (ص) : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله ، وفي سنده ضعف . قلت : وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن ثابت : وروى أبو مروان القرشي عن أبيه عن مالك ، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « عثمان حي تستحي منه الملائكة » .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأشدها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أبي . وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » [وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من

حديث خالد الحذاء ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وفى صحيح البخارى ومسلم آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »][1] وقد روى هشيم عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر مثل حديث أبى قلابة عن أنس أو نحوه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا محمد بن حرب حدثنى الزبيدى عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله . أنه كان يحدث أن رسول الله (ص) قال : «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ، ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمن بعمر ، فلما قمنا من عند رسول الله (ص) قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله (ص) ، وأما ما ذكره رسول الله (ص) من نوط بعضهم ببعض ، فهؤلاء ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه (ص) » ورواه أبو داود عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب ، ثم قال : ورواه يونس وشعيب عن الزهرى فلم يذكرا عمراً .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو داود ـ عمر بن سعد ـ ثنا بدر بن عثمان عن عبيد الله بن مروان عن أبى عائشة عن ابن عمر قال : خرج علينا رسول الله (ص) ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال : « رأيت قبل الفجر كأنى أعطيت المقاليد والموازين ، فأما المقاليد فهذه المفاتيح ، وأما الموازين فهى التى يوزن بها ، فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فوزنت بهم فرجحت ، ثم جئ بأبى بكر فوزن فوزن بهم ، ثم جئ بعمر فوزن فوزن بهم ، ثم جئ بعثمان فوزن فوزن بهم ، ثم رفعت » تفرد به أحمد * وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن معاذ بن جبل . قال قال رسول الله (ص) : « إنى رأيت أنى وضعت فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ، ثم وضع عمر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ، ثم وضع عثمان فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها » .

حديث آخر

قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن مطيع ثنا هشيم عن العوام ، عمن حدثه عن عائشة . قالت : لما أسس رسول الله (ص) مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله (ص) عن ذلك فقال : « هم أمراء الخلافة من بعدى» . وقد تقدم هذا الحديث فى بناء مسجده أول مقدمه المدينة عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تقدم فى دلائل النبوة من حديث الزهرى عن رجل عن أبى ذر فى تسبيح الحصا فى يده

---

(١) سقط من الحلبية

عليه السلام ثم فى كف أبى بكر ، ثم فى كف عمر ، ثم فى كف عثمان ، رضى الله عنهم ، وفى بعض الروايات : فقال رسول الله (ص) : « هذه خلافة النبوة » وسيأتى حديث سفينة أن رسول الله (ص) قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » فكانت ولاية عثمان ومدتها ثنتى عشرة سنة ، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين ، كما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

حديث آخر

وهو ماروى من طرق متعددة عن رسول الله (ص) أنه شهد للعشرة بالجنة ، وهو أحدهم بنص النبي (ص) .

حديث آخر

قال البخارى : حدثنا محمد بن حازم بن بزيع ثنا شاذان ثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر . قال : « كنا فى زمن النبى (ص) [لانعدل بأبى بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نذر أصحاب النبى (ص)] لانفاضل بينهم » تابعه عبد الله بن صالح بن عبد العزيز ، تفرد به البخارى ، ورواه إسماعيل بن عياش ، والفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن نافع عن ابن عمر . ورواه أبو يعلى عن أبى معشر عن يزيد بن هارون عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن عمر به .

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن ابن عمر . قال : « كنا نعد رسول الله (ص) ، وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت » .

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمرو بن على وعقبة بن مكرم قالا : ثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه . قال : كنا نقول فى عهد النبى (ص) : أبو بكر وعمر وعثمان ـ يعنى فى الخلافة ـ وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه ، لكن قال البزار : وهذا الحديث قد روى عن ابن عمر من وجوه « كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم لانفاضل بعد » وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ ، وذلك : يتبين فى حديثه إذا روى عن غير سالم فلم يقل شيئا . وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزهرى عن سالم عن أبيه به . وقد اعتنى الحافظ بن عساكر بجمع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد . فأما الحديث الذى قال الطبرانى : حدثنا سعيد بن عبد ربه الصفار البغدادى حدثنا على بن جميل الرقى أنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « فى الجنة شجرة ـ أو ما فى الجنة شجرة ـ شك على بن حنبل ، ماعليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله

إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين ، فانه حديث ضعيف فى إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكارة ، والله أعلم .

القسم الثاني فيما ورد من فضائله وحده

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن موهب . قال : « جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوما جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ! إنى سائلك عن شئ فحدثنى ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهدها ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها ؟ قال : نعم ! قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال أبين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله و كانت مريضة ، فقال له رسول الله : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ص عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبى (ص) : بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك » تفرد به دون مسلم .

طريق أخرى

وقال الامام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عاصم عن سفيان . قال : لقى عبد الرحمن ابن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : مالى أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبلغه أنى لم أفر يوم حنين ، - قال عاصم : يقول يوم أحد - ولم أتخلف عن يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر ، قال : فانطلق فخبر بذلك عثمان فقال : أما قوله : إنى لم أفر يوم حنين ، فكيف يعيرنى بذلك وقد عفا الله عنى فقال : [إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم] وأما قوله : إنى تخلفت يوم بدر ، فانى كنت أمرض رقية بنت رسول الله (ص) ، وقد ضرب لى رسول الله (ص) ، ومن ضرب له رسول الله (ص) بسهم فقد شهد ، وأما قوله : ولم أترك سنة عمر ، فانى لا أطيقها ولا هو ، فأته يحدثه بذلك .

حديث آخر

قال البخارى : حدثنا أحمد بن شبيب بن سعد ثنا أبى عن يونس قال ابن شهاب : أخبرنى عروة أن عبيد الله بن عدى بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة . فقلت : إن لى إليك حاجة ، وهى نصيحة لك ، فقال : يا أيها المرء منك قال

أبو عبد الله قال معمر : أعوذ بالله منك ـ فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ، وهاجرت الهجرتين ، وصحبت رسول الله (ص) ورأيت هديه ، وقد أكثر الناس فى شأن الوليد . فقال : أدركت رسول الله (ص) ؟ فقلت : لا ! ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء فى سترها ، قال : أما بعد ! فان الله بعث محمداً بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فآمنت بما بعث به ، وهاجرت الهجرتين كما قلت ، وصحبت رسول الله (ص) وبايعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفت ، أفليس لى من الحق مثل الذى لهم ؟ قلت : بلى ! قال : فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم ؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسآخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الوليد بن مسلم حدثنى ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت : « أرسل رسول الله (ص) إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله (ص) ، فلما رأينا إقبال رسول الله (ص) على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه وقال : يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ثلاثا . فقلت لها يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيته والله ماذكرته ، قال : فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبى إلىّ به ، فكتبت إليه به كتابا » وقد رواه أبو عبد الله الجبيرى عن عائشة وحفصة بنحو ماتقدم . ورواه قيس بن أبى حازم وأبو سلمة عنها . ورواه أبو سهلة عن عثمان : « إن رسول الله (ص) عهد إلى عهداً فأنا صابر نفسى عليه » ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة فذكره ، قال الدارقطنى : تفرد به الفرج بن فضالة ورواه أبو مروان محمد عن عثمان بن خالد العثمانى عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه [عن هشام بن عروة عن أبيه][1] عن عائشة . ورواه ابن عساكر من طريق المنهال بن عمر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها . ورواه ابن أسامة عن الجريرى : حدثنى أبو بكر العدوى . قال : سألت عائشة ، وذكر عنها نحو ماتقدم [تفرد به الفرج بن فضالة][2] ورواه حصين عن مجاهد عن عائشة بنحوه .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن كنانة الأسدى أبو يحيى ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه . قال:

---

(١) و (٢) زيادة من الحلبية . وفيها : ورواه خصيف .

بلغنى أن عائشة قالت : « ما استمعت رسول الله (ص) إلا مرة ، فان عثمان جاءه فى حر الظهيرة فظننت أنه جاءه فى أمر النساء ، فحملتنى الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول : إن الله ملبسك قميصاً يريدك أمتى على خلعه فلا تخلعه . فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعه علمت أنه عهد من رسول الله (ص) الذى عهد إليه .

طريق أخرى

قال الطبرانى : حدثنا مطلب بن سعيد الأزدى ثنا عبد الله بن صالح ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن ربيعة بن سيف ، قال : كنا عند شفى الأصبحى فقال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : « التفت رسول الله (ص) فقال : ياعثمان إن الله كساك قميصا فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه ، فوالله لئن خلعته لاترى الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » وقد رواه أبو يعلى من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفى سياق متنه غرابة والله أعلم .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثتنى فاطمة بنت عبد الرحمن قالت : حدثتنى أمى أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقال : قولى إن احدبنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فان الناس قد شتموه ، فقالت : « لعن الله من لعنه ، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله (ص) ، وإن رسول الله لمسند ظهره إلى ، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن ، وإنه ليقول له : اكتب ياعثيم ، قالت عائشة : فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريما على الله ورسوله » ثم رواه الامام أحمد عن يونس عن عمر بن إبراهيم اليشكرى عن أمه عن أمها أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله .

حديث آخر

قال البزار : حدثنا عمر بن الخطاب قال : ذكر أبو المغيرة عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمى عن جابر « أن رسول الله (ص) ذكر فتنة فقال أبو بكر : أنا أدركها ؟ فقال : لا ! فقال عمر : أنا يارسول الله أدركها ؟ قال : لا ! فقال عثمان : يارسول الله فأنا أدركها ؟ قال : بك يبتلون » قال البزار : وهذا لانعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عمر ثنا سنان بن هارون ثنا كليب بن واصل عن ابن عمر . قال : « ذكر رسول الله (ص) فتنة فقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما ، فنظرت فاذا هو عثمان بن عفان » . ورواه الترمذى عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان به وقال : حسن غريب .

حديث اخر

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا موسى بن عقبة حدثنى أبو أمى ابو حنيفة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنكم تلقون بعدى فتنة واختلافاً — أو قال : اختلافا وفتنة — فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك » تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أسامة ثنا حماد بن أسامة ثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق حدثنى هرم بن الحارث وأسامة بن خزيم — وكانا يغازيان — فحدثانى حديثا ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدثنيه عن مرة البهزى قال « بينما نحن مع رسول الله (ص) فى طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون فى فتنة تثور فى أقطار الأرض كأنها صياصى بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يارسول الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه — أو اتبعوا هذا وأصحابه — قال : فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت : هذا يارسول الله ؟ قال : هذا ، فاذا هو عثمان بن عفان » فقال : هذا وأصحابه فذكره .

طريق أخرى

وقال الترمذى فى جامعه : حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفى ثنا أيوب عن أبى قلابة عن أبى الأشعث الصنعانى أن خطبا قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبى (ص) رجل يقال له مرة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله (ص) ماتكلمت ، وذكر الفتن فقربها فمر رجل متقنع فى ثوب ، فقال : هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه . فاذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا ؟ قال نعم ! » ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . وفى الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة . قلت : وقد رواه أسد بن موسى عن معاوية بن صالح حدثنى سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن مرة بن كعب البهزى فذكر نحوه ، [وقد رواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية عن صالح عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن كعب بن مرة البهزى](١) ، الصحيح مرة بن كعب كما تقدم ، وأما حديث ابن حوالة ، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن سفيان(٢) عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله (ص) : « كيف أنت وفتنة تكون فى أقطار الأرض ؟ قلت : ماخار الله لى ورسوله ؛ قال اتبع هذا الرجل ، فانه يومئذ ومن اتبعه على الحق قال : فاتبعته فأخذت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا

---

(١) زيادة من الحلبية . (٢) كذا فى المصرية بزيادة عبد الله بن سفيان .

يارسول الله ؟ فقال : نعم ! فاذا هو عثمان بن عفان » وقال حرملة بن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن ابن حوالة . قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا ، موتى ، وخروج الدجال وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه .

وأما حديث كعب بن عجرة . فقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى أخبرنى معاوية بن صلم عن مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال : « ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع فى ملحفة فقال : هذا يومئذ على الحق قال فانطلقت مسرعا أو محضرا وأخذت بضبعيه فقلت : هذا يارسول الله ؟ قال : هذا فاذا هو عثمان بن عفان » ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة فذكر مثله . ورواه أبو يعلى عن هدبة عن همام عن قتادة عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة . وكذا رواه أبو عون عن ابن سرين عن كعب . وقد تقدم حديث أبى ثور التيمى عنه فى قوله فى الخطبة التى خاطب بها الناس من داره : والله ماتغنيت ولاتمنيت ولازنيت فى جاهلية ولا إسلام ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقا فان تعذر عليه أعتق فى الجمعة الأخرى عتيقين . وقال مولاه حمران : كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم . رضى الله عنه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا على بن عباس ثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الأوزاعى عن محمد بن عبد الملك ابن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال : « إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإنى أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن ، إما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن تخرق بابا سوى الباب الذى هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق مكة ، فانهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ فى أمته بسفك الدماء ، وأما أن أخرج إلى مكة فانهم لن يستحلونى بها ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم ، ولن أكون أنا ، وأما أن ألحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله ﷺ » . وقال الامام أحمد : ثنا أبو المغيرة ثنا أرطاة - يعنى ابن المنذر - حدثنى أبو عون الأنصارى أن عثمان قال لابن مسعود : « هل أنت منته عما بلغنى عنك ؟ فاعتذر بعض العذر ، فقال عثمان: ويحك ! إنى قد سمعت وحفظت - وليس كما سمعت - ، أن رسول الله ﷺ قال سيقتل أمير ، ويتبرى متبرى ، وإنى أنا المقتول ، وليس عمر ، إنما قتل عمر واحد ، وأنه يجتمع على » وهذا الذى قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فانه مات قبله بنحو ذلك .

حديث اخر

[قال عبـد الله بن أحمد : ثنا عبيد الله بن عمر القواريري : ثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري حدثني أبو عبادة الزرقي الأنصاري ـ من أهل المدينة ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ولو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخـة التي تلي باب مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة بن عبيـد الله ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيـد الله فقال له عثمان : ألا أراك ههنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعـة قوم تسمع نداى آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبني ؟ أنشدك الله ياطلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص) في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله (ص) إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا ـ يعني نفسه ـ رفيقي في الجنة ؟ فقال طلحة : اللهم نعم ! » تفرد به أحمد] (١)

حديث آخر عن طلحة

قال الترمذي : حـدثنا أبو هشام الرفاعي ثنا يحيى بن اليمان عن شريح بن زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله (ص) « لكل نبي رفيق و رفيقي في الجنة عثمان » ثم قال : هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوى ، و إسناده منقطع . ورواه أبو عثمان محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : حدثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا : حدثنا عثمان بن زفر حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال : « أتي النبي (ص) بجنازة رجل ليصلي عليـه فلم يصل عليـه ، فقيل يارسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هـذا ؟ فقال : إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل » ثم قال الترمذي : هـذا حديث غريب ، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون ابن مهران ضعيف الحديث جداً ، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصري ثقة ، يكنى أبا الحارث ، ومحمد بن زياد الألهاني صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أبا سفيان .

حديث اخر

روى الحافظ بن عساكر من حديث أبي مروان العثماني ثنا أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة « أن رسول الله (ص) لقي عثمان بن عفان على

(١) هذا الحديث أعيـد هنا ثانيا في النسخة الحلبية . وقـد تقدم ذكره قبل هـذا الموضع كما في المصرية .

باب المسجد فقال : ياعثمان ! هذا جبريل يخبرنى أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية ، على مثل مصاحبتها » وقد روى ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن روية وعصمة بن مالك الخطمى وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم ، وهو غريب ومنكر من جميع طرقه ، وروى باسناد ضعيف عن على أن رسول الله (ص.) قال « لوكان لى أربعون ابنة لزوجتهن بعثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لايبقى منهن واحدة » وقال محمد بن سعيد الأموى عن يونس بن أبى إسحاق عن أبيه عن المهلب بن أبى صفرة قال : « سألت أصحاب رسول الله (ص.) لم قلتم فى عثمان : أعلانا فوقا ؟ قالوا : لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنتى نبى غيره رواه ابن عساكر .

وقال إسماعيل بن عبد الملك عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله (ص.) رافعاً يديه حتى يبدو ضبعيه إلا لعثمان بن عفان ، إذا دعا له . وقال مسعر عن عطية عن أبى سعيد قال : رأيت رسول الله (ص.) من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : « اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه » وفى رواية يقول لعثمان : « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة » ورواه الحسن بن عرفة عن محمد ابن القاسم الأسدى عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن النبى (ص.) مرسلا . وقال ابن عدى عن أبى يعلى عن عمار بن ياسر المستملى عن إسحاق بن إبراهيم المستملى عن أبى إسحاق عن أبى وائل عن حذيفة : أن رسول الله (ص.) بعث إلى عثمان يستعينه فى غزاة غزاها ، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار ، فوضعها بين يديه ، فجعل يقلبها بين يديه ويدعو له : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالى عثمان ما فعل بعدها » .

حديث اخر

وقال ليث بن أبى سليم : أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنقى ثم بعث به إلى رسول الله (ص.) إلى منزل أم سلمة ، فلم يصادفه ، فلما جاء وضعوه بين يديه ، فقال : من بعث هذا ؟ قالوا : عثمان : قالت : فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه » .

حديث آخر

روى أبو يعلى عن سنان بن فروخ عن طلحة بن يزيد عن عبيدة بن حسان عن عطاء الكيخارانى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنق عثمان وقال : « أنت وليى فى الدنيا ، ووليى فى الآخرة » .

حديث آخر

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن الجريرى عن عبد الله بن

شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول (ص) : « تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة ، يبايع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان فرأيناه معتجراً يبايع الناس.

ذكر شيء من سيرته وهي دالة على فضيلته

قال ابن مسعود : لما توفى عمر بايعنا خيرنا ولم نأل ، وفى رواية بايعوا خيرهم ولم يألوا ، وقال الأصمعى عن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذى خلق فسوى . وقال محمد بن المبارك بلغنى أنه كان نقش خاتم عثمان آمن عثمان بالله العظيم . وقال البخارى فى التاريخ : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما نقموا عليه ، قل ما يأتى على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل ، الأعطيات جارية ، والأرزاق دارة ، والعدو متقى ، وذات البين حسن ، والخير كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، ومن لقيه فهو أخوه ، قد كان من إلفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون أثرة ، فاذا كانت فاصبروا » قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير ، بل قالوا لا والله ما نصابرها؛ فوالله ما وردوا وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الاسلام فسلوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولا إلى يوم الناس ، هذا وأيم الله إنى لأراه سيفاً مسلولا إلى يوم القيامة » وقال غير واحد عن الحسن البصرى قال: سمعت عثمان يأمر فى خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب . وروى سيف ابن عمر أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجلاهقات [فوكل عثمان رجلا من بنى ليث يتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات] ـ وهى قسى البندق ـ وقال محمد بن سعد : « أنبأنا القعنبى وخالد بن مخلد ثنا محمد بن هلال عن جدته ـ وكانت تدخل على عثمان وهو محصور ـ فولدت هلالا ، ففقدها يوماً فقيل له : إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً ، قالت : فأرسل إلى بخمسين درهماً وشقيقة سنبلانية ، وقال : هذا عطاء ابنك وكسوته ، فاذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة » وروى الزبير ابن أبي بكر عن محمد بن سلام عن ابن بكار قال : قال ابن سعيد بن يربوع بن عنكثة المخزومى : انطلقت وأنا غلام فى الظهيرة ومعى طير أرسله فى المسجد ، والمسجد بيننا ، فاذا شيخ جميل حسن الوجه نائم ، تحت رأسه لبنة أو بعض لبنة ، فقمت أنظر إليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت ياغلام ؟ فأخبرته ، فاذا غلام نائم قريباً منه فدعاه فلم يجبه ، فقال لى : ادعه ! فدعوته فأمره بشئ وقال لى : اقعد ! فذهب الغلام فجاء بحلة وجاء بألف درهم ، ونزع ثوبى وألبسنى الحلة ، وجعل الألف

درهم فيها ، فرجعت إلى أبى فأخبرته ؟ فقال : يابنى من فعل هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى إلا أنه رجل فى المسجد نائم لم أر قط أحسن منه ، قال : ذاك أمير المؤمنين عثمان بن عفان » وقال عبد الرزاق عن ابن جريج : أخبرنى يزيد بن خصيفة عن أبى السائب بن يزيد « أن رجلا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمى أعن صلاة طلحة بن عبيد الله عن صلاة عثمان قال : نعم ! قال : قلت لأغلبن الليلة النفر على الحجر - يعنى المقام - فلما قمت فاذا رجل يزحمنى مقنعاً قال فالتفت فاذا بعثمان فتأخرت عنه فصلى فاذا هو يسجد بسجود القرآن ، حتى إذا قلت هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها ثم انطلق » . وقد روى هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم فى ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضى الله عنه . ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال فى قوله تعالى [أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه] قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس فى قوله تعالى (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال : هو عثمان . وقال حسان :

ضحّوا بأشمطَ عنوان السجود به * يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال سفيان بن عيينة : ثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ماشبعنا من كلام ربنا ، وإنى لأكره أن يأتى علىّ يوم لا أنظر فى المصحف ، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه . وقال أنس ومحمد بن سيرين : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقتلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحيى الليل بالقرآن فى ركعة . وقال غير واحد : إنه رضى الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه ، إلا أن يجده يقظانا ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لو أيقظت بعض الخدم ؟ فيقول : لا ! الليل لهم يستريحون فيه . وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه ، وهو فى بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حيائه رضى الله عنه .

شيء من خطبه

قال الواقدى : حدثنى إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس أول كل مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله . وقال الحسن : خطب عثمان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! اتقوا الله فان تقوى الله غنم ، وإن أكيس الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلم ، والأصم ينادى من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً ، ومن كان الله

عليه فمن يرجو بعده؟ . وقال مجاهد : خطب عثمان فقال : ابن آدم ! اعلم أن ملك الموت الذى وكل بك لم يزل يخلفك و يتخطى إلى غيرك منذ أنت فى الدنيا ، وكأنه قد تخطى غيرك إليك ، وقصدك ، فخذ حذرك ، واستعد له ، ولا تغفل فانه لا يغفل عنك ، واعلم ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك ، ولابد من لقاء الله ، فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام . وقال سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه . قال : آخر خطبة خطبها عثمان فى جماعة « إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى و إن الآخرة تبقى ، لا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، وآثروا ما يبقى على مايفنى ، فان الدنيا منقطعة و إن المصير إلى الله ، اتقوا الله فان تقواه جُنة من بأسه ، و وسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا [واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا] إلى آخر الآيتين *

فصل

قال الامام أحمد : حدثنا هشيم ، ثنا محمد بن قيس الأسدى عن موسى بن طلحة . قال : سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم ، وأسعارهم . وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا يونس - يعنى ابن عبيد - حدثنى عطاء بن فروخ مولى القرشيين أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقيه فقال : ما منعك من قبض مالك ؟ قال : إنك غبنتنى ، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومنى ، قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم ! قال : فاختر بين أرضك ومالك ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشترياً و بائعاً وقاضياً ومقتضياً » . و روى ابن جرير أن طلحة لقى عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة : إن الخمسين ألفاً التى لك عندى قد حصلت فأرسل من يقبضها ، فقال له عثمان : إنا قد وهبناكها لمروءتك . وقال الأصمعى : استعمل ابن عامر قطن بن عوف الهلالى على كرمان ، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادى فقطعهم عن طريقهم ، وخشى قطن الفوت فقال: من جاز الوادى فله ألف درهم ، فحملوا أنفسهم على العوم ، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن : اعطوه جائزته ، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم ، فأبى ابن عامر أن يحسبها له ، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان ، فكتب عثمان : أن احسبها له ، فانه إنما أعان المسلمين فى سبيل الله فمن ذلك اليوم سميت الجوائز لاجازة الوادى ، فقال الكنانى فى ذلك :

فدىً للأكرمينَ بنى هِلالٍ * على علاّتهمْ أهلِى ومالِى

هموا سنّوا الجوائز في معدّ * فصادت سنّة أخرى الليالي
رماحهم تزيد على ثمان * وعشر قبل تركيب النصال

فصل

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة ، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة ، التي درسها جبريل على رسول الله ص في آخر سني حياته ، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود ، وأبي الدرداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود ، وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما خطأ الآخر أو كفره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السيء بين الناس ، فركب حذيفة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم . وذكر له ماشاهد من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ، ودفع الاختلاف ، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي ، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش ، فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ، وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه المصاحف الأئمة ، وليست كلها بخط عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخط زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقلي ، أي ضرب في زمانه ودولته . قال الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . ورواه غيره من وجه آخر عن أبي هريرة قال : « لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أصبت ووفقت ، أشهد لسمعت رسول الله ص يقول : « إن أشد أمتي حباً لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، يعملون بما في الورق المعلق » فقلت : أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، قال : فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا

(ص) ، » ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه ، لئلا يقع بسببه اختلاف ، فقال أبو بكر بن أبي داود ـ في كتاب المصاحف ـ حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا : ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال : قال لي علي حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته » وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمرو بن مرزوق عن شعبة مثله ، وقد رواه البيهقي وغيره من حديث محمد بن أبان ـ زوج أخت حسين ـ عن علقمة بن مرثد قال : سمعت العيزار بن جرول سمعت سويد بن غفلة قال : « قال علي : أيها الناس ! إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف ، والله ماحرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد (ص) ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل » وقد روى عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق ، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف ، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى [ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة] فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك ، وجمع الكلمة ، وعدم الاختلاف ، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال : كم صلى أمير المؤمنين الظهر ؟ قالوا : أربعاً ، فصلى ابن مسعود أربعاً فقالوا : ألم تحدثنا أن رسول الله (ص) وأبا بكر وعمر صلوا ركعتين ؟ فقال : نعم ! وأنا أحدثكموه الآن ، ولكنني أكره الاختلاف . وفي الصحيح أن ابن مسعود قال : ليت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين . وقال الأعمش : حدثني معاوية بن قرة ـ بواسط ـ عن أشياخه قالوا : صلى عثمان الظهر بمنى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه ، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً ، فقيل له : عتبت على عثمان وصليت أربعاً ؟ فقال : إني أكره الخلاف . وفي رواية الخلاف شر فاذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن ؟ والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤا بها لا بغيرها ؟ وقد حكى الزهري وغيره أن عثمان إنما أتم خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان ، وقيل بل قد تأهل بمكة ، فروى يعلى وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب عن أبيه أن عثمان صلى بهم بمنى أربع ركعات ، ثم أقبل عليهم فقال : إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا تزوج الرجل ببلد فهو من أهله » وإني أتممت لأني تزوجت بها منذ قدمتها . وهذا الحديث لا يصح ، وقد تزوج رسول الله (ص) في عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتم الصلاة ، وقد قيل إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث كان [وهكذا تأولت عائشة فأتمت ، وفي هذا التأويل نظر ، فان رسول الله (ص) هو رسول الله

حيث كان ، ومع هذا ما أتم الصلاة في في الأسفار . ومما كان يعتمده عثمان بن عفان أنه كان [(١) يلزم عماله بحضور الموسم كل عام ، و يكتب إلى الرعايا : من كانت له عند أحد منهم مظلمة فليواف إلى الموسم فاني آخذ له حقه من عامله ، وكان عثمان قد سمح لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث شاءوا من البلاد ، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك ، حتى ولا في الغزو ، و يقول : إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناؤها ، فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس ، وصار لكل واحد أصحاب ، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الامارة العامة بعد عثمان ، فاستعجلوا موته ، واستطالوا حياته ، حتى وقع ما وقع من بعض أهل الأمصار ، كما تقدم ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، العلي العظيم .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج رُقيّة بنت رسول الله (ص) فولد له منها عبد الله ، و به كان يكنى ، بعد ما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو ، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ، ثم توفيت فتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر ؛ وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدية ، فولدت له عمراً ، وخالداً ، وأباناً ، وعمر . ومريم ، وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية ، فولدت له الوليد وسعيداً . وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ، فولدت له عبد الملك ، و يقال وعتبة ، وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان . وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضمضم بن عدي بن حيان بن كليب ، فولدت له مريم ، و يقال وعنبسة . وقتل رضي الله عنه وعنده أربع نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاختة . و يقال إنه طلق أم البنين وهو محصور .

فصل

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن البراء بن ناجية الكاهلي ، عن عبدالله بن مسعود ، قال قال رسول الله (ص) : « إن رحا الاسلام ستدور لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فان تهلك فسبيل ما هلك و إن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما قال : فقال عمر يارسول الله أبما مضى أم بما بقي ؟ قال : بل بما بقي » وفي لفظ له ولأبي داود « تدور رحا الاسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين » الحديث . وكأن هذا الشك من الراوي ، والمحفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثين ، فان فيها قتل أمير المؤمنين

(١) سقط من المصرية .

عثمان على الصحيح ، وقيل ست وثلاثين ، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة ولكن الله سلم ووق بحوله وقوته فلم يكن بأسرع من أن بايع الناس على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وانتظم الأمر ، واجتمع الشمل ، ولكن جرت بعد ذلك أمور فى يوم الجمل وأيام صفين على ماسنبينه إن شاء الله تعالى .

فصل

فى ذكر من توفى زمان عثمان ممن لا يعرف وقت وفاته على التعيين

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصارى النجارى ، ويقال له أنيس أيضاً ، شهد المشاهد كلها رضى الله عنه . .

أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت الأنصاريان ، شهد بدراً ، وأوس هو زوج المجادلة المذكور فى قوله تعالى [قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير] وامرأته خولة بنت ثعلبة .

أوس بن خولى الأنصارى من بنى الحبلى ، شهد بدراً ، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبى (ص) ، والنزول مع أهله فى قبره ، عليه الصلاة والسلام .

الجد بن قيس ، كان سيداً فى الأنصار ، ولكن كان بخيلا ومتهماً بالنفاق ، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع ، واستتر ببعير له ، وهو الذى نزل فيه قوله تعالى [ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا] الآية . وقد قيل إنه تاب وأقلع فالله أعلم .

الحطيئة الشاعر المشهور . قيل اسمه جرول ويكنى بأبى مليكة ، من بنى عبس ، أدرك أيام الجاهلية ، وأدرك صدراً من الاسلام ، وكان يطوف فى الآفاق يمتدح الرؤساء من الناس ، ويستجديهم ويقال كان بخيلا مع ذلك ، سافر مرة فودع امرأته فقال لها :

عدّي السنينَ إذا خرجتُ لغيبة * ودعى الشهورَ فانهنَّ قصارُ

[وكان مداحاً هجاء ، وله شعر جيد ، ومن شعره ما قاله بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاد منه قوله :

مَنْ يفعلِ الخيرَ لم يعدمْ جوازيَه * لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والناس] (١)

خبيب بن يساف بن عتبة الأنصارى أحد من شهد بدراً * سلمان بن ربيعة الباهلى ، يقال له صحبة ، كان من الشجعان الأبطال المذكورين ، والفرسان المشهورين ، ولاه عمر قضاء الكوفة ، ثم

---

(١) سقط من الحلبية.

ولى فى زمن عثمان إمرة على قتال الترك ، فقتل ببلنجر ، فقبره هناك فى تابوت يستسقى به الترك إذا قحطوا * عبد الله بن حذافة بن قيس القرشى السهمى ، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة ، وكان من سادات الصحابة ، وهو القائل : يا رسول الله من أبى ؟ — وكان إذا لاحى الرجال دعى لغير أبيه — فقال : أبوك حذافة ، وكان رسول الله صـ [أرسله إلى كسرى فدفع كتابه إلى عظيم بصرى فبعث معه من يوصله] (١) إلى هرقل كما تقدم ، وقد أسرته الروم فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى جملة ثمانين من المسلمين ، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم ، فقال له الملك : قبّل رأسى وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين ، فقبّل رأسه [فأطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حق على كل مسلم أن يقبّل رأسك ، ثم قام عمر فقبّل رأسه] (٢) قبل الناس رضى الله عنه * عبد الله بن سراقة بن المعتمر ، العدوى صحابى أحدى ، وزعم الزهرى أنه شهد بدراً فالله أعلم * [عبد الله بن قيس بن خالد الأنصارى ، شهد بدراً *] (٣) عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصارى الحارثى ، شهد أحداً وما بعدها ، وقال ابن عبد البر شهد بدراً ، استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان ، وقد نهشته حية فرقاه عمارة بن حزم ، وهو القائل لأبى بكر — وقد جاءته جدتان فأعطى السدس أم الأم وترك الأخرى وهى أم الأب — فقال له : أعطيت التى لو ماتت لم يرثها ، وتركت التى لو ماتت لورثها ، فشرّك بينهما * عمرو بن سراقة بن المعتمر العدوى أخو عبد الله بن سراقة ، وهو بدرى كبير ، روى أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ، ومشى يومه ذلك إلى الليل ، فأضافه قوم من العرب ومن معه ، فلما شبع قال لأصحابه : كنت أحسب الرجلين يحملان البطن ، فاذا البطن يحمل الرجلين .

عمير (٤) بن سعد الأنصارى الأوسى ، صحابى جليل القدر ، كبير المحل كان يقال له نسيج وحده ، لكثرة زهادته وعبادته ، شهد فتح الشام مع أبى عبيدة ، وناب بحمص و بدمشق أيضاً فى زمان عمر ، فلما كانت خلافة عثمان عزله وولى معاوية الشام بكماله ، وله أخبار يطول ذكرها * عروة بن حزام أبو سعيد العدوى كان شاعراً مغرماً فى ابنة عم له ، وهى عفراء بنت مهاجر ، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها ، فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام ، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره ، وزوجها بابن عمها الآخر ، فهلك عروة هنا فى محبتها ، وهو مذكور فى كتاب مصارع العشاق ، ومن شعره فيها قوله :

وماهىَ إلاَّ أنْ أراها فجاءةً * فأبهت حتى ما أكادُ أُجيبُ
وأصرفُ عن رأبى الذى كنتُ أرتأي * وأنسى الذى أعددتُ حينَ تغيبُ

ثعلبة بن عامر أبو زيد الأنصارى عقبى بدرى * قيس بن مهدى بن قيس بن ثعلبة الأنصارى

(١) — (٣) سقط من الحلبية . (٤) كذا فى الحلبية والاصابة وفى المصرية : عمرو بن سعد .

النجاري ، له حديث في الركعتين قبل الفجر ، وزعم ابن ماكولا أنه شهد بدراً ، قال مصعب الزبيري : هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري ، وقال الأكثرون : بل هو جد أبي مريم عبد الغفار ابن القاسم الكوفي فالله أعلم * لبيد بن ربيعة أبو عقيل العامري الشاعر المشهور . صح أن رسول الله (ص) قال : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل » * وتمام البيت : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان بن مظعون : إلا نعيم الجنة ، وقد قيل إنه توفي سنة إحدى وأربعين فالله أعلم * المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي ، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد التابعين * معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصاري شهد بدراً ، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله ، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه ، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه ، قال معاذ : فلما انتهيت وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها رضي الله عنه . وعاش بعد ذلك الى هذه السنة سنة خمس وثلاثين *

محمد بن جعفر بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي ، ولد لأبيه وهو بالحبشة ، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر ، وتوفي يوم مؤتة شهيداً ، جاء رسول الله (ص) إلى منزلهم فقال لأمهم أسماء بنت عميس : « إيتيني ببني أخي ، فجيء بهم كأنهم أفرخ فجعل يقبلهم ويشمهم ويبكي ، فبكت أمهم فقال أتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ ثم أمر الحلاق فحلق رؤسهم » وقد مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا ، وزعم ابن عبد البر أنه توفي في تستر فالله أعلم * معبد بن العباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله (ص) ، قتل شاباً بأفريقية من بلاد المغرب * معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ، صاحب خاتم النبي (ص) ، قيل توفي في أيام عثمان ، وقيل قبل ذلك ، وقيل سنة أربعين والله أعلم * منقذ بن عمرو الأنصاري ، أحد بني مازن بن النجار . كان قد أصابته آمة في رأسه فكسرت لسانه ، وضعف عقله ، وكان يكثر من البيع والشراء ، فقال له النبي (ص) : « من بايعت فقل لاخلابة ، ثم أنت بالخيار في كل ما تشتريه ثلاثة أيام » قال الشافعي : كان مخصصاً باثبات الخيار ثلاثة في كل بيع ، سواء اشترط الخيار أم لا * نعيم بن مسعود ، أبو سلمة الغطفاني ، وهو الذي خذل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه ، فله بذلك اليد البيضاء ، والراية العليا * أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ، الشاعر ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد موت النبي (ص) ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي (ص) ، وكان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب وهو القائل :

وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أظفارَها * ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفع

وتجلُّدي للشامتين أُريهمُ * أني لِرَيْبِ الدهر لا أتضعضع

توفي غازيا بافريقية في خلافة عثمان * أبو رهم سبرة ابن عبد العزى القرشي الشاعر ذكره .

فى هذا الفصل محمد بن سعد وحده * ابو زبيد الطائي الشاعر، اسمه حرملة بن المنذر كان نصرانياً وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدة له فى الاسد بديعة ، فقال له عثمان : تفتأ تذكر الأسد ما حييت ؟ إنى لأحسبك جباناً نصرانياً * أبو سبرة بن أبى رهم العامرى ، أخو أبى سلمة بن عبد الأسد ، أمهما برة بنت عبد المطلب ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وما بعدها، قال الزبير : لا نعلم بدريا سكن مكة بعد النبى (ص) سواه ، قال : وأهله ينكرون ذلك * أبو لبابة بن عبد المنذر أحد نقباء ليلة العقبة ، وقيل إنه توفى فى خلافة على والله أعلم * أبو هاشم بن عتبة تقدم وفاته فى سنة إحدى وعشرين ، وقيل فى خلافة عثمان والله أعلم .

خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه

هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو ابن عبد مناف ، واسمه المغيرة ، بن قصى ، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن والحسين ، ويكنى بأبى تراب ، وأبى القسم الهاشمى ، ابن عم رسول الله (ص) ، وختنه على ابنته فاطمة الزهراء . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشميا . وكان له من الإخوة طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وكانوا أكبر منه ، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين ، وله أختان ، أم هانئ وجمانة ، وكلهم من فاطمة بنت أسد ، وقد أسلمت وهاجرت * كان على أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان ممن توفى ورسول الله (ص) راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلا آدم شديد الأدمة أشكل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، أصلع ، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية ، قد ملأت صدره ومنكبيه ، أبيضها ، وكان كثير شعر الصدر والكتفين ، حسن الوجه ، ضحوك السن ، خفيف المشى على الأرض * أسلم على قديما ، وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان ، وقيل تسع ، وقيل عشر ، وقيل أحد عشر ، وقيل إثنى عشر ، وقيل ثلاثة عشر ، وقيل أربع عشرة ، وقيل ابن خمس عشرة ، أو ست عشرة سنه قاله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن ، ويقال إنه أول من أسلم [والصحيح أنه أول من أسلم] من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وكان سبب اسلامه على صغيراً أنه كان فى كفالة رسول الله (ص) ، لأنه كان قد أصابتهم سنة مجاعة ، فأخذه من أبيه ، فكان عنده ، فلما

بعثه الله بالحق آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم على ، وكان الايمان النافع المتعدى نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضى الله عنه . وقد ورد عن على أنه قال أنا أول من أسلم ولا يصح إسناده إليه . وقد روى فى هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر كثيرة منكرة لا يصح شئ منها والله أعلم . وقد روى الامام أحمد من حديث شعبة عن عمرو بن مرة سمعت أبا حمزة ـ رجلا من موالى الأنصار ـ قال سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله (ص) على * وفى رواية أول من صلى . قال عمرو : فذكرت ذلك للنخعى فأنكره ، وقال أبو بكر : أول من أسلم * وقال محمد بن كعب القرظى : أول من آمن من النساء خديجة وأول رجلين آمنا أبو بكر وعلى ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلى يكتم إيمانه ، قلت : يعنى خوفا من أبيه ، ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرته ، وهاجر على بعد خروج رسول الله (ص) من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه ورد ودائعه ، ثم يلحق به ، فامتثل ما أمره به ، ثم هاجر ، وآخى النبى (ص) بينه و بين سهل بن حنيف ، وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازى أن رسول الله (ص) آخى بينه و بين نفسه ، وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شئ منها لضعف أسانيدها ، وركة بعض متونها ، فان فى بعضها « أنت أخى ووارثى وخليفتى وخير من أمر بعدى » وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم * وقد شهد على بدراً وكانت له اليد البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه وفى عمه حمزة وابن عمه عبيدة ابن الحارث وخصومهم الثلاثة ـ عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ـ نزل قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) الآية . وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال : « دفع النبى (ص) الراية يوم بدر إلى على وهو ابن عشرين سنة » وقال الحسن بن عرفة : حدثنى عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلى عن أبى جعفر محمد بن على قال : نادى مناد فى السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على . قال ابن عساكر وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من على بعد ذلك وقال يونس بن بكير عن مسعر عن أبى عوف عن أبى صالح عن على قال : قيل لى يوم بدر ولأبى بكر قيل لأحدنا معك جبريل ومع الآخر ميكائيل قال وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون فى الصف . وشهد على أحداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب ابن عمير ، وعلى الميسرة المنذر بن عمرو الأنصارى ، وحمزة بن عبد المطلب ، على القلب وعلى الرجالة الزبير بن العوام ، وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل على يوم أحد قتالا شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبى (ص) الدم الذى كان أصابه من الجراح حين شج فى وجهه وكسرت رباعيته وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب ، وأحد شجعانهم المشاهير ، عمرو ابن عبدود العامرى ، كما قدمنا ذلك فى غزوة الخندق ، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان ، وشهد خيبر

وكانت له بها مواقف هائلة ، ومشاهد طائلة ، منها أن رسول الله (ص) قال : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها ، فدعا علياً ــ وكان أرمد ــ فدعا له ، وبصق فى عينه فلم يرمد بعدها ، فبرأ وأعطاه الراية ، ففتح الله على يديه ، وقتل مرحبا اليهودى

وذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبى رافع أن يهودياً ضرب عليا فطرح ترسه ، فتناول بابا عند الحصن فتترس به ، فلم يزل فى يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فلقد رأيتنى أنا وسبعة معى نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع . وقال ليث عن أبى جعفر عن جابر أن عليا حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، فلم يحملوه إلا أربعون رجلا * ومنها أنه قتل مرحبا فارس يهود وشجعانهم * وشهد على عمرة القضاء وفيها قال له النبى (ص) : « أنت منى ، وأنا منك » وما يذكره كثير من القصاص فى مقاتلته الجن فى بئر ذات العلم ــ وهو بئر قريب من الجحفة ــ فلا أصل له ، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به . وشهد الفتح وحنينا والطائف ، وقاتل فى هذه المشاهد قتالا كثيراً ، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله (ص) [ولما خرج رسول الله (ص)] (١) إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يارسول الله أتخلفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » وبعثه رسول الله (ص) أميراً وحاكما على اليمن ، ومعه خالد ابن الوليد ، ثم وافى رسول الله (ص) عام حجة الوداع ، إلى مكة ، وساق معه هديا ، وأهل كاهلال النبى (ص) ، فأشركه فى هديه ، واستمر على إحرامه ، [ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم] (٢) ولما مرض رسول الله (ص) قال له العباس : سل رسول الله (ص) فيمن الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله فانه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبدا ، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله (ص) لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوح بذكر الصديق ، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جداً إليه ، كما قدمنا ذلك ولله الحمد .

وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء ، من أنه أوصى إلى على بالخلافة ، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير ، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره ، لا لمعنى ولا لسبب ، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الاسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء ، وهم خير قرون هذه الأمة ، التى هى أشرف الأمم بنص القرآن ، وإجماع

(١) و (٢) سقط من الحلبية .

السلف والخلف ، فى الدنيا والآخرة ، ولله الحمد . وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم فى الأسواق وغيرها من الوصية لعلى فى الآداب والأخلاق فى المآكل والمشرب والملبس ، مثل مايقولون : ياعلى لا تعتم وأنت قاعد ، يا على لاتلبس سراويلك وأنت قائم ، ياعلى لاتمسك عضادتى الباب ، ولاتجلس على أسكفة الباب ، ولاتخيط ثوبك وهو عليك ، ونحو ذلك ، كل ذلك من الهذيانات فلا أصل لشئ منه ، بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة ، ولا يعول على ذلك ويغتر به إلا غبى عيى . ثم لما مات رسول الله ص كان على من جملة من غسله وكفنه ، ولى دفنه كما تقدم ذلك مفصلا ولله الحمد والمنة . وسيأتى فى باب فضائله ذكر تزويج رسول الله ص له من فاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن كما قدمنا . وقد وردت أحاديث فى ذلك لا يصح شئ منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص . ولما بويع الصديق يوم السقيفة كان على من جملة من بايع بالمسجد كما قدمنا . وكان بين يدى الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضا عليه ، وأحب الأشياء إليه ؛ ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تغضبت بعض الشئ على أبى بكر بسبب الميراث الذى فاتها من أبيها عليه السلام ، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقى فى نفسها شئ كما قدمنا - واحتاج على أن يداريها بعض المداراة - فلما توفيت جدد البيعة مع الصديق رضى الله عنهما ، فلما توفى أبو بكر وقام عمر فى الخلافة بوصية أبى بكر إليه بذلك ، كان على من جملة من بايعه ، وكان معه يشاوره فى الأمور ، ويقال إنه استقضاه فى أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ، وشهد خطبته بالجابية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى فى ستة أحدهم على ، ثم خلص منهم بعثمان وعلى كما قدمنا ، فقدم عثمان على على ، فسمع وأطاع ، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين على المشهور .

عدل الناس إلى على فبايعوه ، قبل أن يدفن عثمان ، وقيل بعد دفنه كما تقدم ، وقد امتنع على من إجابتهم إلى قبول الامارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بنى عمرو بن مبذول ، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجاءوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة

يقال ان أول من بايعه طلحة بيده اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد - لما وقى بها رسول الله ص - فقال بعض القوم : والله إن هذا الأمر لا يتم ، وخرج على إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز ونعلاه فى يده ، توكأ على قوسه ، فبايعه عامة الناس ، وذلك يوم السبت التاسع عشر

من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، و يقال إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمرهما على البصرة والكوفة ، فقال لهما : بل تكونا عندى أستأنس بكما ، ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، و رافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ذكره ابن جرير من طريق المدائنى عن شيخ من بنى هاشم عن عبدالله بن الحسن قال المدائنى : حدثنى من سمع الزهرى يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم بايعوا علياً ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة ، قلت : وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام . وقال الواقدى : بايع الناس علياً بالمدينة ، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا ، منهم ابن عمر ، وسعد بن أبى وقاص ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن أبى مسلمة ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم . وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقى بن حرب ، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على على وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم لا نولى أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبى وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا فى أمرهم ، ثم قالوا : ان نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس فى أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى على فألحوا عليه ، وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الاشتر النخعى وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذى الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس لهم فى ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا على ، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ، فقال قائل : إنا لله و إنا إليه راجعون ، ثم الزبير ، ثم قال الزبير : إنما بايعت عليا واللج على عنق والسلام ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمسة بقين من ذى الحجة ، وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ، إن الله حرم حرما مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، لايحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحدو بكم فتخففوا تلحقوا ، فانما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباده فى عباده و بلاده ، فانكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ،

وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه [واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض] الآية ؛ فلما فرغ من خطبته قال المصريون :

خذها إليك واحذرنْ أبا الحسنْ * إنا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرسنْ
صولةَ آساد كآساد السفن * بمشرفياتٍ كغدران اللبنْ
ونطعنَ الملكَ بلينٍ كالشطنْ * حتى يمرنَّ على غير عننْ

فقال على مجيبا لهم :

إنى عجزتُ عجزةً لا أعتذرْ * سوفَ أكيسُ بعدها وأستمرْ
أرفعُ من ذيلىَ ما كنتُ أجُرْ * وأجمعُ الأمرَ الشتيتَ المنتشرْ
إن لم يشاغبنى العَجولُ المنتصرْ * أو يتركونى والسلاحُ يبتدرْ

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعرى على الصلاة وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى الخراج جابر بن فلان المزنى ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ؛ وقد تغلب عليه محمد بن أبى حذيفة ؛ وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان ، ونوابه على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب بن سلمة ، وعلى الأردن أبو الأعور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ؛ وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله البجلى ، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس ، وعلى قيسارية مالك بن حبيب ، وعلى همذان حبيش . هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفى وهم نواب الأمصار ، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت ، ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه ، ومعه أصابع نائلة التى أصيبت حين حاجفت عنه بيدها ، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع فى كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فتباكى الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، ويحث بعضهم بعضا على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء فى هذا العام ، وقام فى الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ، ممن قتله من أولئك الخوارج : منهم عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن حباشة ، وأبو مسلم الخولانى ، وعبد الرحمن بن غنم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقر أمر بيعة على دخل عليه طلحة والزبير ورؤس الصحابة رضى الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان . فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه

إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم فى قتل عثمان رضى الله عنه ، فقال لهما : مهلاً على ، حتى أنظر فى هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له : إنى أرى أن تقر عمالك على البلاد ، فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت ، ثم جاءه من الغد فقال له : إنى أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك ، فعرض ذلك علىّ على ابن عباس فقال : لقد نصحك بالأمس وغشك اليوم ، فبلغ ذلك المغيرة فقال : نعم نصحته فلما لم يقبل غششته ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير ، وكانوا قد استأذنوا عليا فى الاعتمار فأذن لهم ، ثم إن ابن عباس أشار علىّ على باستمرار نوابه فى البلاد ، إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصا على الشام وقال له : إنى أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكاما عليك بسبب ذلك ، فقال على : إنى لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها ، فقال ابن عباس لعلى : إنى أخشى من معاوية أن يقتلنى بعثمان ، أو يحبسنى لقرابتى منك ولكن اكتب معى إلى معاوية فمنه وعده ، فقال على : والله إن هذا مالا يكون أبدا ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين الحرب خدعة كما قال رسول الله ﷺ ، فوالله لئن أطعتنى لأوردنهم بعد صدرهم ونهى ابن عباس عليا فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسنون إليه الرحيل إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين فى ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفا من الريح فغرقه الله بحوله وقوته ، ومن معه ، ولم ينج منهم أحد إلا الملك فى شرذمة قليلة من قومه ، فلما دخل صقلية عملوا له حماما فدخله فقتلوه فيه ، وقالوا : أنت قتلت رجالنا .

ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنه وقد تولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب الخلافة ، وولى على الأمصار نوابا ، فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى سمرة بن جندب[1] على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر ، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : أمير ، قالوا : على أى شئ ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمان بعثك فحى هلابك ، وإن كان غيره فارجع . فقال : أو ما سمعتم الذى

---

(١) ذكر ابن جرير الطبرى أن علياً ولى عثمان بن حنيف على البصرة وسيأتى أنه عثمان ابن حنيف .

كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى علي . وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفة : لانبايع حتى نقتل قتلة عثمان ، وكذلك أهل البصرة ، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصده عنها طلحة بن خويلد غضبا لعثمان ، فرجع إلى علي فأخبره ، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر ، واختلفت الكلمة ، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم ، وبعث علي إلى معاوية كتبا كثيرة فلم يرد عليه جوابها ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً مع رجل فدخل به على علي فقال : ما وراءك ؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور ، تركت سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال علي : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهمّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فما أفلت إلا بعد جهد . وعزم علي رضي الله عنه على قتال أهل الشام ، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة : وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطب الناس فحثهم على ذلك . وعزم على التجهز ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قثم بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس ، وجاء إليه ابنه الحسن ابن علي فقال : ياأبتي دع هذا فان فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس على الميمنة ، وعمرو بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شئ إلا أن يخرج من المدينة قاصداً إلى الشام ، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده .

إبتداء وقعة الجمل

لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق ، كان أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة ، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل ، أقمن بمكة بعد ما خرجوا منها ، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون مايصنع الناس ويتجسون الأخبار فلما بويع لعلي وصار حظ الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي ، لاعن اختيار منه لذلك رؤس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان ، مع أن عليا في نفس الأمر يكرههم ، ولكنه تربص بهم الدوائر ، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه ، وحجبوا عنه علية الصحابة فر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة ، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار ، فأذن لهما فخرجا إلى

مكة وتبعهم خلق كثير ، وجم غفير ، وكان على لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرضه على الخروج معه ، فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة ، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، ولكن لا أخرج للقتال فى هذا العام ، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة ، وقدم إلى مكة أيضا فى هذا العام يعلى بن أمية من اليمن ، - وكان عاملا عليها لعثمان - ، ومعه ستمائة بعير و ستمائة ألف درهم ، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة ، وكان نائبها لعثمان ، فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، فقامت عائشة رضى الله عنها فى الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان ، وذكرت ما افتات به أولئك من قتله فى بلد حرام وشهر حرام ، ولم يراقبوا جوار رسول الله (ص) ، وقد سفكوا الدماء ، وأخذوا الأموال . فاستجاب الناس لها ، وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة ، وقالوا لها : حيثما سرت سرنا معك ، فقال قائل نذهب إلى الشام ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفاكم أمرها ، [ولو قدموها لغلبوا ، واجتمع الأمر كله لهم ، لأن أكابر الصحابة معهم] [1] وقال آخرون : نذهب إلى المدينة فنطلب من على أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا ، وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هنالك بالخيل والرجال ، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان . فاتفق الرأى على ذلك وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة ، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة ، وجهز الناس يعلى بن أمية فأنفق فيهم ستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر أيضا بمال كثير ، وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة ، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك ، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة ، وسار الناس صحبة عائشة فى ألف فارس ، وقيل تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة ، وتلاحق بهم آخرون ، فصاروا فى ثلاثة آلاف ، وأم المؤمنين عائشة تحمل فى هودج على جمل اسمه عسكر ، اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمائتى دينار ، وقيل بثمانين ديناراً ، وقيل غير ذلك ، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقتها هنالك و بكين للوداع ، وتباكى الناس ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب ، وسار الناس قاصدين البصرة ، وكان الذى يصلى بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله ابن الزبير ، ومروان بن الحكم يؤذن للناس فى أوقات الصلوات ، وقد مروا فى مسيرهم ليلا بماء يقال له الحوأب ، فنبحتهم كلاب عنده ، فلما سمعت ذلك عائشة قالت : ما اسم هذا المكان ؟ قالوا الحوأب ، فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أظننى إلا راجعة ، قالوا : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول لنسائه : « ليت شعرى أيتكن التى تنبحها كلاب

(١) سقط من المصرية .

الحوأب »، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، وقالت : ردونى ردونى ، أنا والله صاحبة ماء الحوأب ، وقد أوردنا هـذا الحديث بطرقه وألفاظه فى دلائل النبوة كما سبق ، فأناخ الناس حولها يوما وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير : إن الذى أخبرك أن هذا ماء الحوأب قد كذب ، ثم قال الناس : النجا النجا ، هـذا جيش على بن أبى طالب قد أقبل ، فارتحلوا نحو البصرة ، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغـيره من رءوس الناس ، أنها قد قدمت ، فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلى إليها ليعلما ماجاءت له ، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له ، فذكرت لهما ماالذى جاءت له من القيام بطلب دم عثمان ، لأنه قتـل مظلوماً فى شهر حرام و بلد حرام . وتلت قوله تعالى [لا خـير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما] فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له : ما أقدمك ؟ فقال : الطلب بدم عثمان ، فقالا : ما بايعت عليا ؟ قال : بلى والسيف عـلى عنقى ، ولا أستقبله إن هو لم يُخل بيننا و بين قتلة عثمان . فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك ، قال : فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف ، فقال أبو الأسود :

يا إبنَ الاحنفِ قد أُتيتُ فانفرِ * وطاعِنِ القوم وجالدْ واصبرِ

* واخرجْ لهم مستلئماً وشمرِ *

فقال عثمان بن حنيف : إنا لله و إنا إليه راجعون ، دارت رحا الاسلام ورب الكعبة ، فانظروا بأى زيغان نزيف ، فقال عمران إى والله لتعركنكم عركا طويلا ، يشير عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعا « تدور رحا الاسلام لخمس وثلاثين » الحديث كما تقدم ، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين : أشر على ، فقال اعتزل فانى قاعد فى منزلى ، أو قال قاعد على بعيرى ، فذهب فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين ، فنادى فى الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع فى المسجد ، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز ، فقام رجل وعثمان على المنبر فقال : أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤا خائفين فقـد جاؤا من بلد يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته ، فأطيعونى و ردوهم من حيث جاؤا ، فقام الأسود بن سريع السعدى فقال : إنما جاؤا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غـيرنا ، فحصبه الناس ، فعلم عثمان بن حنيف أن لقتلة عثمان بالبصرة أنصاراً ، فـكره ذلك ، وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس ، فنزلوا المربد من أعـلاه قريبا من البصرة ، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمربد ، فتكلم طلحة ـ وكان على الميمنة ـ فندب إلى الأخذ بثأر عثمان ، والطلب بدمه ، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فرد عليهما ناس من جيش عثمان بن حنيف ، وتـكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على

القتال ، فتناوشوا طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة ، ثم تحاجز الناس ورجع كل فريق إلى حوزته ، وقد صار طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة ، فكثروا ، وجاء جارية ابن قدامة السعدى فقال : يا أم المؤمنين ! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح ، إن كنت أتيتينا طائعة فارجعى من حيث جئت إلى منزلك ، وإن كنت أتيتينا مكرهة فاستعينى بالناس فى الرجوع وأقبل حكيم بن جبلة ـ وكان على خيل عثمان بن حنيف ـ فأنشب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال ، وجعل حكيم يقتحم عليهم فاقتتلوا على فم السكة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ، وحجز الليل بينهم ، فلما كان اليوم الثانى قصدوا للقتال ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، إلى أن زال النهار ، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف ، وكثرت الجراح فى الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابا ويبعثوا رسولا إلى أهل المدينة يسأل أهلها ، إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة ، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها ، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم ، وبعثوا بذلك كعب بن سور القاضى ، فقدم المدينة يوم الجمعة ، فقام فى الناس ، فسألهم : هل بايع طلحة والزبير طائعين أو مكرهين ؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد ، فقال : بل كانا مكرهين ، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه ، فحاجف دونه صهيب ، وأبو أيوب ، وجماعة حتى خلصوه ، وقالوا له : ماوسعك ما وسعنا من السكوت ؟ فقال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهى إلى هذا ، وكتب على إلى عثمان بن حنيف يقول له : إنهما لم يكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرا ونظرنا ، وقدم كعب بن سور على عثمان بكتاب على ، فقال عثمان : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف أن يخرج إليهما فأبى ، فجمعا الرجال فى ليلة مظلمة وشهدا بهم صلاة العشاء فى المسجد الجامع ، ولم يخرج عثمان بن حنيف تلك الليلة ، فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، ووقع من رعاع الناس من أهل البصرة كلام وضرب ، فقتل منهم نحواً أربعين رجلا ، ودخل الناس على عثمان بن حنيف قصره فأخرجوه إلى طلحة والزبير ، ولم يبق فى وجهه شعرة إلا نتفوها ، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها الخبر ، فأمرت أن تخلى سبيله ، فأطلقوه وولوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبى بكر ، وقسم طلحة والزبير أموال بيت المال فى الناس وفضلوا أهل الطاعة ، وأكب عليهم الناس يأخذون أرزاقهم ، وأخذوا الحرس ، واستبدوا فى الأمر بالبصرة ، فحمى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم ، فركبوا فى جيش قريب من ثلثمائة ، ومقدمهم حكيم بن جبلة ، وهو أحد من باشر قتل عثمان ، فبارزوا وقاتلوا ،

فضرب رجل رجل حكيم بن جبلة فقطعها ، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله ثم اتكأ عليه وجعل يقول :

يا ساقُ لن تراعى * إنّ لك ذراعى * أحمى بها كراعى

وقال أيضاً :

ليس على أن أموت عار * والعارُ فى الناسِ هو الفرارُ * والمجدُ لا يفضحه الدمار

فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل ، فقال له : من قتلك ؟ فقال له وسادتى . ثم مات حكيم قتيلا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم أهل المدينة ، فضعف جأش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة ، ويقال : إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير ، وندب الزبير ألف فارس يأخذهامعه ويلتقى بها علياقبل أن يجئ فلم يجبه أحد ، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشرونهم بذلك ، وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فان لم يجئ فليكف يده وليلزم منزله ، أى لا يكون عليها ولا لها ، فقال : أنا فى نصرتك ما دمت فى منزلك ، وأبى أن يطيعها فى ذلك ، وقال : رحم الله أم المؤمنين أمرها الله أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التى كانت هى أحق بذلك منا ، وكتبت عائشة إلى أهل اليمامة والكوفة بمثل ذلك .

مسير علي بن أبي طالب من المدينة الى البصرة بدلاً من الشام

بعد أن كان قد تجهز قاصداً الشام كما ذكرنا ، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة ، خطب الناس وحثهم على المسير إلى البصرة ليمنع أولئك من دخولها ، إن أمكن ، أو يطردهم عنها إن كانوا قد دخلوها ، فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة ، واستجاب له بعضهم ، قال الشعبى : ما نهض معه فى هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين ، ليس لهم سابع . وقال غيره أربعة . وذكر ابن جرير وغيره قال كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو قتادة الأنصارى ، وزياد بن حنظلة ، وخزيمة بن ثابت . قالوا : وليس بذى الشهادتين ، ذاك مات فى زمن عثمان رضى الله عنه . وسار على من المدينة نحو البصرة على تعبئته المتقدم ذكرها ، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وخرج على من المدينة فى نحو من تسعمائة مقاتل ، وقد لقى عبد الله بن سلام رضى الله عنه عليا وهو بالربذة ، فأخذ بعنان فرسه وقال : يا أمير المؤمنين ! لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبه بعض الناس ، فقال على : دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبى ص ، وجاء الحسن بن على إلى أبيه فى الطريق فقال : لقد نهيتك فعصيتنى تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك . فقال له على : إنك لا تزال

تحن عليّ حنين الجارية ، وما الذى نهيتنى عنه فعصيتك ؟ فقال : ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتــل وأنت بها ، فيقول قائل أو يتحدث متحدث ؟ ألم آمرك أن لاتبايع الناس بعــد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم ؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فعصيتنى فى ذلك كله ؟ فقال له على : أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما مبايعتى قبل مجئ بيعة الامصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر ، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليــه . فتريد منى ان أكون كالضبع التى يحاط بها ، ويقال ليست هاهنا ، حتى يشق عرقوبها فتخرج ، فاذا لم أنظر فيما يلزمنى فى هــذا الأمر ويعنينى فمن ينظر فيه ؟ فكف عنى يابنى ، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذى قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن جعفر ، إنى قد اخترتكم على أهل الأمصار ، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا ، وانهضوا إلينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا ، فمضيا ، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب ، وقام فى الناس خطيبا فقال : إن الله أعزنا بالاسلام ورفعنا به ، وجعلنا به إخوانا ، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله ، الاســلام دينهم ، والحق قائم بينهم ، والكتاب إمامهــم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هــذه الامة ، ألا وإن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانيــة فقال : إنه لابد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تحبنى ولا تعمل بعملى ، وقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينــكم ، واهتدوا بهديى فانه هــدى نبيكم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما أشكل عليكم ، حتى تعرضوه على الكتاب ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله ربا ، وبالاســلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن حكما وإماما . قال فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبى رفاعة بن رافع ، فقال : ياأمير المؤمنين أى شئ تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذى نريد وننوى فالاصلاح ، إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فان لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر . قال : فان لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فان لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً . فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصارى فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول ، والله لينصرنى الله كما سمانا أنصارا . قال : وأتت جماعة من طئ وعــلى بالربذة ، فقيل له : هؤلاء جماعة جاؤا من طئ منهــم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك ، فقال : جزى الله كلا خيرا (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) قالوا : فسار على من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما كان بفيد جاءه جماعة من أسد

وطئ ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال : فيمن معى كفاية ، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيبانى ، فقال له على : ما وراءك ؟ فأخبره الخبر ، فسأله عن أبى موسى فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه ، فقال على : والله ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا . وسار ، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته ، من قتل ومن إخراج عثمان بن حنيف من البصرة ، وأخذهم أموال بيت المال ، جعل يقول : اللهم عافنى مما ابتليت به طلحة والزبير ، فلما انتهى إلى ذى قار أتاه عثمان بن حنيف مهشما ، وليس فى وجهه شعرة فقال : يا أمير المؤمنين بعثتنى إلى البصرة وأنا ذو لحية ، وقد جئتك أمرداً ، فقال : أصبت خيراً وأجراً . وقال عن طلحة والزبير : اللهم احلل ما عقدا ، ولا تبرم ما أحكما فى أنفسهما ، وأرهما المساءة فيما قد عملا - يعنى فى هذا الأمر - وأقام على بذى قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبى بكر وصاحبه محمد بن جعفر - وكانا قد قدما بكتابه على أبى موسى وقاما فى الناس بأمره - فلم يجابا فى شئ ، فلما أمسوا دخل أناس من ذوى الحجى على أبى موسى يعرضون عليه الطاعة لعلى ، فقال : كان هذا بالأمس فغضب محمد ومحمد فقالا له قولا غليظاً : فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما ، فان لم يكن بد من قتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا ، فانطلقا إلى على فأخبراه الخبر ، وهو بذى قار ، فقال للأشتر : أنت صاحب أبى موسى والمعرض فى كل شئ فاذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت ، فخرجا فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من الكوفة فقام فى الناس فقال : أيها الناس ، إن أصحاب محمد ص ، الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقا وأنا مؤد إليكم نصيحة ، كان الرأى أن لا تستخفوا بسلطان الله وان لا تجترئوا على أمره ، وهذه فتنة النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعى فاغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وأووا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلى هذه الفتنة ، فرجع ابن عباس والأشتر إلى على فأخبراه الخبر ، فأرسل الحسن وعمار بن ياسر ، وقال لعمار : انطلق فأصلح ما افسدت ، فانطلقا حتى دخلا المسجد فكان أول من سلم عليهما مسروق بن الأجدع ، فقال لعمار : علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا ، فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين . قال : وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن على فضمه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان فقتلته ؟ فقال : لم أفعل ، ولم يسؤنى ذلك ، فقطع عليهما الحسن بن على فقال لأبى موسى : لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ ، فقال : صدقت

بأبي وامى ، ولكن المستشار مؤتمن ، سمعت من النبى (ص.) يقول « إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الراكب » وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا ، فغضب عمار وسبه ، وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له رسول الله (ص.) وحده أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ، فغضب رجل من بنى تميم لأبى موسى ونال من عمار ، وثار آخرون : وجعل أبو موسى يكفكف الناس ، وكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، وقال أبو موسى أيها الناس ، أطيعونى وكونوا خير قوم من خير أمم العرب ، يأوى إليهم المظلوم ، ويأمن فيهم الخائف ، وإن الفتنة إذا أقبلت شبهت ، وإذا أدبرت تبينت ثم أمر الناس بكف أيديهم ولزوم بيوتهم ، فقام زيد بن صوحان فقال : أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، سيروا إليه أجمعون ، فقام القعقاع بن عمرو فقال : إن الحق ما قاله الأمير ، ولكن لابد للناس من أمير يردع الظالم ويعدى المظلوم ، وينتظم به شمل الناس ، وأمير المؤمنين على ملى بما ولى ، وقد أنصف بالدعاء ، وإنما يريد الاصلاح ، فانفروا إليه ، وقام عبد خير فقال : الناس أربع فرق ، على بمن معه فى ظاهر الكوفه ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة بالحجاز لاتقاتل ولاعناء بها ، فقال أبو موسى : أولئك خير الفرق ، وهذه فتنة . ثم تراسل الناس فى الكلام ثم قام عمار والحسن بن على فى الناس على المنبر يدعوان الناس إلى النفير إلى أمير المؤمنين ، فانه إنما يريد الاصلاح بين الناس ، وسمع عمار رجلا يسب عائشة فقال : اسكت مقبوحا منبوحا ، والله إنها لزوجة رسول الله (ص) فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها ، رواه البخارى وقام حجر بن عدى فقال : أيها الناس ، سيروا إلى أمير المؤمنين ، [انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] وجعل الناس كلما قام رجل يحرض الناس على النفير يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر ، وعمار والحسن معه على المنبر حتى قال له الحسن بن على : ويحك ! اعتزلنا لا أم لك ، ودع منبرنا ، ويقال إن عليا بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفه وأخرجه من قصر الامارة من تلك الليلة ، واستجاب الناس للنفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف فى البر وفى دجلة ، ويقال سار معه اثنى عشر ألف رجل ورجل واحد ، وقدموا على أمير المؤمنين فتلقاهم بذى قار إلى أثناء الطريق فى جماعة ، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفه ! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فان يرجعوا فذاك الذى نريده ، وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى . فاجتمعوا عند بذى قار ، وكان من المشهورين من رؤساء من العراق إلى على ، القعقاع بن عمرو ، وسعد بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وزيد بن صوحان .

والأشتر، وعدى بن حاتم، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدى وأمثالهم، وكانت عبد القيس بكمالها بين على و بين البصرة ينتظرونه وهم ألوف، فبعث على القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال: أى أماه! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أى بنى! الاصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت إنما جئت للاصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك قال: فأخبرانى ما وجه هذا الاصلاح؟ وعلى أى شئ يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن، قالا: قتلة عثمان، فان هذا إن ترك كان تركا للقرآن، فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فان تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذى حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعنى أن الذى تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هى أربى منها - وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير، لقيام ستة آلاف فى منعه ممن يريد قتله، فعلى أعذر فى تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فان الكلمة فى جميع الأمصار مختلفة، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذى وقع. فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول إن هذا الأمر الذى وقع دواؤه التسكين، فاذا سكن اختلجوا، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إنى لأقول قولى هذا وأدعوكم إليه، وإنى لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فان هذا الأمر الذى قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة. فقالوا: قد أصبت وأحسنت فارجع، فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح الأمر، قال: فرجع إلى على فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى على تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام على فى الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الاسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه (ص) على الخليفة أبى بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان ثم حدث هذا

الحدث الذى جرى على الأمة ، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التى منّ الله بها ، وأرادوا رد الاسلام والأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره . ثم قال : ألا إنى مرتحل غدا فارتحلوا ، ولا يرتحل معى أحد أعان على قتل عثمان بشئ من أمور الناس . فلما قال هـذا اجتمع من رؤسهم جماعة كالأشتر النخعى ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة ، وغلاب بن الهيثم ، وغيرهم فى ألفين وخمسمائة ، وليس فيهم صحابى ولله الحمد ، فقالوا : ماهذا الرأى وعلى والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وقد قال ماسمعتم ، غـدا يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعددكم قليل فى كثرتهم ؟ فقال الأشتر : قدعرفنا رأى طلحة والزبير فينا ، وأما رأى على فلم نعرفه إلى اليوم ، فان كان قد اصطلح معهم فانما اصطلحوا على دمائنا ، فان كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان ، فرضى القوم منا بالسكوت ، فقال ابن السوداء : بئس مارأيت ، لو قتلناه قتلنا ، فانا يامعشر قتلة عثمان فى ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما فى خمسة آلاف ، لاطاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال غلاب بن الهيثم دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها ، فقال ابن السوداء : بئس ماقلت ، إذاً والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء قبحه الله : ياقوم إن عيركم فى خلطة الناس فاذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لايجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون ، ويأتيهم مايكرهون ، فأبصروا الرأى وتفرقوا عليـه ، وأصبح على مرتحلا ومر بعبد القيس فساروا من معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونزل الناس كل فى ناحية . وقد سبق على جيشه وهم يتلاحقون به ، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سـنة ست وثلاثين ، فأشار بعض الناس عـلى طلحة والزبير بانتهاز الفرصة ، من قتلة عثمان ، فقالا : إن عليا أشار بتسكين هـذا الأمر ، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك ، وقام على فى الناس خطيباً ، فقام إليـه الأعور بن نيار المنقرى ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الاصلاح وإطفاء النائرة ليجتمع الناس على الخير ، ويلتئم شمل هذه الأمة ، قال : فان لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ماتركونا ، قال فان لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال فهل لهم فى هذا الأمر مثل الذى لنا ، قال : نعم ! وقام إليه أبو سلام الدالانى فقال هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هـذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله فى ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فهل لك من حجة فى تأخيرك ذلك ؟ قال : نعم ! قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إنى لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقى قلبـه لله إلا أدخـله الله الجنـة ، وقال فى خطبته : أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم

وألسنتكم ، وإياكم أن يسبقونا غداً ، فان المخصوم غداً مخصوم اليوم وجاء فى غبون ذلك الأحنف بن قيس فى جماعة فانضاف إلى على ـ وكان قد منع حرقوص بن زهير من طلحة والزبير وكان قدبايع عليا بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير : إن قتل عثمان من أبايع ؟ فقالوا بايع عليا فلما قتل عثمان بايع عليا قال : ثم رجعت إلى قومى فجاءنى بعد ذلك ما هو أفظع ، حتى قال الناس هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان ، فحرت فى أمرى لمن أتبع ، فنفعنى الله بحديث سمعته من أبى بكر قال : قال رسول الله (ص) وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وأصل هذا الحديث فى صحيح البخارى ، والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى على ومعه ستة آلاف قوس ، فقال لعلى : إن شئت قاتلت معك ، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف ، فقال : اكفف عنا عشرة آلاف سيف ، ثم بعث على إلى طلحة والزبير يقول : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر فى هذا الأمر ، فأرسلا إليه فى جواب رسالته : إنا على مافارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس وسكنت ، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين ، فلما أمسوا بعث على عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا إليه محمد بن طليحة السجاد وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلة عثمان بشر ليلة ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس ، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفى رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف ، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم ، وقام الناس من منامهم إلى السلاح ، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا ، وبيتونا وغدروا بنا ، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب على فبلغ الأمر عليا فقال : ماللناس ؟ فقالوا ، بيتنا أهل البصرة ، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول ، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه فى نفس الأمر ، وكان أمر الله قدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم ، وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان ، فنشبت الحرب ، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع على عشرون ألفاً ، والتف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبحه الله لايفترون عن القتل ، ومنادى على ينادى : ألا كفوا ألا كفوا ، فلايسمع أحد ، وجاء كعب بن سوار قاضى البصرة فقال : يا أم المؤمنين أدركى الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فجلست فى هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع ، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم ، فتصاولوا وتجاولوا ، وكان فى جملة من تبارز الزبير وعمار ، فجعل عمار ينخزه بالرمح والزبير كاف عنه ، ويقول له ، أتقتلنى يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله (ص) : « تقتلك الفئة الباغية » وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه ، فلهذا كف عنه ، وقد كان من سنتهم فى هذا اليوم أنه لا يذفف على

جريح ، ولا يتبع مدبر ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا ، حتى جعل على يقول لابنه الحسن : يابنى ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما فقال له : يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا . قال سعيد بن أبى عجرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة قال : قال على يوم الجمل : ياحسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا ، قال : يابنى إنى لم أر أن الأمر يبلغ هذا . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبى بكرة : لما اشتد القتال يوم الجمل ، و رأى على الرؤس تندر أخذ على ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثم قال : إنا لله ياحسن ! أى خير يرجى بعد هذا ؟ فلما ركب الجيشان وتراى الجمعان وطلب على طلحة والزبير ليكلمهما ، فاجتمعوا حتى التفت أعناق خيولهم ، فيقال إنه قال لهما : إنى أراكما قد جمعتما خيلا ورجالا وعددا ، فهل أعددتما عذراً يوم القيامة ؟ فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، ألم أكن حاكما فى دمكما تحرمان دمى وأحرم دمكما ، فهل من حديث أحل لكما دمى ؟ فقال طلحة : ألبت على عثمان . فقال علي [يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق] ، ثم قال : لعن الله قتلة عثمان ، ثم قال : ياطلحة ! أجئت بعرس رسول الله (ص) تقاتل بها ، وخبأت عرسك فى البيت ؟ أما بايعتنى ؟ قال : بايعتك والسيف على عنقى . وقال للزبير : ما أخرجك ؟ قال : أنت ، ولا أراك بهذا الأمر أولى به منى . فقال له على : أما تذكر يوم مررت مع رسول الله (ص) فى بنى غنم فنظر إلى وضحك وضحكت إليه ، فقلت : لايدع ابن أبى طالب زهوه ، فقال لك رسول الله (ص) : « إنه ليس بمتمرد لتقاتلنه وأنت ظالم له » ؟ فقال الزبير : اللهم نعم ! ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا ، ووالله لا أقاتلك . وفى هذا السياق كله نظر ، والمحفوظ منه الحديث ، فقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فقال : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورى حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عبد الملك عن أبى حزم المازنى . قال : شهدت عليا والزبير حين توافقا ، فقال له على : يازبير ! أنشدك الله أسمعت رسول الله (ص) يقول : « إنك تقاتلنى وأنت ظالم » ؟ قال : نعم ! لم أذكره إلا فى موقفى هذا ، ثم انصرف . وقد رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان عن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عن أبى حزم المازنى عن على والزبير به . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن قتادة قال : لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ عليا فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى ، وذلك أن رسول الله (ص) لقيهما فى سقيفة بنى ساعدة فقال : « أتحبه يازبير ؟ فقال : وما يمنعنى ؟ قال : فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ » قال : فيرون أنه إنما ولى لذلك . قال البيهقى : وهذا مرسل وقد روى موصولا من وجه آخر أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القاضى أنا أبو عامر بن مطر أنا أبو العباس عبد الله بن

محمد بن سوار الهاشمي الكوفي أنا منجاب بن الحارث ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا أبي عن مرثد الفقيه عن أبيه . قال : وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن حرب بن أبي الأسود الدؤلي - دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه - قال : لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ، خرج علي وهو على بغلة رسول الله (ص) فنادى : ادعوا لي الزبير بن العوام فأتى علي ، فدعي له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما ، فقال علي : يازبير ! نشدتك الله ، أتذكر يوم مر بك رسول الله (ص) ونحن في مكان كذا وكذا ، فقال : « يازبير ألا تحب عليا ؟ فقلت : ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني ؟ فقال يازبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ » فقال الزبير : بلى ! والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله (ص) ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير ، فقال : مالك ؟ فقال : ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله (ص) ، سمعته يقول : « لتقاتلنه وأنت ظالم له » فقال : أوللقتال جئت ؟ إنما جئت لتصلح بين الناس و يصلح الله بك هذا الأمر ، قال : قد حلفت أن لا أقاتله ، قال : اعتق غلامك سرجس وقف حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه ، قالوا : فرجع الزبير إلى عائشة فذكر أنه قد آلى أن لا يقاتل علياً ، فقال له ابنه عبد الله : إنك جمعت الناس ، فلما ترآى بعضهم لبعض خرجت من بينهم ، كفر عن يمينك واحضر . فأعتق غلاماً ، وقيل غلامه سرجس . وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عماراً مع علي وقد سمع رسول الله (ص) يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فخشي أن يقتل عمار في هذا اليوم .

وعندي أن الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحا عنه فما رجعه سواه ، و يبعد أن يكفر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي والله أعلم .

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم الجمل سار فنزل وادياً يقال له وادي السباع ، فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز ، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سنذكر تفصيله . وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فالله أعلم ، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول : إلي عباد الله ، إلي عباد الله ، فاتبعه مولى له فأمسكها ، فقال له : ويحك ! اعدل بي إلى البيوت ، وامتلأ خفه دماً فقال لغلامه : اردفني ، وذلك أنه نزفه الدم وضعف ، فركب وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه ، رضي الله عنه .

وتقدمت عائشة رضي الله عنها في هودجها ، وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة مصحفاً وقالت : ادعهم إليه - وذلك أنه حين اشتد الحرب وحمي القتال ، ورجع الزبير ، وقتل طلحة رضي الله عنهما .

فلما تقدم كعب بن سوار بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين ، وكان عبد الله بن سبأ ـ وهو ابن السوداء ـ وأتباعه بين يدى الجيش ، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة ، لايتوقفون فى أحد ، فلما رأوا كعب بن سوار رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه ، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، فجعلت تنادى : الله الله ! يابنى اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان ، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى على فقال : ما هـذا ؟ فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم . فقال : اللهم العن قتلة عثمان ، وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقى مثل القنفذ ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم ، فحملت معه الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذى فيه على بن أبى طالب ، فقال لابنه محمد بن الحنفية : ويحك ! تقدم بالراية ، فلم يستطع ، فأخذها على من يده فتقدم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطى ، فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقتل خلق كثير ، وجم غفير ، ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدى والأرجل فيها من هذه الوقعة ، وجعلت عائشة تحرض الناس على أولئك النفر من قتلة عثمان ، ونظرت عن يمينها فقالت : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : نحن بكر بن وائل ، فقالت : لكم يقول القائل :

وجاؤوا إلينا بالحديد كأنهم ٭ من العزة القعساء بكرُ بنُ وائلِ

ثم لجأ إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عنده منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلا وهى آخذة بخطام الجمل فلما أثخنوا تقدم بنو عدى بن عبد مناف فقاتلوا قتالا شديداً ، ورفعوا رأس الجمل ، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا : لايزال الحرب قائماً مادام هذا الجمل واقفاً ، ورأس الجمل فى يد عمرة بن يثربى ، وقيل أخوه عمرو بن يثربى ثم صمد عليه علباء بن الهيثم وكان من الشجعان المذكورين ، فتقدم إليه عمرو الجملى فقتله ابن يثربى وقتل زيد بن صوحان ، وأرتث صعصعة ابن صوحان فدعاه عمار إلى البراز فبرز له ، فتجاولا بين الصفين ـ وعمار ابن تسعين سنة عليه فروة قد ربط وسطه بحبل ليف ـ فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يلحق عماراً بأصحابه ، فضربه ابن يثربى بالسيف فاتقاه عمار بدرقته فنص فيها السيف ونشب ، وضربه عمار فقطع رجليه وأخذ أسيراً الى بين يدى على فقال: استبقنى ياأمير المؤمنين ، فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بعده بيد رجل كان قد استنابه فيه من بنى عدى فبرز إليه ربيعة العقيلى فتجاولا حتى قتل كل واحد صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبى فما رأى أشد منه وجعل يقول :

نحن بنو ضبةَ أصحابُ الجملْ ٭ نبارز القِرنَ إذا القرنُ نزل
ننعى ابن عفانَ بأطرافِ الأسلْ ٭ الموتُ أحلى عندنا من العسل

* ردّوا علينا شيخنا ثم بجل *

وقيل إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبي . فكلما قتل واحد ممن يمسك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلا قالت عائشة : مازال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بنى ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلا من قريش وكل واحد يقتل بعد صاحبه ، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد فقال لعائشة مريني بأمرك ياأمه . فقالت : آمرك أن تكون كخير ابنى آدم فامتنع أن ينصرف وثبت فى مكانه وجعل يقول حم لاينصرون ، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه فقتلوه وصار لكل واحد منهم بعد ذلك يدعى ، قتله وقد طعنه بعضهم بحربة فأنفذه وقال :

وأشعث قوام بآيات ربه * قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكتُ له بالرمح جيبَ قميصه * فخرّ صريعاً لليدين وللفم
يناشدنى حمَ والرمحُ شاجرٌ * فهلا تلا حمَ قبلَ التقدم
على غير شئٍ غيرَ أنْ ليسَ تابعاً * علياً ومنْ لا يتبع الحقَ يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لايدنو منه أحد إلا حطه بالسيف فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدى وهو يقول :

ياأمنا ياخيرَ أمٍ نعلمُ * أما ترين كمْ شجاع يكلمُ * وتجتلى هامتهُ والمعصمُ

واختلفا ضربتين فقتل كل واحد صاحبه ، وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة ، فكان لايأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك ، وقد فقأ بعضهم عين عدى بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فاخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم فقيل لعائشة إنه ابنك ابنُ أختك فقالت : واثكل أسماء ! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعى فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يعتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول :

اقتلونى ومالكاً * واقتلوا مالكاً معى

فجعل الناس لايعرفون مالكا من هو و إنما هو معروف بالأشتر فحمل أصحاب على وعائشة فخلصوه وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة سبعاً وثلاثين جراحة ، وجرح مروان بن الحكم أيضا ، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض ، فسمع له عجيج ماسمع أشد ولا أنفذ منه ، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فعقر الجمل وهو فى يده ، ويقال إنه اتفق هو وبجير بن دلجة على عقره ، ويقال إن الذى أشار بعقر الجمل على ، وقيل القعقاع بن عمرو لئلا تصاب أم المؤمنين ، فانها بقيت غرضا للرماة ، ومن يمسك بالزمام برجاساً للرماح ، ولينفصل هذا الموقف الذى

قد تفانى فيه الناس ولما سقط البعير إلى الارض انهزم من حوله من الناس ، وحمل هودج عائشة وانه لكالقنفذ من السهام ، ونادى منادى على فى الناس : إنه لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح ، ولا يدخلوا الدور ، وأمر على نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبى بكر وعماراً أن يضربا عليها قبة ، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شئ من الجراح ؟ فقالت : لا ؛ وما أنت ذاك يا ابن الخثعمية . وسلم عليها عمار فقال : كيف أنت يا أم ؟ فقالت : لست لك بأم . قال : بلى ! و إن كرهت ، وجاء إليها على بن أبى طالب أمير المؤمنين مسلماً فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : بخير فقال : يغفر الله لك . وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين رضى الله عنها ، و يقال إن أعين بن ضبيعة المجاشعى اطلع فى الهودج فقالت : إليك لعنك الله ، فقال : والله ما أرى إلا حميراء ، فقالت : هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك . فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عرياناً فى خربة من خرابات الأزد . فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة — ومعها أخوها محمد بن أبى بكر — فنزلت فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى — وهى أعظم دار بالبصرة — على صفية بنت الحارث بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهى أم طلحة الطلحات عبد الله بن خلف ، وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة ، وقد طاف على بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه و يقول : يعز على أن أرى قريشاً صرعى . وقد مر على ماذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال : لهفى عليك يا أبا محمد ، إنا لله و إنا إليه راجعون والله لقد كنت كما قال الشاعر :

فتىً كانَ يدنيهِ الغنى مِنْ صديقهِ • إذا ما هوَ استغنى و يبعدهُ الفقرُ

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثاً ثم صلى على القتلى من الفريقين ، وخص قريشاً بصلاة من بينهم ، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة فى المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة ؛ فمن عرف شيئاً هو لأهلهم فليأخذه ، إلا سلاحاً كان فى الخزائن عليه سمة السلطان . وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف ، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله و رضى عن الصحابة منهم . وقد سأل بعض أصحاب على علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير ، فأبى عليهم فطعن فيه السبائية وقالوا : كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين فى سهمه ؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض فى أصحابه أموال بيت المال ، فنال كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم مثلها من الشام ، فتكلم فيه السبائية أيضاً ونالوا منه من وراء وراء .

فصل

ولما فرغ على من أمر الجمل أتاه وجوه الناس يسلمون عليه ، فكان ممن جاءه الأحنف بن قيس فى بنى سعد ـ وكانوا قد اعتزلوا القتال ـ فقال له على : تربصت ـ يعنى بنا ـ فقال : ما كنت أرانى إلا قد أحسنت ، و بأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارفق فإن طريقك الذى سلكت بعيد ، وأنت إلى غداً أحوج منك أمس ، فاعرف إحسانى ، واستبق مودتى لغد ، ولا تقل مثل هذا فإنى لم أزل لك ناصحاً . قالوا : ثم دخل على البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم ، حتى الجرحى والمستأمنة. وجاءه عبد الرحمن بن أبى بكرة الثقفى فبايعه فقال له على : أين المريض ؟ ـ يعنى أباه ـ فقال : إنه والله مريض يا أمير المؤمنين ، و إنه على مسرتك لحريص . فقال : امش أمامى ، فمضى إليه فعاده ، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره ، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة ، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج و بيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد ـ وكان زياد معتزلا ـ ثم جاء على إلى الدار التى فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن ودخل فسلم عليها ورحبت به ، و إذا النساء فى دار بنى خلف يبكين على من قتل ، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف ، فعبد الله قتل مع عائشة ، وعثمان قتل مع على ، فلما دخل على قالت له صفية امرأة عبد الله ، أم طلحة الطلحات : أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادى ، فلم يرد عليها على شيئا ، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهى تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك ! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات ؟ فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر على القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما ، وقد سألت عائشة عمن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر على ، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه ودعت له ، ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها على رضى الله عنه بكل ما ينبغى من مركب و زاد ومتاع وغير ذلك ، وأذن لمن نجا ممن جاء فى الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات . وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر ، فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء على فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار فى الهودج فودعت الناس ودعت لهم ، وقالت : يابنى لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بينى و بين على فى القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، و إنه على معتبتى لمن الأخيار . فقال على : صدقت والله ما كان بينى و بينها إلا ذاك ، و إنها لزوجة نبيكم (ص) فى الدنيا والآخرة. وسار على معها

ودعاً ومشيعاً أميالا ، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم - وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين - وقصدت فى مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضى الله عنها .

وأما مروان بن الحكم فانه لما فر استجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له ، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكا ويشرفونه ، ويقال إنه نزل دار بنى خلف فلما خرجت عائشة خرج معها ، فلما سارت هى إلى مكة سار إلى المدينة قالوا : وقد علم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة يوم الوقعة ، وذلك مما كانت النسور تخطفه من الأيدى والأقدام فيسقط منها هنالك ، حتى أن أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس ، وذلك أن نسراً مر بهم ومعه شىء فسقط فاذا هو كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب .

هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة والأخبار الموضوعة التى ينقلونها بما فيها ، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ، فنحن حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين .

فصل

فى ذكر أعيان من قتل يوم الجمل من السادة النجباء من الصحابة وغيرهم من الفريقين رضى الله عنهم أجمعين ، وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف ، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة فمن قتل يوم الجمل فى المعركة

طلحة بن عبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو محمد القرشى التيمى ، ويعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض لكرمه ولكثرة جوده أسلم قديماً على يدى أبى بكر الصديق ، فكان نوفل بن خويلد بن العدوية يشدهما فى حبل واحد ، ولا تستطيع بنو تيم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبى بكر القرينان ، وقد هاجر وآخى رسول الله (ص) بينه وبين أبى أيوب الأنصارى ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) إلا بدراً - فانه كان بالشام لتجارة - وقيل فى رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله (ص) بسهمه وأجره من بدر ، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يوم أحد ، وقى بها رسول الله (ص) واستمرت كذلك إلى أن مات ، وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد يقول : ذاك يوم كان كله لطلحة ، وقد

قال له رسول الله (ص.) يومئذ : « أوجب طلحة » وذلك أنه كان على رسول الله (ص.) درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع، فطأطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها ، وقال :« أوجب طلحة » وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد صحب رسول الله (ص.) فأحسن صحبته حتى توفى وهو عنه راض ، وكذلك أبو بكر وعمر ، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بعض الناس إلى تحامل فيه ، فلهذا لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف ، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته ، والأول أشهر ، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه ، وجعل يقول : إلىَّ عباد الله ، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ، ويقال إنه مات بالمعركة، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال : رحمة الله عليك أبا محمد ، يعز علىَّ أن أراك مجدولا تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو عجرى و بجرى ، والله لوددت أنى كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . ويقال إن الذى رماه بهذا السهم مروان بن الحكم ، وقال لأبان بن عثمان : قد كفيتك رجالا من قتلة عثمان ، وقد قيل إن الذى رماه غيره ، وهذا عندى أقرب ، وإن كان الأول مشهوراً ، الله أعلم

وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ودفن طلحة إلى جانب الكلأ وكان عمره ستين سنة ، وقيل بضعاً وستين سنة ، وكان آدم ، وقيل أبيض ، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته فى كل يوم ألف درهم .

وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أبيه أن رجلا رأى طلحة فى منامه وهو يقول : حولونى عن قبرى فقد آذانى الماء ، ثلاث ليال ، فأتى ابن عباس فأخبره ــ وكان نائباً على البصرة ــ فاشتروا له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فحولوه من قبره إليها ، فاذا قد اخضر من جسده مايلى الماء ، و إذا هو كهيئته يوم أصيب ، وقد وردت له فضائل كثيرة . فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبى عاصم : حدثنا الحسن بن على بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثنى أبى عن جده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : سمانى رسول الله (ص.) يوم أحد طلحة الخير ، و يوم العسرة طلحة الفياض . و يوم حنين طلحة الجود ، وقال أبو يعلى الموصلى ثنا أبو كريب ثنا يونس عن ابن بكر عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابنى طلحة عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله (ص.) قالوا لأعرابى جاء يسأل عمن قضى نحبه فقالوا : سل رسول الله (ص.) فسأله فى المسجد فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم اطلعت من طيب المسجد وعلى ثياب خضر فقال رسول الله :« أين السائل »؟ قال ها أنا ذا فقال : « هذا ممن قضى نحبه » وقال أبو القاسم البغوى : ثنا داود بن رشيد ثنا مكى ثنا على

ابن إبراهيم ثنا الصلت بن دينار عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزي ـ اسمه النضر ـ ثنا عقبة بن علقمة اليشكري، سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت أذناي رسول الله (ص) يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » وقد روي من غير وجه عن علي أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلا كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم فجعل سعد ينهاه ويقول : لا تقع في إخواني فأبى فقام فصلى ركعتين ثم قال : اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول ، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة . فخرج الرجل فاذا ببختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله . قال سعيد بن المسيب : فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون : هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك .

والزبير بن العوام بن خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص) أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل أقل وقيل أكثرها . جر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فآخى رسول الله (ص) بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش ، وقد شهد المشاهد كلها وقد قال رسول الله (ص) يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال : أنا ، ثم ندب الناس فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال رسول الله (ص) : إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير » ثبت ذلك من رواية زر عن علي ، وثبت عن الزبير أنه قال : « جمع لي رسول الله (ص) أبويه يوم بني قريظة » وروى أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله ، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أن رسول الله قد قتل فجاء شاهراً سيفه حتى رأى رسول الله (ص) فشام سيفه ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفى رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، وصحب الصديق فأحسن صحبته ، وكان ختنه على ابنته أسماء بنت الصديق ، وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء ، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكان من جملة من دافع عن عثمان وحاجف عنه ، فلما كان يوم الجمل ذكره علي بما ذكره به فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة ، فمر بقوم الأحنف بن قيس ـ وكانوا قد انعزلوا عن الفريقين ـ فقال قائل يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس

حتى إذا التقوا كر راجعاً إلى بيته ؟ من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع فى طائفة من غواة بنى تميم فيقال إنهم لما ادركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لى إليك حاجة فقال: ادن! فقال مولى الزبير، واسمه عطية ـ إن معه سلاحاً فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة فقال له الزبير: الصلاة فقال: الصلاة فتقدم الزبير ليصلى بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادى السباع وهو نائم فى القائلة فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها وكانت قبله تحت عبد الله بن أبى بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

غدرَ ابنُ جرموزَ بفارسِ بهمةٍ * يومَ اللقاءِ وكانَ غيرَ معردِ
ياعمرو لو نبهتهُ لوجدتهُ * لاطائشاً رعشَ الجنانِ ولا اليدِ
ثكلتكَ أمكَ أنْ ظفرتَ بمثلهِ * ممنْ بقى ممنْ يروحُ ويغتدى
كمْ غمرةٍ قدْ خاضها لمْ يثنهِ * عنها طرادكَ ياابنَ فقعِ القرددِ
واللهِ ربى إنْ قتلتَ لمسلماً * حلتْ عليكَ عقوبةُ المتعمدِ

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى على ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال على: لا تأذنوا له وبشروه بالنار، وفى رواية أن عليا قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار» ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال على: إن هذا السيف طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله (ص)، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير، على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز ها هنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلا للزبير، وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً، لما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألفى ألف ومائتا ألف فوفوها عنه، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذى أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من الزوجات الأربع من ربع الثمن ألف ألف ومائتا ألف درهم، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فتلك الجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والدين المخرج قبل ذلك ألفا ألف ومائتا ألف فعلى هذا يكون جميع ما تركه من الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة

ألف ، وإنما نبهنا على هذا لأنه وقع فى صحيح البخارى ما فيه نظر ينبغى أن ينبه له والله أعلم

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس ما يخص أمه منه ، ومن التجارة المبرورة من الخلال المشكورة ، وقد قيل إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فربما تصدق فى بعض الأيام بخراجهم كلهم رضى الله عنه وأرضاه ، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين بست أو سبع وكان أسمر ربعة من الرجال معتدل اللحم خفيف اللحية رضى الله عنه .

وفي هذه السنة اعني سنة ست وثلاثين

ولى على بن ابى طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة ، وكان على نيابتها فى أيام عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان وكان الذى جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبى حذيفة بن عتبة ، وكان لما قتل أبوه باليمامة أوصى به إلى عثمان ، فكفله ورباه فى حجره ومنزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ فى عبادة وزهادة ، وسأل من عثمان أن يوليه عملا فقال له : متى ماصرت أهلا لذلك وليتك ، فتعتب فى نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له ، فقصد الديار المصرية وحضر مع أميرها عبد الله بن سعد بن أبى سرح غزوة الصوارى كما قدمنا ، وجعل ينتقص عثمان رضى الله عنه وساعده على ذلك محمد بن أبى بكر ، فكتب بذلك ابن أبى سرح إلى عثمان يشكوهما إليه فلم يعبأ بهما عثمان ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبى حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وصلى بالناس فيها ، فلما كان ابن أبى سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل أمير المؤمنين عثمان فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وبلغه أن عليا قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة ، فشمت بمحمد بن أبى حذيفة ، إذ لم يمتع بملك الديار المصرية سنة ، وسار عبد الله بن سعد إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار مصر ، وأن محمد بن أبى حذيفة قد استحوذ عليها ، فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجاه منها لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه ، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا يخدعانه حتى خرج إلى العريش فى ألف رجل فتحصن بها ، وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه فقتلوا ، ذكره محمد بن جرير . ثم سار إلى مصر قيس ابن سعد بن عبادة بولاية من على ، فدخل مصر فى سبعة نفر ، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين

والمسلمين ، سلام عليكم فانى أحمد الله كثيرا الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الاسلام دينا لنفسه وملائكته ورسله ، و بعث به الرسل إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة ، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً (ص.) يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة ، لكيا يهتدوا ، وجمعهم لكيا يتفرقوا ، وزكاهم لكى يتطهروا ، ووفقهم لكيلا يجوروا . فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته ، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين ، عملا بالكتاب ، وأحسنا السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله ، ثم ولى بعدهما وال أحدث أحداثا ، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ، ثم نقموا عليه فغيروا ، ثم جاءونى فبايعونى فأستهدى الله بهداه وأستعينه على التقوى ، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة فوازروه وكانفوه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالاحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم ، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله لنا ولكم عملا زاكياً وثواباً جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبد الله بن أبى رافع فى صفر سنة ست وثلاثين قال : ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة لعلى ، فقام الناس فبايعوه ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربتا ، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان - وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا فى نحو من عشرة آلاف وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدلجى - و بعثوا الى قيس بن سعد فوادعهم ، وكذلك مسلمة بن مدلج الأنصارى تأخر عن البيعة فتركه قيس بن سعد ووادعه ، ثم كتب معاوية ابن أبى سفيان - وقد استوثق له أمر الشام بحذافيره - إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها ، وقد ضوى إليها الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية ، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من يد نواب معاوية ، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر ، واستقر أمر معاوية على تلك البلاد فكتب إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصدده من القيام فى ذلك ، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تم له الأمر ما دام سلطانا فلما بلغه الكتاب - وكان قيس رجلا حازماً - لم يخالفه ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن على وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود ، فسالمه قيس وتاركه ولم يواقعه على ما دعاه إليه ولا وافقه عليه : فكتب إليه معاوية : إنه لا يسعك معى تسويفك بى وخديعتك لى ولا بد أن أعلم أنك سلم أو

عدو ـ وكان معاوية حازماً أيضاً ـ فكتب إليه بما صمم عليه : إنى مع على إذ هو أحق بالأمر منك فلما بلغ ذلك معاوية بن أبى سفيان يئس منه ورجع ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيس بن سعد يكاتبهم فى الباطن ويمالئهم على أهل العراق ، وروى ابن جرير أنه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية والله أعلم بصحته . ولما بلغ ذلك علياً اتهمه وكتب له أن يغزو أهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة ، فبعث إليه يعتذر إليه بأنهم عدد كثير ، وهم وجوه الناس . وكتب إليه : إن كنت إنما أمرتنى بهذا لتختبرنى لأنك اتهمتنى ، فابعث على عملك بمصر غيرى ، فبعث على على إمرة مصر الاشتر النخعى ، فسار إليها الأشتر النخعى فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه فبلغ ذلك أهل الشام فقالوا : إن لله جنداً من عسل ، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبى بكر على إمرة مصر ، وقد قيل وهو الأصح إن علياً ولى محمد بن أبى بكر بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى على فاعتذر إليه قيس بن سعد فعذره على ، وشهدا معه صفين كما سنذكره ، فلم يزل محمد بن أبى بكر بمصر قائم الأمر مهيباً بالديار المصرية ، حتى كانت وقعة صفين ، وبلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم فطمع أهل مصر فى محمد بن أبى بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالعداوة فكان من أمره ما سنذكره وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان ، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لئلا يشهد مهلكه ، مع أنه كان متعتباً عليه بسبب عزله له عن ديار مصر وتوليته بدله عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فتسرح عن المدينة على تغضب فنزل قريباً من الأردن ، فلما قتل عثمان صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرنا .

فصل

فى وقعة صفين
بين اهل العراق وبين اهل الشام

قد تقدم ما رواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين . أنه قال : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين » وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خلد قال لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : « شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا ، فقال : كذب أبو شيبة ، والله لقد ذاكرنا الحكم فى ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت ؟ وقد قيل انه شهدها من أهل بدر سهل بن حنيف ، وكذا أبو أيوب الأنصارى . قاله شيخنا العلامة ابن تيمية فى

كتاب الردّ على الرافضة ـ وروى ابن بطة باسناده عن بكير بن الأشج أنه قال : أما إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم .

وأما على بن أبى طالب رضى الله عنه فانه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة قال أبو الكنود عبد الرحمن بن عبيد فدخلها على يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقيل له : انزل بالقصر الأبيض ، فقال : لا ! إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك ، فنزل فى الرحبة وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل الكوفة فى خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله ـ وكان على همذان من زمان عثمان ـ وإلى الأشعث بن قيس ـ وهو على نيابة أذربيجان من زمان عثمان ـ أن يأخذا البيعة على من هنالك من الرعايا ثم يقبلا إليه ، ففعلا ذلك . فلما أراد على رضى الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضى الله عنه يدعوه إلى بيعته قال جرير بن عبد الله : أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فان بينى و بينه ودا ، فآخذ لك منه البيعة ، فقال الأشتر : لاتبعثه يا أمير المؤمنين فانى أخشى أن يكون هواه معه . فقال على : دعه ، و بعثه وكتب معه كتابا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ، ويخبره بما كان فى وقعة الجمل ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، و إن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه . فرجع جرير إلى على فأخبره بما قالوا ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ألم أنهك أن تبعث جريراً ؟ فلو كنت بعثتنى لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته . فقال له جرير : لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان . فقال الأشتر : والله لو بعثنى لم يعننى جواب معاوية ولأعجلنه عن الفكرة ، ولو أطاعنى قبل لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة ، فقام جرير مغضباً وأقام بقرقيسيا ، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه . وخرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر البدرى الأنصارى وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة و يبعث الجنود وأشار آخرون أن يخرج فيهم بنفسه ، و بلغ معاوية أن علياً قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له : اخرج أنت أيضاً بنفسك ، وقام عمرو بن العاص فى الناس فقال : إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا يوم الجمل ، ولم يبق مع على إلا شرذمة قليلة من الناس ، ممن قتل ، وقد قتل

الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فالله الله فى حقكم أن تضيعوه ، وفى دمكم أن تطلوه ، وكتب إلى أجناد الشام فحضروا ، وعقدت الألوية والرايات للأمراء ، وتهيأ أهل الشام وتأهبوا ، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين - حيث يكون مقدم على بن أبى طالب رضى الله عنه - وسار على رضى الله عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام . قال أبو إسرائيل عن الحكم ابن عيينة : وكان فى جيشه ثمانون بدرياً ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة . رواه ابن ديزيل . وقد اجتاز فى طريقه براهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديزيل فى كتابه فيما رواه عن يحيى ابن عبد الله الكرابيسى عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد حدثنى مسلم الأعور عن حبة العرنى قال : لما أتى على الرقة نزل بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلى : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام ، أعرضه عليك ؟ فقال على : نعم ! فقرأ الراهب الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم الذى قضى فيما قضى وسطر فيما سطر ، وكتب فيما كتب أنه باعث فى الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف ، وفى كل صعود وهبوط ، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير ، وينصره الله على كل من ناوأه فاذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضى بالحق ولا ينكس الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب - فى يوم عصفت فيه الريح - والموت أهون عليه من شرب الماء ، يخاف الله فى السر ، وينصح فى العلانية ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، فمن أدرك ذلك النبى من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فان القتل معه شهادة » ثم قال لعلى : فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبنى ما أصابك . فبكى على ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعلنى عنده نسياً منسياً ، والحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار . فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع على حتى أصيب يوم صفين ، فلما خرج الناس يطلبون قتلاهم قال على : اطلبوا الراهب ، فوجدوه قتيلا ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه واستغفر له . وقد بعث على بين يديه زياد بن النضر الحارثى طليعة فى ثمانية آلاف ، ومعه شريح بن هانئ ، فى أربعة آلاف ، فساروا فى طريق بين يديه غير طريقه ، وجاء على فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدمتان ، فبلغهم أن معاوية قد ركب فى أهل الشام ليلتقى أمير المؤمنين علياً فهموا بالقيائه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه ، فعدلوا عن طريقهم وجاؤا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات فساروا

عبروا من حيث ثم لحقوا عليا ـ وقد سبقهم ـ فقال على : مقدمتى تأتى من ورائى ؟ فاعتذروا إليه عما جرى لهم ، فعذرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمى فى مقدمة أهل الشام فتواقفوا ، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق ، إلى البيعة فلم يجيبوه بشئ فكتب إلى على بذلك فبعث إليهم علىّ الأشتر النخعى أميراً ، وعلى ميمنته زياد ، وعلى ميسرته شريح ، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدءوه بالقتال ، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة ، فان امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب ، ولا يبتعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال ، ولكن صابرهم حتى آتينك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله ، فتحاجزوا يومهم ذلك ، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمى و بعث معه بكتاب الامارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفى ، فلما قدم الأشتر على المقدمة امتثل ما أمره به على ، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور السلمى فثبتوا له واصطبروا لهم ساعة ثم انصرف أهل الشام عند المساء ، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخى ـ وكان من فرسان أهل الشام ـ قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمى ، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه ، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبى الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك ، وكأنه رآه غير كفء له فى ذلك والله أعلم . وتحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثانى ، فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل على رضى الله عنه فى جيوشه ، وجاء معاوية رضى الله عنه فى جنوده ، فتواجه الفريقان وتقابل الطائفتان فبالله المستعان ، فتواقفوا طويلا . وذلك بمكان يقال له : صفين وذلك فى أوائل ذى الحجة ، ثم عدل على رضى الله عنه فارتاد لجيشه منزلا ، وقد كان معاوية سبق بجيشه فنزلوا على مشرعة الماء فى أسهل موضع وأفسحه ، فلما نزل على نزل بعيداً من الماء ، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فنعهم أهل الشام ، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك ، وقد كان معاوية وكل على الشريعة أبا الأعور السلمى ، وليس هناك مشرعة سواها ، فعطش أصحاب على عطشاً شديداً فبعث على الأشعث بن قيس الكندى فى جماعة ليصلوا إلى الماء فنعهم أولئك وقال : موتوا عطشا كما منعتم عثمان الماء ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم تطاعنوا بالرماح أخرى ، ثم تقاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله ، وأمد كل طائفة أهلها ، حتى جاء الأشتر النخعى من ناحية العراقيين وعمرو بن العاص من ناحية الشاميين ، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت ، وقد قال رجل من أهل العراق ـ وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى ـ وهو يقاتل .

خلّوا لنا ماءَ الفراتِ الجاري * أو اثبتوا بجحفلٍ جرارِ

لكلِ قرمٍ مشرب تيار * مطاعنٍ برمحه كرارِ

• ضرّاب هامات العدى مغوار •

ثم مازال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أزاحوهم عنه وخلوا بينهم و بينه ، ثم اصطلحوا على الورود حتى صاروا يزدحمون فى تلك الشريعة لا يكلم أحد أحداً ، ولا يؤذى إنسان إنساناً . وفى رواية أن معاوية لما أمر أبا الأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماح مشرعة ، وسيوف مسللة ، وسهام مفوقة ، وقسى موترة ، فجاء أصحاب على علياً فشكوا إليه ذلك فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية يقول له : إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى نقيم عليكم الحجة ، فبعثت إلينا مقدمتك فقاتلتنا قبل أن نبدأكم ، ثم هذه أخرى قد منعونا الماء ، فلما بلغه ذلك قال معاوية للقوم : ماذا ترون ؟ فقال عمرو خلّ بينهم و بينه ، فليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش ، وقال الوليد : دعهم يذوقوا من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه فى داره ، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً ، وقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح : امنعهم الماء إلى الليل فلعلهم يرجعون إلى بلادهم . فسكت معاوية فقال له صعصعة بن صوحان : ماذا جوابك ؟ فقال : سيأتيكم رأيى بعد هذا ، فلما رجع صعصعة فأخبر الخبر ركب الخيل والرجال ، فما زالوا حتى أزالوهم عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطلحوا فيما بينهم على ورود الماء ، ولا يمنع أحد أحداً منه ، وأقام على يومين لا يكاتب معاوية ولا يكاتبه معاوية ، ثم دعا على بشير بن عمرو الأنصارى وسعيد بن قيس الهمدانى وشبيث بن ربعى السهمى فقال : إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم ، فلما دخلوا على معاوية قال له بشير بن عمرو : يا معاوية ! إن الدنيا عنك زائلة ، و إنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ، ومجازيك بما قدمت يداك ، و إنى أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها . فقال له معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبكم ؟ فقال له : إن صاحبى أحق هذه البرية بالأمر فى فضله ودينه وسابقته وقرابته ، و إنه يدعوك إلى مبايعته فانه أسلم لك فى دنياك ، وخير لك فى آخرتك . فقال معاوية : و يطل دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم أراد سعيد بن قيس الهمدانى أن يتكلم فبدره شبيث بن ربعى فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء فى حق معاوية ، فزجره معاوية وزبره فى افتياته على من هو أشرف منه ، وكلامه بما لا علم له به ، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه ، وصمم على القيام بطلب دم عثمان الذى قتل مظلوماً ، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم ، وأمر على بالطلائع والأمراء أن تتقدم للحرب ، وجعل على يؤمر على كل قوم من الحرب أميراً ، فمن أمرائه على الحرب الأشتر النخعى ـ وهو أكبر من كان يخرج للحرب ـ وحجر بن عدى ، وشبيث بن ربعى ، وخالد بن المعتمر وزياد بن النضر ، وزياد بن حفصة ، وسعيد بن قيس ، ومعقل بن قيس ، وقيس بن سعد ، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً ،

فمن أمرائه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمى ، وحبيب بن مسلم ، وذو الكلاع الحميرى ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وشرحبيل بن السمط ، وحمزة بن مالك الهمدانى ، وربما اقتتل الناس فى اليوم مرتين ، وذلك فى شهر ذى الحجة بكماله ، وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله ابن عباس عن أمر على له بذلك ، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للمتاركة ، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم ، فكان ما سنذكره

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلت هذه السنة وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، كل منهما فى جنوده بمكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرق بلاد الشام ، وقد اقتتلوا فى مدة شهر ذى الحجة كل يوم ، وفى بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها ، والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم ، فذكر ابن جرير من طريق هشام عن أبى مخنف مالك حدثنى سعيد بن المجاهد الطائى عن محل بن خليفة أن علياً بعث عدى بن حاتم ويزيد ابن قيس الأرحبى ، وشبيث بن ربعى وزياد بن حفصة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه ـ وعمرو بن العاص إلى جانبه ـ قال عدى بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد يامعاوية فانا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمرنا ، وتحقن به الدماء ، ويأمن به السبل ، ويصلح ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها فى الاسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذى رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك من شيعتك ، فانته يامعاوية لا يصبك الله وأصحابك مثل يوم الجمل ، فقال له معاوية : كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً ، هيهات والله ياعدى ، كلا والله إنى لابن حرب ، لا يقعقع لى بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وإنك لمن قتله ، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به ، وتكلم شبيث بن ربعى وزياد بن حفصة فذكرا من فضل على وقالا : اتق الله يامعاوية ولا تخالفه فانا والله مارأينا رجلا قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهد فى الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه . فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانكم دعوتمونى إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فمعنا هى ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به ، ولكنه آوى قتلته ، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شبيث بن ربعى : أنشدك الله يامعاوية ، لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان ؟ قال معاوية : لو تمكنت من ابن سمية ماقتلته بعثمان ، ولكنى كنت قتلته بغلام عثمان . فقال له شبيث بن ربعى : وإله الأرض والسماء لا تصل إلى قتل عمار حتى تندر الرؤس

عن كواهلها ، ويضيق فضاء الأرض ورحبها عليك . فقال معاوية : لو قد كان ذلك كانت عليك أضيق . وخرج القوم من بين يديه فذهبوا الى على فأخبروه بما قال . وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى ، وشرحبيل بن السمط ، ومعن بن يزيد بن الاخنس إلى على ، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فان عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله ، فاستثقلتم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلته إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم ، فيولى الناس أمرهم من جمع عليه رأيهم . فقال له على : وما أنت لا أم لك ، وهذا الأمر وهذا العزل ، فاسكت فانك لست هناك ولا بأهل لذاك . فقال له حبيب : أما والله لتريني حيث تكره ، فقال له على : وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعّد وصوّب ما بدالك . ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلا جرى بينهم وبين على ، وفى صحة ذلك عنهم وعنه نظر فان فى مطاوى ذلك الكلام من على ما ينتقص فيه معاوية وأباه ، وإنهم انما دخلوا فى الاسلام ولم يزالا فى تردد فيه وغير ذلك وإنه قال فى غضون ذلك : لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً . فقالوا : نحن نبرأ ممن لم يقل إن عثمان قتل مظلوماً ، وخرجوا من عنده ، فقال على : [إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجد فى ضلالتهم منكم بالجد فى حقكم وطاعة نبيكم ، وهذا عندى لايصح عن على رضى الله عنه .

وروى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد باسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً ، وأن جماعة من قراء العراق منهم عبيدة السلمانى ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبد قيس ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم جاؤا معاوية فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان قالوا : فمن تطالب به ؟ قال : عليا ، قالوا : أهو قتله ؟ قال : نعم ! وآوى قتلته . فانصرفوا إلى على فذكروا له ما قال فقال : كذب ! لم أقتله وأنتم تعلمون أنى لم أقتله . فرجعوا إلى معاوية فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر رجالا . فرجعوا إلى على فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت . فرجعوا فقال معاوية فان كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان ، فانهم فى عسكره وجنده فرجعوا فقال على : تأول القوم عليه القرآن فى فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه فى سلطانه وليس لى عليهم سبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن كان الأمر على مايقول فماله أنفذ الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن ها هنا ؟ فرجعوا إلى على فقال على : إنما الناس مع المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم ، ورضوا وبايعونى ، ولست أستحل

أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاها ، فرجعوا إلى معاوية فقال : مابال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟ فرجعوا فقال علي : إنما هذا للبدريين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي ، وقد بايعني وقد رضي ، فلا يغرنكم من دينكم وأنفسكم ، قال : فأقاموا يتراسلون في ذلك شهر ربيع الآخر وجماديين ويقرعون في غبون ذلك القرعة بعد القرعة ويزحف بعضهم على بعض ، ويحجز بينهم القراء ، فلا يكون قتال قال : فقرعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة . قال : وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية فقالا له : يامعاوية على م تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً ، وأقرب منك إلى رسول الله (ص) وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان وإنه آوى قتلته ، فاذهبا إليه فقولا له فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام ، فذهبا إلى علي فقالا له ذلك فقال : هؤلاء الذين تريان فخرج خلق كثير فقالوا : كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليرمنا . قال : فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم حرباً . قال عمرو بن سعد باسناده حتى إذا كان رجب وخشي معاوية أن تبايع القراء كلهم علياً كتب في سهم من عبد الله الناصح : يامعشر أهل العراق ! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليغرقكم فخذوا حذركم ، ورمى به في جيش أهل العراق . فأخذه الناس فقرؤه وتحدثوا به ، وذكروه لعلي فقال : إن هذا مالا يكون ولا يقع . وشاع ذلك ، وبعث معاوية مائتي فاعل يحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك فتشوش أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى علي فقال : ويحكم ! إنه يريد خديعتكم ليزيلكم عن مكانكم هذا وينزل فيه لأنه خير من مكانه . فقالوا : لابد من أن نخلي عن هذا الموضع فارتحلوا منه ، وجاء معاوية فنزل بجيشه - وكان علي آخر من ارتحل - فنزل بهم وهو يقول :

فلو أني أطعتُ عصمتُ قومي * إلى ركنِ اليمامةِ أو شآمِ

ولكني إذا أبرمتُ أمراً * يخالفهُ الطغامُ بنو الطغامِ

قال : فأقاموا إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في المقاتلة فجعل علي يؤمر على الحرب كل يوم رجلا وأكثر من كان يؤمر الأشتر . وكذلك معاوية يؤمر كل يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكماله ؛ وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين قال ابن جرير رحمه الله : ثم لم تزل الرسل تتردد بين علي ومعاوية والناس كافون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح ، فأمر علي ابن أبي طالب يزيد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استأنيتكم لتراجعوا الحق ، وأقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا ، وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لايحب الخائنين . ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي

ينادى فنهض عنـد ذلك معاوية وعمرو فعبيا الجيش ميمنة وميسرة ، وبات على يعبى جيشـه من ليلته ، فجعل عـلى خيل أهل الـكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجالتهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى قرائهم سعد بن فدكى التميمى ، وتقدم على إلى الناس أن لا يبدأوا واحداً بالقتال حتى يبدأ أهل الشام، وأنه لا ينقف على جريح ولا يتبع مـدبر ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان ، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل على الميمنة ابن ذى الـكلاع الحميرى ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهرى ، وعلى المقـدمة أبا الأعور السلمى ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس . ذكره ابن جرير

وروى ابن ديزيل من طريق جابر الجعفى عن أبى جعفر الباقر ويزيد بن الحسن بن على وغيرهما. قالوا : لما بلغ معاوية سير على سار معاوية نحو على واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو أبا الأعور السلمى وعلى الساقة بسر بن أبى أرطاة حتى توافوا جميعاً سائرين إلى جانب صفين . وزاد ابن الـكلبى فقال : جعل عـلى المقدمة أبا الأعور السلمى ، وعلى الساقة بسراً ، وعـلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة ، وعلى رجالتها يزيد بن زحر العنسى ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى رجالتها حابس بن سعد الطائى ، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس وعلى رجالتهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلى ، وجعل على أهل حمص ذا الـكلاع وعلى أهـل فلسطين مسلمة بن مخلد وقام معاوية فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف ، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا الشام وتأخـذوا العراق ، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمرى ما للشام رجال العراق ولا أموالها ، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرها ، مع أن القوم وبعدهم أعدادهم ، وليس بعدكم غيركم فان غلبتموهم لم تغلبوا إلا من أناتكم وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لا قوكم بكيد أهل العراق ، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإنما ينصر غـداً من ينصر اليوم [استعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين] وقد بلغ علياً خطبة معاوية فقام فى أصحابه فحرضهم على الجهاد ومدحهم بالصـبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام ، قال جابر الجعفى عن أبى جعفر الباقر وزيد بن أنس وغيرهما قالوا : سار على فى مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية فى نحو منهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل على فى مائة ألف أو يزيدون ، وأقبل معاوية فى مائة ألف وثلاثين ألفاً ـ رواها ابن ديزيل فى كتابه ـ وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم ، وكان هؤلاء خمسة

صفوف ومعهم ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفا أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء ، وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين الأشتر النخعى ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالا شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافئوا فى القتال ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة ، وأمير الشاميين يومئذ أبا الأعور السلمى فاقتتلوا قتالا شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافئوا ثم خرج فى اليوم الثالث ــ وهو يوم الجمعة ــ عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص فى الشاميين فاقتتل الناس قتالا شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثى وكان على الخيالة رجلا فلما تواقفا تعارفا فإذا هما أخوان من أم ، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه ، وتراجع الناس من العشى وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج فى اليوم الرابع ــ وهو يوم السبت ــ محمد بن على ــ وهو ابن الحنفية ــ ومعه جمع عظيم فخرج إليه فى كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه ؟ فلما كادا أن يقتربا قال على : من المبارز ؟ قالوا محمد ابنك وعبيد الله ، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم إلى عبيد الله فقال له : تقدم إلى قال له : لا حاجة لى فى مبارزتك ، فقال : بلى ، فقال : لا ! فرجع عنه على وتحاجز الناس يومهم ذلك ثم خرج فى اليوم الخامس ــ وهو يوم الأحد ــ فى العراقيين عبد الله بن عباس وفى الشاميين الوليد بن عقبة ، واقتتل الناس قتالا شديداً ، وجعل الوليد ينال من ابن عباس ، فيما ذكره أبو مخنف ويقول : قتلتم خليفتكم ولم تنالوا ماطلبتم ، ووالله إن الله ناصرنا عليكم . فقال له ابن عباس : فابرز إلى فأبى عليه ويقال إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالا شديداً بنفسه رضى الله عنه ، ثم خرج فى اليوم السادس ــ وهو يوم الاثنين ــ وعلى الناس من جهة العراقيين قيس بن سعد ، ومن جهة أهل الشام ابن ذى الكلاع فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا ، ثم خرج الأشتر النخعى فى اليوم السابع ــ وهو يوم الثلاثاء وخرج إليه قرنه حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً فى هذه الأيام كلها . قال أبو مخنف : حدثنى مالك بن أعين الجهنى عن زيد بن وهب أن علياً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام فى الناس عشية الأربعاء بعد العصر فقال : الحمد لله الذى لايبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة فى شىء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار وألفت بيننا فى هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع

فلو شاء لعجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) ألا وإنكم لاقوا القوم غداً فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله النصر والصبر والقوة بالجد والحزم وكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها قال : ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جعل التغلبي فرأى ما يصنعون فجعل يقول :

أصبحتْ الأمةُ فى أمرٍ عجبْ * والملكُ مجموعٌ غداً لمن غلبْ

فقلتُ قولاً صادقاً غيرَ كذبْ * إنّ غداً تهلكُ أعلامُ العربْ

قال : ثم أصبح على فى جنوده قد عبأهم كما أراد ، وركب معاوية فى جيشه قد عبأهم كما أراد ، وقد أمر على كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام فتقاتل الناس قتالاً عظيماً لا يفر أحد من أحد ولا يغلب أحد أحداً ، ثم تحاجزوا عند المشى ، وأصبح على فصلى الفجر بغلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال على فيما رواه ابن مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب : اللهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذى جعلته سقفاً لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب الأرض التى جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام ، ومالا يحصى مما نرى ومالا نرى من خلقك العظيم ، ورب الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ، ورب الجبال الرواسى التى جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعاً ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغى والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنى الشهادة وجنب بقية أصحابى من الفتنة . ثم تقدم على وهو فى القلب فى أهل المدينة وعلى ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على راياتهم فزحف بهم إلى القوم ، وأقبل معاوية ــ وقد بايعه أهل الشام على الموت ــ فتواقف الناس فى موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة على على ميسرة أهل الشام وعليها حبيب ابن مسلمة ، فاضطره حتى ألجأه إلى القلب ، وفيه معاوية ، وقام عبد الله بن بديل خطيباً فى الناس يحرضهم على القتال ويحثهم على الصبر والجهاد ، وحرض أمير المؤمنين على الناس على الصبر والثبات والجهاد ، وحثهم على قتال أهل الشام ، وقام كل أمير فى أصحابه يحرضهم ، وتلا عليهم آيات القتال من أماكن متفرقة من القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى [إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص] ثم قال : قدموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فانه أنبى للسيوف

عن الهام ، وألبوا إلى أطراف الرماح فانه أفوق للأسنة ، وغضوا الأبصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلب ، وأميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار ، راياتكم لا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم . وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضى الله عنه بارز فى أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه على فتجاولا ساعة ثم ضربه على فقتله ثم قال على : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميرى فقتله ، ثم برز إليه راود ابن الحارث الكلاعى فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيسى فقتله . فتلا على قوله تعالى [والحرمات قصاص] ثم نادى ويحك يا معاوية ! ابرز إلى ولا تفنى العرب بينى وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : اغتنمه فانه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة ، فقال له معاوية : والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلى لتصيب الخلافة من بعدى ، اذهب إليك ! فليس مثلى يخدع

وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح فألقاه إلى الأرض فبدت سوءته فرجع عنه ، فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون ما هو ؟ قالوا : لا ! قال : هذا عمرو بن العاص تلقانى بسوءته فذكرنى بالرحم فرجعت عنه ، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد إستك . وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى ثنا نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن تميم الأنصارى قال : والله لكأنى أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين أما تخافون مقت الله حتى متى ، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال :والله ما سمعنا برئيس أصاب بيده ما أصاب على يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل ، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحنى ثم يجئ فيقول معذرة إلى الله وإليكم والله لقد هممت أن أقلعه ولكن يحجزنى عنه أنى سمعت رسول الله ص يقول « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » قال : فيأخذه فيصلحه ثم يرجع به . وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر وحدثنا يحيى ثنا ابن وهب أخبرنى الليث عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفين مع على ومعاوية قال ابن وهب : وأخبرنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط قال : شهدنا صفين مع على ومعاوية قال فطرت السماء علينا دماً عبيطاً قال الليث فى حديثه حتى أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة : فتمتلى ونهريقها وقد ذكرنا أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التى فيها حبيب بن مسلمة حتى أضافها إلى القلب فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرة وبعث إليه معاوية يأمره بالحملة والكرة على ابن بديل ، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلثمائة وانجفل بقية أهل العراق ، ولم يبق مع على من تلك القبائل إلا أهل

مكة وعليهم سهل بن حنيف ، وثبت ربيعة مع على رضى الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه ، وتقدم إليه مولى لبنى أمية فاعترضه مولى لعلى فقتله الأموى وأقبل يريد علياً وحوله بنوه الحسن الحسين ومحمد بن حنفية ، فلما وصل إلى على أخذه على بيده فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد بأسيافهما فقتلاه فقال على للحسن ابنه وهو واقف معه : ما منعك أن تصنع كما صنعا فقال : كفيان أمره يا أمير المؤمنين وأسرع إلى على أهل الشام فجعل على لا يزيده قربهم منه سرعة فى مشيته ، بل هو سائر على هينته ، فقال له ابنه الحسن : يا أبة لو سعيت أكثر من مشيتك هذه فقال . يابنى إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعى ولا يعجل به إليه المشى إن أباك والله ما يبالى وقع على الموت أووقع عليه ثم إن علياً أمر الأشتر النخعى أن يلحق المنهزمين فيردهم فسار فأسرع حتى استقبل المنهزمين من العراق فجعل يؤنبهم ويوبخهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على الكرة فجعل طائفة تتابعه وآخرون يستمرون فى هزيمتهم فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه خلق عظيم من الناس فجعل لايلقى قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردها حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بديل ومعه نحو فى ثلثمائة قد ثبتوا فى مكانهم فسألوا عن أمير المؤمنين فقالوا حى صالح فالتفوا إليه ، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك مابين صلاة العصر إلى الغروب ، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فانه خير له فأبى عليه ابن بديل ، وحمل نحو معاوية ، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفى يده سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال ، فلما اقترب ابن بديل تقدم إليه جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتيلا ، وفر أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح فلما انهزم أصحابه قال معاوية لأصحابه انظروا إلى أميرهم ، فجاؤا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فاذا هو عبد الله بن بديل ، فقال معاوية : هذا والله كما قال الشاعر ، وهو حاتم الطائى :

أخو الحرب إنْ عضّتْ به الحربُ عضّها * وإنْ شمّرتْ يوماً به الحربُ شمّرا
ويحمي إذا ما الموتُ كان لقاؤهُ * كذلكَ ذو الأشبالِ يحمي إذا ما تأمّرا
كليثٍ هزبرٍ كانَ يحمي ذمارهُ * رمتْهُ المنايا سهمَها فتقطّرا

ثم حمل الأشتر النخعى بمن رجع معه من المنهزمين فصدق الحملة حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا أن لايفروا وهم حول معاوية ، فخرق منهم أربعة وبقى بينه وبين معاوية صف ، قال الأشتر فرأيت هولا عظيما ، وكدت أن أفر فما ثبتنى إلا قول ابن الاطنابة وهى أمه من بلقين وكان هو من الانصار وهو جاهلى :

أبتْ لى عفتى وأبى بلائى * وإقدامى على البطل المشيح

وإعطائي على المكروه مالي * وضربي هامة الرجل السميح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

قال : فهذا الذي ثبتني في ذلك الموقف . والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق حملوا حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية فدعا بفرسه لينجو عليه ، قال معاوية : فلما وضعت رجلي في الركاب تمثلت بأبيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإعطائي على المكروه مالي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

قال : فثبت ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص فقال : اليوم صبر وغدا فخر ، فقال له عمرو : صدقت قال معاوية فأصبت خير الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة . ورواه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية ، وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الخيالة لعلي فقال له : اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرة العراق ، فطمع فيه ، فلما ولي معاوية ولاه العراق فلم يصل إليها خالد رحمه الله ، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قد اجتمعت رجع إلى الناس فأنب بعضهم وعذر بعضهم وحرض الناس وثبتهم ثم تراجع أهل العراق فاجتمع شملهم ودارت رحى الحرب بينهم وجالوا في الشاميين وصالوا ، وتبارز الشجعان فقتل خلق كثير من الأعيان من الفريقين فانا لله وإنا إليه راجعون . وقيل ممن قتل في هذا اليوم عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين ، واختلفوا فيمن قتله من العراقيين ، وقد ذكر إبراهيم بن الحسين بن ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئذ أميراً على الحرب أحضر امرأتيه أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي وبحرية بنت هانئ بن قبيصة الشيباني ـ فوقفتا وراءه في راحلتين لينظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته ، فواجهته من جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن حفصة التميمي ، فشدوا عليه شدة رجل واحد فقتلوه بعد ما انهزم عنه أصحابه ، ونزلت ربيعة فضربوا لأميرهم خيمة فبقي طنب منها لم يجدوا له وتداً فشدوه برجل عبيد الله ، وجاءت امرأتاه يولولان حتى وقفتا عليه وبكتا عنده ، وشفعت امرأته بحرية إلى الامير فأطلقه لها فاحتملتاه معهما في هودجهما وقتل معه أيضاً ذو الكلاع ، قال الشعبي : ففي مقتل عبيد الله بن عمر يقول كعب بن جعل التغلبي

ألا إنما تبكي العيون لفارس * بصفين ولت خيله وهو واقف
تبدل من أسماء أسياف وائل * وكان فتى لو أخطأته المتالف
تركن عبيد الله بالقاع ثاوياً * تسيل دماه والعروق نوازف

يَنوءُ وينشاهُ شآبيب من دم * كما لاحَ من جيبِ القميصِ الكفائفُ
وقد صبرتْ حولَ ابن عم محمدٍ * لدى الموتِ أربابُ المناقبِ شارفُ
فما برحوا حتى رأى اللهُ صَبرهمْ * وحتى رقتْ فوقَ الأكفِ المصاحفُ

وزاد غيره فيها

معاويَ لا تنهضْ بغيرِ وثيقةٍ * فإنكَ بعدَ اليوم بالذلِ عارفُ

وقد أجابه أبو جهم الأسدى بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها قصداً .

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب قتله أهل الشام وبان وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به الرسول (ص) من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ ، وما فى ذلك من دلائل النبوة ، ذكر ابن جرير من طريق أبى مخنف حدثنى مالك بن أعين الجهنى عن زيد بن وهب الجهنى أن عماراً قال يومئذ : من يبتغى رضوان ربه ولا يلوى إلى مال ولا ولد ، قال : فأتته عصابة من الناس فقال : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً والله ماقصدهم الأخذ بدمه ولا الأخذ بثأره ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمروا الآخرة فقلوها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين مايتمرغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقة فى الاسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم ولا الولاية عليهم ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التى تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ، وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها ، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله فخدعوا أتباعهم بقولهم إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا ، وتلك مكيدة بلغوا بها ماترون ، ولولا ذلك ماتبعهم من الناس رجلان ولكانوا أذل وأخس وأقل ، ولكن قول الباطل له حلاوة فى أسماع الغافلين ، فسيروا إلى الله سيراً جميلا ، واذكروا ذكراً كثيراً ثم تقدم فلقيه عمرو بن العاص وعبيد الله بن عمر فلامهما وأ[...]ما ووعظهما ، وذكروا من كلامه لهما مافيه غلظة فالله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد ، فقال : والذى نفسى بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والذى نفسى بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق ، وأنهم على الضلالة . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة وحجاج حدثنى شعبة سمعت قتادة يحدث عن أبى نضرة قال حجاج سمعت أبا نضرة عن قيس بن عباد قال . قلت لعمار بن ياسر أرأيت قتالكم مع على رأيا

رأيتموه ، فان الرأى يخطئ ويصيب ، أو عهد عهده إليكم رسول الله (ص.)؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله (ص.) شيئا لم يعهده إلى الناس كافة . وقد رواه مسلم من حديث شعبة وله تمام عن عمار عن حذيفة في المنافقين .

وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين ، منهم الحارث بن سويد ، وقيس ابن عبادة ، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ، ويزيد بن شريك ، وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعلي : هل عندكم شئ عهده إليكم رسول الله (ص.) لم يعهده إلى الناس ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ فاذا فيها العقل وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرم ما بين ثبير إلى ثور .

وثبت في الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل عن سفيان بن مسلم عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : يا أيها الناس ! اتهموا الرأى على الدين ، فلقد رأيتنى يوم أبي جندل ولو أقدر لرددت على رسول الله (ص.) أمره ، ووالله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهل (١) إلى أمر نعرفه ، غير أمرنا هذا ، فانا لا نسد منه خصما إلا انفتح لنا غيره لا ندرى كيف نبالى له

وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البخترى . قال قام عمار يوم صفين فقال : إيتونى بشربة لبن ، فان رسول الله (ص.) قال « آخر شربة تشربها من الدنيا تشربها يوم تقتل » وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب عن أبي البخترى أن عماراً أتى بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله قال لى : « آخر شراب أشربه لبن حين أموت » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى بن نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفى قال : سمعت الشعبى عن الأحنف بن قيس : قال ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوى السكسكى وأبو الغادية الفزارى ، فأما أبو الغادية فطعنه ، وأما ابن جوى فاحتز رأسه . وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله (ص.) لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها صاع لبن » فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ويحك ! ما هذا يا عمرو ؟ ! فيقول له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذو الكلاع قال عمرو لمعاوية : ما أدرى بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمار أوذى الكلاع والله لو بقى ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام ولأفسد علينا جندنا . قال : وكان لايزال يجئ رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت

عماراً فيقول له عمرو فما سمعته يقول فيخلطون حتى جاء جوى فقال أنا سمعته يقول :

اليومَ ألقى الأحبهْ * محمـداً وحزبه

فقال له عمرو : صدقت أنت إنك لصاحبه ، ثم قال له : رويداً ، أما والله ما ظفرت يداك ولقد أسخطت ربك وقد روى ابن ذبزيل من طريق أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن الكندى عن أبيه عن عمرو بن العاص . أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وحبة العرنى ، وساقه من طريق إبان عن أنس مرفوعا ، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعا : « ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » وبه عن عمرو بن شمر عن السري عن يعقوب بن راقط قال : اختصم رجلان فى سلب عمار وفى قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما إليه ، فقال لهما : ويحكما اخرجا عنى ، فإن رسول الله (ص) قال ـ ولعبت قريش بعمار ـ : « مالهم ولعمار ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، قاتله وسالبه فى النار » قال : فبلغنى أن معاوية قال إنما قتله من أخرجه يخدع بذلك أهل الشام . وقال إبراهيم بن الحسين : حدثنا يحيى ثنا عدى بن عمر ثنا هشيم ثنا العوام بن حوشب بن الأسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد ـ وكان ناس عند على ومعاوية ـ قال : بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان فى قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطب كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار ، فانى سمعت رسول الله (ص) يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية لعمرو : « ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟ ! ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقاتل معنا ؟ فقال له إن رسول الله (ص) أمرنى بطاعة والدى ما كان حيا وأنا معكم ولست أقاتل . وحدثنا يحيى بن نصر ثنا حفص بن عمران البرجي حدثنى نافع بن عمر الجمحى عن ابن أبي مليكة أن عبد الله ابن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله (ص) أمرنى بطاعتك ماسرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية » وحدثنا يحيى ثنا عبد الرحمن بن زياد ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو فقال : ائذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أو ماتسمع مايقول عمرو . قال : صدق ؟ إنما قتله الذين جاؤا به اوهذا كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين منهم الحارث بن سويد وقيس بن عبادة وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائى ويزيد بن شريك وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعلى هل عندكم شئ عهده إليكم رسول الله (ص) لم يعهده إلى الناس ، فقال : لا ! والذى فلق

الحبة و برأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبداً فى القرآن وما فى هذه الصحيفة ، قلت: وما فى هذه الصحيفة ؟ قال: فيها العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرام ما بين ثبير إلى ثور ، وثبت فى الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : أيها الناس اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أقدر أن أرد على رسول الله (ص) أمره لرددته ، والله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه غير أمرنا هذا. وقال ابن جرير: وحدثنا أحمد بن محمد ثنا الوليد بن صالح ثنا عطاء بن مسلم عن الأعمش قال قال أبو عبد الرحمن السلمى : قال كنا مع على بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين يحفظانه ويمنعانه أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم وقال : لولا أنه انثنى مارجعت ، قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله (ص) ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب راية على فقال : يا هاشم تقدم ! الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت فى أطراف الأسنة ، وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين

اليومَ ألقى الأحبهْ * محمداً وحزبهْ

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى، قال : وحمل حينئذ على وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد كأنهما : كان - يعنى عماراً وهاشما - علما لهم قال: فلما كان الليل قلت لأدخلن الليلة إلى العسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ - وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم - فركبت فرسى وقد هدأت الرجل ، ثم دخلت عسكرهم فاذا أنا بأربعة يتسامرون ، معاوية ، وأبو الأعور السلمى ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خير الأربعة . قال : فادخلت فرسى بينهم مخافة أن يفوتنى ما يقول بعضهم لبعض ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبة قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ما قال ، قال : وما قال ؟ قال: ألم يكن معنا ونحن نبنى المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين ؟ فأتاه رسول الله (ص) فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك فى الأجر وكنت مع ذلك ويحك تقتلك الفئة الباغية » قال فرجع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال : يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول وأخبره الخبر فقال معاوية إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض فى بولك ، أو نحن قتلنا عماراً ؟ إنما قتل عماراً من جاء به ؟ قال : فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون : إنما قتل عماراً من جاء

به ، فلا أدرى من كان أعجب هو أو هم . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن أبى زياد قال : إنى لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه و بين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبة أما سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع مايقول عبد الله هذا فقال معاوية لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذين جاءوا به . ثم رواه أحمد عن أبى نعيم عن سفيان الثورى عن الاعمش به نحوه ، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه ، وهذا التأويل الذى سلكه معاوية رضى الله عنه بعيد ، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روى من وجوه أخر ، قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن خالد عن عكرمة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبى سعيد فى قصة بناء المسجد أن رسول الله (ص) قال لعمار : « ياويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن وفى بعض نسخ البخارى ياويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا شعبة ثنا عمرو بن دينار عن أبى هشام عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم من حديث شعبة عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : حدثنى من هو خير منى - يعنى أبا قتادة - أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم أيضاً من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن الحسن وسعيد ابنى أبى الحسن عن أمهما خيرة عن أم سلمة أن رسول الله (ص) قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، ورواه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة به وفى رواية وقاتله فى النار . وروى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الاصم عن أبى بكر محمد بن إسحاق الصنعانى عن أبى الجواب عن عمار بن زريق عن عمار الذهبى عن سالم بن أبى الجعد عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - فى سيرة على - ثنا يحيى بن عبيد الله الكرابيسى ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن عمار بن زريق عن عمار الذهبى عن سالم بن أبى الجعد قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إن الله قد أمننا أن يظلمنا ولم يؤمنا أن يفتننا ، أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال: عليك بكتاب الله ، قلت : أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » . وروى ابن ديزيل عن عمرو بن العاص نفسه حديثا فى ذكر عمار وأنه مع فرقة الحق ، وإسناده غريب ، وقال البيهقى : أنا على بن

أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الله الصفار ثنا الأسقاطى ثنا أبو مصعب ثنا يوسف بن الماجشون عن أبيه عن أبي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت: « اشتكى عمار شكوى أرق منها فغشى عليه، فأفاق ونحن نبكي حوله، فقال: ماتبكون؟ أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي (ص) أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخر زادي من الدنيا مذقة من لبن» وقال أحمد: ثنا ابن أبي عدى عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى قال: « أمرنا رسول الله (ص) ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فتترب رأسه قال: فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله أنه جعل ينفض رأسه ويقول: ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية» تفرد به أحمد وما زاده الروافض في هذا الحديث بعد قوله الباغية « لا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة فهو كذب وبهت على رسول الله (ص)، فانه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين، كما سنورده قريباً إن شاء الله. قال ابن جرير وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال على لربيعة وهمدان: أنتم درعي ورمحي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم على ببغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلى يقاتل ويقول:

أضربهم ولا أرى معاويهْ * الجاحظَ العينِ عظيمَ الحاويهْ

قال: ثم دعى على معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه بالخروج إليه عمرو بن العاص فقال له معاوية: إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، ولكنك طمعت فيها بعدى، ثم قدم على ابنه محمد في عصابة كثيرة من الناس، فقاتلوه قتالا شديداً ثم تبعه على في عصابة أخرى، فحمل بهم فقتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً، وطارت أكف ومعاصم ورؤس عن كواهلها، رحمهم الله. ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس إلا إيماء صلاتى العشاء واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهى من أعظم الليالى شراً بين المسلمين، وتسمى هذه الليلة ليلة الهرير، وكانت ليلة الجمعة تقصفت الرماح ونفدت النبال، وصار الناس إلى السيوف، وعلى رضى الله عنه يحرض القبائل، ويتقدم إليهم يأمر بالصبر والثبات وهو أمام الناس في قلب الجيش، وعلى الميمنة الأشتر، تولاها بعد قتل عبد الله بن بديل عشية الخميس ليلة الجمعة ـ وعلى الميسرة ابن عباس، والناس يقتتلون من كل جانب فذكر غير واحد من علمائنا علماء السير ـ أنهم قتتلوا بالرماح حتى تقصفت، وبالنبال حتى فنيت، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا الأيدى والرمى بالحجارة والتراب في الوجوه، وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما يهمر على الآخر ويهمر عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فانا لله

و إنا إليه راجعون . ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إيماء وهم فى القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام ، وذلك أن الاشتر النخعى صارت إليه إمرة الميمنة ، فحمل بمن فيها على أهل الشام وتبعه علىّ فتنقضت غالب صفوفهم وكادوا ينهزمون ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح : وقالوا ، هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس فمن للثغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار .

وذكر ابن جرير وغيره من أهل التاريخ أن الذى أشار بهذا هو عمرو بن العاص ، وذلك لما رأى ، أن أهل العراق قد استظهروا فى ذلك الموقف ، أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر فان كلا من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون . فقال إلى معاوية : إنى قد رأيت أمراً لا يزيدنا هذه الساعة إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ، أرى أن ترفع المصاحف وندعوهم إليها ، فان أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال ، وإن اختلفوا فيما بينهم فمن قائل نجيبهم ، وقائل لانجيبهم ، فشلوا وذهب ريحهم ، وقال الامام أحمد ، حدثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت . قال أتيت أبا وائل فى مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على بالنهر وان فيما استجابوا له وفيما فارقوه ، وفيما استحل قتالهم فقال : كنا بصفين فلما استحر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أرسل إلى على بمصحف فأدعه إلى كتاب الله فانه لن يأبى عليك فجاء به رجل فقال : بيننا و بينكم كتاب الله [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون] فقال على : نعم ! أنا أولى بذلك بيننا و بينكم كتاب الله قال فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ما ينتظر هؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشى إليهم سيوفنا حتى يحكم الله بيننا و بينهم ؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال : ياأيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعنى الصلح الذى كان بين رسول الله وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله فقال : يارسول الله ألسنا على حق وهم على باطل ؟ وذكر تمام الحديث كما تقدم فى موضعه .

رفع أهل الشام المصاحف

فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق : نجيب إلى كتاب الله ونتيب إليه . قال أبو مخنف : حدثنى عبد الرحمن بن جندب الأزدى عن أبيه أن علياً قال : عباد الله أمضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ، فان معاوية وعمرو بن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبى سرح والضحاك ابن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالا ، وصحبتهم رجالا ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ، ويحكم والله إنهم ما رفعوها إنهم يقرأونها ولا يعملون بما فيها وما

رفعوها إلا خديعة ودهاء ومكيدة . فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله . فقال لهم : إنى إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، ونبذوا كتابه . فقال له مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى ثم السبائى فى عصابة معهما من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج : يا على أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك مافعلنا بابن عفان ، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عنى نهيى إياكم واحفظوا مقالتكم لى ، أما أنا فإن تطيعونى فقاتلوا ، وإن تعصونى فاصنعوا ما بدالكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال ، فبعث إليه على ليكف عن القتال ، وقد ذكر الهيثم بن عدى فى كتابه الذى صنفه فى الخوارج فقال : قال ابن عباس : فحدثنى محمد بن المنتشر الهمدانى عن من شهد صفين وعن ناس من رؤس الخوارج ممن لايتهم على كذب أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى وقال فى على بعض ما أكره ذكره ، ثم قال : من رائح إلى الله قبل أن يبتغى غير الله حكما ؟ فحمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه . وكان ممن دعا إلى ذلك سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام فى أهل العراق فدعاهم إلى الموادعة والكف وترك القتال والائتمار بما فى القرآن ، وذلك عن أمر معاوية له بذلك رضى الله عنهما ، وكان ممن أشار على على بالقبول والدخول فى ذلك الأشعث بن قيس الكندى رضى الله عنه ، فروى أبو مخنف من وجه آخر أن عليا لما بعث إلى الأشتر قال : قل له إنه ليس هذه ساعة ينبغى أن لاتزيلنى عن موقفى فيها ، إنى قد رجوت أن يفتح الله على ، فلا تعجلنى ، فرجع الرسول ــ وهو يزيد بن هانئ ــ إلى على فأخبره عن الأشتر بما قال ، وصمم الأشتر على القتال لينتهز الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلى : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال : أرأيتمونى ساررته ؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك ، فقال على ليزيد بن هانئ : ويحك ! قل له أقبل إلى فإن الفتنة قد وقعت ، فلما رجع إليه يزيد بن هانئ فأبلغه عن أمير المؤمنين أنه ينصرف عن القتال ويقبل إليه ، جعل يتململ ويقول : ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت : أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يغنى عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشتر إلى على وترك القتال فقال : يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم ، أمهلونى فإنى قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا ! قال : أمهلونى عدو الفرس فإنى قد طمعت فى النصر ، قالوا إذا ندخل معك فى خطيئتك ، ثم أخذ الأشتر يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام

بما حاصله : إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه ، وإن كان باطلا فاشهدوا لقتلاكم بالنار ، فقالوا : دعنا منك فانا لا نطيعك ولاصاحبك أبداً ، ونحن قاتلنا هؤلاء فى الله ، وتركنا قتالهم لله ، فقال لهم الأشتر : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقا إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم بربانيين بعدها . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسبوه وسبهم فضربوا وجه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فان الناس تفانوا فى هذه المدة ، ولاسيا فى هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التى آخر أمرها ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ماليس يوجد فى الدنيا مثله ، ولهذا لم يفر أحد عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً . خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق . قاله غير واحد منهم ابن سيرين وسيف وغيره . وزاد أبو الحسن ابن البراء ـ وكان فى أهل العراق ـ خمسة وعشرون بدريا ، قال : وكان بينهم فى هذه المدة تسعون زحفاً واختلفا فى مدة المقام بصفين فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مائة وعشرة أيام . قلت : ومقتضى كلام أبى مخنف أنه كان من مستهل ذى الحجة فى يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوما فالله أعلم ، وقال الزهرى : بلغنى أنه كان يدفن فى القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزى فى المنتظم

وقد روى البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان عن أبى اليمان عن صفوان بن عمرو كان أهل الشام ستين ألفاً فقتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً فقتل منهم أربعون ألفاً . وحمل البيهقى هذه الوقعة على الحديث الذى أخرجاه فى الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة ورواه البخارى من حديث شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، ومن حديث شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال : «لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة». ورواه مجالد عن أبى الحوارى عن أبى سعيد مرفوعاً مثله ورواه الثورى عن ابن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فبينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد تقدم ما رواه الامام أحمد عن مهدى وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربعى بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهلى عن ابن مسعود . قال قال رسول الله (ص) : « إن رحى الاسلام ستزول لخمس وثلاثين أو ست

وثلاثين ، فان يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً ، فقال عمر : يارسول الله أبما مضى أم مما بقي ؟ قال : بل مما بقي » . وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في سيرة علي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا شريك بن عبد الله النخعي عن مجالد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله . قال قال لنا رسول الله (ص) « إن رحى الاسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة فان يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً ، وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم » وقال ابن ديزيل : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن خراش الشيباني عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي . قال قال رسول الله (ص) : « تدور رحى الاسلام عند قتل رجل من بني أمية » ـ يعني عثمان رضي الله عنه ـ وقال أيضاً : حدثنا الحكم عن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن رسول الله (ص) دعي إلى جنازة رجل من الأنصار فقال ـ وهو قاعد ينتظرها ـ « كيف أنتم إذا راعيتم حلبس [كذا] في الاسلام ؟ قال أبو بكر : أو يكون ذلك في أمة إلهها واحد ونبيها واحد ؟ قال : نعم ! قال : أفادرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ! قال عمر : أفادرك ذلك يارسول الله ؟ قال : لا ! قال عثمان : أفادرك ذلك يارسول الله ؟ قال : نعم ! بك يفتنون » وقال أيضاً عمر لابن عباس : كيف يختلفون وإلههم واحد وكتابهم واحد وملتهم واحدة ؟ فقال : إنه سيجيء قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه ، فيختلفون فيه فاذا اختلفوا فيه اقتتلوا . فأقر عمر بن الخطاب بذلك . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا سعيد بن عبد الرحمن ـ أخو أبي حرة ـ ثنا محمد بن سيرين قال : لما قتل عثمان قال عدي بن حاتم : لاينتطح في قتله عنزان . فلما كان يوم صفين فقئت عينه فقيل : لا ينتطح في قتله عنزان ، فقال : بلى وتفقأ عيون كثيرة . وروى عن كعب الأحبار أنه مر بصفين فرأى حجارتها فقال : لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات ، وإن العرب ستقتتل فيها العاشرة ، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف فيها بنو إسرائيل ويتفانوا كما تفانوا . وقد ثبت في الحديث أن رسول الله (ص) قال : « سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من سوا هم فيستبيح بيضتهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فمنعنيها » ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى [أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض] قال رسول الله : هذا أهون .

قصة التحكيم

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين ـ علي ومعاوية ـ رجلا من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين . فوكل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد علي أن يوكل عبد الله بن عباس ـ وليته فعل ـ

ولكنه منعه القراء ممن ذكرنا وقالوا : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري . وذكر الهيثم بن عدى في كتاب الخوارج له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه أنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز . قال على : فانى أجعل الأشتر حكما ، فقالوا : وهل سعر الحرب وشعر الأرض إلا الأشتر؟ قال : فاصنعوا ما شئتم ، فقال الأحنف لعلى : والله لقد رميت بحجر إنه لا يصلح هؤلاء القوم إلا رجل منهم ، يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ، ويبتعد حتى يصير بمنزلة النجم ، فان أبيت أن تجعلنى حكما فاجعلني ثانياً وثالثاً ، فانه لن يعقد عقدة إلا أحلها ، ولا يحل عقدة عقدتها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها . قال : فأبوا إلا أباموسى الأشعرى فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعرى ـ وكان قد اعتزل ـ فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال : الحمد لله، قيل له : وقد جعلت حكما ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى على رضى الله عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه على بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس بأميرنا ، فقال الأحنف : لاتكتب إلا أمير المؤمنين ، فقال على : امح أمير المؤمنين واكتب هذا ما قاضى عليه على بن أبي طالب ثم استشهد على بقصة الحديبيه حين امتنع أهل مكة هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فكتب الكاتب : هذا ماتقاضى عليه على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علىّ على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين ؛ وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونحيي ما أحيى الله ، ونميت ما أمات الله فما وجد الحكمان في كتاب الله ـ وهما أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ـ ، عملا به وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة

ثم أخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلهما عهد الله وميثاقه أنهما على ما في هذه الصحيفة ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك على تراض منهما ، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، على أن يوافى على ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحكمين أربعمائة من أصحابه ، فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، وقد ذكر الهيثم في كتابه في الخوارج أن الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه : « هذا ماقاضى عبد الله على

أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان » قال معاوية : لوكان أمير المؤمنين لم أقاتله ، ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمى لفضله وسابقته ، فرجع إلى على فكتب كما قال معاوية . وذكر الهيثم أن أهل الشام أبوا أن يبدأ باسم على قبل معاوية ، وباسم أهل العراق قبلهم ، حتى كتب كتابان كتاب لهؤلاء فيه تقديم معاوية على على وكتاب آخر لأهل العراق بتقديم اسم على وأهل العراق على معاوية وأهل الشام وهذه تسمية من شهد على هذا التحكيم من جيش على : عبد الله بن عباس ، والأشعث ابن قيس الكندى ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، وعبد الله بن الطفيل المعافرى ، وحجر بن يزيد الكندى ، وورقاء بن سمى العجلى ، وعبد الله بن بلال العجلى ، وعقبة بن زياد الأنصارى ، ويزيد ابن جحفة التيمى ، ومالك بن كعب الهمدانى . فهؤلاء عشرة . وأما من الشاميين فعشرة آخرون ، وهم أبو الأعور السلمى ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومخارق بن الحارث الزبيدى ، ووائل بن علقمة العدوى ، وعلقمة بن يزيد الحضرمى ، وحمزة بن مالك الهمدانى ، وسبيع بن يزيد الحضرمى ، وعتبة بن أبى سفيان أخو معاوية ، ويزيد بن الحر العبسى . وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه على الطائفتين . ثم شرع الناس فى دفن قتلاهم قال الزهرى : بلغنى أنه دفن فى كل قبر خمسون نفساً ، وكان على قد أسر جماعة من أهل الشام ، فلما أراد الانصراف أطلقهم ، وكان مثلهم أو قريب منهم فى يد معاوية وكان قد عزم على قتلهم لظنه أنه قد قتل أسراهم ، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم أطلق معاوية الذين فى يده ، ويقال إن رجلا يقال له عمرو بن أوس — من الأزد — كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال : امنن على فانك خالى ، فقال : ويحك ! من أين أنا خالك ؟ فقال : إن أم حبيبة زوجة رسول الله (ص) وهى أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها وأنت خالى ، فأعجب ذلك معاوية وأطلقه . وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم — وذكر أهل صفين — فقال : كانوا عربا يعرف بعضهم بعضاً فى الجاهلية فالتقوا فى الاسلام معهم على الحمية وسنة الاسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء فى عسكر هؤلاء ، وهؤلاء فى عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيدفنوهم . قال الشعبى : هم أهل الجنة ، التى بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد .

خروج الخوارج

وذلك أن الأشعث بن قيس مر على ملأ من بنى تميم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أذينة وهى أمه وهو عروة بن جرير من بنى ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبى بلال بن مرداس بن جرير فقال : أتحكمون فى دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤسائهم يعتذرون إلى الأشعث بن قيس من ذلك ،

قال الهيثم بن عدى : والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبى . قلت : والصحيح الأول وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب على من القراء وقالوا : لا حكم إلا لله، فسموا المحكية . وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ، ورجع على إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة سمع رجلا يقول : ذهب على ورجع فى غير شئ . فقال على : للذين فارقناهم خير من هؤلاء وأنشأ يقول :

أخوكَ الذى إنْ أحرجتكَ ملمةٌ * مِنَ الدهرِ لم يبرحْ لبثك راحما

وليسَ أخوكَ بالذى إن تشعبتْ * عليكَ أمورٌ ظلَّ يلحاكَ لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الامارة من الكوفة ، ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من ـ اثنى عشر ألفا ـ وهم الخوارج ، وأبوا أن يساكنوه فى بلده ، ونزلوا بمكان يقال له حروراء ، وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم على رضى الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقى بقيتهم ، فقاتلهم على بن أبى طالب وأصحابه كما سيأتى بيانه وتفصيله قريبا إن شاء الله تعالى . والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم فى الحديث المتفق على صحته أن رسول الله (ص) : « قال تمرق مارقة على حين فرقة من الناس ـ وفى رواية من المسلمين ، وفى رواية من أمتى ـ فيقتلها أولى الطائفتين » . وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع وعفان بن القاسم بن الفضل عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق . » رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن القاسم بن محمد به . وقال أحمد : حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله (ص) « تكون أمتى فرقتين تخرج بينهما مارقة تلى قتلها أولاهما » ورواه مسلم من حديث قتادة وداود بن أبى هند عن أبى نضرة به . وقال احمد : حدثنا ابن أبى عدى عن سليمان عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله (ص) « ذكر قوماً يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس ، سيماهم التحليق هم شر الخلق ـ أو من شر الخلق ـ يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق » قال أبو سعيد : فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى . قال قال رسول الله (ص) : « تفترق أمتى فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق » ورواه عن يحيى القطان عن عوف وهو الأعرابى به مثله فهذه طرق متعددة عن أبى نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدى ، وهو أحد الثقات الرضاء ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن الضحاك المشرقى عن أبى سعيد بنحوه .

فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وسيأتي بيان كيفية قتال علي رضي الله عنه للخوارج ، وصفة المخدج الذي أخبر عنه عليه السلام فوجد كما أخبر ففرح بذلك علي رضي الله عنه وسجد للشكر .

فصل

قد تقدم أن علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ، ذهب إلى الكوفة ، فلما دخلها انعزل عنه طائفة من جيشه ، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثنى عشر ألفاً ، وقيل أقل من ذلك ، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا أشياء ، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلالهم حتى كان منهم ما سنورده قريباً ، ويقال إن علياً رضي الله عنه ذهب إليهم فناظرهم فيما نقموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم إنهم عاهدوا فنكثوا ما عاهدوا عليه وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام على الناس في ذلك ثم تحيزوا إلى موضع يقال له النهروان ، وهناك قاتلهم علي كما سيأتي . قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قتل علي ، فقالت له : ياعبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي ، فقال: ومالي لا أصدقك ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم ، قال : فان علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وإنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله ، واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا لله ، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلا قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف ! حدث الناس فناداه الناس فقالوا :

يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد فى ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ، فماذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بينى و بينهم كتاب الله يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل : [وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما] فأمة محمد (ص) أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا على أن كاتبت معاوية كتبت على بن أبى طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (ص) بالحديبية حين صالح قومه قريشاً فكتب رسول الله (ص) بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف نكتب ؟ « قال أكتب باسمك اللهم ! فقال رسول الله (ص) : اكتب فكتب ، فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً ، يقول الله تعالى فى كتابه [لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم قام ابن الكوا فخطب الناس فقال يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم فى كتاب الله بما لا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه وفى قومه [بل هم قوم خصمون] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لنواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على على الكوفة ، فبعث على إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد (ص) بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء [إن الله لا يحب الخائنين] فقالت له عائشة : يا ابن شداد فقتلهم فقالوا والله مابعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة ، فقالت الله ، قال : الله لا إله إلا هو قد كان ذلك ، قالت : فما شئ بلغنى عن أهل العراق يقولون ذو الثدى وذو الثدية ؟ قال : قد رأيته وكنت مع على فى القتلى فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته فى مسجد بنى فلان ، ورأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول على حيث قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا ! قالت أجل ! صدق الله ورسوله ، يرحم الله علياً إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه فى الحديث تفرد به أحمد وإسناده صحيح واختاره الضياء ففى هذا السياق ما يقتضى أن عدتهم كانوا ثمانية آلاف ، لكن من القراء ، وقد يكون واطأهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا

اثنى عشر ألفاً ، أو ستة عشر ألفاً . ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقى بقيتهم على ماهم عليه ، وقد رواه يعقوب بن سفيان عن موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن سماك أبى زميل عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه فى كونه حكم الرجال ، وأنه محى اسمه من الأمرة ، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبى ، فأجاب عن الأولين بما تقدم ، وعن الثالث بما قال : قد كان فى السبى أم المؤمنين فان قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم ، وإن استحللتم سبى أمهاتكم فقد كفرتم . قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فتقاتلوا . وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما دخل عليهم ، فناظروه فى لبسه إياها ، فاحتج بقوله تعالى [قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق] الآية . وذكر ابن جرير أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوى فى ذلك ، ثم جعلوا يعرضون له فى الكلام و يسمعونه شتما و يتأولون بتأويل فى قوله . قال الشافعى رحمه الله : قال رجل من الخوارج لعلى وهو فى الصلاة [لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] فقرأ على [فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لايوقنون] .

وقد ذكر ابن جرير أن هذا كان وعلى فى الخطبة . وذكر ابن جرير أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا على أشركت فى دين الله الرجال ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب لاحكم إلا لله ، لاحكم إلا لله ، فجعل على يقول : هذه كلمة حق يراد بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئا ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا نمنعكم مساجد الله ، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤنا . ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة وتحيزوا إلى النهر وان على ماسنذكره بعد حكم الحكمين .

اجتماع الحكمين أبى موسى وعمرو بن العاص بدومة الجندل

وذلك فى شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين ، وقال الواقدى اجتمعوا فى شعبان وذلك أن علياً رضى الله عنه لما كان مجئ رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ ، ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، و إليه الصلاة و بعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة فارس من أهل الشام ومنهم عبدالله بن عمر ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح ـ وهى نصف [المسافة] بين الكوفة والشام ، بينها و بين كل من البلدين تسع مراحل ـ وشهد معهم جماعة من رؤس الناس ، كعبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى .

وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهرى وأبى جهم بن حذيفة . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبى وقاص شهدهم أيضاً ، وأنكر حضوره آخرون . وقد ذكر ابن جرير أن عمر بن سعد خرج إلى أبيه وهو على ماء لبنى سليم بالبادية معتزل : فقال يا أبة : قد بلغك ما كان من الناس بصفين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ، فاشهدهم فانك صاحب رسول الله (ص) وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل فى شئ كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ! إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفى التقى » والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو بكر الحنفى عبد الكبير بن عبد المجيد ثنا بكر بن سمار عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد فى غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه قال : يا أبة أرضيت أن تكون أعرابياً فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فانى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى » وهكذا رواه مسلم فى صحيحه . وقال أحمد أيضاً : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا كثير بن زيد الأسلمى عن المطلب عن عمر بن سعد عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال : يا أبة : الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا ؟ فقال : يابنى أفى الفتنة تأمرنى أن أكون رأساً ؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمنا نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتلته ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب الغنى الخفى التقى » وهذا السياق كان عكس الأول ، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلى ويولونه فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الأباء وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء كما ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله (ص) قال : قد « أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » وكان عمر بن سعد هذا يحب الامارة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التى قتلت الحسين بن على رضى الله عنه كما سيأتى بيانه فى موضعه ، ولو قنع بما كان أبوه عليه لم يكن شئ من ذلك . والمقصود أن سعداً لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولاهم به ، وإنما حضره من ذكرنا . فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين ، ونظرا فى تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما ، وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : فول ابنى عبد الله فانه يقاربه فى العلم والعمل والزهد . فقال له أبو موسى : إنك قد غمست ابنك فى الفتن معك ، وهو مع ذلك رجل صدق .

قال أبو مخنف : فحدثنى محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال قال عمرو بن العاص : إن هذا

الأمر لايصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم . وكان ابن عمر فيه غفلة ، فقال له ابن الزبير : افطن وانتبه ، فقال ابن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، ثم قال : يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ماتقارعت بالسيوف وتشاكت بالرماح ، فلاتردنهم فى فتنة مثلها أو أشد منها ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه ، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة ، فأبى أيضاً ، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر فامتنع عمرو أيضاً ، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعليا ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم ، ثم جاءا إلى المجمع الذى فيه الناس - وكان عمرو لا يتقدم بين يدى أبى موسى بل يقدمه فى كل الأمور أدباً وإجلالا - ، فقال له : يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه ، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله (ص) ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها ولا ألم لشعثها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه ، وهو أنا نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر شورى ، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه ، وإنى قد خلعت عليا ومعاوية . ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا قد قال ماسمعتم ، وإنه قد خلع صاحبه ، وإنى قد خلعته كما خلعه وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان بن عفان ، والطالب بدمه ، وهو أحق الناس بمقامه - وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدى إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة ، والاجتهاد يخطئ ويصيب . ويقال إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله .

وذكر ابن جرير أن شريح بن هانئ - مقدم جيش على - وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن لعمرو فضربه بالسوط ، وتفرق الناس فى كل وجه إلى بلادهم ، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبو موسى فاستحيى من على فذهب إلى مكة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى على فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو ، فاستضعفوا رأى أبى موسى وعرفوا أنه لايوازن عمرو بن العاص . فذكر أبو مخنف عن أبى حباب الكلبى أن عليا لما بلغه مافعل عمرو كان يلعن فى قنوته معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبا الأعور السلمى ، وحبيب ابن مسلمة ، والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والوليد بن عتبة ، فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن فى قنوته عليا وحسنا وحسينا وابن عباس والأشتر النخعى ، ولا يصح هذا والله أعلم . فأما الحديث الذى قال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا إسماعيل بن الفضل ثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله

ابن يزيد وحبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال : إنى لأمشى مع علي بشط الفرات فقال : قال رسول الله ص : « إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا ، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين فيضلان ويضلان من اتبعهما » فانه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لاضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندى الحميرى الأعمى قال ابن معين ليس بشئ .

خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً

لما بعث علي أباموسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا فى النكير على عليّ وصرحوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بن البرج الطائى ، وحرقوص بن زهير السعدى فقالا : لا حكم إلا لله ، فقال علي : لا حكم إلا لله ، فقال له حرقوص : تب من خطيئتك واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال علي : قد أردتكم على ذلك فأبيتم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهوداً وقد قال الله تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم] الآية فقال له حرقوص : ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه ، فقال علي : ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأى ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه ، فقال له زرعة بن البرج : أما والله ياعلي لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه ، فقال علي : تباً لك ما أشقاك ! كأنى بك قتيلا تسفى عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له علي : إنك لو كنت محقاً كان فى الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم . فخرجا من عنده يحكمان وفشى فيهم ذلك ، وجاهروا به الناس ، وتعرضوا لعلي فى خطبه وأسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن ، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه . فقام جماعة منهم كل يقول لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضع إصبعه فى أذنيه يقول : [ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر ويقول : حكم الله ننتظر فيكم . ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا مالم تخرجوا علينا ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفئ ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا . وقال أبو مخنف عن عبد الملك عن أبى حرة أن علياً لما بعث أبا موسى لأنفاذ الحكومة اجتمع الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فخطبهم خطبة بليغة زهدهم فى هذه الدنيا ورغبهم فى الآخرة والجنة ،

وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال ، أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة . ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا يدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم [إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] فقال سنان بن حمزة الأسدى : ياقوم إن الرأى ما رأيتم ، وإن الحق ما ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم ، فانه لابد لكم من عماد وسناد ، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائى - وكان من رؤسهم - فعرضوا عليه الامارة فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبى أوفى العبسى فأبى وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبى فقبلها وقال : أما والله لا أقبلها رغبة فى الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت . واجتمعوا أيضاً فى بيت زيد بن حصن الطائى السنبسى فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى [ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله] الآية ، وقوله تعالى : [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون] وكذا التى بعدها و بعدها الظالمون الفاسقون ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ، ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا فى القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين ، فبكى رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السلمى ، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس ، وقال فى كلامه : اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فان أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره ، وإن قتلتم فأى شىء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته ؟

قلت : وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بنى آدم ، فسبحان من نوع خلقه كما أراد ، وسبق فى قدره العظيم . وما أحسن ما قال بعض السلف فى الخوارج إنهم المذكورون فى قوله تعالى : [قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء فى الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم - ممن هو على رأيهم ومذهبهم ، من أهل البصرة وغيرها - فيوافوهم إليها . ويكون اجتماعهم عليها . فقال لهم زيد بن حصن الطائى : إن المدائن لاتقدرون عليها ، فان بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعوها منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ،

ولكن اخرجوا وحدانا لئلا يفطن بكم ، فكتبوا كتابا عاما إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحدانا لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضى رب الأرض والسموات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات ، والعظائم والخطيئات ، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذى نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته مادامت أرواحهم فى أجسادهم مترددات ، والله المسئول أن يعصمنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات ، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة ، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا كتبوا إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة ، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وعندهم أنهم متقربون بذلك . فهم لا يصطلى لهم بنار ، ولا يطمع فى أن يؤخذ منهم بثأر ، وبالله المستعان . وقال أبو مخنف عن أبى روق عن الشعبى أن علياً لما خرجت الخوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى إلى مكة ، ورد ابن عباس إلى البصرة ، قام فى الناس بالكوفة خطيباً فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل الكادح ، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فان المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بأمرى ، ونحلتكم رأيى ، فأبيتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

بذلتُ لهم نصحى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشدَ إلاّ ضحى الغدِ

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنبهما ، وقال ما فيه حط عليهما ، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى الجهاد فى أهل الشام ، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه ، وبعث إلى ابن عباس والى البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى أهل الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذى حكم به الحكمان مردود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام ، فهلموا حتى نجتمع على قتالهم . فكتبوا إليه : أما بعد فانك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء [إن الله لا يحب الخائنين] ، فلما قرأ على كتابهم يئس منهم وعزم على الذهاب إلى أهل الشام ليناجزهم ، وخرج من الكوفة إلى النخيلة فى عسكر كثيف ـ خمسة وستين ألفا ـ وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتى فارس من أهل البصرة مع جارية بن قدامة ألف وخمسمائة ، ومع أبى الأسود

الدولى ألف وسبعمائة ، فكمل جيش على فى ثمانية وستين ألف فارس ومائتى فارس وقام على أمير المؤمنين خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر عند لقاء العدو ، وهو عازم على الشام ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا فى الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) ، أسروه وامرأته معه وهى حامل فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) وانكم قد روعتمونى فقالوا : لا بأس عليك ، حدثنا ما سمعت من أبيك فقال : سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى » فاقتادوه بيده فبينما هو يسير معهم إذ لقى بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم فشق جلده فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذمى ؟ فذهب إلى ذلك الذمى فاستحله وأرضاه وبينا هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها فى فمه ، فقال له آخر : بغير إذن ولا ثمن ؟ فألقاها ذاك من فمه ، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه ، وجاؤا إلى امرأته فقالت : إنى امرأة حبلى ، ألا تتقون الله ، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها ، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء فى ذراريهم وديارهم بهذا الصنع ، فخافوا غائلتهم ، وأشاروا على على بأن يبدأ بهؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك والناس آمنون من شر هؤلاء فاجتمع الرأى على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً فأرسل على إلى الخوارج رسولا من جهته وهو الحرب بن مرة العبدى ، فقال : اخبر لى خبرهم ، واعلم لى أمرهم واكتب إلى به على الجلية ، فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه ، فلما بلغ ذلك عليا عزم على الذهاب إليهم أولا قبل أهل الشام .

مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج

لما عزم على ومن معه من الجيش على البداءة بالخوارج ، نادى مناديه فى الناس بالرحيل فعبر الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك على دير عبد الرحمن ، ثم دير أبى موسى ، ثم على شاطئ الفرات ، فلقيه هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير فى غيره ، فانه يخشى عليه ، فخالفه على فسار على خلاف ما قال فأظفره الله ، وقال على : إنما أردت أن أبين للناس خطأه وخشيت أن يقول جاهل ، إنما ظفر لكونه وافقه ، وسلك على ناحية الأنبار وبعث بين يديه قيس ابن سعد ، وأمره أن يأتى المدائن وأن يتلقاه بنائبها سعد بن مسعود ، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفى ـ فى جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على على ، وبعث إلى الخوارج : أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم ثم أنا تارككم وذاهب إلى العرب ـ يعنى أهل الشام ـ ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه . فبعثوا إلى على يقولون : كلنا قتل إخوانكم ونحن

مستحلون دماءهم ودماءكم . فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم، والخطب الجسيم ، فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصارى أنبهم ووبخهم فلم ينجع ، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتوعدهم وقال : إنكم أنكرتم على أمراً أنتم دعوتموني إليه فنهيتكم عنه فلم تقبلوا بها أنا وأنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه ولا ترتكبوا محارم الله فانكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيما عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الرب عز وجل ، الرواح الرواح إلى الجنة . وتقدموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للنزال فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصن الطائى السنبسى ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدى . ووقفوا مقاتلين لعلى وأصحابه . وجعل على على ميمنته حجر بن عدى ، وعلى الميسرة شبيث بن ربعى ومعقل بن قيس الرياحى ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى ، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصارى ، وعلى أهل المدينة - وكانوا فى سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر علىٌّ أبا أيوب الأنصارى أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن . ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا فى أربعة آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبى ، فزحفوا إلى على فقدم على بين يديه الخيل وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة ، وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤكم ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم على ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى الى الميسرة ، فاستقبلتهم الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الممنة والميسره ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سخبرة السلمى ، قبحهم الله . قال أبو أيوب : وطعنت رجلا من الخوارج بالرمح فانفذته من ظهره وقلت له : أبشر يا عدو الله بالنار ، فقال : ستعلم أينا أولى بها صلياً . قالوا : ولم يقتل من أصحاب على إلا سبعة نفر وجعل على يمشى بين القتلى منهم ويقول : بؤساً لكم ! لقد ضركم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ومن غرهم ؟ قال : الشيطان وأنفس بالسوء أمارة ، غرتهم بالأمانى وزينت لهم المعاصى ، ونبأتهم أنهم ظاهرون ثم أمر بالجرحى من بينهم فاذا هم أربعمائة ، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم . وقال الهيثم بن عدى فى كتاب الخوارج : وحدثنا محمد بن قيس الأسدى ومنصور بن دينار عن عبد الملك

ابن ميسرة عن النزال بن سبرة أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهله كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتى به فرده . وقال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة أن علياً خرج في طلب ذي الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو حرة والريان بن صبرة بن هوذة فوجده الرياني في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلا ، قال : فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حلمة عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة ، فلما رآه علي قال : أما والله ما كذبت لولا أن تتكلوا على العمل لأخبرتكم بما قضى الله في قتالهم عارفاً للحق . وقال الهيثم بن عدي في كتابه في الخوارج : وحدثني محمد بن ربيعة الأخنسي عن نافع بن مسلمة الأخنسي قال كان ذو الثدية رجلا من عرنة من بجيلة ، وكان أسود شديد السواد ، له ريح منتنة معروف في العسكر ، وكان يرافقنا قبل ذلك وينازلنا وننازله . وحدثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريان بن صبرة الحنفي . قال : شهدنا النهروان مع علي ؛ فلما وجد المخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني سفيان الثوري عن محمد بن قيس الهمداني عن رجل من قومه يكنى أبا موسى أن علياً لما وجد المخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني يونس بن أبي إسحاق حدثني إسماعيل عن حبة العرني . قال : لما أقبل أهل النهروان جعل الناس يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي قطع دابرهم . فقال علي : كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فإذا خرجوا من بين الشرايين فقل ما يلقون أحداً إلا ألبوا أن يظهروا عليه ، قال : وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود ، وكان يقال له : ذو البينات . وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال : ما كان عبد الله بن وهب من بغضه علياً يسميه إلا الجاحد . وقال الهيثم بن عدي : ثنا إسماعيل عن خالد عن علقمة بن عامر قال : سئل علي عن أهل النهروان أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل أفمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا : فقيل فما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا . فهذا ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة

الحديث الأول : عن علي رضي الله عنه ، ورواه عنه زيد بن وهب ، وسويد بن غفلة ، وطارق ابن زياد ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعبيدة بن عمرو السلماني ، وكليب أبو عاصم ، وأبو كثير وأبو مريم ، وأبو موسى ، وأبو وائل الوضي فهذه اثنتا عشرة طريقاً إليه ستراها بأسانيدها وألفاظها ومثل هذا يبلغ حد التواتر .

الطريق الأول

قال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق عن همام ثنا عبد الملك ابن أبى سليمان ثنا سلمة بن كهيل حدثنى زيد بن وهب الجهنى أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع الذين ساروا إلى الخوارج فقال على : يا أيها الناس إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ ، يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم (ص) لاتكلوا على العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس لها ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدى ، عليه شعرات بيض ، فيذهبون إلى معاوية وأهل الشام ويتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم ، و إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا فى سرح الناس ، فسيروا على اسم الله . قال سلمة : فذكر زيد بن وهب منزلا منزلا حتى مروا على قنطرة فلما التقينا ـ وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى ـ فقال لهم : ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم وكسروا جفونها فانى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم . قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان ، فال على : التمسوا فيهم المخدج ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام على بنفسه حتى أتى ناساً بعضهم إلى بعض ، فقال : أخروه فوجدوه مما يلى الأرض فقال : أخروهم فوجدوهم مما يلى الأرض فكبر ثم قال : صدق الله و بلغ رسوله قال : فقام إليه عبيدة السلمانى فقال : يا أمير المؤمنين والله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله (ص) إى والله الذى لا إله إلا هو ، فاستحلفه ثلاثا وهو يحلف له أنه سمعه من رسول الله (ص) » ، هذا لفظ مسلم .

وقد رواه أبو داود عن الحسن بن على الخلال عن عبد الرزاق بنحوه .

طريق أخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش وعبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش بن خيثمة عن سويد بن غفلة قال قال على : إذا حدثتكم عن رسول الله (ص) فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بينى و بينكم فان الحرب خدعة ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمتى فى آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ـ قال عبد الرحمن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ـ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجراً لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة » وأخرجاه فى الصحيحين من طرق عن الأعمش به .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا الوليد بن القاسم الهمدانى ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد قال : سار على إلى النهروان قال الوليد فى روايته : وخرجنا معه فقتل الخوارج فقال اطلبوا المخدج فان رسول الله (ص) قال : « سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحق لايجاوز حلوقهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد فى يده شعرات سود ، إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس . قال الوليد ، فى روايته : فبكينا قال : إنا وجدنا المخدج فخررنا سجوداً وخر على ساجداً معنا » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

طريق أخرى

رواه عبد الله بن شداد عن على كما تقدم قريبا إيراده بطوله .

طريق أخرى عن علي

قال مسلم : حدثنى أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن بشر بن سعيد عن عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله أن الحرورية لما خرجت ـ وهو مع على بن أبى طالب ـ قالوا : لاحكم إلا لله ، قال على : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله (ص) وصف ناساً إنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء ، يقولون : الحق بألسنتهم لايجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه ـ من أبغض خلق الله منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدى » فلما قتلهم على بن أبى طالب قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال : ارجعوا فانظروا ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ـ مرتين أو ثلاثا ـ فوجدوه فى خربة فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول على فيهم ، زاد يونس فى روايته قال بكير : وحدثنى رجل عن ابن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود . تفرد به مسلم .

طريق أخرى

قال أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا أيوب عن محمد عن عبيدة عن على قال : ذكرت الخوارج عند على فقال : فيهم مخدج اليد أو مثدون اليد ؟ ـ أو قال مودن اليد ـ ولولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (ص) ، قال قلت : أنت سمعته من محمد ؟ قال : إى ورب الكعبة إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، وقال أحمد : ثنا وكيع ثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة عن على قال قال رسول الله (ص) : « يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان

نبيه (ص) ، قال عبيدة قلت لعلى : أنت سمعته من رسول الله (ص)؟ قال : إى ورب الكعبة إى ورب الكعبة وقال أحمد : ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد عن عبيدة قال قال على لأهل النهروان : فيهم رجل مثدون اليد أو مخدوج اليد ، ولولا أن تبطروا لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه (ص) لمن قتلهم ، قال عبيدة : فقلت لعلى : أنت سمعته ؟ قال : إى ورب الكعبة ، يحلف عليها ثلاثا . وقال أحمد : ثنا ابن أبي عدى عن أبي بن عون عن محمد قال قال عبيدة : لا أحدثك إلا ما سمعت منه ، قال محمد : فحلف لنا عبيدة ثلاث مرات ، وحلف له على قال قال : لولا أن تبطروا لأنبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (ص). قال : قلت أنت سمعته ؟ قال : إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، فيهم رجل مخدج اليد أو مثدون اليد أحسبه قال : أو مودن اليد . وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن علية وحماد بن زيد كلاهما عن أيوب وعن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدى عن ابن عون كلاهما عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن على . وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين . وقد حلف على أنه سمعه من عبيدة وحلف عبيدة أنه سمعه من على أنه سمعه من رسول الله (ص) ، وقد قال على : لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أكذب على رسول الله (ص) .

طريق أخرى

قال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل : حدثنى إسماعيل أبو معمر ثنا عبد الله بن إدريس ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال : كنت جالساً عند على إذ دخل رجل عليه ثياب السفر فاستأذن على على وهو يكلم الناس فشغل عنه فقال على : إنى دخلت على رسول الله (ص) وعنده عائشة فقال : « كيف أنت ويوم كذا وكذا ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : فقال قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيهم رجل مخدج اليد كأن يديه يدى حبشية ، أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم » فذكر الحديث بطوله ، ثم رواه عبد الله ابن أحمد عن أبي خيثمة زهير بن حرب عن القاسم بن مالك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن على . فذكر نحوه إسناده جيد .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى : أخبرنا أبو القاسم الأزهرى أنا على بن عبد الرحمن الكنانى أنا محمد بن عبد الله بن عطاء عن سليمان الحضرمى أنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى أنا خالد بن عبيد الله عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جحيفة . قال على حين فرغنا من الحرورية إن فيهم رجلا ليس فى عضده عظم ثم عضده كحلمة الثدى عليها شعرات طوال عقف ، فالتمسوه فلم

يجـدوه قال : فما رأيت عليا جزع جزعاً أشـد من جزعه يومئذ ، فقالوا : ما نجده يا أمير المؤمنين . فقال : ويلـكم ما اسم هذا المـكان ؟ قالوا : النهروان ، قال : كذبتم إنه لفيهم ، فثورنا القتلى فلم نجده فعدنا إليه فقلنا : يا أمير المؤمنين ما نجده ، قال : ما اسم هذا المـكان ؟ قلنا : النهروان ، قال : صدق الله ورسوله وكذبتم ، إنه لفيهم فالتمسوه ، فالتمسناه فوجدناه فى ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة ثدى المرأة عليها شعرات طوال عقف .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا إسماعيل بن مسلم العبدى ثنا أبو كثير مولى الانصار قال : كنت مع سيدى مع على بن أبى طالب حيث قتل أهـل النهروان ، فـكأن الناس وجدوا فى أنفسهم من قتلهم ، فقال على : ياأيها الناس إن رسول الله (ص) « قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه ، وإن آية ذلك أن فيهم رجلا أسود مخدج اليد إحـدى يديه كثدى المرأة ، لها حلمة كحلمة ثدى المرأة ، حوله سبع هلبات فالتمسوه فانى أراه فيهـم ، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه فـكبر على ، فقال : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ، وإنه لمتقلد قوساً له عربية فأخـذها بيده فجعل يطعن بها فى مخدجتـه ويقول : صـدق الله ورسوله . وكبر الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهـم ما كانوا يجدون » تفرد به أحمد .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو خيثمة ثنا شبابة بن سوار حدثنى نعيم بن حكيم حدثنى أبو مريم ثنا على بن أبى طالب أن رسول الله (ص) قال : « إن قوماً يمرقون من الاسـلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، علامتهـم رجل مخدج » وقال أبو داود فى سننه : حدثنا بشر بن خالد ثنا شبابة بن سوار عن نعيم بن حكيم عن أبى مريم قال : إن كان ذاك المخدج لمعنا يومئذ فى المسجد نجالسه الليل والنهار ، وكان فقيراً ، ورأيتـه مع المساكين يشهد طعام على مع الناس ، وقـد كسوته برنساً لى ، قال أبو مريم : وكان المخدج يسمى نافعاً ذا الثـدية ، ودان فى يده مثل ثدى المرأة ، على رأسه حلمة مثل حلمة الثدى عليه شعرات مثل سبالة السنور .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو على الروزبارى أنا ابو محمد عبد الله بن عمرو ابن شوذب المقرى الواسطى بها ثنا شعيب بن أيوب ثنا أبو الفضـل بن دكين عن سفيان ـ هو الثورى ـ عن محمد بن قيس عن أبى موسى رجل من قومه قال : كنت مع على فجعل يقول : التمسوا المخدج فالتمسوه فلم يجدوه ، قال : فأخذ يعرق ويقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، فوجدوه فى نهر

أود إلية فسجد .

طريق أخرى

قال أبو بكر البزار : حدثنى محمد بن مثنى ومحمد بن معمر ثنا عبدالصمد ثنا سويد بن عبيدالعجلى ثنا أبو مؤمن . قال : شهدت على بن أبى طالب يوم قتل الحرورية وأنا مع مولاى فقال : أنظروا فان فيهم رجلا إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، وأخبرنى النبى (ص) أنى صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، وقالوا : سبعة نفر تحت النخلة لم نقلبهم بعد ، قال : ويلكم انظروا ، قال أبو مؤمن : فرأيت فى رجليه حبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه فخر على ساجداً وقال : أبشروا قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار ، ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو موسى عن على غير هذا الحديث .

طريق أخرى

قال البزار : حدثنا يوسف بن موسى ثنا إسحاق بن سليمان الرازى سمعت أبا سفيان عن حبيب ابن أبى ثابت قال : قلت لشقيق بن سلمة ـ يعنى أبا وائل ـ حدثنى عن ذى الثدية ، قال : لما قاتلناهم قال على : اطلبوا رجلا علامته كذا وكذا ، فطلبناه فلم نجده ، فبكى وقال : اطلبوه ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده فبكى وقال : اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده قال : وركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بردى فلما رآه سجد . ثم قال البزار : لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن على إلا هذا الحديث .

طريق أخرى

قال عبدالله بن أحمد : حدثنى عبيد الله بن عمرو القواريرى ثنا حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة عن أبى الوضى قال : شهدت علياً حين قتل أهل النهروان قال : التمسوا المخدج : فطلبوه فى القتلى فقالوا ليس نجده فقال : ارجعوا فالتمسوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، فرجعوا فطلبوه فردد ذلك مراراً ، كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذبت ، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى فى طين فاستخرجوه فجىء به ، قال أبو الوضى : فكأنى أنظر إليه حبشى عليه ثدى قد طبق ، إحدى يديه مثل ثدى المرأة، عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع » وقد رواه أبو داود عن محمد بن عبيد بن حساب عن حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة ثنا أبو الوضى ـ واسمه عباد بن نسيب ـ ولكنه اختصره وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثنا حجاج بن يوسف الشاعر حدثنى عبد الصمد بن عبد الوارث ثنايزيد بن أبى صالح أن أبا الوضى عباداً حدثه أنه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع على بن أبى طالب. فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شذ منا ناس كثيرون فذكرنا ذلك لعلى فقال : لا يهولنكم أمرهم فانهم سيرجعون فذكر الحديث بطوله قال : فحمد الله على بن أبى طالب وقال : إن خليلى أخبرنى أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حلمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع ، فالتمسوه فلم يجدوه فأتيناه

فقلنا : إنا لم نجده ، فجعل يقول : اقلبوا ذا ، اقلبوا ذا ؟ حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال : هو هذا ؟ فقال على : الله أكبر ، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه ، فجعل الناس يقولون : هذا مالك ، هذا مالك ، فقال على : ابن من ؟ وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثنى حجاج بن الشاعر حدثنى عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبى صالح أن أبا الوضى عباداً حدثه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع على فذكر حديث المخدج قال على : « فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثا ، ثم قال على : أما أن خليلى أخبرنى بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثانى له جمع كثير ، والثالث فيه ضعف » وهذا السياق فيه غرابة جداً . وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن ؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الانس أو شياطين الجن ، إن صح هذا السياق والله تعالى أعلم . والمقصود أن هذه طرق متواترة عن على إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذى تواطأت الروايات عليه صحيح لايشك فيه عن على أنه رواه عن رسول الله (ص) أنه أخبر عن صفة الخوارج وذى الثدية الذى هو علامة عليهم . وقد روى ذلك من طريق جماعة من الصحابة غير على كما تراها بأسانيدها وألفاظها وبالله المستعان . وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورافع بن عمرو الغفارى ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصارى ، وسهل بن حنيف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله ابن مسعود ، وعلى ، وأبو ذر ، وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قدمنا حديث على بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة وصاحب القصة . ولنذكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج .

الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بكير ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) « يخرج قوم فى آخر الزمان سفهاء الأحلام ، أحداث - أو حدثاء - الأسنان ، يقولون من خير قول الناس يقرؤن القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن أدركهم فليقتلهم فان فى قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم » وقد رواه الترمذى عن أبى كريب وأخرجه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ثلاثتهم عن أبى بكر بن عياش به ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين فخبره فى ذلك من أقوى الأسانيد .

الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا سليمان التيمي ثنا أنس قال : ذكر لي أن نبي الله (ص) قال ـ ولم أسمعه منه ـ : « إن فيكم فرقة يتعبدون ويدينون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي حدثني قتادة عن أنس بن مالك وأبي سعيد قال أحمد وقد حدثنا أبو المغيرة فقال عن أنس عن أبي سعيد ، ثم رجع أن النبي (ص) قال : « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، صيامه مع ، وصيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لايرجعون حتى يرتد السهم على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شئ ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يارسول الله ما سيماهم ؟ قال : التحليق » . وقد رواه أبو داود في سننه عن نصر بن عاصم الانطاكي عن الوليد بن مسلم وقيس بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأوزاعي عن قتادة وأبي سعيد عن أنس به . وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وحده . وقد روى البزار من طريق أبي سفيان وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثا في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

الحديث الرابع عن جابر بن عبدالله

قال الامام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن شهاب عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله (ص) عام الجعرانة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله اعدل ، فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ لقد خبت إن لم أكن أعدل » فقال عمر : يارسول الله دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، أو تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » وقال أحمد : حدثنا علي بن عياش ثنا إسماعيل بن عياش حدثني يحيى بن سعيد أخبرني أبو الزبير قال : سمعت جابراً يقول : بصر عيني وسمع أذني رسول الله (ص) بالجعرانة وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (ص) يقبضها للناس يعطيهم ، فقال رجل : اعدل فقال : « ويلك من يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : دعني أقتل هذا المنافق الخبيث ، فقال رسول الله (ص) : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ،

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة عن معاذ بن رفاعة ثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما قسم رسول الله (ص) غنائم هوازن بالجعرانة قام رجل من بني تميم فقال : اعدل يا محمد فقال : « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل قال : فقال عمر : يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق ؟ قال : معاذ الله أن يتسامع الامم أن محمداً يقتل أصحابه ، ثم قال رسول الله (ص) : إن هذا وأصحاباً له يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال معاذ : فقال لي أبو الزبير : فعرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني فيه إلا أنه قال النضو وقلت القدح قال : ألست رجلا عربياً ؟ . وقد رواه مسلم عن محمد بن رمح عن الليث وعن محمد بن مثنى عن عبد الوهاب الثقفي واخرجه النسائي من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه حديث رافع بن عمرو الأنصاري مع حديث أبي ذر رضي الله عنهما .

الحديث الخامس عن سعد بن أبي وقاص

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميدي ثنا سفيان ـ هو ابن عيينة ـ حدثني العلاء بن أبي عياش أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال : « ذكر رسول الله (ص) ذا الثدية فقال : شيطان الردهة كراعي الخيل يحتدره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم ظلمة » قال سفيان : فأخبرني عمار الذهبي أنه جاء رجل يقال له : الأشهب وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة به مختصراً ولفظه « شيطان الردهة يحتدره رجل من بجيلة» تفرد به أحمد وحكى البخاري عن علي بن المديني قال : لم أسمع بذكر بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث . وروى يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد الهمداني قال : سمعت سعيد بن أبي وقاص يقول : « قتل علي شيطان الردهة » قال الحافظ أبو بكر البيهقي : يريد والله أعلم قتله أصحاب علي بأمره . وقال الهيثم بن عدي : حدثنا إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل قال : بلغ سعد بن أبي وقاص أن علياً بن أبي طالب قتل الخوارج فقال : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة .

الحديث السادس عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري

وله طرق عنه الاولى منها

قال الامام أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ثنا جامع بن قطر الحبطي ثنا أبو روبة شداد بن عمر

العنسى عن أبى سعيد الخدرى أن أبا بكر جاء إلى رسول الله (ص) فقال يارسول الله إنى مررت بوادى كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلى ، فقال له رسول الله (ص) : «اذهب إليه فاقتله» قال فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحالة كره أن يقتله . فجاء إلى رسول الله (ص) فقال النبى (ص) لعمر : « اذهب إليه فاقتله » قال : فذهب عمر فرآه على تلك الحال التى رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله إنى رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله . قال : « يا على اذهب فاقتله » فذهب على فلم يره فرجع ، فقال : يا رسول الله إنى لم أره فقال رسول الله (ص) « هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لايعودون فيه حتى يعود السهم فى فوقه فاقتلوهم هم شر البرية » تفرد به أحمد . وقد روى البزار فى مسنده من طريق الأعمش عن أبى سفيان عن أنس بن مالك وأبو يعلى عن أبى خيثمة عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار وعن يزيد الرقاشى عن أنس من هذه القصة وأطول منها وفيها زيادات اخرى .

الطريق الثانى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن حبيب بن ابى ثابت عن الضحاك المشرقى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص) فى حديث « ذكر قوماً يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق» أخرجاه فى الصحيحين كما سيأتى فى ترجمة أبى سلمة عن أبى سعيد .

الطريق الثالث

قال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا عكرمة بن عمار ثنا عاصم بن شميخ عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله (ص) إذا حلف فاجتهد فى اليمين قال « والذى نفس أبى القاسم بيده ليخرجن قوم من أمتى تحقرون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية . قالوا : فهل من علامة يعرفون بها ؟ قال : فيهم رجل ذو يدية أو ثدية محلقى رؤسهم » قال أبو سعيد : فحدثنى عشرون أو بضع وعشرون من اصحاب النبى (ص) ان عليا ولى قتلهم قال فرأيت أبا سعيد بعد ما كبر و يديه ترتعش و يقول : قتالهم عندى أحل من قتال عدتهم من الترك . وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به .

الطريق الرابع

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن أبيه عن ابن أبى نعم عن أبى سعيد الخدرى قال :« بعث على وهو باليمن إلى رسول الله (ص) بذهبية فى تربتها فقسمها رسول الله (ص) بين الأقرع ابن حابس الحنظلى ثم أحد بنى مجاشع ، و بين عيينة بن بدر الفزارى و بين علقمة بن علاثة أو عامر ابن الطفيل أحد بنى كلاب ، و بين زيد الخيل الطائى ، ثم أحد بنى نبهان . قال : فغضبت قريش

والأنصار قالوا تعطى صناديد أهل نجد وتدعنا ؟ قال : إنما أتألفهم . قال . فأقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبين كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال : يا محمد اتق الله فقال : من يطيع الله إذا عصيته ؟ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني ، قال : فسأل رجل من القوم قتله النبي (ص.) ـ أراه خالد بن الوليد ـ فمنعه ، فلما ولى قال : إن من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد . رواه البخارى من حديث عبد الرزاق به ، ثم رواه أحمد عن محمد ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبى نعم عن أبى سعيد وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل ، ولاينافى سؤال عمر بن الخطاب . وهو فى الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع من سيرته : وقال فيه إنه سيخرج من صلبه ونسله ، لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا ، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما أراد من ضئضئ هذا أى من شكله وعلى صفته فالله أعلم . وهذا لرجل هو ذو الخويصرة التميمى وسماه بعضهم حرقوصاً فالله أعلم .

الطريق الخامس

قال الامام أحمد : ثنا عفان ثنا مهدى بن ميمون ثنا محمد بن سيرين عن معبد بن سيرين عن أبى سعيد عن النبى (ص.) قال : « يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لايعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه ، قيل : ماسيماهم؟ قال : سيماهم التحليق أو التسبيد » ورواه البخارى عن أبى النعمان محمد بن الفضل عن مهدى بن ميمون به .

الطريق السادس

قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا سويد بن نجيح عن يزيد الفقير قال : قلت لأبى سعيد : إن منا رجالا هم أقرؤنا للقرآن ، وأكثرنا صلاة وأوصلنا للرحم ، وأكثرنا صوما ، خرجوا علينا بأسيافهم . فقال أبو سعيد : سمعت النبى (ص.) يقول : « يخرج قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » تفرد به أحمد ولم يخرجوه فى الكتب الستة ولا واحد منهم ، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد بن نجيح هذا مستور .

الطريق السابع

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد قال بينا رسول الله (ص.) يقسم قسما إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله أتأذن لى فيه فأضرب عنقه ؟ فقال : دعه فان له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يمرقون

من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر فى نضيه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر فى رضافه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شئ ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فترة من الناس ، فنزلت فيه [ومنهم من يلمزك فى الصدقات] الآية » قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله (ص) وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله (ص) . ورواه البخارى عن أبى بكر بن أبى شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر ، ورواه البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن الزهرى به ، لكن فى رواية مسلم عن حرملة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن أبى سلمة ، والضحاك الهمدانى عن أبى سعيد به . ثم رواه أحمد عن محمد بن مصعب عن الأوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمة والضحاك المشرقى عن أبى سعيد فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق ، وفيه أن عمر هو استأذن فى قتله ، وفيه « يخرجون على حين فرقة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالله » قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله (ص) ، وأنى شهدت عليا حين قتلهم ، فالتمس فى القتلى فوجد على النعت الذى نعته رسول الله (ص) . ورواه البخارى عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعى كذلك . وقال أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد أنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر فى النصل فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر فى القدح فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر فى الريش فلا يرى شيئاً ويتمارى فى الفوق» قال عبد الرحمن : حدثنا به مالك ــ يعنى هذا الحديث ــ ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف عن مالك به . ورواه البخارى ومسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة وعطاء بن يسار عن أبى سعيد به وقال أحمد : حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة قال : جاء رجل إلى أبى سعيد فقال : هل سمعت رسول الله (ص) يذكر فى الحرورية شيئاً ؟ فقال : سمعته يذكر قوماً يتعمقون فى الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، وصومه عند صومهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، أخذ سهمه فينظر فى نصله فلم ير شيئاً ثم ينظر فى رضافه فلم ير شيئاً ، ثم ينظر فى القذذ فيمارى هل يرى شيئاً أم لا » ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون به .

الطريق الثامن

قال الامام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى عن سليمان عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله (ص.) « ذكر قوماً يكونون فى أمتـه يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحليق ، ثم هم شر الخلق ، ومن شر الخلق ، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق ، قال : فضرب النبى (ص.) لهم مثلا - أو قال قولا - الرجل يرمى الرمية - أو قال الغرض - فينظر فى النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر فى النضى فلا يرى بصيرة ، وينظر فى الفوق فلا يرى بصيرة » فقال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقد رواه عن محمد بن المثنى عن محمد بن أبى عدى عن سليمان - وهو ابن طرخان التيمى عن أبى نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة عن أبى سعيد الخدرى بنحوه

الحديث الثامن

عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عـدى ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : جاء رجل إلى قوم فقال : لمن هـذه الخباء ؟ قالوا : لسلمان الفارسى ، قال أفلا تنطلقون معي فيحدثنا ونسمع منه ، فانطلق معه بعض القوم فقال : يا أبا عبد الله لو أدنيت خباك وكنت منا قريباً فحدثتنا وسمعنا منك ؟ فقال : ومن أنت ؟ قال : فلان بن فلان . قال سلمان : قد بلغنى عنك معروف . بلغنى أنك تخف فى سبيل الله ، وتقاتل العدو ، وتخدم أصحاب رسول الله (ص.) ، فان اخطأتك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله (ص.). قالوا : فوجد ذلك الرجل قتيلا فى أصحاب النهروان .

الحديث التاسع

عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر ثنا حزام بن إسماعيـل العامرى عن أبى إسحاق الشيبانى عن بسر بن عمرو قال : دخلت عـلى سهل بن حنيف فقلت حدثنى ما سمعت من رسول الله (ص.) قال فى الحرورية ، قال : أحدثك ما سمعت من النبى (ص.) لا أزيدك عليه شيئاً ، سمعت رسول الله (ص.) يذكر قوما يخرجون من هاهنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال : قلت هل ذكر لهم علامة ؟ قال : هذا ما سمعت لا أزيدك عليه . وقـد أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الواحد بن زياد ومسلم من حديث على ابن مسهر والعوام بن حوشب والنسائى من حديث محمد بن فضيل كلهم عن أبى إسحاق الشيبانى به وقد رواه مسلم ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا على بن مسهر عن الشيبانى عن بسر بن عمرو قال : سألت سهل بن حنيف سمعت رسول الله (ص.) يذكر الخوارج ؟ فقال : سمعته - وأشار بيده نحو المشرق -

قوم يقرؤن القرآن بألسنتهم لايعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية حدثناه أبو كامل ثنا عبد الواحد ثنا سليمان الشيبانى بهذا الاسناد وقال : « يخرج منه أقوام » حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر : حدثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب ثنا أبو إسحاق الشيبانى عن بسر بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبى (ص) قال : فتنة قوم قبل المشرق محلقة رؤسهم .

الحديث العاشر عن ابن عباس

قال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا يوسف بن موسى ثنا الحسن بن الربيع ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « يقرأ القرآن أقوام من أمتى يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وسويد بن سعيد كلاهما عن أبى الأحوص باسناده مثله .

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد ثنا أبو حساب يحيى بن أبى حية عن شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج من أمتى قوم يسيئون الأعمال يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : « يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله كلما طلع منهم قرن قطعه الله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فردد ذلك رسول الله (ص) عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : « الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ » .

الحديث الثاني عشر عن عبدالله بن عمرو

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالى ، فجئته فجاء رجل فانتبذ الناس عليه خميصة فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ، لا يبقى فى الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضهم ، تقذرهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف ـ » قال : وسمعت رسول الله (ص) يقول : « سيخرج ناس من أمتى قبل المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدها زيادة على عشر مرات ، كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال فى

بقيتهم » وقد روى أبو داود أوله فى كتاب الجهاد من سننه عن القواريرى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة . وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

الحديث الثالث عشر عن ابي ذر

قال مسلم بن الحجاج : حدثنا شيبان بن فروخ ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حبيب بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر . قال قال رسول الله (ص) : « إن بعدى من أمتى - أو سيكون بعدى من أمتى - قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يعودون فيه شر الخلق والخليقة قال ابن الصامت : فلقيت رافع بن عمرو الغفارى أخا الحاكم الغفارى قال : ماحدث سمعت من أبى ذر كذا كذا ؟ فقال : وأنا سمعته من رسول الله (ص) . لم يروه البخارى.

الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة

قال الحافظ البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ثنا أبو العباس الأصم ثنا السرى عن يحيى ثنا أحمد بن يونس ثنا على بن عباس عن حبيب بن مسلمة . قال قال على : « لقد علمت عائشة أن جيش المردة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد (ص) » قال ابن عباس : جيش المشرق قتلة عثمان رضى الله عنه وقال الهيثم بن عدى : حدثنى إسرائيل عن يونس عن جده أبى إسحاق السبيعى عن رجل عن عائشة قال : بلغها قتل على الخوارج فقالت : قتل على بن أبى طالب شيطان الردهة - تعنى المخدج - وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح ثنا سهل بن عامر البجلى ثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) الخوارج فقال : « شرار أمتى يقتلهم خيار أمتى » قال : وحدثناه إبراهيم بن سعيد ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم ثنا عطاء ابن السائب عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة عن النبى (ص) فذكر نحوه قال : فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان . ثم قال البزار : لا نعلم روى عن عطاء عن أبى الضحى عن مسروق إلا هذا الحديث ، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم وسليمان بن قرم قد تكلموا فيه لكن الاسناد الأول يشهد لهذا كما أن هذا يشهد للأول فهما متعاضدان ، وهو غريب من حديث أم المؤمنين ، وقد تقدم فى حديث عبد الله بن شداد عن على مايدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولاسيما خبر ذى الثدية كما تقدم ، وإنما أوردنا هذه الطرق كلها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلالات النبوة ، كما ذكره غير واحد من الأئمة فيها والله تعالى أعلم . وقال : سألت عائشة رضى الله عنها بعد ذلك عن خبر ذى الثدية فتيقنته من طرق متعددة . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أنا أبو عبد الله أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندى بالكوفة من أصل سماعه ثنا محمد بن صدقة الكاتب حدثنى

أحمد بن أبان فقرأت فيه حدثنى الحسن بن عيينة ، وعبد الله بن أبى السه بن عامر الشعبى عن مسروق قالت عائشة : عندك علم عن ذى الثدية الذى أصابه على فى الحرورية : قلت لا قالت : فاكتب لى بشهادة من شهدهم ، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سبع ثم أتيتها بشهاداتهم فقرأتها عليها، قالت : أكل هؤلاء عاينوه ؟ قلت . لقد سألتهم فأخبرونى بأن كلهم قد عاينوه ، فقالت : لعن الله فلانا فانه كتب إلى أ ه أصابهم بنيل مصر ثم أرخت عينيها فبكت فلما سكنت عبرتها قالت : رحم الله عليا لقد كان على الحق ،وما كان بينى و بينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها .

حديث آخر عن رجلين من الصحابة

قال الهيثم بن عدى فى كتاب الخوارج : حدثنى سليمان بن المغيرة عن حبيب بن هلال قال أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقيل لهما : ما أقدمكما العراق ؟ قالا : رجونا أن ندرك هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله (ص) ، فوجدنا على بن أبى طالب قد سبقنا إليهم - يعنيان أهل النهروان -

حديث فى مدح على رضى الله عنه على قتال الخوارج

قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ثنا مطر عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الربيدى عن أبيه قال : سمعت أبا سعيد يقول: «كنا جلوساً ننتظر رسول الله (ص) فخرج علينا من بيوت بعض نسائه قال فقمنا معه ، فانقطعت نعله فتخلف عليها على يخصفها فمضى رسول الله (ص) ومضينا معه ثم قام ينتظره وقمنا معه ، فقال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها وفيهم أبو بكر ، وعمر فقال : لا ولكنه خاصف النعل، قال : فجئنا نبشره قال : فكأنه قد سمعه » ورواه أحمد عن وكيع وأبى أسامة عن قطر بن خليفة فأما الحديث الذى قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسماعيل بن موسى ثنا الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن على بن ربيعة قال : سمعت عليا على منبركم هذا يقول : « عهد إلى النبى (ص) أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » وقد رواه أبو بكر بن المقرئ عن الجد بن عبادة البصرى عن يعقوب بن عباد عن الربيع بن سهل الفزارى به ، فانه حديث غريب ومنكر ، على أنه قد روى من طرق عن على وعن غيره ولا تخلو واحدة منها عن ضعف والمراد بالناكثين يعنى أهل الجمل وبالقاسطين أهل الشام وأما المارقون فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدى فى كامله عن أحمد بن حفص البغدادى عن سليمان بن يوسف عن عبيد الله بن موسى عن قطر عن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن على قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وقال الحافظ : أبو بكر الخطيب

البغدادي : أخبرني الأزهري ثنا محمد بن المظفر ثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال : وجدت في كتاب جدي محمد بن ثابت ثنا شعيب بن الحسن السلمي عن جعفر الأحمر عن يونس بن الارقم عن أبان عن خليد المصري قال . سمعت عليا أمير المؤمنين يقول يوم النهروان : « أمرني رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن فرج الجنديسابوري انا هارون بن إسحاق ثنا أبو غسان عن جعفر - أحسبه الأحمر - عن عبد الجبار الهمداني عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي . قال : « أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين » وقال الحاكم أبو عبد الله أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن غنم الحنظلي بقنطرة بردان ثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي حدثني أبي حدثني عمي عن عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثني جدي سعد بن جنادة عن علي رضي الله عنه قال : أمرت بقتال ثلاثة ، القاسطين ، والناكثين ، والمارقين . فأما القاسطون فأهل الشام ، وأما الناكثون فذكرهم ، وأما المارقون فأهل النهروان - يعني الحرورية - وقال الحافظ ابن عساكر : أنا أبو القسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد الأديب أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين ثنا محمد بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن عمرو الباهلي ثنا كثير بن يحيى ثنا أبو عوانة عن أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال : أمرني رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحافظ : حدثنا الامام أبو بكر أحمد بن الحسن الفقيه أنا الحسن بن علي ثنا زكريا بن يحيى الخراز المقرئ ثنا إسماعيل بن عباد المقرئ ثنا شريك عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص.) فأتى منزل أم سلمة فجاء علي فقال رسول الله (ص.) : « يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي » .

حديث ابي سعيد في ذلك

قال الحاكم : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا الحسين بن الحكم الحيري ثنا إسماعيل بن أبان ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن ابي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال : « أمرنا رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت : يارسول الله ! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ فقال : مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر » .

حديث ابي ايوب في ذلك

قال الحاكم : أنا أبو الحسن علي بن حماد المعدل ثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ثنا عبد العزيز

ابن الخطاب ثنا محمد بن كثير عن الحرث بن خضيرة عن أبي صادق عن مخنف بن سليمان . قال : أتينا أبا أيوب فقلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله (ص) ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال : « أمرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » قال الحاكم : وحدثنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن بالويه ثنا الحسن بن علي بن شبيب العمري ثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل حدثني أبو زيد الأموي عن عتاب بن ثعلبة في خلافة عمر بن الخطاب قال : « أمرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب وقال الخطيب البغدادي : حدثنا الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن جعفر المطيري ثنا أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من راى ثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد ثنا شريك عن سليمان بن مهران عن الأعمش عن علقمة والأسود قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له : يا أبا أيوب ! إن الله أكرمك بنزول محمد (ص) وبمجيء ناقته تفضلا من الله وإكراماً لك حين أناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال : يا هذا إن الرائد لايكذب أهله ، وإن رسول الله (ص) أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل ، طلحة والزبير ، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ـ يعني معاوية وعمراً ـ وأما المارقون فهم أهل الطرفات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروان ، والله ما أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله . قال : وسمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحق والحق معك ، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس غيره فاسلك مع علي فانه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار فقلنا : ياهذا ! حسبك رحمك الله حسبك رحمك الله » ، هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من جهة المعلى بن عبد الرحمن فانه متروك الحديث .

فصل

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه : في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال : وذكر عيسى بن دأب قال : لما انصرف علي رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال : بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله (ص) . أما بعد فان الله قد أعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا

ونصلت أسنتنا ، فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستمد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة من فارقنا وهلك منا فانه أقوى لنا على عدونا — وكان الذى تكلم بهذا الأشعث بن قيس الكندى فبايعهم وأقبل بالناس حتى نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم و يوطنوا أنفسهم على جهاد عدوهم ويقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم ، فأقاموا معه أياما متمسكين برأيه وقوله ، ثم تسللوا حتى لم يبق منهم أحد إلا رءوس أصحابه ، فقام على فيهم خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق وفالق الأصباح وناشر الموتى وباعث من فى القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأوصيكم بتقوى الله فان أفضل ما توسل به العبد الايمان والجهاد فى سبيله وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، وإقام الصلاة ، فانها الملة ، وإيتاء الزكاة فانها من فريضته ، وصوم شهر رمضان فانه جنة من عذابه ، وحج البيت فانه منفاة للفقر مدحضة للذنب ، وصلة الرحم فانها مثراة فى المال ، منسأة فى الاجل ، محبة فى الأهل ، وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وتطفئ غضب الرب ، وصنع المعروف فانه يدفع ميتة السوء ويقى مصارع الهول ، أفيضوا فى ذكر الله فانه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد المتقون فان وعد الله أصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم (ص) فانه أفضل الهدى ، واستنوا بسنته فانها أفضل السنن ، وتعلموا كتاب الله فانه أفضل الحديث ، وتفقهوا فى الدين فانه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فانه شفاء لما فى الصدور ، وأحسنوا تلاوته فانه أحسن القصص ، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون ، فان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذى لا يستقيم عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير فى جهله ، وكلاهما مضلل مثبور ، لا ترتابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا ، ولا تدهنوا فى الحق فتخسروا ، ألا وإن من الحزم أن تتقوا ، ومن الثقة أن لا تغتروا ، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، من يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخف ويندم ، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه فى العافية ، وخير مادام فى القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ، ومن ابتدع فقد ضيع ، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة ، المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الريا من الشرك ، وإن الاخلاص من العمل والايمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان ، وتدعو إلى كل غى ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار ، وهى مصائد الشيطان ، فأصدقوا الله فان الله مع من صدق وجانبوا الكذب فان الكذب مجانب للايمان ألا إن الصدق على شرف منجاة وكرامة ، وإن الكذب على شرف ردى وهلكة ، ألا وقولوا الحق تعرفوا به

واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذ عاهدتم فأوفوا ، وإذا حكمتم فاعدلوا ، ولا تفاخروا بالآباء ، ولا تنابزوا بالألقاب ، ولا تمازحوا ، ولا يغضب بعضكم بعضاً ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وافشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها [وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب] وأكرموا الضيف ، وأحسنوا إلى الجار ، وعودوا المرضى ، وشيعوا الجنائز ، وكونوا عباد الله إخوانا ، أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أظلت وأشرفت باطلاع ، وان المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة والغاية النار ، ألا وإنكم فى أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل ، فمن أخلص لله عمله فى أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله ، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله ، وضره أمله ، فاعملوا فى الرغبة والرهبة فان نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة ، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فان الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ، ولمن شكر بالزيادة ، وإنى لم أر مثل الجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر مكتسبا من شئ كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر ، وتبلى فيه السرائر ، وتجتمع فيه الكبائر ، وإنه من لاينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لايستقيم به الهدى يجر به الضلال ، ومن لاينفعه اليقين يضره الشك ، ومن لاينفعه حاضره فعازبه عنه أعور ، وغائبه عنه أعجز : وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسى الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ، ولا تكونوا من بنى الدنيا فان اليوم عمل ولاحساب وغدا حساب ولا عمل ، وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر . وقد روى لها شواهد من وجوه أخر متصلة ولله الحمد والمنة . وقد ذكر ابن جرير : أن عليا رضى الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات فى الجهاد من سور متفرقة ، وحث على المسير إلى عدوهم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه ، واستمروا فى بلادهم ، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا ، فدخل على الكوفة .

فصل

وقد ذكر الهيثم بن عدى أنه خرج على على بعد النهروان رجل يقال له : الحارث بن راشد الناجى ، قدم مع أهل البصرة ، فقال لعلى : إنك قد قاتلت أهل النهروان فى كونهم أنكروا عليك

قصة التحكيم وتزعم أنك قد أعطيت أهل الشام عهودك ومواثيقك ، وأنك لست بناقضها ، وهذان الحكمان قد اتفقا على خلعك ثم اختلفا فى ولاية معاوية فولاه عمرو وامتنع أبو موسى من ذلك ، فأنت مخلوع باتفاقهما ، وأنا قد خلعتك وخلعت معاوية معك ، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه - بنى ناجية وغيرهم - وتحيزوا ناحية ، فبعث إليهم على معقل بن قيس الرماحى فى جيش كثيف فقتلهم معقل قتلا ذريعاً وسبى من بنى ناجية خمسمائة أهل بيت فقدم بهم ليقدم بهم على على فتلقاه رجل يقال له : مصقلة بن هبيرة أبو المغلس - وكان عاملا لعلى على بعض الأقاليم - فتضرروا إليه وشكوا ماهم فيه من السبى ، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمائة الف درهم وأعتقهم ، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة ، فكتب معقل إلى ابن عباس فقال له مصقلة : إنى انما جئت لأدفع ثمنهم إليك ثم هرب منه إلى على فكتب ابن عباس ومعقل إلى على فطالبه على فدفع من الثمن مائتى ألف ثم انشمر هارباً فلحق بمعاوية بن أبى سفيان بالشام ، فأمضى على عتقهم وقال : مابقى من المال فى ذمة مصقلة ؟ وأمر بداره فى الكوفة فهدمت . وقد روى الهيثم عن سفيان الثورى و إسرائيل عن عمار الدهنى عن أبى الطفيل أن بنى ناجية ارتدوا فبعث إليهم : معقل بن قيس فسباهم فاشتراهم مصقلة من على بثلثمائة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية . قال الهيثم وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحيى من العرب ارتد وابعد الردة التى كانت فى أيام الصديق . وقال الهيثم : حدثنى عبد الله[1] بن تميم بن طرفة الطائى حدثنى أبى أن عدى بن حاتم قال مرة لعلى بن أبى طالب وهو يخطب : قتلت أهل النهروان على انكار الحكومة ، وقتلت الحريث بن راشد على مسألتهم إياك أيضاً الحكومة ، والله ما بينهما موضع قدم . فقال له على : أسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضبع بجبل طىء بالأمس . فقال له عدى : وأنت والله قد رأيناك بالأمس تأكل البلح بالمدينة . قال الهيثم : ثم خرج على على رجل من أهل البصرة فقتل فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيبانى ، فقتل هو وأصحابه ، قال : ثم خرج على على الأشهب بن بشر البجلى ثم أحد عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه . قال : ثم خرج على على سعيد بن نفد التيمى ثم من بنى ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة درزيجان فوق المدائن . قال الهيثم : أخبرنى بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته .

فصل

ذكر ابن جرير عن أبى مخنف لوط بن يحيى - وهو أحد أئمة هذا الشأن - أن قتال على للخوارج يوم النهروان ، كان فى هذه السنة - أعنى سنة سبع وثلاثين - قال ابن جرير : وأكثر أهل السير

---

(١) كذا فى الأصل وفى نسخة : عبيد بن تميم .

على أن ذلك كان فى سنة ثمان وثلاثين وصححه ابن جرير ، قلت : وهو الأشبه كما سننبه عليه فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى . قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة ـ يعنى سنة سبع وثلاثين ـ عبيد الله بن عباس نائب على على اليمن ومخالفها . وكان نائب مكة قثم بن العباس ، وعلى المدينة تمام بن عباس ، وقيل سهل بن حنيف ، وعلى البصرة عبد الله بن عباس ، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلى ، وعلى مصر محمد بن أبى بكر ، وعلى بن أبى طالب أمير المؤمنين مقيم بالكوفة ، ومعاوية بن أبى سفيان مستحوذ على الشام . قلت : ومن نيته أن يأخذ مصر من محمد بن أبى بكر .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة كان قد أصابه سبى فى الجاهلية فاشترته أنمار الخزاعية التى كانت تختن النساء ، وهى أم سباع بن عبد العزى الذى قتله حمزة يوم أحد وحالف بنى زهرة ، أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم ، وكان ممن يؤذى فى الله فيصبر ويحتسب ، وهاجر وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد . قال الشعبى : دخل يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال : ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال . فقال : يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يؤذى وكان له من يمنعه ، وإنى كنت لا ناصر لى والله لقد سلقونى يوماً فى نار أججوها ووضع رجل رجله على صدرى فما اتقيت الأرض إلا بظهرى ، ثم كشف عن ظهره فاذا هو برص رضى الله عنه ، ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعودونه فقالوا : أبشر غداً تلقى الأحبة محمداً وحزبه فقال : والله إن إخوانى مضوا ولم يأكلوا من دنياهم شيئاً ، وإنا قد أينعت لنا ثمرتها فنحن نهدبها ، فهذا الذى يهمنى . قال : وتوفى بالكوفة فى هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة

خزيمة بن ثابت

ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصارى ذو الشهادتين وكانت راية بنى حطمة معه يوم الفتح ، وشهد صفين مع على ، وقتل يومئذ رضى الله عنه

سفينة مولى رسول الله ص. قد قدمنا ترجمته فى الموالى المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه .

عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم

أسلم عام الفتح وكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم مع كتاب الوحى * عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلى فصارت امرتها للأشتر النخعى * عبد الله بن خباب بن الأرت . ولد فى حياة النبى (ص) وكان موصوفاً بالخير ، قتله الخوارج كما قدمنا بالنهروان فى هذه السنة ، فلما جاء على قال لهم : أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون فقالوا : كلنا قتله فقاتلهم * عبد الله بن سعد بن أبى سرح : أحد كتاب الوحى أيضاً ، أسلم قديماً وكتب الوحى

ثم ارتد ثم عاد إلى الاسلام عام الفتح واستأمن له عثمان ـ وكان أخاه لأمه ـ وحسن إسلامه وقد ولاه عثمان نيابة مصر بعموت عمرو بن العاص ، فغزا إفريقية و بلاد النوبة ، وفتح الأندلس وغزا ذات الصوارى مع الروم فى البحر فقتل منهم ما صبغ وجه الماء من الدماء ، ثم لما حصر عثمان تغلب عليه محمد بن أبى حذيفة وأخرجه من مصر فمات فى هذه السنة وهو معتزل عليا ومعاوية ، فى صلاة الفجر بين التسليمتين رضى الله عنه .

عمار بن ياسر ابو اليقظان العبسي

من عبس اليمن ، وهو حليف بنى مخزوم ، أسلم قديماً وكان ممن يعذب فى الله هو وأبوه وأمه سمية ، و يقال إنه أول من اتخذ مسجداً فى بيته يتعبد فيه ، وقد شهد بدراً وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وأن رسول الله (ص.) قال « : تقتلك الفئة الباغية » وروى الترمذى من حديث الحسن عن أنس أن رسول الله (ص.) قال : « إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، على وعمار وسلمان » وفى الحديث الآخر الذى رواه الثورى وقيس بن الربيع وشريك القاضى وغيرهم عن أبى إسحاق عن هانئ بن هانئ عن على أن عماراً استأذن على رسول الله (ص.) فقال : « مرحباً بالطيب المطيب » وقال إبراهيم ابن الحسين : حدثنا يحيى حدثنى نصر ثنا سفيان الثورى عن أبى الأعمش عن أبى عمار عن عمرو ابن شرحبيل عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله (ص.) قال : « لقد ملئ عمار إيماناً من قدمه إلى مشاشه » وحدثنا يحيى بن معلى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت : « مامن أحد من أصحاب رسول الله (ص.) أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فانى سمعت رسول الله (ص.) يقول : إن عمار بن ياسر حشى مابين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيمانا » وحدثنا يحيى ثنا عمرو بن عون أنا هشيم عن العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة قال : أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدثنى قال : كان بينى و بين عمار بن ياسر كلام فى شئ فشكانى إلى رسول الله (ص.) فقال : « ياخالد ! لا تؤذ عماراً فانه من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يعاد عماراً يعاده الله » قال : فعرضت له بعد ذلك فسللت ما فى نفسه . وله أحاديث كثيرة فى فضائله رضى الله عنه قتل بصفين عن إحدى وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتز رأسه ، ثم اختصما إلى معاوية أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص : اندرا فوالله إنكما لتختصمان فى النار ، فسمعها منه معاوية فلامه على تسميعه إياهما ذلك ، فقال له عمرو : والله إنك لتعلم ذلك ، ولوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . قال الواقدى ، حدثنى الحسن بن الحسين بن عمارة عن أبى إسحاق عن عاصم أن علياً صلى عليه ولم يغسله وصلى معه على هاشم بن عتبة ، فكان عمار مما يلى عليا ، وهاشم إلى نحو القبلة . قالوا : وقبر هنالك ، وكان آدم اللون ، طويلا بعيداً ما بين

المنكبين : أشهل العينين ، رجلا لا يغير شيبه رضى الله عنه .

الربيع بن معوذ بن عفراء

أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله (ص) إلى الغزوات فتداوى الجرحى ، وتسقى الماء للكلمى ، وروت أحاديث كثيرة * وقد قتل فى هذه السنة فى أيام صفين خلق كثير وجم غفير ، فقيل قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . وقيل قتل من أهل العراق أربعون ألفاً ـ من مائة وعشرين ألفاً ـ وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً وبالجملة فقد كان فيهم أعيان ومشاهير يطول استقصاؤهم وفيما ذكرنا كفاية والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبى بكر واستناب معاوية عمراً عليها ، وذلك كما سنبينه ، وقد كان على رضى الله عنه استناب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانتزعها من يد محمد بن أبى حذيفة حين كان استحوذ عليها ومنع عبد الله بن سعد بن أبى سرح من التصرف فيها ، حين حصر عثمان ـ وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص ـ وعمرو كان هو الذى افتتحها كما قدمنا ذكر ذلك . ثم إن عليا عزل قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبى بكر وقد ندم على على عزل قيس بن سعد عنها ، وذلك أنه كان كفوا لمعاوية وعمرو ، ولما ولى محمد بن أبى بكر لم يكن فيه قوة تعادل معاوية وعمراً ، وحين عزل قيس بن سعد عنها رجع إلى المدينة ثم سار إلى على بالعراق فكان معه ، وكان معاوية يقول : والله لقيس بن سعد عند على أبغض إلى من مائة ألف مقاتل بدله عنده ، فشهد معه صفين فلما فرغ على من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبى بكر لكونه شاب ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر إلى قيس بن سعد وكان قد جعله على شرطته أو إلى الأشتر النخعى وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فكتب إليه بعد صفين فاستقدمه عليه ثم ولاه مصر ، فلما بلغ معاوية تولية على للأشتر النخعى ديار مصر بدل محمد بن أبى بكر عظم ذلك عليه ، وذلك أنه كان قد طمع فى مصر واستنزاعها من يد محمد ابن أبى بكر ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته ، فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القلزم استقبله الخانسار وهو مقدم على الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شرابا من عسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن لله جنوداً من عسل . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل فى أن يحتال على الأشتر ليقتله ووعده على ذلك بأمور ففعل ذلك ، وفى هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضى الله عنه . والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعى ، ولما بلغ ذلك عليا

تأسف على شجاعته وغنائه ، وكتب إلى محمد بن أبى بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، غير أنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا وقد كانوا استفحل أمرهم حين انصرف على من صفين ، وحين كان من أمر التحكيم ما كان ، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام ، وقد كان أهل الشام حين انقضت الحكومة بدومة الجندل سلموا على معاوية بالخلافة وقوى أمرهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن السمط وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، وبسر بن أبى أرطاة ، وأبا الأعور السلمى ، وحمزة بن سنان الهمدانى وغيرهم ، فاستشارهم فى المسير إلى ديار مصر فاستجابوا له وقالوا : سر حيث شئت فنحن معك ، وعين معاوية نيابتها لعمرو بن العاص اذا فتحها ففرح بذلك عمرو بن العاص ، ثم قال عمرو لمعاوية : أرى أن تبعث إليهم رجالا مع رجل مأمون عارف بالحرب ، فان بها جماعة ممن يوالى عثمان فيساعدونه على حرب من خالفهم ، فقال معاوية : لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا ممن هنالك كتابا يعلمهم بقدومهم عليهم ، ونبعث إلى مخالفينا كتابا ندعوهم فيه إلى الصلح . وقال معاوية : إنك يا عمرو رجل بورك لك فى العجلة وإنى امرؤ بورك لى فى التؤدة ، فقال عمرو : افعل ما أراك الله ، فوالله ما أمرك وأمرهم الاسيصير إلى الحرب العوان ، فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، وإلى معاوية بن خديج السكونى - وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر ممن لم يبايع عليا ولم يأتمر بأمر نوابه بمصر فى نحو من عشرة آلاف - يخبرهم بقدوم الجيش عليهم سريعاً ، وبعث به مع مولى له يقال له سبيع ، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن خديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيوش والجند والمدد إن شاء الله تعالى، فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص فى ستة آلاف ، وخرج معاوية مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل والتؤدة ، وأن يقتل من قاتل ويعفو عمن أدبر ، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة ، فاذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك ، فسار عمرو بن العاص إلى مصر ، فلما قدمها اجتمعت عليه العثمانية فقادهم ، وكتب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبى بكر : أما بعد فتنح فانى لا أحب أن يصيبك منى ظفر ، فان الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان ، فاخرج منها فانى لك لمن الناصحين والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه : أما بعد فان غب البغى والظلم عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة فى الدنيا والتبعة الموبقة فى الآخرة وإنا لا نعلم أحداً كان أشد خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه ، ثم إنك تظن أنى عنك نائم أو ناس ذلك لك ، حتى تأتى فتأمر على بلاد أنت بها جارى وجل أهلها أنصارى وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله

بجهادك ولن يسلك الله من القصاص أينما كنت والسلام . قال : فطوى محمد بن أبى بكر الكتابين و بعث بهما إلى على وأعلمه بقدوم عمرو إلى مصر فى جيش من قبل معاوية ، فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلى بأموال و رجال والسلام . فكتب إليه يأمره بالصبر و بمجاهدة العدو، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال ، ويمده بما أمكنه من الجيوش . وكتب محمد بن أبى بكر كتابا إلى معاوية فى جواب ماقال وفيه غلظة ، وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص وفيه كلام غليظ وقام محمد ابن أبى بكر فى الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام ، وتقدم عمرو ابن العاص إلى مصر فى جيوشه ، ومن لحق به من العثمانية المصريين ، والجميع فى قريب من ستة عشر ألفاً ، وركب محمد بن أبى بكر فى ألفى فارس الذين انتدبوا معه من المصريين وقدم على جيشه بين يديه كنانة بن بشر فجعل لا يلقاه أحد من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم فلو بين إلى عمرو ابن العاص ، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن خديج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب ، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو [وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا] الآية ، ثم قاتل حتى قتل وتفرق أصحاب محمد بن أبى بكر عنه و رجع يمشى فرأى خربة فآوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن خديج فى طلب محمد بن أبى بكر فمر بعلوج فى الطريق فقال لهم : هل مر بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا ! فقال رجل منهم : إنى رأيت رجلا جالساً فى هذه الخربة ، فقال : هو هو ورب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها ـ وقد كاد يموت عطشا ـ فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان قد قدم معه إلى مصر ـ فقال : أيقتل أخى صبراً ؟ فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن خديج أن يأتيه بمحمد بن أبى بكر ولا يقتله فقال معاوية : كلا والله ، أيقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبى بكر ، وقد كان ممن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء ، وقد سألهم محمد بن أبى بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية : لاسقانى الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن محمد بن أبى بكر نال من معاوية بن خديج هذا ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً ، فعند ذلك غضب معاوية بن خديج فقدمه فقتله ثم جعله فى جيفة حمار فأحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديداً وضمت عياله إليها ، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلوات .

وذكر الواقدى أن عمرو بن العاص قدم مصر فى أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمى فالتقوا مع المصريين بالمسناة فاقتتلوا قتالا شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى ، فهرب عند

ذلك محمد بن أبى بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق ، فدل عليه فجاء معاوية بن خديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبى بكر فقاتل حتى قتل . قال الواقدى : وكان ذلك فى صفر من هذه السنة ، قال الواقدى : ولما قتل محمد بن أبى بكر بعث على الأشتر النخعى إلى مصر فمات فى الطريق فالله أعلم . قال : وكانت أذرح فى شعبان فى هذه السنة أيضاً ، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة واجتماع الجماعة ، وبما عهد لهم من الأمر . وقد زعم هشام بن محمد الكلبى أن محمد بن أبى حذيفة بن عتبة مسك بعد مقتل محمد بن أبى بكر ـ وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان ـ فبعثه عمرو بن العاص إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية ، فحبسه معاوية بفلسطين فهرب من السجن ، فلحقه رجل يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام بأرض البلقاء ، فاختفى محمد بغار فجاءت حمر وحش لتأوى إليه فلما رأته فيه نفرت فتعجب من نفرها جماعة من الحصادين هنالك ، فذهبوا إلى الغار فوجدوه فيه ، فجاء أولئك إليه فخشى عبد الله بن عمرو بن ظلام أن يرده إلى معاوية فيعفو عنه ، فضرب عنقه ، هكذا ذكر ذلك ابن الكلبى . وقد ذكر الواقدى وغيره أن محمد بن أبى حذيفة قتل فى سنة ست وثلاثين كما قدمنا فالله أعلم .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل فى كتابه : ثنا عبد الله بن صالح حدثنى ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطى من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين ـ يكتب إليهم بذلك ـ فاستخرج منه بضعاً وخمسين أردبا دنانير ، قال أبو صالح : والأردب ست ويبات والويبة مثل القفيز واعتبرنا الويبة فوجدناها تسعا وثلاثين ألف دينار ، قلت : فعلى هذا يكون يبلغ ما كان أخذ من القبطى ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار .

قال أبو مخنف بإسناده : ولما بلغ على بن أبى طالب مقتل محمد بن أبى بكر وما كان بمصر من الأمر ، وتملك عمرو لها ، واجتماع الناس عليه وعلى معاوية قام فى الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين ، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة ، فلما كان الغد خرج يمشى إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش ، فلما كان العشى بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلانى بكم وبمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، أو ليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ، ويجيبونه فى السنة مرتين والثلاث إلى أى وجه شاء ؟ وأنا أدعوكم وأنتم أولوا النهى وبقية الناس على المعونة وطائفة من العطاء فتفرقون عنى وتعصوننى وتختلفون على ؟

فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي فندب الناس إلى امتثال أمر علي والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمساً ، ثم قدم على علي جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو بها ، فبعث إلى مالك بن كعب فرده من الطريق - وذلك أنه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، والخروج عليه والبعد عن أحكامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم ، فكتب علي عند ذلك إلى ابن عباس - وهو نائبه على البصرة - يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة ، فرد عليه ابن عباس يسليه في ذلك ، ويعزيه في محمد بن أبي بكر ويحثه على تلافي الناس والصبر على مسيئهم ، فإن ثواب الله خير من الدنيا ، ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي وهو بالكوفة واستخلف ابن عباس على البصرة زياداً ، وفي هذا الحين بعث معاوية بن أبي سفيان كتابا مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعوهم إلى الاقرار بما حكم له عمرو بن العاص ، فلما قدمها نزل على بني تميم فأجاروه فنهض إليه زياد وبعث إليه أعين بن ضبيعة في جماعة من الناس فساروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين بن ضبيعة ، فكتب زياد إلى علي يعلمه بما وقع بالبصرة بعد خروج ابن عباس منها ، فبعث عند ذلك علي جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلا الى قومه بني تميم ، وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي وقصده جارية فحصره في دار هو وجماعة معه ، قيل : كان عددهم أربعين ، وقيل سبعين ، فحرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤا له .

فصل

وقد صحح ابن جرير أن قتال علي لأهل النهروان كان في هذه السنة ، وكذلك خروج الخريت ابن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً ، وكان مع الخريت ثلثمائة رجل من قومه بني ناجية - وكان مع علي بالكوفة - فجاء إلى علي فقام بين يديه وقال : والله ياعلي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ، إني لك غدا لمفارق . فقال له علي : ثكلتك أمك إذاً تعصي ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلا نفسك ، ولم تفعل ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في الكتاب وضعفت عن قيام الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الظالمين ، فأنا عليك زاري وعليك ناقم ، وإنا لكم جميعاً مباينون . ثم رجع إلى أصحابه فسار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم معقل بن قيس ثم أردفه بخالد بن معدان الطائي - وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة - وأمره أن يسمع له ويطيع ، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً ، ثم خرجوا في آثار الخريت وأصحابه فلحقوهم - وقد أخذوا في جبال رامهرمز قال فصففنا لهم ثم أقبلنا

إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي ، ووقف الحريث فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة ، وجعل من اتبعه من الاكراد والعلوج ميسرة ، قال : وسار فينا معقل بن قيس فقال : عباد الله ! لاتبدؤا القوم وغضوا أبصاركم ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا فى قتالكم بالأجر إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين ، وعلوجاً كسروا الخراج ، ولصوصاً وأكراداً ، فاذا حملت فشدوا شدة رجل واحد . ثم تقدم فحرك دابته تحريكتين ثم حمل عليهم فى الثالثة وحملنا معه جميعنا فوالله ماصبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين ، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلثمائة ، وفر الحريث منهزما حتى لحق باساف ـ وبها جماعة من قومه كثيرة ـ فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر ، قتله النعمان بن صهبان ، وقتل معه فى المعركة مائة وسبعون رجلا . ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بين أصحاب على والخوارج فيها أيضاً ثم قال : حدثنى عمر بن شيبة ثنا أبو الحسن ـ يعنى المدائنى ـ على بن محمد بن على بن مجاهد قال قال الشعبى : لما قتل على أهل النهر خالفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمى إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال ، وطمع أهل الخراج فى كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس ـ وكان عاملا عليها ـ فأشار عليه ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها فولاه إياها فسار إليها فى السنة الآتية فى جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الخراج

قال ابن جرير وغيره : وحج بالناس فى هذه السنة قثم بن العباس ، نائب على على مكة ، وأخوه عبيدالله ابن عباس نائب اليمن ، وأخوهما عبد الله نائب البصرة ، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة ، وعلى خراسان خالد بن قرة اليربوعى وقيل ابن أبزى ، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستناب عليها عمرو بن العاص .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سهل بن حنيف

ابن واهب بن العليم بن ثعلبة الأنصارى الأوسى ، شهد بدراً ، وثبت يوم أحد ، وحضر بقية المشاهد ، وكان صاحباً لعلى بن أبى طالب ، وقد شهد معه مشاهده كلها أيضاً غير الجمل فانه كان قد استخلفه على المدينة ، ومات سهل بن حنيف فى سنة ثمان وثلاثين بالكوفة ، وصلى عليه على فكبر خمساً وقيل ستا وقال إنه من أهل بدر رضى الله عنه .

صفوان بن بيضاء اخو سهيل بن بيضاء

شهد المشاهد كلها وتوفى فى هذه السنة فى رمضانها وليس له عقب .

صهيب بن سنان بن مالك

الرومى وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط وكان أبوه أو عمه عاملا لكسرى على الايلة ، وكانت

منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات ، فاغارت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير ، فأقام عندهم حينا ثم اشترته بنو كلب فحملوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حيناً ، فلما بعث رسول الله (ص) آمن به ، وكان ممن أسلم قديماً هو وعمار في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلا ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله عز وجل ، ولما هاجر رسول الله (ص) هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدوه عن الهجرة ، فلما أحس بهم نثل كنانته فوضعها بين يديه وقال : والله لقد علمتم أني من أرماكم ، ووالله لاتصلون إلى حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلا منكم ، ثم أقاتلكم بسيفي حتى أقتل . وإن كنتم تريدون المال فأنا أدلكم على مالي هو مدفون في مكان كذا وكذا ، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله ، فلما قدم قال له رسول الله (ص) : « ربح البيع أبا يحيى » وأنزل الله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ، وشهد بدراً وأحداً وما بعدهما ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذى يصلي بالناس حتى تعين عثمان ، وهو الذى ولى الصلاة على عمر — وكان له صاحباً — وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر وكان لسانه فيه عجمة شديدة ، وكان مع فضله ودينه فيه دعابة وفكاهة وانشراح ، روى أن رسول الله (ص) رآه يأكل بقثاء رطباً وهو أرمد إحدى العينين ، فقال : « أتأكل رطبا وأنت أرمد » ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة ، فضحك رسول الله (ص) . وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقد نيف على السبعين .

محمد بن أبي بكر الصدّيق

ولد في حياة النبي (ص) في حجة الوداع تحت الشجرة عند الحرم وأمه أسماء بنت عميس ، ولما احتضر الصديق أوصى أن تغسله فغسلته ، ثم لما انقضت عدتها تزوجها علي فنشأ في حجره ، فلما صارت إليه الخلافة استنابه على بلاد مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا ، فلما كانت هذه السنة بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبي بكر كما تقدم ، وله من العمر دون الثلاثين ، رحمه الله ورضي عنه .

أسماء بنت عميس

ابن معبد بن الحارث الخثعمية، أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وقدمت معه إلى خيبر ، ولها منه عبد الله ، ومحمد ، وعون . ولما قتل جعفر بمؤتة تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت منه محمد بن أبي بكر أمير مصر ثم لما مات الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعونا ، وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها . وكذلك هي أخت أم

الفضل امرأة العباس لأمها ، وكان لها من الأخوات لأمها تسع أخوات ، وهى أخت سلمى بنت عميس امرأة العباس التى له منها بنت اسمها عمارة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فيها جهز معاوية بن أبى سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها فى أطراف معاملات على بن أبى طالب، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاه عمرو بن العاص بعد اتفاقه مع أبى موسى على عزل على ، أن ولايته وقعت الموقع ، فهو الذى يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش على من أهل العراق لا تطيعه فى كثير من الامر ولا يأتمرون بأمره ، فلا يحصل بمباشرته المقصود من الامارة والحالة هذه ، فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك . وكان ممن بعث فى هذه السنة النعمان بن بشير فى ألفى فارس إلى عين التمر ، وعليها مالك بن كعب الأرحبى فى ألف فارس مسلحة لعلى ، فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا عنه فلم يبق مع مالك بن كعب إلا مائة رجل فكتب عند ذلك إلى على يعلمه بما كان من الامر ، فندب على الناس إلى مالك بن كعب فتثاقلوا ونكلوا عنه ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم على عند ذلك فقال فى خطبته : « يا أهل الكوفة ! كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام انجحر كل منكم فى بيته ، وغلق عليه بابه . انجحار الضب فى جحره ، والضبع فى وجاره ، المغرور والله من غررتموه ، ولمن فارقكم فاز بالسهم الأصيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم ، عمى لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون » ودهمهم النعمان بن بشير فاقتتلوا قتالا شديداً وليس مع مالك بن كعب إلا مائة رجل قد كسر واجفون سيوفهم واستقتلوا ، فبيناهم كذلك إذ جاءهم نجدة من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف فى خمسين رجلا ، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم ففروا هرابا ، فاتبعهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس وذهب الباقون على وجوههم ولم يتم لهم أمر من هذا الوجه . وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف فى ستة آلاف وأمره بأن يأتى هيت فيغير عليها ، ثم يأتى الأنبار والمدائن . فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم إلى الأنبار وفيها مسلحة لعلى نحو من خمسمائة ، فتفرقوا ولم يبق منهم إلا مائة رجل ، فقاتلوا مع قلتهم وصبروا حتى قتل أميرهم ــ وهو أشرس بن حسان البلوى ــ فى ثلاثين رجلا من أصحابه ، واحتملوا ما كان بالانبار من الأموال وكروا راجعين إلى الشام ، فلما بلغ الخبر علياً رضى الله عنه ركب بنفسه فنزل بالنخيلة فقال له الناس : نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما تكفوننى ولا أنفسكم ، وسرح سعد بن قيس فى أثر القوم فسار وراءهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع . وفيها بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزارى فى ألف وسبعمائة إلى تيماء وأمره أن يصدق أهل البوادى ومن

امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتى المدينة ومكة والحجاز . فسار إلى تيماء واجتمع عليه بشر كثير ، فلما بلغ عليا بعث المسيب بن نجبة الفزارى فى ألفى رجل فالتقوا بتيماء فاقتتلوا قتالا شديداً عند زوال الشمس ، وحمل المسيب بن نجبة على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له : النجا النجا ، فانحاز ابن مسعدة فى طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به وهرب بقيتهم إلى الشام ، وانتهبت الأعراب ما كان جمعه ابن نجبة من إبل الصدقة ، وحاصرهم المسيب بن نجبة ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب وألهب فيه النار ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا من الحصن ، ومتوا إليه بأنهم من قومه فرق لهم وأطفأ النار ، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا هرابا إلى الشام ، فقال عبد الرحمن بن شبيب للمسيب بن نجبة : سر حتى ألحقهم ! فقال : لا ! فقال : غششت أمير المؤمنين داهنت فى أمرهم . وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس فى ثلاثة آلاف وأمره أن يغير على أطراف جيش على ، فجهز على حجر بن عدى فى أربعة آلاف وأنفق فيهم خمسين درهماً خمسين درهماً ، فالتقوا بتدمر فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا ، ومن أصحاب حجر بن عدى رجلان ، وغشيهم الليل فتفرقوا ، واستمر الضحاك بأصحابه فاراً إلى الشام . وفيها سار معاوية بنفسه فى جيش كثيف حتى بلغ دجلة ثم كر راجعاً . ذكره محمد بن سعد عن الواقدى باسناده وأبو معشر أيضاً

وفى هذه السنة ولى على بن أبى طالب زياد بن أبيه على أرض فارس ، وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة ، وسبب ذلك حين قتل ابن الحضرمى وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة فى تلك الدار كما قدمنا ، فلما اشتهر هذا الصنيع فى البلاد تشوش قلوب كثير من الناس على على ، واختلفوا على على ، ومنع أكثر أهل تلك النواحى خراجهم ، ولاسيما أهل فارس فإنهم تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف ـ كما تقدم فى العام الماضى ـ من بين أظهرهم ، فاستشار على الناس فيمن يوليه عليهم ، فأشار ابن عباس وجارية بن قدامة أن يولى عليهم زياد بن أبيه ، فإنه صليب الرأى ، عالم بالسياسة . فقال على : هو لها ، فولاه فارس وكرمان وجهزه إليهما فى أربعة آلاف فارس ، فسار إليها فى هذه السنة فدوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج وما كان عليهم من الحقوق ، ورجعوا إلى السمع والطاعة ، وسار فيهم بالمعدلة والامانة ، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربى فى اللين والمداراة والعلم بما يأتى ، وصفت له تلك البلاد بعدله وعلمه وصرامته ، واتخذ للمال قلعة حصينة ، فكانت تعرف بقلعة زياد ، ثم لما تحصن فيها منصور اليشكرى فيما بعد ذلك عرفت به فكان يقال لها قلعة منصور .

قال الواقدى : وفى هذه السنة بعث على بن أبى طالب عبد الله بن عباس على الموسم وبعث معاوية يزيد بن سخبرة الرهاوى ليقيم للناس الحج فلما اجتمعا بمكة تنازعا وأبى كل واحد

منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبة بن عثمان بن أبى طلحة الحجبى فحج بالناس وصلى بهم فى أيام الموسم قال أبو الحسن المدائنى : لم يشهد عبد الله بن عباس الموسم فى أيام على حتى قتل ، والذى نازعه يزيد بن سخبرة إنما هو قثم بن العباس حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان . قال ابن جرير : وكما قال أبو الحسن المدائنى قال أبو مصعب . قال ابن جرير : وأما عمال على على الأمصار فهم الذين ذكرنا فى السنة الماضية غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة الى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ثم سار زياد فى هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سعد القرظي

مؤذن مسجد قبا فى زمان رسول الله (ص) ، فلما ولى عمر الخلافة ولاه أذان المسجد النبوى وكان أصله مولى لعمار بن ياسر ، وهو الذى كان يحمل العنزة بين يدى أبى بكر وعمر وعلى إلى المصلى يوم العيد وبقى الأذان فى ذريته مدة طويلة .

عقبة بن عمرو بن ثعلبة

أبو مسعود البدرى سكن ماء بدر ولم يشهد الوقعة بها على الصحيح ، وقد شهد العقبة ، وهو من سادات الصحابة وكان ينوب لعلى بالكوفة إذا خرج لصفين وغيرها .

سنة أربعين من الهجرة

قال ابن جرير : فما كان فى هذه السنة من الأمور الجليلة توجيه معاوية بسر بن أبى أرطاة فى ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائى عن عوانة قال : أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبى أرطاة ـ وهو رجل من بنى عامر بن لؤى ـ فى جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ـ وعامل على عليها يومئذ أبو أيوب ـ ففر منهم أبو أيوب فأتى عليا بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى على المنبر : يا دينار ويا نجار ويا زريق شيخى شيخى عهدى به هاهنا بالأمس فأين هو ؟ ـ يعنى عثمان بن عفان ـ ثم قال : يا أهل المدينة والله لولا ماعهد إلى معاوية ما تركت بها محتلما إلا قتلته ، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بنى سلمة فقال : والله مالكم عندى من أمان ولا مبايعة حتى تأتونى بجابر بن عبد الله ـ يعنى حتى يبايعه ـ فانطلق جابر إلى أم سلمة فقال لها : ماذا ترين إنى خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة ؟ فقالت : أرى أن تبايع فإنى قد أمرت ابنى عمر وختنى عبد الله بن زمعة ـ وهو زوج ابنتها زينب ـ أن يبايعا فأتاه جابر فبايعه . قال : وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى الأشعرى أن يقتله فقال

له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فخلى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أن خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل من أبى أن يقر بالحكومة ، ثم مضى بسر إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلي ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثي ، فلما دخل بسر اليمن قتله وقتل ابنه ، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان صغيران له فقتلهما وهما عبد الرحمن وقثم ، ويقال إن بسراً قتل خلقا من شيعة علي في مسيره هذا وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير ، وفي صحته عندي نظر والله تعالى أعلم . ولما بلغ عليا خبر بسر وجه جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى بلغ نجران فحرق بها وقتل ناساً من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعوا فقالوا : لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع ؟ فقال : بايعوا لمن بايع له أصحاب علي ، فتثاقلوا ثم بايعوا من خوف ، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية : والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا للحسن ابن علي ، فبايعوا وأقام عندهم ثم خرج منصرفا إلى الكوفة وعاد أبو هريرة يصلي بهم . قال ابن جرير : وفي هذه السنة جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ، وأن يكون ملك العراق لعلي ولمعاوية الشام ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة . ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى علي : أما بعد فإن الأمة قد قتل بعضها بعضاً يعني فلك العراق ولي الشام . فأقر بذلك علي رضي الله عنه . وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر ، وبعث الجيوش إلى بلاده ، واستقر الأمر على ذلك .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مكة وترك العمل في قول عامة أهل السير ، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل عاملا على البصرة حتى صالح علي معاوية ، وأنه كان شاهداً للصلح ، ممن نص على ذلك أبو عبيدة كما سيأتي . ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غض من أبي الأسود فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس وينال من عرضه فإنه تناول شيئا من أموال بيت المال فبعث علي إلى ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرر عليه التبعة فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى علي : ابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن عنه والسلام . ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخواله بني هلال وتبعهم قيس كلها ، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العمالة والفيء ، ولما سار تبعه أقوام أخر فلحقهم بنو تميم وأرادوا منعهم من المسير فكان بينهم قتال ، ثم تحاجزوا ودخل ابن عباس مكة .

ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وما ورد من الأحاديث النبوية من الأخبـــار بمقتله وكيفيته

كان أمير المؤمنين رضى الله عنه قد تنغصت عليه الأمور ، واضطرب عليه جيشه ، وخالفه أهل العراق ، ونكلوا عن القيام معه ، واستفحل أمر أهل الشام ، وصالوا وجالوا يمينا وشمالا ، زاعمين أن الأمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين فى خلعهما عليا وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الامرة عن أحد ، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق ، هذا وأميرهم على بن أبى طالب خير أهل الأرض فى ذلك الزمان ، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله عزوجل ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنـه حتى كره الحياة وتمنى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن ، فكان يكثر أن يقول : مايحبس اشقاها ، أى ما ينتظر ؟ ماله لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبن هذه و يشير إلى لحيته من هذه و يشير إلى هامته ، كما قال البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعانى ثنا أبو الجراب الأحوص بن جراب ثنا عمار بن زريق عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال قال على : « والذى فلق الحبة و برأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها » ؟ فقال عبدالله بن سبع : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلا فعل ذلك لأبدنا عترته : فقال أنشدكم بالله أن يقتل غـير قاتلى . فقالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما تركـكم رسول الله . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته وقـد تركتنا هملا ؟ قال : أقول اللهـم استخلفتنى فيهـم ما بدالك ثم قبضتنى وتركتك فيهم فان شئت أصلحتهم و إن شئت أفسدتهم .

طريق أخرى

قال أبو داود الطيالسى فى مسنده : ثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب . قال : جاءت الخوارج إلى عـلى فقالوا له : اتق الله فإنك ميت . قال : لا والذى فلق الحبة و برأ النسمة ، ولـكن مقتول من ضربة على هـذه تخضب هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ـ عهد معهود وقضى مقضى ، وقد خاب من افترى .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا سويد بن سعيد ثنا رشدين بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن عثمان بن صهيب عن أبيه . قال قال على : قال لى رسول الله ﷺ : « من أشقى الأولين ؟ قلت : عاقر الناقة ، قال : صدقت فمن أشقى الآخرين ؟ قلت : لا علم لى يارسول الله ، قال : الذى يضربك

على هذه ـ وأشار بيده ـ على يافوخه فيخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه قال : « فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم » .

طريق اخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبع . قال : سمعت عليا يقول لتخضبن هذه من هذه فما ينتظر بي إلا شقي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين اخبرنا به نبدعترته ، قال : إذاً تالله تقتلون بي غير قاتلي ، قالوا : فاستخلف علينا ، قال : لا ! ولكن أتركم إلى ما تركم إليه رسول الله (ص) ، قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته ؟ قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدالك ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، إن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم

وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله ابن بسع قال : خطبنا علي فقال : « والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه ، قال فقال الناس : فأعلمنا من هو والله لنبيدنه أو لنبيدن عترته . قال : أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي ، قالوا : إن كنت علمت ذلك فاستخلف قال لا ولكن أكلكم إلى ماوكلكم إليه رسول الله (ص) » تفرد به أحمد .

طريق أخري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا محمد ـ يعني ابن راشد ـ عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري ـ وكان ابن فضالة من أهل بدر ـ : وقال « خرجت مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب من مرض أصابه ثقل منه ، قال فقال له أبي : مايقيمك بمنزلك هذا لو أصابك أجلك الا أعراب جهينة ؟ تحمل إلى المدينة فان أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك . فقال علي : إن رسول الله (ص) عهد إلي أن لا أموت حتى أؤمر ثم تخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني هامته ـ قال فقتل وقتل ابن فضالة يوم صفين » تفرد به أحمد أيضاً . وقد رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .

طريق أخري عنه

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن أبان القرشي ثنا سفيان بن عيينة ثنا كوفي يقال له عبد الملك بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : « قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في غرز الركاب لا تأتي العراق فانك إن أتيتها أصابك بها ذباب السيف قال : وايم الله لقد قالها ولقد قالها النبي (ص) لي قبله . قال أبو الأسود فقلت : تالله ما رأيت رجلا محاربا يحدث بهذا قبلك غيرك » . ثم قال البزار : ولا نعلم رواه إلا علي ابن أبي طالب بهذا الاسناد ، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين عن أبي حرب ، ولا رواه عنه

إلا ابن عيينة . هكذا قال : وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك . وقال البيهقي بعد ذكره طرفاً من هذه الطرق : وقد روينا في كتاب السنن باسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان الدؤلي عن علي في إخبار النبي (ص) بقتله .

حديث آخر في ذلك

قال الخطيب البغدادي . أخبرني علي بن القاسم البصري ثنا علي بن اسحاق المارداني أنا محمد ابن إسحاق الصنعاني ثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا ناصح بن عبد الله المحلمي عن سماك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله (ص) لعلي : « من أشقى الأولين ، قال : عاقر الناقة ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : قاتلك » .

حديث آخر في معنى ذلك

وروى البيهقي من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة الحماني قال سمعت عليا على المنبر وهو يقول : « والله إنه لعهد النبي الأمي إلى إن الامة ستغدر بك بعدي » قال البخاري : ثعلبة بن زيد الحماني في حديثه هذا نظر . قال البيهقي : وقد رويناه باسناد آخر عن علي ان كان محفوظا . أخبرنا أبو علي الروذباري أنا أبو محمد بن شوذب الواسطي بها ثنا شعيب بن أيوب ثنا عمرو بن عون عن هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الازدي عن علي . قال : « إن مما عهد إلى رسول الله (ص) أن الامة ستغدر بك بعدي » قال البيهقي : فان صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في قتله . وقال الأعمش عن عمرو بن مرة ابن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأرقم . قال : خطبنا علي يوم جمعة فقال نبئت أن بسراً قد طلع اليمن ، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم ، وخيانتكم وأمانتهم ، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم ، قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلانا فخان وغدر ، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته ، اللهم سئمتهم وسئموني ، وكرهتهم وكرهوني ، اللهم فأرحهم مني وأرحني منهم » قال : فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه .

صفة مقتله رضي الله عنه

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي حليف بني حنيفة من كندة المصري وكان أسمر حسن الوجه أبلج شعره مع شحمة أذنيه وفي وجهه أثر السجود . والبرك بن عبدالله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي أيضاً ـ اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم

وقالوا : ماذا نصنع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم ، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم على ابن أبى طالب . وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية : وقال عمرو بن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه فى بلده الذى هو فيه فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس فى قوم من بنى الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشجنة ، قد قتل على يوم النهروان أباها وأخاها ، وكانت فائقة الجمال مشهورة به ، وكانت قد انقطعت فى المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التى جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة . وأن يقتل لها على بن أبى طالب . قال : فهو لك ووالله ماجاء بى إلى هذه البلدة إلاقتل على ، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها ، من تيم الرباب يقال له وردان ، ليكون معه ردءا ، واستمال عبد الرحمن ابن ملجم رجلا آخر يقال له شبيب بن نجدة الأشجعى الحرورى قال له ابن ملجم : هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك : قال ؟ قتل على ، فقال : ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إداً كيف تقدر عليه ؟ قال أكمن له فى المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فان نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا ، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا . فقال : ويحك لو غير على كان أهون على ؟ قد عرفت سابقته فى الاسلام وقرابته من رسول الله (ص.) فما أجدنى أنشرح صدراً لقتله . فقال : أما تعلم أنه قتل أهل النهروان ؟ فقال : بلى قال : فنقتله بمن قتل من اخواننا . فأجابه إلى ذلك بعدلأى ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التى واعدت أصحابى فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة ـ وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب ـ وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها على ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، ويقول : الصلاة الصلاة فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع فى الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضى الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال : لاحكم الا لله ليس لك يا على ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى [ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد] ونادى على : عليكم به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله ، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس ، ومسك ابن ملجم وقدم على جعدة بن هبيرة بن أبى وهب فصلى بالناس صلاة الفجر ، وحمل

عليّ إلى منزله ، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف ـ قبحه الله ـ فقال له : أى عـدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى : قال . فما حملك على هذا : قال ؟ شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له على لا أراك إلا مقتولا به ، ولا أراك إلامن شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه وإن عشت فانا أعلم كيف أصنع به ، فقال جندب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر . ولما احتضر على جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] . وقد اوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاهما به ، وأن يعظمهما ولا يقطع أمراً دونهما وكتب ذلك كله فى كتاب وصيته رضى الله عنه وأرضاه .

وصورة الوصية : « بسم الله الرحمن الرحيم ! هذا ما أوصى به على بن أبى طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدى ومن بلغه كتابى بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فانى سمعت أبا القاسم (ص) يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » أنظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب الله الله فى الأيتام فلا تعنو أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم ، والله الله فى جيرانكم فانهم وصية نبيكم ، مازال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله فى القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم ، والله الله فى الصلاة فانها عمود دينكم ، والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فانه إن ترك لم تناظروا ، والله الله فى شهر رمضان فان صيامه جنة من النار ، والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله فى الزكاة فانها تطفئ غضب الرب ، والله الله فى ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم ، والله الله فى أصحاب نبيكم فان رسول الله (ص) أوصى بهم ، والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيمانكم فان آخر ما تكلم به رسول الله (ص) أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » الصلاة الصلاة لا تخافن فى الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتباذل ، وإياكم

والتدابر و التقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله . ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض فى شهر رمضان سنة أربعين .

وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبى يحيى قال : لما ضرب ابن ملجم عليا قال لهم « افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال : اقتلوه ثم حرقوه » . وقد روى أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لم ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك فقالت : إنه لابأس عليه ، فقال : لم تبكين ؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لماتوا أجمعين ، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف .

قال الهيثم بن عدى : حدثنى رجل من بجيلة عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام كانت من أجمل النساء ترى رأى الخوارج ، قد قتل على قومها على هذا الرأى فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة ، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له : ياهذا قد فرغت فافرغ فخرج ملبساً سلاحه وخرجت معه فضربت له قبة فى المسجد وخرج على يقول : الصلاة الصلاة ، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر : ـ قال ابن جرير : هو ابن مياس المرادى .

فلم أر مهراً ساقهُ ذو سماحةٍ * كمهر قطام بيّناً غيرَ معجمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ * وقتلُ علىٍ بالحسام المصممِ
فلا مهرَ أغلا من علىٍ وإنْ غلا * ولافتكَ إلادونَفتكِ[1] ابن ملجمِ

وقد عزى ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس المرادى وأنشد له ابن جرير فى قتلهم عليا :

ونحنُ ضربنا مالكَ الخيرِ حيدراً * أبا حسنٍ مأمومةً فتفطرا
ونحن خلعنا ملكهُ من نظامهِ * بضربةِ سيفٍ إذ علا وتجبرا
ونحنُ كرامٌ فى الهياجِ أعزةٌ * إذا الموتُ بالموتِ ارتدى وتأزرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين فى زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد ممن يروى عن عائشة فى صحيح البخارى فقال فيه :

ياضربةً من تقى ما أرادَ بها * إلا ليبلغَ من ذى العرشِ رضوانا

(١) كذا فى الأصل وفى نسخة : ولا قتل إلا دون قتل . فلعلها رواية .

إني لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية ـ وهو البرك ـ فانه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف ، وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربة في وركه فجرحت إليته ومسك الخارجي فقتل ، وقد قال لمعاوية : اتركني فاني أبشرك ببشارة ، فقال : وما هي ؟ فقال : إن أخي قد قتل في هذا اليوم علي بن أبي طالب ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنه ، لاحرس معه ، فأمر به فقتل ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فاما أن أكويك وأما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لي بها ، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني . فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل وسلم رضي الله عنه . ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها في حال السجود ، فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة .

وأما صاحب عمرو بن العاص ـ وهو عمرو بن بكر ـ فانه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة ـ وهو خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص ، فلما أخذ الخارجي قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فأرسلها مثلا ، وقتل قبحه الله ، وقد قيل إن الذي قالها عمرو بن العاص ، وذلك حين جيء بالخارجي فقال : ما هذا ؟ قالوا قتل نائبك خارجة ، ثم أمر به فضربت عنقه .

والمقصود أن عليا رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الامارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته ، هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهب فقد أخطأ وتكلف مالا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع ، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة ، حكاه الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ عن مطر أنه قال : لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة . قال الواقدي : حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل ؟ قال : ثلاثا وستين سنة . قلت : أين دفن ؟ قال : دفن بالكوفة ليلا وقد غبي عن دفنه ، وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة ، وقد قيل إن عليا دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة . قاله الواقدي ، والمشهور بدار الامارة . وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع

عند قبر فاطمة ، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طيء يظنونه مالا فلما رأوا أن الذى فى الصندوق ميت ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره ، حكاه الخطيب أيضاً . وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال : دفنت علياً فى حجرة من دور آل جعدة . وعن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن عبدالله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم باحراقه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطى فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه . قالوا وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلى قبلة المسجد فى بيت اسكاف وما يكاد يقر فى ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه . وعن جعفر بن محمد الصادق قال : صلى على على ليلا ودفن بالكوفة وعمى موضع قبره ولكنه عند قصر الامارة . وقال ابن الكلبى : شهد دفنه فى الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه فى ظاهر الكوفة وعموا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم ، وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين وقيل إنه قتل فى ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم . ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه الواقدى وابن جرير وغير واحد ، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وستين سنة رضى الله عنه . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر . فلما مات على رضى الله عنه استدعى الحسن بابن ملجم فقال له ابن ملجم : إنى أعرض عليك خصلة قال : وما هى ؟ قال : إنى كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فان خليتنى ذهبت إلى معاوية على أنى إن لم أقتله أو قتلته وبقيت فلله علىّ أن أرجع إليك حتى أضع يدى فى يدك . فقال له الحسن : كلا والله حتى تعاين النار ، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه فى بوارى ثم أحرقوه بالنار ، وقد قيل إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق إلى آخرها ثم جاءوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال : إنى أخشى أن تمر على ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه فى قوصرة والله أعلم . وروى ابن جرير قال : حدثنى الحارث ثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب على يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة ، وليلة السبت وتوفى ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة . قال الواقدى : وهو المثبت عندنا والله أعلم بالصواب .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانىء بن هانىء عن على قال : « لما ولد الحسن جاء رسول الله ص فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حربا ، فقال : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حربا قال : بل هو

حسين ، فلما ولد الثالث جاء النبي (ص.) فقال أروني ابني ما سميتموه ؟ فقلت : حربا فقال : بل هو محسن ، ثم قال : إني سميتهم باسم ولد هارون شبر وشبير ومشبر » وقد رواه محمد بن سعد عن يحيى ابن عيسى التيمى عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال قال على : كنت رجلا أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث . وقد ورد فى بعض الأحاديث أن عليا سمى الحسن أولا بحمزة وحسينا بجعفر فغير اسمهما رسول الله (ص.) .

فأول زوجة تزوجها على رضى الله عنه فاطمة بنت رسول الله (ص) بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسينا ويقال ومحسنا ومات وهو صغير ، وولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم . ولم يتزوج على على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله (ص.) بستة أشهر ، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة ، منهن من توفيت فى حياته ومنهن من طلقها ، وتوفى عن أربع كما سيأتى ، فمن زوجاته أم البنين بنت حرام وهو الحل بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر ابن كلاب فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان . وقد قتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكر بلاء ولا عقب لهم سوى العباس . ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بنى تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، قال هشام بن الكلبى : وقد قتلا بكربلاء أيضاً . وزعم الواقدى أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار . ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبى . وقال الواقدى : ولدت له يحيى وعونا قال الواقدى : فأما محمد الأصغر فمن أم ولد . ومنهن أم حبيبة بنت زمعة بن بحر بن العبد بن علقمة وهى أم ولد من السبى الذين سباهم خالد من بنى تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر ـ وقد عمر خمساً وثلاثين سنة ـ ورقية . ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك الثقفى فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى . ومنهن ابنة امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية فولدت له جارية فكانت تخرج مع على إلى المسجد وهى صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه وه تعنى بنى كلب . ومنهن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وأمها زينب بنت رسول الله (ص.) ، وهى التى كان رسول (ص.) يحملها وهو فى الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها ، فولدت له محمداً الأوسط ، وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهى خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن على ابن بكر بن وائل سباها خالد أيام الصديق أيام الردة من بنى حنيفة فصارت لعلى بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا ، ومن الشيعة من يدعى فيه الامامة والعصمة ، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا

بواجبى العصمة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم . وقد كان لعلى أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى فانه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضى الله عنه فمن أولاده رضى الله عنهم ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة . قال ابن جرير : فجميع ولده على أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة أنثى . قال الواقدى : وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد [ابن الحنفية والعباس بن] (١) الكلابية وعمر بن التغلبية رضى الله عنهم أجمعين . وقد قال ابن جرير : حدثنى ابن سنان القزاز ثنا أبو عاصم ثنا مسكين بن عبد العزيز أنا حفص بن خالد حدثنى أبى خالد بن جابر قال : « سمعت الحسن لما قتل على قام خطيباً فقال : لقد قتلتم الليلة رجلا فى ليلة نزل فيها القرآن ، ورفع فيها عيسى بن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده ، والله أن كان رسول الله (ص) ليبعثه فى السرية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ماترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة أو تسعمائة أرصدها لخادمة » وهذا غريب جداً وفيه نكارة والله أعلم . وهكذا رواه أبو يعلى عن إبراهيم بن الحجاج عن مسكين به .
وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن أبى إسحاق عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن على قال : « لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون ، كان رسول الله (ص) يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح له . ورواه زيد العمى وشعيب ابن خالد عن أبى إسحاق به وقال « ما ترك إلا سبعمائة كان أرصدها يشترى بها خادماً » : وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شريك عن عاصم بن كريب عن محمد بن كعب القرظى أن عليا قال : « لقد رأيتنى مع رسول الله وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع ، وإن صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألفاً » ورواه عن أسود عن شريك به وقال « إن صدقتى لتبلغ أربعين الف دينار » .

شيء من فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب

من ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله (ص). فأنه على بن أبى طالب ابن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصى واسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشى الهاشمى فهو ابن عم رسول الله (ص) وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . قال الزبير بن بكار : وهى أول هاشمية ولدت هاشميا . وقد أسلمت وهاجرت ، وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا

(١) ما بين المربعين تصحيح من ابن الأثير وبياض فى الأصل .

نص على ذلك الامام احمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس . وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران وانه المراد من قوله تعالى [إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين] وقد أخطأوا فى ذلك خطأ كثيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول فى تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى ، فانه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى [إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محرراً] فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر ولله الحمد . وقد كان أبو طالب كثير المحبة الطبيعية لرسول الله (ص) ولم يؤمن به إلى أن مات على دينه كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه فى عرضه عليه السلام على عمه أبى طالب وهو فى السياق أن يقول لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فخرج رسول الله وهو يقول « أما لأستغفرن لك مالم أنه عنك » فنزل فى ذلك قوله تعالى [إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين] ثم نزل بالمدينة قوله تعالى [ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم] وقد قررنا ذلك فى أوائل المبعث ونبهنا على خطأ الرافضة فى دعواهم أنه أسلم وافترائهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصريحة . وأما على رضى الله عنه فانه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور ، ويقال إنه أول من أسلم من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى . وقد روى الترمذى وأبو يعلى عن إسماعيل بن السدى عن على بن عياش عن مسلم الملائى عن حبة بن جوين عن على ــ وحبة لا يساوى حبة ــ عن أنس بن مالك قال : « بعث رسول الله يوم الأثنين وصلى على يوم الثلاثاء » ورواه بعضهم عن مسلم الملائى عن حبة ابن جوين عن على ــ وحبة لا يساوى حبة ــ وقد روى سلمة بن كهيل عن حبة عن على قال : عبدت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبده أحد » وهذا لا يصح أبداً وهو كذب وروى سفيان الثورى وشعبة عن سلمة عن حبة عن على قال : « أنا أول من أسلم » وهذا لا يصح أيضاً وحبة ضعيف وقال سويد بن سعيد ثنا نوح بن قيس بن سليمان بن عبد الله عن معاذة العدوية قالت سمعت على بن أبى طالب على منبر البصرة يقول : « أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم » وهذا لا يصح قاله البخارى ، وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة : « أيها الناس ! إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمى الثالث لسميت »

وقد تقدم ذلك فى فضائل الشيخين رضى الله عنهما وارضاهما . قال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا أبو عوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال : « أول من صلى - وفى رواية أسلم - مع رسول الله بعد خديجة على بن أبى طالب » ورواه الترمذى من حديث شعبة عن أبى بلج به وقد روى عن زيد بن أرقم وأبى أيوب الأنصارى أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أى وجه كان روى عنه . وقد ورد فى أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لايصح منها شئ ، وأجود مافى ذلك ما ذكرنا . على أنه قد خولف فيه وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بتطريق هذه الروايات ، فمن أراد كشف ذلك فعليه بكتابه التاريخ والله الموفق للصواب . وقد روى الترمذى والنسائى عن عمرو بن مرة عن طلحة بن زيد عن زيد ابن أرقم قال : « أول من أسلم على » قال الترمذى : حسن صحيح . وصحب على رسول الله (ص) مدة مقامه بمكة ، وكان عنده فى المنزل وفى كفالته فى حياة أبيه لفقر حصل لأبيه فى بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر فى نفقة رسول الله (ص) بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله (ص) ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس ، فانه كان يعرف فى قومه بالأمين ، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر على بعد رسول الله (ص) وصحب رسول الله (ص) إلى أن توفى وهو راض عنه وحضر معه مشاهده كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه فى مواطن الحرب كما بينا ذلك فى السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها ، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبى بعدى » وقد ذكرنا تزويجه فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته . ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدير خم خطب الناس هنالك فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة فقال فى خطبته : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وفى بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » والمحفوظ الأول ، وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ماذكره ابن إسحاق من أن عليا لما بعثه رسول الله (ص) إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع على فوافى رسول الله (ص) بمكة فى حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله (ص) ، فلما تفرغ رسول الله من حجة الوداع أحب أن يبرئ ساحة على مما نسب إليه من القول الذى لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً ، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد فى أيام بنى بويه فى حدود الأربعمائة كما سننبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله . ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح على أبواب

الدكاكين ويذر التبن والرماد ، وتدور الدرارى والنساء فى سكك البلد تنوح على الحسين بن على يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب فى قتله ، وسنبين الحق فى صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى . وقد كان بعض بنى أمية يعيب علياً بتسميته أبا تراب وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله (ص) كما ثبت فى الصحيحين عن سهل بن سعد أن عليا غاضب فاطمة فراح إلى المسجد فجاءه رسول الله فوجده نائمـا وقد لصق التراب بجلده فجعل ينفض عنـه التراب ويقول : « إجلس أبا تراب » .

حديث المؤاخاة

قال الحاكم حـدثنا أبو بكر محمد بن عبـد الله الجنيد ثنا الحسين بن جعفر القرشى ثنا العلاء بن عمرو الحنفى ثنا أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبى أمامة قال : « لما آخى رسول الله (ص) بين الناس آخى بينه وبين على » ثم قال الحاكم لم نكتبه من حـديث مكحول إلا من هـذا الوجه وكان المشايخ يعجبهم هـذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام . قلت : وفى صحة هذا الحديث نظر ، وورد من طريق أنس وعمر أن رسول الله (ص) قال : « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » وكذلك من طريق زيد بن أبى أوفى وابن عباس ومحدوج بن زيد الذهلى وجابر بن عبـد الله وعامر بن ربيعة وأبى ذر وعلى نفسه نحو ذلك وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشئ منها حجة والله أعلم . وقد جاء من غـير وجه أنه قال : « أنا عبـد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدى إلا كذاب » وقال الترمذى : ثنا يوسف بن موسى القطان البغدادى ثنا على بن قادم ثنا على بن صالح بن حى عن حكيم بن جبير عن جميع بن عمير التيمى عن ابن عمر قال : « آخى رسول الله (ص) بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بينى وبين أحد ، فقال رسول الله (ص) أنت أخى فى الدنيا والآخرة » ثم قال : هـذا حديث حسن غريب وفيـه عن زيد بن أبى أوفى ، وقد شهد بدرا . وقد قال رسول الله لعمر : « وما يدريك لعل الله قـد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لـكم » ؟ وبارز يومئذ كما تقـدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله (ص) الراية يومئذ وهو ابن عشرين سـنة قاله الحكم عن مقسم عن ابن عباس . قال : وكانت تـكون معه راية المهاجرين فى المواقف كلهـا ، وكذلك قال سـعيد بن المسيب وقتادة . وقال خيثمة بن سليمان الاطرابلسى الحافظ : حـدثنا أحمد بن حازم عن ابن أبى غرزة ثنا إسماعيل بن أبان ثنا ناصح بن عبد الله المحلمى عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قالوا يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال : « ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها فى الدنيا عـلى بن أبى طالب » ؟ وهـذا إسناد ضعيف . ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ولا يصح أيضاً . وقال الحسن بن عرفة : حدثنى عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلى عن أبى جعفر محمد بن على قال نادى مناد فى السماء يوم بدر :

« لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » قال الحافظ ابن عساكر وهذا مرسل و إنما تنفل رسول الله (ص.) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه لعلى بعد ذلك . وقال الزبير بن بكار : حدثنى على بن المغيرة عن معمر بن المثنى قال : كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبى طلحة فقتله على بن أبى طالب ففي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمى .

لله أى مذبب عن حربه * أعنى ابنَ فاطمةَ المعمَ المخولا
جادتْ يداكَ لهُ بعاجلِ طعنةٍ * تركتْ طليحةَ للجبينِ مجندلا
وشددتَ شدةَ باسلٍ فكشفتهم * بالحقِ إذ يهوونَ أخولَ أخولا
وعللتَ سيفَكَ بالدماءِ ولم تكنْ * لتردهُ حرانَ حتى ينهلا

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى [لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة] وقال رسول الله (ص.) « لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار » . وقد ثبت فى الصحاح وغيرها أن رسول الله (ص.) قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله ، ليس بفرار يفتح الله على يديه » فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها حتى قال عمر : ما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فلما أصبح أعطاها عليا ففتح الله على يديه ، ورواه جماعة منهم مالك والحسن و يعقوب ابن عبد الرحمن وجرير بن عبد الحميد وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن المختار وخالد بن عبد الله ابن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أخرجه مسلم . ورواه ابن أبى حازم عن سهل بن سعد أخرجاه فى الصحيحين وقال فى حديثه : « فدعا به رسول الله وهو أرمد فبصق فى عينيه فبرأ » ورواه إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه و يزيد بن أبى عبيد عن مولاه سلمة أيضاً ، وحديثه عنه فى الصحيحين . وقال محمد بن إسحاق : حدثنى بريدة عن سفيان عن أبى فروة الأسلمى عن أبيه عن سلمة بن عمرو ابن الأكوع قال : بعث رسول الله (ص.) إلى أبى بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله (ص.) لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار ، قال سلمة : فدعا رسول الله علياً وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، قال سلمة فخرج والله بها يهرول هرولة و إنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : على بن أبى طالب ، قال اليهودى : غلبتم ومن أنزل التوراة على موسى قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه » وقد رواه عكرمة بن عمار عن عطاء مولى السائب عن سلمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذى جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله فى عينه فبرأ .

رواية بريدة بن الحصيب . وقال الامام أحمد : حدثنا زيد [بن الحباب] ثنا الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة حدثني بريدة بن الحصيب قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذه من الغد عمر فخرج فرجع ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله : إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له ــ وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً ــ قال : فلما أصبح رسول الله (ص) صلى الغداة ، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها ، ورواه النسائي من حديث الحسين بن واقد به أطول منه ثم رواه أحمد عن محمد بن جعفر وروح كلاهما عن عوف عن ميمون أبي عبد الله الكردي عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه به نحوه ، وأخرجه النسائي عن بندار وغندر به وفيه الشعر .

رواية عبد الله بن عمر ورواه هشيم عن العوام بن حوشب عن حبيب بن أبي ثابت عن عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة ورواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه وفيه « قال علي : فما رمدت بعد يومئذ » ورواه أحمد عن وكيع عن هشام بن سعيد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كما سيأتي .

رواية ابن عباس وقال أبو يعلى : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فقال أين علي ؟ قالوا : يطحن ، قال وما أحد منهم يرضى أن يطحن ، فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب » وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل ، ورواه الامام أحمد عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس فذكره بتمامه فقال الامام أحمد عن يحيى بن حماد : ثنا أبو عوانة ثنا أبو بلج ثنا عمرو بن ميمون قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء ؟ فقال : بل أقوم معكم ــ وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى ــ قال : وابتدأوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي (ص) : « لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله قال : فاستشرف لها من استشرف قال : أين علي ؟ قالوا : هو في الرحا يطحن ، قال : وما كان أحدكم ليطحن ، قال فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثا فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب قال . ثم بعث فلانا بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها ثم قال : لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه . قال وقال لبني عمه : أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا

قال : وعلى معه جالس فقال على : أنا أواليك فى الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال : أيكم يواليني فى الدنيا والآخرة فأبوا فقال على : أنا أواليك فى الدنيا والآخرة فقال : أنت ولبي فى الدنيا والآخرة » قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علىّ وفاطمة وحسن وحسين فقال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قال وشرى على نفسه لبس ثوب النبي (ص) ثم نام مكانه ، قال وكان المشركون يرمون رسول الله (ص) فجاء أبو بكر وعلى نائم وأبو بكر يحسب أنه نبى الله فقال : يا نبى الله ! فقال له على : إن نبى الله قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدركه ، قال : فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال : وجعل علىّ يرمى بالحجارة كما كان يرمى رسول الله (ص) وهو يتضرر وقد لف رأسه فى الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك لئيم كان صاحبك نرميه فلا يتضرر وأنت تتضرر وقد استنكرنا ذلك ، قال : وخرج - يعنى رسول الله (ص) فى غزوة تبوك - فقال له على : أخرج معك ؟ فقال له النبي (ص) : لا ! فبكى على فقال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبى ؟ إنه لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى » قال وقال له رسول الله (ص) : « أنت ولبي كل مؤمن » بعدى قال وسد أبواب المسجد غير باب على قال فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال وقال « من كنت مولاه فان عليا مولاه » قال : وأخبرنا الله فى القرآن أنه قد رضى عن أصحاب الشجرة فعلم مافى قلوبهم فهل حدثنا أنه سخط عليهم بعد . قال وقال نبى الله (ص) لعمر حين قال ائذن لى أن أضرب عنق هذا المنافق - يعنى حاطب بن أبى بلتعة - قال : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقد روى الترمذى بعضه من طريق شعبة عن أبى بلج يحيى ابن أبى سليم واستغربه ، وأخرج النسائى بعضه أيضاً عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد به . وقال البخارى فى التاريخ : ثنا عمر بن عبد الوهاب الرماحى ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن منصور عن ربعى عن عمران بن حصين . قال قال رسول الله (ص) : « لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبعث إلى على وهو أرمد فتفل فى عينيه وأعطاه الراية فما رد وجهه وما اشتكاهما بعد » ورواه أبو القاسم البغوى عن إسحاق ابن إبراهيم عن أبى موسى الهروى عن على بن هاشم عن محمد بن على عن منصور عن ربعى عن عمران فذكره . وأخرجه النسائى عن عباس العنبرى عن عمر بن عبد الوهاب به .

رواية أبى سعيد فى ذلك قال الامام أحمد : حدثنا مصعب بن المقدام وحجين بن المثنى قالا : ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : إن رسول الله (ص) أخذ الراية فهزها ثم قال : « من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال أنا فقال : امض ثم جاء رجل آخر فقال

أنا فقال امض ثم قال النبي (ص) والذي أكرم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يفر ، فجاء علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتهما وقديدهما » . ورواه أبو يعلى عن حسين بن محمد عن إسرائيل وقال في سياقه « فجاء الزبير فقال أنا فقال : امض ثم جاء آخر فقال : امض » وذكره تفرد به أحمد .

رواية علي بن ابي طالب في ذلك وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان أبي يسير مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال : « إن رسول الله (ص) بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله إني أرمد العين فتفل في عيني فقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ ، وقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار فتشرف لها أصحاب النبي (ص) فأعطانيها » تفرد به أحمد وقد رواه غير واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولا . وقال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا جرير عن مغيرة عن أم موسى قالت سمعت عليا يقول : « ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله وجهي وتفل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية » .

رواية سعد بن ابي وقاص في ذلك ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ص) قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ؟ قال أحمد ومسلم والترمذي : حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ [فقال] أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) ؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله (ص) يقول - وخلفه في بعض مغازيه - فقال له علي يارسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله (ص) : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ؟ وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولت لها قال ادعوا لي عليا فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه » ولما نزلت هذه الآية [فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم] « دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال اللهم هؤلاء أهلي » : وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله (ص) قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » وقال الترمذي : ويستغرب من رواية سعيد عن سعد . وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد الزبيري ثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه - يعني عبد الله بن عمر - عن سعد قال : لما خرج رسول الله إلى تبوك خلف عليا فقال :

أتخلفنى ؟ قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الحسن بن عرفة العبدى : ثنا محمد بن حازم أبو معاوية الضرير عن موسى بن مسلم الشيبانى عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبى وقاص قال : قدم معاوية فى بعض حجاته فأتاه سعد بن أبى وقاص فذكروا عليا فقال سعد : له ثلاث خصال لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من الدنيا وما فيها . سمعت رسول الله (ص) يقول« من كنت مولاه فعلى مولاه ، وسمعته يقول: لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله و رسوله ، وسمعته يقول: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » لم يخرجوه و إسناده حسن . وقال أبو زرعة الدمشقى : ثنا أحمد بن خالد الذهبى أبو سعيد ثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيح عن أبيه قال : « لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبى وقاص فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك ، قال : فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر على بن أبى طالب فوقع فيه فقال : أدخلتنى دارك وأجلستنى على سريرك ثم وقعت فى على تشتمه ؟ والله لأن يكون فىّ إحدى خلاله الثلاث أحب إلى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لى ما قال له حين غزا تبوكا « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » ؟ أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لى ما قال له يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار » أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولى منها من الولد ماله احب إلى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس ، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم ، ثم نفض رداءه ثم خرج . وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبى وقاص قال : خلف رسول الله (ص) على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ؟ قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » ؟ إسناده على شرطهما ولم يخرجاه . وهكذا رواه أبو عوانة عن الاعمش عن الحكم بن مصعب عن ابيه ورواه ابو داود الطيالسى عن شعبة عن عاصم عن مصعب عن أبيه فالله أعلم . وقال أحمد : ثنا ابو سعيد مولى بنى هاشم ثنا سليمان بن بلال حدثنا الجعد بن عبد الرحمن الجعفى عن عائشة بنت سعد عن أبيها : أن عليا خرج مع رسول الله (ص) حتى جاء ثنية الوداع وعلى يبكى يقول : تخلفنى مع الخوالف ؟ فقال : « أو ما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » ؟ وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه . وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها ، قال الحافظ ابن عساكر : وقد روى هذا الحديث عن رسول الله (ص) جماعة من الصحابة منهم عمر وعلى وابن عباس وعبد الله

ابن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وأبو سعيد والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وحبشى بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل، وأم سلمة وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة. وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والانداد. رحمه رب العباد يوم التناد. **رواية عمر رضي الله عنه في ذلك** قال أبو يعلى: حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبدالله بن جعفر أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر: لقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلى من حمر النعم قيل وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله (ص)، وسكناه المسجد مع رسول الله (ص) يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر. وقد روى عن عمر من غير وجه **رواية ابن عمر رضي الله عنهما** وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال: «كنا نقول في زمان رسول الله (ص) خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتى ابن أبي طالب ثلاثا لأن أكون أعطيتهن أحب إلى من حمر النعم». فذكر هذه الثلاث. وقد روى أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله (ص) قال لعلي. «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»؟ ورواه أحمد من حديث عطية عن أبي سعيد عن النبي (ص) قال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». ورواه الطبراني من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً ورواه سلمة بن كهيل عن عامر بن سعد عن أبيه عن أم سلمة أن رسول الله قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي» قال سلمة وسمعت مولى لبني موهب يقول: سمعت ابن عباس يقول قال النبي (ص) مثله. **تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.** قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن أبيه سمع رجل علياً على منبر الكوفة يقول: «أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها، فقال: هل عندك شيء؟ قلت: لا! قال فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟ قلت: عندي، قال: فأعطها فأعطيتها فزوجني فلما كان ليلة دخلت عليها قال لا تحدثا شيئا حتى آتيكما، قال: فاتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحشنا فقال مكانكما، ثم دعا بقدح من ماء فدعا فيه ثم رشه على وعليها، فقلت: يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي؟ قال: هي أحب إلى وأنت أعز على منها». وقد روى النسائي من طريق عبد الكريم بن سليط عن ابن بريدة عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق، وفيه انه أولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار، وأنه دعا لهما بعد ما صب عليهما الماء، فقال: «اللهم بارك لهما في شملهما» - يعني

الجاع - وقال محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : لما خطب على فاطمة دخل عليها رسول الله فقال لها : « أى بنية ! إن ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين ؟ فبكت ثم قالت : كأنك يا أبت إنما دخرتنى لفقير قريش ؟ فقال : والذى بعثنى بالحق ماتكلمت فيه حتى أذن الله لى فيه من السموات ، فقالت فاطمة : رضيت بما رضى الله ورسوله. فخرج من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال : ياعلى اخطب لنفسك فقال على الحمد لله الذى لايموت وهذا محمد رسول الله زوجنى ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا ، قالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : أشهدكم إنى قد زوجته » . رواه ابن عساكر وهو منكر وقد ورد فى هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها لئلا يطول الكتاب بها . وقد أورد منها طرفاً جيداً الحافظ ابن عساكر فى تاريخه . وقال وكيع عن أبى خالد عن الشعبى قال قال على : « ما كان لنا إلا إهاب كبش تنام على ناحيته وتعجن فاطمة على ناحيته » وفى رواية مجالد عن الشعبى « ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لى خادم عليها غيرها » • **حديث اخر** قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن ميمون ابى عبد الله عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله ص أبواب شارعة فى المسجد قال فقال يوماً : « سدوا هذه الأبواب إلا باب على » قال فتكلم فى ذلك الناس فقام رسول الله ص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فانى أمرت بسد هذه الأبواب غير باب على فقال فيه قائلكم وإنى والله ما سددت شيئا ولا فتحته ، ولكن أمرت بشئ فاتبعته » . وقد رواه أبو الأشهب عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب فذكره . وقد تقدم ما رواه أحمد والنسائى من حديث أبى عوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل وفيه سد الابواب غير باب على . وكذا رواه شعبة عن أبى بلج . ورواه سعد بن أبى وقاص قال أبو يعلى ثنا موسى بن محمد بن حسان ثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان ثنا غسان بن بسر الكاهلى عن مسلم عن خيثمة عن سعد « أن رسول الله ص سد أبواب المسجد وفتح باب على فقال الناس فى ذلك فقال : ما أنا فتحته ولكن الله فتحه » وهذا لا ينافى ماثبت فى صحيح البخارى من أمره عليه السلام فى مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبى بكر الصديق لأن نفى هذا فى حق على كان فى حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل هذا رفقا بها ، وأما بعد وفاته فزالت هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلى بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام وفيه إشارة إلى خلافته . وقال الترمذى : ثنا على بن المنذر ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبى حفصة عن عطية عن أبى سعيد . قال قال رسول الله ص لعلى : « ياعلى لا يحل لأحد يجنب فى المسجد غيرى وغيرك » قال على بن

المنذر : قلت لضرار بن صرد : ما معنى هـذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيرى وغيرك . ثم قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجـه . وقد سمع محمد ابن إسماعيل هذا الحديث . وقد رواه ابن عساكر من طريق كثير النواء عن عطية عن أبى سعيد به ، ثم أورده من طريق أبى نعيم ثنا عبـد الملك بن أبى عيينة عن أبى الخطاب عمر الهروى عن محدوج عن جسرة بنت دجاجة أخبرتنى أم سلمة قالت : خرج النبى (ص) فى مرضه حتى انتهى إلى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته : « إنه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد ألا هل بينت لكم الأسماء أن تضلوا » وهـذا إسناد غريب وفيه ضعف ؛ ثم ساقه من حديث أبى رافع بنحوه وفى إسناده غرابة أيضاً . **حديث اخر** قال الحاكم وغير واحد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحصيب : قال غزوت مع على إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله (ص) فذكرت عليا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله (ص) يتغير فقال : « يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟ فقلت بلى يا رسول الله فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » . وقال الامام أحمـد : حدثنا ابن نمير ثنا الأجلح الكندى عن عبـد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال : « بعث رسول الله (ص) بعثين إلى اليمن على إحداهما على بن أبى طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال إذا التقيتما فعلى على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده ، قال : فلقينا بنى زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى على امرأة من السبى لنفسه ، قال بريدة : فكتب معى خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك ، فلما أتيت رسول الله دفعت إليه الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب فى وجه رسول الله فقلت : يارسول الله هذا مكان العائذ بعثتنى مع رجل وأمرتنى أن أطيعه فبلغت ما أرسلت به ، فقال رسول الله (ص) لاتقع فى على فانه منى وأنا منه ؛ وهو وليكم بعدى » هذه اللفظة منكرة والاجلح شيعى ومثله لايقبل إذا تفرد بمثلها ، وقـد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم . والمحفوظ فى هذا رواية أحمـد عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبـد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فعلى وليـه » . ورواه أحمـد أيضاً والحسن بن عرفة عن الأعمش به . ورواه النسائى عن أبى كريب عن أبى معاوية به . وقال أحمد : حدثنا روح بن على ابن سويد بن منجوف عن عبـد الله بن بريدة عن أبيه قال : « بعث رسول الله عليا إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر ، فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما يصنع هذا ؟ قال : فلما رجعت إلى رسول الله أخبرته ما صنع على ، قال : ـ وكنت أبغض علياً ـ فقال : يابريدة أتبغض علياً ؟ فقلت : نعم ! قال : لاتبغضه وأحبه فان له فى الخمس أكثر من ذلك » . وقد رواه البخارى فى

الصحيح عن بندار عن روح به مطولا . وقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ثنا عبد الجليل قال انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجلز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة : حدثني أبي بريدة قال « أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً ، قال وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه عليا ، قال فبعث ذلك الرجل على خيل قال فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه عليا فأصبنا سبياً فكتبنا إلى رسول الله أن ابعث إلينا من يخمسه ، فبعث إلينا عليا قال وفى السبي وصيفة هى من أفضل السبي ـ فخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ قال : ألم تروا إلى الوصيفة التى كانت فى السبى ؟ فانى قسمت وخمست فصارت فى الخمس ثم صارت فى أهل بيت النبي (ص) ، ثم صارت فى آل على فوقعت بها ، قال وكتب الرجل إلى نبي الله (ص) فقلت : ابعثنى ؟ فبعثنى مصدقا ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق ، قال : فأمسك النبي (ص) بيدى والكتاب قال : أتبغض علياً ؟ قال : قلت نعم ! قال : فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً ، فوالذى نفسى بيده لنصيب آل على فى الخمس أفضل من وصيفة ، قال : فما كان فى الناس أحد بعد قول رسول الله (ص) أحب إلى من على قال عبد الله : فوالذى لا إله غيره ما بينى وبين النبي (ص) فى هذا الحديث غير أبى بريدة » تفرد به أحمد وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجواب عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن البراء بن عازب نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب . وقد رواه الترمذى عن عبدالله بن أبي زياد عن أبي الجواب الأحوص بن جواب به وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا جعفر بن سليمان حدثنى يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال : « بعث رسول الله سرية وأمر عليها على بن أبي طالب فأحدث شيئاً فى سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله (ص) ، قال عمران . وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه ، قال : فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال : يارسول الله إن عليا فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثانى فقال يارسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ثم قام الرابع فقال : يارسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، قال : فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغير وجهه وقال : دعوا عليا ، دعوا عليا ، دعوا عليا إن عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى » . وقد رواه الترمذى والنسائى عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسياق الترمذى مطول وفيه « أنه أصاب جارية من السبى » ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان . ورواه أبو يعلى الموصلى عن عبد الله بن عمر القواريرى والحسن بن عمر بن شقيق الجرمى والمعلى بن مهدى كلهم عن جعفر بن سليمان به . وقال خيثمة بن سليمان حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صهيب عن دكين

عن وهب بن حمزة قال « سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة ، فرأيت منه جفوة فقلت : لئن رجعت فلقيت رسول الله لأنالن منه ، قال : فرجعت فلقيت رسول الله فذكرت عليا فنلت منه ، فقال لي رسول الله (ص) : لاتقولن هذا لعلي فان عليا وليكم بعدي » : وقال أبو داود الطيالسي : عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال لعلي : « أنت ولي كل مؤمن بعدي » . وقال الامام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي عن أبي إسحاق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب — وكانت عند أبي سعيد الخدري — عن أبي سعيد قالت : اشتكى عليا الناس فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول : « أيها الناس لاتشكوا عليا فوالله إنه لأجيش في ذات الله — أو في سبيل الله » . تفرد به أحمد . وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا أبو سهل بن زياد القطان ثنا أبو إسحاق القاضي ثنا إسماعيل بن أبي إدريس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد قال : « بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه فلما أحضر إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا — وكنا قد رأينا في إبلنا خللا — فأبى علينا وقال : إنما لكم منها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ علي وانصرف من اليمن راجعاً ، أمر علينا إنسانا فأسرع هو فأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي (ص) : ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم . قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا إياه ففعل ، فلما جاء علي عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت — رأى أثر المراكب — فذم الذي أمره ولامه ، فقلت أما إن لله علي إن قدمت المدينة وغدوت إلى رسول الله (ص) لأذكرن لرسول الله (ص) ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله (ص) أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله (ص) فلما رآني وقف معي ورحب بي وساءلني وساءلته وقال : متى قدمت ؟ قلت : قدمت البارحة ، فرجع معي إلى رسول الله (ص) وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، قال : ائذن ، له فدخلت فحييت رسول الله (ص) وحياني وسلمت عليه وسألني عن نفسي وعن أهلي فأحفى المسألة فقلت : يارسول الله لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق ، فابتدر رسول الله وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله (ص) على فخذي — وكنت منه قريباً — وقال : سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي ، فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله ، قال فقلت في نفسي : ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري لاجرم ، والله لا أذكره

بسوء أبداً سراً ولا علانية » : وقال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن عبد الله بن دينار الأسلمي عن خاله عمرو بن شاش الأسلمي - وكان من أصحاب الحديبية - قال : « كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله إلى اليمن ، فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي ، فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوماً ورسول الله جالس في المسجد فلما رآني أنظر إلى عينيه نظر إلى حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال : أما إنه والله يا عمرو لقد آذيتني ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والاسلام أن أوذي رسول الله (ص.) فقال : من آذى عليا فقد آذاني » وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب عن أبيه إبراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن دينار عن خاله عمرو بن شاش فذكره . وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن الفضل . وكذلك رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن أبان بن صالح به ولفظه : « فقال رسول الله من آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » . وروى عباد بن يعقوب الرواجني عن موسى بن عمير عن عقيل بن نجدة بن هبيرة عن عمرو بن شاش قال قال رسول الله : « يا عمرو إن من آذى عليا فقد آذاني » وقال أبو يعلى : ثنا محمود بن خداش ثنا مروان بن معاوية ثنا قنان بن عبد الله النهمي ثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي فأقبل رسول الله يعرف في وجهه الغضب فتعوذت بالله من غضبه فقال : « مالكم ومالي ؟ من آذى عليا فقد آذاني » . حديث غدير خم قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا : ثنا فطر عن أبي الطفيل قال : جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام ، فقام كثير من الناس قال أبو نعيم ! - فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؛ قالوا نعم يارسول الله قال : من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . قال فخرجت كأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا : قال . فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله (ص.) يقول ذلك له . ورواه النسائي من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك ، وقال أبو بكر الشافعي : ثنا محمد بن سليمان بن الحارث ثنا عبيد الله ابن موسى ثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم أن علياً انتشد الناس : من سمع رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقام ستة عشر رجلا فشهدوا بذلك وكنت فيهم . وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

« شهدت عليا فى الرحبة يناشد الناس : أنشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غديرخم : من كنت مولاه فعلى مولاه لما قام فشهد قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدرياً كأنى أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غديرخم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجى أمهاتهم ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . ثم رواه عبد الله بن أحمد عن أحمد بن عمر الوكيعى عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن نيار عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فذكره ، قال : « فقام اثنا عشر رجلا فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيدك يقول : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » . وهكذا رواه أبو داود الطهوى ــ واسمه عيسى ابن مسلم ــ عن عمرو بن عبد الله بن هند الجلى وعبد الأعلى بن عامر التغلبى كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى فذكره بنحوه ، قال الدارقطنى غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوى . وقال الطبرانى : ثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المدينى سنة تسعين ومائتين . حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى ثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال : شهدت عليا على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غديرخم يقول ما قال ؟ فقام اثنا عشر رجلا منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » و رواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعى عن الحسن بن على بن عفان العامرى عن عبد الله بن موسى عن قطن عن عمرو بن مرة وسعيد بن وهب وعن زيد بن نقيع قالوا : سمعنا عليا يقول فى الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أن رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث : يا أبا بكر أى أشياخ هم ؟ . وكذلك رواه عبد الله بن أحمد عن على بن حكيم الأودى عن إسرائيل عن أبى إسحاق فذكر نحوه . وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا سمعنا عليا برحبة الكوفة يقول : أنشد الله رجلا سمع رسول الله (ص) يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول ذلك . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت سعيد بن وهب قال : نشد على الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا أن رسول الله (ص) قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا حسين بن الحرث بن لقيط الأشجعى عن رياح بن الحرث قال : جاء رهط إلى على بالرحبة فقالوا : السلام عليك يامولانا : فقال ، كيف أكون مولاكم

وأنتم قوم عرب ؟ قالوا : سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول : « من كنت مولاه فان هذا على مولاه » قال رباح فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصارى. وقال أبو بكر بن أبى شيبة : ثنا شريك عن حنش عن رباح بن الحرث قال : بينا نحن جلوس فى الرحبة مع على إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال : السلام عليك يامولاى قالوا : من هذا ؟ فقال أبو أيوب : سمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وقال أحمد : ثنا محمد بن عبد الله ثنا الربيع - يعنى ابن أبى صالح الأسلمى - حدثنى زياد بن أبى زياد الأسلمى سمعت على بن أبى طالب ينشد الناس فقال أنشد الله رجلا مسلما سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما قال، فقام اثنا عشر رجلا بدرياً فشهدوا . وقال أحمد: حدثنا ابن نمير ثنا عبد الملك عن أبى عبد الرحمن الكندى عن زاذان أن ابن عمر قال : سمعت عليا فى الرحبة وهو ينشد الناس : من شهد رسول الله يوم غدير خم وهو يقول ماقال ؟ فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وقال أحمد : ثنا حجاج بن الشاعر ثنا شبابة ثنا نعيم بن حكيم حدثنى أبو مريم ورجل من جلساء على عن على أن رسول الله (ص) قال يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعلى مولاه » قال فزاد الناس بعد « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . وقد روى هذا من طرق متعددة عن على رضى الله عنه، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم . وقال غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبى مريم أو زيد بن أرقم - شعبة الشاك - قال قال رسول الله (ص): « من كنت مولاه فعلى مولاه » قال سعيد بن جبير : وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس . رواه الترمذى عن بندار عن غندر وقال حسن غريب . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبى عبيد عن ميمون بن أبى عبد الله قال قال زيد بن أرقم وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادخم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال : فخطبنا وظلل لرسول الله (ص) بثوب على شجرة سمر من الشمس فقال : « ألستم تعلمون - أو ألستم تشهدون - أنى أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ! قال : فمن كنت مولاه فان عليا مولاه ، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه » . وكذا رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن ميمون بن أبى عبد الله عن زيد بن أرقم . وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو إسحاق السبيعى وحبيب الاساف وعطية العوفى وأبو عبد الله الشامى وأبو الطفيل عامر ابن واثلة . وقد رواه معروف بن خربوذ عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال : لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن ، ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قام فقال : « أيها الناس قد نبأنى اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبى إلا مثل نصف عمر الذى قبله ، وإنى لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب ، وإنى مسئول ، أنتم مسئولون ، فماذا أنتم قائلون ؟

قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً ، قال : ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : اللهم اشهد . ثم قال : يا أيها الناس إن الله مولاى وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال : أيها الناس إنى فرطكم وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة ، وإنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفونى فيهما ؟ الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتى أهل بيتى فانه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » . رواه ابن عساكر بطوله من طريق معروف كما ذكرنا . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن على بن زيد بن جدعان عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله حتى نزلنا غدير خم بعث منادياً ينادى ، فلما اجتمعنا قال : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قلنا : بلى يارسول الله ! قال : ألست أولى بكم من أمهاتكم ؟ قلنا : بلى يارسول الله : قال : ألست أولى بكم من آبائكم ؟ قلنا بلى يارسول الله ! قال : ألست ألست ألست ؟ قلنا : بلى يارسول الله قال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقال عمر بن الخطاب : هنيئاً لك يا ابن أبى طالب أصبحت اليوم ولى كل مؤمن . وكذا رواه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد وأبى هارون العبدى عن عدى بن ثابت عن البراء به . وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمى عن أبى إسحاق عن البراء به . وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة بن عبيد الله وجابر بن عبد الله وله طرق عنه وأبى سعيد الخدرى وحبشى بن جنادة وجرير بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبى هريرة ؛ وله عنه طرق منها ــ وهى أغربها ــ الطريق الذى قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى : ثنا عبد الله بن على بن محمد بن بشران أنا على بن عمر الحافظ أنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال ثنا على بن سعيد الرملى ثنا ضمرة بن ربيعة القرشى عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر ابن حوشب عن أبى هريرة قال : « من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبى (ص) بيد على بن أبى طالب فقال : « ألست ولى المؤمنين ؟ قالوا : بلى يارسول الله ! قال : من كنت مولاه فعلى مولاه » فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل [أليوم أكملت لكم دينكم] ومن صام يوم سبعة (١) وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة . قال

(١) فى نسخة طوقوب : ستة وعشرين .

الخطيب : اشتهر هـذا الحديث برواية حبشون وكان يقال إنه تفرد به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيـد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيرى عن على بن سعيد الشامى . قلت وفيه نـكارة من وجوه منها قوله نزل فيـه [اليوم أكملت لـكم دينكم] وقـد ورد مثله من طريق ابن هارون العبـدى عن أبى سـعيد الخدرى ولا يصح أيضاً ، وإنمـا نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب وقد تقدم . وقد روى عن جماعـة من الصحابة غير من ذكرنا فى قوله عليه السلام « من كنت مولاه » والأسانيد إليهم ضعيفة. حديث الطير وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفى كل منها نظر ونحن نشير إلى شىء من ذلك قال الترمذى : حدثنا سفيان بن وكيع ثنا عبد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السرى عن أنس قال : « كان عنـد النبي (ص) طير فقال : اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير » فجاء على فأكل معه ، ثم قال الترمذى : غريب لا نعرفه من حديث السرى إلا من هـذا الوجه ، قال : وقد روى من غـير وجه عن أنس وقـد رواه أبو يعلى عن الحسين بن حماد عن شهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به . وقال أبو يعلى : ثنا قطن بن بشير ثنا جعفر بن سليمان الضبعى ثنا عبد الله بن مثنى ثنا عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (ص) حجل مشوى بخبزه وضيافه ، فقال رسول الله (ص) : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطعام » فقالت عائشة: اللهم اجعله أبى ، وقالت حفصة : اللهم اجعله أبى ، وقال أنس : وقلت : اللهم اجعله سعد بن عبادة ، قال أنس : فسمعت حركة بالباب فقلت إن رسول الله (ص) عـلى حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فخرجت فاذا عـلى بالباب ، فقلت : إن رسول الله (ص) عـلى حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فـلم عـلى فسمع رسول الله (ص) صوته فقال : انظر من هـذا ؟ فخرجت فاذا هو على فجئت إلى رسول الله (ص) فأخـبرته فقال : « ائذن له يدخل عـلى فأذنت له فدخل ، فقال رسول الله (ص) اللهـم وال من والاه » . والى ورواه الحاكم فى مستدركه عن أبى على الحافظ عن محمد بن أحـمد الصفار وحميد بن يونس الزيات كلاهما عن محمد بن أحمد بن عياض عن أبى غسان أحمد بن عياض عن أبى ظبية عن يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس فذكره ، وهـذا إسناد غريب . ثم قال الحاكم : هذا الحديث على شرط البخارى ومسلم وهذا فيه نظر ، فان أباعلاثة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هـذا الحديث عنه جماعة عن أبيه ، وممن رواه عنه أبو القاسم الطبرانى ثم قال : تفرد به عن أبيه والله أعلم . قال الحاكم وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبى فصلهم بثقة يصح الاسناد إليه ثم قال الحاكم : وصحت الرواية عن عـلى وأبى سعيد وسفينة ، قال شيخنا أبو عبد الله لا والله ما صح

شئ من ذلك ، ورواه الحاكم من طريق إبراهيم بن ثابت القصار وهو مجهول عن ثابت البناني عن أنس قال : دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس : اسكت عن سب علي فذكر الحديث مطولا وهو منكر سنداً ومتناً ، لم يورد الحاكم في مستدركه غير هذين الحديثين وقد رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن خالد الواسطي عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أنس ، وهذا أجود من إسناد الحاكم . ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك . قال : أهدى لرسول الله (ص) طير مشوي فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير » فذكر نحوه ، ورواه محمد بن مصفى عن حفص بن عمر عن موسى ابن سعد عن الحسن عن أنس فذكره ، ورواه علي بن الحسن الشامي عن خليل بن دعلج عن قتادة عن أنس بنحوه ، ورواه أحمد بن يزيد الورتنيس عن زهير عن عثمان الطويل عن أنس فذكره ، ورواه عبيد الله بن موسى عن مسكين بن عبد العزيز عن ميمون أبي خلف حدثني أنس ابن مالك فذكره ، قال الدارقطني : من حديث ميمون أبي خلف تفرد به مسكين بن عبد العزيز ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس . ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض ثنا المضاء بن الجارود عن عبد العزيز بن زياد أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن علي بن أبي طالب فقال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال : « اللهم ائتني بأحب الخلق إلي يأكل معي » . فذكره . وقال الخطيب البغدادي : أنا الحسن بن أبي بكير أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح ثنا محمد بن القاسم النحوي أبو عبد الله ثنا أبو عاصم عن أبي الهندي عن أنس فذكره . ورواه الحاكم بن محمد عن محمد بن سليم عن أنس بن مالك فذكره . وقال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الوراق ثنا مسهر بن عبد الملك ابن سلع ثقة ثنا عيسى بن عمر عن إسماعيل السدي أن رسول الله (ص) كان عنده طائر فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، فجاء أبو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده ثم جاء عثمان فرده ثم جاء علي فأذن له » . وقال أبو القاسم بن عقدة ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا يوسف بن عدي ثنا حماد بن المختار الكوفي ثنا عبد الملك بن عمير عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (ص) طائر فوضع بين يديه فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي قال : فجاء علي فدق الباب فقلت من ذا ؟ فقال : أنا علي ، فقلت إن رسول الله على حاجة حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبي (ص) . ما حبسك ؟ فقال : قد جئت ثلاث مرات فيحبسني أنس ، فقال النبي (ص) : ما حملك على ذلك ؟ قال قلت : كنت أحب أن يكون رجلا من قومي » وقد رواه الحاكم النيسابوري عن عبدان بن يزيد عن يعقوب الدقاق عن إبراهيم بن الحسين

الشامى عن أبى توبة الربيع بن نافع عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عمير عن أنس فذكره، ثم قال الحاكم: لم نكتبه إلا بهذا الاسناد، وساقه ابن عساكر من حديث الحرث بن نبهان عن إسماعيل ــ رجل من أهل الكوفة ــ عن أنس بن مالك فذكره. ومن حديث حفص بن عمر المهرقانى عن الحكم بن شبير بن إسماعيل أبى سليمان أخى إسحاق بن سليمان الرازى عن عبد الملك بن أبى سليمان عن أنس فذكره. ومن حديث سليمان بن قرم عن محمد بن على السلمى عن أبى حذيفة العقيلى عن أنس فذكره. وقال أبو يعلى: ثنا أبو هشام ثنا ابن فضيل ثنا مسلم الملائى عن أنس قال: أهدت أم أيمن إلى رسول الله (ص) طيراً مشوياً فقال: « اللهم ائتنى بمن تحبه يأكل معى من هذا الطير » قال أنس فجاء على فاستأذن فقلت: هو على حاجته، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت: هو على حاجته فرجع، ثم عاد فاستأذن فسمع النبى (ص) صوته فقال: ائذن له فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل منه وحمد الله » فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال. وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبى ــ فى جزء جمعه فى هذا الحديث بعد ما أورد طرقا متعددة نحواً مما ذكرنا ــ ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبى عصام خالد بن عبيد ودينار أبى كيسان وزياد بن محمد الثقفى وزياد العبسى وزياد بن المنذر وسعد بن ميسرة البكرى وسليمان التيمى وسليمان بن على الأمير وسلمة بن وردان وصباح بن محارب وطلحة بن مصرف وأبى الزناد وعبد الأعلى بن عامر وعمر بن راشد وعمر بن أبى حفص الثقفى الضرير وعمر بن سليم البجلى وعمر بن يحيى الثقفى وعثمان الطويل وعلى بن أبى رافع وعيسى بن طهمان وعطية العوفى وعباد بن عبد الصمد وعمار الذهبى وعباس بن على وفضيل بن غزوان وقاسم بن جندب وكلثوم بن جبر ومحمد ابن على الباقر والزهرى ومحمد بن عمرو بن علقمة ومحمد بن مالك الثقفى ومحمد بن جحادة وميمون بن مهران وموسى الطويل وميمون بن جابر السلمى ومنصور بن عبد الحميد ومعلى بن أنس وميمون أبى خلف الجراف وقيل أبو خالد ومطر بن خالد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وموسى بن عبد الله الجهنى ونافع مولى ابن عمر والنضر بن أنس بن مالك ويوسف بن إبراهيم ويونس بن حيان ويزيد بن سفيان ويزيد بن أبى حبيب وأبى المليح وأبى الحكم وأبى داود السبيعى وأبى حمزة الواسطى وأبى حذيفة العقيلى وإبراهيم بن هدبة ثم قال بعد أن ذكر الجميع: الجميع بضعة وتسعون نفساً أقربها غرائب ضعيفة وأردؤها طرق مختلفة مفتعلة وغالبها طرق واهية. وقد روى من حديث سفينة مولى رسول الله (ص) فقال أبو القاسم البغوى وأبو يعلى الموصلى قالا: حدثنا القواريرى ثنا يونس بن أرقم ثنا مطير ابن أبى خالد عن ثابت البجلى عن سفينة مولى رسول الله (ص) قال: أهدت امرأة من الأنصار طائرين بين رغيفين ــ ولم يكن فى البيت غيرى وغير أنس ــ فجاء رسول الله (ص) فدعا بغدائه. فقلت:

يارسول الله قد اهدت لك امرأة من الانصار هدية ، فقدمت الطائرين إليـه فقال رسول الله (ص) : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك ، فجاء علي بن أبي طالب فضرب الباب خفيا فقلت : من هذا ؟ قال أبو الحسن ، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله من هذا : قلت علي بن أبي طالب قال افتح له ، ففتحت له فأكل معه رسول الله (ص) من الطيرين حتى فنيا » . وروى عن ابن عباس فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد : ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم عن محمد بن شعيب عن داود بن عبـد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس قال : إن النبي (ص) أتي بطائر فقال : « اللهم ائتني برجل يحبه الله ورسوله فجاء علي فقال : اللهم وإلى » وروى عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب : ثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي حدثني أبي عن أبيـه عن جـده عن علي قال : أهدى لرسول الله (ص) طير يقال له الحبارى فوضعت بين يديه ـ وكان أنس بن مالك يحجبه ـ فرفع النبي (ص) يده إلى الله ثم قال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير . قال فجاء علي فاستأذن فقال له أنس : إن رسول الله يعني على حاجتـه فرجع ثم أعاد رسول الله (ص) الدعاء فرجع ثم دعا الثالثة فجاء علي فأدخله ، فلما رآه رسول الله قال : اللهـم والى . فأكل معه فلما أكل رسول الله وخرج علـي قال أنس : سمعت عليا فقلت يا أبا الحسن استغفرلي فان لي إليك ذنب وإن عنـدي بشارة ، فأخبرته بما كان من النبي (ص) فحمد الله واستـغفر لي ورضي عني أذهب ذنبي عنـده بشارتي إياه » ومن حـديث جابر بن عبـد الله الأنصاري أورده ابن عساكر من طريق عبـد الله بن صالح كاتب الليث عن ابن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره بطوله . وقد روى أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم ولـكن إسناده مظلم وفيـه ضعفاء . وروى من حديث حبشي بن جنادة ولا يصح أيضاً ومن حديث يعلى بن مرة والاسناد إليه مظلم ، ومن حديث أبي رافع نحوه وليس بصحيح . وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبـد الله الذهبي ورأيت فيـه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سـنداً ومتنا للقاضي أبي بكر الباقلاني المتـكلم . وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه والله أعلم .

حديث آخر في فضل علي قال أبو بكر الشافعي : ثنا بشر بن موسى الأسدي ثنا زكريا بن عـدي ثنا عبد الله بن عمرو عن عبـد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله (ص) إلى امرأة من الأنصار في نخل لها يقال له الاسراف ففرشت لرسول الله (ص) تحت صور لها مرشوش فقال رسول الله (ص) : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاءه

أبو بكر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاء عمر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة قال : فلقد رأيته مطأطياً رأسه تحت الصور ثم يقول : اللهم إن شئت جعلته علياً ، فجاء على ، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله (ص) شاة وصنعتها فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلى وصلينا ماتوضأ ولا توضأنا ، فلما حضرت العصر صلى وما توضأ ولا توضأنا » . حديث آخر قال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الكوفى ثنا ابن أبى عتبة عن أبيه عن الشيبانى عن جميع بن عمير قال : « دخلت مع أبى على عائشة فسألتها عن على فقالت : ماأريت رجلا كان أحب إلى رسول الله (ص) منه ، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله (ص) من امرأته » وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عمير به . حديث آخر قال الامام أحمد : ثنا يحيى بن أبى بكير ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبد الله الجدلى البجلى قال : دخلت على أم سلمة فقالت لى : أيسب رسول الله (ص) فيكم ؟ فقلت معاذ الله ـ أو سبحان الله أو كلمة نحوها ـ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من سب علياً فقد سبنى » وقد رواه أبو يعلى عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عبد الرحمن البجلى من بجيلة من سليم عن السدى عن أبى عبد الله البجلى قال : « قالت لى أم سلمة أيسب رسول الله فيكم على المنابر ؟ قال : قلت وأنى ذلك ؟ قالت : أليس يسب على ومن أحبه ؟ فأشهد أن رسول الله (ص) كان يحبه » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة . وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبى سعيد أن رسول الله (ص) قال لعلى : « كذب من زعم أنه يحبنى و يبغضك » ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتج بها حديث آخر قال عبد الرزاق « أنا الثورى عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش قال : سمعت عليا يقول : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى (ص) إلى أنه لايحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » ورواه أحمد عن ابن نمير ووكيع عن الأعمش . وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الحربى وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المورع ويحيى بن عيسى الرملى عن الأعمش به وأخرجه مسلم فى صحيحه عن (١) ورواه غسان بن حسان عن شعبة عن عدى بن ثابت عن على فذكره . وقد روى من غير وجه عن على . وهذا الذى أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم . وقال الامام أحمد : ثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عبد الرحمن أبى نصر حدثنى مساور الحميرى عن أبيه قال : سمعت أم سلمة تقول : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلى : « لايبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح وروى ابن عقدة عن الحسن بن على بن بزيغ ثنا عمرو بن إبراهيم ثنا سوار بن مصعب عن الحكم عن يحيى

(١) بياض بالأصل وفى صحيح مسلم عن سعد .

الخراز عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله (ص) يقول : « من زعم أنه آمن بى و بما جئت به وهو يبغض عليا فهو كاذب ليس بمؤمن » وهذا بهذا الاسناد مختلق لايثبت والله أعلم . وقال الحسن ابن عرفة : حدثنى سعيد بن محمد الوراق عن على بن الحزاز سمعت أبا مريم الثقفى سمعت عمار بن ياسر يقول : سمعت النبى (ص) يقول لعلى : « طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك » وقد روى فى هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها . وقال غير واحد عن أبى الأزهر أحمد بن الأزهر : ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص) نظر إلى على فقال : « أنت سيد فى الدنيا سيد فى الآخرة ، من أحبك فقد أحبنى وحبيبك حبيب الله ، ومن أبغضك فقد أبغضنى و بغيضك بغيض الله ، وويل لمن أبغضك من بعدى » وروى غير واحد أيضاً عن الحارث بن حصيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ناجد عن على قال : دعانى رسول الله فقال : « إن فيك من عيسى ابن مريم مثلا أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبوه النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس هو له » قال على : ألا وإنه يهلك فىَّ اثنان محب مطرى مفرط يفرطنى بما ليس فى . ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى ، ألا وإنى لست بنبى ولا يوحى إلى ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم من طاعة الله حق عليكم طاعتى فيما أحببتم وكرهتم ، لفظ عبد الله بن أحمد . قال يعقوب بن سفيان : ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا على بن مسهر عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية عن على قال : أنا قسيم النار ، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لى . قال يعقوب : وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله ، وعباية أقل منه ليس بشئ حديثه . وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديثه بهذا ، فقال له الأعمش : إذا نسيت فذكرونى ، ويقال إن الأعمش إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم فى تصديقهم ذلك . قلت : وما يتوهمه بعض العوام بل هو مشهور بين كثير منهم ، أن عليا هو الساقى على الحوض فليس له أصل ولم يجئ من طريق مرضى يعتمد عليه ، والذى ثبت أن رسول الله (ص) هو الذى يسقى الناس . وهكذا الحديث الوارد فى أنه ليس أحد يأتى يوم القيامة راكباً إلا أربعة رسول الله على البراق ، وصالح على ناقته ، وحمزة على العضباء ، وعلى على ناقة من نوق الجنة رافعاً صوته بالتهليل ، وكذلك ما فى أفواه الناس من اليمين بعلى يقول أحدهم : خذ بعلى ، اعطنى بعلى ، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شئ من الوجوه ، وهو من وضع الرافضة و يخشى على من اعتاد ذلك سلب الايمان عند الموت ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك . حديث اخر قال الامام أحمد : حدثنى يحيى عن شعبة ثنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن على قال : مر بى رسول الله (ص) وأنا وجع وأنا أقول : اللهم إن كان

أجلى قد حضر فأرحنى ، وإن كان آجلا فارفع عنى ، وإن كان بلاء فصبرنى . قال : ما قلت : « فأعدت عليه فضربنى برجله وقال : ماقلت ؟ فأعدت عليه فقال : اللهم عافه أو اشفه » فما اشتكيت ذلك الوجع بعد . حديث آخر قال محمد بن مسلم بن داره : ثنا عبيد الله بن موسى ثنا أبو عمر الأزدى عن أبى راشد الحرانى عن أبى الحمراء قال قال رسول الله (ص) : « من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه وإلى نوح فى فهمه وإلى إبراهيم فى حلمه وإلى يحيى بن زكريا فى زهده وإلى موسى فى بطشه فلينظر إلى على بن أبى طالب » وهذا منكر جداً ولا يصح إسناده . حديث آخر فى رد الشمس قد ذكرناه فى دلائل النبوة بأسانيده وألفاظه فأغنى له عن إعادته حديث اخر قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن المنذر الكوفى ثنا محمد بن فضيل عن الأجلح عن أبى الزبير عن جابر قال : « دعا رسول الله (ص) عليا يوم الطائف فانتجاه فقال الناس : لقد طال نجواه مع ابن عمه ، فقال رسول (ص) ما انتجيته ولكن الله انتجاه » ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح ومعنى قوله « ولكن الله انتجاه » أن الله أمرنى أن انتجى معه . حديث اخر قال الترمذى : ثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد ثنا أبو عاصم عن أبى الجراح عن جابر بن صبيح حدثتنى أمى أم شراحيل حدثتنى أم عطية قالت : بعث رسول الله (ص) جيشاً فيهم على قالت سمعت رسول الله (ص) رافعاً يديه يقول : « اللهم لا تمتنى حتى ترينى عليا » ثم قال هـذا حديث حسن حديث اخر قال الامام أحمد : حدثنا على بن عاصم قال حصين أنا على عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازنى قال : لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقعون فى على ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل قال : فغضب فقام وأخذ بيدى وتبعته فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذى يأمر بلعن رجل من أهل الكوفة وأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قال قلت : وما ذاك ؟ قال قال رسول الله (ص) « اثبت حرا فليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد » قال قلت : من هم ؟ فقال : رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن مالك . قال قلت : ومن العاشر ؟ قال قال أنا . وينبغى أن يكتب هاهنا حديث أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبى عبد الله الجدلى : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر » ؟ الحديث رواه أحمد . حديث اخر قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وابن أبى بكير قالا ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن حبشى بن جنادة السلولى ــ وكان قد شهد حجة الوداع ــ قال قال رسول الله (ص) : « على منى وأنا منه ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على » ثم رواه أحمد عن أبى أحمد الزبيرى عن إسرائيل . حديث آخر قال أحمد : حدثنا وكيع قال قال إسرائيل قال أبو إسحاق

عن زيد بن يثيع عن أبي بكر « أن رسول الله (ص) بعثه ببراءة إلى أهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، من كان بينه و بين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله برئ من المشركين ورسوله. قال فسار بها ثلاثا ثم قال لعلى الحقه ورد على أبا بكر و بلغها أنت ، قال فلما قدم أبو بكر على رسول الله بكى وقال يارسول الله حدث فى شئ ؟ قال ماحدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لايبلغه إلا أنا أو رجل من أهل بيتى » وقال عبد الله بن أحمد: حدثنى محمد بن سليمان لوين ثنا محمد بن جابر عن سماك عن حبشى عن على قال: « لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعانى فقال لى أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم ، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل فى شئ ؟ قال لا ولكن جبريل جاءنى فقال لايؤدى عنك إلا أنت أورجل من بيتك » وقد رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر بنحوه وفيه نكارة من جهة أمره برد الصديق فان الصديق لم يرجع بل كان هو أمير الحج فى سنة تسع وكان على هو وجماعة معه بعثهم الصديق يطوفون برحاب منى فى يوم النحر وأيام التشريق ينادون ببراءة ؟ وقد قررنا ذلك فى حجة الصديق وفى أول تفسير سورة براءة. حديث آخر روى من حديث أبى بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبى ذر وجابر أن رسول الله (ص) قال: « النظر إلى وجه على عبادة » وفى حديث عن عائشة « ذكر على عبادة » ولكن لا يصح شئ منها فانه لا يخلو كل سند منها عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعى. حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع : قال الطبرانى: ثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازى ثنا محمد بن يحيى عن ضريس العبدى ثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن على بن أبى طالب حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن على قال: نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] فخرج رسول الله (ص) فدخل المسجد والناس يصلون بين راكع وقائم وإذا سائل فقال: ياسائل هل أعطاك أحد شيئا فقال: لا ! إلا هاذاك الراكع ـ لعلى ـ أعطانى خاتمه. وقال الحافظ ابن عساكر: أنا خالى أبو المعالى القاضى أنا أبو الحسن الخلعى أنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد ثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحارث الرملى ثنا القاضى جملة بن محمد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو نعيم الأحول عن موسى بن قيس عن سلمة قال: تصدق على بخاتمه وهو راكع فنزلت [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيده ولم ينزل فى على شئ من القرآن بخصوصيته وكل ما يريدونه فى قوله تعالى [إنما أنت منذر

ولكل قوم هاد] وقوله [و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا] وقوله [أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة فى أنها نزلت فى على لا يصح شئ منها ، وأما قوله تعالى [هذان خصمان اختصموا فى ربهم] فثبت فى الصحيح أنه نزل فى على وحمزة وعبيدة من المؤمنين ، وفى عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين . وما روى عن ابن عباس أنه قال : مانزل فى أحد من الناس ما نزل فى على . وفى رواية عنه أنه قال : نزل فيه ثلثمائة . آية فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا . حديث آخر قال أبو سعيد بن الأعرابى : ثنا محمد بن زكريا الغلابى ثنا العباس بن بكار أبو الوليد ثنا عبد الله بن المثنى الانصارى عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال : « كان رسول الله (ص.) جالسا بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل على فسلم ثم وقف فنظر مكاناً يجلس فيه فنظر رسول الله (ص.) إلى وجوه أصحابه أيهم يوسع له ـ وكان أبو بكر عن يمين رسول الله (ص.) جالسا ـ فتزحزح أبو بكر عن مجلسه وقال : هاهنا يا أبا الحسن ، فجلس بين رسول الله (ص.) وبين أبى بكر فرأينا السرور فى وجه رسول الله (ص.) ، ثم أقبل على أبى بكر فقال : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل » فأما الحديث الوارد عن على وحذيفة مرفوعا « على خير البشر ، من أبى فقد كفر ومن رضى فقد شكر » فهو موضوع من الطريقين معاً قبح الله من وضعه واختلقه . حديث آخر قال أبو عيسى الترمذى : ثنا إسماعيل بن موسى بن عمر الرومى ثنا شريك عن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحى عن على قال : قال رسول الله (ص.) : « أنا دار الحكمة وعلى بابها » ثم قال هذا الحديث غريب قال : وروى بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس قلت : رواه سويد بن سعيد عن شريك عن سلمة عن الصنابحى عن على مرفوعا : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة » وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدى من طريق أحمد بن سلمة أبى عمرو الجرجانى ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص.) : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها » ثم قال ابن عدى : وهذا الحديث يعرف بأبى الصلت الهروى عن أبى معاوية سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء ، هكذا قال رحمه الله . وقد روى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين أنه قال : أخبرنى ابن أيمن أن أبا معاوية حدث بهذا الحديث قديماً ثم كف عنه ، قال : وكان أبو الصلت رجلا موسراً يكرم المشايخ ويحدثونه بهذه الأحاديث وساقه ابن عساكر باسناد مظلم عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعا ، ومن طريق أخرى عن جابر : قال ابن عدى وهو موضوع أيضاً . وقال أبو الفتح الأزدى : لا يصح فى هذا الباب شئ . حديث آخر يقرب مما قبله قال ابن عدى : ثنا أحمد بن

حيرون النيسابورى ثنا ابن أيوب أبو أسامة ـ هو جعفر بن هذيل ـ ثنا ضرار بن صرد ثنا يحيى بن عيسى الرملى عن الأعمش عن بن عباية عن ابن عباس عن النبى (ص) قال : « على عيبتى ».

حديث آخر في معنى ما تقدم قال ابن عدى : ثنا أبو يعلى ثنا كامل بن طلحة ثنا ابن لهيعة ثنا يحيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الجبلى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال فى مرضه : « ادعوا لى أخى فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال ادعوا لى أخى فدعوا له عمر فأعرض عنه ثم قال ادعوا لى أخى فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال ادعوا لى أخى فدعى له على بن أبى طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال ؟ قال : علمنى ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب » قال ابن عدى هذا حديث منكر ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة فانه شديد الافراط فى التشيع وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف حديث آخر قال ابن عساكر : أنبأنا أبو يعلى ثنا المقرى أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو أحمد النطريفى ثنا أبو الحسين بن أبى مقاتل ثنا محمد بن عبيد بن عتبة ثنا محمد بن على الوهبى الكوفى ثنا أحمد بن عمران بن سلمة ـ وكان ثقة عدلا مرضياً ـ ثنا سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنت عند النبى (ص) فسئل عن على فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطى على تسعة والناس جزءاً واحدا » وسكت الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على سفيان الثورى باسناده قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه . حديث آخر قال أبو يعلى ثنا عبيد الله بن عمر القواريرى ثنا يحيى عن سعيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن على . قال : « بعثنى رسول الله (ص) إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لى علم بالقضاء قال : فضرب فى صدرى وقال : إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك قال : فما شككت فى قضاء بين اثنين بعد » وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول : على أقضانا وأبى أقرؤنا للقرآن . وكان عمر يقول أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أم موسى عن أم سلمة قالت والذى أحلف به إن كان على بن أبى طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله عدنا رسول الله غداة بعد غداة يقول : « جاء على ؟ مراراً ـ وأظنه كان بعثه فى حاجة ـ قالت فجاء بعد فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت عند الباب فقعدنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه على فجعل يساره ويناجيه ثم قبض من يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهدا » وهكذا رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن أبى بكر بن أبى شيبة به حديث آخر فى معناه قال أبو يعلى : ثنا عبد الرحمن بن صالح ثنا أبو بكر بن عياش عن صدقة عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا : ياأم المؤمنين أخبرينا عن على ،

قالت : أي شئ تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه في يده فسح بها وجهه ثم اختلفوا في دفنه فقال : إن أحب الاماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ قالتا : فلم خرجت عليه ؟ قالت أمر قضي لوددت أني أفديه بما على الأرض » وهذا منكر جداً وفي الصحيح ما يرد هذا والله أعلم . حديث آخر قال الامام أحمد : ثنا أسود بن عامر حدثني عبد الحميد بن أبي جعفر ـ يعني الفراء ـ عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن علي قال : قيل يارسول الله من نؤمر بعدك ؟ قال : إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لايخاف في الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم » وقد روى هذا الحديث من طريق عبد الرزاق عن النعمان ابن أبي شيبة وعن يحيى بن العلاء عن الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . ورواه أبو الصلت الهروي عبد السلام بن صالح عن ابن نمير عن الثوري عن شريك عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة به . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : أنا أبو عبد الله محمد بن علي الآدمي بمكة ثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني أنا عبد الرزاق بن همام عن أبيه عن ابن ميناء عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال : فتنفس فقلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال : « نعيت إلي نفسي . قلت : فاستخلف . قال من ؟ قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ثم تنفس قلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال نعيت إلي نفسي ياابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال : من قلت : عمر قال : فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس قال : فقلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال : نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال من ؟ قلت : علي بن أبي طالب قال : أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين » قال ابن عساكر همام وابن ميناء مجهولان . حديث آخر قال أبو يعلى : ثنا أبو موسى ـ يعني محمد بن المثنى ـ ثنا سهيل ابن حماد أبو غياث الدلال ثنا مختار بن نافع التيمي ثنا أبو حيان التيمي عن أبيه عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة رحم الله علياً دار الحق معه حيث دار » وقد ورد عن أبي سعيد وأم سلمة أن الحق مع علي رضي الله عنه وفي كل منهما نظر الله أعلم . حديث آخر قال أبو يعلى : ثنا عثمان بن جرير عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! فقال عمر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! ولكنه خاصف النعل ـ وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه » ـ ورواه الامام

البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش به . ورواه الامام أحمد عن وكيع وحسين بن محمد عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء به . ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي نعيم عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد به . ورواه فضيل ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد . وروى من حديث على نفسه . وقد قدمنا هذا الحديث فى موضعه فى قتال على أهل البغى والخوارج ولله الحمد ، وقدمنا أيضاً حديث على للزبير أن رسول الله (ص) قال لك : إنك تقاتلنى وأنت ظالم . فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ثم قتل بعد مرجعه فى وادى السباع . وقدمنا صبره وصرامته وشجاعته فى يومى الجمل وصفين ، وبسالته وفضله فى يوم النهروان ، وما ورد فى فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن على وأبى سعيد وأبى أيوب أن رسول الله (ص) أمره بقتال المارقين والقاسطين والناكثين وفسروا الناكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج والحديث ضعيف

تم الجزء السابع من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثامن وأوله فصل فى ذكر شئ من سيرته العادلة وسريرته الفاضلة وخطبه الكاملة

فهرست المجلد السابع من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	
٢	سنة ثلاث عشرة من اهجرة
٤	وقعة اليرموك
١٦	انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة بعد وقعة اليرموك
	وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد الى الشام
١٨	خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٩	فتح دمشق
٢٣	فصل
٢٤	فصل
٢٥	وقعة فحل
٢٦	ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال
٢٧	وقعة النمارق
	وقعة جسر ابي عبيد ومقتل امير المسلمين وخلق كثير منهم
٢٩	وقعت البويب التي اقتص فيها المسلمون من الفرس
٣٠	ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم
٣١	ما وقع سنة ثلاث عشر من الحوادث
٣٢	ذكر المتوفين في هذه السنة مرتبين على الحروف كما ذكرهم الحافظ الذهبي
٣٥	سنة اربع عشرة من الهجرة
٣٧	غزوة القادسية
٥٢	فصل

صحيفة	
٤٩	ذكرى من توفي في هذا العام من المشاهير
٥١	ثم دخلت سنة خمس عشرة
٥٢	وقعة حمص الأولى
	وقعة قنسرين
٥٣	وقعة قيسارية
٥٤	وقعة اجنادين
٥٥	فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب
٦١	وقعة نهر شير
	من توفي في هذه السنة مرتبين على الحروف
٦٣	ثم دخلت سنة ست عشرة
٦٤	ذكر فتح المدائن
٦٩	وقعة جلولاء
٧١	ذكر فتح حلوان
	فتح تكريت والموصل
٧٢	فتح ما سبذان من ارض العراق
٧٢	فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة
٧٤	ثم دخلت سنة سبع عشرة
٧٥	أبو عبيدة وحصر الروم له بحمص وقدوم عمر الى الشام
٧٦	فتح الجزيرة
٧٨	شيء من أخبار طاعون عمواس
٨٢	فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري
٨٣	فتح تستر المرة الأولى صلحاً
	ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين عن ابن جرير عن سيف

صحيفة

٨٠ ذكر فتح تستر ثانية وأسر الهرمزان وبعثه الى عمر بن الخطاب
٨٧ فتح السوس
٩٠ ثم دخلت سنة ثماني عشرة
٩٣ الحارث بن هشام
شرحبيل بن حسنة
٩٤ عامر بن عبد الله بن الجرّاح
الفضل بن عباس بن عبد المطلب
معاذ بن جبل
٩٥ يزيد بن أبي سفيان
أبو جندل بن سهيل
ثم دخلت سنة تسع عشرة
٩٧ ذكر من توفي فيها من الأعيان
سنة عشرين من الهجرة
صفة فتح مصر عن ابن إسحق وسيف
١٠٠ قصة نيل مصر
١٠١ ذكر المتوفين من الأعيان
أسيد بن الحضير
١٠٢ انيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي
بلال بن ابي رباح الحبشي المؤذن مولى ابي بكر
١٠٣ سعيد بن عامر بن خذيم
عياض بن غنم
أبو سفيان بن الحارث
١٠٤ ابو الهيثم بن التيهان
زينب بنت جحش
صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول
١٠٥ عويم بن ساعدة الأنصاري
ثم دخلت سنة احدى وعشرين
وكانت وقعة نهاوند
١١٣ ذكر من توفي سنة إحدى وعشرين

صحيفة

خالد بن الوليد
١١٨ طليحة بن خويلد
١١٩ عمرو بن معدي كرب
١٢٠ العلاء بن الحضرمي
النعمان بن مقرن بن عائذ المزني
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين
١٢١ فتح الريّ
١٢٢ فتح قومس
فتح جرجان
وهذا فتح اذربيجان
فتح الباب
١٢٣ اول غزو الترك
١٢٤ قصة السدّ
١٢٥ بقية من خبر السد
١٢٦ قصة يزدجرد بن شهريار بن كسرى
١٢٧ خراسان مع الاحنف بن قيس
١٣٠ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين
فتح فسا ودار أبجرد وقصة سارية بن زنيم
١٣٢ غزوة الأكراد
١٣٣ خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد
١٣٨ صفته رضي الله عنه
١٣٩ ذكر زوجاته وأبنائه وبناته
١٤٠ ذكر بعض ما رُثي به
١٤١ الأقرع بن حابس
١٤٢ حباب بن المنذر، ربيعة بن الحارث
علقمة بن علاثة
١٤٣ علقمة بن مجزز
عويم بن ساعدة
غيلان بن سلمة الثقفي
معمر بن الحارث

صحيفة

ميسرة بن مسروق العبسي
واقد بن عبد الله
١٤٤ ابو خراش الهذلي الشاعر
ابو ليلى عبد الرحمن بن كعب
سودة بنت زمعة
هند بن عتبة
خلافه امير المؤمنين عثمان بن عفّان
ثم استهلت سنة أربع وعشرين
١٥١ ثم دخلت سنة خمس وعشرين
ثم دخلت سنة ست وعشرين
ثم دخلت سنة سبع وعشرين
غزوة افريقية
١٥٢ غزوة الأندلس
وقعة جرجير والبربر مع المسلمين
١٥٣ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين
فتح قبرص
ثم دخلت سنة تسع وعشرين
١٥٤ سنة ثلاثين من الهجرة النبوية
١٥٦ فصل
جبار بن صخر
حاطب بن بلتعة
الطفيل بن الحارث عبدالله بن كعب
عبد الله بن مظعون
عياض بن زهير
مسعود بن ربيعة
معمر بن ابي سرح
١٥٧ أبو أسيد
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين
١٥٨ كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد
١٥٩ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

صحيفة

١٦١ ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة
العباس بن عبد المطلب
١٦٢ عبدالله بن مسعود
١٦٣ عبد الرحمن بن عوف
١٦٤ أبو ذرّ الغفاري
١٦٥ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين
١٦٦ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين
١٧٠ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ففيها مقتل عثمان
١٧٣ ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية
١٧٦ ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان
١٧٧ طريق أخرى
١٧٨ طريق أخرى
طريق أخرى
١٧٩ طريق أخرى
طريق أخرى
طريق أخرى
١٨١ فصل
١٨٤ صفة قتله رضي الله عنه
١٨٩ فصل
١٩٠ فصل
١٩٢ ذكر صفته رضي الله عنه
فصل
طريق أخرى عنه
١٩٦ وهذا ذكر بعض ما رُثي به رضي الله عنه

صحيفة		صحيفة	
١٩٧	فصل		
١٩٩	بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان بن عفان	٢١٣	حديث آخر
			حديث آخر
٢٠٢	حديث آخر	٢١٤	ذكر شيء من سيرته وهي دالة على فضيلته
٢٠٣	حديث آخر		
٢٠٤	طريق أخرى عن حفصة	٢١٥	شيء من خطبه
	طريق أخرى عن ابن عبّاس	٢١٦	فصل
	طريق أخرى عن ابن عمر	٢١٧	فصل
	حديث آخر	٢١٩	ذكر زوجاته وبنيه وبناته
٢٠٥	حديث اخر		فصل
	حديث اخر		فصل
	حديث اخر		
٢٠٦	حديث اخر		
	حديث اخر	٢٢٠	في ذكر من توفي زمان عثمان
	طريق أخرى عن ابن عمر	٢٢٢	خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ اخر		
٢٠٧	القسم الثاني فيما ورد من فضائله وحده	٢٢٦	ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة
	حديث آخر		
	حديث آخر	٢٢٩	ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين من الهجرة
٢٠٨	حديث اخر		
٢٠٩	طريق أخرى	٢٣٠	إبتداء وقعة الجمل
	حديث اخر	٢٣٤	مسير علي بن أبي طالب من المدينة الى البصرة بدلاً من الشام
	حديث اخر		
	حديث اخر		
٢١٠	حديث آخر	٢٤٦	فصل
	طريق أخرى	٢٤٧	فصل
٢١١	حديث اخر		طلحة بن عبيد الله
٢١٢	حديث اخر		
	حديث آخر عن طلحة	٢٤٩	والزبير بن العوام بن خويلد
	حديث اخر	٢٥١	وفي هذه السنة اعنى سنة ست وثلاثين
٢١٣	حديث آخر	٢٥٣	فصل

صحيفة

٢٥٣ في وقعة صِفّين
٢٥٨ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين
٢٧٣ رفع أهل الشام المصاحف
٢٧٦ قصة التحكيم
٢٧٨ خروج الخوارج
٢٨٠ فصل
٢٨٢ اجتماع الحكمين أبي موسى وعمرو بن العاص بدومة الجندل
٢٨٥ خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً
٢٨٨ مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج
٢٩٠ ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة
٢٩١ الطريق الأولى
طريق أخرى عن علي
٢٩٢ طريق أخرى
طريق أخرى
طريق أخرى عن علي
طريق أخرى
٢٩٣ طريق أخرى
طريق أخرى
٢٩٤ طريق أخرى
طريق أخرى
طريق أخرى
٢٩٥ طريق أخرى
طريق أخرى
طريق أخرى
٢٩٦ الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه

صحيفة

٢٩٧ الحديث الثالث عن أنس بن مالك
طريق أخرى
الحديث الرابع عن جابر بن عبدالله
٢٩٨ الحديث الخامس عن سعد بن أبي وقاص
الحديث السادس عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري
٢٩٩ الطريق الثاني
الطريق الثالث
الطريق الرابع
٣٠٠ الطريق الخامس
الطريق السادس
الطريق السابع
٣٠٢ الطريق الثامن
الحديث الثامن عن سلمان الفارسي
الحديث التاسع عن سهل بن حنيف الأنصاري
٣٠٣ الحديث العاشر عن ابن عباس
الحديث الحادي عشر عن ابن عمر
الحديث الثاني عشر عن عبدالله بن عمرو
٣٠٤ الحديث الثالث عشر عن ابي ذر

صحيفة

٣٠٤ الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة
٣٠٥ حديث آخر عن رجلين من الصحابة
حديث في مدح علي رضي الله عنه على قتال الخوارج
حديث ابن مسعود في ذلك
٣٠٦ حديث ابي سعيد في ذلك
حديث ابي ايوب في ذلك
٣٠٧ فصل
٣٠٩ فصل
٣١٠ فصل
٣١١ ذكر من توفي فيها من الأعيان
خزيمة بن ثابت
عبد الله بن الأرقم بن ابي الأرقم
٣١٢ عمار بن ياسر ابو اليقظان العبسي
٣١٣ الربيع بن معوز بن عفراء
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين
فصل
٣١٨ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
سهل بن حنيف
صفوان بن بيضاء اخو سهيل بن بيضاء
صهيب بن سنان بن مالك
٣١٩ محمد بن أبي بكر الصديق
اسماء بنت عميس
٣٢٠ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين
٣٢٢ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
سعد القرظي
عقبة بن عمرو بن ثعلبة

صحيفة

سنة أربعين من الهجرة
٣٢٤ ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب
طريق أخرى
طريق أخري عنه
٣٢٥ طريق اخرى عن علي
طريق أخري عن علي بن ابي طالب
طريق أخري عنه
٣٢٦ حديث آخر في ذلك
حديث آخر في معنى ذلك
صفة مقتله رضي الله عنه
٣٣١ ذكر زوجاته وبنيه وبناته
٣٣٣ شيء من فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب
٣٣٦ حديث المؤاخاة
٣٣٨ رواية بريدة بن الحصيب
رواية عبد الله بن عمر
رواية ابن عباس
٣٣٩ رواية ابي سعيد في ذلك
٣٤٠ رواية علي بن ابي طالب في ذلك
رواية سعد بن ابي وقاص في ذلك
٣٤٢ رواية عمر رضي الله عنه في ذلك
رواية ابن عمر رضي الله عنهما
تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها
٣٤٣ حديث اخر
٣٤٤ حديث اخر
٣٤٧ حديث غدير خم

صحيفة

٣٥١ حديث الطير

٣٥٤ حديث آخر في فضل علي

٣٥٥ حديث اخر

حديث اخر

حديث اخر

٣٥٦ حديث اخر

٣٥٧ حديث آخر

حديث آخر في رد الشمس

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

صحيفة

٣٥٨ حديث آخر

حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع

٣٥٩ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

٣٦٠ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر في معناه

٣٦١ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

انتهى الفهرست

ابو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

الجزء الثامن

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المعارف
ص.ب: ١٧٦١-١١
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في ذكر شيء من سيرته الفاضلة ومواعظه وقضاياه الفاصلة وخطبه وحكمه التي هي الى القلوب واصلة

قال عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال : خطب علي الناس فقال : أيها الناس ! والله الذي لا إله إلا هو مازريت من مالكم قليلا ولا كثيراً إلا هذه ـ وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب ـ . فقال : أهداها إلى الدهقان ، ـ وفي رواية بضم الدال ـ ، وقال : ثم أتى بيت المال فقال : خذوا وأنشأ يقول :

أفلحَ منْ كانتْ له قوصرةً * يأكلُ منها كلَّ يومٍ تمرةً

وفي رواية : مرة . وفي رواية طوبى لمن كانت له قوصرة . وقال حرملة عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال : دخلنا مع علي يوم الأضحى فقربُ إلينا خزيرة فقلنا : أصلحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والأوز ، فان الله قد أكثر الخير فقال : يا ابن رزين إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها

هو وأهله ، وقصعة يطعمها بين الناس » . وقال الامام أحمد : حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم قالا : ثنا ابن لهيعة ثنا عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن رزين أنه قال : دخلت على على بن أبى طالب ، قال حسن يوم الأضحى : فقرب إلينا خزيرة ، فقلنا : أصلحك الله لو أطعمتنا هذا البط ! - يعنى الأوز - فان الله قد أكثر الخير ، قال : يا ابن رزين إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدى الناس » وقال أبو عبيد : ثنا عباد بن العوام عن مروان بن عنترة عن أبيه قال : دخلت على على بن أبى طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً فى هذا المال وأنت ترعد من البرد ؟ فقال : إنى والله لا أرزأ من مالكم شيئا ، وهذه القطيفة هى التى خرجت بها من بيتى - أو قال من المدينة - وقال أبو نعيم : سمعت سفيان الثورى يقول : مابنى على لبنة ولا قصبة على لبنة وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة فى جراب . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو بكر الحميدى ثنا سفيان أبو حيان عن مجمع بن سمعان التيمى قال : خرج علي بن أبى طالب بسيفه إلى السوق فقال : من يشترى منى سيفى هذا ؟ فلو كان عندى أربعة دراهم أشترى بها إزاراً ما بعته . وقال الزبير بن بكار : حدثنى سفيان عن جعفر قال - أظنه عن أبيه - إن عليا كان إذا لبس قميصاً مد يده فى كمه فما فضل من الكم عن أصابعه قطعه وقال : ليس للكم فضل عن الأصابع . وقال أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس قال : اشترى علي قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كمه من موضع الرسغين ، وقال : الحمد لله الذى هذا من رياشه . وروى الامام أحمد فى الزهد عن عباد بن العوام عن هلال بن حبان عن مولى لأبى غصين قال : رأيت علياً خرج فأتى رجلا من أصحاب الكرابيس فقال له : عندك قميص سنبلانى ؟ قال : فأخرج إليه قميصاً فلبسه فاذا هو إلى نصف ساقيه ، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال : ما أرى إلا قدراً حسنا ، بكم هذا ؟ قال : بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين ، قال : فحلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق . وقال محمد بن سعد : أنا الفضل بن دكين أنا الحسن بن جرموز عن أبيه قال : رأيت عليا وهو يخرج من القصر وعليه قبطيتان ازار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه ، ومعه درة له يمشى بها فى الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول : أوفوا الكيل والميزان ؛ ويقول : لا تنفخوا اللحم . وقال عبد الله بن المبارك في الزهد : أنا رجل حدثنى صالح بن ميثم ثنا يزيد بن وهب الجهنى قال : خرج علينا على بن أبى طالب ذات يوم وعليه بردان متزر بأحدهما مرتد بالآخر قد أرخى جانب إزاره ورفع جانباً ، قد رفع إزاره بخرقة فربه أعرابى فقال : أيها الانسان البس من هذه الثياب فانك ميت أو مقتول . فقال : أيها الأعرابى إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لى

من الزهو ، وخيراً لي في صلاتي ، وسنة للمؤمن . وقال عبد بن حميد : ثنا محمد بن عبيد ثنا المختار بن نافع عن أبي مطر قال : خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي : ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لك ، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً ؛ فمشيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتد برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي فقلت : من هذا ؟ فقال لي رجل : أراك غريباً بهذا البلد . فقلت : أجل أنا رجل من أهل البصرة ؛ فقال : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو يسوق الابل ، فقال : بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ، ثم أتى أصحاب التمر فإذا خادم تبكي فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فرده موالي فأبى أن يقبله ، فقال له علي : خذ تمرك وأعطها درهمها فإنها ليس لها أمر ، فدفعه ، فقلت : أتدري من هذا ؟ فقال : لا فقلت : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فصبت تمره وأعطاها درهمها . ثم قال الرجل : أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين ، قال : ما أرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم ، ثم مر مجتازاً بأصحاب التمر فقال : يا أصحاب التمر اطعموا المساكين يرب كسبكم . ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال : لا يباع في سوقنا طافي . ثم أتى دار فرات — وهي سوق الكرابيس — فأتى شيخاً فقال : ياشيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم ، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً ، ثم آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً ، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم وكمه ما بين الرسغين إلى الكعبين يقول في لبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتي . فقيل له : يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله صـ ؟ فقال : لا ! بل شيء سمعته من رسول الله صـ ، يقوله عند الكسوة . فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له : يافلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم ، قال : أفلا أخذت منه درهمين ؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال : امسك هذا الدرهم . فقال : ماشأن هذا الدرهم ؟ فقال إنما ثمن القميص درهمين ، فقال : باعني رضاي وأخذ رضاه . وقال عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي قال : وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه ، قال : فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال : ياشريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه ، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله صـ : « إذا كنتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه ، وصغروا بهم كما صغر الله بهم من غير أن تطغوا » ثم قال : هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب ، فقال شريح للنصراني : ماتقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ فقال النصراني : ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك علي وقال أصاب شريح ، مالي بينة ، فقضى بها شريح للنصراني ، قال فأخذه النصراني

ومشى خطا ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضي عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال : أما إذ أسلمت فهي لك ، وحمله على فرس . قال الشعبي : فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج يوم النهروان . وقال سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة : جاء جعدة بن هبيرة إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ؟ قال : فلهزه علي وقال : إن هذا شيء لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله . وقال أبو القاسم البغوي : حدثني جدي ثنا علي بن هاشم عن صالح بياع الأكسية عن جدته قالت : رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك ؟ فقال : أبو العيال أحق بحمله . وعن أبي هاشم عن زاذان قال : كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً] ، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس . وعن عبادة بن زياد عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال : أنا الذي أهنت الدنيا . وقال يحيى بن معين عن علي ابن الجعد عن الحسن بن صالح قال : تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب . وقال هشام ابن حسان : بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال : يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : فاحمرت وجنتا الحسن وقال : رحم الله علياً ، إن علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه ، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ ، وكان رهباني هذه الأمة ، لم يكن لمال الله بالسروقة ، ولا في أمر الله بالنومة ، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه ، فكان منه في رياض مونقة ، وأعلام بينة ، ذاك علي بن أبي طالب يالكع . وقال هشيم عن يسار عن عمار . قال : حدث رجل علي بن أبي طالب بحديث فكذبه فما قام حتى عمي : وقال أبو بكر بن أبي الدنيا . حدثني شريح بن يونس ثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم عن عمار الحضرمي عن زاذان أبي عمر أن رجلا حدث علياً بحديث فقال : ما أراك إلا قد كذبتني . قال : لم أفعل قال : أدعو عليك إن كنت كذبت ، قال : ادع ! فدعا فما برح حتى عمي . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن سالم ثنا محمد بن بشر عن أبي مكين قال : مررت أنا وخالي أبو أمية على دار في محل حي من مراد ، قال : ترى هذه الدار ؟ قلت : نعم ! قال : فان علياً مر عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل

بناؤها ، قال : فاوضعت عليها لبنة ، قال : فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنى عبد الله بن يونس بن بكير الشيبانى عن أبيه عن عبد الغفار بن القاسم الأنصارى عن أبى بشير الشيبانى . قال : شهدت الجمل مع مولاى فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً وقدماً نادرة من يومئذ ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل قال : فحدثنى الحكم بن عيينة أن علياً دعا يوم الجمل فقال : اللهم خذ أيديهم وأقدامهم .

ومن كلامه الحسن رضى الله عنه . قال ابن أبى الدنيا : حدثنا على بن الجعد أنا عمرو بن شمر حدثنى إسماعيل السدى سمعت أبا أراكة يقول : صليت مع على صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما رؤى بعد ذلك مفتراً يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم عن على بن أبى طالب أنه قال : تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا تكونوا من أهله ، فانه يأتى من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره ، وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب ، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المذاييع البذر ، ثم قال : ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقبلة ، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وإن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب ، ألا إن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين ، وأهل النار فى النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله فى فكاك رقابهم . وأما النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء ، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم . وعن الأصبغ بن نباتة قال : صعد على ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال : عباد الله الموت ليس منه فوت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، فالنجا النجا ، والوحا الوحا ، إن وراءكم طالب حثيث القبر فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض

الجنة ، ألا وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير «[وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد] ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها ومقامعها حديد ، وماؤها صديد ، وخازنها مالك ليس لله فيه رحمة . قال : ثم بكى وبكى المسلمون حوله ، ثم قال : ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم . ورواه ليث بن أبى سليم عن مجاهد حدثنى من سمع علياً فذكر نحوه . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم قال : خطب على فقال : أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغداً السباق ، ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله ، ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتم على الزاد ، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، وإن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ؛ ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم . أيها الناس : أحسنوا فى أعماركم تحفظوا فى أعقابكم ، فان الله وعد جنته من أطاعه ، وأوعد ناره من عصاه . إنها نار لا يهدأ زفيرها ، ولا يفك أسيرها ، ولا يجبر كسيرها ، حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . وفى رواية فان اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن طول الأمل ينسى الآخرة . وعن عاصم بن ضمرة قال : ذم رجل الدنيا عند على فقال على : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنا وزادلمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وشابت بشرورها السرور ، وببلائها الرغبة فيها والحرص عليها ترغيباً وترهيباً ، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه بالأمانى متى خدعتك الدنيا أومتى استذمت إليك ؟ أبمصارع آبائك فى البلا ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وعالجت بكفيك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء . لايغنى عنه دواؤك ، ولاينفعه بكاؤك . وقال سفيان الثورى والأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى . قال : جاء رجل إلى على فأطراه ـ وكان يبغض علياً ـ فقال له : لست كما تقول ، وأنا فوق مافى نفسك . وروى ابن عساكر أن رجلاقال لعلى : ثبتك الله قال : على صدرك . وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا

سفيان بن عيينة عن أبى حمزة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر قال قال على : إن الأمر ينزل إلى السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان فى نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصاً فى نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة ، فان المسلم ما لم يغش دناءة يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ، ويغرى به لئام الناس ، كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحه توجب له المغنم ، وتدفع عنه المغرم فكذلك المسلم البرئ من الخيانة بين إحدى الحسنيين ، إذا مادعا الله ، فما عند الله خير له ، وإما أن يرزقه الله مالا فاذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه ، وإما أن يعطيه الله فى الآخرة فالآخرة خير وأبقى ، الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والتقوى ، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام . قال سفيان الثورى : ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا على ؟ وقال عن زبيد اليامى عن مهاجر العامرى قال : كتب على بن أبى طالب عهداً لبعض أصحابه على بلد فيه : أما بعد فلا تطولن حجابك على رعيتك ، فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة الضيق : وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيضعف عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالى بشر لايعرف ما يوارى عنه الناس به من الأمور ، وليس على القوم سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، فتحصن من الادخال فى الحقوق بلين الحجاب ، فانما أنت أحد الرجلين ، إما امرؤ شحت نفسك بالبذل فى الحق ففيم احتجابك من حق واجب عليك أن تعطيه ؟ وخلق كريم تسد به ؟ وإما مبتلى بالمنع والشح فما أسرع زوال نعمتك ، وما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مالا مؤنة فيه عليك من شكاية مظلمة أو طلب انصاف ، فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله . وقال المدائنى : كتب على إلى بعض عماله : رويداً فكأن قد بلغت المدى ، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذى ينادى المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيع التوبة ، والظالم الرجعة . وقال هشيم : أنا عمر بن أبى زائدة عن الشعبى قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان على يقول الشعر ، وكان على أشعر الثلاثة . ورواه هشام بن عمار عن إبراهيم بن أعين عن عمر بن أبى زائدة عن عبد الله بن أبى السفر عن الشعبى فذكره . وقال أبو بكر بن دريد قال وأخبرنا عن دماد عن أبى عبيدة قال : كتب معاوية إلى على : يا أبا الحسن إن لى فضائل كثيرة ، وكان أبى سيداً فى الجاهلية ، وصرت ملكا فى الاسلام ، وأنا صهر رسول الله (ص) ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحى . فقال على : أبا لفضائل يفخر على ابن آكلة الأكباد ؟ ثم قال : اكتب ياغلام

مُحمَّدٌ النبيُّ أخي وصِهري * وحَمزةُ سيدُ الشهداءِ عمي

وجعفرٌ الذي يمسي ويضحي * يطيرُ معَ الملائكةِ ابنُ أمي
وبنتُ محمدٍ سكني وعرسي * مسوطٌ لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمدٍ ولداي منها * فأيكمُ لهُ سهمٌ كسهمي
سبقتكمُ إلى الاسلامِ طراً * صغيراً مابلغتُ أوانَ حلمي

قال فقال معاوية : اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب . وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية . وقال الزبير بن بكار وغيره : حدثني بكر بن حارثة عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله قال : سمعت علياً ينشد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع :

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نسبي * معهُ رُبيتُ وسبطاهُ هما ولدي
جدي وجدُ رسولِ اللهِ منفردٌ * وفاطمٌ زوجتي لاقولُ ذي فندِ
صدقتهُ وجميعُ الناسِ في بهمٍ * منَ الضلالةِ والاشراكِ والنكدِ
فالحمدُ للهِ شكراً لا شريكَ لهُ * البرُّ بالعبدِ والباقي بلا أمدِ

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « صدقت ياعلي » وهذا بهذا الاسناد منكر والشعر فيه ركاكة ، وبكر هذا لا يقبل منه تفرده بهذا السند والمتن والله أعلم . وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي : ثنا يزيد بن هارون عن نوح بن قيس عن سلامة الكندي عن الأصبغ ابن نباتة عن علي أنه جاءه رجل فقال : ياأمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فان أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك . فقال علي : اكتب حاجتك على الأرض فاني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك : فكتب : إني محتاج، فقال علي : علي بحلة ، فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول :

كسوتني حلةً تبلى محاسنها * فسوفَ أكسوكَ من حسنِ الثنا حللا
إنْ نلتَ حسنَ ثنائي نلتَ مكرمةً * ولستُ أبغي بما قدْ قلتهُ بدلا
إنَّ الثناءَ ليحيي ذكرَ صاحبه * كالغيثِ يحيي نداهُ السهلَ والجبلا
لا تزهدِ الدهرَ في خيرٍ توافقهُ * فكلُّ عبدٍ سيجزى بالذي عملا

فقال علي : علي بالدنانير فأتي بمائة دينار فدفعها إليه : قال الأصبغ : فقلت ياأمير المؤمنين حلة ومائة دينار ؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وهذه منزلة هذا الرجل عندي . وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن جده قال قال علي بن أبي طالب :

إذا اشتملت على الناس القلوبُ * وضاقَ بما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنتْ * وأرستْ فى أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضرِ وجهاً * ولا أغنى بحيلتــهِ الأريبُ
أتاكَ عـلى قُنوطٍ منكَ غوثٌ * يمنُّ بهِ القريبُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ * فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

ومما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولى لأمير المؤمنين على بن أبى طالب : ـ

ألا فاصبرْ على الحدثِ الجليلِ * وداوِ جواكَ بالصــبرِ الجميلِ
ولاتجزعْ فإنْ أعسرتَ يوماً * فقدْ أيسرتَ فى الدهرِ الطويلِ
ولا تظننَّ بربكَ ظنَ سوءٍ * فإنَّ اللهَ أولى بالجميلِ
فإنَّ العسرَ يتبعهُ يسارٌ * وقولُ اللهِ أصدقُ كلِ قيلِ
فلو أنَّ العقولَ تجرُّ رزقاً * لـكانَ الرزقَ عندَ ذوى العقولِ
فـكمْ منْ مؤمنٍ قدْ جاعَ يوماً * سيروى من رحيقِ السلسبيلِ

فمن هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجيع المؤمن مع نفاسته ، ويشبع الـكلب مع خساسته ، والـكافر يأكل ويشرب ، ويلبس ويتمتع ، والمؤمن يجوع ويعرى ، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين . ومما أنشده على بن جعفر الوراق لأمير المؤمنين على بن أبى طالب

أجدْ الثيابَ إذا اكتسيتَ فإنها * زينُ الرجالِ بها تعزُ وتكرمُ
ودعِ التواضعَ فى الثيابِ تخشعاً * فاللهُ يعلمُ ما تجنُ وتكتمُ
ورثاثُ ثوبكَ لا يزيدكَ زلفةً * عندَ الالهِ وأنتَ عبدٌ مجرمُ
وبهاءُ ثوبكَ لا يضركَ بعدَ أنْ * تخشى الالهَ وتتقى ما يحـرمُ

وهذا كما جاء فى الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقال الثورى : ليس الزهد فى الدنيا بلبس العبا ولا بأكل الخشن ، إنما الزهد فى الدنيا قصر الأمل .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد : كان مكتوبا على سيف على :

للناسِ حرصٌ على الدنيا وتدبيرُ * وفى مرادِ الهوى عقلٌ وتشميرُ
وإنْ أتوا طاعةً للهِ ربهمُ * فالعقلُ منهمْ عن الطاعاتِ مأسورُ
لأجلِ هذا وذاك الحرصِ قدمزجتْ * صفاءُ عيشاتها همٌ وتـكديرُ
لم يرزقوها بعقلٍ عندَ ما قسمتْ * لـكنهــمْ رُزقوها بالمقاديرِ

كم من أديب لبيب لا تساعده • ومائق نال دنياه بتقصير

لو كان عن قوة أو عن مغالبة • طار البزاة بأرزاق العصافير

وقال الأصمعى : ثنا سلمة بن بلال عن مجالد عن الشعبى قال قال على بن أبى طالب لرجل كره له صحبة رجل :

فلا تصحب أخا الجهل • وإياك وإياه • فكم من جاهل جاهل • أودى حليماً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء • إذا ما المرء ماشاه • وللشيء على الشيء • مقاييس وأشباه

• وللقلب على القلـ • ـب دليل حين يلقاه •

وعن عمرو بن العلاء عن أبيه قال : وقف على على قبر فاطمة وأنشأ يقول :

ذكرت أبا أروى فبت كأننى • برد الهموم الماضيات وكيل

لكل اجتماع من خليلين فرقة • وكل الذى قبل الممات قليل

وإن افتقادى واحداً بعد واحد • دليل على أن لا يدوم خليل

سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى • ويحدث بعدى للخليل خليل

إذا انقطعت يوماً من العيش مدتى • فإن غناء الباكيات قليل

وأنشد بعضهم لعلى رضى الله عنه :

حقيق بالتواضع من يموت • ويكفى المرء من دنياه قوت

فما للمرء يصبح ذا هموم • وحرص ليس تدركه النعوت

صنيع مليكنا حسن جميل • وما أرزاقه عنا تفوت

فياهذا سترحل عن قليل • إلى قوم كلامهم السكوت

وهذا الفصل يطول استقصاؤه وقد ذكرنا منه ما فيه مقنع لمن أراده ولله الحمد والمنة .

وقال حماد بن سلمة عن أيوب السختيانى أنه قال : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الحسنى فى أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد برئ من النفاق .

غريبة من الغرائب وآبدة من الأوابد

قال ابن أبى خيثمة : ثنا أحمد بن منصور ثنا سيار ثنا عبدالرزاق قال قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد فقلت له : ما شأنك ؟ قال : عجبت من أهل الكوفة كأن الكوفة إنما بنيت على حب على ، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذى يفضل علياً على أبى بكر وعمر ، منهم سفيان الثورى ، قال : فقلت لمعمر ورأيته ؟ ـ كأنى أعظمت ذاك ـ فقال معمر : وما ذاك ؟ لو أن

رجلا قال على أفضل عنـدى منهما ما عبته إذا ذكر فضلهما ولو أن رجلا قال : عمر عندى أفضل من عـلى وأبى بكر ما عنفته . قال عبـد الرزاق : فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح ونحن خاليين فاستهالها من سفيان وضحك وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هـذا الحد ، ولـكنه أفضى إلى معمر بما لم يفض إلينا ، وكنت أقول لسفيان : يا أبا عبـد الله أرأيت إن فضلنا عليا عـلى أبى بكر وعمر ما تقول فى ذلك ؟ فيسكت ساعة ثم يقول : أخشى أن يكون ذلك طعنا عـلى أبى بكر وعمر ولكنا نقف . قال عبد الرزاق : وأما ابن التيمى ـ يعنى معتمراً ـ فقال : سمعت أبى يقول : فضل على بن أبى طالب بمائة منقبة وشاركهم فى مناقبهم ، وعثمان أحب إلى منـه . هكذا رواه ابن عساكر فى تاريخه بسنده عن ابن أبى خيثمة به . وهـذا الكلام فيـه تخبيط كثير ولعله اشتبه على معمر فان المشهور عن بعض الكوفيين تقديم على على عثمان ، فأما على الشيخين فلا ، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلا على غبى ، فكيف يخفى عـلى هؤلاء الأئمة ؟ بل قد قال غـير واحد من العلماء ـ كأيوب والدارقطنى ـ من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار . وهذا الـكلام حق وصدق وصحيح ومليح . وقال يعقوب بن أبى سفيان : ثنا عبد العزيز بن عبـد الله الاريسى ثنا إبراهيم بن سعد عن شعبة عن أبى عون ـ محمد بن عبـد الله الثقفى ـ عن أبى صالح الحنفى قال : رأيت على بن أبى طالب أخـذ المصحف فوضعه على رأسـه حتى أنى لأرى ورقه يتقعقع قال ثم قال : اللهم إنهـم منعونى أن أقوم فى الأمة بما فيه فأعطنى ثواب مافيه ، ثم قال : اللهم إنى قد مللتهم وملونى وأبغضتهم وأبغضونى ، وحملونى على غـير طبيعتى وخلقى وأخلاق لم تكن تعرف لى ، اللهم فأبدلنى بهـم خيرا منهـم ، وأبدلهم بى شراً منى ، اللهـم أمت قلوبهم موت الملح فى الماء . قال إبراهيم : ـ يعنى أهـل الكوفة ـ وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى عبد الرحمن بن صالح ثنا عمرو بن هشام الجنبى عن أبى خباب عن أبى عوف الثقفى عن أبى عبـد الرحمن السلمى . قال : قال لى الحسن بن على قال لى على : « إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنح لى الليـلة فى منامى فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ قال : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم ، وأبدلهم بى من هو شر منى ، فخرج فضربه الرجـل [الأود العوج واللدد الخصومة] وقـد قدمنا الحديث الوارد بالاخبار بقتـله وأنه يخضب لحيته من قرن رأسه ، فوقع كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله ، وروى أبو داود فى كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب على يحرسونه كل ليلة عشرة ـ يبيتون فى المسجد بالسلاح ـ فرآهم عـلى فقال : ما يجلسكم ؟ فقالوا : نحرسك ، فقال : من أهل السماء ؟ ثم قال : إنه لا يكون فى الأرض شئ حتى يقضى فى السماء ، وإن على من الله جنـة حصينة . وفى رواية : وإن الرجل جنة محصونة ، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولاشئ إلا قال : اتقه اتقه ،

فاذا جاء القدر خلا عنه ، وفى رواية : ملكان يدفعان عنه فاذا جاء القدر خليا عنه ، وإنه لا يجد عبد حلاوة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وكان على يدخل المسجد كل ليلة فيصلى فيه ، فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الأوز فى وجهه فسكتوهن عنه فقال : ذروهن فانهن نوائح ، فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل . فقال الناس : ياأمير المؤمنين ألا نقتل مراداً كلها ؟ فقال : لا ولكن احبسوه وأحسنوا إساره ، فان مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص . وجعلت أم كلثوم بنت على تقول : مالى ولصلاة الغداة ، قتل زوجى عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة ، وقتل أبى أمير المؤمنين صلاة الغداة ، رضى الله عنهما . وقيل لعلى : ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ، فان يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ ، فهذا اعتراف منه فى آخر وقت الدنيا بفضل الصديق . وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة فى أيام خلافته ودار إمارته ، فقال : أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ولو شئت أن أسمى الثالث لسميت . وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر : ثم عثمان ثم عثمان . ولما مات على ولى غسله ودفنه أهله ، وصلى عليه ابنه الحسن وكبر أربعاً ، وقيل أكثر من ذلك . ودفن على بدار الخلافة بالكوفة وقيل تجاه الجامع من القبلة فى حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة ، بحذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة ، وقيل بالكناسة ، وقيل دفن بالبرية . وقال شريك القاضى وأبو نعيم الفضل بن دكين : نقله الحسن بن على بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وقال عيسى بن دأب : بل لما تحملوا به حملوه فى صندوق على بعير ، فلما مروا به ببلاد طئ أضلوا ذلك البعير فأخذته طئ تحسب فيه مالا ، فلما وجدوا بالصندوق ميتا دفنوه فى بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن ، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك ابن عمران أن خالد بن عبد الله القسرى – نائب بنى أمية فى زمان هشام – لما هدم دوراً ليبنيها وجد قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فاذا هو على ، فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له : أيها الأمير إن بنى أمية لا يريدون منك هذا كله ، فلفه فى قباطى ودفنه هناك . قالوا : فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التى هو فيها إلا ارتحل منها . رواه ابن عساكر . ثم إن الحسن بن على استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن ، فأحضر الناس النفط والبوارى ليحرقوه ، فقالوا لهم أولاد على : دعونا نشتفى منه ، فقطعت يداه ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر ، ثم كحلت عيناه وهو فى ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها ، وإن عينيه لتسيلان على خديه . ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعاً شديداً ، فقيل له فى ذلك فقال : إنى أخاف أن أمكث فى الدنيا فواقا لا أذكر الله

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه

قد ذكرنا ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قالوا له : استخلف يا أمير المؤمنين فقال لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله (ص) - يعني بغير استخلاف - فان يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله (ص) ، فلما توفي وصلى عليه ابنه الحسن - لأنه أكبر بنيه رضي الله عنهم - ودفن كما ذكرنا بدار الامارة على الصحيح من أقوال الناس ، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وكان ذلك يوم مات علي ، وكان موته يوم ضرب على قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وقيل انما مات بعد الطعنة بيومين ، وقيل مات في العشر الأخير من رمضان ، ومن يومئذ ولي الحسن ابن علي ، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان ، تحت يده أربعون ألف مقاتل ، قد بايعوا علياً على الموت ، فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام ، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان ، وولى عبيد الله بن عباس عليها ، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً ، ولكن غلبوه على رأيه ، فاجتمعوا اجتماعا عظيما لم يسمع بمثله ، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه ، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام ، ليقاتل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه ، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها ، إذ صرخ في الناس صارخ : ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضاً حتى انتهبوا سرادق الحسن ، حتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه ، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أثبتوه وأشوته فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن فنزله وهو جريح ، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي - أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر - فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبحه الله لعمه سعد بن مسعود : هل لك في الشرف والغنى ؟ قال : ماذا ؟ قال : تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه إلى معاوية ، فقال له عمه : قبحك الله وقبح ما جئت به ؛ أغدر بابن بنت رسول الله (ص) ؟ ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليه مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان - وكان قد ركب في أهل الشام فنزل مسكن - يراوضه على الصلح بينهما ؛ فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة ، فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال ، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم ، وأن يكون خراج دار أبجرد له ، وأن لا يسب علي وهو يسمع ، فاذا فعل ذلك نزل عن الامرة

لمعاوية ، ويحقن الدماء بين المسلمين . فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله ، وقد لام الحسين لأخيه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه ، والصواب مع الحسن رضي الله عنه كما سنذكر دليله قريباً . وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع ، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك ، وخرج عن طاعتهما جميعاً ، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريب كما سنذكره . ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين ، ولهذا يقال له عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية ، والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما سنذكره إن شاء الله ، وحج بالناس في هذه السنة ـ أعني سنة أربعين ـ المغيرة بن شعبة ، وزعم ابن جرير فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أن المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلي إمرة الحج عامئذ ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان ، وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحج ، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الامرة . وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك ، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل ، فإن الصحابة أجل قدراً من هذا ، ولكن هذه نزغة شيعية . قال ابن جرير : وفي هذه السنة بويع لمعاوية بإيلياء ـ يعني لما مات علي ـ قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع ، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاولوه ، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم ، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله ﷺ ، وسيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم . والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليما . وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا الفانية ، ورغبته في الآخرة الباقية ، وحقنه دماء هذه الامة ، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد . وهذا المدح قد ذكرناه وسنورده في حديث أبي بكرة الثقفي أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً وجلس الحسن بن علي إلى جانبه ، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال : « أيها الناس إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخاري .

فيه . فقتل عنـد ذلك وحرق بالنار ، قبحه الله . قال محمد بن سعد : كان ابن ملجم رجلا أسمر حسن الوجه أبلج ، شعره مع شحمة أذنه ، فى جبهته أثر السجود . قال العلماء : ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس ابن على فانه كان صغيراً يوم قتل أبوه ، قالوا : لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً والله أعلم . وكان طعن على يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين بلا خلاف فقيل مات من يومه وقيل يوم الأحد التاسع عشر منه ، قال الفلاس : وقيل ضرب ليلة إحدى وعشرين ومات ليلة أربع وعشرين عن بضع أو ثمان وخمسين سنة ، وقيل عن ثلاث وستين سنة وهو المشهور ، قاله محمد بن الحنفية ، وأبو جعفر الباقر ، وأبو إسحاق السبيعى ، وأبو بكر بن عياش . وقال بعضهم : عن ثلاث أو أربع وستين سنة ، وعن أبى جعفر الباقر خمس وستين سنة . وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، رضى الله عنه . وقال جرير عن مغيرة قال : لما جاء نعى علـى بن أبى طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة فى يوم صائف ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكى فقالت له فاختة : أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكى عليه ، فقال : ويحك إنما أبكى لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره . وذكر ابن أبى الدنيا ـ فى كتاب مكائد الشيطان ـ أن رجلا من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه فأخرجه من منزله ، فخرج الغلام لايدرى أين يذهب ، فجلس وراء الباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ وبابه يخمشه هر أسود برى ، فخرج إليـه الهر الذى فى منزلهم فقال له البرى : ويحك ! افتح فقال : لا أستطيع ، فقال : ويحك ائتنى بشىء أتبلغ به فانى جائع وأنا تعبان ، هذا أوان مجيئى من الكوفة ، وقد حدث الليلة حدث عظيم ، قتل على بن أبى طالب ، قال فقال له الهر الاهلى : والله إنه ليس هاهنا شىء إلا وقـد ذكروا اسم الله عليه ، غير سفود كانوا يشوون عليه اللحم ، فقال : ائتنى به ، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخـذ حاجته وانصرف ، وذلك بمرأى من الغـلام ومسمع ، فقام إلى الباب فطرقه فخرج إليه أبوه فقال : من ؟ فقال له : افتح ، فقال : ويحك مالك ؟ فقال : افتح ، ففتح فقص عليـه خبر ما رأى ، فقال له : ويحك أمنام هـذا ؟ قال : لا والله ، قال : ويحك ! أفأصابك جنون بعدى ؟ قال لا والله : ولكن الأمر كما وصفت لك ، فاذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنده يدا بما قلت لك ، فذهب الرجل فاستأذن على معاوية فأخبره خبر ما ذكر له ولده . فأرخوا ذلك عندهم قبل مجىء البرد ، ولما جاءت البرد وجدوا ما أخبروهم به مطابقا لما كان أخبر به أبو الغلام ، هـذا ملخص ما ذكره . وقال أبو القاسم : ثنا على بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن أبى إسحاق عن عمرو بن الأصم قال : قلت للحسين بن على : إن هذه الشيعة يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ماهؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله . ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن إسحاق عن عمرو بن الأصم عن الحسن بن على بنحوه .

سنة احدى واربعين

قال ابن جرير: فيها سلم الحسن بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان . ثم روى عن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم أنهم سامعون مطيعون مسالمون [من سالمت] محاربون [من حاربت] فارتاب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب؟ فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشووه فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه وكتب إلى معاوية يسالمه ويراسله في الصلح بينه وبينه على مايختاران . وقال البخاري في كتاب الصلح: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن أبي موسى . قال: سمعت الحسن يقول: «استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية - وكان والله خير الرجلين -: إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بضعفتهم؟ من لي بنسائهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر - قال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فانه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسالك. قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه »، قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ص، على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . قال البخاري قال لي علي بن المديني: إنما ثبت عندنا سماع الحسن بن أبي بكرة بهذا الحديث، قلت: وقد روى هذا الحديث البخاري في كتاب الفتن عن علي بن عبد الله - وهو ابن المديني - وفي فضائل الحسن عن صدقة بن الفضل ثلاثتهم عن سفيان . ورواه أحمد عن سفيان - وهو ابن عيينة - عن إسرائيل بن موسى البصري به . ورواه أيضاً في دلائل النبوة عن عبد الله بن محمد - وهو ابن أبي شيبة - ويحيى بن آدم كلاهما عن حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسن وهو البصري به . وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن البصري به . ورواه أبو داود أيضاً والترمذي من طريق أشعث عن الحسن به . وقال الترمذي: حسن صحيح . وقد رواه النسائي من طريق عوف الأعرابي وغيره عن الحسن البصري مرسلا . وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني من سمع الحسن يحدث عن أبي بكرة قال: « كان النبي ص، يحدثنا يوماً والحسن بن علي في حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبله ثم قال: « إن ابني

هذا سيد إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين » قال الحافظ ابن عساكر : كذا رواه معمر ولم يسم الذى حدثه به عن الحسن ، وقد رواه جماعة عن الحسن منهم أبو موسى إسرائيل ، و يونس بن عبيد ، ومنصور بن زاذان ، وعلى بن زيد ، وهشام بن حسان ، وأشعث بن سوار ، والمبارك بن فضالة ، وعمرو بن عبيد القدرى . ثم شرع ابن عساكر فى تطريق هذه الروايات كلها فأفاد وأجاد قلت : والظاهر أن معمراً رواه عن عمرو بن عبيد فلم يفصح باسمه . وقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار عنه وسماه ، و رواه أحمد بن هاشم عن مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبى بكرة فذكر الحديث قال الحسن : فوالله والله بعد أن ولى لم يهراق فى خلافته ملء محجمة بدم ، قال شيخنا أبو الحجاج المزى فى أطرافه : وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أم سلمة . وقد روى هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ص للحسن : « إن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين » . وكذا رواه عبد الرحمن بن معمر عن الأعمش به . وقال أبو يعلى : ثنا أبو بكر ثنا زيد بن الحباب ثنا محمد بن صالح التمار المدنى ثنا محمد بن مسلم بن أبى مريم عن سعيد بن أبى سعيد المدنى قال : كنا مع أبى هريرة إذ جاء الحسن بن على قد سلم علينا قال : فتبعه [فلحقه] وقال : وعليك السلام ياسيدى ، وقال سمعت رسول الله ص يقول : « إنه سيد » وقال أبو الحسن على بن المدينى : كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية فى الخامس من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقال غيره : فى ربيع الآخر . ويقال فى غرة جمادى الأولى فالله أعلم . قال : وحينئذ دخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها بعد البيعة . وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يأمر الحسن بن على أن يخطب الناس و يعلمهم بنزوله عن الأمر لمعاوية ، فأمر معاوية الحسن فقام فى الناس خطيباً فقال فى خطبته بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ص : أما بعد أيها الناس ! فان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، و إن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دول ، و إن الله تعالى قال لنبيه ص : [و إن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين] ، فلما قالها غضب معاوية وأمره بالجلوس ، وعتب على عمرو بن العاص فى إشارته بذلك ، ولم يزل فى نفسه لذلك والله أعلم . فأما الحديث الذى قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : حدثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الطيالسى ثنا القاسم بن الفضل الحدانى عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين ــ أو ياسود وجوه المؤمنين ــ فقال : لا تؤنبنى رحمك الله ، فان النبى ص أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت [إنا أعطيناك الكوثر] يامحمد ــ يعنى نهراً فى الجنة ــ ونزلت [إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر] يملكها بعدك بنو أمية يا محمد ، قال الفضل : فعددنا فاذا هى ألف شهر لاتزيد يوماً

ولا تنقص . ثم قال الترمذى : هـذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدى ، قال : وشيخه يوسف بن سـعد ، ويقال يوسف بن مازن ـ رجل مجهول ـ قال : ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، فانه حديث غريب بل منكر جداً ، وقد تكلمنا عليه فى كتاب التفسير بما فيه كفاية وبينا وجه نكارته ، وناقشنا القاسم ابن الفضل فيما ذكره ، فمن أراد ذلك فليراجع التفسير والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى : ثنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكى ثنا عباس بن محمد ثنا أسود بن عامر ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو روق الهمدانى ثنا أبو العريف قال : كنا فى مقدمة الحسن بن على إثنا عشر ألفاً بمسكن مستميتين من الجد على قتال أهل الشام ، وعلينا أبو الغمر طه فلما جاءنا بصلح الحسن بن على كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ ، فلما قدم الحسن بن على الكوفة قال له رجل منا يقال له أبو عامر سعيد بن النتل : السلام عليك يامذل المؤمنين فقال : لاتقل هذا ياعامر ! لست بمذل المؤمنين ولكنى كرهت أن أقتلهم على الملك . ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه الكلمة فى سائر الأقاليم والآفاق ، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب ـ وقد كان عزم على الشقاق ـ وحصل على بيعة معاوية عامئذ الاجماع والاتفاق ، ترحل الحسن ابن على ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وجعل كلما مر بحى من شيعتهم يبكتونه على ماصنع من نزوله عن الأمر لمعاوية ، وهو فى ذلك هو البار الراشد الممدوح ، وليس يجد فى صدره حرجاً ولا تلوماً ولاندماً ، بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهله وشيعتهم ، ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جرًّا إلى يومنا هذا . والحق فى ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة ، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ ، كما تقدم فى الحديث الصحيح ولله الحمد والمنة . وسيأتى فضائل الحسن عند ذكر وفاته رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه ، وقد فعل . وقال محمد بن سعد : أنا أبو نعيم ثنا شريك عن عاصم عن أبى رزين . قال : خطبنا الحسن بن على يوم جمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها . وروى ابن عساكر عن الحسن أنه كان يقرأ كل ليلة سورة الكهف فى لوح مكتوب يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو فى الفراش رضى الله عنه .

معاوية بن أبى سفيان ومُلكه

قد تقدم فى الحديث أن الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا ، وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن على ، فأيام معاوية أول الملك ، فهو أول ملوك الاسلام وخيارهم . قال

الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أحمد بن يونس ثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالوا قال رسول الله ص : « إن هذا الامر بدأ رحمة ونبوة ، ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم كائن ملكاً عضوضاً ، ثم كائن عتواً وجبرية وفساداً في الأرض ، يستحلون الحرير والفروج والخمور ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل » إسناده جيد . وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر وفيه ضعف عن عبد الملك بن عمر قال قال معاوية : والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ص ، لي : « يا معاوية إن ملكت فأحسن » . رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس بن محمد عن محمد بن سابق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن إسماعيل ، ثم قال البيهقي : وله شواهد من وجوه أخر ، منها حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ الاداوة فتبع رسول الله فنظر إليه فقال له : « يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل » قال معاوية : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله ص . ومنها حديث راشد بن سعد عن معاوية قال قال رسول الله ص : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم » قال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ص نفعه الله بها . ثم روى البيهقي من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ص : « الخلافة بالمدينة ، والملك بالشام » غريب جداً ، وروى من طريق أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ص : « بينا أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام ، وإن الايمان حين تقع الفتنة بالشام » . وقد رواه سعيد عن عبد العزيز عن عطية ابن قيس عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو . ورواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليمان عن عامر عن أبي أمامة . وروى يعقوب بن سفيان عن نصر بن محمد بن سليمان السلمي الحمصي عن أبيه عن عبد الله بن قيس ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ص : « رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام » . وقال عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال قال رجل يوم صفين : اللهم العن أهل الشام ، فقال له علي : لا تسب أهل الشام فان بها الابدال فان بها الابدال فان بها الابدال . وقد روى هذا الحديث من وجه آخر مرفوعا :

فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي رب العالمين ، أسلم هو وأبوه وأمه هند

بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روى عن معاوية أنه قال : أسلمت يوم عمرة القضاء ولكنى كتمت إسلامى من أبى إلى يوم الفتح ، وقد كان أبوه من سادات قريش فى الجاهلية ، وآلت إليه رياسة قريش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب ، وكان رئيساً مطاعا ذامال جزيل ، ولما أسلم قال : يارسول الله مرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » ، قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : نعم » ثم سأل أن يزوج رسول الله ﷺ ، بابنته ، وهى عزة بنت أبى سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبين رسول الله ﷺ ، أن ذلك لايحل له . وقد تكلمنا على هذا الحديث فى غير موضع ، وأفردنا له مصنفا على حدة ولله الحمد والمنة . والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ مع غيره من كتاب الوحى رضى الله عنهم . ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبى سفيان ، وأقره على ذلك عثمان ابن عفان وزاده بلاداً أخرى ، وهو الذى بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة ، قاله الحافظ ابن عساكر . ولما ولى على بن أبى طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولى عليها سهل بن حنيف فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة من أهل الشام ومانع عليا عنها وقد قال : لا أبايعه حتى يسلمنى قتلة عثمان فانه قتل مظلوماً ، وقد قال الله تعالى : [ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا] . وروى الطبرانى عن ابن عباس أنه قال : مازلت موقنا أن معاوية يلى الملك من هذه الآية . أوردنا سنده ومتنه عند تفسير هذه الآية . فلما امتنع معاوية من البيعة لعلى حتى يسلمه القتلة ، كان من صفين ما قدمنا ذكره ، ثم آل الأمر إلى التحكيم ، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبى موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام فى الصورة الظاهرة ، واستفحل أمر معاوية ، ولم يزل أمر على فى اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما تقدم ، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن على ، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبى سفيان . ثم ركب الحسن فى جنود العراق عن غير إرادة منه ، وركب معاوية فى أهل الشام . فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما فى الصلح فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الملك إلى معاوية بن أبى سفيان ، وكان ذلك فى ربيع الأول من هذه السنة ـ أعنى سنة إحدى وأربعين ـ ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس ـ واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، وسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة ، فولى معاوية قضاء الشام لفضالة بن عبيد ، ثم بعده لأبى إدريس الخولانى . وكان على شرطته قيس بن حمزة ، وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومى ، ويقال إنه أول من اتخذ الحرس ، وأول من حزم الكتب وختمها ، وكان أول الأحداث فى دولته رضى الله عنه .

خروج طائفة من الخوارج عليه

وكان سبب ذلك أن معاوية لما دخل الكوفة وخرج الحسن وأهله منها قاصدين إلى الحجاز ، قالت فرقة من الخوارج - نحو من خمسمائة - : جاء مالا يشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه ، فساروا حتى قربوا من الكوفة وعليهم فروة بن نوفل ، فبعث إليهم معاوية خيلا من أهل الشام فطردوا الشاميين ، فقال معاوية : لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم ، فخرجوا إلى الخوارج فقالت لهم الخوارج : ويلكم ماتبغون ؟ أليس معاوية عدوكم وعدونا ؟ فدعونا حتى نقاتله فإن أصبناه كنا قد كفيناكموه ، وإن أصبنا كنتم قد كفيتمونا . فقالوا : لا والله حتى نقاتلكم ، فقالت الخوارج : يرحم الله إخواننا من أهل النهروان كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة ، فاقتتلوا فهزمهم أهل الكوفة وطردوهم ، ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له المغيرة بن شعبة : توليه الكوفة وأباه مصر وتبقى أنت بين لحيي الأسد ؟ فثناه عن ذلك وولى عليها المغيرة بن شعبة ، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال : أتجعل المغيرة على الخراج ؟ هلا وليت الخراج رجلا آخر ؟ فعزله عن الخراج وولاه على الصلاة ، فقال المغيرة لعمرو في ذلك ، فقال له : ألست المشير على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو ؟ قال : بلى ! قال : فهذه بتلك . وفي هذه السنة وثب حمران بن أبان على البصرة فأخذها وتغلب عليها ، فبعث معاوية جيشاً ليقتلوه ومن معه ، فجاء أبو بكرة الثقفي إلى معاوية فسأله في الصفح والعفو ، فعفى عنهم وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبي أرطاة ، فتسلط على أولاد زياد يريد قتلهم ، وذلك أن معاوية كتب إلى أبيهم ليحضر إليه فلبث ، فكتب إليه بسر : لئن لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلا قتلت بنيك ، فبعث أبو بكرة إلى معاوية في ذلك . وقد قال معاوية لأبي بكرة : هل من عهد تعهده إلينا ؟ قال : نعم ! أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحاً فإنك قد تقلدت عظيماً ، خلافة الله في خلقه ، فاتق الله فإن لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك ، وإنما هي محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثرن على رضا الله شيئاً . ثم ولى معاوية في آخر هذه السنة البصرة لعبد الله بن عامر ، وذلك أن معاوية أراد أن يوليها لعتبة بن أبي سفيان فقال له ابن عامر : إن لي بها أموالا وودائع ، وإن لم توليينها هلكت ، فولاه إياها وأجابه إلى سؤاله في ذلك . قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، وقال الواقدي : إنما حج بهم عنبسة بن أبي سفيان فالله أعلم .

من أعيان من توفي هذا العام

رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان شهد العقبة وبدراً وما بعد ذلك .

ركانة بن عبد العزيز

ابن هشام بن عبد المطلب القرشي ، وهو الذي صارعه النبي ص فصرعه ، وكان هذا من أشد الرجال ، وكان غلب رسول الله ص له من المعجزات كما قدمنا في دلائل النبوة ، أسلم عام الفتح ، وقيل قبل ذلك بمكة فالله أعلم .

صفوان بن أمية

ابن خلف بن وهب بن حذافة بن وهب القرشي ، أحد الرؤساء تقدم أنه هرب من رسول الله ص عام الفتح ، ثم جاء فأسلم وحسن إسلامه ، وكان الذي استأمن له عمير بن وهب الجمحي . وكان صاحبه وصديقه في الجاهلية كما تقدم ، وقدم به في وقت صلاة العصر فاستأمن له فآمنه رسول الله ص أربعة أشهر ، واستعار منه أدرعاً وسلاحاً ومالا . وحضر صفوان حنيناً مشركا ، ثم أسلم ودخل الايمان قلبه ، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهلية . قال الواقدي : ثم لم يزل مقيما بمكة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية .

عثمان بن طلحة

ابن أبي طلحة بن عبد العزى بن عبد الدار العبدري الحجبي ، أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في أول سنة ثمان قبل الفتح . وقد روى الواقدي حديثاً طويلا عنه في صفة إسلامه ، وهو الذي أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة عام الفتح ثم رده إليه وهو يتلو قوله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] وقال له : « خذها ياعثمان خالدة تالدة لا ينتزعها منكم إلا ظالم » . وكان علي قد طلبها فمنعه من ذلك . قال الواقدي : نزل المدينة حياة رسول الله ، فلما مات نزل بمكة فلم يزل بها حتى مات في أول خلافة معاوية .

عمرو بن الأسود السكوني

كان من العباد الزهاد ، وكانت له حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل ، وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله مخافة الخيلاء ، روى عن معاذ ، وعبادة بن الصامت ، والعرباض بن سارية وغيرهم ، وقال أحمد في الزهد : ثنا أبو اليمان ثنا ابن بكر عن حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب قالا : قال عمر بن الخطاب : من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله ص فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود .

عاتكة بنت زيد

ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزى . وهي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة ، أسلمت وهاجرت وكانت من حسان النساء وعبادهن ، تزوجها عبد الله بن أبي بكر فتتيم بها ، فلما قتل في غزوة الطائف آلت أن لا تزوج بعده ، فبعث إليها عمر بن الخطاب ـ وهو ابن عمها ـ فتزوجها ؛ فلما

قتل عنها خلف بعده عليها الزبير بن العوام ، فقتل بوادى السباع ، فبعث إليها على بن أبى طالب يخطبها فقالت : إنى أخشى عليك أن تقتل ، فأبت أن تتزوجه ولو تزوجته لقتل عنها أيضاً ، فإنها لم تزل حتى ماتت فى أول خلافة معاوية فى هذه السنة رحمها الله .

سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان والروم فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً ، وغنموا وسلموا ، وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى قضائها شريح القاضى ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى خراسان قيس ابن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر . وفى هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا قد عفى عنهم على يوم النهروان ، وقد عوفى جرحاهم وثابت إليهم قواهم ، فلما بلغهم مقتل على ترحموا على قاتله ابن ملجم وقال قائلهم : لا يقطع الله يداً علت قذال على بالسيف ، وجعلوا يحمدون الله على قتل على ، ثم عزموا على الخروج على الناس وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما يزعمون . وفى هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية — وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة فى قلعة عرفت به يقال لها قلعة زياد — فكتب إليه معاوية : ما يحملك على أن تهلك نفسك ؟ أقدم علىَّ فأخبرنى بما صار إليك من أموال فارس وما صرفت منها وما بقى عندك فائتنى به وأنت آمن ، فإن شئت أن تقيم عندنا فعلت وإلا ذهبت حيث ما شئت من الأرض فأنت آمن . فعند ذلك أزمع زياد السير إلى معاوية ، فبلغ المغيرة قدومه فخشى أن يجتمع بمعاوية قبله ، فسار نحو دمشق إلى معاوية فسبقه زياد إلى معاوية بشهر فقال معاوية للمغيرة : ما هذا وهو أبعد منك وأنت جئت بعده بشهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزيادة وأنا أنتظر النقصان ، فأكرم معاوية زياداً وقبض ما كان معه من الأموال وصدقه فيما صرفه .

سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بسر بن أبى أرطاة بلاد الروم ووغل فيها حتى بلغ مدينة قسطنطينية ، وشتى ببلادهم فيما زعمه الواقدى ، وأنكر غيره ذلك وقالوا : لم يكن بها مشتى لأحد قط فالله أعلم . قال ابن جرير : وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ، ومحمد بن مسلمة ، قلت : وسنذكر ترجمة كل منهما فى آخرها ، فولى معاوية بعد عمرو بن العاص على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو ، قال الواقدى : فعمل له عليها سنتين . وقد كانت فى هذه السنة — أعنى سنة ثلاث وأربعين — وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة ، وذلك أنهم صمموا — كما قدمنا — على الخروج على الناس فى هذا الحين ، فاجتمعوا فى قريب من ثلثمائة عليهم المستورد بن علقمة ، فجهز عليهم المغيرة بن شعبة جنداً عليهم معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف ، فصار إليهم وقدم بين يديه أبا الرواع فى طليعة هى ثلثمائة على عدة الخوارج ، فلقيهم أبو

الرواع بمكان يقال له المذار : فاقتتلوا معهم فهزمهم الخوارج ثم كروا عليهم فهزمتهم الخوارج ، ولكن لم يقتل أحد منهم ، فلزموا مكانهم فى مقاتلتهم ينتظرون قدوم أمير الجيش معقل بن قيس عليهم ، فما قدم عليهم إلا فى آخر نهار غربت فيه الشمس ، فنزل وصلى بأصحابه ، ثم شرع فى مدح أبى الرواع فقال له : أيها الأمير إن لهم شدات منكرة ، فكن أنت ردأ الناس ، ومر الفرسان فليقاتلوا بين يديك ، فقال معقل بن قيس : نعم مارأيت ، فما كان إلا ريثما قال له ذلك حتى حملت الخوارج على معقل وأصحابه ، فانجفل عنه عامة أصحابه ، فترجل عند ذلك معقل بن قيس وقال : يامعشر المسلمين الأرض الأرض ، فترجل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مائتى فارس ، منهم أبو الرواع الشاكرى ، فحمل عليهم المستورد بن علقمة بأصحابه فاستقبلوهم بالرماح والسيوف ، ولحق بقية الجيش بعض الفرسان فلامهم وعيرهم وأنبهم على الفرار فرجع الناس إلى معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار قتالا شديداً ، والناس يتراجعون فى أثناء الليل ، فصفهم معقل بن قيس ميمنة وميسرة ورتبهم وقال : لا تبرحوا على مصافكم حتى تصبح فنحمل عليهم ، فما أصبحوا حتى هربت الخوارج فرجعوا من حيث أتوا ، فسار معقل فى طلبهم وقدم بين يديه أبا الرواع فى ستمائة فالتقوا بهم عند طلوع الشمس فثار إليهم الخوارج فتبارزوا ساعة ، ثم حملوا حملة رجل واحد فصبر لهم أبو الرواع بمن معه ، وجعل يحرضهم ويعيرهم ويؤنبهم على الفرار ويحثهم على الصبر فصبروا وصدقوا فى الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم ، فلما رأت الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شئ ، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا فى أرض نهرشير ، وتبعهم أبو الرواع ولحقه معقل بن قيس ، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة فركب إليهم شريك بن عبيد ـ نائب المدائن ـ ولحقهم أبو الرواع بمن معه من المقدمة . وحج بالناس فى هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

وممن توفى بها عمرو بن العاص ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهما . أما عمرو بن العاص [فهو عمرو ابن العاص] بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السهمى ، أبو عبد الله ، ويقال أبو محمد ، أحد رؤساء قريش فى الجاهلية ، وهو الذى أرسلوه إلى النجاشى ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يجبهم إلى ذلك لعدله ، ووعظ عمرو بن العاص فى ذلك ، فيقال إنه أسلم على يديه والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة العبدرى . وكان أحد أمراء الاسلام ، وهو أمير ذات السلاسل ، وأمده رسول الله (ص) بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق ، واستعمله رسول الله (ص) على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله (ص) ، وأقره عليها الصديق . وقد قال الترمذى : ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة ثنا مشرح بن عاهان عن عقبة بن عامر . قال قال رسول الله (ص) : « أسلم

الناس وآمن عمرو بن العاص » وقال أيضاً : ثنا إسحاق بن منصور ثنا أبو أسامة عن نافع عن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة . قال قال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله يقول : « إن عمرو بن العاص من صالحي قريش » وفي الحديث الآخر : « ابنا العاص مؤمنان » وفي الحديث الآخر : « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » . رووه في فضائل عمرو بن العاص . ثم إن الصديق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام فكان ممن شهد تلك الحروب ، وكانت له الآراء السديدة ، والمواقف الحميدة ، والأحوال السعيدة . ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابه عليها ، وأقره فيها عثمان بن عفان أربع سنين ثم عزله كما قدمنا ، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فاعتزل عمرو بفلسطين وبقي في نفسه من عثمان رضي الله عنهما . فلما قتل سار إلى معاوية فشهد مواقفه كلها بصفين وغيرها ، وكان هو أحد الحكمين . ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبي بكر ، استعمل عمرو بن العاص عليها فلم يزل نائبها إلى أن مات في هذه السنة على المشهور ، وقيل إنه توفي سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين . وقيل سنة إحدى وخمسين رحمه الله . وقد كان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم . وله أمثال حسنة وأشعار جيدة . وقد روى عنه أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل ، ومن شعره :

إذا المرءُ لم يتركْ طعاماً يحبهُ * ولم ينهَ قلباً غاوياً حيثُ يمّما

قضى وطراً منــهُ وغادرَ سبةً * إذا ذُكرتْ أمثالها تملأُ الفما

وقال الامام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ثنا عبد الله ـ يعني ابن المبارك ـ أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله : لم تبكي ؟ أجزعاً على الموت ؟ فقال : لا والله ولكن مما بعد الموت ، فقال له : قد كنت على خير ، فجعل يذكره صحبة رسول الله وفتوحه الشام ، فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسي فيه ، كنت أول قريش كافراً ، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلومت حينئذ وجبت لي النار ، فلما بايعت رسول الله ﷺ ، كنت أشد الناس حياء منه ، فما ملأت عيني من رسول الله ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله حياء ، فلومت يومئذ قال الناس : هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير فمات عليه نرجو له الجنة . ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري علي أم لي ، فاذا مت فلا تبكين علي باكية ، ولا يتبعني مادح ولا نار ، وشدوا علي إزاري فاني مخاصم ، وشنوا علي التراب شنا ، فان جنبي الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبي الأيسر ، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور أستأنس بكم . وقد روى مسلم هذا الحديث في صحيحه من

حديث يزيد بن أبي حبيب بإسناده نحوه وفيه زيادات على هذا السياق ، فمنها قوله : كي أستأنس بكم لأنظر ماذا أراجع رسل ربي عز وجل . وفي رواية أنه بعد هذا حول وجهه إلى الجدار وجعل يقول : اللهم أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فما انتهينا ، ولا يسعنا إلا عفوك . وفي رواية أنه وضع يده على موضع الغل من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لا قوى فانتصر ، ولا برئ فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا إله إلا أنت ، فلم يزل يرددها حتى مات رضي الله عنه .

وأما محمد بن مسلمة الأنصاري [فقد] أسلم على يدي مصعب بن عمير قبل أسيد بن حضير وسعد ابن معاذ ، شهد بدراً وما بعدها إلا تبوك فانه استخلفه رسول الله على المدينة في قول ، وقيل استخلفه في قرقرة الكدر ، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي ، وقيل إنه الذي قتل مرحباً اليهودي يوم خيبر أيضاً . وقد أمره رسول الله (ص) على نحو من خمس عشرة سرية ، وكان ممن اعتزل تلك الحروب بالجمل وصفين ونحو ذلك ، واتخذ سيفاً من خشب . وقد ورد في حديث قد مناه أنه أمره رسول الله (ص) بذلك وخرج إلى الربذة . وكان من سادات الصحابة ، وكان هو رسول عمر إلى عماله وهو الذي شاطرهم عن أمره ، وله وقائع عظيمة وصيانة وأمانة بليغة ، رضي الله عنه ، واستعمله على صدقات جهينة ، وقيل إنه توفي سنة ست أو سبع وأربعين ، وقيل غير ذلك . وقد جاوز السبعين ، وترك بعده عشرة ذكور وست بنات ، وكان أسمر شديد السمرة طويلا أصلع رضي الله عنه .

وممن توفي فيها عبد الله بن سلام أبو يوسف الاسرائيلي أحد أحبار اليهود ، أسلم حين قدم رسول الله (ص) المدينة ، قال : لما قدم رسول الله المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل إليه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أيها الناس افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام تدخلوا الجنة بسلام » . وقد ذكرنا صفة إسلامه أول الهجرة ، وماذا سأل عنه رسول الله (ص) من الأسئلة النافعة الحسنة ، رضي الله عنه . وهو ممن شهد له رسول الله بالجنة ، وهو ممن يقطع له بدخولها .

سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون وشتوا هنالك ، وفيها غزا بسر ابن أبي أرطاة في البحر ؛ وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وذلك أنه ظهر فيها الفساد وكان لين العريكة سهلا ، يقال إنه كان لا يقطع لصاً ويريد أن يتألف الناس ، فذهب عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى معاوية ، فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة وبعث إليها الحرث بن عبد الله الأزدي ، ويقال إن معاوية استدعاه إليه ليزوره فقدم ابن عامر على معاوية دمشق فأكرمه ورده على عمله ، فلما ودعه قال له معاوية : ثلاث أسألكهن فقل هي لك وأنا ابن أم

حكيم ، ترد على عملى ولا تغضب ، قال ابن عامر : قد فعلت ، قال معاوية : وتهب لى مالك بعرفة ، قال : قد فعلت . قال : وتهب لى دورك بمكة ، قال : قد فعلت . فقال له معاوية : وصلتك رحما ، فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين و إنى سائلك ثلاثا فقل هى لك وأنا ابن هند، قال : ترد على مالى بعرفة ، قال : قد فعلت قال ولا تحاسب : لى عاملا ولا أميراً ، قال : قد فعلت ، قال : وتنكحنى ابنتك هنداً ، قال : قد فعلت : ويقال إن معاوية خيره بين هذه الثلاث و بين الولاية على البصرة فاختار هذه الثلاث واعتزل عن البصرة . قال ابن جرير : وفى هذه السنة استلحق معاوية زياد ابن أبيه فألحقه بأبى سفيان ، وذلك أن رجلا شهد على إقرار أبى سفيان أنه عاهر بسمية أم زياد فى الجاهلية ، وأنها حملت بزياد هذا منه ، فلما استلحقه معاوية قيل له زياد بن أبى سفيان ، وقد كان الحسن البصرى ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله (ص) : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقال أحمد : ثنا هشيم ثنا خالد عن أبى عثمان قال : لما ادعى زياد لقيت أبا بكرة فقلت : ما هذا الذى صنعتم ؟ سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : سمعت أذنى رسول الله (ص) يقول : « من ادعى أباً فى الاسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » فقال أبو بكرة : وأنا سمعته من رسول الله (ص) ، أخرجاه من حديث أبى عثمان عنهما . قلت : أبو بكرة واسمه نفيع وأمه سمية أيضاً . وحج بالناس فى هذه السنة معاوية ، وفيها عمل معاوية المقصورة بالشام ، ومروان مثلها بالمدينة.

وفى هذه السنة توفيت أم حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين ، واسمها رملة أخت معاوية ، أسلمت قديماً وهاجرت هى وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر هناك زوجها ، وثبتت على دينها رضى الله عنها ، وحبيبة هى أكبر أولادها منه ، ولدتها بالحبشة وقيل بمكة قبل الهجرة ، ومات زوجها هنالك لعنه الله وقبحه . ولما تأيمت من زوجها بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فزوجها منه ، وولى العقد خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار وحملها إليه فى سنة سبع ، ولما جاء أبوها عام الفتح ليشهد العقد دخل عليها فثنت عنه فراش رسول الله فقال لها : والله يابنية ما أدرى أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك ، فقال لها : والله يابنية لقد لقيت بعدى شراً . وقد كانت من سيدات أمهات المؤمنين ومن العابدات الورعات رضى الله عنها . قال محمد بن عمر الواقدى : حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعتنى أم حبيبة عند موتها فقالت : قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله لى ولك ، ما كان من ذلك كله وتجاوزت وحالتك ، فقالت : سررتينى سرك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

سنة خمس وأربعين

فيها ولى معاوية البصرة للحارث بن عبد الله الأزدى ، ثم عزله بعد أربعة أشهر ، وولى زيادا فقدم زياد الكوفة ، وعليها المغيرة فأقام بها ليأتيه رسول معاوية بولاية البصرة ، فظن المغيرة أنه قد جاء على إمرة الكوفة فبعث إليه وائل بن حجر ليعلم خبره فاجتمع به فلم يقدر منه على شئ ، فجاء البريد إلى زياد أن يسير إلى البصرة ، واستعمله على خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان . ودخل زياد البصرة فى مستهل جمادى الأولى فقام فى أول خطبة خطبها ــ وقد وجد الفسق ظاهراً ــ فقال فيها : أيها الناس كأنكم لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب لأهل الطاعة ، والعذاب لأهل المعصية تكونون كمن طرقت جبينه الدنيا وفسدت مسامعه الشهوات ، فاختار الفانية على الباقية . ثم مازال يقيم أمر السلطان ويجرد السيف حتى خافه الناس خوفا عظيما ، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصى الظاهرة ، واستعان بجماعة من الصحابة ، وولى عمران بن حصين القضاء بالبصرة ، وولى الحكم بن عمرو الغفارى نيابة خراسان ، وولى سمرة بن جندب وعبد الرحمن بن سمرة وأنس بن مالك ، وكان حازم الرأى ذا هيبة داهية ، وكان مفوهاً فصيحاً بليغاً . قال الشعبي : ما سمعت متكلما قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسئ إلا زياداً فانه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً ، وقد كانت له وجاهة عند عمر بن الخطاب . وفى هذه السنة غزا الحكم بن عمرو نائب زياد على خراسان جبل الأسل عن أمر زياد فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالا جمة ، فكتب إليه زياد : إن أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفى له كل صفراء وبيضاء ــ يعنى الذهب والفضة ــ يجمع كله من هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو : إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض على عدو فاتقى الله يجعل له مخرجاً ، ثم نادى فى الناس : أن اغدوا على قسم غنيمتكم ، فقسمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية ، وعزل الخمس كما أمر الله ورسوله ، ثم قال الحكم : إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك ، فمات بمرو من خراسان رضى الله عنه . قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة مروان بن الحكم وكان نائب المدينة .

وفى هذه السنة توفى زيد بن ثابت الأنصارى أحد كتاب الوحى ، وقد ذكرنا ترجمته فيهم فى أواخر السيرة ، وهو الذى كتب هذا المصحف الامام الذى بالشام عن أمر عثمان بن عفان ، وهو خط جيد قوى جداً فيما رأيته ، وقد كان زيد بن ثابت من أشد الناس ذكاءً تعلم لسان يهود وكتابهم فى خمسة عشر يوماً ، قال أبو الحسن بن البراء : تعلم الفارسية من رسول كسرى فى ثمانية عشر يوماً ، وتعلم الحبشية والرومية والقبطية من خدام رسول الله ﷺ ، قال الواقدى : وأول مشاهده الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة . وفى الحديث الذى رواه أحمد والنسائى : « وأعلمهم بالفرائض زيد بن

ثابت ». وقد استعمله عمر بن الخطاب على القضاء، وقال مسروق: كان زيد بن ثابت من الراسخين، وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال له: تنح يا ابن عم رسول الله، فقال: لا! هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا. وقال الأعمش عن ثابت عن عبيد قال: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته ومن أذمها إذا خرج إلى الرجال. وقال محمد بن سيرين: خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة فوجد الناس راجعين منها فتوارى عنهم، وقال: من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله. مات في هذه السنة وقيل في سنة خمس وخمسين، والصحيح الأول، وقد قارب الستين وصلى عليه مروان، وقال ابن عباس: لقد مات اليوم علم كبير. وقال أبو هريرة: مات حبر هذه الأمة.

وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش عن سبعين، وقد شهد بدراً وما بعدها ولا عقب له. وعاصم ابن عدى، وقد استخلفه رسول الله حين خرج إلى بدر على قبا وأهل العالية. وشهد أحداً وما بعدها، وتوفي عن خمس وعشرين ومائة، وقد بعثه رسول الله هو ومالك بن الدخشم إلى مسجد الضرار فحرقاه.

وفيها توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين: وكانت قبل رسول الله ص تحت خنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة فتوفي عنها بعد بدر. فلما انقضت عدتها عرضها أبوها على عثمان بعد وفاة زوجته رقية بنت رسول الله ص، فأبى أن يتزوجها، فعرضها على أبي بكر فلم يرد عليه شيئاً، فما كان عن قريب حتى خطبها رسول الله ص فتزوجها، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك في ذلك فقال له أبو بكر: إن رسول الله كان قد ذكرها فما كنت لأفشي سر رسول الله ص، ولو تركها لتزوجتها. وقد روينا في الحديث أن رسول الله ص طلق حفصة ثم راجعها. وفي رواية أن جبريل أمره بمراجعتها، وقال: إنها صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة. وقد أجمع الجمهور أنها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستين سنة، وقيل إنها توفيت أيام عثمان والأول أصح.

سنة ست وأربعين

فيها شتى المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقيل كان أميرهم غيره والله أعلم. وحج بالناس فيها عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكرهم

وممن توفي في هذه السنة سالم بن عمير أحد البكائين المذكورين في القرآن، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد كلها.

سراقة بن كعب شهد بدراً وما بعدها

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

القرشي المخزومي ، وكان من الشجعان المعروفين والأبطال المشهورين كأبيه ، وكان قد عظم ببلاد الشام لذلك حتى خاف منه معاوية ، ومات وهو مسموم رحمه الله وأكرم مثواه ، قال ابن منده وأبو نعيم الأصبهاني : أدرك النبي ﷺ . وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر أن عمرو بن قيس روى عنه عن النبي ﷺ . في الحجامة بين الكتفين قال البخاري : وهو منقطع - يعني مرسلا - وكان كعب بن جعيل مداحاً له ولأخويه مهاجر وعبد الله . وقال الزبير بن بكار : كان عظيم القدر في أهل الشام ، شهد صفين مع معاوية . وقال ابن سميع : كان يلي الصوائف زمن معاوية ، وقد حفظ عن معاوية . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن رجلا يقال له ابن أثال - وكان رئيس الذمة بأرض حمص - سقاه شربة فيها سم فمات ، وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح . ورثاه بعضهم فقال:

أبوكَ الذي قادَ الجيوشَ مغرِّباً * إلى الروم لما أعطتِ الخَرْجَ فارسُ

وكمْ من فتىً نبهتَهُ بعد هجمةٍ * بقرعِ لجامٍ وهوَ أكتعُ ناعسُ

وما يستوي الصفانِ صفُّ لخالدٍ * وصفٌّ عليهِ من دمشقَ البرانسُ

وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة فقال له عروة بن الزبير : مافعل ابن أثال ؟ فسكت ، ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أثال فقتله ، فقال : قد كفيتك إياه ولكن ما فعل ابن جرموز ؟ فسكت عروة ومحمد بن مسلمة في قول ، وقد تقدم { هرم بن حيان العبدي } وهو أحد عمال عمر بن الخطاب ، ولقي أويساً القرني وكان من عقلاء الناس وعلمائهم ، ويقال إنه لما دفن جاءت سحابة فرَوت قبره وحده ، ونبت العشب عليه من وقته والله أعلم .

سنة سبع وأربعين

فيها شتى المسلمون ببلاد الروم ، وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن ديار مصر وولى عليها معاوية بن خديج ، وحج بالناس عتبة ، وقيل أخوه عنبسة بن أبي سفيان فالله أعلم .

وممن توفي فيها قيس بن عاصم المنقري . كان من سادات الناس في الجاهلية والاسلام ، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية والاسلام ، وذلك أنه سكر يوماً فعبث بذات محرم منه فهربت منه ، فلما أصبح قيل له في ذلك فقال في ذلك :

رأيتُ الخمرَ منقصةً وفيها * مقابحُ تفضحُ الرجلَ الكريما

فلا واللهِ أشربها حياتي * ولا أشفي بها أبداً سقيما

وكان إسلامه مع وفد بني تميم ، وفي بعض الأحاديث أن رسول الله قال : « هذا سيد أهل الوبر »

وكان جواداً ممدحاً كريماً وهو الذي يقول فيه الشاعر :

وما كان قيسٌ هلكُه هلكُ واحدٍ * ولكنَّهُ بنيانُ قومٍ تهدما

وقال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان : قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يختلف إلى الفقهاء ، فبينا نحن عنده يوماً وهو قاعد بفنائه محتب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف فقالوا : هذا ابنك قتله ابن أخيك ، قال : فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له في المسجد فقال : اطلق عن ابن عمك ، ووار أخاك واحمل إلى أمه مائة من الابل فانها غريبة ، ويقال إنه لما حضرته الوفاة جلس حوله بنوه - وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً - فقال لهم : يا بني سودوا عليكم أكبركم تخلفوا أباكم ، ولا تسودوا أصغركم فيزدري بكم أكفاؤكم ، وعليكم بالمال واصطناعه فانه نعم المنبه للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس فانها من أخس مكسبة الرجل ، ولا تنوحوا علي فان رسول الله لم ينح عليه ، ولاتدفنوني حيث يشعر بكر بن وائل ، فاني كنت أعاديهم في الجاهلية . وفيه يقول الشاعر

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بن عاصمٍ * ورحمتُهُ ما شاءَ أنْ يترحما

تحيةَ من أوليتَهُ منكَ منةً * إذا ذكرتْ مثلُها تملأُ الفما

فما كان قيسٌ هلكُه هلكُ واحدٍ * ولكنَّهُ بنيانُ قومٍ تهدما

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها شتى أبو عبد الرحمن القيني بالمسلمين ببلاد انطاكية ، وفيها غزا عقبة بن عامر بأهل مصر البحر ، وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

سنة تسع وأربعين

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري . وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد . وفيها توفي أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، و [قيل] لم يمت في هذه الغزوة بل بعدها سنة إحدى أو ثنتين أو ثلاث وخمسين كما سيأتي . وفيها عزل معاوية مروان عن المدينة وولى عليها سعيد بن العاص ، فاستقضى سعيد عليها أبا سلمة بن عبد الرحمن . وفيها شتى مالك بن هبيرة الفزاري بأرض الروم ، وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد ، وشتى هنالك ، ففتح البلد وغنم شيئا كثيراً . وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز . وفيها وقع الطاعون بالكوفة فخرج

منها المغيرة فاراً ، فلما ارتفع الطاعون رجع إليها فأصابه الطاعون فمات ، والصحيح أنه مات سنة خمسين كما سيأتى ، فجمع معاوية لزياد الكوفة إلى البصرة ، فكان أول من جمع له بينهما : فكان يقيم فى هذه ستة أشهر وهذه ستة أشهر ، وكان يستخلف على البصرة سمرة بن جندب . وحج بالناس فى هذه السنة سعيد بن العاص .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

الحسن بن على بن أبى طالب

أبو محمد القرشى الهاشمى ، سبط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة الزهراء ، وريحانته ، وأشبه خلق الله به فى وجهه ، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، فحنكه رسول الله بريقه وسماه حسناً ، وهو أكبر ولد أبويه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً حتى كان يقبل زبيبته وهو صغير ، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه ، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد فى الصلاة فيركب على ظهره فيقره على ذلك ويطيل السجود من أجله ، وربما صعد معه إلى المنبر ، وقد ثبت فى الحديث أنه عليه السلام بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقبلين فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما معه إلى المنبر وقال : «صدق الله [إنما أموالكم وأولادكم فتنة] إنى رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم أملك أن نزلت إليهما » ثم قال : « إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتحببون » . وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى عاصم عن عمر بن سعيد بن أبى حسين عن ابن أبى مليكة عن عقبة بن الحارث أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله بليال ثم خرج هو وعلى يمشيان ، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول : « يابابى شبه النبى ، ليس شبيهاً بعلى » . قال : وعلى يضحك . وروى سفيان الثورى وغير واحد قالوا : ثنا وكيع ثنا إسماعيل بن أبى خالد سمعت أبا جحيفة يقول : « رأيت النبى ﷺ ، وكان الحسن بن على يشبهه » . ورواه البخارى ومسلم من حديث إسماعيل بن أبى خالد قال وكيع : لم يسمع إسماعيل من أبى جحيفة إلا هذا الحديث . وقال أحمد : ثنا أبو داود الطيالسى ثنا زمعة عن ابن أبى مليكة قالت : كانت فاطمة تنقز للحسن بن على وتقول : يابابى شبه النبى ليس شبيهاً بعلى . وقال عبد الرزاق وغيره عن معمر عن الزهرى عن أنس قال : كان الحسن بن على أشبههم وجهاً برسول الله ﷺ . ورواه أحمد عن عبد الرزاق بنحوه ، وقال أحمد : ثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانئ عن على قال : « الحسن أشبه برسول الله مابين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ما أسفل من ذلك » . ورواه الترمذى من حديث إسرائيل وقال حسن غريب . وقال أبو داود الطيالسى : ثنا قيس عن أبى إسحاق عن هانئ بن هانئ عن على قال : كان الحسن أشبه الناس برسول الله من وجهه إلى سرته ، وكان الحسين أشبه الناس به

ما أسفل من ذلك . وقد روى عن ابن عباس وابن الزبير أن الحسن بن على كان يشبه النبي (ص) .
وقال أحمد : ثنا حازم بن الفضيل ثنا معتمر عن أبيه قال : سمعت أبا تميمة يحدث عن أبى عثمان النهدى يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد قال : « كان النبي (ص) يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول : اللهم ارحمهما فانى أرحمهما » . وكذا رواه البخارى عن النهدى عن محمد بن الفضيل أخو حازم به ، وعن على بن المدينى عن يحيى القطان عن سليمان التيمى عن أبى تميمة عن أبى عثمان عن أسامة ، وأخرجه أيضاً عن موسى بن إسماعيل ومسدد عن معتمر عن أبيه عن أبى عثمان عن أسامة فلم يذكر أبا تميمة والله أعلم . وفى رواية : « اللهم إنى أحبهما فأحبهما » . وقال شعبة عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : رأيت النبي (ص) والحسن بن على على عاتقه وهو يقول : « اللهم إنى أحبه فأحبه » . أخرجاه من حديث شعبة . ورواه على بن الجعد عن فضيل بن مرزوق عن عدى عن البراء ، فزاد « وأحب من أحبه » وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبى هريرة عن النبي (ص) ، قال للحسن بن على : « اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه » . ورواه مسلم عن أحمد وأخرجاه من حديث شعبة . وقال أحمد : ثنا أبو النضر ثنا ورقاء عن عبيد الله بن أبى يزيد عن نافع بن جبير عن أبى هريرة . قال : « كنت مع النبي (ص) فى سوق من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت معه ، فجاء إلى فناء فاطمة فقال أى لكع أى لكع أى لكع فلم يجبه أحد ، فانصرف وانصرفت معه إلى فناء فقعد ، قال : فجاء الحسن بن على - قال أبو هريرة : ظننا أن أمه حبسته لتحمل فى عنقه السخاب - فلما دخل التزمه رسول الله والتزم هو رسول الله ، ثم قال : إنى أحبه وأحب من يحبه » ثلاث مرات . وأخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله به . وقال أحمد : ثنا حماد الخياط ثنا هشام بن سعد عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبى هريرة . قال : « خرج رسول الله إلى سوق بنى قينقاع متكئاً على يدى فطاف فيها ، ثم رجع فاحتبى فى المسجد وقال : أين لكاع ؟ ادعوا لى لكاع ، فجاء الحسن فاشتد حتى وثب فى حبوته فأدخل فمه فى فمه ثم قال : اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه » ثلاثاً ، قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلا فاضت عينى ، أو قال : دمعت عينى أو بكيت - وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقد رواه الثورى عن نعيم عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة فذكر مثله أو نحوه . ورواه معاوية بن أبى برود عن أبيه عن أبى هريرة بنحوه وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن على نحواً من هذا . ورواه عثمان بن أبى اللباب عن ابن أبى مليكة عن عائشة بنحوه وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن على نحواً من هذا السياق . وقال سفيان الثورى وغيره عن سالم بن أبى حفصة عن أبى حازم عن أبى هريرة . قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى » غريب من هذا الوجه . وقال أحمد : ثنا ابن نمير ثنا الحجاج - يعنى ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبى هريرة قال : « خرج علينا رسول الله ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يارسول الله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى » . تفرد به أحمد . وقال أبو بكر ابن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء الحسن والحسين فجعلا يتوثبان على ظهره إذا سجد ، فأراد الناس زجرهما فلما سلم قال للناس : هذان ابناى ، من أحبهما فقد أحبنى » . ورواه النسائى من حديث عبيد الله بن موسى عن على بن صالح عن عاصم به . وقد ورد عن عائشة وأم سلمة أمى المؤمنين أن رسول الله اشتمل على الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » وقال محمد بن سعد : ثنا محمد ابن عبد الله الأسدى ثنا شريك عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله . قال قال رسول الله : « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن على » وقد رواه وكيع عن الربيع بن سعد عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر فذكر مثله ، وإسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه . وجاء من حديث على وأبى سعيد وبريدة أن رسول الله قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » . وقال أبو القاسم البغوى : ثنا داود بن عمرو ثنا إسماعيل ابن عياش حدثنى عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال : « جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر فجعل يده إلى الأخرى فى رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال : اللهم إنى أحبهما فأحبهما ، ثم قال : أيها الناس إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة » وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى خيثم عن محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه « أن رسول الله أخذ حسنا فقبله ثم أقبل عليهم فقال : إن الولد مبخلة مجبنة » وقال ابن خزيمة : ثنا عبدة بن عبد الله الخزاعى ثنا زيد بن الحباب ح وقال أبو يعلى أبو خيثمة : ثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل رسول الله إليهما فأخذهما فوضعهما فى حجره على المنبر ، ثم قال : صدق الله ! إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، رأيت هذين الصبيين فلم أصبر ، ثم أخذ فى خطبته » . وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث الحسين بن واقد ، وقال الترمذى حسن غريب لانعرفه إلا من حديثه ، وقد رواه محمد الضمرى عن زيد بن أرقم فذكر القصة للحسن وحده : وفى

حديث عبد الله بن شداد عن أبيه « أن رسول الله صلى بهم إحدى صلاتى العشى فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلما سلم قال الناس له فى ذلك ، قال : إن ابنى هذا - يعنى الحسن - ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » . وقال الترمذى عن أبى الزبير عن جابر قال : « دخلت على رسول الله وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشى بهما على أربع ، فقلت : نعم الحمل حملكما فقال : ونعم العدلان هما » على شرط مسلم ولم يخرجوه ، وقال أبو يعلى : ثنا أبو هاشم ثنا أبو عامر ثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « خرج رسول الله وهو حامل الحسن على عاتقه فقال له رجل : يا غلام نعم المركب ركبت ، فقال رسول الله : ونعم الراكب هو ».

وقال أحمد : حدثنا تليد بن سليمان ثنا أبو الحجاف عن أبى حازم عن أبى هريرة . قال : « نظر رسول الله إلى على وحسن وحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » . وقد رواه النسائى من حديث أبى نعيم ، وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن سفيان الثورى عن أبى الحجاف داود بن أبى عوف ، قال وكيع : وكان مرضياً - عن أبى حازم عن أبى هريرة أن رسول الله قال عن الحسن والحسين : « من أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى » وقد رواه أسباط عن السدى عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم فذكره . وقال بقية عن بحير بن سعيد عن خالد ابن معدان عن المقدام بن معدى كرب قال : سمعت رسول الله يقول : « الحسن منى والحسين من على » فيه نكارة لفظاً ومعنى . وقال أحمد : ثنا محمد بن أبى عدى عن ابن عوف عن عمير بن إسحاق . قال : « كنت مع الحسن بن على فلقينا أبو هريرة فقال : أرنى أقبل منك حيث رأيت رسول الله يقبل ، فقال : بقميصه ، قال : فقبل سرته » تفرد به أحمد ، ثم رواه عن إسماعيل بن علية عن ابن عوف . وقال أحمد : ثنا هاشم بن القاسم عن جرير عن عبد الرحمن أبى عوف الجرشى عن معاوية . قال : « رأيت رسول الله يمص لسانه - أو قال شفته يعنى الحسن بن على - وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ » . تفرد به أحمد ، وقد ثبت فى الصحيح عن أبى بكرة . وروى أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . وقد تقدم هذا الحديث فى دلائل النبوة ، وتقدم قريباً عند نزول الحسن لمعاوية عن الخلافة ، ووقع ذلك تصديقاً لقوله ﷺ هذا ، وكذلك ذكرناه فى كتاب دلائل النبوة ولله الحمد والمنة . وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه ، وكذلك عمر ابن الخطاب ، فروى الواقدى عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبيه : أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر فى خمسة آلاف خمسة آلاف ، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما . وقد كان الحسن بن على يوم الدار - وعثمان بن عفان محصور -

عنده ومعه السيف متقلداً به يحاجف عن عثمان فخشى عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطييباً لقلب على ، وخوفا عليه رضى الله عنهم . وكان على يكرم الحسن إكراماً زائداً ، ويعظمه ويبجله وقد قال له يوماً : يابنى ألا تخطب حتى أسمعك ؟ فقال : إنى أستحيى أن أخطب وأنا أراك ، فذهب على فجلس حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن فى الناس خطيباً وعلىّ يسمع ، فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل على يقول : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ، ويرى هذا من النعم عليه . وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما ، رضى الله عنهما وأرضاهما . وكان ابن الزبير يقول : والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن على . وقال غيره : كان الحسن إذا صلى الغداة فى مسجد رسول الله يجلس فى مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتحفنه ثم ينصرف إلى منزله . ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانة لدماء المسلمين ، كان له على معاوية فى كل عام جائزة ، وكان يفد إليه ، فربما أجازه بأربعمائة ألف درهم ، وراتبه فى كل سنة مائة ألف ، فانقطع سنة عن الذهاب وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها ـ وكان من أكرم الناس ـ فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه ، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله فى المنام فقال له : يابنى أتكتب إلى مخلوق بحاجتك ؟ وعلمه دعاء يدعو به » فترك الحسن . ما كان همّ به من الكتابة ، فذكره معاوية وافتقده ، وقال : ابعثوا إليه بمائتى ألف فلعل له ضرورة فى تركه القدوم علينا ، فحملت إليه من غير سؤال .

قال صالح بن أحمد : سمعت أبى يقول : الحسن بن على مدنى ثقة . حكاه ابن عساكر فى تاريخه ، قالوا : وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، وخرج من ماله مرتين ، وحج خمساً وعشرين مرة ماشياً وإن الجنائب لتقاد بين يديه . وروى ذلك البيهقى من طريق عبيد الله بن عمير عن ابن عباس . وقال على بن زيد بن جدعان : وقد علق البخارى فى صحيحه أنه حج ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ، وروى داود بن رشيد عن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال : حج الحسن بن على ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ونجائبه تقاد إلى جنبه . وقال العباس بن الفضل عن القاسم عن محمد بن على قال قال الحسن بن على : إنى لأستحيى من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فمشى عشرين مرة إلى المدينة على رجليه ، قالوا : وكان يقرأ فى بعض خطبه سورة إبراهيم ، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرؤها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه ، فيقرؤه بعد ما يدخل فى الفراش قبل أن ينام رضى الله عنه . وقد كان من الكرم على جانب عظيم ، قال محمد بن سيرين : ربما أجاز الحسن بن على الرجل الواحد بمائة ألف . وقال سعيد بن عبد العزيز : سمع الحسن رجلا

إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم ، فقام إلى منزله فبعث بها إليه . وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : إنى أستحى منه أن آكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح من مكانك حتى آتيك ، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذى هو فيه ، فأعتقه وملكه الحائط ، فقال الغلام : يامولاى قد وهبت الحائط للذى وهبتنى له . قالوا : وكان كثير التزوج ، وكان لايفارقه أربع حرائر ، وكان مطلاقاً مصداقاً ، يقال إنه أحصن سبعين امرأة ، وذكروا أنه طلق امرأتين فى يوم ، واحدة من بنى أسد وأخرى من بنى فزارة ـ فزارية ـ وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبزقاق من عسل ، وقال للغلام : اسمع ما تقول كل واحدة منهما ، فأما الفزارية فقالت : جزاه الله خيراً ، ودعت له ، وأما الأسدية فقالت . متاع قليل من حبيب مفارق . فرجع الغلام إليه بذلك ، فارتجع الأسدية وترك الفزارية . وقد كان على يقول لأهل الكوفة : لاتزوجوه فإنه مطلاق ، فيقولون والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء فى صهر رسول الله (ص).

وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزارى ـ وقيل هند بنت سهيل ـ فوق إجار فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها ، فلما استيقظ قال لها : ما هذا ؟ فقالت : خشيت أن تقوم من وسن النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب . فأعجبه ذلك منها ، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك . وقال أبو جعفر الباقر : جاء رجل إلى الحسين بن على فاستعان به فى حاجة فوجده معتكفاً فاعتذر إليه ، فذهب إلى الحسن فاستعان به فقضى حاجته ، وقال : لقضاء حاجة أخ لى فى الله أحب إلى من اعتكاف شهر . وقال هشيم عن منصور عن ابن سيرين قال : كان الحسن بن على لا يدعو إلى طعامه أحداً يقول : هو أهون من أن يدعى إليه أحد . وقال أبو جعفر : قال على يا أهل الكوفة لاتزوجوا الحسن بن على فإنه مطلاق ، فقال رجل من همذان : والله لنزوجنه ، فما رضى أمسك وما كره طلق . وقال أبو بكر الخرائطى ـ فى كتاب مكارم الأخلاق ـ : ثنا ابن المنذر ـ هو إبراهيم ـ ثنا القواريرى ثنا عبد الأعلى عن هشام عن محمد بن سيرين قال : تزوج الحسن بن على امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم . وقال عبد الرزاق عن الثورى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن الحسن بن سعد عن أبيه قال : متع الحسن بن على امرأتين بعشرين ألفا وزقاق من عسل ، فقالت إحداهما ـ وأراها الحنفية ـ متاع : قليل من حبيب مفارق . وقال الواقدى : حدثنى على بن عمر عن أبيه عن على بن الحسين قال : كان الحسن بن على مطلاقاً للنساء ، وكان لايفارق امرأة إلا وهى تحبه . وقال جويرية بن أسماء : لما مات الحسن بكى عليه مروان فى جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : إنى كنت أفعل إلى أحلم من هذا ، وأشار هو

إلى الجبل . وقال محمد بن سعد : أنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن ابن عون عن محمد بن إسحاق قال : ما تكلم عندى أحد كان أحب إلى إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن على ، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة ، فانه كان بينه و بين عمرو بن عثمان خصومة فقال : ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط . قال محمد بن سعد : وأنا الفضل بن دكين أنا مساور الجصاص عن رزين بن سوار . قال : كان بين الحسن ومروان خصومة فجعل مروان يغلظ للحسن وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقال له الحسن : و يحك ! أما علمت أن اليمنى للوجه ، والشمال للفرج ؟ أف لك ، فسكت مروان . وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قيل للحسن بن على : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون فى غير الحالة التى اختار الله له . وهذا أحد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء . وقال أبو بكر محمد بن كيسان الأصم :قال الحسن ذات يوم لأصحابه : إنى أخبركم عن أخ لى كان من أعظم الناس فى عينى ، وكان عظيم ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، كان خارجاً عن سلطان بطنه فلا يشتهى مالا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً عن سلطان فرجه ، فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً عن سلطان جهله فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة ، ولا يخطو خطوة إلا لحسنة ، وكان لا يسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم ؛ وكان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على الصمت ، كان أكثر دهره صامتاً ، فاذا قال بذ القائلين ، وكان لا يشارك فى دعوى ، ولا يدخل فى مراء ، ولا يدلى بحجة ، حتى يرى قاضياً يقول مالا يفعل ، و يفعل مالا يقول ، تفضلا وتكرماً ، كان لا يغفل عن إخوانه ، ولا يستخص بشئ دونهم . كان لا يكرم أحداً فيما يقع العذر بمثله ، كان إذا ابتداه أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه . رواه ابن عساكر والخطيب . وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريرى : ثنا بدر بن الهيثم الحضرمى ثنا على بن المنذر الطريقى ثنا عثمان ابن سعيد الدارمى ثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء - من أهل تستر - ثنا شعبة بن الحجاج الواسطى عن أبى إسحاق الهمدانى عن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه - يعنى الحسن - عن أشياء من المروءة فقال : يابنى ما السداد ؟ قال : يا أبة السداد دفع المنكر بالمعروف ، قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة . قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف وإصلاح المرء ماله . قال : فما الدنيئة ؟ قال : النظر فى اليسير ومنع الحقير . قال : فما اللوم ؟ قال : احتراز المرء نفسه و بذله عرسه . قال : فما السماحة؟ قال : البذل فى العسر واليسر . قال : فما الشح ؟ قال : أن ترى ما فى يديك سرفاً وما أنفقته تلفاً . قال : فما الاخاء ؟ قال : الوفاء فى الشدة والرخاء . قال : فما الجبن ؟ قال : الجرأة

على الصديق والنكول عن العدو . قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا . قال : فما الحلم ؟ قال كظم الغيظ وملك النفس . قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم الله لها وإن قل ، فإنما الغنى غنى النفس . قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس في كل شيء . قال : فما المنعة ؟ قال : شدة البأس ومقارعة أشد الناس . قال : فما الذل ؟ قال : الفزع عند المصدوقية ؟ قال : فما الجرأة ؟ قال : موافقة الأقران . قال : فما الكلفة قال : كلامك فيما لا يعنيك . قال : فما المجد . قال : أن تعطى في الغرم وأن تعفو عن الجرم . قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب كل ما استرعيته . قال : فما الخرق ؟ قال : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك . قال : فما الثناء ؟ قال : إتيان الجميل وترك القبيح . قال : فما الحزم ؟ قال : طول الاناة ، والرفق بالولاة ، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم قال : فما الشرف ؟ قال : موافقة الاخوان ، وحفظ الجيران . قال فما السفه ؟ قال : اتباع الدناة ، ومصاحبة الغواة . قال ؟ فما الغفلة . قال : تركك المسجد وطاعتك المفسد . قال : فما الحرمان ؟ قال : تركك حظك وقد عرض عليك . قال : فمن السيد ؟ قال : الأحمق في المال المتهاون بعرضه ، يشتم فلا يجيب المتحزن بأمر العشيرة هو السيد . قال ثم قال علي : يابني سمعت رسول الله (ص) يقول : « لافقر اشد من الجهل ، ولا مال أفضل من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة كالتفكر ، ولا إيمان كالحياء ، ورأس الايمان الصبر ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ، وآفة الحلم السفه ، وآفة العبادة الفترة ، وآفة الظرف الصلف ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة السماحة المن ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة الحب الفخر » ثم قال علي : يابني لا تستخفن برجل تراه أبداً ، فان كان أكبر منك فعده أباك ، وإن كان مثلك فهو أخوك ، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك .

فهذا ماسأل علي ابنه عن أشياء من المروءة . قال القاضي أبو الفرج : ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه ، وحفظه ووعاه ، وعمل به وأدب نفسه بالعمل عليه ، وهذبها بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده . وفيما رواه أمير المؤمنين وأضافه عن النبي (ص) مالا غنى لكل لبيب عليم ، وقدرة حكيم ، عن حفظه وتأمله ، والمسعود من هدى لتلقيه ، والمجدود من وفق لامتثاله وتقبله . قلت : ولكن إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف ، ومثل هذه الألفاظ في عبارتها مايدل على بعضها من النكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم . وقد ذكر الأصمعي والعتبي والمدائني وغيرهم : أن معاوية سأل الحسن عن أشياء تشبه هذا فأجابه بنحو ما تقدم ، لكن هذا السياق أطول بكثير مما تقدم فالله أعلم . وقال علي بن العباس الطبراني : كان على خاتم الحسن بن علي مكتوبا :

قدم لنفسك ما استطعت من التقى * إن المنية نازلة بك يافتى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى * أحباب قلبك فى المقابر والبلى

قال الامام أحمد: حدثنا مطلب بن زياد بن محمد ثنا محمد بن أبان قال قال الحسن بن على لبنيه وبنى أخيه: « تعلموا فانكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ منكم فليكتب». رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه. وقال محمد بن سعد: ثنا الحسن بن موسى وأحمد بن يونس قالا: ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو إسحاق عن عمرو الأصم قال قلت للحسن بن على إن هذه الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله! ما هؤلاء بالشيعة: لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله. وقال عبد الله بن أحمد: حدثنى أبو على سويد الطحان ثنا على بن عاصم ثنا أبو ريحانة عن سفينة عن النبى ﷺ قال: « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » فقال رجل كان حاضراً فى المجلس: قد دخلت من هذه الثلاثين ستة شهور فى خلافة معاوية. فقال: من هاهنا أتيت تلك الشهور كانت البيعة للحسن بن على، بايعه أربعون ألفاً أو اثنان وأربعون ألفاً. وقال صالح بن أحمد: سمعت أبى يقول: بايع الحسن تسعون ألفاً فزهد فى الخلافة وصالح معاوية ولم يسل فى أيامه محجمة من دم. وقال ابن أبى خيثمة: وحدثنا أبى ثنا وهب بن جرير قال قال أبى: فلما قتل على بايع أهل الكوفة الحسن بن على وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه. وقال ابن أبى خيثمة: ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن ابن شوذب. قال: لما قتل على سار الحسن فى أهل العراق وسار معاوية فى أهل الشام فالتقوا فكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن جعل العهد للحسن من بعده. قال: فكان أصحاب الحسن يقولون: ياعار المؤمنين، قال: فيقول لهم: العار خير من النار. وقال أبو بكر بن أبى الدنيا: حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال: لما قتل على بايع الناس الحسن بن على فوليها سبعة وأحد عشر يوماً. وقال غير عباس: بايع الحسن أهل الكوفة، وبايع أهل الشام معاوية بإيلياء بعد قتل على، وبويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة أربعين، ثم لقى الحسن معاوية بمسكن — من سواد الكوفة — فى سنة إحدى وأربعين فاصطلحا، وبايع الحسن معاوية. وقال غيره: كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين. وقد تكلمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وحاصل ذلك أنه اصطلح مع معاوية على أن يأخذ ما فى بيت المال الذى بالكوفة، فوفى له معاوية بذلك فاذا فيه خمسة آلاف ألف، وقيل سبعة آلاف ألف، وعلى أن يكون خراج. وقيل دار ابجرد له فى كل عام، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخراج إليه، فعوضه معاوية عن كل سنة آلاف ألف درهم فى كل عام، فلم يزل يتناولها مع ماله فى كل زيارة من الجوائز والتحف والهدايا، إلى أن توفى فى

هذا العام . وقال محمد بن سعد عن هوذة بن خليفة عن عوف عن محمد بن سيرين قال : لما دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن بن على قال أصحاب معاوية لمعاوية : مر الحسن بن على أن يخطب ، فإنه حديث السن عيى ، فلعله يتلعثم فيتضع فى قلوب الناس . فأمره فقام فاختطب فقال فى خطبته : «أيها الناس لو ابتغيتم بين جابلق وجابرس رجلا جده نبى غيرى وغير أخى لم تجدوه ، وإنا قد أعطينا بيعتنا معاوية ورأينا أن حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين» ـ وأشار إلى معاوية ـ فغضب من ذلك وقال : ما أردت من هذه ؟ قال : أردت منها ما أراد الله منها . فصعد معاوية وخطب بعده . وقد رواه غير واحد وقدمنا أن معاوية عتب على أصحابه . وقال محمد بن سعد : ثنا أبو داود الطيالسى : ثنا شعبة عن يزيد قال : سمعت جبير بن نفير الحضرمى يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن على : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة ؟ فقال : كانت جماجم العرب بيدى ، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت ، فتركتها ابتغاء وجه الله ، ثم أثيرها ثانياً من أهل الحجاز . وقال محمد بن سعد : أنا على بن محمد عن إبراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بن على وهو بالمدينة وفى يده صحيفة فقال : ما هذه ؟ فقال : من معاوية يعدنيها ويتوعد ، قال . قد كنت على النصف منه ، قال : أجل ولكن خشيت أن يجئ يوم القيامة سبعون ألفاً ، أو ثمانون ألفاً ، أو أكثر أو أقل ، تنضح أوداجهم دماً ، كلهم يستعدى الله فيم هريق دمه . وقال الأصمعى عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله . قال : رأى الحسن بن على فى منامه أنه مكتوب بين عينيه ، [قل هو الله احد] ففرح بذلك فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : إن كان رأى هذه الرؤيا فقل ما بقى من أجله . قال : فلم يلبث الحسن بن على بعد ذلك إلا أياما حتى مات . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكى ومحمد بن عثمان العجلى قالا : ثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق . قال : دخلت أنا ورجل آخر من قريش على الحسن ابن على فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال : لقد لفظت طائفة من كبدى أقلبها بهذا العود ، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت مرة هى أشد من هذه . قال : وجعل يقول لذلك الرجل : سلنى قبل أن لا تسألنى ، فقال ما أسألك شيئاً يعافيك الله ، قال : فخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من الغد . وقد أخذ فى السوق فجاء حسين حتى قعد عند رأسه ، فقال : أى أخى ! من صاحبك ؟ قال : تريد قتله ، قال : نعم ! قال لئن كان صاحبى الذى أظن لله أشد نقمة . وفى رواية : فالله أشد بأساً وأشد تنكيلا ، وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بى بريئا . ورواه محمد بن سعد عن ابن علية عن ابن عون . وقال محمد بن عمر الواقدى : حدثنى عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور . قالت : الحسن سقى مراراً كل ذلك يفلت منه ، حتى كانت المرة الآخرة التى مات فيها فإنه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام

نساء بني هاشم عليه النوح شهراً . وقال الواقدي : وحدثنا عبدة بنت نائل عن عائشة قالت : حد نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنة . قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن قال : كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء ، وكان قل ماحظين عنده ، وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وضنت به ، فيقال إنه كان سقي سما ، ثم أفلت ، ثم سقي فأفلت ثم كانت الآخرة توفي فيها ، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قطع السم أمعاءه ، فقال الحسين : يا أبا محمد أخبرني من سقاك ؟ قال : ولم يا أخي ؟ قال : أقتله والله قبل أن أدفنك ولا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلف الشخوص إليه . فقال : يا أخي إنما هذه الدنيا ليال فانية ، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله ، وأبى أن يسميه . وقد سمعت بعض من يقول : كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سما . قال محمد بن سعد : وأنا يحيى بن حماد أنا أبو عوانة عن المغيرة عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة ، قال فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً . وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمي الحسن وأنا أتزوجك بعده ، ففعلت ، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال : إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟ وعندي أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى ، وقد قال كثير عزة في ذلك :

يا جعدُ بكِّيه ولا تسأمي * بكاءَ حقٍ ليسَ بالباطلِ
لن تستري البيتَ على مثلهِ * في الناسِ من حافٍ ولا ناعلِ
أعني الذي أسلمهُ أهلهُ * للزمنِ المستخرجِ الماحلِ
كانَ إذا شبتْ لهُ نارهُ * يرفعها بالنسبِ الماثلِ
كيما يراها بائسٌ مرملٌ * أو فردُ قومٍ ليسَ بالآهلِ
تغلي بنيء اللحمِ حتى إذا * أنضجَ لم تغلُ على آكلِ

قال سفيان بن عيينة عن رقبة بن مصقلة قال : لما احتضر الحسن بن علي قال : أخرجوني إلى الصحن أنظر في ملكوت السموات . فأخرجوا فراشه فرفع رأسه فنظر فقال : اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي ، قال : فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده . وقال عبد الرحمن بن مهدي : لما اشتد بسفيان الثوري المرض جزع جزعاً شديداً فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال : ماهذا الجزع يا أبا عبد الله ؟ تقدم على رب عبدته ستين سنة ، صمت له ، صليت له ، حججت له ، قال فسري عن الثوري . وقال أبو نعيم : لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له : يا أبا محمد ماهذا الجزع ؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك فتقدم على

أبويك على وفاطمة ، وعلى جديك النبي (ص) ، وخديجة ، وعلى أعمامك حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك القاسم الطيب ومطهر و إبراهيم ، وعلى خالاتك رقيـة وأم كلثوم وزينب ، قال : فسرى عنه . وفى رواية أن القائل له ذلك الحسين ، وأن الحسن قال له : يا أخى إنى أدخل فى أمر من أمر الله لم أدخل فى مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط قال : فبكى الحسين رضى الله عنهما . رواه عباس الدورى عن ابن معين ، ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد عن أبيه فذكر نحوهما . وقال الواقـدى : ثنا إبراهيم بن الفضل عن أبى عتيق قال : سمعت جابر بن عبـد الله يقول : شهدنا حسن بن على يوم مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن عـلى ومروان بن الحكم ، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ، فان خاف أن يكون فى ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع ، فأبى مروان أن يدعه ـ ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاوية ـ ولم يزل مروان عدواً لبنى هاشم حتى مات ، قال جابر : فكلمت يومئذ حسين بن على فقلت : ياأبا عبد الله اتق الله ولا تثر فتنة فان أخاك كان لا يحب ما ترى ، فادفنه بالبقيع مع أمه ففعل. ثم روى الواقدى : حدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه عن عمر قال حضرت موت الحسن بن على فقلت للحسين بن على اتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء : وادفن أخاك إلى جانب أمه ، فان أخاك قد عهد بذلك إليك ، قال ففعل الحسين . وقد روى الواقدى عن أبى هريرة نحواً من هـذا ، وفى رواية أن الحسن بعث يستأذن عائشة فى ذلك فأذنت له ، فلما مات لبس الحسين السلاح وتسلح بنو أمية وقالوا : لا ندعه يدفن مع رسول الله (ص) ، أيدفن عثمان بالبقيع و يدفن الحسن بن على فى الحجرة ؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبى وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين أن لا يقاتل فامتثل ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالبقيع ، رضى الله عنه . وقال سفيان الثورى عن سالم بن أبى حفصة عن أبى حازم قال : رأيت الحسين بن على قـدّم يومئذ سعيد بن العاص فصلى عـلى الحسن وقال : لولا أنها سنة ما قدمته . وقال محمد بن إسحاق : حدثنى مساور مولى بنى سعد بن بكر قال : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله يوم مات الحسن بن على وهو ينادى بأعـلا صوته : يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا . وقـد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام . وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً ، واستمر نساء بنى هاشم ينحن عليه شهراً ، وحدت نساء بنى هاشم عليـه سنة . قال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن يحيى ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيـه قال : قتل على وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها حسن ، وقتل لها الحسين رضى الله عنهم . وقال شعبة عن أبى بكر بن حفص قال : توفى سعد والحسن ابن على فى أيام بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين . وقال علية عن جعفر بن محمد عن أبيـه قال : توفى الحسن وهو ابن سبع وأربعين ، وكذا قاله غير واحد وهو أصح . والمشهور أنه مات سنة

تسع وأربعين كما ذكرنا ، وقال آخرون : مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين .

سنة خمسين من الهجرة

ففى هذه السنة توفى أبو موسى الأشعرى فى قول ، والصحيح سنة ثنتين وخمسين كما سيأتى . فيها حج بالناس معاوية ، وقيل ابنه يزيد ، وكان نائب المدينة فى هذه السنة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسجستان وفارس والسند والهند زياد . وفى هذه السنة اشتكى بنو نهشل على الفرزدق إلى زياد فهرب منه إلى المدينة ، وكان سبب ذلك أنه عرّض بمعاوية فى قصيدة له فتطلبه زياد أشد الطلب ففر منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، وقال فى ذلك أشعاراً ، ولم يزل فيما بين مكة والمدينة حتى توفى زياد فرجع إلى بلاده ، وقد طول ابن جرير هذه القصة . وقد ذكر ابن جرير فى هذه السنة من الحوادث ما رواه من طريق الواقدى : حدثنى يحيى بن سعيد بن دينار عن أبيه أن معاوية كان قد عزم على تحويل المنبر النبوى من المدينة إلى دمشق وأن يأخذ العصاة التى كان النبي (ص) يمسكها فى يده إذا خطب فيقف على المنبر وهو ممسكها ، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين نذكرك الله أن تفعل هذا فان هذا ، لا يصلح أن يخرج المنبر من موضع وضعه فيه رسول الله (ص) ، وأن يخرج عصاه من المدينة . فترك ذلك معاوية ولكن زاد فى المنبر ست درجات واعتذر إلى الناس . ثم روى الواقدى أن عبد الملك بن مروان فى أيامه عزم على ذلك أيضاً فقيل له : إن معاوية كان قد عزم على هذا ثم تركه ، وأنه لما حرك المنبر خسفت الشمس فترك . ثم لما حج الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً فقيل له : إن معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه ، وكان السبب فى تركه أن سعيد بن المسيب كلم عمر بن عبد العزيز أن يكلمه فى ذلك ويعظه فترك . ثم لما حج سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد ، وأن سعيد بن المسيب نهاه عن ذلك ، فقال : ما أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ، وما يكون لنا أن نفعل هذا ، مالنا وله ، وقد أخذنا الدنيا فهى فى أيدينا فنريد أن نعمد إلى علم من أعلام الاسلام يفد إليه الناس فنحمله إلى ما قبلنا . هذا مالا يصلح رحمه الله .

وفى هذه السنة عزل معاوية عن مصر معاوية بن خديج وولى عليها من إفريقية مسلمة بن مخلد ، وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهرى عن أمر معاوية بلاد إفريقية ، واختط القيروان - وكان غيضة تأوى إليها السباع والوحوش والحيات العظام ، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شئ من ذلك حتى ان السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها ، والحيات يخرجن من أجحارهن هوارب - فأسلم خلق كثير من البربر فبنى فى مكانها القيراون . وفيها غزا بسر بن أبى أرطاة وسفيان بن عوف أرض الروم ، وفيها غزا فضالة بن عبيد البحر ، وفيها توفى مدلاج بن عمرو السلمى صحابى جليل شهد

المشاهد كلها مع رسول الله (ص)، ولم أر له ذكراً فى الصحابة .

صفية بنت حيي بن أخطب

ابن شعبة بن ثعلبة بن عبد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن نحوم ، أم المؤمنين النضرية من سلالة هارون عليه السلام ، وكانت مع أبيها وابن عمها أخطب بالمدينة ، فلما أجلى رسول الله (ص) بنى النضير ساروا إلى خيبر ، وقتل أبوها مع بنى قريظة صبراً كما قدمنا فلما فتح رسول الله (ص) خيبر كانت فى جملة السبي فوقعت فى سهم دحية بن خليفة الكلبى ، فذكر له جمالها وأنها بنت ملكهم ، فاصطفاها لنفسه وعوضه منها وأسلمت وأعتقها وتزوجها ، فلما حلت بالصهباء بنى بها ، وكانت ماشطتها أم سليم ، وقد كانت تحت ابن عمها كنانة بن أبى الحقيق فقتل فى المعركة ، ووجد رسول الله بخدها لطمة فقال : ما هذه ؟ فقالت : إنى رأيت كأن القمر أقبل من يثرب فسقط فى حجرى فقصصت المنام على ابن عمى فلطمنى وقال : تتمنين أن يتزوجك ملك يثرب ؟ فهذه من لطمته . وكانت من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهادة وبراً وصدقة ، رضى الله عنها وأرضاها . قال الواقدى : توفيت سنة خمسين وقال غيره سنة ست وثلاثين ، والأول أصح.

وأما أم شريك الأنصارية

ويقال العامرية فهى التى وهبت نفسها للنبى (ص) فقيل قبلها وقيل لم يقبلها ، ولم تتزوج حتى مات رضى الله عنها وهى التى سقيت بدلو من السماء لما منعها المشركون الماء فأسلموا عند ذلك ، واسمها غزية ، وقيل عزيلة بنى عامر على الصحيح ، قال ابن الجوزى : ماتت سنة خمسين ولم أره لغيره .

وأما عمرو بن أمية الضمري

فصحابى جليل أسلم بعد أحد ، وأول مشاهده بئر معونة ، وكان ساعى رسول الله (ص) بعثه إلى النجاشى فى تزويج أم حبيبة وأن يأتى بمن بقى من المسلمين ، وله أفعال حسنة ، وآثار محمودة ، رضى الله عنه توفى فى خلافة معاوية .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزى - فى كتابه المنتظم - أن فى هذه السنة توفى جبير بن مطعم وحسان بن ثابت ، والحكم بن عمرو الغفارى ، ودحية بن خليفة الكلبى ، وعقيل بن أبى طالب ، وعمرو بن أمية الضمرى بدرى ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شعبة ، وجويرية بنت الحارث ، وصفية بنت حيى ، وأم شريك الأنصارية . رضى الله عنهم أجمعين .

أما جبير بن مطعم

ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى النوفلى أبو محمد وقيل أبو عدى المدنى ، فانه قدم وهو مشرك فى فداء أسارى بدر ، فلما سمع قراءة رسول الله (ص) فى سورة الطور [أم خلقوا من غير

شيء أم هم الخالقون] دخل فى قلبه الاسلام ، ثم أسلم عام خيبر، وقيل زمن الفتح ، والأول أصح ، وكان من سادات قريش وأعلمها بالأنساب ، أخذ ذلك عن الصديق والمشهور أنه توفى سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة تسع وخمسين .

وأما حسان بن ثابت

شاعر الاسلام فالصحيح أنه توفى سنة أربع وخمسين كما سيأتى .

وأما الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري

أخو رافع بن عمرو ، ويقال له الحكم بن الأقرع ، فصحابى جليل له عند البخارى حديث واحد فى النهى عن لحوم الحمر الانسية ، استنابه زياد بن أبيه على غزو جبل الأشل فغنم شيئاً كثيراً ، فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يصطفى من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله فرد عليه : إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين . أولم يسمع لقوله عليه السلام : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الله » ، وقسم فى الناس غنائمهم ، فيقال إنه حبس إلى أن مات بمرو فى هذه السنة وقيل فى سنة إحدى وخمسين رحمه الله .

وأما دحية بن خليفة الكلبي

فصحابى جليل ، كان جميل الصورة ، فلهذا كان جبريل يأتى كثيراً فى صورته ، وكان رسول الله ص ، أرسله إلى قيصر ، أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدراً ، وشهد ما بعدها ، ثم شهد اليرموك ، وأقام بالمزة ـ غربى دمشق ـ إلى أن مات فى خلافة معاوية .

وفيها توفى عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشى أبو سعيد العبشمى ، أسلم يوم الفتح ، وقيل شهد موتة ، وغزا خراسان ، وافتتح سجستان وكابل وغيرها ، وكانت له دار بدمشق وأقام بالبصرة ، وقيل بمرو ، قال محمد بن سعد وغير واحد : مات بالبصرة سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين ، وصلى عليه زياد ، وترك عدة من الذكور ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد كلال ، وقيل عبد كلوب ، وقيل عبد الكعبة ، فسماه رسول ص ، عبد الرحمن . وهو كان أحد السفير بين معاوية والحسن رضى الله عنهما * وفيها توفى عثمان بن أبى العاص الثقفى ، أبو عبد الله الطائفى ، له ولأخيه الحكم صحبة ، قدم على رسول الله ص ، فى وفد ثقيف فاستعمله رسول الله على الطائف ، وأمّره عليها أبو بكر وعمر ، فكان أميرهم وإمامهم مدة طويلة حتى مات سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين رضى الله عنه .

وأما عقيل بن ابي طالب

أخو على فكان أكبر من جعفر بعشر سنين وجعفر أكبر من على بعشر سنين كما أن طالب أكبر من عقيل بعشر ، وكلهم أسلم إلا طالباً ، أسلم عقيل قبل الحديبية وشهد موتة ، وكان من أنسب قريش ، وكان قد ورث أقرباءه الذين هاجروا وتركوا أموالهم بمكة ، ومات فى خلافة معاوية .

وفيها كانت وفاة عمرو بن الحمق بن الكاهن الخزاعي، أسلم قبل الفتح ، وهاجر ، وقيل : إنه إنما أسلم عام حجة الوداع ، وورد في حديث أن رسول الله دعا له أن يمتعه الله بشبابه ، فبقي ثمانين سنة لا يرى في لحيته شعرة بيضاء ، ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان ، ثم صار بعد ذلك من شيعة علي ، فشهد معه الجمل وصفين ، وكان من جملة من أعان حجر بن عدي فتطلبه زياد فهرب إلى الموصل ، فبعث معاوية إلى نائبها فوجدوه قد اختفى في غار فنهشته حية فمات فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية ، فطيف به في الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشريد - وكانت في سجنه - فألقي في حجرها ، فوضعت كفها على جبينه ولثمت فمه وقالت : غيبتموه عني طويلا ، ثم أهديتموه إلى قتيلا فأهلا بها من هدية غير قالية ولا مقلية .

وأما كعب بن مالك الأنصاري السلمي

شاعر الاسلام فأسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدراً كما ثبت في الصحيحين في سياق توبة الله عليه فانه كان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم من تخلفهم عن غزوة تبوك كما ذكرنا ذلك مفصلا في التفسير ، وكما تقدم في غزوة تبوك . وغلط ابن الكلبي في قوله إنه شهد بدراً ، وفي قوله إنه توفي قبل إحدى وأربعين ، فان الواقدي - وهو أعلم منه - قال توفي سنة خمسين ، وقال القاسم بن عدي سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه .

المغيرة بن شعبة

ابن أبي عامر بن مسعود أبو عيسى ويقال أبو عبد الله الثقفي ، وعروة بن مسعود الثقفي عم أبيه ، كان المغيرة من دهاة العرب ، وذوي آرائها ، أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر من ثقيف ، رجعوا من عند المقوقس وأخذ أموالهم فغرم دياتهم عروة بن مسعود ، وشهد الحديبية ، وكان واقفا يوم الصلح على رأس رسول الله ص بالسيف صلتا ، وبعثه رسول الله ص بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب فهدما اللات ، وقدمنا كيفية هدمهما إياها ، وبعثه الصديق إلى البحرين ، وشهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذ ، وقيل بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه ، وشهد القادسية ، وولاه عمر فتوحاً كثيرة ، منها همدان وميسان ، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم فكلمه بذلك الكلام البليغ فاستنابه عمر على البصرة ، فلما شهد عليه بالزنا ولم يثبت عزله عنها وولاه الكوفة ، واستمر به عثمان حيناً ثم عزله ، فبقي معتزلا حتى كان أمر الحكمين فلحق بمعاوية ، فلما قتل علي وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولاه عليها فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور . قاله محمد بن سعد وغيره . وقال الخطيب : أجمع الناس على ذلك ، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة ، وقال أبو عبيد : مات سنة تسع وأربعين ، وقال ابن عبد البر : سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة ست وثلاثين وهو غلط .

قال محمد بن سعد : وكان أصهب الشعر جدا ، أكشف ، مقلص الشفتين ، أهتم ضخم الهامة ، عبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان يفرق رأسه أربعة قرون . وقال الشعبي : القضاة أربعة أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدهاة أربعة ، معاوية ، وعمرو ، والمغيرة ، وزياد ، وقال الزهري : الدهاة في الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وكان معتزلا ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء ، وكانا مع علي . قلت : والشيعة يقولون : الأشباح خمسة . رسول الله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والاضداد خمسة أبو بكر ، وعمر ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة . وقال الشعبي : سمعت المغيرة يقول : ماغلبني أحد إلا فتى مرة أردت أن أتزوج امرأة فاستشرته فيها فقال : أيها الأمير ! لا أرى لك أن تتزوجها ، فقلت له : لم ؟ فقال : إني رأيت رجلا يقبلها . ثم بلغني عنه أنه تزوجها ، فقلت له : ألم تزعم أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ فقال : نعم ! رأيت أباها يقبلها وهي صغيرة . وقال أيضاً : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها . وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحب المرأة الواحدة يحيض معها ويمرض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين يشتعلان ، وصاحب الأربعة قرير العين ، وكان يتزوج أربعة معاً ويطلقهن معاً ، وقال عبد الله بن نافع الصائغ أحصن المغيرة ثلثمائة امرأة . وقال غيره : ألف امرأة وقيل مائة امرأة . وقيل ثمانين امرأة .

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية

وكان سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع ، وهي غزوة المصطلق ، وكان أبوها ملكهم فأسلمت فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وكاتبها فأتت رسول الله تستعينه في كتابتها فقال : « أو خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أشتريك وأعتقك وأتزوجك » فأعتقها فقال الناس أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقوا ما بأيديهم من سبي بني المصطلق نحواً من مائة أهل بيت ، فقالت عائشة : لا أعلم امرأة أعظم بركة على أهلها منها . وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية . وكانت امرأة ملاحة — أي حلوة الكلام — توفيت في هذا العام سنة خمسين كما ذكره ابن الجوزي وغيره عن خمس وستين سنة ، وقال الواقدي : سنة ست وخمسين رضي الله عنها وأرضاها ، والله أعلم .

سنة إحدى وخمسين

فيها كان مقتل حجر بن عدي بن جبل بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث بن معاوية بن ثور بن بزيغ بن كندي الكوفي . ويقال له حجر الخير ، ويقال له حجر بن الأدبر ، لأن

أباه عدياً طعن مولياً فسمى الأدبر ، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة ، قال ابن عساكر : وفد إلى النبي ص، وسمع علياً وعماراً وشراحيل بن مرة ، ويقال شرحبيل بن مرة . وروى عنه أبو ليلى مولاه ، وعبد الرحمن بن عباس ، وأبو البختري الطائي . وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء ، وشهد صفين مع علي أميراً ، وقيل بعذراء من قرا دمشق ، ومسجد قبره بها معروف . ثم ساق ابن عساكر بأسانيده إلى حجر يذكر طرفا صالحاً من روايته عن علي وغيره ، وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة ، وذكر له وفادة ، ثم ذكره في الأول من تابعي أهل الكوفة . قال : وكان ثقة معروفا ، ولم يرو عن غير علي شيئاً قال ابن عساكر : بل قد روى عن عمار وشراحيل بن مرة ، وقال أبو أحمد العسكري : أكثر المحدثين لا يصححون له صحبة ، شهد القادسية وافتتح برج عذراء ، وشهد الجمل وصفين ، وكان مع علي حجر الخير ـ وهو حجر بن عدي هذا ـ وحجر الشرف ـ وهو حجر ابن يزيد بن سلمة بن مرة ـ وقال المرزباني : قد روى أن حجر بن عدي وفد إلى رسول الله ص، مع أخيه هانئ بن عدي ، وكان هذا الرجل من عباد الناس وزهادهم ، وكان باراً بأمه ، وكان كثير الصلاة والصيام ، قال أبو معشر : ما أحدث قط إلا توضأ ، ولا توضأ إلا صلى ركعتين . هكذا قال غير واحد من الناس . وقد قال الامام أحمد : حدثنا يعلى بن عبيد حدثني الأعمش عن أبي إسحاق . قال قال سلمان لحجر : يا ابن أم حجر لو تقطعت أعضاؤك ما بلغت الايمان ، وكان إذ كان المغيرة بن شعبة على الكوفة إذا ذكر علياً في خطبته يتنقصه بعد مدح عثمان وشيعته فيغضب حجر هذا ويظهر الانكار عليه ، ولكن كان المغيرة فيه حلم وإناة فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه ، ويحذره غب هذا الصنيع ، فان معارضة السلطان شديد وبالها ، فلم يرجع حجر عن ذلك . فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوماً ، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به وذمه بتأخيره العطاء عن الناس ، وقام معه فئام الناس لقيامه ، يصدقونه ويشنعون على المغيرة ، ودخل المغيرة بعد الصلاة قصر الامارة ودخل معه جمهور الأمراء ، فأشاروا عليه بردع حجر هذا عما تعاطاه من شق العصى والقيام على الأمير ، وذمروه وحثوه على التنكيل فصفح عنه وحلم به . وذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمده بمال يبعثه من بيت المال ، فبعث عيراً تحمل مالا فاعترض لها حجر ، فأمسك بزمام أولها وقال : لا والله حتى يوفي كل ذي حق حقه . فقال شباب ثقيف للمغيرة : ألا نأتيك برأسه ؟ فقال : ما كنت لأفعلن ذلك بحجر ، فتركه ، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زياداً ، والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات ، فلما توفي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد دخلها وقد التف على حجر جماعات من شيعة علي يقولون أمره ويشدون على يده ، ويسبون معاوية ويتبرؤن منه ، فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة ، ذكر في آخرها فضل عثمان وذم من قتله

أو أعان على قتله . فقام حجر كما كان يقوم فى أيام المغيرة ، وتكلم بنحو مما قال للمغيرة ، فلم يعرض له زياد ، ثم ركب زياد إلى البصرة ، وأراد أن يأخذ حجراً معه إلى البصرة لئلا يحدث حدثا ، فقال : إنى مريض ، فقال : والله إنك لمريض الدين والقلب والعقل ، والله لئن أحدثت شيئاً لأسعين فى قتلك ، ثم سار زياد إلى البصرة فبلغه أن حجراً وأصحابه أنكروا على نائبه بالكوفة ـ وهو عمرو بن حريث ـ وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة ، فركب زياد إلى الكوفة فنزل فى القصر ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سندس ، ومطرف خز أحمر ، قد فرق شعره ، وحجر جالس وحوله أصحابه أكثر ما كانوا يومئذ ، وكان من لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، وجلسوا حوله فى المسجد فى الحديد والسلاح ، فخطب زياد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان غب البغى والغى وخيم ، وإن هؤلاء أمنونى فاجترأوا على ، وايم الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ، ثم قال : ما أنا بشئ إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأصحابه وأدعه نكالا لمن بعده ، ويل أمك يا حجر ، سقط بك العشاء على سرحان . ثم قال :

أبلغ نصيحةً أن راعى إبلها ٭ سقطَ العشاءُ به على سرحان

وجعل زياد يقول فى خطبته : إن من حق أمير المؤمنين ـ يعنى كذا وكذا ـ فأخذ حجر كفا حصباء فحصبه وقال : كذبت ! عليك لعنة الله . فانحدر زياد فصلى ، ثم دخل القصر واستحضر حجراً ، ويقال إن زياداً لما خطب طول الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر : الصلاة ، فمضى فى خطبته ، فلما خشى فوت الصلاة عمد إلى كف من حصباء ونادى الصلاة ، وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس ، فلما انصرف من صلاته كتب إلى معاوية فى أمره وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية : أن شده فى الحديد واحمله إلى ، فبعث إليه زياد والى الشرطة ـ وهو شداد بن الهيثم ـ ومعه أعوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع من الحضور إلى زياد ، وقام دونه أصحابه ، فرجع الوالى إلى زياد فأعلمه ، فاستنهض زياد جماعات من القبائل فركبوا مع الوالى إلى حجر وأصحابه فكان بينهم قتال بالحجارة والعصى ، فعجزوا عنه ، فندب محمد بن الأشعث وأمهله ثلاثا وجهز معه جيشاً ، فركبوا فى طلبه ولم يزالوا حتى أحضروه إلى زياد ، وما أغنى عنه قومه ولا من كان يظن أن ينصره ، فعند ذلك قيده زياد وسجنه عشرة أيام وبعث به إلى معاوية ، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سب الخليفة ، وأنه حارب الأمير ، وأنه يقول : إن هذا الأمر لا يصلح إلا فى آل على بن أبى طالب . وكان من جملة الشهود عليه أبو بردة بن أبى موسى ، ووائل بن حجر ، وعمر بن سعد بن أبى وقاص ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وموسى بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وكثير بن شهاب ، وثابت بن ربعى ، فى سبعين ويقال : إنه كتبت شهادة شريح القاضى فيهم ، وإنه أنكر ذلك وقال :

إنما قلت لزياد : إنه كان صواماً قواماً ، ثم بعث زياد حجراً وأصحابه مع وائل بن حجر، وكثير بن شهاب إلى الشام . وكان مع حجر بن عدى بن جبلة الكندى ، من أصحابه جماعة ، قيل عشرون وقيل أربعة عشر رجلا ، منهم الأرقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمى ، وصيفى بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسى ، وكريم بن عفيف الخثعمى ، وعاصم بن عوف البجلى وورقاء بن سمى البجلى ، وكدام بن حبان ، وعبد الرحمن بن حسان العريان – من بنى تميم – ومحرز ابن شهاب التميمى ، وعبيد الله بن حوية السعدى التميمى أيضاً . فهؤلاء أصحابه الذين وصلوا معه ، فساروا بهم إلى الشام . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين ، عتبة بن الأخنس من بنى سعد ، وسعد ابن عمران الهمدانى ، فكملوا أربعة عشر رجلا ، ويقال : إن حجراً لما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فغضب معاوية غضباً شديداً وأمر بضرب عنقه هو ومن معه ، ويقال إن معاوية ركب فتلقاهم فى برج عذراء ، ويقال : بل بعث إليهم من تلقاهم إلى عذراء تحت الثنية – ثنية العقاب – فقتلوا هناك . وكان الذين بعث إليهم ثلاثة وهم هدبة بن فياض القضاعى ، وحصين بن عبد الله الكلابى ، وأبو شريف البدوى ؛ فجاؤا إليهم فبات حجر وأصحابه يصلون طول الليل ، فلما صلوا الصبح قتلوهم ، وهذا هو الأشهر والله أعلم . وذكر محمد بن سعد أنهم دخلوا عليه ثم ردهم فقتلوا بعذراء ، وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حتى وصل بهم إلى برج عذراء فمن مشير بقتلهم ، ومن مشير بتفريقهم فى البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر فى أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كان له حاجة فى ملك العراق ، فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة ، وقتل منهم ستة أولهم حجر بن عدى ، ورجع آخر فعفى عنه معاوية ، وبعث بآخر نال من عثمان وزعم أنه أول من جار فى الحكم ومدح علياً ، فبعث به معاوية إلى زياد وقال له : لم تبعث إلى فيهم أردى من هذا . فلما وصل إلى زياد ألقاه فى الناطف حيا – وهو عبد الرحمن بن حسان العنزى . وهذه تسمية الذين قتلوا بعذراء : حجر بن عدى ، وشريك بن شداد ، وصيفى بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة ، ومحرز بن شهاب المنقرى ، وكدام بن حبان . ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القصب فى عرفة ؛ والصحيح بعذراء ، ويذكر أن حجراً لما أرادوا قتله قال : دعونى حتى أتوضأ ، فقالوا : توضأ ، فقال : دعونى حتى أصلى ركعتين فصلاهما وخفف فيهما ، ثم قال : لولا أن يقولوا مابى جزع من الموت لطولتهما . ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة . ثم قدموه للقتل وقد حفرت قبورهم ونشرت أكفانهم ؛ فلما تقدم إليه السياف ارتعدت فرائصه فقيل له : إنك قلت لست بجازع ، فقال : ومالى لاأجزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً . فأرسلها مثلا . ثم تقدم إليه السياف . وهو أبو شريف البدوى ، وقيل تقدم إليه رجل أعور فقال له : امدد عنقك ،

فقال : لا أعين على قتل نفسى ، فضرب به فقتله . وكان قد أوصى أن يدفن فى قيوده ، ففعل به ذلك ، وقيل : بل صلوا عليه وغسلوه . وروى أن الحسن بن على . قال : أصلوا عليه ودفنوه فى قيوده ؟ قالوا : نعم ! قال : حجهم والله . والظاهر أن الحسين قائل هذا ؛ فإن حجراً قتل فى سنة إحدى وخمسين ؛ وقيل سنة ثلاث وخمسين ؛ وعلى كل تقدير فالحسن قد مات قبله والله أعلم . فقتلوه رحمه الله وسامحه . وروينا أن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء الحجاب ـ وذلك بعد مقتله حجراً وأصحابه ـ قالت له : أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه ؟ فقال لها : فقدته حين غاب عنى من قومى مثلك يا أماه . ثم قال لها : فكيف برى بك يا أمه ؟ فقالت : إنك بى لبار ، فقال : يكفينى هذا عند الله ، وغداً لى ولحجر موقف بين يدى الله عز وجل . وفى رواية أنه قال : إنما قتله الذين شهدوا عليه . وروى ابن جرير أن معاوية جعل يغرغر بالموت وهو يقول : إن يومى بك ياحجر بن عدى لطويل ، قالها ثلاثا فالله أعلم .

وقال محمد بن سعد فى الطبقات : ذكر بعض أهل العلم أن حجراً وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانئ بن عدى ، ـ وكان من أصحاب على ـ فلما قدم زياد بن أبى سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدى فقال : تعلم أنى أعرفك وقد كنت أنا وإياك على أمر قد علمت ـ يعنى من حب على ـ وأنه قد جاء غير ذلك ، وإنى أنشدك الله أن تقطر لى من دمك قطرة فأستفرغه كله ، املك عليك لسانك ، وليسعك منزلك ، وهذا سريرى فهو مجلسك ، وحوائجك مقضية لدى : فاكفنى نفسك فإنى أعرف عجلتك ، فأنشدك الله فى نفسك ، وإياك وهذه السفلة وهؤلاء السفهاء أن يستنزلوك عن رأيك . فقال حجر : قد فهمت ، ثم انصرف إلى منزله فأتاه الشيعة فقالوا : ما قال لك ؟ قال قال لى كذا وكذا . وسار زياد إلى البصرة ثم جعلوا يترددون إليه يقولون له : أنت شيخنا ، وإذا جاء المسجد مشوا معه ، فأرسل إليه عمرو بن حريث ـ نائب زياد على الكوفة ـ يقول : ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير ما قد علمت ؟ فقال للرسول : إنهم ينكرون ما أنتم عليه ، إليك وراءك أوسع لك . فكتب عمرو بن حريث إلى زياد : إن كان لك حاجة بالكوفة فالعجل العجل ، فأعجل زياد السير إلى الكوفة ، فلما وصل بعث إليه عدى بن حاتم ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وخالد بن عرفطة فى جماعة من أشراف الكوفة لينهوه عن هذه الجماعة ، فأتوه فجعلوا يحدثونه ولا يرد عليهم شيئا ، بل جعل يقول : ياغلام أعلفت البكر ؟ لبكر مربوط فى الدار ـ فقال له عدى بن حاتم : أمجنون أنت ؟ نكلمك وأنت تقول : أعلفت البكر ، ثم قال عدى لأصحابه : ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى . ثم نهضوا فأخبروا زياداً ببعض الخبر وكتموه بعضاً ، وحسنوا أمره وسألوه الرفق به فلم يقبل ، بل بعث إليه الشرط والمحاربة فأتى به وبأصحابه ، فقال له : مالك ويلك ؟ قال :

إلى علي بعثي لمعاوية ، فجمع زياد سبعين من أهل الكوفة فقال : اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه ، ففعلوا ، ثم وفدهم إلى معاوية . وبلغ الخبر عائشة فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم ، فلما دخلوا على معاوية قرأ كتاب زياد فقال معاوية : اخرجوا بهم إلى عذراء فاقتلوهم هنالك ، فذهبوا بهم ثم قتلوا منهم سبعة ، ثم جاء رسول معاوية بالتخلية عنهم ، وأن يطلقوهم كلهم ، فوجدوا قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين ، ولكن كان حجر فيمن قتل في السبعة الأول ، وكان قد سألهم أن يصلي ركعتين قبل أن يقتلوه ، فصلى ركعتين فطول فيهما ، وقال إنهما لأخف صلاة صليتها . وجاء رسول عائشة بعد ما فرغ من شأنهم . فلما حج معاوية قالت له عائشة : أين عزب عنك حلمك حين قتلت حجراً ؟ فقال . حين غاب عني مثلك من قومي . ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية : أقتلت حجر بن الأدبر ؟ فقال معاوية : قتله أحب إلي من أن أقتل معه مائة ألف . وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حجر بن عدي وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ويطلقون فيه مقالة الجور ، وينتقدون على الأمراء ، ويسارعون في الانكار عليهم ، ويبالغون في ذلك ، ويتولون شيعة علي ، ويتشددون في الدين . ويروى أنه لما أخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناته في الطريق وهن يبكين ، فمال نحوهن : فقال إن الذي يطعمكم ويكسوكم هو الله وهو باق لكن بعدي ، فعليكن بتقوى الله وعبادته ، وإني إما أن أقتل في وجهي وهي شهادة ، أو أن أرجع إليكن مكرماً ، والله خليفتي عليكم . ثم انصرف مع أصحابه في قيوده ، ويقال إنه أوصى أن يدفن في قيوده ففعل ذلك به ، ولكن صلوا عليهم ودفنوهم مستقبل القبلة رحمهم الله وسامحهم . وقد قالت امرأة من المتشيعات ترثي حجراً ـ وهي هند بنت زيد بن مخرمة الأنصارية ـ ويقال إنها لهند أخت حجر فالله أعلم .

ترفعْ أيها القمرُ المنيرُ * تبصرْ هلْ ترى حجرا يسيرُ
يسيرُ إلى معاويةَ بنِ حربٍ * ليقتلَهُ كما زعمَ الأميرُ
يرى قتلَ الخيارِ عليهِ حقاً * لهُ من شرِ أمتهِ وزيرُ
ألا ياليتَ حجراً ماتَ يوماً * ولمْ ينحرْ كما نحرَ البعيرُ
تجبرتِ الجبابرُ بعد حجرٍ * وطابَ لها الخورنقُ والسديرُ
وأصبحتِ البلادُ له محولاً * كأنْ لمْ يحيها مزنٌ مطيرُ
ألا ياحجرُ حجرُ بنُ عديٍ * تلقتكَ السلامةُ والسرورُ
أخافُ عليكَ ما أردى عدياً * وشيخاً في دمشقَ لهُ زئيرُ
فانْ تهلكْ فكلُ زعيمِ قومٍ * منَ الدنيا إلى هلكٍ يصيرُ

فرضوانُ الإله عليك ميتاً ... وجناتٌ بها نعمٌ وحورُ

وذكر ابن عساكر له مراثي كثيرة . وقال يعقوب بن سفيان : حدثني حرملة أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حملك على قتل أهل عذراء ، حجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني رأيت في قتلهم صلاحاً للأمة ، وفي بقائهم فساداً للأمة ، فقالت : سمعت رسول الله يقول : « سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء » . وهذا إسناد ضعيف منقطع . وقد رواه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن أبي الأسود أن عائشة قالت : بلغني أنه سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء . وقال يعقوب : حدثني ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد عن عبد الله بن رزين الغافقي . قال : سمعت علياً يقول : يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ، قال : يقتل حجر وأصحابه ـ ابن لهيعة ضعيف ـ . وروى الامام أحمد عن ابن علية عن ابن عون عن نافع قال : كان ابن عمر في السوق فنعي له حجر فأطلق حبوته وقام وغلب عليه النحيب . وروى أحمد عن عفان عن ابن علية عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة ـ أو غيره ـ قال لما قدم معاوية المدينة دخل على عائشة فقالت : أقتلت حجراً ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خير من استحيائه في فسادهم . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان . قال : دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت : يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت : أما خشيت أن أخبأ لك رجلا يقتلك ؟ فقال : لا ! إني في بيت الأمان ، سمعت رسول الله يقول : « الايمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن » . يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح . قال : فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل . وفي رواية أنها حجبته وقالت : لا يدخل عليّ أبداً ، فلم يزل يتلطف حتى دخل فلامته في قتله حجراً ، فلم يزل يعتذر حتى عذرته . وفي روايه : أنها كانت تتوعده وتقول : لولا يغلبنا سفهاؤنا لكان لي ولمعاوية في قتله حجراً شأن ، فلما اعتذر إليها عذرته . وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة من الأكابر جرير بن عبد الله البجلي ، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث ، وحارثة بن النعمان ، وحجر بن عدي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ، رضي الله عنهم .

فأما جرير بن عبدالله البجلي

فأسلم بعد نزول المائدة ، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر ، وكان قدومه ورسول الله يخطب ، وكان قد قال في خطبته : « إنه يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن ، وإن على وجهه مسحة ملك » ، فلما دخل نظر الناس إليه فكان كما وصف رسول الله ص ، وأخبروه بذلك فحمد الله

تعالى . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه بسط له رداءه وقال : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » قال ابن جرير : وفى هذه السنة ولى زياد على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الربيع بن زياد الحارثى ففتح بلخ صلحاً ، وكانوا قد غلقوها بعد ما صالحهم الأحنف ، وفتح قوهستان عنوة ، وكان عندها أتراك فقتلهم ولم يبق منهم إلا ترك طرخان ، فقتله قتيبة بن مسلم بعد ذلك كما سيأتى . وفى هذه السنة غزا الربيع ما وراء النهر فغنم وسلم ، وكان قد قطع ما وراء النهر قبله الحكم بن عمرو ، وكان أول من شرب من النهر غلام للحكم ، فسقى سيده وتوضأ الحكم وصلى وراء النهر ركعتين ثم رجع ، فلما كان الربيع هذا غزا ما وراء النهر فغنم وسلم . وفى هذه السنة حج بالناس يزيد بن معاوية فيما قاله أبو معشر والواقدى ، وبعثه رسول الله إلى ذى الخلصة ـ وكان بيتا تعظمه دوس فى الجاهلية ـ فذكر أنه لا يثبت على الخيل ، فضرب فى صدره وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً » فذهب فهدمه . وفى الصحيحين أنه قال : ماحجبنى رسول الله منذ أسلمت ولا رآنى إلا تبسم . وكان عمر بن الخطاب يقول : جرير يوسف هذه الأمة . وقال عبد الملك بن عمير : رأيت جريراً كأن وجهه شقة قمر . وقال الشعبى : كان جرير هو وجماعة مع عمر فى بيت . فاشتم عمر من بعضهم ريحا ، فقال : عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ ، فقال جرير : أونقوم كلنا فنتوضأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم السيد كنت فى الجاهلية ، ونعم السيد أنت فى الاسلام . وقد كان عاملا لعثمان على همدان ، يقال إنه أصيبت عينه هناك ، فلما قتل عثمان اعتزل عليا ومعاوية ، ولم يزل مقيما بالجزيرة حتى توفى بالسراة ، سنة إحدى وخمسين ، قاله الواقدى ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ست وخمسين .

وأما جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطلب

فأسلم مع أبيه حين تلقياه بين مكة والمدينة عام الفتح ، فلما ردهما قال أبو سفيان : والله لئن لم يأذن لى عليه لآخذن بيد هذا فأذهبن فى الأرض فلا يدرى أين أذهب ، فلما بلغ ذلك رسول الله رق له وأذن له وقبل إسلامهما فأسلما إسلاماً حسنا ، بعد ما كان أبو سفيان يؤذى رسول الله أذى كثيراً ، وشهد حنينا ، وكان ممن ثبت يومئذ رضى الله عنهما .

وأما حارثة بن النعمان الأنصاري النجاري

فشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد ، وكان من فضلاء الصحابة ، وروى أنه رأى جبريل مع رسول الله بالمقاعد يتحدثان بعد خيبر ، وأنه رآه يوم بنى قريظة فى صورة دحية . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع قراءته فى الجنة . قال محمد بن سعد : حدثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا محمد بن إسماعيل بن أبى فديك ثنا محمد بن عثمان عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره فجعل خيطا من مصلاه إلى باب حجرته ، فاذا جاءه المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ يمسك بذلك الخيط حتى

يضع ذلك فى يد المسكين ، وكان أهله يقولون له : نحن نكفيك ذلك ، فيقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « مناولة المسكين تقى ميتة السوء » . وأما حجر بن عدى فقد تقدمت قصته مبسوطة .

وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي

فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وأخته عاتكة زوجة عمر ، وأخت عمر فاطمة زوجة سعيد ، أسلم قبل عمر هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة قال عروة والزهرى وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والواقدى وغير واحد : لم يشهد بدراً لأنه قد كان بعثه رسول الله هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش فلم يرجعا حتى فرغ من بدر ، فضرب لهما رسول الله بسهمهما وأجرهما ، ولم يذكره عمر فى أهل الشورى لئلا يحابى بسبب قرابته من عمر فيولى فتركه لذلك ، وإلا فهو ممن شهد له رسول الله (ص) بالجنة فى جملة العشرة ، كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة ، ولم يتول بعده ولاية ، وما زال كذلك حتى مات بالكوفة ، وقيل بالمدينة وهو الأصح ، قال الفلاس وغيره : سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ثنتين وخمسين والله أعلم . وكان رجلا طوالا أشعر ، وقد غسله سعد ، وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة ، وكان عمره يومئذ بضعاً وسبعين سنة .

وأما عبدالله أنيس بن الجهني ابو يحيى المدني

فصحابى جليل شهد العقبة ولم يشهد بدراً . وشهد ما بعدها ، وكان هو ومعاذ يكسران أصنام الأنصار ، له فى الصحيح حديث أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ، وهو الذى بعثه رسول الله إلى خالد بن سفيان الهذلى فقتله بعرنة وأعطاه رسول الله مخصره وقال : « هذه آية مابينى و بينك يوم القيامة » فأمر بها فدفنت معه فى أكفانه . وقد ذكر ابن الجوزى أنه توفى سنة إحدى وخمسين ، وقال غيره سنة أربع وخمسين وقيل سنة ثمانين .

وأما ابو بكرة نفيع بن الحارث

ابن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبى سلمة الثقفى فصحابى جليل كبير القدر ، ويقال كان اسمه مسروح وإنما قيل له أبو بكرة لأنه تدلى فى بكرة يوم الطائف فأعتقه رسول الله وكل مولى فر إليهم يومئذ . وأمه سمية هى أم زياد ، وكانا ممن شهد على المغيرة بالزنا هو وأخوه زياد ومعهما سهل بن معبد ، ونافع بن الحارث فلما تلكأ زياد فى الشهادة جلد عمر الثلاثة الباقين ثم استتابهم فتابوا إلا أبا بكرة فانه صمم على الشهادة ، وقال المغيرة : يا أمير المؤمنين اشفنى من هذا العبد ، فنهره عمر وقال له : اسكت ! لو كملت الشهادة لرجمتك بأحجارك ، وكان أبو بكرة خير هؤلاء الشهود وكان ممن اعتزل الفتن فلم يكن فى خيرهما ، ومات فى هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة ، وقيل بعدها بسنة وصلى عليه أبو

برزة الأسلمى ، وكان قد آخى بينهما رسول الله (ص).

وفيها توفيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوجها رسول الله (ص) فى عمرة القضاء سنة سبع ، قال ابن عباس ـ وكان ابن أختها أم الفضل لبابة بنت الحارث ـ : تزوجها رسول الله (ص) وهو محرم ، وثبت فى صحيح مسلم عنها أنهما كانا حلالين ، وقولها مقدم عند الأكثرين على قوله . وروى الترمذى عن أبى رافع ـ وكان السفير بينهما ـ أنهما كانا حلالين . ويقال كان اسمها برة فسماها رسول الله ميمونة ، وتوفيت بسرف بين مكة والمدينة حيث بنى بها رسول الله (ص) فى هذه السنة ، وقيل فى سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والمشهور الأول ، وصلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين

ففيها غزا بلاد الروم وشتى بها سفيان بن عوف الأزدى ثمات هنالك ، واستخلف على الجند بعده عبد الله بن مسعدة الفزارى ، وقيل إن الذى كان أمير الغزو ببلاد الروم هذه السنة بسر بن أبى أرطاة ومعه سفيان بن عوف . وحج بالناس فى هذه السنة سعيد بن العاص نائب المدينة ، قاله أبو معشر والواقدى وغيرهما . وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثقفى . وعمال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة الماضية .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

خالد بن زيد بن كليب

أبو أيوب الأنصارى الخزرجى شهد بدراً والعقبة والمشاهد كلها ، وشهد مع على قتال الحرورية ، وفى داره كان نزول رسول الله (ص) حين قدم المدينة فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله ، ثم تحول إليها ، وقد كان أبو أيوب أنزل رسول الله فى أسفل داره ثم تحرج من أن يعلو فوقه : فسأل من رسول الله (ص) أن يصعد إلى العلو ويكون هو وأم أيوب فى السفل فأجابه . وقد روينا عن ابن عباس أنه قدم عليه أبو أيوب البصرة وهو نائبها فخرج له عن داره وأنزله بها ، فلما أراد الانصراف خرج له عن كل شئ بها ، وزاده تحفاً وخدما كثيراً أربعين ألفا ، وأربعين عبدا إكراماً له لما كان أنزل رسول الله (ص) فى داره ، وقد كان من أكبر الشرف له . وهو القائل لزوجته أم أيوب ـ حين قالت له : أما تسمع مايقول الناس فى عائشة ـ ؟ فقال : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ فقالت : لا والله فقال : والله لهى خير منك ، فأنزل الله [لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً] الآية . وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية من هذه السنة ، وقيل فى التى قبلها ، وقيل فى التى بعدها . وكان فى جيش يزيد بن معاوية ، وإليه أوصى ، وهو الذى صلى عليه . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عثمان ثنا همام ثنا أبو عاصم عن رجل من أهل مكة أن يزيد بن

معاوية كان أميراً على الجيش الذى غزا فيه أبو أيوب ، فدخل عليه عند الموت فقال له : إذا أنا مت فاقرأوا على الناس منى السلام وأخبروهم أنى سمعت رسول الله (ص.) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً جعله الله فى الجنة » . ولينطلقوا فيبعدوا بى فى أرض الروم ما استطاعوا . قال : فحدث الناس لما مات أبو أيوب فأسلم الناس وانطلقوا بجنازته . وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبى ظبيان قال : غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية قال : فقال إذا مت فأدخلونى فى أرض العدو فادفنونى تحت أقدامكم حيث تلقون العدو ، قال : ثم قال : سمعت رسول الله (ص.) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » . ورواه أحمد عن ابن نمير ويعلى بن عبيد عن الأعمش سمعت أبا ظبيان فذكره ، وقال فيه : سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله (ص.) ، لولا حالى هذا ما حدثتكموه ، سمعت رسول الله (ص.) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » .

وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنى محمد بن قيس - قاضى عمر بن عبد العزيز - عن أبى صرمة عن أبى أيوب الأنصارى أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله (ص.) سمعته يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله قوماً يذنبون فيغفر لهم » . وعندى أن هذا الحديث والذى قبله هو الذى حمل يزيد بن معاوية على طرف من الأرجاء ، وركب بسببه أفعالا كثيرة أنكرت عليه كما سنذكره فى ترجمته والله تعالى أعلم .

قال الواقدى : مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين ودفن عند القسطنطينية وقبره هنالك يستسقى به الروم إذا قحطوا ، وقيل : إنه مدفون فى حائط القسطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد وهم يعظمونه ، وقال أبو زرعة الدمشقى : توفى سنة خمس وخمسين ، والأول أثبت والله أعلم . وقال أبو بكر بن خلاد : حدثنا الحارث بن أبى أسامة ثنا داود بن المحبر ثنا ميسرة بن عبد ربه عن موسى بن عبيدة عن الزهرى عن عطاء بن يزيد عن أبى أيوب الانصارى عن النبى (ص.) . قال : « إن الرجلين ليتوجهان إلى المسجد فيصليان فينصرف أحدهما وصلاته أوزن من صلاة الآخر ، وينصرف الآخر وما تعدل صلاته مثقال ذرة ، إذا كان أورعهما عن محارم الله وأحرصهما على المسارعة إلى الخير » . وعن أبى أيوب قال قال رسول الله (ص.) لرجل سأله أن يعلمه ويوجز فقال له : « إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع ، ولا تكلمن بكلام تعتذر منه ، واجمع اليأس مما فى أيدى الناس »

وفيها كانت وفاة أبى موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن جاهر بن الأشعر الأشعرى ، أسلم ببلاده وقدم مع جعفر وأصحابه عام خيبر ، وذكر محمد بن إسحاق أنه هاجر أولا إلى مكة ثم هاجر إلى اليمن ، وليس هذا بالمشهور ، وقد استعمله رسول الله (ص.) مع معاذ على اليمن ، واستنابه عمر على البصرة ، وفتح تستر ،

وشهد خطبة عمر بالجابية ، وولاه عثمان الكوفة ، وكان أحد الحكمين بين على ومعاوية ، فلما اجتمعا خدع عمرو أبا موسى ، وكان من قراء الصحابة وفقهائهم ، وكان أحسن الصحابة صوتا فى زمانه ، قال أبو عثمان النهدى : ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار أطيب من صوت أبى موسى وثبت فى الحديث أن رسول الله ص. قال : « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » . وكان عمر يقول له : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ وهم يسمعون . وقال الشعبى : كتب عمر فى وصيته أن لا يقر لى عامل أكثر من سنة إلا أبا موسى فليقر أربع سنين . وذكر ابن الجوزى فى المنتظم أنه توفى فى هذه السنة ، وهو قول بعضهم ، وقيل إنه توفى قبلها بسنة ، وقيل فى سنة ثنتين وأربعين ، وقيل غير ذلك والله أعلم . وكانت وفاته بمكة لما اعتزل الناس بعد التحكيم ، وقيل بمكان يقال له : الثوبة على ميلين من الكوفة . وكان قصيراً نحيف الجسم أسبط ، أى لا لحية له ، رضى الله عنه . وذكر ابن الجوزى أنه توفى فى هذه السنة أيضاً من الصحابة .

عبدالله بن المغفل المزني

وكان أحد البكائين ، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر إلي البصرة ليفقهوا الناس ، وهو أول من دخل تستر من المسلمين حين فتحها . لكن الصحيح ماحكاه البخارى عن مسدد أنه توفى سنة سبع وخمسين . وقال ابن عبد البر : توفى سنة ستين ، وقال غيره : سنة إحدى وستين فالله أعلم . وروى عنه أنه رأى فى منامه كأن القيامة قد قامت وكان هناك مكان من وصل إليه نجا ، فجعل يحاول الوصول إليه فقيل له : أتريد أن تصل إليه وعندك ما عندك من الدنيا ؟ فاستيقظ فعمد إلى عيبة عنده فيها ذهب كثير فلم يصبح عليه الصباح إلا وقد فرقها فى المساكين والمحاويج والأقارب رضى الله عنه . وفيها توفي عمران بن حصين بن عبيد

ابن خلف أبو نجيد الخزاعى ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر وشهد غزوات ، وكان من سادات الصحابة ، استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة فحكم له بها ، ثم استعفاه فأعفاه ، ولم يزل بها حتى مات فى هذه السنة ، قال الحسن : وابن سيرين البصرى : ما قدم البصرة راكب خير منه ، وقد كانت الملائكة تسلم عليه فلما اكتوى انقطع عنه سلامهم ثم عادوا قبل موته بقليل فكانوا يسلمون عليه رضى الله عنه وعن أبيه .

كعب بن عجزة الأنصاري ابو محمد المدني

صحابى جليل وهو الذى نزلت فيه آية الفدية فى الحج . مات فى هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة عن خمس أو سبع وسبعين سنة . معاوية بن خديج

ابن جفنة بن قتيرة الكندى الخولانى المصرى ، صحابى على قول الأكثرين ، وذكره ابن

حبان فى التابعين من الثقاة ، والصحيح الأول ، شهد فتح مصر ، وهو الذى وفد إلى عمر بفتح الاسكندرية ، وشهد مع عبد الله بن سعد بن أبى سرح قتال البربر ، وذهبت عينه يومئذ ، وولى حروباً كثيرة فى بلاد المغرب ، وكان عثمانياً فى أيام على ببلاد مصر ، ولم يبايع علياً بالكلية ، فلما أخذ معاوية بن أبى سفيان مصر أكرمه ثم استنابه بها بعد عبد الله بن عمرو بن العاص ، فانه ناب بها بعد أبيه سنتين ثم عزله معاوية وولى معاوية بن خديج هذا ، فلم يزل بمصر حتى مات بها فى هذه السنة .

هانىء بن نيار ابو بردة البلوي

المخصوص بذبح العناق وإجزائها عن غيرها من الأضاحى ، وشهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها وكانت راية بنى حارثة معه يوم الفتح رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ففيها غزا عبد الرحمن بن أم الحكم بلاد الروم وشتى بها ، وفيها افتتح المسلمون وعليهم جنادة ابن أبى أمية جزيرة رودس فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شئ على الكفار ، يعترضون لهم فى البحر ويقطعون سبيلهم ، وكان معاوية يدر عليهم الأرزاق والأعطيات الجزيلة ، وكانوا على حذر شديد من الفرنج ، يبيتون فى حصن عظيم عنده فيه حوائجهم ودوابهم وحواصلهم ، ولهم نواطير على البحر ينذرونهم إن قدم عدو أوكادهم أحد ، وما زالوا كذلك حتى كانت إمرة يزيد بن معاوية بعد أبيه ، فحولهم من تلك الجزيرة ، وقد كانت للمسلمين بها أموال كثيرة وزراعات غزيرة . وحج بالناس فى هذه السنة سعيد بن العاص والى المدينة أيضاً ، قاله أبو معشر والواقدى . وفى هذه السنة توفى جبلة ابن الأيهم الغسانى كما ستأتى ترجمته فى آخر هذه التراجم .

وفيها توفى الربيع بن زياد الحارثى ، اختلف فى صحبته وكان نائب زياد على خراسان ، وكان قد ذكر حجر بن عدى فأسف عليه ، وقال : والله لو ثارت العرب له لما قتل صبراً ولكن أقرت العرب فذلت ، ثم لما كان يوم الجمعة دعا الله على المنبر أن يقبضه إليه فما عاش إلى الجمعة الأخرى ، واستخلف على عمله ابنه عبد الله بن الربيع فأقره زياد على ذلك ، فمات بعد ذلك بشهرين ، واستخلف على عملهم بخراسان خليد بن عبد الله الحنفى فأقره زياد .

رويفع بن ثابت

صحابى جليل شهد فتح مصر ، وله آثار جيدة فى فتح بلاد المغرب ، ومات ببرقة والياً من جهة مسلمة بن مخلد نائب مصر .

وفى هذه السنة أيضاً توفى زياد بن أبى سفيان ويقال له : زياد بن أبيه وزياد بن سمية ــ وهى أمه ــ

فى رمضان من هذه السنة مطعونا ، وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية يقول له : إنى قد ضبطت لك العراق بشمالى و يمينى فارغة ، فرع لى ذلك ، وهو يعرض له أن يستنيبه على بلاد الحجاز أيضاً ، فلما بلغ أهل الحجاز جاءوا إلى عبد الله بن عمر فشكوا إليه ذلك ، وخافوا أن يلى عليهم زياد ، فيعسفهم كما عسف أهل العراق ، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على زياد والناس يؤمنون ، فطعن زياد بالعراق فى يده فضاق ذرعاً بذلك ، واستشار شريحاً القاضى فى قطع يده ، فقال له شريح : إنى لا أرى ذلك ، فانه إن لم يكن فى الأجل فسحة لقيت الله أجذم قد قطعت يدك خوفا من لقائه ، و إن كان لك أجل بقيت فى الناس أجذم فيعير ولدك بذلك . فصرفه عن ذلك ، فلما خرج شريح من عنده عاتبه بعض الناس : وقالوا : هلا تركته فقطع يده ؟ ! فقال : قال رسول الله ﷺ : « المستشار مؤتمن » . ويقال إن زياداً جعل يقول : أأنام أنا والطاعون فى فراش واحد ؟ فعزم على قطع يده ، فلما جئ بالمكاوى والحديد خاف من ذلك فترك ذلك ، وذكر أنه جمع مائة وخمسين طبيباً ليداووه مما يجد من الحر فى باطنه ، منهم ثلاثة ممن كان يطب كسرى بن هرمز ، فعجزوا عن رد القدر المحتوم والأمر المحموم ، فمات فى ثالث شهر رمضان فى هذه السنة ، وقد قام فى إمرة العراق خمس سنين . ودفن بالثوية خارج الكوفة ، وقد كان برز منها قاصداً إلى الحجاز أميراً عليها ، فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال : اذهب إليك يا ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت . قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى أبى عن هشام بن محمد حدثنى يحيى بن ثعلبة أبو المقدم الأنصارى عن أمه عن عائشة عن أبيها عبد الرحمن بن السائب الأنصارى . قال : جمع زياد أهل الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرض عليهم البراءة من على بن أبى طالب ، قال عبد الرحمن : فانى لمع نفر من أصحابى من الأنصار ، والناس فى أمر عظيم من ذلك وفى حصر ، قال : فهومت تهويمة ـ أى نعست نعسة ـ فرأيت شيئا أقبل طويل العنق ، له عنق مثل عنق البعير ، أهدب أهدل فقلت : ما أنت ؟ فقال : أنا النقاد ذو الرقبة ، بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابى : هل رأيتم ما رأيت ؟ قالوا : لا ! فأخبرتهم ، وخرج علينا خارج من القصر فقال : إن الأمير يقول لكم : انصرفوا عنى : فانى عنكم مشغول . وإذا الطاعون قد أصابه . وروى ابن أبى الدنيا أن زيادا لما ولى الكوفة سأل عن أعبدها فدل على رجل يقال له أبو المغيرة الحميرى ، فجاء به فقال له : الزم بيتك ولا تخرج منه وأنا أعطيك من المال ما شئت ، فقال : لو أعطيتنى ملك الأرض ما تركت خروجى لصلاة الجماعة . فقال الزم الجماعة ولا تتكلم بشئ . فقال : لا أستطيع ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فأمر به فضربت عنقه . ولما احتضر قال له ابنه : : يا أبة قد هيأت لك ستين ثوبا أكفنك فيها ، فقال يابنى قد دنا من أبيك أمر إما لباس خير من لباسه و إما سلب سريع . وهذا غريب جدا .

صعصعة بن ناجية

ابن عفان بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، كان سيدا فى الجاهلية و فى الاسلام ، يقال إنه أحيى فى الجاهلية ثلثمائة وستين موؤدة ، وقيل أربعمائة ، وقيل ستا وتسعين موؤدة ، فلما أسلم قال له رسول الله (ص) : « لك أجر ذلك إذ من الله عليك بالاسلام » . و يروى عنه أنه أول ما أحيى الموؤدة أنه ذهب فى طلب ناقتين شردتا له ، قال فبينما أنا فى الليل أسير إذ أنا بنار تضئ مرة وتخبو أخرى . فجعلت لا أهتدى إليها ، فقلت : اللهم لك على إن أوصلتنى إليها ان أدفع عن أهلها ضيما إن وجدته بهم ، قال فوصلت إليها و إذا شيخ كبير يوقد ناراً وعنده نسوة مجتمعات ، فقلت : ما أنتن ؟ فقلن إن هذه امرأة قد حبستنا منذ ثلاث ، تطلق ولم تخلص ، فقال الشيخ صاحب المنزل : وما خبرك ؟ فقلت : إنى فى طلب ناقتين ندتالى ، فقال : قد وجدتهما ، إنهما لفى إبلنا ، قال فنزلت عنده ؟ قال فما هو الا أن نزلت إذ قلن وضعت ، فقال الشيخ : إن كان ذكرا فارتحلوا ، و إن كان أنثى فلا تسمعنى صوتها ، فقلت : علام تقتل ولدك و رزقه على الله ؟ فقال : لاحاجة لى بها ، فقلت : أنا أفتديها منك وأتركها عندك حتى تبين عنك أو تموت . قال : بكم ؟ قلت . باحدى ناقتى ، قال : لا ! قلت فبهما ، قال لا إلا أن تزيدنى بعيرك هذا فانى أراه شابا حسن اللون ، قلت نعم على أن تردنى إلى أهلى ، قال نعم ، فلما خرجت من عندهم رأيت أن الذى صنعته نعمة من الله من بها على هدانى إليها ، فجعلت لله على أن لا أجد موؤدة إلا افتديتها كما افتديت هذه ، قال فما جاء الاسلام حتى أحييت مائة موؤدة إلا أربعة ، ونزل القرآن بتحريم ذلك على المسلمين .

ومن توفى فى هذه السنة من المشاهير المذكورين **جبلة بن الأيهم الغسانى** ملك نصارى العرب وهو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبى شمر ، واسمه المنذر بن الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، واسمه كعب أبو عامر بن حارثة بن امرئ القيس ، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، و يقال غير ذلك فى نسبه ، وكنيته جبلة أبو المنذر الغسانى الجفنى ، وكان ملك غسان ، وهم نصارى العرب أيام هرقل ؛ وغسان أولاد عم الانصار أوسها وخزرجها ، وكان جبلة آخر ملوك غسان ، فكتب إليه رسول الله (ص) ، كتابا مع شجاع بن وهب يدعوه إلى الاسلام فأسلم وكتب باسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عساكر : إنه لم يسلم قط ، وهكذا صرح به الواحدى وسعيد بن عبد العزيز . وقال الواقدى : شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك فى أيام عمر ، فاتفق أنه وطئ رداء رجل من مزينة بدمشق فلطمه ذلك المزنى ، فدفعه أصحاب جبلة إلى أبى عبيدة فقالوا : هذا لطم جبلة ، قال أبو عبيدة : فيلطمه جبلة : فقالوا : أو ما يقتل ؟ قال لا ! قالوا : فما تقطع يده ؟ قال لا ، إنما أمر الله

بالعود ، فقال جبلة : أترون أنى جاعل وجهى بدلا لوجه مازنى جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ، ثم ارتد نصرانيا وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان : إن صديقك جبلة ارتد عن الاسلام ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : ولم ؟ قال لطمه رجل من مزينة فقال : وحق له ، فقام إليه عمر بالدرة فضربه . ورواه الواقدى عن معمر وغيره عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وساق ذلك بأسانيده إلى جماعة من الصحابة . وهذا القول هو أشهر الأقوال . وقد روى ابن الكلبى وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبلة فرح باسلامه ، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة ، وقيل بل استأذنه جبلة فى القدوم عليه فأذن له فركب فى خلق كثير من قومه ، قيل مائة وخمسين راكبا ، وقيل خمسمائة ، وتلقته هدايا عمر ونزله قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة ، ولبس تاجا على رأسه مرصعا باللآلى والجواهر ، وفيه قرطا مارية جدته ، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظرون إليه ، فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه ، وشهد الحج مع عمر فى هذه السنة ، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطئ ازاره رجل من بنى فزارة فانحل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل ، ومن الناس من يقول : إنه قلع عينه ، فاستعدى عليه الفزارى إلى عمر ومعه خلق كثير من بنى فزارة ، فاستحضره عمر فاعترف جبلة ، فقال له عمر : أقدته منك . فقال : كيف وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال : إن الاسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالتقوى ، فقال جبلة : قد كنت أظن أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية ، فقال عمر : دع ذا عنك ، فانك إن لم ترض الرجل أقدته منك ، فقال إذا أتنصر ، فقال إن تنصرت ضربت عنقك ، فلما رأى الجد : قال سأنظر فى أمرى هذه الليلة ، فانصرف من عند عمر ، فلما ادلهم الليل ركب فى قومه ومن أطاعه فسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم ودخل على هرقل فى مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعه بلاداً كثيرة ، وأجرى عليه أرزاقا جزيلة ، وأهدى إليه هدايا جميلة ، وجعله من سماره ، فمكث عنده دهرا . ثم إن عمر كتب كتابا إلى هرقل مع رجل يقال له جثامة بن مساحق الكنانى ، فلما بلغ هرقل كتاب عمر بن الخطاب قال له هرقل : هل لقيت ابن عمك جبلة ؟ قال : لا ! قال فالقه ، فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور الدنيوى ، فى لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه ، حواليه الحسان من الخدم والقيان ، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التى تعوض بها عن دار الاسلام ، وذكر أنه دعاه إلى الاسلام والعود إلى الشام فقال : أبعد ما كان منى من الارتداد ؟ فقال : نعم ! إن الأشعث بن قيس ارتد وقاتلهم بالسيوف ، ثم لما رجع إلى الحق قبله منه وزوجه الصديق بأخته أم فروة ، قال : فالتهى عنه بالطعام والشراب ، وعرض عليه الخمر فأبى عليه ، وشرب جبلة من الخمر شيئا كثيرا حتى سكر

ثم أمر جواريه المغنيات فغنينه بالعيد ان من قول حسان يمدح بنى عمه من غسان والشعر فى والدجبلة هذا الحيوان .

لله درُّ عصابةٍ نادمتهـم * يوماً بجلقَ فى الزمانِ الأولِ
أولادَ جفنة حولَ قبرِ أبيهمُ * قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ
يسقونَ من ورد البريصَ عليهمُ * بَرَدَى يُصفَّقُ بالرحيقِ السلسلِ
بيضَ الوجوهِ كريمةً أحسابهمْ * شمِ الأنوفِ منَ الطرازِ الأولِ
يغشونَ حتى ما تهرّ كلابهمْ * لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ

قال : فأعجبه قولهن ذلك ، ثم قال : هذا شعر حسان بن ثابت الأنصارى فينا و فى ملكنا ، ثم قال لى : كيف حاله ؟ قلت : تركته ضريراً شيخاً كبيراً ، ثم قال لهن : أطربننى فاندفعن يغنين لحسان أيضا

لمنِ الديارُ أوحشتْ بمعانِ * بينَ أعلا اليرموكِ فالصَّمَّانِ
فالقرياتُ من بلاسَ فداريـ * ـا فسكاء فالقصورِ الدوانى
فقفا جاسمٍ فأودية الصـ * ـفر مغنى قبائلٍ وهجانِ
تلكَ دارُ العزيزِ بعد أنيسٍ * وحلولٍ عظيمةِ الأركانِ
صلواتُ المسيحِ فى ذلكَ الديـ * ـر دعاءُ القسيسِ والرهبانِ
ذاكَ مغنى لآلِ جفنةَ فى الدهـ * ـرِ محاهُ تعاقبُ الأزمانِ
قد أرانى هناكَ حقَّ مكينِ * عندَ ذى التاجِ مجلسى ومكانى
ثكلتْ أمهمْ وقدْ ثكلتهمْ * يومَ حلوا بحارثِ الجولانى
وقدنا الفصحُ فالولائدُ ينظمـ * ـنَ سراعاً أكلةَ المرجانِ

ثم قال : هذا لابن الفريعة حسان بن ثابت فينا وفى ملكنا و فى منازلنا بأكناف غوطة دمشق ، قال : ثم سكت طويلا ، ثم قال لهن : بكيننى ، فوضعن عيدانهن ونكسن رؤوسهن وقلن :

تنصرتْ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ * وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضررْ
تكنفنى فيها اللجاجُ ونخوةٌ * وبعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعورْ
فياليتَ أمى لم تلدنى وليتنى * رجعتُ إلى القولِ الذى قاله عمرْ
و ياليتنى أرعى المخاضَ بقفرةٍ * وكنتُ أسيراً فى ربيعةَ أو مضرْ
و ياليتَ لى بالشامِ أدنى معيشةٍ * أجالسُ قومى ذاهبَ السمعِ والبصرْ
أدينُ بما دانوا بهِ من شريعةٍ * وقد يصبرُ العودُ الكبيرُ على الدبرْ

قال : فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه و بكيت معه ، ثم استدعى بخمسمائة د...

هرقلية فقال : خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت ، وجاء بأخرى فقال : خذ هذه لك ، فقلت : لا حاجة لى فيها ولا أقبل منك شيئا وقد ارتددت عن الاسلام ، فيقال : إنه أضافها إلى التى لحسان ، فبعث بألف دينار هرقلية ، ثم قال له : أبلغ عمر بن الخطاب منى السلام وسائر المسلمين ، فلما قدمت على عمر أخبرته خبره فقال : ورأيته يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ! قال : أبعده الله ، تعجل فانية بباقية فما ربحت تجارته . ثم قال : وما الذى وجه به لحسان ؟ قلت : خمسمائة دينار هرقلية ، فدعا حسانا فدفعها إليه ، فأخذها وهو يقول :

إن ابنَ جفنةَ من بقيةِ معشرٍ * لم يَغذهمُ آباؤهمْ باللومِ
لم ينسنى بالشام إذ هو ربها * كلا ولا متنصراً بالرومِ
يعطى الجزيلَ ولا يراهُ عندهُ * إلا كبعض عطيةِ المحرومِ
وأتيته يوماً فقربَ مجلسى * وسقا فروانى من المذمومِ

ثم لما كان فى هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزارى رسولا إلى ملك الروم ، فاجتمع بجبلة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول ، فقال له جبلة : لو أعلم أن معاوية يقطعنى أرض البثينة فانها منازلنا ، وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا ، ويحسن جوائزنا ، لرجعت إلى الشام . فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله ، فقال معاوية : أنا أعطيه ذلك ، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك ، فما أدركه البريد إلا وقد مات فى هذه السنة قبحه الله . وذكر أكثر هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى المنتظم ، وأرخ وفاته هذه السنة ، ـ أعنى سنة ثلاث وخمسين ـ وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فأطال الترجمة وأفاد ، ثم قال فى آخرها : بلغنى أن جبلة توفى فى خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة .

سنة اربع وخمسين

فيها كان شتى محمد بن مالك بأرض الروم ، وغزا الصائفة معن بن يزيد السلمى ، وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة وولى عليها مروان بن الحكم ، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص ، ويصطفى أمواله التى بأرض الحجاز ، فجاء مروان إلى دار سعيد ليهدمها فقال سعيد : ما كنت لتفعل ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلى بذلك ، ولو كتب إليك فى دارى لفعلته . فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولاه المدينة أن يهدم دار مروان ويصطفى ماله . وذكر أنه لم يزل يحاجف دونه حتى صرف ذلك عنه ، فلما رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك ، ثناه ذلك عن سعيد ، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معوية فى داره وأقر عليه أمواله . وفيها

عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة ، وكان زياد استخلفه عليها فأقره معاوية ستة أشهر ، وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان . وروى ابن جرير وغيره عن سمرة أنه قال لما عزله معاوية : لعن الله معاوية لو أطعت الله كما أطعت معاوية ماعذبني أبداً . وهذا لا يصح عنه . وأقر عبد الله بن خالد بن أسيد على نيابة الكوفة ، وكان زياد قد استخلفه عليها فأبقاه معاوية . وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد فأخبره عنهم ، ثم ولاه إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فسار إلى مقاطعته وتجهز من فوره غازياً إليها ، فقطع النهر إلى جبال بخارا ، ففتح رامس ونصف بيكند ـ وهما من معاملة بخارا ـ ولقي الترك هناك فقاتلهم قتالا شديداً وهزمهم هزيمة فظيعة بحيث إن المسلمين أعجلوا امرأة الملك أن تلبس خفيها ، فلبست واحدة وتركت أخرى ، فأخذها المسلمون فقوموا جواهرها بمائتي ألف درهم ، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة ، وأقام عبيد الله بخراسان سنتين . وفي هذه السنة حج بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة . وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، وقيل : بل كان عليها الضحاك بن قيس ، وكان على البصرة عبد الله بن غيلان .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي

أبو محمد المدني مولى رسول الله ص، وابن مولاه ، وحبه وابن حبه ، وأمه بركة أم أيمن مولاة رسول الله ص، وحاضنته ، ولاه رسول الله الأمرة بعد مقتل أبيه فطعن بعض الناس في إمرته ، فقال رسول الله ص، : « إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمرة أبيه من قبله ، وايم الله إن كان لخليقاً بالامارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلي بعده » . وثبت في صحيح البخاري عنه : « أن رسول الله كان يجلس الحسن على فخذه ويجلس أسامة على فخذه الاخرى ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وفضائله كثيرة . توفي رسول الله وعمره تسع عشرة سنة ، وكان عمر إذا لقيه يقول : السلام عليك أيها الأمير . وصحح أبو عمر بن عبد البر أنه توفي في هذه السنة ، وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وقيل توفي بعد مقتل عثمان فالله أعلم .

ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ص، تقدمت ترجمته في مواليه ومن كان يخدمه عليه السلام ، أصله من العرب فأصابه سبي فاشتراه رسول الله ص، فأعتقه ، فلزم رسول الله سفراً وحضراً ، فلما مات أقام بالرملة ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة على الصحيح ، وقيل سنة أربع وأربعين وهو غلط ، ويقال إنه توفي بمصر ، والصحيح بحمص

جبير بن مطعم تقدم أنه توفي سنة خمسين .

الحارث بن ربعي

أبو قتادة الأنصاري ، وقال الواقدي : اسمه النعمان بن ربعي ، وقال غيره : عمرو بن ربعي . وهو أبو قتادة الأنصاري السلمي المدني فارس الاسلام ، شهد أحداً وما بعدها ، وكان له يوم ذي قرد سعي مشكور كما قدمنا هناك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة بن الاكوع » . وزعم أبو أحمد الحاكم أنه شهد بدرا وليس بمعروف ، وقال أبو سعيد الخدري : أخبرني من هو خير مني أبو قتادة الأنصاري أن رسول الله قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . قال الواقدي وغير واحد : توفي في هذه السنة ـ يعني سنة أربع وخمسين ـ بالمدينة عن سبعين سنة ، وزعم الهيثم بن عدي وغيره أنه توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلى عليه علي بن أبي طالب . وهذا غريب **حكيم بن حزام** بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الاسدي أبو خالد المكي ، أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، وعمته خديجة بنت خويلد ، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم أولاده سوى إبراهيم . ولدته أمه في جوف الكعبة قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وذلك أنها دخلت تزور فضربها الطلق وهي في الكعبة فوضعته على نطع ، وكان شديد المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما كان بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب لا يبايعوا ولا يناكحوا ، كان حكيم يقبل بالعير يقدم من الشام فيشتريها بكمالها ، ثم يذهب بها فيضرب أدبارها حتى يلج الشعب يحمل الطعام والكسوة تكرمة لرسول الله ص ، ولعمته خديجة بنت خويلد . وهو الذي اشترى زيد بن حارثة فابتاعته منه عمته خديجة فوهبته لرسول الله فأعتقه ، وكان اشترى حلة ذي يزن فأهداها لرسول الله ص ، فلبسها ، قال : فما رأيت شيئا أحسن منه فيها . ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلهم ، قال البخاري وغيره : عاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي الاسلام ستين سنة ، وكان من سادات قريش وكرمائهم وأعلمهم بالنسب ، وكان كثير الصدقة والبر والعتاقة ، فلما أسلم سأل عن ذلك رسول الله فقال : « أسلمت على ما أسلفت من خير » . وقد كان حكيم شهد مع المشركين بدرا وتقدم إلى الحوض فكاد حمزة أن يقتله ، فما سحب إلا سحب بين يديه ، فلهذا كان إذا اجتهد في اليمين يقول : لا والذي نجاني يوم بدر . ولما ركب رسول الله إلى فتح مكة ومعه الجنود بمر الظهران خرج حكيم وأبو سفيان يتجسسان الأخبار ، فلقيهما العباس ، فأخذ أبا سفيان فأجاره وأخذ له أمانا من رسول الله ص ، وأسلم أبو سفيان ليلتئذ كرها . ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حكيم وشهد مع رسول الله ص حنينا ، وأعطاه مائة من الابل ثم سأله فأعطاه ، ثم سأله فأعطاه ، ثم قال : « يا حكيم إن هذا المال حلوة خضرة ، وإنه من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع » . فقال

حكيم : والذى بعثك بالحق لا أرزأ بعدك أبدا ، فلم يرزأ أحدا بعده ، وكان أبو بكر يعرض عليه العطاء فيأبى ، وكان عمر يعرض عليه العطاء فيأبى فيشهد عليه المسلمين ، ومع هذا كان من أغنى الناس ، مات الزبير يوم مات ولحكيم عليه مائة ألف ، وقد كان بيده حين أسلم الرفادة ودار الندوة فباعها بعد من معاوية بمائة ألف ، وفى رواية بأربعين ألف دينار ، فقال له ابن الزبير : بعت مكرمة قريش ؟ فقال له حكيم : ابن أخى ذهبت المكارم فلا كرم إلا التقوى ، يا ابن أخى إنى اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر ، ولأشترين بها دارا فى الجنة ، أشهدك أنى قد جعلتها فى سبيل الله ، وهذه الدار كانت لقريش بمنزلة دار العدل ، وكان لا يدخلها أحد إلا وقد صار سنه أربعين سنة ، إلا حكيم بن حزام فانه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكر الزبير أن حكيما حج عاما فأهدى مائة بدنة مجللة ، وألف شاة ، وأوقف معه بعرفات مائة وصيف فى أعناقهم أطوقة الفضة ، وقد نقش فيها : هؤلاء عتقاء الله عن حكيم بن حزام . فأعتقهم وأهدى جميع تلك الانعام رضى الله عنه . توفى حكيم فى هذه السنة على الصحيح ، وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة .

حويطب بن عبد العزى العامري

. صحابى جليل ، أسلم عام الفتح ، وكان قد عمر دهرا طويلا ، ولهذا جعله عمر فى النفر الذين جددوا أنصاب الحرم ، وقد شهد بدرا مع المشركين ، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض ، وشهد الحديبية وسعى فى الصلح ، فلما كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذان أمرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج من مكة ، فأمر بلالا أن لا تغرب الشمس وبمكة أحد من أصحابه ، قال : وفى كل هذه المواطن أهم بالاسلام ويأبى الله إلا ما يريد ، فلما كان زمن الفتح خفت خوفا شديدا وهربت فلحقنى أبو ذر — وكان لى خليلا فى الجاهلية — فقال : ياحويطب مالك ؟ فقلت : خائف ، فقال : لا تخف فانه أبر الناس ، وأوصل الناس ، وأنا لك جار فاقدم معى ، فرجعت معه فوقف بى على رسول الله وهو بالبطحاء ومعه أبو بكر وعمر ، وقد علمنى أبو ذر أن أقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فلما قلت ذلك قال : « حويطب » ؟ قلت : نعم ! أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : « الحمد لله الذى هداك » وسر بذاك واستقرضنى مالا فأقرضته أربعين ألفا ، وشهدت معه حنينا والطائف ، وأعطانى من غنائم حنين مائة بعير . ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة فنزلها وله بها دار ، ولما ولى عليها مروان بن الحكم جاءه حويطب وحكيم بن حزام ، ومخرمة بن نوفل ، فسلموا عليه وجعلوا يتحدثون عنده ثم تفرقوا ، ثم اجتمع حويطب بمروان يوما آخر فسأله مروان عن عمره فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث . فقال حويطب : الله المستعان ، والله لقد هممت بالاسلام غير مرة كل ذلك يعوقنى أبوك يقول تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين

محدث ؟ وتصير تابعا ؟ قال : فابكت مروان وندم على ما كان قال له ، ثم قال حويطب : أما كان أخبرك عثمان ماكان لقى من أبيك حين أسلم ؟ قال : فازداد مروان غما . وكان حويطب ممن شهد دفن عثمان ، واشترى منه معاوية داره بمكة بأربعين ألف دينار فاستكثرها الناس ، فقال : وماهى فى رجل له خمسة من العيال ؟ قال الشافعى : كان حويطب جيد الاسلام ، وكان أكثر قريش ربعا جاهليا . وقال الواقدى : عاش حويطب فى الجاهلية ستين سنة ، وفى الاسلام ستين سنة ، ومات حويطب فى هذه السنة بالمدينة وله مائة وعشرون سنة . وقال غيره : توفى بالشام . له حديث واحد رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث السائب بن يزيد عنه عن عبد الله بن السعدى عن عمر فى العمالة ، وهو من عزيز الحديث لانه اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضى الله عنهم .

معبد بن يربوع بن عنكثة

ابن عامر بن مخزوم ، أسلم عام الفتح ، وشهد حنينا ، وأعطاه رسول الله خمسين من الابل ، وكان اسمه صرما ، وفى رواية أصرم ، فسماه معبدا ، وكان فى جملة النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم ، وقد أصيب بصره بعد ذلك فأتاه عمر يعزيه فيه ، رواه البخارى . قال الواقدى وخليفة وغير واحد : مات فى هذه السنة بالمدينة ، وقيل بمكة وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك .

مرة بن شراحيل الهمدانى

يقال له مرة الطيب ، ومرة الخير : روى عن أبى بكر وعمر وعلى وابن مسعود وغيرهم ، كان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة ، فلما كبر صلى أربعمائة ركعة ، ويقال إنه سجد حتى أكل التراب جبهته ، فلما مات رؤى فى المنام ـ وقد صار ذلك المكان نوراً ـ فقيل له : أين منزلك ؟ فقال : بدار لايظعن أهلها ولا يموتون .

النعيمان بن عمرو

ابن رفاعة بن الحر ، شهد بدرا وما بعدها ، ويقال إنه الذى كان يؤتى به فى الشراب ، فقال رجل : لعنه الله ما أكثر مايؤتى به ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله »

سودة بن زمعة

القرشية العامرية أم المؤمنين ، تزوجها رسول الله بعد خديجة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو ، فلما كبرت هم رسول الله بطلاقها ، ويقال إنه طلقها ، فسألته أن يبقيها فى نسائه وتهب يومها لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله : [وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضا] الآية ، وكانت ذات عبادة وورع وزهادة ، قالت عائشة : مامن امرأة أحب إلى أن أكون فى مسلاخها غير أن فيها حدة تسرع منها الفيئة . ذكر ابن الجوزى وفاتها فى هذه السنة ، وقال ابن أبى خيثمة : توفيت فى آخر خلافة عمر بن الخطاب فالله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله بن غيلان عن البصرة وولى عليها عبيد الله بن زياد، وكان سبب عزل معاوية بن غيلان عن البصرة أنه كان يخطب الناس فحصبه رجل من بنى ضبة فأمر بقطع يده، فجاء قومه إليه فقالوا له: إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعت يده فى هذا الصنع فعل به وبقومه نظير ما فعل بحجر بن عدى، فاكتب لنا كتابا أنك قطعت يده فى شبهة، فكتب لهم فتركوه عندهم حينا ثم جاؤا معاوية فقالوا له: إن نائبك قطع يد صاحبنا فى شبهة فأقدنا منه، قال: لاسبيل إلى القود من نوابى ولكن الدية، فأعطاهم الدية وعزل ابن غيلان، وقال لهم: اختاروا من تريدون، فذكروا رجالا فقال: لا! ولكن أولى عليكم ابن أخى عبيد الله بن زياد، فولاه فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة، فلم يغز ولم يفتح شيئا، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ثم عزله وولى ابن أذينة، وولى شرطتها عبد الله بن الحصين. وحج بالناس فى هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة. وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس رضى الله عنه.

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة * ارقم بن ابي الأرقم

عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلم قديما، يقال سابع سبعة، وكانت داره كهفا للمسلمين يأوى إليها رسول الله ومن أسلم من قريش، وكانت عند الصفا وقد صارت فيما بعد ذلك للمهدى فوهبها لامرأته الخيزران أم موسى الهادى وهارون الرشيد، فبنتها وجددتها فعرفت بها، ثم صارت لغيرها، وقد شهد الأرقم بدرا ومابعدها من المشاهد، ومات بالمدينة فى هذه السنة، وصلى عليه سعد بن أبى وقاص أوصى به رضى الله عنهما، وله بضع وثمانون سنة.

سحبان بن زفر بن إياس

ابن عبد شمس بن الأجب الباهلى الوائلى، الذى يضرب بفصاحته المثل، فيقال: أفصح من سحبان وائل، ووائل هو ابن معد بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار، وباهلة امرأة مالك بن أعصر، ينسب إليها ولدها، وهى باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة. قال ابن عساكر: سحبان المعروف بسحبان وائل، بلغنى أنه وفد إلى معاوية فتكلم فقال معاوية: أنت الشيخ؟ فقال: إى والله وغير ذلك، ولم يزد ابن عساكر على هذا، وقد نسبه ابن الجوزى فى كتابه المنتظم كما ذكرنا، ثم قال: وكان بليغاً يضرب المثل بفصاحته، دخل يوما على معاوية وعنده خطباء القبائل، فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه، فقال سحبان

لقد علم الحيّ اليمانون أننى * إذا قلتُ أما بعدُ أنى خطيبها

فقال له معاوية: اخطب! فقال: انظروا لى عصى تقيم من أودى، فقالوا: وماذا تصنع بها

وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه ، فأخذها وتكلم من الظهر إلى أن قاربت العصر ، ماتنحنح ولاسعل ولا توقف ولا ابتدأ فى معنى فخرج عنه وقد بقيت عليه بقية فيه ، فقال معاوية : الصلاة ! فقال : الصلاة أمامك ، ألسنا فى تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه ، وتذكير ووعد ووعيد ؟ فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال : العرب وحدها ؟ بل أخطب الجن والانس . قال : كذلك أنت .

سعد بن أبي وقاص

واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، أبو إسحاق القرشى الزهرى ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض ، أسلم قديماً ، قالوا : وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة . وثبت عنه فى الصحيح أنه قال : ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الاسلام سابع سبعة ، وهو الذى كوّف الكوفة ونفى عنها الأعاجم ، وكان مجاب الدعوة ، وهاجر وشهد بدراً وما بعدها ، وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله (ص) ، وكان فى أيام الصديق معظماً جليل المقدار ، وكذلك فى أيام عمر ، وقد استنابه على الكوفة ، وهو الذى فتح المدائن ، وكانت بين يديه وقعة جلولاء . وكان سيداً مطاعاً ، وعزله عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر فى ذلك . وقد ذكره فى الستة أصحاب الشورى ، ثم ولاه عثمان بعدها ثم عزله عنها . وقال الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : شهد سعد بن أبى وقاص وابن عمر دومة الجندل يوم الحكمين . وثبت فى صحيح مسلم أن ابنه عمر جاء إليه وهو معتزل فى إبله فقال : الناس يتنازعون الامارة وأنت هاهنا ؟ فقال : يابنى إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب العبد الغنى الخفى التقى » . قال ابن عساكر : ذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص جاءه فقال له : ياعم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر ، فقال : أريد من مائة ألف سيفا واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا ، وإذا ضربت به الكافر قطع . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثنى زكريا بن عمر وأن سعد بن أبى وقاص وفد على معاوية فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر ، وقال غيره : فبايعه وما سأله سعد شيئا إلا أعطاه إياه . قال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا إسماعيل بن علية عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم . قال قال سعد : إنى لأول رجل رمى بسهم فى المشركين ، وماجمع رسول الله أبويه لأحد قبلى ، ولقد سمعته يقول : « ارم فداك أبى وأمى » . وقال أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ثنا إسماعيل عن قيس ، سمعت سعد بن مالك يقول : والله إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ،

ولقد كنا نغزو مع رسول الله وما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة وهذا السمر ، حتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الدين ، لقد خبت إذا وضل عملي . وقد رواه شعبة ووكيع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به . وقال أحمد : حدثنا ابن سعيد عن يحيى ابن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب عن سعد . قال : « جمع لي رسول الله (ص) أبويه يوم أحد » . ورواه أحمد أيضاً عن غندر عن شعبة عن يحيى بن سعيد الأنصارى . وقد رواه الليث وغير واحد عن يحيى الانصارى . ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيب عن سعد . ورواه الناس من حديث عامر بن سعد عن أبيه . وفي بعض الروايات « فداك أبي وأمي » وفي رواية : « فقال ارم وأنت الغلام الحزور » قال سعيد : وكان سعد جيد الرمي . وقال الأعمش عن أبي خالد عن جابر بن سمرة . قال : أول الناس رمى بسهم في سبيل الله سعد رضى الله عنه . وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن شداد سمعت عليا يقول : « ماسمعت رسول الله يفدى أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك ، وإني سمعته يقول له يوم أحد : ارم سعد فداك أمي وأبي » . ورواه البخارى عن أبي نعيم عن مسعر عن سعد بن إبراهيم به . ورواه شعبة عن سعد بن إبراهيم ، ورواه سفيان بن عيينة وغير واحد عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب عن على بن أبي طالب فذكره . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن أيوب أنه سمع عائشة بنت سعد تقول : أنا بنت المهاجر الذي فداه رسول الله (ص) بالأبوين . وقال الواقدى : حدثني عبيدة بن نابل عن عائشة بنت سعد عن أبيها . قال : « لقد رأيتني أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بعد ذلك فظننت أنه ملك » . وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص . قال : « لقد رأيت عن يمين رسول الله (ص) وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، مارأيتهما قبل ولا بعد » . ورواه الواقدى : حدثني إسحاق بن أبي عبد الله عن عبد العزيز - جد ابن أبي عون - عن زياد مولى سعد عن سعد . قال : « رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن رسول الله أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة وإلى ذا مرة مسرورا بما ظفره الله عز وجل » . وقال سفيان عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن أبيه . قال اشتركت أنا وسعد وعمار يوم بدر فيما أصبنا من الغنيمة ، فجاء سعد بأسيرين ولم أجيء أنا وعمار بشيء . وقال الأعمش عن إبراهيم بن علقمة عن ابن مسعود . قال : لقد رأيت سعد بن أبي وقاص يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجل . وقال مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبد الله بن عامر يقول قالت عائشة بات رسول الله أرقا ذات ليلة ثم قال : « ليت رجلا صالحا يحرسني الليلة » ، قالت : إذ سمعنا صوت

السلاح ، فقال : من هـذا ؟ قال : أنا سعد بن أبي وقاص ، أنا أحرسك يارسول الله ، قالت : فنام رسول الله ص ، حتى سمعت غطيطه » . أخرجاه من حديث يحيى بن سعيد . وفي رواية « فدعا له رسول الله ص ، ثم نام » وقال أحمد : حدثنا قتيبة ثنا رشدين بن سعد عن يحيى بن الحجاج بن شداد عن أبي صالح عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله قال : « أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ، فدخل سعد بن أبي وقاص » . وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الله بن قيس الرقاشي الخراز ، بصري ، ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر . قال : كنا جلوسا عند رسول الله ص ، فقال : « يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة ، قال فليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته ، فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع » . وقال حرملة عن ابن وهب أخبرني حيوة أخبرني عقيل عن ابن شهاب حدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك . قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله ص ، فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فاطلع سعد بن أبي وقاص ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فاطلع سعد بن أبي وقاص على ترتيبه الأول ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فطلع على ترتيبه ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني غاضبت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تنحل يميني فعلت ، قال أنس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئا ، غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطرا ، قال عبد الله بن عمرو : فرمقته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد على ذلك ، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أحتقر عمله ، قلت : إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكني سمعت رسول الله قال ذلك ثلاث مرات في ثلاث مجالس : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فاطلعت أنت أولئك المرات الثلاث ، فأردت أن آوي إليك حتى أنظر ما عملك فأقتدي بك لأنال ما نلت ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ؟ فقال : ماهو إلا الذي رأيت . قال : فلما رأيت ذلك انصرفت فدعا بي حين وليت ، فقال : ماهو الا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ، ولا أنوي له شراً ولا أقوله . قال قلت : هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطيق. وهكذا رواه صالح المزي عن عمرو بن دينار - مولى الزبير - عن سالم عن أبيه فذكر مثل رواية أنس ابن مالك . وثبت في صحيح مسلم من طريق سفيان الثوري عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد في قوله تعالى [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه] نزلت في ستة ، أنا وابن مسعود منهم وفي رواية أنزل الله فيّ [وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم] وذلك أنه لما أسلم

امتنعت أمه من الطعام والشراب أياما ، فقال لها : تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت ديني هذا لشيء ، إن شئت فكلي و إن شئت فلا تأكلي . فنزلت هذه الآية . وأما حديث الشهادة للعشرة بالجنة فثبت في الصحيح عن سعيد بن زيد . وجاء من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة في قصة حراء ذكر سعد بن أبي وقاص منهم . وقال هشيم وغير واحد عن مجالد عن الشعبي عن جابر . قال : كنا مع رسول الله فأقبل سعد فقال رسول الله (ص) : « هذا خالي فليرني امرؤ خاله ». رواه الترمذي . وقال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عبد الوهاب ابن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر . قال : كنا مع رسول الله (ص) إذ أقبل سعد فقال : « هذا خالي » . وثبت في الصحيح من حديث مالك وغيره عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه « أن رسول الله جاءه يعوده عام حجة الوداع من وجع اشتد به . فقلت : يارسول الله إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا ! قلت : فالشطر يارسول الله ؟ قال : لا ! قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، و إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك . قلت : يارسول الله أخلف بعد أصحابي ؟ فقال إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام و يضر بك آخرون . ثم قال : اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد ابن خولة يرثي له رسول الله إن مات بمكة » . ورواه أحمد عن يحيى بن سعيد عن الجعد بن أوس عن عائشة بنت سعد عن أبيها فذكر نحوه ، وفيه قال : « فوضع يده على جبهته فمسح وجهه وصدره و بطنه وقال : اللهم اشف سعداً وأتم له هجرته » . قال سعد : فما زلت يخيل إلي أني أجد برده على كبدي حتى الساعة . وقال ابن وهب : حدثني موسى بن علي بن رباح عن أبيه أن رسول الله (ص) عاد سعداً فقال : « اللهم أذهب عنه الباس ، إله الناس ، ملك الناس ، أنت الشافي لاشافي له إلا أنت ، بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من حسد وعين ، اللهم أصح قلبه وجسمه ، واكشف سقمه وأجب دعوته » .

وقال ابن وهب : أخبرني عمر وعن بكر بن الأشج قال : سألت عامر بن سعد عن قول رسول الله لسعد : « وعسى أن تبقى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون » . فقال : أمر سعد على العراق فقتل قوما على الردة فضرهم ، واستتاب قوماً كانوا سجعوا سجع مسيلمة الكذاب فتابوا فانتفعوا به . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة . قال : جلسنا إلى رسول الله فذكرنا ورققنا ، فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء وقال : ياليتني مت ، فقال رسول الله (ص) : « ياسعد إن كنت للجنة خلقت فما طال عمرك أو حسن

من عملك فهو خير لك ». وقال موسى بن عقبة وغيره عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن سعد .
ن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « اللهم سدد رميته وأجب دعوته » . ورواه سيار بن بشير
عن قيس عن أبي بكر الصديق . قال : سمعت رسول الله يقول لسعد : « اللهم سدد سهمه وأجب
دعوته ، وحببه إلى عبادك » . وروى من حديث ابن عباس ، وفي رواية محمد بن عائذ الدمشقي عن
الهيثم بن حميد عن مطعم عن المقدام وغيره أن سعدا قال : يارسول الله ادع الله أن يجيب دعوتي
فقال : « إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه ، فقال : يارسول الله ادع الله أن يطيب
مطعمي فدعاله » . قالوا : فكان سعد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت .
وقد كان كذلك مجاب الدعوة لايكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فمن أشهر ذلك ماروى في
الصحيحين من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة شكوا سعداً إلى عمر في
كل شيء حتى قالوا : لايحسن يصلي ، فقال سعد : أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله ، أطيل
الأوليين وأحذف الأخريين ، فقال : الظن بك يا أبا إسحاق ، وكان قد بعث من يسأل عنه بمحال
الكوفة ، فجعلوا لايسألون أهل مسجد إلا أثنوا خيراً ، حتى مروا بمسجد لبني عبس فقام رجل منهم يقال
له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال : إن سعداً كان لايسير في السرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في
الرعية القضية ، فبلغ سعداً فقال : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطل عمره وأدم فقره ،
وأعم بصره وعرضه للفتن ، قال : فأنا رأيته بعد ذلك شيخا كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه
يقف في الطريق فيغمز الجواري فيقال له ، فيقول : شيخ مفتون أصابته دعوة سعد . وفي رواية
غريبة أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد فقتل فيها . وقال الطبراني : ثنا يوسف القاضي ثنا عمرو بن
مرزوق ثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب . قال : خرجت جارية لسعد يقال لها
زبراء ، وعليها قميص جديد فكشفتها الريح فشد عليها عمر بالدرة ، وجاء سعد ليمنعه فتناوله عمر بالدرة
فذهب سعد يدعو على عمر ، فناوله الدرة وقال : اقتص مني فعفى عن عمر . وروى أيضا أنه كان
بين سعد وابن مسعود كلام فهم سعد أن يدعو عليه فخاف ابن مسعود وجعل يشتد في الهرب .
وقال سفيان بن عيينة : لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم
الفتح ، فقال رجل من بجيلة :

أَلَمْ تَرَ أن اللهُ أظهرَ دينهُ   وسعدٌ بباب القادسيةِ معصمُ

فأبنا وقد أيمت نساءٌ كثيرةٌ   ونسوةُ سعد ليسَ فيهنَّ أيِّمُ

فقال سعد : اللهم اكفنا يده ولسانه . فجاءه سهم غرب فأصابه فخرس ويبست يداه جميعا . وقد
أسند زياد البكائي وسيف بن عمر عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر عن ابن عمر فذكر

مثله ، وفيه : ثم خرج سعد فأرى الناس مابه من القروح فى ظهره ليعتذر إليهم . وقال هشيم عن أبى بلح عن مصعب بن سعد أن رجلا نال من على فنهاه سعد فلم ينته ، فقال سعد : أدعو عليك ، فلم ينته ، فدعا الله عليه حتى جاء بعير ناد فتخبطه . وجاء من وجه آخر عن عامر بن سعد أن سعداً رأى جماعة عكوفاً على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فاذا هو يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك فلم ينته ،فقال : أدعو عليك ، فقال الرجل : تتهددنى كأنك نبى ؟ فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً قد سبق لهم منك سابقة الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبه إياهم ، فاجعله اليوم آية وعبرة . قال : فخرجت بختية نادة من دار آل فلان لا يردها شئ حتى دخلت بين أضعاف الناس ، فافترق الناس فأخذته بين قوائمها ، فلم تزل تتخبطه حتى مات . قال : فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق . ورواه حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب فذكر نحوه

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر القرشى ثنا عبد الرزاق عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف أن امرأة كانت تطلع على سعد فنهاها فلم تنته ، فاطلعت يوما وهو يتوضأ فقال : شاه وجهك ، فعاد وجهها فى قفاها. وقال كثير النورى : عن عبد الله بن بديل قال : دخل سعد على معاوية فقال له : مالك لم تقاتل معنا ؟ فقال : إنى مرت بى ريح مظلمة فقلت: اخ اخ. فأنخت راحلتى حتى انجلت عنى ثم عرفت الطريق فسرت ، فقال معاوية : ليس فى كتاب الله : اخ اخ . ولكن قال الله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية . فقال سعد : ما كنت لأقاتل رجلا قال له رسول الله (ص): « أنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبى بعدى » . فقال معاوية : من سمع هذا معك ؟ فقال : فلان وفلان وأم سلمة . فقال معاوية : أما إنى لو سمعته منه (ص) لما قاتلت عليا . وفى رواية من وجه آخر أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة فى حجة حجها معاوية ، وأنهما قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدثتهما بما حدث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خادما لعلى حتى يموت أو أموت . وفى إسناد هذا ضعف والله أعلم . وقد روى عن سعد أنه سمع رجلا يتكلم فى على وفى خالد فقال : إنه لم يبلغ ما بيننا إلى ديننا . وقال محمد بن سيرين : طاف سعد على تسع جوار فى ليلة فلما انتهى إلى العاشرة أخذه النوم فاستحيت أن توقظه .

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب : يابنى إذا طلبت شيئا فاطلبه بالقناعة ، فانه من لا قناعة له لم يغنه المال . وقال حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد . قال : كان رأس أبى

فى حجرى وهو يقضى فبكيت ، فقال : مايبكيك يابنى ؟ والله إن الله لا يعذبنى أبداً ، وإنى من أهل الجنة . إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم ماعملوا لله ، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم ، فاذا نفدت قال : ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له . وقال الزهرى : لما حضرت سعداً الوفاة دعا بخلق جبة فقال : كفنونى فى هذه فانى لقيت فيها المشركين يوم بدر ، و إنما خبأتها لهذا اليوم .

وكانت وفاة سعد بالعقيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال فصلى عليه مروان ، وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودفن بالبقيع . وكان ذلك فى هذه السنة ـ سنة خمس وخمسين ـ على المشهور الذى عليه الأكثرون ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح . قال على بن المدينى : وهو آخر العشرة وفاة . وقال غيره : كان آخر المهاجرين وفاة ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين . وقال الهيثم بن عدى : سنة خمسين ، وقال أبو معشر وأبو نعيم مغيث بن المحرر : توفى سعد سنة ثمان وخمسين ، زاد مغيث : وفيها توفى الحسن بن على وعائشة وأم سلمة ، والصحيح الأول ـ خمس وخمسين ـ قالوا وكان قصيراً غليظا شثن الكفين أفطس أشعر الجسد ، يخضب بالسواد ، وكان ميراثه مائتى ألف وخمسين ألفاً

فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي

أول مشاهده أحد ، وشهد بيعة الرضوان ، ودخل الشام ، وتولى القضاء بدمشق فى أيام معاوية بعد أبى الدرداء . قال أبو عبيد : مات سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : سنة سبع وستين ، وقال ابن الجوزى فى المنتظم : توفى فى هذه السنة والله أعلم .

قثم بن العباس بن عبد المطلب

كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، تولى نيابة المدينة فى أيام على ، وشهد فتح سمرقند فاستشهد بها .

كعب بن عمرو أبو اليسر

الأنصارى السلمى ، شهد العقبة و بدراً ، وأسر يومئذ العباس بن عبد المطلب ، وشهد مابعد ذلك من المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . قال أبو حاتم وغيره : مات سنة خمس وخمسين ، زاد غيره : وهو آخر من مات من أهل بدر .

ثم دخلت سنة ستّ وخمسين

وذلك فى أيام معاوية ، ففيها شتى جنادة بن أبى أمية بأرض الروم ، وقيل عبد الرحمن بن مسعود ، ويقال فيها غزا فى البحر يزيد بن سمرة ، وفى البر عياض بن الحارث . وفيها اعتمر معاوية فى رجب ، وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وفيها ولى معاوية سعيد بن عثمان بلاد خراسان ، وعزل عنها عبيد الله بن زياد ، فسار سعيد إلى خراسان والتقى مع الترك عند صغد سمرقند ، فقتل

منهم خلقا كثيراً ، واستشهد معه جماعة منهم فيما قيل قثم بن العباس بن عبد المطلب. قال ابن جرير : سأل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يوليه خراسان فقال : إن بها عبيد الله بن زياد ، فقال : أما لقد اصطنعك أبى ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذى لا يجارى إليه ولا يسامى ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته بآلائه ، وقدمت على هذا - يعنى يزيد بن معاوية - وبايعت له ، ووالله لأنا خير منه أبا وأما ونفسا . فقال له معاوية : أما بلاء أبيك عندى فقد يحق على الجزاء به ، وقد كان من شكرى لذلك أنى طلبت بدمه حتى تكشفت الأمور ، ولست بلائم لنفسى فى التشمير ، وأما فضل أبيك على أبيه ، فأبوك والله خير منى وأقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما فضل أمك على أمه فما لا ينكر ، فان امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة دحست ليزيد رجالا مثلك - يعنى أن الغوطه لو ملئت رجالا مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحب إلى منهم . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر فى أمره ، وقد عتب عليك فى فأعتبه . فولاه حرب خراسان ، فأتى سمرقند فخرج إليه أهل الصغد من الترك فقاتلهم وهزمهم وحصرهم فى مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهنا خمسين غلاما يكونون فى يده من أبناء عظمائهم ، فأقام بالترمذ ولم يف لهم ، وجاء بالغلمان الرهن معه إلى المدينة . وفيها دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد ولده أن يكون ولى عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا فى حياة المغيرة بن شعبة . فروى ابن جرير من طريق الشعبى أن المغيرة كان قد قدم على معاوية وأعفاه من إمرة الكوفة فأعفاه لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلما بلغ ذلك المغيرة كأنه ندم ، فجاء إلى يزيد ابن معاوية فأشار عليه بأن يسأل من أبيه أن يكون ولى العهد ، فسأل ذلك من أبيه فقال : من أمرك بهذا ؟ قال : المغيرة ، فأعجب ذلك معاوية من المغيرة ورده إلى عمل الكوفة ، وأمره أن يسعى فى ذلك ، فعند ذلك سعى المغيرة فى توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يستشيره فى ذلك ، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد ، فبعث إليه من يثنى رأيه عن ذلك ، وهو عبيد ابن كعب بن النميرى - وكان صاحباً أكيداً لزياد - فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولا ، فكلمه عن زياد وأشار عليه بان لا يطلب ذلك ، فان تركه خير له من السعى فيه ، فانزجر يزيد عما يريد من ذلك ، واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك فى هذا الوقت ، فلما مات زياد وكانت هذه السنة شرع معاوية فى نظم ذلك والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، فبايع له الناس فى سائر الأقاليم ، إلا عبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر والحسين بن على وعبد الله بن الزبير وابن عباس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة - مرجعه من مكة - استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهدده بانفراده ، فكان من أشدهم عليه ردا وأجلدهم فى الكلام ،

عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، وكان أليتهم كلاما عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت منبره ، وبايع الناس ليزيد وهم قعود ولم يوافقوا ولم يظهروا خلافا ، لما تهددهم وتوعدهم ، فاتسقت البيعة ليزيد فى سائر البلاد ، ووفدت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنف بن قيس ، فأمره معاوية أن يحادث يزيد ، فجلسا ثم خرج الأحنف فقال له معاوية : ماذا رأيت من ابن أخيك ؟ فقال : إنا نخاف الله إن كذبنا ونخافكم إن صدقنا ، وأنت أعلم به فى ليله ونهاره ، وسره وعلانيته ، ومدخله ومخرجه ، وأنت أعلم به بما أردت ، وإنما علينا أن نسمع ونطيع ، وعليك أن تنصح للأمة . وقد كان معاوية لما صالح الحسن عهد للحسن بالأمر من بعده ، فلما مات الحسن قوى أمر يزيد عند معاوية ، ورأى أنه لذلك أهلا ، وذاك من شدة محبة الوالد لولده ، ولما كان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية ، وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأبهته ، وكان ظن أن لايقوم أحد من أبناء الصحابة فى هذا المعنى ، ولهذا قال لعبد الله ابن عمر فيما خاطبه به : إنى خفت أن أذر الرعية من بعدى كالغنم المطيرة ليس لها راع ، فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً مجدع الأطراف . وقد عاتب معاوية فى ولايته يزيد ، سعيد بن عثمان بن عفان وطلب منه أن يوليه مكانه ، وقال له سعيد فيما قال : إن أبى لم يزل معتنياً بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف ، وقد قدمت ولدك علي وأنا خير منه أبا وأما ونفسا فقال له : أما ماذكرت من إحسان أبيك إلى فانه أمر لاينكر ، وأما كون أبيك خيرمن أبيه فحق وأمك قرشية وأمه كلبية فهى خير منها ، وأما كونك خيرا منه فوالله لو ملئت إلى الغوطة رجالا مثلك لكان يزيد أحب إلى منكم كلكم . وروينا عن معاوية أنه قال يوما فى خطبته : اللهم إن كنت تعلم أنى وليته لانه فيما أراه أهل لذلك فأتمم له ماوليته ، وإن كنت وليته لأنى أحبه فلا تتمم له ماوليته . وذكر الحافظ ابن عساكر أن معاوية كان قد سمر ليلة فتكلم أصحابه فى المرأة التى يكون ولدها نجيباً ، فذكروا صفة المرأة التى يكون ولدها نجيباً : فقال معاوية : وددت لو عرفت بامرأة تكون بهذه المثابة ؟ فقال أحد جلسائه : قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : ومن ؟ قال : ابنتى يا أمير المؤمنين . فتزوجها معاوية فولدت له يزيد بن معاوية فجاء نجيباً ذكيا حاذقا . ثم خطب امرأة أخرى فحظيت عنده وولدت له غلاما آخر موهجر أم يزيد فكانت عنده فى جنب داره ، فبينما هو فى النظارة ومعه امرأته الأخرى ، إذ نظر إلى أم يزيد وهى تسرحه ، فقالت امرأته : قبحها الله وقبح ماتسرح . فقال: ولم ؟ فوالله إن ولدها أنجب من ولدك ، وإن أحببت بينت لك ذلك ، ثم استدعى ولدها فقال له : إن أمير المؤمنين قد عن له أن يطلق لك ما تتمناه عليه فاطلب منى ماشئت . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يطلق لى كلابا للصيد وخيلا ورجالا يكونون معى فى الصيد . فقال : قد أمرنا لك

بذلك ، ثم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه ، فقال يزيد : أو يعفينى أمير المؤمنين فى هذا الوقت عن هذا ؟ فقال : لا بدلك أن تسأل حاجتك ، فقال : أسال - وأطال الله عمر أمير المؤمنين - أن أكون ولى عهده من بعده ، فانه بلغنى أن عدل يوم فى الرعية كعبادة خمسمائة عام . فقال : قد أجبتك إلى ذلك ، ثم قال لامرأته : كيف رأيت ؟ فعلمت وتحققت فضل يزيد على ولدها .

وقد ذكر ابن الجوزى فى هذه السنة وفاة أم حرام بنت ملحان الأنصارية امرأة عبادة بن عبادة بن الصامت ، والصحيح الذى لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين ، فى خلافة عثمان ، وكانت هى وزوجها مع معاوية حين دخل قبرص ، وقصتها بغلتها فماتت هناك وقبرها بقبرص ، والعجب أن ابن الجوزى أورد فى ترجمتها حديثها المخرج فى الصحيحين فى قيلولة النبى ﷺ فى بيتها ، ورؤياه فى منامه قوماً من أمته يركبون ثبج البحر مثل الملوك على الأسرة غزاة فى سبيل الله ، وأنها سألته أن يدعو لها أن تكون منهم فدعا لها ، ثم نام فرأى كذلك ، فقالت : ادعو الله أن يجعلنى منهم ، فقال « لا ! أنت من الأولين » وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم ، وذلك فى سنة سبع وعشرين ، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية ومعهم أبو أيوب ، وقد توفى هناك فقبره قريب من سور قسطنطينية ، وقد ذكرنا هذا مقراراً فى دلائل النبوة

سنة سبع وخمسين

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم ، قال الواقدى : وفى شوالها عزل معاوية مروان ابن الحكم عن المدينة ، وولى عليها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وهو الذى حج بالناس فى هذه السنة ، لأنه صارت إليه إمرة المدينة ، وكان على الكوفة الضحاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله ابن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان . قال ابن الجوزى : وفيها توفى عثمان بن حنيف الأنصارى الأوسى ، وهو أخو عبادة وسهل ابنى حنيف ، بعثه عمر لمساحة خراج السواد بالعراق ، واستنابه عمر على الكوفة ، فلما قدم طلحة والزبير صحبة عائشة وامتنع من تسليم دار الامارة ، نتفت لحيته وحواجبه وأشفار عينيه ومثل به ، فلما جاء على وسلمه البلد قال له : يا أمير المؤمنين فارقتك ذا لحية واجتمعت بك أمرد ، فتبسم على رضى الله عنه وقال : لك أجر ذلك عند الله ، وله فى المسند والسنن حديث الأعمى الذى سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه ضوء بصره فرده الله عليه ، وله حديث آخر عند النسائى ، ولم أر أحداً أرخ وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزى والله أعلم

سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمى أرض الروم ، قال الواقدى : وفيها قيل شتى يزيد بن شجرة فى البحر ، وقيل : بل غزا البحر وبلاد الروم جنادة بن أبى أمية ، وقيل : إنما شتى بأرض الروم عمرو

ابن يزيد الجهنى . قال أبو معشر والواقدى : وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وفيها ولى معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفى، ابن أم الحكم ، وأم الحكم هى أخت معاوية ، وعزل عنها الضحاك بن قيس ، فولى ابن أم الحكم على شرطته زائدة بن قدامة ، وخرجت الخوارج في أيام ابن أم الحكم ، وكان رئيسهم فى هذه الوقعة حيان بن ضبيان السلمى ، فبعث إليهم جيشا فقتلوا الخوارج جميعاً ، ثم إن ابن أم الحكم أساء السيرة فى أهل الكوفة فأخرجوه من بين أظهرهم طريداً ، فرجع إلى خاله معاوية فذكر له ذلك ، فقال : لأولينك مصراً هو خير لك ، فولاه مصر ، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن خديج على مرحلتين من مصر ، فقال له : ارجع إلى خالك معاوية ، فلعمرى لاندعك تدخلها فتسير فيها وفينا سيرتك فى إخواننا أهل الكوفة ، فرجع ابن أم الحكم إلى معاوية ولحقه معاوية بن خديج وافداً على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده أخته أم الحكم ، وهى أم عبد الرحمن الذى طرده أهل الكوفة وأهل مصر ، فلما رآه معاوية قال : بخ بخ ، هذا معاوية بن خديج ، فقالت أم الحكم : لامرحبابه ، تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، فقال معاوية بن خديج : على رسلك ياأم الحكم ، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ، أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى إخواننا أهل الكوفة ، فما كان الله ليريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطئ منه رأسه ـ أو قال لضربنا ماصاصا منه ـ وإن كره ذلك الجالس ـ يعنى معاوية ـ فالتفت إليها معاوية فقال : كفى .

قصة غريبة

ذكرها ابن الجوزى فى كتابه المنتظم بسنده ، وهو أن شابا من بنى عذرة جرت له قصة مع ابن أم الحكم ، وملخصها أن معاوية بينما هو يوما على السماط إذا شاب من بنى عذرة قد تمثل بين يديه فأنشده شعراً مضمونه التشوق إلى زوجته سعاد ، فاستدناه معاوية واستحكاه عن أمره ، فقال :ياأمير المؤمنين إنى كنت مزوجاً بابنة عم لى ، وكان لى إبل وغنم ، وأنفقت ذلك عليها ؛ فلما قل مابيدى رغب عنى أبوها وشكانى إلى عاملك بالكوفة ، ابن أم الحكم ، وبلغه جمالها فحبسنى فى الحديد وحملنى على أن أطلقها ، فلما انقضت عدتها أعطاها عاملك عشرة آلاف درهم فزوجه إياها ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب ، وسند المسلوب ، فهل من فرج ؟ ثم بكى وأنشأ يقول :

في القلب منى نار * والنار فيها شرار
والجسم منى نحيل * واللون فيه اصفرار
والعين تبكى بشجو * فدمعها مدرار
والحب ذا عبر * فيه الطبيب يحار

حملتُ فيه عظيماً * فما عليه اصطبارُ
فليس ليلى بليلٍ * ولا نهارى نهارُ

قال : فرقّ له معوية وكتب إلى ابن أم الحكم يؤنبه على ذلك ويعيبه عليه ، ويأمره بطلاقها قولا واحداً ، فلما جاءه كتاب معاوية تنفس الصعداء وقال : وددت أن أمير المؤمنين خلى بينى وبينها سنة ثم عرضنى على السيف ، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولاتجيبه نفسه ، وجعل البريد الذى ورد عليه بالكتاب يستحثه ، فطلقها وأخرجها عنه وسيرها مع الوفد إلى معاوية ، فلما وقفت بين يديه رأى منظراً جميلاً ، فلما استنطقها فاذا أفصح الناس وأحلاهم كلاماً ، وأكملهم جمالاً ودلالاً ، فقال لابن عمها : يا أعرابى هل من سلوّ عنها بأفضل الرغبة ؟ قال : نعم إذا فرقت بين رأسى وجسدى ثم أنشأ يقول : —

لاتجعلنّى والامثال تضرب بى * كالمستغيث من الرمضاء بالنارِ
اردد سعاد على حيران مكتئبٍ * يمسى ويصبح فى هم وتذكارِ
قد شفهُ قلقٌ مامثلهُ قلقٌ * وأسعرُ القلبَ منهُ أى إسعارِ
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيبَ فى رمسى وأحجارى
كيفَ السلوّ وقدهامَ الفؤاد بها * وأصبحَ القلبُ عنها غيرَ صبارِ

فقال معاوية : فانا نخيرها بينى وبينك وبين ابن أم الحكم فأنشأت تقول : —

هذا وإن اصبحَ فى إطارِ * وكانَ فى نقصٍ من اليسارِ
أحبَّ عندى من أبى وجارى * وصاحبِ الدرهمِ والدينارِ
أخشى إذا غدرتُ حرّ النارِ

قال : فضحك معاوية وأمرله بعشرة آلاف درهم ومركب ووطاء ، ولما انقضت عدتها زوجه بها وسلمها إليه . حذفنا منها أشعاراً كثيرة مطولة .

وجرت فى هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج ، فقتل منهم خلقا كثيراً وجماً غفيراً ، وحبس منهم آخرين ، وكان صارماً كأبيه مقداما فى أمرهم والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر من توفى فيها من الأعيان

توفى فى هذا العام سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشى الأموى ، قتل أبوه يوم بدر كافرا ، قتله على بن أبى طالب ، ونشأ سعيد فى حجر عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ، وكان من سادات المسلمين والاجواد المشهورين ، وكان جده سعيد بن العاص — ويكنى بأبى أجنحة — رئيساً فى قريش ، يقال له

ذو التاج . لأنه كان إذا اعتم لايعتم أحد يومئذ إعظاما له ، وكان سعيد هـذا من عمال عمر على السواد ، وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته ، وكان أشبه الناس لحية برسول الله (ص.) ، وكان فى جملة الاثنى عشر رجلا ، الذين يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه ، منهم أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت . واستنابه عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عقبة ؛ فافتتح طبرستان وجرجان ، ونقض العهد أهل أذربيجان فغزاهم ففتحها ، فلما مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين ، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه فعتب عليه فاعتذر إليه فعذره فى كلام طويل جداً ، وولاه المدينة مرتين ، وعزله عنها مرتين بمروان بن الحكم ، وكان سعيد هـذا لايسب علياً ، ومروان يسبه ، وروى عن النبى (ص.) ، وعن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعائشة ، وعنه ابناه عمرو بن سعيد الأشدق وأبو سعيد وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم ، وليس له فى المسند ولا فى الكتب الستة شئ . وقد كان حسن السيرة ، جيد السريرة ، وكان كثيراً مايجمع أصحابه فى كل جمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ؛ وكان يصر الصرر فيضعها بين يدى المصلين من ذوى الحاجات فى المسجد . قال ابن عساكر : وقد كانت له دار بدمشق تعرف بعده بدار نعيم ، وحمام نعيم ، بنواحى الديماس ، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات ، وكان كريما جواداً ممدحاً . ثم أورد شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سعيد الجعفى ثنا عبد الله بن الاجلح ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله (ص.) قال : « خياركم فى الاسلام خياركم فى الجاهلية » وفى طريق الزبير بن بكار : حدثنى رجل عن عبد العزيز بن أبان حدثنى خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله (ص.) ببرد . فقالت : إنى نذرت أن أعطى هذا الثوب أكرم العرب ، فقال : « اعطه هذا الغلام » — يعنى سعيد بن العاص — وهو واقف ، فلذلك سميت الثياب السعيدية وأنشد الفرزدق قوله فيه

ترى الغرّ الجحاجح من قريش * إذا ما الخطبُ فى الحدثان عالا
قياماً ينظرونَ إلى سعيدٍ * كأنهمُ يرونَ بهِ هلالا

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المغيرة وولاها سعيد بن أبى وقاص ، ثم عزله وولاها الوليد ابن عتبة ، ثم عزله وولى سعيد بن العاص ، فأقام بها حينا ، ولم تحمد سيرته فيهم ولم يحبوه ، ثم ركب مالك بن الحارث — وهو الأشتر النخعى — فى جماعة إلى عثمان وسألوه أن يعزل عنهم سعيداً فلم يعزله ، وكان عنده بالمدينة فبعثه إليهم ، وسبق الأشتر إلى الكوفة فخطب الناس وحثهم على منعه من الدخول إليهم ، وركب الأشتر فى جيش يمنعوه من الدخول ، قيل تلقوه إلى العذيب ، — وقد نزل سعيد بالرعثة — فمنعوه من الدخول إليهم ، ولم يزالوا به حتى ردوه إلى عثمان ، وولى الأشتر أبا موسى

الأشعرى على الصلاة والثغر وحذيفة بن اليمان على الفىء ، فأجاز ذلك أهل الكوفة وبعثوا إلى عثمان فى ذلك فأمضاه وسره ذلك فيما أظهره ، ولكن هـذا كان أول وهن دخل على عثمان . وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ، ثم لما ركب طلحة والزبير مع عائشه من مكة يريدون قتلة عثمان ركب معهم ، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلها ، ثم ولاه معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين ، وعزل مروان فأقام سبعاً ثم رد مروان . وقال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال : بعثنى زياد فى حاجة إلى معاوية ، فلما فرغت من أمورى قلت : يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك ؟ فسكت ساعة ثم قال : يكون بين جماعة ، إما كريم قريش سعيد بن العاص ، وإما فتى قريش ، حياء ودهاء وسخاء ، عبد الله بن عامر ، وإما الحسن بن على فرجل سيد كريم ، وإما القارى لكتاب الله الفقيه فى دين الله ، الشديد فى حدود الله ، مروان بن الحكم ، وأما رجل فقيه عبد الله بن عمر ، وإما رجل يتردد الشريعة مع دواهى السباع ويروغ روغان الثعلب فعبد الله بن الزبير . وروينا أنه استسقى يوماً فى بعض طرق المدينة ، فأخرج له رجل من دار ماء فشرب ، ثم بعد حين رأى ذلك يعرض داره للبيع فسأل عنه لم يبيع داره ؟ فقالوا : عليه دين أربعة آلاف دينار ، فبعث إلى غريمه فقال : هى لك على ، وأرسل إلى صاحب الدار فقال : استمتع بدارك . وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا يوصف بكرم ، فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشىء ؟ فقال : ويحك ! لاتخلقى وجهى ، فألحت عليه فى ذلك ، فجاء فجلس إليه ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً فى مكانه ، فقال له سعيد : أظن جلوسك لحاجة ؟ فسكت الرجل ، فقال سعيد لغلمانه : انصرفوا ، ثم قال له سعيد : لم يبق غيرى وغيرك ، فسكت ، فأطفأ المصباح ثم قال له : رحمك الله لست ترى وجهى فاذكر حاجتك ، فقال : أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت ، فقال له : إذا أصبحت فالق وكيلى فلانا ، فلما أصبح الرجل لقى الوكيل فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشىء فأت بمن يحمله معك ، فقال : ماعندى من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال : حملتينى على بذل وجهى للأمير ، فقد أمر لى بشىء يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمر لى إلا بدقيق أوطعام ، ولو كان مالا لما احتاج إلى من يحمله ، ولأعطانيه . فقالت له المرأة : فمهما أعطاك فانه يقوتنا فخذه ، فرجع الرجل إلى الوكيل فقال له الوكيل : إنى أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك ، فذهب الرجل ، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، فقال للغلمان : ضعوا ما معكم وانصرفوا ، فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك ، فانه مابعث

مع غلام هـدية إلى أحـد إلا كان الخادم الذى يحملها من جملتها ، قال : فحسن حال ذلك الرجـل . وذكر ابن عساكر أن زياد بن أبى سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالا وكتابا ذكر فيه أنه يخطب إليه ابنته أم عثمان من آمنة بنت جرير بن عبد الله البجلى ، فلما وصلت الهدايا والأموال والكتاب قرأه ، ثم فرق الهدايا فى جلسائه ، ثم كتب إليه كتابا لطيفا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ! قال الله تعالى [كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى] والسلام : وروينا أن سعيدا خطب أم كلثوم بنت على من فاطمة ، التى كانت تحت عمر بن الخطاب ، فأجابت إلى ذلك وشاورت أخويها فكرها ذلك ، وفى رواية إنما كره ذلك الحسين وأجاب الحسن ، فهيأت دارها ونصبت سريراً وتواعـدوا للكتاب ، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوجها منه ، فبعث إليها بمائة ألف ، وفى رواية بمائتى ألف مهراً ، واجتمع عنده أصحابه ليذهبوا معه ، فقال : إنى أكره أن أخرج أمى فاطمة ، فـترك التزويج وأطلق جميع ذلك المال لها . وقال ابن معين وعبـد الأعلى بن حماد : سأل أعرابى سعيد بن العاص فأمر له بخمسمائة ، فقال الخادم : خمسمائة درهم أو دينار ؟ فقال : إنما أمرتك بخمسمائة درهم ، وإذ قـد جاش فى نفسك أنها دنانير فادفع إليـه خمسمائة دينار ، فلما قبضها الأعرابى جلس يبكى ، فقال له : مالك ؟ ألم تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ! ولـكن أبكى على الأرض كيف تأكل مثلك . وقال عبد الحميد بن جعفر : جاء رجل فى حمالة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة ، فقيل : له عليك بالحسن ابن على ، أوعبد الله بن جعفر : أوسعيد بن العاص ، أوعبد الله بن عباس ، فانطلق إلى المسجد فاذا سعيد داخل إليه ، فقال : من هـذا ؟ فقيل : سعيد بن العاص ، فقصده فذكر له ما أقدمه ، فتركه حتى انصرف من المسجد إلى المنزل فقال للاعرابى : إئت بمن يحمل معك ؟ فقال : رحمك الله ! إنما سألتك مالا لا تمراً ، فقال : أعرف ، إئت بمن يحمل معك ؟ فأعطاه أربعين ألفاً فأخذها الأعرابى وانصرف ولم يسأل غيره . وقال سعيد بن العاص لابنه : يابنى أجر الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة ، فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه فى وجهه ، أوجاءك مخاطراً لايدرى أتعطيه أم تمنعه ، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته . وقال سعيد : لجليسى علىّ ثلاث ، إذا دنا رحبت به ، وإذ جلس أوسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه . وقال أيضاً : يابنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنئ فتهون عليـه ، وفى رواية فيجترئ عليك . وخطب يوما فقـال : من رزقه الله رزقا حسنا فليكن أسعد الناس به ، إنما يتركه لأحـد رجلين ، إما مُصلح فيسعد بما جمعت له وتخيب أنت ، والمصلح لايقـل عليـه شئ ، وإما مفسد فـلا يبقى له شئ . فقال أبو معاوية : جمع أبو عثمان طرف الـكلام . وروى الأصمعى عن حكيم بن قيس . قال قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحيى من رفقى فيهما والتأنى عندهما ، مخاطبتى جاهلا أوسفيها ، وعنـد مسألتى حاجة لنفسى . ودخلت عليـه

امرأة من العابدات وهو أمير الكوفة فأكرمها وأحسن إليها ، فقالت : لاجعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا زالت المنة لك فى أعناق الكرام ، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردها عليه . وقد كان له عشرة من الولد ذكوراً وإناثا ، وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبى العاص ـ أخت مروان بن الحكم ـ ولما حضرت سعيداً الوفاة جمع بنيه وقال لهم : لايفقدن أصحابى غير وجهى ، وصلوهم بما كنت أصلهم به ، وأجروا عليهم ما كنت أجرى عليهم ، وا كفوهم مؤنة الطلب ، فان الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه ، وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد ، فوالله لرجل يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه . ثم أوصاهم بوصايا كثيرة ، منها أن يوفوا ماعليه من الدين والوعود ، وأن لايزوجوا أخواتهم إلا من الأكفاء، وأن يسودوا أكبرهم . فتكفل بذلك كله ابنه عمرو بن سعيد الأشدق ، فلما مات دفنه بالبقيع ثم ركب عمرو إلى معاوية فعزاه فيه واسترجع معاوية وحزن عليه وقال : هل ترك من دين عليه ؟ قال : نعم ! قال : وكم هو ؟ قال : ثلثمائة ألف درهم ، وفى رواية ثلاثة آلاف ألف درهم ، فقال معاوية : هى على ! فقال ابنه : يا أمير المؤمنين ، إنه أوصانى أن لا أقضى دينه إلا من ثمن أراضيه ، فاشترى منه معاوية أراضى بمبلغ الدين ، وسأل منه عمرو أن يحملها إلى المدينة فحملها له ، ثم شرع عمرو يقضى ماعلى أبيه من الدين حتى لم يبق أحد ، فكان من جملة من طالبه شاب معه رقعة من أديم فيها عشرون ألفا ، فقال له عمرو : كيف استحققت هذه على أبى ؟ فقال الشاب : إنه كان يوما يمشى وحده فأحببت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله ، فقال : ابغنى رقعة من أدم ، فذهبت إلى الجزارين فأتيته بهذه فكتب لى فيها هذا المبلغ ، واعتذر بأنه ليس عنده اليوم شئ . فدفع إليه عمرو ذلك المال وزاده شيئا كثيراً ، ويروى أن معاوية قال لعمرو بن سعيد : من ترك مثلك لم يمت ، ثم قال : رحم الله أبا عثمان ، ثم قال : قد مات من هو أكبر منى ومن هو أصغر منى ، وأنشد قول الشاعر

إذا سار من دون امرئ وأمامه * وأوحش من إخوانه فهو سائر

وكانت وفاة سعيد بن العاص فى هذه السنة ، وقيل فى التى قبلها ، وقيل فى التى بعدها . وقال بعضهم : كانت وفاته قبل عبد الله بن عامر بجمعة .

شداد بن أوس بن ثابت

ابن المنذر بن حرام ، أبو يعلى الأنصارى الخزرجى ، صحابى جليل ، وهو ابن أخى حسان بن ثابت . وحكى ابن منده عن موسى بن عقبة أنه قال : شهد بدراً . قال ابن منده وهو وهم ، وكان من الاجتهاد فى العبادة على جانب عظيم ، كان إذا أخذ مضجعه تعلق على فراشه ويتقلب عليه ويتلوى كما تتلوى الحية ويقول : اللهم إن خوف النار قد أقلقنى ، ثم يقوم إلى صلاته . قال عبادة بن الصامت :

كان شداد من الذين أوتوا العلم والحلم . نزل شداد فلسطين وبيت المقدس ، ومات فى هذه السنة عن خمس وسبعين سنة ، وقيل : مات سنة أربع وستين ، وقيل سنة إحدى وأربعين . فالله أعلم

عبدالله بن عامر

ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشى العبشمى ، ابن خال عثمان بن عفان ، ولد فى حياة رسول الله (ص) ، وتفل فى فيه ، فجعل يبتلع ريق رسول الله (ص) ، فقال : « إنه لمسقاء » ، فكان لايعالج أرضا إلا ظهر له الماء ، وكان كريما ممدحاً ميمون النقيبة ، استنابه عثمان على البصرة بعد أبى موسى ، وولاه بلاد فارس بعد عثمان بن أبى العاص ، وعمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ، ففتح خراسان كلها ، وأطراف فارس وسجستان وكرمان و بلاد غزنة ، وقتل كسرى ملك الملوك فى أيامه — وهو يزدجرد — ثم أحرم عبد الله بن عامر بحجة ، وقيل بعمرة من تلك البلاد شكراً لله عز وجل ، وفرق فى أهل المدينة أموالا كثيرة جزيلة ، وهو أول من لبس الخز بالبصرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة وأجرى إليها الماء المعين والعين ، ولم يزل على البصرة حتى قتل عثمان ، فأخذ أموال بيت المال وتلقى بها طلحة والزبير وحضر معهم الجمل ، ثم سار إلى دمشق ، ولم يسمع له بذكر فى صفين ، ولكن ولاه معاوية البصرة بعد صلحه مع الحسن ، وتوفى فى هذه السنة بأرضه بعرفات ، وأوصى إلى عبدالله بن الزبير . له حديث واحد ، وليس له فى الكتب شئ ، روى مصعب الزبيرى عن أبيه عن حنظلة بن قيس عن عبد الله ابن عامر أن رسول الله (ص) قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد » وقد زوجه معاوية بابنته هند ، وكانت جميلة ، فكانت تلى خدمته بنفسها من محبتها له ، فنظر يوما فى المرآة فرأى صباحة وجهها وشيبة فى لحيته فطلقها ، وبعث إلى أبيها أن يزوجها بشاب كأن وجهه ورقة مصحف . توفى فى هذه السنة وقيل بعدها بسنة .

عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما

وهو أكبر ولد أبى بكر الصديق ، قاله الزبير بن بكار ، قال : وكانت فيه دعابة ، وأمه أم رومان ، وأم عائشة فهو شقيقها ، بارز يوم بدر وأخذ مع المشركين ، وأراد قتل أبيه أبى بكر ، فتقدم إليه أبوه أبو بكر فقال له رسول الله (ص) : « أمتعنا بنفسك » ثم أسلم عبد الرحمن بعد ذلك فى الهدنة ، وهاجر قبل الفتح ، ورزقه رسول الله (ص) من خيبر كل سنة أربعين وسقاً ، وكان من سادات المسلمين ، وهو الذى دخل على رسول الله (ص) يوم مات وعائشة مسندته إلى صدرها ، ومع عبد الرحمن سواك رطب فأخذه ببصره ، فأخذت عائشة ذلك السواك فقضمته وطيبته ، ثم دفعته إلى

رسول الله ص. فاستن به أحسن استنان ثم قال : « اللهم فى الرفيق الأعلا » . ثم قضى . قالت : فجمع الله بين ريقى وريقه ، ومات بين سحرى ونحرى ، فى بيتى ويومى لم أظلم فيه أحداً .

وقد شهد عبد الرحمن فتح اليمامة وقتل يومئذ سبعة ، وهو الذى قتل محكم بن الطفيل صديق مسيلمة على باطله – كان محكم واقفاً فى ثلمة حائط فرماه عبد الرحمن فسقط محكم ، فدخل المسلمون من الثلمة فخلصوا إلى مسيلمة فقتلوه . وقد شهد فتح الشام ، وكان معظماً بين أهل الاسلام ونفل ليلى بنت الجودى ملك عرب الشام ، نفله إياها خالد بن الوليد عن أمر عمر بن الخطاب كما سنذكره مفصلا . وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : حدثنى عبد الرحمن بن أبى بكر – ولم يجرب عليه كذبة قط – ذكر عنه حكاية أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة ، قال عبد الرحمن لمروان : جعلتموها والله هرقلية وكسروية – يعنى جعلتم ملك الملك لمن بعده من ولده – فقال له مروان : اسكت فانك أنت الذى أنزل الله فيك [والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانى أن أخرج] فقالت عائشة : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن ، إلا أنه أنزل عذرى ، وروى أنها بعثت إلى مروان تعتبه وتؤنبه وتخبره بخبر فيه ذم له ولأبيه لايصح عنها ، قال الزبير ابن بكار : حدثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه عن جده . قال : بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبى بكر بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية ، فردها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها ، وقال : أبيع دينى بدنياى ؟ وخرج إلى مكة فمات بها . وقال أبو زرعة الدمشقى : ثنا أبو مسهر ثنا مالك قال : توفى عبد الرحمن بن أبى بكر فى نومة نامها . ورواه أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد فذكره وزاد : فأعتقت عنه عائشة رقابا . ورواه الثورى عن يحيى بن سعيد عن القاسم فذكره . ولما توفى كانت وفاته بمكان يقال له الحبشى – على ستة أميال من مكة ، وقيل اثنى عشر ميلا – فحمله الرجال على أعناقهم حتى دفن بأعلا مكة ، فلما قدمت عائشة مكة زارته وقالت : أما والله لوشهدتك لم أبك عليك ، ولوكنت عندك لم أنقلك من موضعك الذى مت فيه ، ثم تمثلت بشعر متمم بن نويرة فى أخيه مالك : –

وكنا كندمانى جذيمة برهةً * منَ الدهر حتى قيلَ لنْ يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكٍ * لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

رواه الترمذى وغيره . وروى ابن سعد أن ابن عمر مرة رأى فسطاطا مضروبا على قبر عبد الرحمن – ضربته عائشة بعد ما ارتحلت – فأمر ابن عمر بنزعه وقال : إنما يظله عمله . وكانت وفاته فى هذا العام فى قول كثير من علماء التاريخ ، ويقال إن عبد الرحمن توفى سنة ثلاث وخمسين قاله الواقدى وكاتبه محمد بن سعد وأبو عبيد وغير واحد ، وقيل سنة أربع وخمسين فالله أعلم .

قصته مع ليلى بنت الجودي ملك عرب الشام

قال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قدم الشام في تجارة ـ يعني في زمان جاهليته ـ فرأى امرأة يقال لها ليلى ابنة الجودي على طنفسة لها وحولها ولائدها فأعجبته ، قال ابن عساكر : رآها بأرض بُصرى فقال فيها :

تذكرتُ ليلى والسماوةَ دونها * فمالَ ابنة الجودى ليلى وماليا

وأنى تعاطى قلبهُ حارثية * تؤمنُ بصرى أوتحلُ الحوابيا

وإنى بلا قيها بلى ولعلها * إن الناسُ حجوا قابلا أن توافيا

قال : فلما بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال للأمير على الجيش : إن ظفرت بليلى بنت الجودى عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فظفر بها فدفعها إليه فأعجب بها وآثرها على نسائه حتى جعلن يشكونها إلى عائشة ، فعاتبته عائشة على ذلك ، فقال : والله كأني أرشف بأنيابها حب الرمان ، فأصابها وجع سقط له فوها فجفاها حتى شكته إلى عائشة ، فقالت له عائشة : ياعبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت ، وأبغضتها فأفرطت ، فاما أن تنصفها وإما أن تجهزها إلى أهلها . قال الزبيرى : وحدثني عبد الله بن نافع عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : إن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودى حين فتح دمشق ، وكانت ابنة ملك دمشق ـ يعني ابنة ملك العرب الذين حول دمشق ـ والله أعلم .

عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب

القرشي الهاشمي ابن عم النبي ﷺ ، وكان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ، وأمها أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، وكان عبيد الله كريما جميلا وسيما يشبه أباه في الجمال ، روينا أن رسول الله ﷺ « كان يَصفُّ عبد الله وعبيد الله وكثيراً صفاً ويقول : من سبق إلىَّ فله كذا ، فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم » . وقد استنابه على بن أبي طالب في أيام خلافته على اليمن . وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين ؛ فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويزيد بن شجرة الرهاوى الذى قدم على الحج من جهة معاوية ، ثم اصطلحا على شيبة بن عثمان الحجبى ، فأقام للناس الحج عامئذ ، ثم لما صارت الشوكة لمعاوية تسلط على عبيد الله بسر بن أبي أرطاة فقتل له ولدين ، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها . وكان يقدم هو وأخوه عبد الله المدينة فيوسعهم عبد الله علما ، ويوسعهم عبيد الله كرما . وقد روى أنه نزل في مسير له مع مولى له على خيمة رجل من الأعراب ، فلما رآه الأعرابى أعظمه وأجله ، ورأى حسنه وشكله ، فقال لامرأته : ويحك ماذا عندك لضيفنا هذا ؟ فقالت : ليس عندنا إلا هذه الشويهة التى حياة ابنتك من لبنها ،

فقال : إنه لابد من ذبحها ، فقالت : أتقتل ابنتك ؟ فقال : وإن ، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحها ويسلخها وهو يقول مرتجزاً :

ياجارتي لا توقظي البنيهْ * إن توقظيها تنتحبْ عليه * وتنزع الشفرة من يديهْ

ثم هيأها طعاماً فوضعها بين يدي عبيد الله ومولاه فعشاهما ، وكان عبيد الله قد سمع محاورته لامرأته في الشاة ، فلما أراد الارتحال قال لمولاه : ويلك ماذا معك من المال ؟ فقال : معي خمسمائة دينار فضلت من نفقتك ، فقال : ادفعها إلى الأعرابي ، فقال : سبحان الله ! تعطيه خمسمائة دينار وإنما ذبح لك شاة واحدة تساوي خمسة دراهم ؟ فقال : ويحك والله لهو أسخى منا وأجود ، لانا إنما أعطيناه بعض ماملك ، وجاد هو علينا بجميع ماملك ، وآثرنا على مهجة نفسه وولده . فبلغ ذلك معاوية فقال : لله در عبيد الله ، من أي بيضة خرج ؟ . ومن أي شيء درج . قال خليفة بن خياط : توفي سنة ثمان وخمسين . وقال غيره : توفي في أيام يزيد بن معاوية ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام : توفي في سنة سبع وثمانين ، وكانت وفاته بالمدينة ، وقيل باليمن ، وله حديث واحد ، قال أحمد : ثنا هشيم ثنا يحيى بن إسحاق عن سليمان بن يسار عن عبيد الله بن عباس قال : جاءت الغميصا ـ أو الرميصا ـ إلى رسول الله (ص) تشكو زوجها تزعم أنه لايصل إليها ، فما كان إلا يسيراً حتى جاء زوجها فزعم أنها كاذبة ، وأنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول ، فقال رسول الله (ص) : « ليس لك ذلك حتى يذوق عسيلتك رجل غيره » وأخرجه النسائي عن علي بن حجرة عن هشيم به . وممن توفي فيها

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق

وزوجة رسول الله (ص) ، وأحب أزواجه إليه ، المبرأة من فوق سبع سموات رضي الله عنها ، وعن أبيها . وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ، تكنى عائشة بأم عبد الله ، قيل كناها بذلك رسول الله (ص) وسلم بابن أختها عبد الله بن الزبير ، وقيل إنها أسقطت من رسول الله (ص) سقطا فسماه عبد الله ، ولم يتزوج رسول الله (ص) بكراً غيرها ، ولم ينزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها ، ولم يكن في أزواجه أحب إليه منها ، تزوجها بمكة بعد وفاة خديجة ، وقد أتاه الملك بها في المنام في سرقة من حريرة ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقول : هذه زوجتك . قال : « فأكشف عنك فاذا هي أنت ، فأقول ، إن يكن هذا من عند الله يمضه ، فخطبها من أبيها فقال : يارسول الله أو تحل لك ؟ قال : نعم ! قال : أو لست أخوك ؟ قال : بلى في الأسلام ، وهي لي حلال ، فتزوجها رسول الله (ص) فضيت عنده » . وقد قدمنا ذلك في أول السيرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين ، وقيل بسنة ونصف ، وقيل بثلاث سنين ، وكان عمرها إذ ذاك ست سنين ثم دخل بها وهي بنت تسع سنين بعد بدر ، في شوال من سنة ثنتين من الهجرة فأحبها . ولما تكلم فيها أهل الافك بالزور

والبهتان ، غار الله لها فأنزل براءتها فى عشر آيات من القرآن تتلى على تعاقب الزمان . وقد ذكرنا ذلك مفصلا فيما سلف ، وشرحنا الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك فى غزوة المريسيع ، وبسطنا ذلك أيضا فى كتاب التفسير بما فيه كفاية ومقنع ، ولله الحمد والمنة . وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها ، واختلفوا فى بقية أمهات المؤمنين ، هل يكفر من قذفهن أم لا ؟ على قولين ، وأصحهما أنه يكفر ، لأن المقذوفة زوجة رسول الله (ص) ، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله (ص) ، فهى وغيرها منهن سواء . ومن خصائصها رضى الله عنها أنها كان لها فى القسم يومان يومها ويوم سودة حين وهبتها ذلك تقربا إلى رسول الله (ص) ، وأنه مات فى يومها وفى بيتها وبين سحرها ونحرها ، وجمع الله بين ريقه وريقها فى آخر ساعة من ساعاته فى الدنيا ، وأول ساعة من الآخرة ، ودفن فى بيتها . وقد قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن إسماعيل عن مصعب بن إسحاق ابن طلحة عن عائشة عن النبى (ص) قال : « إنه ليهون على أنى رأيت بياض كف عائشة فى الجنة » تفرد به أحمد . وهذا فى غاية مايكون من المحبة العظيمة أنه يرتاح لأنه رأى بياض كفها أمامه فى الجنة . ومن خصائصها أنها أعلم نساء النبى (ص) ، بل هى أعلم النساء على الاطلاق . قال الزهرى : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . وقال عطاء بن ابى رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيا فى العامة . وقال عروة : مارأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة ، ولم ترو امرأة ولا رجل غير أبى هريرة عن رسول الله (ص) من الأحاديث بقدر روايتها رضى الله عنها ، وقال أبو موسى الأشعرى : « ما أشكل علينا أصحاب محمد حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً » . رواه الترمذى ، وقال أبو الضحى عن مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض . فأما مايلهج به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث : « خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء » فانه ليس له أصل ولا هو مثبت فى شئ من أصول الاسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزى فقال : لا أصل له . ثم لم يكن فى النساء أعلم من تلميذاتها عمرة بنت عبد الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة . وقد تفردت أم المؤمنين عائشة بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها ، وانفردت باختيارات أيضا وردت أخبار بخلافها بنوع من التأويل . وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة ، فمن ذلك قال الشعبى : كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال : حدثتنى الصديقة بنت الصديق ، حبيبة رسول الله المبرأة من فوق سبع سموات . وثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى عثمان النهدى عن عمرو بن العاص . قال : « قلت يارسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : ومن الرجال ؟ قال : أبوها » وفى صحيح البخارى أيضا عن أبى موسى قال قال رسول الله (ص) : « كمل

من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استدل كثير من العلماء ممن ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة بهذا الحديث ، قال : فانه دخل فيه سائر النساء الثلاث المذكورات وغيرهن ، ويعضد ذلك أيضا الحديث الذى رواه البخارى : حدثنا إسماعيل بن خليل ثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت : « استأذنت هالة بنت خويلد ـ أخت خديجة ـ على رسول الله (ص.) فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك ، فقال : اللهم هالة ، قالت عائشة : فغرت وقلت : ماتذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت فى الدهر الأول ؟ قد أبدلك الله خيراً منها ؟ » هكذا رواه البخارى ، فأما ما يروى فيه من الزيادة : « والله ما أبدلنى خيراً منها » فليس يصح سندها . وقد ذكرنا ذلك مطولا عند وفاة خديجة ، وذكرنا حجة من ذهب إلى تفضيلها على عائشة بما أغنى عن إعادته ههنا . وروى البخارى عن عائشة أن النبى (ص.) قال يوماً : « ياعائش هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا أرى » وثبت فى صحيح البخارى أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، فاجتمع أزواجه إلى أم سلمة وقلن لها : قولى له يأمر الناس أن يهدوا له حيث كان ، فقالت أم سلمة : فلما دخل علىّ قلت له ذلك فأعرض عنى ، ثم قلن لها ذلك فقالت له فأعرض عنها ، ثم لما دار إليها قالت له فقال يا أم سلمة لاتؤذينى فى عائشة ، فانه والله مانزل علىّ الوحى فى بيت وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها ، وذكر أنهن بعثن فاطمة ابنته إليه فقالت : « إن نساءك ينشدونك العدل فى ابنة أبى بكر بن أبى قحافة ، فقال : يابنية ألا تحبين من أحب ؟ قالت : قلت بلى ! قال : فأحبى هذه » . ثم بعثن زينب بنت جحش فدخلت على رسول الله (ص.) وعنده عائشة فتكلمت زينب ونالت من عائشة ، فانتصرت عائشة منها وكلمتها حتى أفحمتها ، فجعل رسول الله (ص.) ينظر إلى عائشة ويقول : « إنها ابنة أبى بكر » . وذكرنا أن عماراً لما جاء يستصرخ الناس ويستنفرهم إلى قتال طلحة والزبير أيام الجمل ، صعد هو والحسن بن علىّ على منبر الكوفة ، فسمع عمار رجلا ينال من عائشة فقال له : اسكت مقبوحا منبوذا ، والله إنها لزوجة رسول الله (ص.) فى الدنيا وفى الآخرة ، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أو إياها . وقال الأمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة ثنا عبد الله بن خثيم حدثنى عبد الله بن أبى مليكة أنه حدثه ذكوان ـ حاجب عائشة ـ أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فجئت ـ وعند رأسها عبد الله بن أخيها عبد الرحمن ـ فقلت : هذا ابن عباس يستأذن ، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن ـ وهى تموت ـ فقالت : دعنى من ابن عباس ، فقال : يا أماه ! ! إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك

ويودعك ، فقالت : ائذن له إن شئت ، قال فأدخلته ، فلما جلس قال : أبشرى فقالت : علاما ؟ فقال : مابينك وبين أن تلقى محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، وكنت أحب نساء رسول الله (ص) إليه ، ولم يكن رسول الله (ص) يحب إلا طيباً ، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله (ص) وأصبح الناس وليس معهم ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فكان ذلك فى سببك ، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار ، فقالت : دعنى منك يابن عباس ، والذى نفسى بيده لوددت أنى كنت نسياً منسياً . والأحاديث فى فضائلها ومناقبها كثيرة جداً . وقد كانت وفاتها فى هذا العام سنة ثمان وخمسين ، وقيل قبله بسنة ، وقيل بعده بسنة ، والمشهور فى رمضان منه وقيل فى شوال ، والأشهر ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان ، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً ، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر ، ونزل فى قبرها خمسة ، وهم عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام ، من أختها أسماء بنت أبى بكر ، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبى بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة ، لانه توفى رسول الله (ص) وعمرها ثمان عشرة سنة ، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع سنين ، فالله أعلم ورضى الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

فيها شتى عمرو بن مرة الجهنى فى أرض الروم فى البر ، قاله الواقدى ، ولم يكن فيها غزو فى البحر ، وقال غيره : بل غزا فى البحر عامئذ جنادة بن أبى أمية . وفيها عزل معاوية ابن أم الحكم عن الكوفة لسوء سيرته فيهم ، وولى عليهم النعمان بن بشير . وفيها ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد ولاية خراسان وعزل عنها سعيد بن عثمان بن عفان ، فصار عبيد الله على البصرة ، وأخوه عبد الرحمن هذا على خراسان ، وعباد بن زياد على سجستان ، ولم يزل عبد الرحمن عليها والياً إلى زمن يزيد ، فقدم عليه بعد مقتل الحسين فقال له : كم قدمت به من هذا المال ؟ قال : عشرون ألف ألف ، فقال له : إن شئت حاسبناك ، وإن شئت سوغنا كها وعزلناك عنها ، على أن تعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ، قال : بل سوغها ، وأما عبد الله بن جعفر فأعطيه ماقلت ومثلها معها ، فعزله وولى غيره ، وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من جهة أمير المؤمنين ، وخمسمائة ألف من قبلى . وفى هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه أشراف أهل البصرة والعراق ، فاستأذن لهم عبد الله عليه على منازلهم منه ، وكان آخر من أدخله على معاوية الأحنف بن قيس ، ـ ولم يكن عبيد الله يجله ـ فلما رأى معاوية الأحنف رحب به

وعظمه وأجله وأجلسه معه على السرير، ورفع منزلته، ثم تكلم القوم فأثنوا على عبيد الله والأحنف ساكت، فقال له معاوية: مالك يا أبا بحر لاتتكلم؟ فقال له: إن تكلمت خالفت القوم، فقال معاوية: انهضوا فقد عزلته عنكم فاطلبوا والياً ترضونه، فمكثوا أياماً يترددون إلى أشراف بنى أمية يسألون كل واحد أن يتولى عليهم فلم يقبل أحدٌ منهم ذلك، ثم جمعهم معاوية فقال: من اخترتم؟ فاختلفوا عليه، والأحنف ساكت، فقال له معاوية: مالك لاتتكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد غير أهل بيتك فرأيك فقال معاوية: قد أعدته إليكم. وقال ابن جرير: قال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن وليت علينا من أهل بيتك فانا لانعدل بعبيد الله بن زياد أحداً، وإن وليت علينا من غيرهم فانظر لنا فى ذلك. فقال معاوية: قد أعدته إليكم. ثم إن معاوية أوصى عبيد الله ابن زياد بالأحنف خيراً، وقبح رأيه فيه وفى مباعدته، فكان الأحنف بعد ذلك أخص أصحاب عبيد الله، ولما وقعت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف بن قيس، والله أعلم.

قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري مع ابني زياد عبيد الله وعباد

ذكر ابن جرير عن أبى عبيدة معمر بن المثنى وغيره أن هذا الرجل كان شاعراً، وكان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب الترك، وضاق على الناس علف الدواب، فقال ابن مفرغ شعراً يهجو به ابن زياد على ما كان منه فقال: ــ

ألا ليتَ اللحى كانت حشيشاً * فنعلفها خيولَ المسلمينا

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جداً، فبلغه ذلك فغضب وتطلبه فهرب منه وقال فيه قصائد يهجوه بها كثيرة فمن ذلك قوله: ــ

إذا أودى معاويةُ بنُ حربٍ * فبشرْ شعبَ قعبكَ بانصداعِ
فأشهدُ أنّ أمكَ لم تباشرْ * أبا سفيانَ واضعةَ القناعِ
ولكنْ كانَ أمراً فيه لبسٌ * على خوفٍ شديدٍ وارتياعِ

وقال أيضاً: ــ

الا أبلغْ معاويةَ بنَ حربٍ * مغلغلةً منَ الرجلِ اليماني
أتغضبُ أنْ يقالَ أبوكَ عفٌ * وترضى أنْ يقالَ أبوكَ زاني
فأشهدُ أنّ رحمكَ منْ زيادٍ * كرحمِ الفيلِ منْ ولدِ الأتانِ

فكتب عباد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات، فقرأها عبيد الله على معاوية واستأذنه فى قتله، فقال: لاتقتله، ولكن أدبه ولاتبلغ به القتل، فلما رجع عبيد الله إلى البصرة استحضره وكان قد استجار بوالد زوجة عبيد الله بن زياد، وهو المنذر بن الجارود، وكانت

ابنته بحرية عند عبيد الله ، فأجاره وآواه إلى داره ، وجاء الجارود مسلما على عبيد الله ، و بعث عبيد الله الشرط إلى دار المنذر فجاؤا بابن مفرغ فأوقف بين يديه ، فقال المنذر : إنى قد أجرته ، فقال : يمدحك و يمدح أباك فترضى عنه ، و يهجونى ويهجو أبى ثم تجيره على ، ثم أمر عبيد الله بابن مفرغ فسقى دواء مسهلا وحملوه على حمار عليه إكاف وجعلوا يطوفون به فى الأسواق وهو يسلح والناس ينظرون إليه ، ثم أمر به فنفى إلى سجستان إلى عند أخيه عباد ، فقال ابن مفرغ لعبيد الله بن زياد : ــ

يغسل الماء ماصنعت وقولى * راسخ منك فى العظام البوالى

فلما أمر عبيد الله بنفى ابن مفرغ إلى سجستان ، كلم اليمانيون معاوية فى أمر ابن مفرغ ، وأنه إنما بعثه إلى أخيه ليقتله ، فبعث معاوية إلى ابن مفرغ وأحضره ، فلما وقف بين يديه بكى وشكى إلى معاوية ما فعل به ابن زياد ، فقال له معاوية : إنك هجوته ، ألست القائل كذا ؟ ألست القائل كذا ؟ فأنكر أن يكون قال من ذلك شيئاً ، وذكر أن القائل ذلك هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان ، وأحب أن يسندها إلى ، فغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم ومنعه العطاء حتى يرضى عنه عبيد الله بن زياد ، وأنشد ابن مفرغ ماقاله فى الطريق فى معاوية يخاطب راحلته :ــ

عدسْ ما لعبادَ عليكِ إمارةٌ * نجوتِ وهذا تحملينَ طليق

لعمرى لقدْ نجاكِ منْ هوةِ الردى * إمامٌ وحبلٌ للأنامِ وثيقُ

سأشكرُ ما أوليتُ من حسنِ نعمةٍ * ومثلى بشكرِ المنعمينَ حقيقُ

فقال له معاوية : أما لوكنا نحن الذين هجوتنا لم يكن من أذانا شئ يصل إليك ، ولم تتعرض لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ارتكب فىَّ مالم يرتكب مسلم من مسلم على غير حدث ولاجرم ؛ قال : ألست القائل كذا ؟ ألست القائل كذا ؟ فقد عفونا عن جرمك ، أما إنك لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شئ فانظر الآن من تخاطب ومن تشاكل ، فليس كل أحد يحتمل الهجاء ، ولا تعامل أحدا إلا بالحسنى ، وانظر لنفسك أى البلاد أحب إليك تقيم بها حتى نبعثك إليها ، فاختار الموصل فأرسله إليها ، ثم استأذن عبيد الله فى القدوم إلى البصرة والمقام بها فأذن له . ثم إن عبد الرحمن ركب إلى عبيد الله فاسترضاه فرضى عنه وأنشده عبد الرحمن : ــ

لأنتَ زيادةٌ فى آلِ حربٍ * أحبُ إلىّ منْ إحدى بنانى

أراكَ أخاً وعماً وابنَ عمٍّ * فلا أدرى بعيبٍ ما ترانى

فقال له عبيد الله : أراك والله شاعر سوء ، ثم رضى عنه وأعاد إليه ما كان منعه من العطاء .

قال أبو معشر والواقدى : وحج بالناس فى هذه السنة عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، وكان نائب المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ، وقاضيها شريح ، وعلى البصرة

عبيد الله بن زياد، وعلى سجستان عباد بن زياد، وعلى كرمان شريك بن الأعور الحارثى، من قبل عبيد الله بن زياد.

من توفي في هذه السنة من الأعيان

قال ابن الجوزى: توفى فيها أسامة بن زيد، والصحيح قبلها كما تقدم.

الحطيئة الشاعر

واسمه جرول بن مالك بن جرول بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن قطيعة بن عيسى ابن مليكة، الشاعر الملقب بالحطيئة لقصره، أدرك الجاهلية وأسلم فى زمن الصديق، وكان كثير الهجاء حتى يقال إنه هجا أباه وأمه، وخاله وعمه، ونفسه وعرسه، فمما قال فى أمه قوله: —

تنحىْ فاقعدى عنى بعيدا * أراحَ اللهُ منكِ العالمينا
أغرْبالا إذا استودعت سرًا * وكانوناً على المتحدثينا
جزاكِ اللهُ شراً من عجوزٍ * ولقاكِ العقوقَ من البنينا

وقال فى أبيه وعمه وخاله: —

لحاكَ اللهُ ثمَّ لحاكَ حقاً * أباً ولحاكَ من عمٍ وخالِ
فنعمَ الشيخُ أنتَ لدى المخازى * وبئسَ الشيخُ أنتَ لدى المعالى

ومما قال فى نفسه يذمها: —

أبتْ شفتاىَ اليومَ أنْ تتكلما * بشرٍ فما أدرى لمنْ أنا قائلهْ ؟
أرى لىَ وجهاً شوّهَ اللهُ خلقهُ * فقبحَ من وجهٍ وقبحَ حاملهْ

وقد شكاه الناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأحضره وحبسه، وكان سبب ذلك أن الزبرقان ابن بدر شكاه لعمر أنه قال له يهجوه: —

دعْ المكارمَ لاترحلْ لبغيتها * واقعدْ فانكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى

فقال له عمر: ماأراه هجاك، أماترضى أن تكون طاعما كاسيا؟ فقال: ياأمير المؤمنين إنه لا يكون هجاء أشد من هذا، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين ماهجاه ولكن سلح عليه، فعند ذلك حبسه عمر وقال: ياخبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، ثم شفع فيه عمرو بن العاص فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لايهجو الناس واستتابه، ويقال إنه أراد أن يقطع لسانه فشفعوا فيه حتى أطلقه، وقال الزبير بن بكار: حدثنى محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامى عن عبد الله بن مصعب حدثنى عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أمر عمر باخراج الحطيئة من الحبس وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره، فأخرج وأنا حاضر فأنشأ يقول: —

ماذا تقولُ لافراخٍ بذى مرخ * زغبِ الحواصلِ لاماءٌ ولا شجرُ
غادرتَ كاسبهمْ فى قعرِ مظلمةٍ * فارحمْ هداكَ مليكُ الناسِ ياعمرُ
أنتَ الامامُ الذى من بعدِ صاحبهِ * ألقى إليكَ مقاليدَ النهى البشرُ
لم يؤثروكَ بها إذْ قدموكَ لها * لكنْ لأنفسهمْ كانتْ بكَ الأثرُ
فامننْ على صبيةٍ بالرملِ مسكنهمْ * بينَ الأباطحِ يغشاهمْ بها القدرُ
نفسى فداؤكَ كمْ بينى و بينهمُ * منْ عرضِ وادية يعمى بها الخبرُ

قال : فلما قال الحطيئة : ماذا تقول الافراخ بذى مرخ ، بكى عمر ، فقال عمرو بن العاص : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكى على تركه الحطيئة . ثم ذكروا أنه أراد قطع لسان الحطيئة لئلا يهجو به الناس فأجلسه على كرسى وجئ بالموسى ، فقال الناس : لايعود يا أمير المؤمنين وأشاروا إليه قل : لاأعود ، فقال له عمر النجا ، فلما ولى قال له عمر : ارجع ياحطيئة ، فرجع فقال له : كأنى بك عند شاب من قريش قد كسر لك نمرقة ، و بسط لك أخرى ، وقال : ياحطيئة غننا ، فاندفعت تغنيه بأعراض الناس ، قال أسلم : فرأيت الحطيئة بعد ذلك عند عبيد الله ابن عمر وقد كسر له نمرقة و بسط له أخرى ، وقال : ياحطيئة غننا فاندفع حطيئة يغنى ، فقلت له : ياحطيئة أتذكر يوم عمر حين قال لك ماقال ؟ ففزع وقال : رحم الله ذلك المرء ، لوكان حياً مافعلنا هذا ، فقلت لعبيد الله : إنى سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل ، وقال الزبير : حدثنى محمد بن الضحاك عن أبيه قال قال عمر للحطية : دع قول الشعر . قال لا أستطيع ، قال : لم ؟ قال : هو مأكلة عيالى ، وعلة لسانى ، قال : فدع المدحة المجحفة ، قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال تقول بنو فلان أفضل من بنى فلان ، امدح ولا تفضل ، فقال : أنت أشعر منى يا أمير المؤمنين . ومن مديحه الجيد المشهور قوله :

أقلوا عليهمْ لا أباً لأبيكمُ * من اللومِ أوسدّوا المكانَ الذى سدّوا
أولئكَ قومى إن بنوا أحسنوا البنا * و إنْ عاهدوا أوفوا و إنْ عقدوا شدوا
وإنْ كانتِ النعماءُ فيهم جزوْا بها * و إنْ نعموا لا كدروها ولا كدّوا

قالوا : ولما احتضر الحطيئة قيل له أوص قال أوصيكم بالشعر ، ثم قال :

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سلمهُ * إذا ارتقى فيهِ الذى لا يعلمهْ
زلتْ بهِ إلى الحضيضِ قدمهُ * والشعرُ لايستطيعهُ من يظلمهُ
أرادَ أنْ يعربهُ فأعجمهُ

قال أبو الفرج ابن الجوزى فى المنتظم : توفى الحطيئة فى هذه السنة ، وذكر أيضا فيها وفاة

عبد الله بن عامر بن كريز ، وقد تقدم فى التى قبلها .

عبد الله بن مالك بن القشب

واسمه جندب بن نضلة بن عبد الله بن رافع الأزدى ، أبو محمد حليف بنى عبد المطلب ، المعروف بابن بحينة ، وهى أمه بحينة بنت الأرت ، واسمه الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أسلم قديما ، وصحب رسول الله (ص) ، وكان ناسكا قواما صواما ، وكان ممن يسرد صوم الدهر كله ، قال ابن سعد : كان ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة ، ومات فى عمل مروان فى المرة الثانية ، مابين سنة أربع وخمسين إلى ثمان وخمسين ، والعجب أن ابن الجوزى نقل من كلام محمد بن سعد ، ثم إنه ذكر وفاته فى هذه السنة ــ يعنى سنة تسع وخمسين فالله أعلم

قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي

صحابى جليل كأبيه ، له فى الصحيحين حديث ، وهو القيام للجنازة ، وله فى المسند حديث فى صوم عاشوراء ، وحديث غسل رسول الله (ص) فى دارهم وغير ذلك ، وخدم رسول الله (ص) عشر سنين ، وثبت فى صحيح البخارى عن أنس قال : كان قيس بن سعد من النبى (ص) ، بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . وحمل لواء رسول الله (ص) فى بعض الغزوات ، واستعمله على الصدقة ، ولما بعث رسول الله (ص) أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سيف البحر فأكلوا منها ، وأقاموا عليها شهراً حتى سمنوا ، وكان قيس سيداً مطاعاً كريما ممدحاً شجاعاً ، ولاه على نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله [على] عن مصر وولى عليها محمد بن أبى بكر الصديق ، فاستخفه معاوية ، ولم يزل حتى أخذ منه مصر كما قدمنا . وأقام قيس عند على فشهد معه صفين والنهروان ولزمه حتى قتل ثم صار إلى المدينة ، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه ليبايعه كما بايعه أصحابه ، قال عبد الرزاق عن ابن عيينة قال قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية : وأنت ياقيس تلجم على مع من ألجم ؟ أما والله لقد كنت أحب أن لاتأتينى هذا اليوم إلا وقد ظفر بك ظفر من أظافرى موجع ، فقال له قيس : وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم فى هذا المقام فأحييك بهذه التحية ، فقال له معاوية : ولم ؟ وهل أنت إلا حبر من أحبار اليهود ؟ فقال له قيس : وأنت يامعاوية كنت صنما من أصنام الجاهلية ، دخلت فى الأسلام كارها ، وخرجت منه طائعاً ، فقال معاوية : اللهم غفرا ، مديدك ، فقال له قيس بن سعد : إن شئت . زدت وزدت . وقال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلة فأر بيتى ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية ! ! املأوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال غـيره : كانت له صحفة يدار بها حيث دار ، وكان ينادى له مناد : هلموا إلى اللحم والثريد . وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله ، وقال عروة بن الزبير : باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فنادى مناديه : من أراد القرض فليأت ، فأقرض منها خمسين ألفاً وأطلق الباقى ، ثم مرض بعد ذلك فقل عواده ، فقال لزوجته - قريبة بنت أبى عتيق أخت أبى بكر الصديق - إنى أرى قلة من عادنى فى مرضى هـذا ، وإنى لأرى ذلك من أجل مالى على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل ممن كان له عليـه دين بصكه المكتوب عليه ، فوهبهم ماله عليهم ، وقيل : إنه أمر مناديه فنادى : من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه فى حل ، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد ، وكان يقول : اللهم ارزقنى مالا وفعالا ، فانه لا يصلح الفعال إلا بالمال . وقال سفيان الثورى : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً فلما جاء ليوفيه إياها قال له قيس : إنا قوم ما أعطينا أحداً شيئا فنرجع فيـه . وقال الهيثم بن عدى : اختلف ثلاثة عند الكعبة فى أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس بن سعد ، وقال الآخر : عرابة الأوسى ، فتماروا فى ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذى يزعم أنه أكرم من غيره ، فلينظر ما يعطيه وليحكم عـلى العيان . فذهب صاحب عبـد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله فى الغرز ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا ابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فأخرج رجله من الغرز وقال : ضع رجلك واستو عليها فهى لك بما عليها ، وخذ ما فى الحقيبة ولا تخدعن عن السيف فانه من سيوف على ، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا فى الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف من خز وغير ذلك ، وأجل ذلك سيف على بن أبى طالب . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائما ، فقالت له الجارية : ما حاجتك إليه ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : فحاجتك أيسر من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس مال غـيره اليوم ، واذهب إلى مولانا فى معاطن الإبل فخذ لك ناقة وعبدا ، واذهب راشدا . فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك ، وقال: هلا أيقظتنى حتى أعطيه ما يكفيه أبداً ، فلعل الذى أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عرابة الأوسى إليـه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبدين له - وكان قد كف بصره - فقال له : يا عرابة ، فقال : قل ، فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فخلى عن العبدين ثم صفق بيديه ، باليمنى على اليسرى ، ثم قال أوه أوه ، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئا ، ولـكن خـذ هذين العبدين ، قال : ما كنت لأفعل ، فقال : إن لم تأخذهما فهما حران ، فان شئت فأعتق ، وإن شئت فخذ . وأقبل يلتمس الحائط بيده ، قال : فأخذهما وجاء

بهما إلى صاحبيه ، قال فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأن ذلك ليس بمستنكر له ، إلا أن السيف أجلها . وأن قيسا أحد الأجواد حكم مملوكته فى ماله بغير علمه واستحسن فعلها وعتقها شكرا لها على مافعلت ، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسى ، لأنه جاد بجميع ما يملكه ، وذلك جهد من مقل . وقال سفيان الثورى عن عمرو عن أبى صالح قال : قسم سعد بن عبادة ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فمات بها ، فولد له ولد بعد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس ابن سعد فقالا : إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذ كان حملا ، فاقسموا له معكم ، فقال قيس : إنى لا أغير مافعله سعد ولكن نصيبى له . ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد ابن سيرين فذكره . ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرنى عطاء فذكره . وقال ابن أبى خيثمة : ثنا أبو نعيم ثنا مسعر عن معبد بن خالد . قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعا أصبعه المسبحة ـ يعنى يدعو ـ وقال هشام بن عمار : ثنا الجراح بن مليح ثنا أبو رافع عن قيس بن سعد . قال : لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المكر والخديعة فى النار » : لكنت من أمكر هذه الأمة . وقال الزهرى : دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن بديل وكانا مع على ، وكان المغيرة معتزلا بالطائف حتى حكم الحكمان فصارا إلى معاوية . وقد تقدم أن محمد بن أبى حذيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، نائب عثمان بعد عمرو بن العاص ، فأقره عليها على مدة يسيرة ثم عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فثقل أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتباه ليكون معهما على على فامتنع وأظهر للناس مناصحته لهما ، وفى الباطن هو مع على ، فبلغ ذلك عليا فعزله وبعث إلى مصر الأشتر النخعى فمات الأشتر فى الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث على محمد بن أبى بكر فخف أمره على معاويه وعمرو ، فلم يزالا حتى أخذا منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبى بكر هذا وأحرق فى جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ، ثم سار إلى على بن أبى طالب إلى العراق : فكان معه فى حروبه حتى قتل على ، ثم كان مع الحسن ابن على حين سار إلى معاوية ليقاتله ، وكان قيس على مقدمه الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيسا ذلك وما أحبه ، وامتنع من طاعته معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية فى وفد من الأنصار فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما ، وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية وقدمه وحظى عنده ، فبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن ابعث إلى بسراويل أطول رجل فى العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلا قد احتجنا إلا سراويلك ؟ ـ وكان قيس مديد القامة جدا لا يصل أطول الرجال إلى صدره ـ فقام قيس فتنحى ثم حلم سراويله

فألقاها إلى معاوية فقال له معاوية : لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا ، فأنشأ قيس يقول عند ذلك :ــ

أردتُ بها كى يعلم الناسُ أنها * سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ
وأنْ لايقولوا غابَ قيسٌ وهذهِ * سراويلُ عادى نمته ثمودُ
وإنى منَ الحىِّ اليمانى لسيدٌ * وما الناسُ إلاّ سيدٌ ومسودُ
فكدهمْ بمثلى إنّ مثلى عليهمُ * شديدٌ وخلقى فى الرجالِ مديدُ
وفضلنى فى الناسِ أصلٌ ووالدٌ * وباعٌ به أعلو الرجالَ مديدُ

قال : فأمر معاوية أطول رجل فى الوفد فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض ، وفى رواية أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم ، والآخر أطول الروم فانظر هل فى قومك من يفوقهما فى قوة هذا وطول هذا ؟ فان كان فى قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا ، ومن التحف كذا وكذا ، وإن لم يكن فى جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادنى ثلاث سنين . فلما حضرا عند معاوية قال : من لهذا القوى ؟ فقالوا : ماله إلا أحد رجلين ، إما محمد بن الحنفية ، أوعبد الله بن الزبير ، فجئ بمحمد بن الحنفية وهو ابن على بن أبى طالب ، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيم أرسلت إليك ؟ قال : لا ! فذكر له أمر الرومى وشدة بأسه ، فقال للرومى : إما أن تجلس لى أو أجلس إليك وتناولنى يدك أو أناولك يدى ؛ فأينا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه ، وإلا فقد غلب . فقال له : ماذا تريد تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومى : بل اجلس أنت ، فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومى يده فاجتهد الرومى بكل مايقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلا ؛ فغلب الرومى : عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب ، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومى اجلس لى ، فجلس وأعطى محمداً يده فما أمهله أن أقامه سريعاً ، ورفعه فى الهواء ثم ألقاه على الأرض فسر بذلك معاوية سروراً عظيما ، ونهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاها لذلك الرومى الطويل فلبسها فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخط بالأرض ، فاعترف الرومى بالغلب ، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية ، وعاتب الأنصار قيس بن سعد فى خلعه سراويله بحضرة الناس فقال : ذلك الشعر المتقدم معتذراً به إليهم ، وليكون ذلك ألزم للحجة التى تقوم على الروم ، وأقطع لما حاولوه . ورواه الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلا ضخما جسيما صغير الرأس لهلحية فى ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالى خطت رجلاه بالأرض ، وقال الواقدى وخليفة بن خياط وغير واحد : توفى بالمدينة فى آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزى وفاته فى هذه السنة ، فتبعناه فى ذلك .

معقل بن يسار المزني

صحابي جليل ، شهد الحديبية ، وكان هو الذى كان يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله (ص) وهو يبايع الناس تحتها ، وكانت من السمر ، وهى المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وقد ولاه عمر إمرة البصرة فحفر بها النهر المنسوب إليه ، فيقال نهر معقل ، وله بها دار ، قال الحسن البصرى : دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له معقل : إنى محدثك حديثا سمعته من رسول الله (ص) ، لولم أكن على حالتى هذه لم أحدثك به ، سمعته يقول : « من استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » . وممن توفى فى هذه السنة

ابو هريرة الدوسي رضي الله عنه

وقد اختلف فى اسمه فى الجاهلية والاسلام ، واسم أبيه على أقوال متعددة ، وقد بسطنا أكثرها فى كتابنا التكميل ، وقد بسط ذلك ابن عساكر فى تاريخه ، والأشهر أن اسمه عبد الرحمن بن صخر وهو من الأزد ، ثم من دوس . ويقال : كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس ؛ وقيل عبد نهم ، وقيل عبد غنم ، ويكنى بأبى الأسود ، فسماه رسول الله (ص) عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وكناه بأبى هريرة ، وروى عنه أنه قال : وجدت هريرة وحشية فأخذت أولادها فقال لى أبى : ماهذه فى حجرك ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة . وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) قال له : « أبا هر » وثبت أنه قال له : « يا أبا هريرة » قال محمد بن سعد وابن الكلبى والطبرانى : اسم أمه ميمونة بنت صفيح بن الحارث بن أبى صعب بن هبة بن سعد بن ثعلبة ، أسلمت وماتت مسلمة . وروى أبو هريرة عن رسول الله (ص) الكثير الطيب ، وكان من حفاظ الصحابة ، وروى عن أبى بكر وعمر وأبى بن كعب ، وأسامة بن زيد ، ونضرة بن أبى نضرة ، والفضل بن العباس ، وكعب الأحبار ، وعائشة أم المؤمنين . وحدث عنه خلائق من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم فى التكميل ، كما ذكره شيخنا فى تهذيبه . قال البخارى : روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم . وقال عمرو بن على الفلاس : كان ينزل المدينة وكان إسلامه سنة خيبر : قال الواقدى : وكان بذى الحليفة له دار ، وقال غيره : كان آدم اللون ، بعيد مابين المنكبين ، ذا ضفرتين ، أفرق الثنيتين . وقال أبو داود الطيالسى وغير واحد عن أبى خلدة ، خالد بن دينار عن أبى العالية عن أبى هريرة قال : لما أسلمت قال رسول الله (ص) . « ممن أنت ؟ فقلت : من دوس ، فوضع يده على جبهته وقال : ما كنت أرى أن فى دوس رجلا فيه خير » وقال الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة قال : شهدت مع رسول الله (ص) خيبر ، وروى عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن

إسماعيل عن قيس . قال قال ابو هريرة : جئت يوم خيبر بعد ما فرغوا من القتال . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن أبى مريم ثنا الدراوردى . قال : حدثنى خيثم عن عراك بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة . قال : « خرج رسول الله ﷺ) واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة ، قال أبو هريرة : وقدمت المدينة فهاجروا فصليت الصبح وراء سباع فقرأفى السجدة الأولى سورةمريم ، وفى الثانيـة ويل للمطففين ، قال أبوهريرة : فقلت فى نفسى : ويل لأبى فلان ، لرجل كان بأرض الأزد ـ وكان له مكيالان مكيال يكيل به لنفسه ، ومكيال يبخس به الناس » . وقد ثبت فى صحيح البخارى أنه ضل غلام له فى الليلة التى اجتمع فى صبيحتها برسول الله ﷺ ، وأنه جعل ينشد .

يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت

فلما قدم على رسول الله ﷺ ، قال له : « هذا غلامك » ؟ فقال هو حر لوجه الله عز وجل . وقد لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ بعد إسلامه ، فلم يفارقه فى حضر ولا سفر ، وكان أحرص شىء على سماع الحديث منه ، وتفقه عنه ، وكان يلزمه على شبع بطنه . وقال أبو هريرة ـ وقد تمخط يوماً فى قميص له كتان ـ بخ بخ ، أبو هريرة يتمخط فى الكتان ، لقد رأيتنى أخر فيما بين المنبر والحجر من الجوع ، فيمر المار فيقول : به جنون ومابى إلا الجوع ، والله الذى لا إله إلا هو لقد كنت أعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد كنت أستقرئ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه ، ومابى إلا أن يستتبعنى إلى منزله فيطعمنى شيئا ، وذكر حديث اللبن مع أهل الصفة كما قدمناه فى دلائل النبوة . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ثنا عكرمة بن عامر حدثنى أبو كثير ـ وهو يزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السحيمى الأعمى ـ حدثنى أبو هريرة . قال : والله ما خلق الله مؤمنا يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى ، قلت : وما علمك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إن أمى كانت امرأة مشركة ، وإنى كنت أدعوها إلى الاسلام وكانت تأبى على ، فدعوتها يوماً فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ ، وأنا أبكى ، فقلت : يارسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الاسلام فكانت تأبى على ، وإنى دعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة ، فقال : « اللهم اهد أم أبى هريرة » فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول الله ﷺ لها ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف ، وسمعت خضخضة (خشخشة) وسمعت خشف رجل ـ يعنى وقعها ـ فقالت : يا أبا هريرة كما أنت ، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها أن تلبسه ، وقالت : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : يارسول الله أبشر فقد استجاب الله دعاءك ، قد هدى الله أم أبى هريرة ، وقلت : يارسول الله ادعو الله أن يحببنى وأمى إلى عباده المؤمنين ، فقال :

« اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحببهم إليهما » قال أبو هريرة : فما خلق الله من مؤمن يسمع بى ولا يرانى أو يرى أمى إلا وهو يحبنى . وقد رواه مسلم من حديث عكرمة عن عمار نحوه . وهذا الحديث من دلائل النبوة ، فان أبا هريرة محبب إلى جميع الناس ، وقد شهر الله ذكره بما قدره أن يكون من روايته من إيراد هذا الخبر عنه على رؤوس الناس فى الجوامع المتعددة فى سائر الأقاليم فى الأنصات يوم الجمعة بين يدى الخطبة ، والأمام على المنبر ، وهذا من تقدير الله العزيز العليم ، ومحبة الناس له رضى الله عنه . وقال هشام بن عمار : حدثنا سعيد ثنا عبد الحميد بن جعفر عن المقبرى عن سالم مولى النضرى أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما محمد بشر أغضب كما يغضب البشر وإنى قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه ، فأيما رجل من المسلمين آذيته أو شتمته أو جلدته فاجعلها له قربة بها عندك يوم القيامة » قال أبو هريرة : لقد رفع على رسول الله ﷺ يوماً الدرة ليضربنى بها فلأن يكون ضربنى بها أحب إلىَّ من حمر النعم ، ذلك بأنى أرجو أن أكون مؤمنا وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته ، وقال ابن أبى ذيب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة . قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك حديثا كثيرا فأنساه ، فقال : « ابسط رداءك » فبسطته ، ثم قال : ضمه فضممته فما نسيت حديثا بعد » رواه البخارى . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهرى عن عبد الرحمن الأعرج . قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، والله الموعد إنى كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق فى الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله ﷺ يوماً مجلساً فقال : « من بسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه منى » . فبسطت بردة على حتى قضى مقالته ثم قبضتها إلىَّ فوالذى نفسى بيده مانسيت شيئا سمعته منه بعد ذلك . وقد رواه ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وله طرق أخر عنه . وقد قيل إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة لم ينس منها شيئا ، بدليل أنه نسى بعض الأحاديث كما هو مصرح به فى الصحيح ، حيث نسى حديث « لاعدوى ولا طيرة » مع حديثه « لايورد ممرض على مصح » وقيل : إن هذا كان عاماً فى تلك المقالة وغيرها والله أعلم . وقال الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : « يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن أحداً لايسألنى عن هذا الحديث أول منك ، لما رأيت من حرصك على الناس ، إن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » ورواه البخارى من حديث عمرو ابن أبى عمرو به . وقال ابن أبى ذيب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : « حفظت من

رسول الله (ص) وعاءين فأما أحدهما فبثثته فى الناس ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم » رواه البخارى من حديث ابن أبى ذيب ، و رواه غير واحد عن أبى هريرة ، وهذا الوعاء الذى كان لايتظاهر به هو الفتن والملاحم وما وقع بين الناس من الحروب والقتال ، وما سيقع التى لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه ، وردوا ما أخبر به من الحق ، كما قال : لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتمونى . وقد يتمسك بهذا الحديث طوائف من أهل الاهواء والبدع الباطلة ، والاعمال الفاسدة ، و يسندون ذلك إلى هذا الجراب الذى لم يقله أبو هريرة ، و يعتقدون أن ماهم عليه كان فى هذا الجراب الذى لم يخبر به أبو هريرة ، وما من مبطل مع تضاد أقوالهم إلا وهو يدعى هذا وكلهم يكذبون ، فاذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه بعده ؟ وإنما كان الذى فيه شىء من الفتن والملاحم كما أخبر بها هو وغيره من الصحابة ، مما ذكرناه ومما سنذكره فى كتاب الفتن والملاحم . وقال حماد بن زيد : حدثنا عمرو بن عبيد الأنصارى ثنا أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم أن مروان دعا أبا هريرة وأقعده خلف السرير ، وجعل مروان يسأل وجعلت أكتب عنه ، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به وأقعده من وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا أخر . و روى أبو بكر بن عياش وغيره عن الأعمش عن أبى صالح . قال : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله (ص) ، ولم يكن بأفضلهم . وقال الربيع قال الشافعى : أبوهريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . وقال أبو القاسم البغوى . حدثنا أبو خيثمة ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : تواعد الناس ليلة من الليالى إلى قبة من قباب معاوية فاجتمعوا فيها ، فقام أبو هريرة فحدثهم عن رسول الله (ص) حتى أصبح . وقال سفيان بن عيينة عن معمر عن وهب بن منبه عن أخيه همام بن منبه . قال : سمعت أبا هريرة يقول : مامن أحد من أصحاب رسول الله (ص) أكثر حديثا عنه منى ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب . وقال أبو زرعة الدمشقى : حدثنى محمد بن زرعة الرعينى ثنا مروان بن محمد ثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله (ص) ، و لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة . قال أبو زرعة ، وسمعت أبا مسهر يذكره عن سعيد بن عبد العزيز نحوا منه ولم يسنده ، وهذا محمول من عمر على أنه خشى من الأحاديث التى قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلمون على مافيها من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع فى أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك . وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك فى التحديث ، فقال مسدد :

حدثنا خالد الطحان ثنا يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبى هريرة . قال : بلغ عمر حديثى فأرسل إلى فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله ص في بيت فلان ؟ قال قلت : نعم ! وقد علمت لم تسألنى عن ذلك ؟ قال : ولم سألتك ؟ قلت : إن رسول الله ص قال يومئذ « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » قال : أما إذاً فاذهب فحدث . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا عبد الواحد - يعنى ابن زياد - ثنا عاصم بن كليب حدثنى أبى . قال : سمعت أبا هريرة يقول - وكان يبتدئ حديثه بان يقول : قال رسول الله ص ، الصادق المصدوق : « من كذب عليّ عامداً فليتبوأ مقعده من النار » . وروى مثله من وجه آخر عنه. وقال ابن وهب : حدثنى يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان . أن أبا هريرة كان يقول : إنى لاحدث أحاديث لو تكلمت بها فى زمان عمر أو عند عمر لشج رأسى . وقال صالح بن أبى الاخضر عن الزهرى عن أبى سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله ص ، حتى قبض عمر ، وقال محمد بن يحيى الذهلى ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى . قال قال عمر : أقلوا الرواية عن رسول الله ص إلا فيما يعمل به . قال ثم يقول أبو هريرة : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حى ؟ أما والله إذا لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهرى ، [فان عمر كان يقول ، اشتغلوا بالقرآن فان القرآن كلام الله ، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتى قوماً لهم فى مساجدهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فدعهم على ماهم عليه ، ولا تشغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك فى ذلك . هذا معروف عن عمر رضى الله عنه] وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر . أنه مر بأبى هريرة وهو يحدث عن النبى ص أنه قال : من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط ، فان شهد دفنها فله قيراطان ، القيراط أعظم من أحد » . فقال له ابن عمر : أبا هِرّ انظر ماتحدث عن رسول الله ص . فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين أنشدك بالله أسمعت رسول الله ص يقول : « من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فان شهد دفنها فله قيراطان » ؟ فقالت : اللهم نعم . فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلنى عن رسول الله ص غرس بالوادى وصفق بالأسواق ، إنى إنما كنت أطلب من رسول الله ص كلمة يعلمنيها ، أو أكلة يطعمنيها ، فقال له ابن عمر : أنت يا أبا هر كنت ألزمنا رسول الله ص ، وأعلمنا بحديثه . وقال الواقدى : حدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه . قال : كنت مع ابن عمر فى جنازة أبى هريرة وهو يمشى أمامها ويكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله ص على المسلمين . وقد روى أن عائشة تأولت أحاديث كثيرة من أبى هريرة ووهمته فى بعضها ، وفى الصحيح أنها عابت عليه سرد الحديث ، أى الاكثار منه فى

الساعة الواحدة . وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا بشر بن الوليد الكندى ثنا إسحاق بن سعد عن سعيد أن عائشة قالت لأبى هريرة : أكثرت الحديث عن رسول الله (ص) يا أبا هريرة ، قال : إى والله ما كانت تشغلنى عنه المكحلة والخضاب ، ولكن أرى ذلك شغلك عما استكثرت من حديثى . قالت : لعله . وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم الشامى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع أن رجلا من قريش أتى أبا هريرة فى حلة وهو يتبختر فيها ، فقال : يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله (ص) ، فهل سمعته يقول فى حلتى هذه شيئا ؟ قال : والله إنكم لتؤذوننا ، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب [ليبيننه للناس ولا يكتمونه] ما حدثتكم بشىء ، سمعت أبا القاسم (ص) يقول : «إن رجلا ممن كان قبلكم بينما هو يتبختر فى حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » . فوالله ما أدرى لعله كان من قومك أو من رهطك ـ شك أبو يعلى ـ وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر حدثنى كثير بن زيد عن الوليد بن رباح . قال : سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت بوال ، وإن الوالى لغيرك فدعه ـ يعنى حين أرادوا يدفنون الحسن مع رسول الله (ص) ـ ولكنك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك ـ يعنى معاوية ـ قال : فأقبل عليه مروان مغضباً فقال : يا أبا هريرة إن الناس قد قالوا إنك أكثرت على رسول الله (ص) الحديث ، وإنما قدمت قبل وفاة النبى (ص) بيسير ، فقال أبو هريرة : نعم ! قدمت ورسول الله (ص) بخيبر سنة سبع ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ، وأقمت معه حتى توفى ، أدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه ، وأنا والله يومئذ مقل ، وأصلى خلفه وأحج وأغزو معه ، فكنت والله أعلم الناس بحديثه ، قد والله سبقنى قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار ، وكانوا يعرفون لزومى له فيسألونى عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله (ص) منزلة ، وكل صاحب له ، وكان أبو بكر صاحبه فى الغار وغيره ، وقد أخرجه رسول الله (ص) أن يساكنه ـ يعرض بأبى مروان الحكم بن العاص ـ . ثم قال أبو هريرة : ليسألنى أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فانه يجد عندى منه علما جماً ومقالا ، قال : فوالله مازال مروان يقصر عن أبى هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويخاف جوابه [وفى رواية أن أبا هريرة قال لمروان : إنى أسلمت وهاجرت اختياراً وطوعاً ، وأحببت رسول الله (ص) حباً شديداً ، وأنتم أهل الدار وموضع الدعوة ، أخرجتم الداعى من أرضه ، وآذيتموه وأصحابه ، وتأخر إسلامكم عن إسلامى إلى الوقت المكروه إليكم . فندم مروان على كلامه له واتقاه] [1] وقال ابن أبى خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ثنا محمد بن سلمة ثنا محمد بن إسحاق عن

(١) سقط من المصرية .

عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه – يعنى عروة بن الزبير بن العوام – قال : قال لى أبى الزبير : ادننى من هـذا اليمانى – يعنى أبا هريرة – فانه يكثر الحديث عن رسول الله ص ، قال : فأدنيته منـه ، فجعل أبو هريرة يحدث ، وجعل الزبير يقول : صـدق ، كذب صـدق ، كذب . قال : قلت يا أبة ماقولك صدق كذب ؟ قال : يابنى أما أن يكون سمع هـذه الأحاديث من رسول الله ص ، فلا أشك ، ولـكن منها مايضعه عـلى مواضعه ، ومنها ما وضعه على غير مواضعه . وقال على بن المدينى عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمـد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبى اليسر بن أبى علم . قال : كنت عند طلحة بن عبيـد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ماندرى هذا اليمانى أعلم برسول الله ص منكم ، أم يقول على رسول الله ص ، مالم يسمع ، أومالم يقل ؟ فقال طلحة : والله مانشك أنه قد سمع من رسول الله ص مالم نسمع ، وعلم مالم نعلم ، إنا كنا قوما أغنياء ، لنا بيوتات وأهلون ، وكنا نأتى رسول الله ص ، طرفى النهار ثم نرجع ، وكان هو مسكينا لامال له ولا أهل ، و إنما كانت يده مع رسول الله ص ، وكان يدور معه حيث ما دار ، فما نشك أنه قد علم مالم نعلم وسمع مالم نسمع . وقـد رواه الترمذى بنحوه . وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب يحـدث عن أبى هريرة فقيل له : أنت صاحب رسول الله ص ، وتحدث عن أبى هريرة ؟ فقال : إن أبا هريرة قـد سمع مالم نسمع ، و إنى إن أحدث عنه أحب إلى من أن أحدث عن رسول الله ص ، – يعنى مالم أسمعه منـه – وقال مسلم بن الحجاج : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ثنا مروان الدمشقى عن الليث بن سعد حدثنى بكير بن الأشج . قال قال لنا بشر بن سعيد : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقـد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ص ، ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم فأسمع بعض ما كان معنا يجعل حـديث رسول الله ص ، عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله ص ، وفى رواية يجعـل ماقاله كعب عن رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كعب ، فاتقوا الله وتحفظوا فى الحديث . وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس – أى يروى ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ص ، ولا يميز هذا من هذا – ذكره ابن عسـاكر . وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه « من أصبح جنباً فلا صيام له » فانه لما حوقق عليه قال : أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله ص . وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم . قال : كان أصحابنا يدعون من حـديث أبى هريرة ، وروى الأعمش عن إبراهيم . قال : ما كانوا يأخذون بكل حـديث أبى هريرة ، وقال الثورى عن منصور عن إبراهيم قال : كانوا يرون فى أحاديث أبى هريرة شيئا ، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبى هريرة ، إلا ما كان من حديث صفة جنة أونار ، أو حث على عمل صالح ، أو نهى عن شرجاء القرآن به . وقد انتصر ابن عساكر لأبى هريرة ورد هذا الذى قاله إبراهيم

النخعي . وقد قال مقالة إبراهيم طائفة من الكوفيين ، والجمهور على خلافهم

وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم . قال حماد بن زيد عن عباس الجريري عن أبي عثمان النهدي . قال : كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل، وامرأته ثلثه ، وابنته ثلثه ، يقوم هذا ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا هذا . وفي الصحيحين عنه أنه قال : « أوصاني خليلي (ص) بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام » : وقال ابن جريج عمن حدثه . قال قال أبو هريرة : إني أجزئ الليل ثلاثة أجزاء فجزءاً لقراءة القرآن ، وجزءاً أنام فيه ، وجزءاً أتذكر فيه حديث رسول الله (ص) . وقال محمد بن سعد : ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا إسحاق بن عثمان القرشي ثنا أبو أيوب . قال كان لأبي هريرة مسجد في مخدعه ، ومسجد في بيته ، ومسجد في حجرته ، ومسجد على باب داره ، إذا خرج صلى فيها جميعها ، وإذا دخل صلى فيها جميعاً . وقال عكرمة : كان أبو هريرة يسبح كل ليلة ثنتي عشرة ألف تسبيحة ، يقول : أسبح على قدر ديتي . وقال هشيم عن يعلى بن عطاء عن ميمون بن أبي ميسرة . قال : كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم ، أول النهار صيحة يقول : ذهب الليل وجاء النهار وعرض آل فرعون على النار ، وإذا كان العشي يقول : ذهب النهار وجاء الليل وعرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع أحد صوته إلا استعاذ بالله من النار . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن زياد بن ثوبان عن أبي هريرة . قال : لاتغبطن فاجراً بنعمة فان من ورائه طالبا حثيثاً طلبه ، جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا . وقال ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة أنه صلى بالناس يوما فلما سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواما ، وجعل أبا هريرة إماماً ، بعدما كان أجيراً لابنة غزوان على شبع بطنه وحمولة رجله [وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي : ثنا عفان ثنا سليم بن حيان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : نشأت يتيما ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، أحدو بهم إذا ركبوا وأحتطب إذا نزلوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وجعل أبا هريرة إماماً ،][1] ثم يقول : والله يا أهل الاسلام إن كانت إجارتي معهم إلا على كسرة يابسة ، وعقبة في ليلة غبراء مظلمة ، ثم زوجنيها الله فكنت أركب إذا ركبوا ، وأخدم إذا خدموا ، وأنزل إذا نزلوا . وقال إبراهيم بن يعقوب الجورجاني : حدثنا الحجاج بن نصر ثنا هلال ابن عبد الرحمن الحنفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي سلمة . قال قال أبو هريرة وأبو ذر: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعا ، وباب نعلمه عملنا به أو لم نعمل به ، أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً ، وقالا : سمعنا رسول الله (ص) يقول « إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال

(١) سقط من النسخة المصرية وهو في الحلبية

مات وهو شهيد » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه كان يتعوذ فى سجوده أن يزنى أو يسرق ، أو يكفر أو يعمل كبيرة . فقيـل له : أتخاف ذلك ؟ فقال : ما يؤمننى و إبليس حى ، ومصرّف القلوب يصرفها كيف يشاء ؟ . وقالت له ابنته : يا أبة إن البنات يعيرننى يقلن : لم لايحليك أبوك بالذهب ؟ فقال : يابنية قولى لهن . إن أبى يخشى علـى حر اللهب وقال أبو هريرة أتيت عمر بن الخطاب فقمت له وهو يسبح بعد الصلاة فانتظرته فلما انصرف دنوت منـه فقلت : اقرئنى آيات من كتاب الله ، قال : وما أريد إلا الطعام ، قال فأقرأنى آيات من سورة آل عمران ، فلما بلغ أهله دخل وتركنى على الباب ، فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمر لى بطعام ، فلم أر شيئا ، فلما طال على قمت فمشيت فاستقبلنى رسول الله (ص) فكلمنى فقال : « يا أبا هريرة إن خلوف فمك الليلة لشديد ؟ فقلت : أجل يارسول الله ، لقـد ظللت صائما وما أفطرت بعد ، وما أجد ما أفطر عليـه ، قال : فانطلق ، فانطلقت معه حتى أتى بيته فدعا جارية له سوداء فقال : إيتنا بتلك القصعة ، فأتينا بقصعة فيها وضر من طعام أراه شعيراً قـد أكل و بقى فى جوانبها بعضه وهو يسير ، فسميت وجعلت أتتبعه فأكلت حتى شبعت » . وقال الطبرانى : ثنا إسحاق بن إبراهيم حـدثنا عبـد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين أن أبا هريرة قال لابنته : لاتلبسى الذهب فانى أخشى عليك حر اللهب . وقد روى هذا عن أبى هريرة من طرق . وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن أبى الربيع عن أبى هريرة أنه قال : إن هـذه الكناسة مهلكة دنياكم وآخرتـكم ـ يعنى الشهوات وما يأكلونه ـ وروى الطبرانى عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال : أتكره العمل وقـد عمل من هو خير منك ؟ ـ أو قال : قـد طلبه من هو خير منك ـ ؟ قال : من ؟ قال : يوسف عليـه السلام فقال أبو هريرة : يوسف نبى ابن نبى، وأنا أبو هريرة بن أميمة ، فأخشى ثلاثاً أو اثنتين . فقال عمر : أفلا قلت خمساً ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حلم ، وأن يضرب ظهرى ، وينتزع مالى ، ويشتم عرضى . وقال سعيد بن أبى هنـد عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال له : « ألا تسألنى من هذه الغنائم التى سألنى أصحابك ؟ فقلت : أسألك أن تعلمنى مما علمك الله ، قال : فنزع نمرة علـى ظهرى فبسطها بينى وبينه حتى كأنى إلى القمل يدب عليها ، فحدثنى حتى إذا استوعب حديثه قال : اجمعها إليك فصرها ، فأصبحت لا أسقط حرفا مما حـدثنى » . وقال أبو عثمان النهدى : قلت لأبى هريرة : كيف تصوم ؟ قال : أصوم أول الشهر ثلاثا فان حـدث بى حـدث كان لى أجر شهرى . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى عثمان النهدى أن أبا هريرة كان فى سفر ومعه قوم فلما نزلوا وضعوا السفرة و بعثوا إليه ليأكل معهم فقال : إنى صائم ، فلما كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل

يأكل ، فجعل القوم ينظرون إلى رسولهم الذى أرسلوه إليه ، فقال لهم : أراكم تنظرون إلىّ ، قد والله أخبرنى أنه صائم ، فقال أبو هريرة : صدق ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صوم شهر صوم الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر » . وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر فأنا مفطر فى تخفيف الله ، صائم فى تضعيف الله عز وجل . وروى الامام أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل عن أبى المتوكل عن أبى هريرة أنه كان هو وأصحاب له إذا صاموا يجلسون فى المسجد وقالوا نطهر صيامنا . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا عثمان الشحام أبو سلمة ثنا فرقد السبخى قال : كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويل لى من بطنى ، إن أشبعته كظنى ، وإن أجعته أضعفنى . وروى الامام أحمد عن عكرمة قال : قال أبو هريرة : إنى لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم اثنتى عشرة ألف مرة ، وذلك على قدر ديتى . وروى عبد الله بن أحمد عن أبى هريرة انه كان له خيط فيه اثنا عشر ألف عقدة يسبح به قبل أن ينام . وفى رواية ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به ، وهو أصح من الذى قبله . ولما حضره الموت بكى فقيل له : مايبكيك؟ فقال : ما أبكى على دنياكم هذه ، ولكن أبكى على بعد سفرى وقلة زادى ، وإنى أصبحت فى صعود ومهبط على جنة ونار ، لا أدرى إلى أيهما يؤخذ بى . وروى قتيبة بن سعيد ثنا الفرج بن فضالة عن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : « إذا زوقتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم » وروى الطبرانى عن معمر قال : بلغنى عن أبى هريرة أنه كان إذا مر به جنازة قال روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا رائحون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب الأول ويبقى الآخر لاعقل له . وقال الحافظ أبو بكر بن مالك : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبو بكر ليث بن خالد البجلى ثنا عبد المؤمن بن عبد الله السدوسى . قال : سمعت أبا يزيد المدينى يقول : قام أبو هريرة على منبر رسول الله ﷺ دون مقام رسول الله ﷺ بعتبة ، فقال : ويل للعرب من شر قد اقترب ، ويل لهم من إمارة الصبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب . وقال الامام أحمد : حدثنا على بن ثابت عن أسامة ابن زيد عن أبى زياد ـ مولى ابن عباس ـ عن أبى هريرة قال : كانت لى خمس عشرة تمرة فأفطرت على خمس وتسحرت بخمس وأبقيت خمساً لفطرى . وقال أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل ـ يعنى العبدى ـ عن أبى المتوكل أن أبا هريرة كانت لهم زنجية قد غمتهم بعملها ، فرفع عليها يوما السوط ثم قال : لولا القصاص يوم القيامة لأغشينك به ، ولكن سأبيعك ممن يوفينى ثمنك ، أحوج ما أكون إليه ، اذهبى فأنت حرة لله عز وجل . وروى حماد بن سلمة عن أيوب عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقلت : اللهم اشف أبا هريرة ، فقال : اللهم لاترجعها ، ثم قال : يا أبا سلمة يوشك أن يأتى على الناس زمان يكون الموت أحب

إلى أحدهم من الذهب الأحمر . وروى عطاء عن أبي هريرة قال : إذا رأيتم ستا فان كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها ، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني ، إذا أمرت السفهاء ، و بيع الحكم ، وتهون بالدم ، وقطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة ، ونشأ نشو يتخذون القرآن مزامير . وقال ابن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن باهريرة أقبل في السوق يحمل حزمتي حطب - وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم - فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك ، [فقلت يرحمك الله يكفي هذا ! فقال : اوسع الطريق للأمير والحزمة عليه]

وله فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمة ، أسلم كما قدمنا عام خيبر ، فلزم رسول الله (ص) ولم يفارقه إلا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، ووصاه به ، فجعله العلاء مؤذنا بين يديه ، وقال له أبو هريرة : لا تسبقني بآمين أيها الأمير . وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته ، وقاسمه مع جملة العمال . قال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين . أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه ؟ فقال أبو هريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ، ولكن عدو من عاداهما . فقال : فمن أين هي لك ؟ قال : خيل نتجت ، وغلة ورقيق لي ، وأعطية تتابعت علي . فنظروا فوجدوه كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال له : تكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك ؟ طلبه يوسف عليه السلام ، فقال : إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أمية وأخشى ثلاثا واثنين ، قال عمر : فهلا قلت خمسة ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضي بغير حلم ، أو يضرب ظهري ، وينزع مالي ، ويشتم عرضي . وذكر غيره أن عمر غرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفا فلهذا امتنع في الثانية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن زياد . قال : كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة فاذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم ، فاذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه ، فعزل مروان ورجع أبو هريرة ، فقال لمولاه : من جاءك فلا ترده واحجب مروان ، فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره فما دخل إلا بعد جهد جهيد ، فلما دخل قال : إن الغلام حجبنا عنك ، فقال له أبو هريرة : إنك أحق الناس أن لا تغضب من ذلك . والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة ، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك والله أعلم . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب الحمار ويلقى الرجل فيقول : الطريق قد جاء الأمير - يعني نفسه - وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب ، وهو أمير ، فلا يشعرون إلا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه

كأنه مجنون ، يريد بذلك أن يضحكهم ، فيفزع الصبيان منه ويفرون عنه ههنا وههنا يتضاحكون .
قال أبو رافع : وربما دعاني أبو هريرة إلى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمير - يعني قطع اللحم -
قال : فأنظر فاذا هو ثريد بالزيت . وقال ابن وهب : حدثني عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي
أن ثعلبة بن أبي مالك حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان
فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك . فقلت : أصلحك الله تكفي هذا ، فقال : أوسع الطريق
للأمير والحزمة عليه . وقد تقدم هذا . وروى نحوه من غير وجه . وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان :
بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث إليه : إني غلطت ولم أردك بها ، وإني
إنما أردت غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتها فاذا خرج عطائي فخذها منه - وكان قد تصدق بها -
وإنما أراد مروان اختباره . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الأعلا بن عبد الجبار ثنا حماد بن سلمة
عن يحيى بن سعيد بن المسيب قال : كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت ، وإذا أمسك عنه تكلم .
وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إني أصبحت صائما فدخلت على
أبي فجاءني بخبز ولحم فأكلت ناسياً ، فقال : طعمة أطعمكها الله لا عليك ، قال : ثم دخلت داراً لأهلي
فجيء بلبن لقحة فشربته ناسيا ، قال : لا عليك ، قال : ثم نمت فاستيقظت فشربت ماء ، وفي رواية
وجامعت ناسيا ، فقال أبو هريرة : إنك يا ابن أخي لم تعتد الصيام . [وقال غير واحد : كان أبو هريرة
إذا رأى الجنازة قال : روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا رائحون . وروى غير واحد أنه لما حضرته
الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على قلة الزاد وشدة المفازة ، وأنا على عقبة هبوط إما إلى جنة
أو إلى نار فما أدري إلى أيهما أصير] وقال مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري . قال : دخل
مروان على أبي هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : اللهم
إني أحب لقاءك فأحب لقائي قال : فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات أبو هريرة وقال يعقوب
ابن سفيان عن دحيم عن الوليد بن جابر عن عمير بن هانئ . قال قال أبو هريرة : اللهم لا تدركني
سنة ستين ، قال : فتوفي فيها أو قبلها بسنة ، وهكذا قال الواقدي : إنه توفي سنة تسع وخمسين ، عن
ثمان وسبعين سنة ، قال الواقدي : وهو الذي صلى على عائشة في رمضان ، وعلى أم سلمة في شوال سنة
تسع وخمسين ، ثم توفي أبو هريرة بعدهما فيها ، كذا قال ، والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي
هريرة . وقد قال غير واحد : إنه توفي سنة تسع وخمسين وقيل ثمان ، وقيل سبع وخمسين ، والمشهور
تسع وخمسين . قالوا : وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة ، وفي القوم ابن عمر وأبو
سعيد وخلق من الصحابة وغيرهم ، وكان ذلك عند صلاة العصر ، وكانت وفاته في داره بالعقيق ،

فحمل إلى المدينة فصلى عليه، ثم دفن بالبقيع رحمه الله ورضى عنه . وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاة أبى هريرة، فكتب إليه معاوية : أن انظر ورثته فأحسن إليهم ، واصرف إليهم عشرة آلاف درهم ، وأحسن جوارهم ، واعمل إليهم معروفا ، فانه كان ممن نصر عثمان ، وكان معه فى الدار رحمهما الله تعالى .

سنة ستين من الهجرة النبوية

فيها كانت غزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية ، قال الواقدى : وفيها دخل جنادة بن أبى أمية جزيرة رودس ، وفيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عبيد الله بن زياد إلى دمشق ، وفيها مرض معاوية مرضه الذى توفى فيه فى رجب منها كما سنبينه . فروى ابن جرير من طريق أبى مخنف : حدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة أن معاوية لما مرض مرضته التى هلك فيها ، دعا ابنه يزيد فقال : يابنى إنى قد كفيتك الرحلة والرجال . ووطأت لك الأشياء ، وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وإنى لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذى أسسته إلا أربعة نفر ، الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر . كذا قال ، والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفى قبل موت معاوية بسنتين كما قدمنا ، فاما ابن عمر فهو رجل ثقة قد وقذته العبادة ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك ، وأما الحسين فان أهل العراق خلفه لايدعونه حتى يخرجونه عليك ، فان خرج فظفرت به فاصفح عنه ، فان له رحماً ماسة ، وحقاً عظيماً . وأما ابن أبى بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ، ليست له همة إلا فى النساء واللهو . وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ، ويراوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فان هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً . قال غير واحد : فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد فى الصيد ، فاستدعى معاوية الضحاك بن قيس الفهرى ـ وكان على شرطه دمشق ـ ومسلم بن عقبة فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ويقولان له يتوصى بأهل الحجاز ، وإن سأله أهل العراق فى كل يوم أن يعزل عنهم عاملا ويولى عليهم عاملا فليفعل ، فعزل واحد أحب إليك من أن يُسل عليك مائة ألف سيف ، وأن يتوصى بأهل الشام ، وأن يجعلهم أنصاره ، وأن يعرف لهم حقهم ، ولست أخاف عليه من قريش سوى ثلاثة ، الحسين ، وابن عمر ، وابن الزبير . ولم يذكر عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهذا أصح ، فأما ابن عمر فقد وقذته العبادة ، وأما الحسين فرجل ضعيف وأرجو أن يكفيكه الله تعالى بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وإن له رحما ماسة وحقا عظيما ، وقرابة من محمد (ص) ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه فاصفح عنه فانى لو صاحبته عفوت عنه . وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان شخص لك فانبذ إليه إلا أن يلتمس منك صلحا ، فان فعل فاقبل منه ، واصفح عن دماء قومك ما استطعت .

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة ، قاله هشام بن الكلبي . وقيل للنصف منه ، قاله الواقدي . وقيل يوم الخميس لثمان بقين منه ، قاله المدائني . قال ابن جرير : وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها ، وكان مدة ملكه استقلالا من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن على بأذرح ، فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكان نائبا في الشام عشرين سنة تقريبا ، وقيل غير ذلك : وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة ، وقيل خمساً وسبعين سنة ، وقيل ثمانيا وسبعين سنة ، وقيل خمساً وثمانين سنة ، وسيأتي بقية الكلام في آخر ترجمته . وقال أبو السكن زكريا بن يحيى : حدثني عم أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب . قال : كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوما فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ، ثم خرج الفاكه لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممن كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة فيه ولى هاربا ، ورآه الفاكه وهو خارج من البيت ، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برجله وقال : من هذا الذي كان عندك ؟ قالت : ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني أنت ، فقال لها : الحقي بأبيك ، وتكلم فيها الناس ، فقال لها أبوها : يابنية إن الناس قد أكثروا فيك القالة ، فأنبئيني نبأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقا دسست إليه من يقتله فينقطع عنك القالة ، وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن ، فعند ذلك حلفت هند لأبيها بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها ، فقال عتبة بن ربيعة للفاكه : ياهذا إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، [وعار كبير ، لايغسله الماء ، وقد جعلتنا في العرب بمكان ذلة ومنقصة ، ولولا أنك مني ذو قرابة لقتلتك ، ولكن سأحاكمك إلى كاهن اليمن] [1] فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في بعض جماعة من بني مخزوم ـ أقاربه ـ وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم ، ثم ساروا قاصدين بلاد اليمن ، فلما شارفوا بلاد الكاهن قالوا غداً نأتي الكاهن ، فلما سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغير وجهها ، وأخذت في البكاء ، فقال لها أبوها : يابنية قد أرى ما بك من تنكر الحال ، وكثرة البكاء ، وما ذاك أراه عندك إلا لمكروه أحدثتيه ، وعمل اقترفتيه ، فهلا كان هذا قبل أن يشيع في الناس ويشتهر مسيرنا ؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لمكروه وقع مني ، وإني لبريئة ، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغير الحال هو أني أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب ، وأخاف أن يخطئ في أمري بشيء يكون عاره علي إلى آخر الدهر ، ولا آمنه أن يسمني ميسما تكون على سبة في العرب . فقال لها أبوها : لاتخافي فإني سوف أختبره وأمتحنه قبل أن يتكلم في شأنك وأمرك ؛ فإن

(١) سقط من المصرية وهو في النسخة الحلبية

أخطأ فيما أمتحنه به لم أدعه يتكلم فى أمرك . ثم إنه انفرد عن القوم ـ وكان راكبا مهراً ـ حتى توارى عنهم خلف رابية فنزل عن فرسه ثم صفر له حتى أدلى ، ثم أخذ حبة بر فأدخلها فى إحليل المهر ، وأوكى عليها بسير حتى أحكم ربطها ، ثم صفر له حتى اجتمع احليله ، ثم أتى القوم فظنوا أنه ذهب ليقضى حاجة له ، ثم أتى الكاهن فلما قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : انا قد جئناك فى أمر ، ولكن لا أدعك تتكلم فيه حتى تبين لنا ما خبأت لك ، فانى قد خبأت لك خبيئاً فانظر ماهو ، فأخبرنا به . قال الكاهن : ثمرة فى كرة ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : حبات بر فى إحليل مهر ، قال : صدقت نخذ لما جئناك له ، انظر فى أمر هؤلاء النسوة ، فأجلس النساء خلفه وهند معهم لايعرفها ، ثم جعل يدنو من إحداهن فيضرب كتفها و يبريها و يقول : انهضى ، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضى حصان رزان ، غير رسخا ولا زانية ، ولتلدنّ ملكا يقال له معاوية . فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها ، فنترت يدها من يده وقالت له : إليك عنى ، والله لايجمع رأسى ورأسك وسادة ، والله لأحرصن أن يكون هذا الملك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت منه بمعاوية هذا . وفى رواية أن أباها هو الذى قال للفاكه ذلك والله سبحانه أعلم .

وهذه ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه وما ورد في مناقبه وفضائله

وهو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، القرشى الأموى ، أبو عبد الرحمن ، خال المؤمنين ، وكاتب وحى رسول رب العالمين . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أسلم معاوية عام الفتح ، وروى عنه أنه قال : أسلمت يوم القضية ولكن كتمت إسلامى من أبى ، ثم علم بذلك فقال لى : هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه ، فقلت له : لم آل نفسى جهداً . قال معاوية : ولقد دخل على رسول الله (ص) مكة فى عمرة القضاء و إنى لمصدق به ، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامى فجئته فرحب بى ، وكتبت بين يديه . قال الواقدى : وشهد معه حنينا ، وأعطاه مائة من الأبل ، وأربعين أوقية من ذهب ، وزنها بلال ، وشهد اليمامة . وزعم بعضهم أنه هو الذى قتل مسيلمة ، حكاه ابن عساكر ، وقد يكون له شرك فى قتله ، وإنما الذى طعنه وحشى ، وجلله أبو دجانة سماك بن خرشة بالسيف ، وكان أبوه من سادات قريش ، وتفرد بالسؤدد بعد يوم بدر ، ثم لما أسلم حسن بعد ذلك إسلامه ، وكان له مواقف شريفة ، وآثار محمودة فى يوم اليرموك وما قبله وما بعده ، وصحب معاوية رسول الله (ص) ، وكتب الوحى بين يديه مع الكتاب ، وروى عن رسول الله (ص) أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، قال أبو بكر بن أبى الدنيا : كان معاوية طويلا

أبيض جميلا ، إذا ضحك انقلبت شفته العليا ، وكان يخضب . حدثني محمد بن يزيد الازدى ثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن أبي عبد رب قال : رأيت معاوية يصفر لحيته كأنها الذهب . وقال غيره : كان أبيض طويلا أجلح أبيض الرأس واللحية يخضبهما بالحناء والكتم . وقد أصابته لوقة فى آخر عمره ، فكان يستر وجهه ويقول : رحم الله عبداً دعا لى بالعافية ، فقد رميت فى أحسنى وما يبدو منى ولولا هواى فى يزيد لأبصرت رشدى ، وكان حليما وقوراً رئيساً سيداً فى الناس ، كريما عادلا شهماً . وقال المدائنى عن صالح بن كيسان قال : رأى بعض متفرسى العرب معاوية وهو صبى صغير ، فقال : إنى لأظن هذا الغلام سيسود قومه ، فقالت هند : ثكلته إن كان لايسود إلا قومه . وقال الشافعى قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلقة قمر ، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس ، ومعها صبى يلعب ، فمر رجل فنظر إليه فقال : إنى لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه ، فقالت هند : إن لم يسد إلا قومه فأماته الله ، وهو معاوية بن أبى سفيان . وقال محمد بن سعد : أنبأنا على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف قال : نظر أبو سفيان يوما إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابنى هذا لعظيم الرأس ، وإنه لخليق أن يسود قومه ، فقالت هند : قومه فقط ، ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة . وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول :

إنّ بنى معرقٍ كريمْ * محببٌ فى أهلهِ حليمْ
ليسَ بفحاشٍ ولا لئيمْ * ولا ضجورٌ ولا سؤومْ
صخرُ بنى فهرٍ بهِ زعيمْ * لايخلفُ الظنَّ ولا يخيمْ

قال : فلما ولى عمر يزيد بن أبى سفيان ما ولاه من الشام ، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند : كيف رأيت صار ابنك تابعا لابنى ؟ فقالت : إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكونُ فيه ابنى ، فلما مات يزيد بن أبى سفيان سنة بضع عشرة ، وجاء البريد إلى عمر بموته ، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد ، ثم عزى أبا سفيان فى ابنه يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين من وليت مكانه ؟ قال أخوه معاوية ، قال : وصلت رحما ياأمير المؤمنين . وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه : والله يابنى إنه قل أن تلد حرة مثلك ، وإن هذا الرجل قد استنهضك فى هذا الأمر ، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت . وقال له أبوه : يابنى إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله ، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة ، وصرنا أتباعا ، وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم ، فانك تجرى إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك ، فلم يزل معاوية نائبا على الشام فى الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان ، وافتتح فى سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة فى أيامه ومن بعده ، ولم تزل الفتوحات

والجهاد قائما على ساقه فى أيامه فى بلاد الروم والفرنج وغيرها ، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين على ما كان ، لم يقع فى تلك الأيام فتح بالكلية ، لاعلى يديه ولا على يدى على ، وطمع فى معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله ، وقهر جنده ودحاهم ، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب معاوية إليه : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك ياللعين لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهدنة . ثم كان من أمر التحكيم ما كان ، وكذلك مابعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن على كما تقدم ، فانعقدت الكلمة على معاوية ، وأجمعت الرعايا على بيعته فى سنة إحدى وأربعين كما قدمنا ، فلم يزل مستقلا بالأمر فى هذه المدة إلى هذه السنة التى كانت فيها وفاته ، والجهاد فى بلاد العدو قائم ، وكلمة الله عالية . والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض ، والمسلمون معه فى راحة وعدل ، وصفح وعفو .

وقد ثبت فى صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبى زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس . قال قال أبو سفيان : يارسول الله ثلاثا أعطنيهن ، قال : نعم ، قال : تؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال : نعم ! قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك ، قال : نعم : وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوج رسول الله (ص) بابنته الأخرى عزة بنت أبى سفيان ، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة ، فقال : « إن ذلك لايحل لى » وقد تكلمنا على ذلك فى جزء مفرد ، وذكرنا أقوال الأئمة واعتذارهم عنه ولله الحمد . والمقصود منه أن معاوية كان من جملة الكتاب بين يدى رسول الله (ص) الذين يكتبون الوحى . وروى الامام أحمد ومسلم والحاكم فى مستدركه من طريق أبى عوانة - الوضاح ابن عبد الله اليشكرى - عن أبى حمزة عمران بن ابى عطاء عن ابن عباس . قال : كنت ألعب مع الغلمان فاذا رسول الله (ص) قد جاء فقلت : ماجاء إلا إلى ، فاختبأت على باب فجاءنى فحطانى حطاة أو حطاتين ، ثم قال « اذهب فادع لى معاوية - وكان يكتب الوحى - قال : فذهبت فدعوته له فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله (ص) فقلت إنه يأكل ، فقال : اذهب فادعه ، فأتيته الثانية فقيل : إنه يأكل فأخبرته ، فقال فى الثالثة : لا أشبع الله بطنه » قال : فما شبع بعدها ، وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة فى دنياه وأخراه ، أما فى دنياه فانه لما صار إلى الشام اميراً ، كان يأكل فى اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ، ويأكل فى اليوم سبع أكلات بلحم ، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك . وأما فى الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذى رواه البخارى وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة . أن رسول الله (ص) قال : « اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته

أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارةً وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة » . فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ، ولم يورد له غير ذلك . وقال المسيب بن واضح عن أبي إسحاق الفزاري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس . قال : « أتى جبريل إلى رسول الله (ص) فقال : يا محمد اقرئ معاوية السلام واستوص به خيراً ، فانه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين . ثم أورده ابن عساكر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان ، ثم أورده أيضا من رواية علي وجابر بن عبد الله « أن رسول الله (ص) استشار جبريل في استكتابه معاوية ، فقال : استكتبه فانه أمين » . ولكن في الأسانيد إليهما غرابة ، ثم أورد عن علي في ذلك غرائب كثيرة عن غيره أيضا . وقال أبو عوانة عن سليمان عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن الحارث عن زهير بن الأقمر الزبيدي عن عبد الله بن عمرو . قال : كان معاوية يكتب للنبي (ص) . وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ثنا السري عن عاصم ثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه هشام بن عروة عن عائشة . قالت : لما كان يوم أم حبيبة من النبي (ص) ، دق الباب داق ، فقال النبي (ص) « انظروا من هذا ؟ قالوا : معاوية ، قال : ائذنوا له ، فدخل وعلى أذنه قلم يخط به ، فقال : ماهذا القلم على أذنك يامعاوية ؟ قال : قلم أعددته لله ولرسوله ، فقال له : جزاك الله عن نبيك خيراً ، والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله ، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله ، كيف بك لو قمصك الله قميصا - يعني الخلافة - ؟ فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه وقالت : يارسول الله وإن الله مقمصه قميصاً ؟ قال : نعم ! ولكن فيه هنات وهنات . فقالت : يارسول الله فادع الله له ، فقال : اللهم اهده بالهدى ، وجنبه الردى ، واغفر له في الآخرة والأولى » . قال الطبراني تفرد به السري عن عاصم عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن هشام . وقد أورد ابن عساكر بعد هذا أحاديث كثيرة موضوعة ، والعجب منه مع حفظه واطلاعه كيف لا ينبه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها والله الموفق للصواب . وقد أوردنا من طريق أبي هريرة وأنس وواثلة بن الاسقع مرفوعا : « الأمناء ثلاثة ، جبريل ، وأنا ومعاوية » ولا يصح من جميع وجوهه ، ومن رواية ابن عباس : « الأمناء سبعة ، القلم ، واللوح ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وجبرئيل ، وأنا ، ومعاوية » وهذا أنكر من الأحاديث التي قبله ، وأضعف إسناداً . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية - يعني ابن صالح - عن يونس بن سيف عن الحارث بن زياد عن أبي رهم عن العرباض بن سارية السلمي . قال : سمعت رسول الله (ص) يدعونا إلى السحور في شهر رمضان : هلم إلى الغداء المبارك ، ثم سمعته يقول : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » . تفرد به أحمد . ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدي ، وكذلك رواه

أسد بن موسى ، و بشر بن السرى ، وعبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، باسناده مثله . وفى رواية بشر بن السرى « وأدخله الجنة » ورواه ابن عدى وغيره من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجمحى عن عطاء عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » . وقال محمد بن سعد : ثنا سليمان بن حرب والحسين بن موسى الأشيب قال : ثنا أبو هلال محمد بن سليم ثنا جبلة بن عطية عن مسلمة بن مخلد ، وقال الأشهب : قال أبو هلال أو عن رجل عن مسلمة بن مخلد ، وقال سليمان بن حرب أو حدثه مسلمة عن رجل أنه رأى معاوية يأكل فقال لعمرو بن العاص : إن ابن عمك هذا لمخضد : قال أما انى أقول لك هذا وقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب » . وقد أرسله غير واحد من التابعين منهم الزهرى وعروة بن رويم وجرير بن عثمان الرحبى الحمصى ، و يونس بن ميسرة بن حلبس . وقال الطبرانى : ثنا أبو زرعة وأحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقيان قالا : ثنا أبو مسهر ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى ـ وكان من أصحاب النبى (ص) ـ أن رسول الله (ص) قال لمعاوية : « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » قال ابن عساكر : وهذا غريب ، والمحفوظ بهذا الاسناد حديث العرباض الذى تقدم ، ثم روى من طريق الطبرانى عن أبى زرعة عن أبى مسهر عن سعيد عن ربيعة عن عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى . قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لمعاوية : « اللهم اجعله هادياً مهديا واهده واهد به » وقال الامام أحمد : حدثنا على بن بحر ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبى عميرة عن النبى (ص) أنه ذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هادياً مهديا واهد به » وهكذا رواه الترمذى عن محمد بن يحيى عن أبى مسهر عن سعيد بن عبد العزيز به . وقال حسن غريب . وقد رواه عمر بن عبد الواحد ومحمد بن سليمان الحرانى كما رواه الوليد بن مسلم وأبو مسهر عن سعيد عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبى عميرة . ورواه محمد بن المصفى عن مروان بن محمد الطاطرى عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس عن ابن أبى عميرة أن رسول الله (ص) دعا لمعاوية فقال : « اللهم علمه العلم ، واجعله هاديا مهديا ، واهده واهد به » وقد رواه سلمة بن شبيب وصفوان بن صالح وعيسى بن هلال وأبو الأزهر عن مروان الطاطرى ، ولم يذكروا أبا إدريس فى إسناده . ورواه الطبرانى عن عبدان بن أحمد عن على بن سهل الرملى عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى . أنه سمع رسول الله (ص) وذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هاديا مهديا واهده » قال ابن عساكر : وقول الجماعة هو الصواب . وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث وأطنب فيه وأطيب

وأطرب ، وأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد ، فرحمه الله ، كم له من موطن قد تبرز فيه على غيره من الحفاظ والنقاد . وقال الترمذي : حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الله بن محمد النفيلي ثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني قال : لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن الشام وولى معاوية قال الناس : عزل عمر عميرا وولى معاوية ، فقال عمر : لاتذكروا معاوية إلا بخير ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : « اللهم اهده به » تفرد به الترمذي وقال : غريب . وعمرو ابن واقد ضعيف ، هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عمير بن سعد الأنصاري . وعندي أنه ينبغي أن يكون من رواية عمر بن الخطاب ، ويكون الصواب فقال عمر : لاتذكروا معاوية إلا بخير ، ليكون عذراً له في توليته له . ومما يقوي هذا أن هشام بن عمار قال : حدثنا ابن أبي السائب — وهو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان — قال : وسمعت أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولى معاوية بن أبي سفيان فقالوا : ولى حدث السن ، فقال : تلومونني في ولايته ، وأنا سمعت رسول الله (ص) يقول : « اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به » وهذا منقطع يقويه ماقبله .

قال الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا نعيم بن حماد ثنا محمد بن شعيب بن سابور ثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن عبد الله بن بسر أن رسول الله (ص) : « استشار أبا بكر وعمر في أمر فقال : أشيروا علي ، فقالا : الله ورسوله أعلم ، فقال : ادعوا معاوية ؟ فقال أبو بكر وعمر : أما في رسول الله (ص) ، ورجلين من رجال قريش مايتقنون أمرهم ، حتى يبعث رسول الله (ص) إلى غلام من غلمان قريش ؟ فقال : ادعوا لي معاوية فدعي له ، فلما وقف بين يديه قال رسول الله (ص) : أحضروه أمركم وأشهدوه أمركم ، فإنه قوي أمين » . ورواه بعضهم عن نعيم وزاد « وحملوه أمركم » . ثم ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية ، أضربنا عنها صفحا ، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجادات عما سواها من الموضوعات والمنكرات .

ثم قال ابن عساكر : وأصح ماروي في فضل معاوية حديث أبي جمرة عن ابن عباس « أنه كان كاتب النبي (ص) منذ أسلم » أخرجه مسلم في صحيحه ، وبعده حديث العرباض : « اللهم علم معاوية الكتاب » وبعده حديث ابن أبي عميرة : « اللهم اجعله هادياً مهدياً » قلت : وقد قال البخاري في كتاب المناقب : ذكر معاوية بن أبي سفيان : حدثنا الحسن بن بشر ثنا المعافى ثنا عثمان ابن الأسود عن ابن أبي مليكة قال : أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس فأتى ابن عباس ، فقال : أوتر معاوية بركعة بعد العشاء ، فقال : دعه فإنه قد صحب رسول الله (ص) . حدثنا ابن أبي مريم ثنا نافع بن عمر ثنا ابن أبي مليكة . قال : قيل لابن عباس : هل لك في

أمير المؤمنين معاوية ؟ ما أوتر إلا بواحدة ! قال : أصاب ، إنه فقيه . ثنا عمرو بن عباس ثنا محمد ثنا شعبة عن أبي التياح قال : سمعت حمدان عن أبان عن معاوية . قال : إنكم لتصلون صلاة ، لقد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيناه يصليهما ، ولقد نهى عنهما - يعنى الركعتين بعد العصر - ثم قال البخاري بعد ذلك : ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة : حدثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا يونس عن الزهري حدثني عروة أن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى من أن يذلوا من أهل خبائك » فقال : وأيضا والذى نفسي بيده . فقالت : يارسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل على من حرج أن أطعم من الذى له عيالنا ؟ قال : لا إلا بالمعروف » . فالمدحة في قوله : « وأيضا والذى نفسي بيده » وهو أنه كان يود أن هندا وأهلها وكل كافر يذلوا في حال كفرهم ، فلما أسلموا كان يحب أن يعزوا فأعزهم الله - يعنى أهل خبائها .

وقال الامام أحمد : حدثنا روح ثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد قال . سمعت جدى يحدث أن معاوية أخذ الاداوة بعد أبي هريرة فتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها - وكان أبو هريرة قد اشتكى - فبينما هو يوضئ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال : يامعاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل . قال معاوية فما زلت أظن انى سأبتلى بعمل لقول النبي صلى الله عليه وسلم حتى ابتليت » . تفرد به أحمد ، ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي إسحاق الهمذاني سعيد بن زنبور بن ثابت عن عمرو ابن يحيى بن سعيد . ورواه ابن منده من حديث بشر بن الحكم عن عمرو بن يحيى به . وقال أبو يعلى : حدثنا سويد بن سعيد ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد عن جده عن معاوية قال : « اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء ، فلما توضأ نظر إلى فقال : يامعاوية إن وليت أمراً فاتق واعدل ، فمازلت أظن أنى مبتلى بعمل حتى وليت » . ورواه غالب القطان عن الحسن . قال : سمعت معاوية يخطب وهو يقول : « صببت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضوءه فرفع رأسه إلى فقال : أما إنك ستلى أمر أمتى بعدى ، فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ، وقال : فما زلت أرجو حتى قمت مقامى هذا» . وروى البيهقي عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك بن عمير . قال قال معاوية : والله ما حملنى على الخلافة إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ملكت فأحسن » قال البيهقي : إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف ، إلا أن للحديث شواهد . وروى ابن عساكر باسناده عن نعيم بن حماد : ثنا محمد بن حرب عن أبي بكر بن أبي مريم ثنا محمد بن زياد عن عوف بن مالك الأشجعي قال : « بينا أنا راقد في كنيسة يوحنا - وهي يومئذ مسجد يصلى فيها - إذ انتبهت من نومى فاذا أنا بأسد يمشى بين يدى ، فوثبت إلى سلاحى ، فقال الأسد : مه ! إنما أرسلت إليك

برسالة لتبلغها ، قلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السلام وتعلمه أنه من أهل الجنة ، فقلت له . ومن معاوية ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان » ورواه الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي عن المعلى بن الوليد القعقاعي عن محمد بن حبيب الخولاني عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني ، وفيه ضعف وهذا غريب جدا ، ولعل الجميع مناما ، ويكون قوله : إذ انتبهت من نومي مدرجاً لم يضبطه ابن أبي مريم ، والله أعلم .

وقال محمد بن عائذ عن الوليد عن ابن لهيعة عن يونس عن الزهري . قال : قدم عمر الجابية فنزع شرحبيل وأمر عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر ، وبقي الشام على أميرين أبي عبيدة ويزيد ، ثم توفي أبو عبيدة فاستخلف عياض بن غنم ، ثم توفي يزيد فأمر معاوية مكانه ، ثم نعاه عمر لأبي سفيان ، فقال لأبي سفيان : احتسب يزيد بن أبي سفيان ، قال : من أمرت مكانه ؟ قال : معاوية ، فقال : وصلت رحما يا أمير المؤمنين ، فكان معاوية على الشام ، وعمير بن سعد حتى قتل عمر ، رضي الله عنهم . وقال محمد بن إسحاق : مات أبو عبيدة في طاعون عمواس واستخلف معاذاً ، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان ، فمات واستخلف أخاه معاوية فأقره عمر ، وولى عمرو بن العاص فلسطين والأردن ، ومعاوية دمشق و بعلبك والبلقاء ، وولى سعد بن عامر بن جذيم حمص ، ثم جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم أمره عثمان بن عفان على الشام . وقال إسماعيل بن أمية : أفرد عمر معاوية بإمرة الشام ، وجعل له في كل شهر ثمانين ديناراً . والصواب أن الذي جمع لمعاوية الشام كلها عثمان بن عفان ، وأما عمر فإنه إنما ولاه بعض أعمالها . وقال بعضهم : لما عزيت هند في يزيد بن أبي سفيان ــ ولم يكن منها ــ قيل لها : إنه قد جعل معاوية أميراً مكانه ، فقالت : أو مثل معاوية يجعل خلفا من أحد ؟ فوالله لو أن العرب اجتمعت متوافرة ثم رمى به فيها لخرج من أي أعراضها (نواحيها) شاء . وقال آخرون : ذكر معاوية عند عمر فقال : دعوا فتى قريش وابن سيدها ، إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا ، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن قدامة الجوهري حدثني عبد العزيز بن يحيى عن شيخ له . قال : لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا من عمر قال له : أنت صاحب الموكب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : هو ما بلغك من ذلك . قال : ولم تفعل هذا ؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيا إلى بلاد الحجاز ، قال : يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للاسلام وأهله ويرهبهم به ، فإن أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت . فقال له عمر : يامعاوية ما سألتك عن شئ إلا تركتني في مثل رواجب الضرس ، لئن كان ما قلت حقا إنه

لرأى أريت ، ولئن كان باطلا إنه لخديعة أديت . قال : فرنى يا أمير المؤمنين بما شئت ، قال : لا آمرك ولا أنهاك . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ما أحسن ماصدر الفتى عما أوردته فيه ؟ ! فقال عمر : لحسن موارده ومصادره جشمناه ماجشمناه . وفى رواية أن معاوية تلقى عمر حين قدم الشام ، ومعاوية فى موكب كثيف ، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار ، ولم يشعر بهما ، فقيل له : إنك جاوزت أمير المؤمنين ، فرجع ، فلما رأى عمر ترجل وجعل يقول له ما ذكرنا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين ! ؟ فقال : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه .

وقال عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد : أخبرنا محمد بن ذئب عن مسلم بن جندب عن أسلم مولى عمر قال : قدم علينا معاوية وهو أبيض نص وباص ، أبض الناس وأجملهم ، فخرج إلى الحج مع عمر ، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه ، ثم يضع أصبعه على متن معاوية ثم يرفعها عن مثل الشراك ، فيقول : بخ بخ ، نحن إذاً خير الناس ، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة . فقال معاوية : يا أمير المؤمنين سأحدثك أنا بأرض الحمامات والريف والشهوات ، فقال عمر : سأحدثك مابك إلا إلطافك نفسك بأطيب الطعام وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك ، وذووا الحاجات وراء الباب . فقال : يا أمير المؤمنين علمنى أمتثل . قال : فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها ، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب ، فقال : يعمد أحدكم فيخرج حاجا مقلا حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كانا فى الطيب فلبسهما ؟ ! فقال معاوية : إنما لبستهما لأدخل فيهما على عشيرتى وقومى ، والله لقد بلغنى أذاك ههنا وبالشام ، فالله يعلم أنى لقد عرفت الحياء فيه ، ثم نزع معاوية ثوبيه ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى أبى عن هشام بن محمد عن أبى عبد الرحمن المدنى . قال : كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال : هذا كسرى العرب . وهكذا حكى المدائنى عن عمر أنه قال ذلك . وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى عن جده . قال : دخل معاوية على عمر وعليه حلة خضراء ، فنظر إليها الصحابة ، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدرة فجعل يضربه بها ، وجعل معاوية يقول : يا أمير المؤمنين الله الله فى ، فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم : لم ضربته يا أمير المؤمنين ؟ ومافى قومك مثله ؟ فقال : والله مارأيت إلا خيراً ، وما بلغنى إلا خير ، ولو بلغنى غير ذلك لكان منى إليه غيرما رأيتم ، ولكن رأيته ــ وأشار بيده ــ فأحببت أن أضع منه ماشمخ . وقد قال أبو داود : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ثنا يحيى بن حمزة ثنا ابن أبى مريم أن القاسم بن مخيمرة أخبره أن أبا مريم الأزدى أخبره . قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك أبا فلان ــ وهى كلمة تقولها

العرب ـ فقلت : حديث سمعته أخبرك به ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره » . قال : فجعل معاوية حين سمع هذا الحديث رجلا على حوائج الناس . ورواه الترمذي وغيره .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ثنا حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز . قال : خرج معاوية على الناس فقاموا له فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . [وفي رواية . قال : خرج معاوية على ابن عامر وابن الزبير فقام له ابن عامر ولم يقم له ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : إجلس ! فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : « من أحب أن يتمثل له العباد قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . [(1)] ورواه أبو داود والترمذي من حديث حبيب بن الشهيد ، وقال الترمذي : حديث حسن . وروى أبو داود من حديث الثوري عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد المقرى الحمصي عن معاوية . قال : قال رسول الله (ص) : « إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » . قال : كلمة سمعها معاوية نفعه الله بها . تفرد به أحمد ـ يعني أنه كان جيد السيرة ، حسن التجاوز ، جميل العفو ، كثير الستر رحمه الله تعالى ـ وثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية . أنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ، ولا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » . وفي رواية « وهم على ذلك » وقد خطب معاوية بهذا الحديث مرة ثم قال : وهذا مالك ابن يخامر يخبر عن معاذ أن رسول الله (ص) قال وهم بالشام ـ يحث بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق : « وإن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها » وهذا مما كان يحتج به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق . وقال الليث بن سعد : فتح معاوية قيسارية سنة تسع عشرة في دولة عمر بن الخطاب . وقال غيره : وفتح قبرص سنة خمس وقيل سبع ، وقيل ثمان وعشرين في أيام عثمان . قالوا : وكان عام غزوة المضيق ـ يعني مضيق القسطنطينية ـ في سنة ثنتين وثلاثين في أيامه وكان هو الأمير على الناس عامئذ . وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام ، وقيل إن عمر هو الذي جمعها له ، والصحيح عثمان . واستقضى معاوية فضالة بن عبيد بعد أبي الدرداء ، ثم كان ما كان بينه وبين علي بعد قتل عثمان ، على سبيل الاجتهاد والرأي ، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدمنا ، وكان الحق والصواب مع علي ، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالأسلام للفريقين من الطرفين ـ أهل العراق وأهل الشام ـ كما ثبت في الحديث الصحيح

(١) سقط من المصرية وهو في الحلبية

« تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين ، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق » فكانت المارقة الخوارج ، وقتلهم علي وأصحابه ، ثم قتل علي فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين ، وكان يغزو الروم فى كل سنة مرتين ، مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء ، ويأمر رجلا من قومه فيحج بالناس ، وحج هو سنة خمسين ، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين . وفيها أو فى التى بعدها أغزاه بلاد الروم [فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية ، وقد ثبت فى الصحيح : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » .] وقال وكيع عن الأعمش عن أبي صالح . قال : كان الحادى يحدو بعثمان فيقول : إن الأميرَ بعدهُ عليّ * وفى الزبيرِ خلفٌ مرضيّ

فقال كعب : بل هو صاحب البغلة الشهباء ـ يعنى معاوية ـ فقال : يا أبا إسحاق تقول هذا وههنا علي والزبير وأصحاب محمد ص ؟ فقال : أنت صاحبها . ورواه سيف عن بدر بن الخليل عن عثمان ابن عطية الأسدى عن رجل من بنى أسد . قال : مازال معاوية يطمع فيها منذ سمع الحادى فى أيام عثمان يقول : إن الأميرَ بعدهُ علي * وفى الزبير خلفٌ مرضيّ

فقال كعب : كذبت ! بل صاحب البغلة الشهباء بعده ـ يعنى معاوية ـ فقال له معاوية فى ذلك فقال : نعم ! أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لاتصل إليك حتى تكذب بحديثى هذا ، فوقعت فى نفس معاوية .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن عباد المكى ثنا سفيان بن عيينة عن أبى هارون قال قال عمر : إياكم والفرقة بعدى ، فان فعلتم فان معاوية بالشام ، وستعلمون إذا وكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها دونكم . ورواه الواقدى من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه . وقد روى ابن عساكر عن عامر الشعبى أن عليا حين بعث جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية قبل وقعة صفين ـ وذلك حين عزم عليّ على قصد الشام ، وجمع الجيوش لذلك ـ وكتب معه كتابا إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعته ، لانه قد بايعه المهاجرون والأنصار ، فان لم تبايع استعنت بالله عليك وقاتلتك . وقد أكثرت القول فى قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله ، فى كلام طويل . وقد قدمنا أكثره ، فقرأه معاوية على الناس وقام جرير فخطب الناس ، وأمر فى خطبته معاوية بالسمع والطاعة ، وحذره من المخالفة والمعاندة ، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس ، وأن يضرب بعضهم بعضا بالسيوف . فقال معاوية : انتظر حتى آخذ رأى أهل الشام ، فلما كان بعد ذلك أمر معاوية مناديا فنادى فى الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال : « الحمد لله الذى جعل الدعائم للاسلام أركانا ، والشرائع للايمان برهانا ، يتوقد مصباحه

بالسنة فى الأرض المقدسة التى جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ، فاحلها اهل الشام ورضيهم لها ، ورضيها لهم ، لما سبق فى مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم أولياءه فيها ، والقوام بأمره ، الذابين عن دينه وحرماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاما ، وفى أعلام الخير عظاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم الألفة بين المؤمنين ، والله نستعين على إصلاح ماتشعث من أمور المسلمين ، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة ، اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائما ، ويخيفون آمنا ، ويريدون هراقة دمائنا ، وإخافة سبلنا ، وقد يعلم الله أنا لانريد لهم عقابا ، ولانهتك لهم حجاباً ، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ماجاوب الصدى ، وسقط الندى ، وعرف المدى ، وقد علمنا أن الذى حملهم على خلافنا البغى والحسد لنا ، فالله نستعين عليهم . أيها الناس ! قد علمتم أنى خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأنى خليفة أمير المؤمنين عثمان عليكم ، وأنى لم أقم رجلا منكم على خزائه قط ، وإنى ولى عثمان وابن عمه ، قال الله تعالى فى كتابه : [ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً] وقد علمتم أنه قتل مظلوما ، وأنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان .

فقال أهل الشام بأجمعهم : بل نطلب بدمه ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ، ووثقوا له أن يبذلوا فى ذلك أنفسهم وأموالهم ، أو يدركوا بثأره ، أو يفنى الله أرواحهم قبل ذلك ، فلما رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية مارأى ، أفزعه ذلك ، وعجب منه . وقال معاوية لجرير : إن ولانى على الشام ومصر بايعته على أن لا يكون لاحد بعده على بيعة ، فقال : اكتب إلى على بما شئت ، وأنا أكتب معك ، فلما بلغ علياً الكتاب قال : هذه خديعة ، وقد سألنى المغيرة بن شعبة أن أولى معاوية الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك [وما كنت متخذ المضلين عضداً] ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه ، فما قدم إلاوقد اجتمعت العساكر إلى على ، وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ـ وكان معتزلا بفلسطين حين قتل عثمان ـ وكان عثمان قد عزله عن مصر فاعتزل بفلسطين ، فكتب إليه معاوية يستدعيه ليستشيره فى أموره فركب إليه فاجتمعا على حرب على . وقد قال عقبة بن أبى معيط فى كتاب معاوية إلى على حين سأله نيابة الشام ومصر ، فكتب إلى معاوية يؤنبه ويلومه على ذلك ويعرض بأشياء فيه .

معاوى إن الشام شامك فاعتصم * بشامك لاتدخل عليك الأفاعيا
فإنّ عليا ناظرٌ ما تجيبهُ * فأهدِ لهُ حرباً يشيبُ النواصيا
وحامِ عليها بالقتال وبالقنا * ولاتكُ مخشوشَ الذراعين وانيا
وإلا فسلم إن فى الأمن راحةً * لمن لايريد الحرب فاختر معاويا

وإنّ كتاباً يا ابنَ حربٍ كتبتهُ * على طمعٍ جانٍ عليكَ الدواهيا
سألتَ علياً فيـه مالا تنالهُ * ولوْ نلتـهُ لمْ يبقَ إلا لياليا
إلى أنْ ترى منهُ الذى ليسَ بعدها * بقاءٌ فلا تكثرْ عليكَ الأمانيا
ومثلُ علـى تغترهُ بخدعةٍ * وقدْ كانَ ما جربتَ من قبلُ بانيا
ولوْ نشبتْ أظفارهُ فيكَ مرةً * فراكَ ابنَ هندٍ بعدَ ما كنتَ فاريا

وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولانى وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له : أنت تنازع علياً أم أنت مثله ؟ فقال : والله إنى لأعلم أنه خير منى وأفضل ، وأحق بالأمر منى ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ، وأنا أطلب بدمه وأمره إلى ؟ فقولوا له : فليسلم إلى قتلة عثمان وأنا أسلم له أمره . فأتوا علياً فكلموه فى ذلك فلم يدفع إليهم أحداً ، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية . وعن عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن عامر الشعبى وأبى جعفر الباقر . قال : بعث علـى رجلا إلى دمشق ينـذرهم أن علياً قد نهد فى أهل العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية ، فلما قدم أمر معاوية فنودى فى الناس : الصلاة جامعة ، فملأوا المسجد ثم صعد المنبر فقال فى خطبته : إن علياً قد نهد إليكم فى أهل العراق فما الرأى ؟ فضرب كل منهم على صدره ، ولم يتكلم أحد منهم ، ولا رفعوا إليـه أبصارهم ، وقام ذو الـكلاع فقال يا أمير المؤمنين عليك الرأى وعلينا الفعال . ثم نادى معاوية فى الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم فى ثلاث ، فمن تخلف بعدها فقد أحل بنفسه ، فاجتمعوا كلهـم ، فركب ذلك الرجل إلى على فأخبره ، فأمر عـلى منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر فقال : إن معاوية قد جمع الناس لحربكم ، فما الرأى ؟ فقال كل فريق منهم مقالة ، واختلط كلام بعضهم فى بعض ، فلم يدر على مما قالوا شيئاً ، فنزل عن المنبر وهو يقول : إنا لله وإنا إليـه راجعون ، ذهب والله بها ابن آكلة الأكباد . ثم كان من أمر الفريقين بصفين ما كان ، كما ذكرناه مبسوطاً فى سـنة ست وثلاثين . وقد قال أبو بكر بن دريد : أنبأنا أبو حاتم عن أبى عبيدة . قال قال معاوية : لقد وضعت رجلى فى الركاب وهممت يوم صفين بالهزيمة ، فما منعنى إلا قول ابن الاطنابة حيث يقول : ـ

أبتْ لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمدَ بالثمنِ الربيحِ
وإكراهى على المكروهِ نفسى * وضربى هامةَ البطلِ المشيحِ
وقولى كلما جشأتْ وجاشتْ * مكانكِ تحمدى أو تستريحى

وروى البيهقى عن الامام أحمد أنه قال : الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، فقيل له : فمعاوية ؟ قال : لم يكن أحد أحق بالخلافة فى زمان على من على ، ورحم الله معاوية . وقال عـلى بن المدينى :

سمعت سفيان بن عيينة يقول: ما كانت فى على خصلة تقصر به عن الخلافة، ولم يكن فى معاوية خصلة ينازع بها علياً. وقيل لشريك القاضى: كان معاوية حليما؟ فقال: ليس بحليم من سفه الحق وقاتل عليا. رواه ابن عساكر. وقال سفيان الثورى، عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه ذكر معاوية وأنه لبى عشية عرفة فقال فيه قولا شديداً، ثم بلغه أن علياً لبى عشية عرفة فتركه. وقال أبو بكر بن أبى الدنيا: حدثنى عباد بن موسى ثنا على بن ثابت الجزرى عن سعيد بن أبى عروبة عن عمر بن عبد العزيز. قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية، فأدخلا بيتا وأجيف الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج على وهو يقول: قضى لى ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لى ورب الكعبة. وروى ابن عساكر عن أبى زرعة الرازى أنه قال له رجل: إنى أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فايش دخولك أنت بينهما؟ رضى الله عنهما. وسئل الامام أحمد عما جرى بين على ومعاوية فقرأ [تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون] وكذا قال غير واحد من السلف.

وقال الأوزاعى: سئل الحسن عما جرى بين على وعثمان فقال: كانت لهذا سابقة ولهذا سابقة، ولهذا قرابة ولهذا قرابة، فابتلى هذا وعوفى هذا. وسئل عما جرى بين على ومعاوية فقال: كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة، ولهذا سابقة ولم يكن لهذا سابقة، فابتليا جميعاً. وقال كلثوم بن جوشن: سأل النضر أبو عمر الحسن البصرى فقال: أبو بكر أفضل أم على؟ فقال: سبحان الله ولا سواء، سبقت لعلى سوابق يشركه فيها أبو بكر، وأحدث على حوادث لم يشركه فيها أبو بكر، أبو بكر أفضل. قال: فعمر أفضل أم على؟ فقال: مثل قوله فى أبى بكر، ثم قال: عمر أفضل. ثم قال: عثمان أفضل أم على؟ فقال مثل قوله الأول، ثم قال: عثمان أفضل. قال: فعلى أفضل أم معاوية؟ فقال: سبحان الله ولا سواء. سبقت لعلى سوابق لم يشركه فيها معاوية، وأحدث على أحداثا شركه فيها معاوية، على أفضل من معاوية. وقد روى عن الحسن البصرى أنه كان ينقم على معاوية أربعة أشياء، قتاله علياً، وقتله حجر بن عدى، واستلحاقه زياد بن أبيه، ومبايعته ليزيد ابنه. وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة. قال: لما جاء خبر قتل على إلى معاوية جعل يبكى، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لاتدرين مافقد الناس من الفضل والفقه والعلم، وفى رواية أنها قالت له بالأمس تقاتله واليوم تبكينه؟

قلت: وقد كان مقتل على فى رمضان سنة أربعين، ولهذا قال الليث بن سعد: إن معاوية بويع

له بايليا بيعة الجماعة ؛ ودخل الكوفة سنة اربعين ، والصحيح الذى قاله ابن إسحاق والجمهور انه بويع له بايليا فى رمضان سنة أربعين ، حين بلغ أهل الشام مقتل علي ، ولكنه إنما دخل الكوفة بعد مصالحة الحسن له فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، وذلك بمكان يقال له أذرج ، وقيل بمسكن من أرض سواد العراق من ناحية الانبار ، فاستقل معاوية بالأمر إلى أن مات سنة ستين . قال بعضهم : كان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب . وقيل بل كان : لاقوة إلا بالله . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وسعيد بن منصور قالا : ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد . قال : صلى بنا معاوية بالنخيلة ـ يعنى خارج الكوفة ـ الجمعة فى الضحى ثم خطبنا فقال : ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، قد عرفت أنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، فقد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون » . رواه محمد بن سعد عن يعلى بن عبيد عن الأعمش به . وقال محمد بن سعد : حدثنا عارم ثنا حماد بن يزيد عن معمر عن الزهرى أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه ، ثم إنه بَعُدَ عن ذلك . وقال نعيم بن حماد : حدثنا ابن فضيل عن السرى بن إسماعيل عن الشعبى حدثنى سفيان بن الليل قال : قلت للحسن بن على لما قدم من الكوفة إلى المدينة : يامذل المؤمنين ، قال : لاتقل ذلك فانى سمعت رسول الله (ص) يقول : « لاتذهب الايام والليالى حتى يملك معاوية » . فعلمت أن أمر الله واقع ، فكرهت أن تهراق بينى وبينه دماء المسلمين . وقال مجالد عن الشعبى عن الحارث الأعور . قال قال على بعد ما رجع من صفين : أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية ، فانكم لو فقدتموه رأيتم الرؤس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل . وقال ابن عساكر باسناده عن أبى داود الطيالسى : ثنا أيوب بن جابر عن أبى إسحاق عن الأسود بن يزيد قال قلت لعائشة : ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله (ص) فى الخلافة ، فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة ، وكذلك غيره من الكفار .

وقال الزهرى : حدثنى القاسم بن محمد أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة فكلمها خاليين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكوان أبو عمرو مولى عائشة ، فقالت : أمنت أن أخبأ لك رجلاً يقتلك بقتلك أخى محمداً ؟ فقال : صدقتِ ، فلما قضى معاوية كلامه معها تشهدت عائشة ثم ذكرت مابعث الله به نبيه (ص) من الهدى ودين الحق ، والذى سن الخلفاء بعده ، وحضت معاوية على العدل واتباع أثرهم ، فقالت فى ذلك فلم يترك له عذراً ، فلما قضت مقالتها قال لها معاوية : أنت والله العالمة العاملة بأمر رسول الله (ص) ، الناصحة المشفقة البليغة الموعظة ، حضضت على الخير ، وأمرت به ، ولم تأمرينا إلا بالذى هو لنا مصلحة ، وأنت أهل أن تطاعى . وتكلمت هى ومعاوية

كلاماً كثيراً . فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال : والله ماسمعت خطيباً ليس رسول الله ص .. أبلغ من عائشة . وقال محمد بن سعد : حدثنا خالد بن مخلد البجلي ثنا سليمان بن بلال حدثني علقمة ابن أبي علقمة عن أمه . قالت : قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة : أن ارسلي بانبجانية رسول الله ص ، وشعره ، فأرسلت به معي أحمله ، حتى دخلت به عليه ، فأخذ الانبجانية فلبسها ، وأخذ شعره فدعا بماء فغسله وشرب به وأفاض على جلده . وقال الأصمعي عن الهذلي عن الشعبي قال : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقته رجال من وجوه قريش فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرك ، وأعلا أمرك . فما رد عليهم جواباً حتى دخل المدينة ، فقصد المسجد وعلا المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ! فاني والله ماوليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لاتسرون بولايتي ولاتحبونها ، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ، ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه ، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً من ذلك ، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت علي وأين مثل هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم ؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم ؟ رحمة الله ورضوانه عليهم ، غير أني سلكت بها طريقاً لي فيه منفعة ، ولكم فيه مثل ذلك . ولكل فيه مواكلة حسنة ، ومشاربة جميلة ، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة ، فان لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم ، والله لا أحمل السيف على من لاسيف معه ، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني ، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فارضوا مني ببعضه ، فانها بقابية قوبها ، وإن السيل إذا جاء يبرى ، وإن قل أغنى ، وإياكم والفتنة فلا تهموا بها ، فانها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، وتورث الاستيصال ، أستغفر الله لي ولكم ، أستغفر الله . ثم نزل . - قال أهل اللغة : القابية البيضة ، والقوب الفرخ ، قابت البيضة تقوب إذا انفلقت عن الفرخ - .

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حج في سنة أربع وأربعين ، أو في سنة خمسين ، لافي عام الجماعة. وقال الليث : حدثني علوان بن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه ، فلقيه الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجه إلى دار عثمان بن عفان ، فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها ، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فان لي حاجة في هذه الدار ، فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بنت عثمان ، وأمرها بالكف وقال لها : يابنت أخي إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، فبعناهم هذا بهذا ، وباعونا هذا بهذا ، فان أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم ، ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته ، فان نكثناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندري أتكون

لنا الدائرة أم علينا ؟ وأن تكونى ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إلى أن تكونى أمة من إماء المسلمين ؛ ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك . وقد روى ابن عدى من طريق على بن زيد وهو ضعيف عن أبى نضرة عن أبى سعيد ، ومن حديث مجالد وهو ضعيف أيضا عن أبى الوداك عن أبى سعيد . أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه » . وأسنده أيضا من طريق الحكم بن ظهير ـ وهو متروك ـ عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعاً . وهذا الحديث كذب بلا شك ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك ، لأنهم كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم . وأرسله عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى ، قال أيوب : وهو كذب ورواه الخطيب البغدادى باسناد مجهول عن أبى الزبير عن جابر مرفوعاً : « إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقتلوه [1] فانه أمين مأمون »

وقد قال أبو زرعة الدمشقى عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعى قال : أدركت خلافة معاوية عدة من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت وسلمة بن مخلد وأبو سعيد ورافع بن خديج وأبو أمامة وأنس بن مالك ، ورجال أكثر وأطيب ممن سمينا بأضعاف مضاعفة ، كانوا مصابيح الهدى ، وأوعية العلم ، حضروا من الكتاب تنزيله ، ومن الدين جديده ، وعرفوا من الاسلام مالم يعرفه غيرهم ، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويل القرآن . ومن التابعين لهم باحسان ما شاء الله ، منهم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن محيريز ، وفى أشباه لهم لم ينزعوا يدا من جماعة فى أمة محمد ﷺ .

وقال أبو زرعة عن دحيم عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز . قال : لما قتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو ، حتى كان عام الجماعة فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ، تذهب سرية فى الصيف ويُشَتُّوا بأرض الروم ، ثم تقفل وتعقبها أخرى ، وكان فى جملة من أغزى ابنه يزيد ومعه خلق من الصحابة ، فجاز بهم الخليج ، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ، ثم قفل بهم راجعاً إلى الشام ، وكان آخر ما اوصى به معاوية أن قال : شد خناق الروم . وقال ابن وهب عن يونس عن الزهرى قال . حج معاوية بالناس فى أيام خلافته مرتين ، وكانت أيامه عشرين سنة إلا شهراً . وقال أبو بكر بن عياش : حج بالناس معاوية سنة أربع وأربعين ، وسنة خمسين . وقال غيره : سنة إحدى وخمسين فالله أعلم . وقال الليث بن سعد : حدثنا بكير عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبى وقاص قال : ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب ـ يعنى معاوية ـ وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن ثنا المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية . قال :

---

(١) لعله فاقبلوه بدليل قوله فى سياق الكلام : فانه أمين مأمون ، ولا يطعن فى الحديث ويصح المعنى والله أعلم .

فلما دخلت عليه ـ حسبت أنه قال سلمت عليه ـ فقال : مافعل طعنك على الأئمة يامسور ؟ قال قلت : ارفضنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له ، فقال : لتكلمني بذات نفسك ، قال : فلم أدع شيئا أعيبه عليه إلا أخبرته به ، فقال : لاتبرأ من الذنوب ، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك ؟ قال : قلت : نعم ! إن لي ذنوبا إن لم تغفرها هلكت بسببها ، قال : فما الذي يجعلك أحق بأن ترجو أنت المغفرة منى ، فوالله لما إلى من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود والاصلاح بين الناس والجهاد فى سبيل الله والأمور العظام التى لايحصيها إلا الله ولانحصيها أكثر مما تذكر من العيوب والذنوب ، وإنى لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ، والله على ذلك ما كنت لأخير بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه ، قال : فتفكرت حين قال لى ماقال فعرفت أنه قد خصمني . قال : فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير . وقد رواه شعيب عن الزهرى عن عروة عن المسور بنحوه

وقال ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى قال قال معاويه : يأيها الناس ! ما أنا بخيركم وإن منكم لمن هو خير منى ، عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما من الأفاضل ، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية ، وأنكاكم فى عدوكم . وأدركم حلبا . وقد رواه أصحاب محمد عن ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبى بكر بن أبى مريم عن ثابت، مولى معاوية أنه سمع معاويه يقول نحو ذلك . وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن حلبس قال سمعت معاويه على منبر دمشق يوم جمعة يقول : أيها الناس اعقلوا قولى ، فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة منى : أقيموا وجوهكم وصفوفكم فى الصلاة ، أو ليخالفن الله بين قلوبكم ، خذوا على أيدى سفهائكم أو ليسلطن الله عليكم عدوكم فليسومنكم سوء العذاب . تصدقوا ولا يقولن الرجل إنى مقل ، فان صدقه المقل أفضل من صدقة الغنى ، إياكم وقذف المحصنات ، وأن يقول الرجل : سمعت وبلغنى ، فلو قذف أحدكم امرأة على عهد نوح لسئل عنها يوم القيامة . وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا يزيد ابن طهمان الرقاشى ثنا محمد بن سيرين . قال : كان معاوية إذا حدث عن رسول الله (ص) لم يتهم . ورواه أبو القاسم البغوى عن سويد بن سعيد عن همام بن إسماعيل عن أبى قبيل. قال : كان معاوية يبعث رجلا يقال له أبو الجيش فى كل يوم فيدور على المجالس يسأل هل ولد لأحد مولود ؟ أو قدم أحد من الوفد ؟ فاذا أخبر بذلك أثبت فى الديوان ـ يعنى ليجرى عليه الرزق ـ وقال غيره : كان معاوية متواضعاً ليس له مجالد إلا كمجالد الصبيان التى يسمونها المخاريق فيضرب بها الناس . وقال هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حلبس . قال : رأيت معاوية فى سوق دمشق وهو مردف وراءه وصيفا عليه قميص مرقوع الجيب ، وهو يسير فى اسواق دمشق ، وقال

الأعمش عن مجاهد ، إنه قال : لو رأيتم معاوية لقلتم هـذا المهدى . وقال هشيم عن العوام عن جبلة ابن سحيم عن ابن عمر و . قال : مارأيت أحداً أسود من معاوية ، قال قلت : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه . ورواه أبو سفيان الحميرى عن العوام بن حوشب به . وقال : ما رأيت أحـداً بعد رسول الله ص ، أسود من معاوية ، قيل ولا أبو بكر ؟ قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان خيراً منه ، وهو أسود . وروى من طرق عن ابن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : عن معمر عن همام سمعت ابن عباس يقول : مارأيت رجلا كان أخلق بالملك من معاوية ، وقال حنبل بن إسحاق: حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن أبى عتيبة عن شيخ من أهل المدينـة قال قال معاوية . أنا أول الملوك . وقال ابن أبى خيثمة : حدثنا هارون بن معروف حدثنا حمزة عن ابن شوذب قال : كان معاوية يقول أنا أول الملوك وآخر خليفة ، قلت : والسنة أن يقال لمعاوية ملك ، ولا يقال له خليفة لحديث « سفينة الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملـكا عضوضا » .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً وذكر معاوية فقال :مارأيت مثله فى حلمه واحتماله وكرمه . وقال قبيصة بن جابر : ما رأيت أحـداً أعظم حلما ولا أكثر سؤدداً ولا أبعـد أناة ولا ألين مخرجا ، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية . وقال بعضهم : أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شـديداً ، فقيل له لو سطوت عليه ؟ فقال : إنى لأستحى من الله أن يضيق حلمى عن ذنب أحد من رعيتى . وفى رواية قال له رجل : ياأمير المؤمنين ما أحلمك ؟ فقال : إنى لأستحى أن يكون جرم أحد أعظم من حلمى .

وقال الاصمعى عن الثورى : قال قال معاوية : إنى لأستحى أن يكون ذنب أعظم من عفوى ، أو جهـل أكبر من حلمى ، أو تكون عورة لا أواريها بسترى . وقال الشعبى والاصمعى عن أبيـه قالا : جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمزٌ لمعاوية ، فأطرق معاوية . ثم رفع رأسه فقال : يا أبا الجهم إياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبيان ، ويأخذ أخـذ الأسد ، وإن قليله يغلب كثير الناس . ثم أمر معاوية لأبى الجهم بمال فقال : أبو الجهـم فى ذلك يمدح معاوية .

نميلُ عـلى جوانبهِ كأنا * نميلُ إذا نميلُ على أبينا
نقلبهُ لنخبرَ حالتيهِ * فنخبرُ منهما كرماً ولينا

وقال الأعمش : طاف الحسن بن على مع معاوية فـكان معاوية يمشى بين يديه ، فقال الحسن: ما أشبه أليتيه بأليتى هند ؟ ! فالتفت إليه معاوية فقال : أما إن ذلك كان يعجب أبا سفيان . وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم لمعاوية : إن فلاناً يشتمنى ، فقال له : طأطئ لها فتمر فتجاوزك . وقال ابن الأعرابى : قال رجل لمعاوية : ما رأيت أندل منك ، فقال معاوية : بلى من واجـه الرجال بمثل

هذا. وقال أبو عمرو بن العلاء قال معاوية : مايسرنى بذل الكرم حمر النعم . وقال : مايسرنى بذل الحلم عز النصر. وقال بعضهم : قال معاوية : يابنى أمية فارقوا قريشا بالحلم ، فوالله لقد كنت ألقى الرجل فى الجاهلية فيوسعنى شتما وأوسعه حلماً ، فأرجع وهو لى صديق ، إن استنجدته أنجدنى ، وأثور به فيثور معى ، وما وضع الحلم عن شريف شرفه ، ولا زاده إلا كرماً وقال : آفة الحلم الذل. وقال : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم . وقال عبد الله بن الزبير : لله در ابن هند ، إن كنا لنفرقه وما الليث على براثنه بأجرأ منه ، فيتفارق لنا ، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا ، والله لوددت أنا متعنا به مادام فى هذا الجبل حجر - وأشار إلى أبى قبيس - وقال رجل لمعاوية : من أسود الناس؟ قال : أسخاهم نفسا حين يسأل ، وأحسنهم فى المجالس خلقاً ، وأحلمهم حين يستجهل . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيراً

فما قتلُ السفاهةِ مثلُ حلمٍ * يعودُ بهِ على الجهلِ الحليمُ
فلا تسفهْ وإن مُلِّئتَ غيظاً * على أحدٍ فإن الفحشَ لومُ
ولا تقطعْ أخاكَ عند ذنبٍ * فإنَّ الذنبَ يغفرهُ الكريمُ

[وقال القاضى الماوردى فى الأحكام السلطانية : وحكى أن معاوية أتى بلصوص فقطعهم حتى بقى واحد من بينهم ، فقال :

يمينى أميرَ المؤمنينَ أعيذها * بعفوكَ أن تلقى مكاناً يشينها
يدى كانتِ الحسناءُ لوتمَّ سترها * ولا تعدمِ الحسناءُ عيباً يشينها
فلا خيرَ فى الدنيا وكانت حبيبةً * إذا ما شمالى فارقتها يمينها

فقال معاوية : كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك ؟ فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين ! اجعلها فى ذنوبك التى تتوب منها . فخلى سبيله ، فكان أول حد ترك فى الاسلام] . وعن ابن عباس أنه قال : قد علمت بم غلب معاوية الناس ، كانوا إذا طاروا وقع ، وإذ وقع طاروا ، وقال غيره : كتب معاوية إلى نائبه زياد : إنه لا ينبغى أن يسوس الناس سياسةً واحدةً باللين فيمرحوا ، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك ، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة ، وأنا للين والألفة والرحمة ، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه . وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز . قال : قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار ، وما كان عليها من الدين الذى كانت تعطيه الناس . وقال هشام بن عروة عن أبيه . قال : بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة بمائة ألف

ففرقتها من يومها فلم يبق منها درهم ، فقالت لها خادمتها : هلا أبقيت لنا درهماً نشترى به لحماً تفطرى عليه ؟ فقالت : لو ذكرتينى لفعلت . وقال عطاء : بعث معاوية إلى عائشة وهى بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته . وقال زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة . قال : قدم الحسن بن على على معاوية فقال له : لأجيزنك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلى ، فأعطاه أربعمائة ألف ألف . ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتى ألف ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلى ، فقال له الحسين : ولم تعط أحداً أفضل منا . وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا يوسف بن موسى ثنا جرير عن مغيرة . قال : أرسل الحسن بن على وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال ، فبعث إليهما ـ أو إلى كل منهما ـ بمائة ألف ، فبلغ ذلك علياً فقال لهما : ألا تستحيان ؟ رجل نطعن فى عينه غدوة وعشية تسألانه المال ؟ فقالا : بل حرمتنا أنت وجاد هولنا . وروى الأصمعى قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن : مرحباً وأهلا بابن رسول الله ، وأمر له بثلاثمائه ألف ، وقال لابن الزبير : مرحباً وأهلا بابن عمة رسول الله ، وأمر له بمائة ألف . وقال أبو مروان المروانى : بعث معاوية إلى الحسن بن على بمائة ألف فقسمها على جلسائه ، وكانوا عشرة ، فأصاب كل واحد عشرة آلاف . وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبتها منه امرأته فاطمة فأطلقها لها ، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً ، وبعث إلى ابن عمر بمائه ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف . فقال معاوية : إنه لمقتصد يحب الاقتصاد وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول : لم جئت بها بالنهار ؟ هلا جئت بها بالليل ؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئا ، فقال معاوية : إنه لخب ضب ، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع حبله . وقال ابن دأب : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية فى كل سنة ألف ألف ، ويقضى له معها مائة حاجة ، فقدم عليه عاماً فأعطاه المال وقضى له الحاجات ، وبقيت منها واحدة ، فبينما هو عنده إذ قدم أصبهبذ سجستان يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاد ، ووعد من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف ، فطاف على رؤوس الأشهاد والأمراء من أهل الشام وأمراء العراق ، ممن قدم مع الأحنف بن قيس ، فكلهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصده الدهقان فكلم فيه ابن جعفر معاوية فقضى حاجته تكملة المائة حاجة ، وأمر الكاتب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابن جعفر : أسجد لله واحمل مالك إلى منزلك ، فإنا أهل بيت لا نبيع المعروف بالثمن . فبلغ ذلك معاويه فقال : لأن يكون يزيد قالها أحب إلى من خراج العراق ، أبت بنو هاشم إلا كرماً . وقال غيره : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية فى كل سنة ألف ألف ، فاجتمع عليه فى بعض الأوقات دين خمسمائة ألف ، فألح عليه

غرماؤه فاستنظرهم حتى يقدم على معاوية فيسأله أن يسلفه شيئاً من العطاء ، فركب إليه فقال له : ما أقدمك يا ابن جعفر ؟ فقال : دين ألحّ على غرماؤه ، فقال : وكم هو ؟ قال : خمسمائة ألف . فقضاها عنه وقال له : إن الألف ألف ستأتيك فى وقتها . وقال ابن سعيد : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا ابن هلال عن قتادة . قال قال معاوية : يا عجباً للحسن بن على ! ! شرب شربة عسل يمانية بماء رومه فقضى نحبه ، ثم قال لابن عباس : لايسؤك الله ولا يحزنك فى الحسن بن على ، فقال ابن عباس لمعاوية : لا يحزننى الله ولايسوءنى ما أبقى الله أمير المؤمنين . قال : فأعطاه ألف ألف درهم وعروضا وأشياء ، وقال : خذها فاقسمها فى أهلك . وقال أبو الحسن المدايني عن سلمة بن محارب قال : قيل لمعاوية أيكم كان أشرف ، أنتم أو بنو هاشم ؟ قال : كنا أكثر أشرافا وكانوا هم أشرف ، فيهم واحد لم يكن فى بنى عبد مناف مثل هاشم ، فلما هلك كنا أكثر عدداً وأكثر أشرافا ، وكان فيهم عبد المطلب لم يكن فينا مثله ، فلما مات صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافا ، ولم يكن فيهم واحد كواحدنا ، فلم يكن إلا كقرار العين حتى قالوا : منا نبى ، فجاء نبى لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ، محمد ، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف ؟ . وروى ابن أبى خيثمة عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمرو بن العاص قصّ على معاوية مناماً رأى فيه أبا بكر وعمر وعثمان وهم يحاسبون على ما ولوه فى أيامهم ، ورأى معاوية وهو موكل به رجلان يحاسبانه على ما عمل فى أيامه ، فقال له معاوية : وما رأيت ثم دنانير مصر ؟ . وقال ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى . قال : دخل عمرو على معاوية وقد ورد عليه كتاب فيه تعزية له فى بعض الصحابة ، فاسترجع معاوية فقال عمرو بن العاص : —

تموتُ الصالحونَ وأنتَ حيٌّ * تخطاكَ المنايا لاتموتُ

فقال له معاوية : —

أترجو أنْ أموتَ وأنتَ حيٌّ * فلستُ بميتٍ حتى تموتَ

وقال ابن السماك قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فانه لا يرضيه إلا زوالها ، وقال الزهرى عن عبد الملك عن أبى بحرية . قال قال معاوية : المروءة فى أربع ، العفاف فى الاسلام ، واستصلاح المال ، وحفظ الأخوان ، وحفظ الجار . وقال أبو بكر الهذلى : كان معاوية يقول الشعر فلما ولى الخلافة قال له أهله : قد بلغت الغاية فماذا تصنع بالشعر ؟ فارتاح يوما فقال : —

صرمتُ سفاهتى وأرحتُ حلمى * وفىّ على تحملىَ اعتراضُ

على أنى أجيبُ إذا دعتنى * إلى حاجاتها الحدقُ المراضُ

وقال مغيرة عن الشعبى : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه . وكذا

روى عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال : أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية . وقال أبو المليح عن ميمون : أول من جلس على المنبر معاوية واستأذن الناس فى الجلوس . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : أول من أذن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية . وقال أبو جعفر الباقر : كانت أبواب مكة لا أغلاق لها ، وأول من اتخذ لها الأبواب معاوية . وقال أبو اليمان عن شعيب عن الزهرى : مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر ، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية ، وقضى بذلك بنو أمية بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فراجع السنة ، وأعاد هشام ما قضى به معاوية و بنو أمية من بعده ، و به قال الزهرى ، ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف ، وأخذ النصف لنفسه . وقال ابن وهب عن مالك عن الزهرى قال : سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله (ص) فقال لى : اسمع يا زهرى ، من مات محباً لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وشهد للعشرة بالجنة ، وترحم على معاوية ، كان حقاً على الله أن لا يناقشه الحساب . وقال سعيد بن يعقوب الطالقانى : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : تراب فى أنف معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال محمد بن يحيى بن سعيد : سئل ابن المبارك عن معاوية فقال : ما أقول فى رجل قال رسول الله (ص) : سمع الله لمن حمده ، فقال خلفه : ربنا ولك الحمد ، فقيل له : أيهما أفضل ؟ هو أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لتراب فى منخرى معاوية مع رسول الله (ص) خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال غيره عن ابن المبارك قال معاوية : عندنا محنة فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم - يعنى الصحابة - وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلى وغيره : سئل المعافى بن عمران أيهما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فغضب وقال للسائل : أتجعل رجلا من الصحابة مثل رجل من التابعين ؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحى الله . وقد قال رسول الله (ص) : « دعوا لى أصحابى وأصهارى ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . وكذا قال الفضل بن عتيبة . وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبى : معاوية ستر لأصحاب محمد (ص) ، فاذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه . وقال الميمونى قال لى أحمد بن حنبل : يا أبا الحسن إذا رأيت رجلا يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الاسلام . وقال الفضل ابن زياد : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضى ؟ فقال : إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء ، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء . وقال ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة . قال : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانا قط إلا إنسانا شتم معاوية ، فانه ضربه أسواطاً . وقال بعض السلف : بينا أنا على جبل بالشام إذ سمعت هاتفاً يقول : من أبغض الصديق فذاك زنديق ، ومن أبغض عمر فالى جهنم زمرا ، ومن

أبغض عثمان فذاك خصمه الرحمن ، ومن أبغض عليا فذاك خصمه النبى ، ومن أبغض معاوية سحبته الزبانية ، إلى جهنم الحامية ، يرمى به فى الحامية الهاوية . وقال بعضهم : رأيت رسول الله (ص) وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية ، إذ جاء رجل فقال عمر : يا رسول الله هذا يتنقصنا ، فكأنه انتهره رسول الله (ص) ، فقال : يارسول الله إنى لا أتنقص هؤلاء ولكن هذا - يعنى معاوية - فقال : « ويلك ! أو ليس هو من أصحابى ؟ قالها ثلاثا ، ثم أخذ رسول الله (ص) حربة فناولها معاوية فقال : جابها فى لبته » فضربه بها وانتبهت فبكرت إلى منزلى فاذا ذلك الرجل قد أصابته الذبحة من الليل ومات ، وهو راشد الكندى . وروى ابن عساكر عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول : معاوية من الصحابة ، من العلماء الكبار ، ولكن ابتلى بحب الدنيا . وقال العتبى : قيل لمعاوية أسرع إليك الشيب ؟ فقال : كيف لا ولا أزال أرى رجلا من العرب قائما على رأسى يلقح لى كلاماً يلزمنى جوابه ، فان أصبت لم أحمد ، وإن أخطأت سارت بها البرود . وقال الشعبى وغيره : أصابت معاوية فى آخر عمره لوقة [وروى ابن عساكر فى ترجمة خديج الخصى مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة فأدخلتها عليه مجردة ، وبيده قضيب ، فجعل يهوى به إلى متاعها - يعنى فرجها - ويقول : هذا المتاع لو كان لى متاع ، اذهب بها إلى يزيد بن معاوية ، ثم قال : لا ! ادع لى ربيعة بن عمرو الجرشى - وكان فقيها - فلما دخل عليه قال : إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذاك وذاك ، وإنى أردت أن أبعث بها إلى يزيد ، قال : لاتفعل يا أمير المؤمنين ! فانها لا تصلح له ، فقال : نعم ما رأيت ، قال : ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الفزارى مولى فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وكان أسود فقال له : بيض بها ولدك ، وهذا من فقه معاوية وتحريه ، حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنه استضعف نفسه عنها ، فتحرج أن يهبها من ولده يزيد لقوله تعالى [ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء] وقد وافقه على ذلك الفقيه ربيعة بن عمرو الجرشى الدمشقى

[وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص قدم فى وفد أهل مصر إلى معاوية ، فقال لهم فى الطريق : إذا دخلتم على معاوية فلا تسلموا عليه بالخلافة فانه لا يحب ذلك ، فلما دخل عليه عمرو قبلهم ، قال معاوية لحاجبه : أدخلهم ، وأوعز إليه أن يخوفهم فى الدخول ويرعبهم ، وقال : إنى لأظن عمراً قد تقدم إليهم فى شئ ؟ . فلما أدخلوهم عليه - وقد أهانوهم - جعل أحدهم إذا دخل يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فلما نهض عمرو من عنده قال : قبحكم الله ! نهيتكم عن أن تسلموا عليه بالخلافة فسلمتم عليه بالنبوة .

وذكر أن رجلاً سأل من معاوية أن يساعده فى بناء داره باثنى عشر ألف جذع من الخشب .

فقال له معاوية : أين دارك ؟ قال : بالبصرة ، قال : وكم اتساعها ؟ قال : فرسخان فى فرسخين ، قال : لا تقل داري بالبصرة ، ولكن قل : البصرة فى داري . وذكر أن رجلا دخل بابن معه فجلسا على سماط معاوية فجعل ولده يأكل أكلاً ذريعا ، فجعل معاوية يلاحظه ، وجعل أبوه يريد أن ينهاه عن ذلك فلا يفطن ، فلما خرجا لامه أبوه وقطعه عن الدخول ، فقال له معاوية : أين ابنك التلقامة ؟ قال : اشتكى قال : قد علمت أن أكله سيورثه داء . قال : ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عباءة فجعل يزدريه ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك لا تخاطب العباءة ، إنما يخاطبك من بها . وقال معاوية : أفضل الناس من إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر غفر ، وإذا وعد أنجز ، وإذا أساء استغفر . وكتب رجل من أهل المدينة إلى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه : إذا الرجال ولدت أولادها ، واضطربت من كبر أعضادها وجعلت أسقامها تعتادها ، فهى زروع قد دنا حصادها . فقال معاوية : نعى إلىّ نفسى

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى هارون بن سفيان عن عبد الله السهمى حدثنى ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس ! إن من زرع قد استحصد ، وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدى خير منى ، وإنما يليكم من هو شر منى ، كما كان من وليكم قبلى خيراً منى ، ويا يزيد إذا دنا أجلى فول غسلى رجلا لبيباً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ ، وقراضة من شعره وأظفاره ، فاستودع القراضة أنفى وفمى ، وأذنى وعينى ، واجعل ذلك الثوب مما يلى جلدى دون لفافى ، ويا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين ، فاذا أدرجتمونى فى جريدتى ووضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وأرحم الراحمين . وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل يقول : –

لعمرى لقد عمرتُ فى الدهر برهةً * ودانت لىَ الدنيا بوقع البواترِ
وأعطيتُ حمرَ المالِ والحكمَ والنهى * ولى سلمتْ كلُّ الملوكِ الجبابرِ
فأضحى الذى قد كانَ مما يسرُّنى * كحكمٍ مضى فى المزمناتِ الغوابرِ
فياليتنى لم أعنَ فى الملكِ ساعةً * ولمْ أسعَ فى لذاتِ عيشٍ نواضرِ
وكنتُ كذى طمرينِ عاشَ ببلغةٍ * فلم يكُ حتى زارَ ضيقَ المقابرِ

وقال محمد بن سعد . أنبأنا على بن محمد عن محمد بن الحكم عمن حدثه أن معاوية لما احتضر أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال – كأنه أراد أن يطيب له – لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله . وذكروا أنه فى آخر عمره اشتد به البرد فكان إذا لبس أو تغطى بشئ ثقيل يغمه ، فاتخذ له

ثوبا من حواصل الطير ، ثم ثقل عليه بعد ذلك ، فقال : تباً لك من دار ، ملكتك أربعين سنة ، عشرين أميراً ، وعشرين خليفة ، ثم هـذا حالى فيك ، ومصيرى منك ، تباً للدنيا ولمحبيها . وقال محمد بن سعد : أنبأنا أبو عبيدة عن أبى يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير . قال : لما ثقل معاوية وتحـدث الناس بموته قال لأهله : احشوا عينى إثمـداً ، وأوسعوا رأسى دهنا ، ففعلوا وغرقوا وجهه بالدهن ، ثم مهـد له مجلس وقال : اسـندونى ، ثم قال : إيذنوا للناس فليسلموا على قياما ولا يجلس أحـد ، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتحلا متدهنا فيقول متقول الناس إن أمير المؤمنين لما به وهو أصح الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية فى ذلك : ــ

وتجلدى للشامتينَ أريهمُ * أنى لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ
وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارها * ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

قال : وكان به النقابة ــ يعنى لوقة ــ فمات من يومه ذلك رحمه الله . وقال موسى بن عقبة : لما نزل بمعاوية الموت قال : ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى ، ولم أل من هذا الأمر شيئاً . وقال أبو السائب المخزومى : لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر : ــ

إن تناقشْ يكن نقاشكَ ياربُّ * عذاباً لاطوقَ لى بالعذابِ
أو تجاوزْ تجاوزَ العفوِ واصفحْ * عن مسيءٍ ذنوبهُ كالترابِ

وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل أهله يقلبونه فقال لهم : أى شيخ تقلبون ؟ إن نجاه الله من عذاب النار غداً .

وقال محمد بن سيرين : جعل معاوية لما احتضر يضع خداً عـلى الأرض ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكى ويقول : اللهم إنك قلت فى كتابك [إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء] اللهم فاجعلنى فيمن تشاء أن تغفر له . وقال العتبى عن أبيه : تمثل معاوية عند موته بقول بعضهم وهو فى السياق

هو الموتُ لامنجامنَ الموتِ والذى * نحاذرُ بعدَ الموتِ أدهى وأفظعُ

ثم قال : اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك ، فانك واسع المغفرة ، ليس لذى خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك . ورواه ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء فذكر مثله ، وزاد : ثم مات . وقال غيره : أغمى عليـه ثم أفاق فقال لأهله : اتقوا الله فان الله تعالى يقى من اتقاه ، ولا يقى من لا يتقى ، ثم مات رحمـه الله وقد روى أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل . قال : لما مات معاوية صعد الضحاك بن قيس المنبر فخطب الناس ـ وأكفانُ معاوية على يديه ـ فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن معاوية الذى كان سور

العرب وعونهم وجدهم ، قطع الله به الفتنة ، وملكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قد مات وهذه أكفانه ، فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه و بين عمله ، ثم هول البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى . ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية يعلمه ويستحثه على المجئ .

ولا خلاف أنه توفى بدمشق فى رجب سنة ستين . فقال جماعة : ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين ، وقيل ليلة الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين . قاله ابن إسحاق وغير واحد ، وقيل لأربع خلت من رجب ، قاله الليث . وقال سعد بن إبراهيم لمستهل رجب ، قال محمد بن إسحاق والشافعى : صلى عليه ابنه يزيد ، وقد ورد من غير وجه أنه أوصى إليه أن يكفن فى ثوب رسول الله ﷺ الذى كساه إياه ، وكان مدخرا عنده لهذا اليوم ، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامة أظفاره فى فمه وأنفه وعينيه وأذنيه . وقال آخرون : بل كان ابنه يزيد غائباً فصلى عليه الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ، ثم دفن فقيل بدار الامارة وهى الخضراء ، وقيل بمقابر باب الصغير ، وعليه الجمهور فالله أعلم . وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل جاوز الثمانين وهو الأشهر والله أعلم . ثم ركب الضحاك بن قيس فى جيش وخرج ليتلقى يزيد بن معاوية — وكان يزيد بحوارين — فلما وصلوا إلى ثنية العقاب تلقتهم أثقال يزيد ، وإذا يزيد راكب على بختى وعليه الحزن ظاهر ، فسلم عليه الناس بالإمارة وعزوه فى أبيه ، وهو يخفض صوته فى رده عليهم ، والناس صامتون لا يتكلم معه إلا الضحاك بن قيس ، فانتهى إلى باب توما ، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة ، فأجازه مع السور حتى انتهى إلى الباب الشرقى ، فقيل : يدخل منه لأنه باب خالد ، فجازه حتى أتى الباب الصغير فعرف الناس أنه قاصد قبر أبيه ، فلما وصل إلى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انفتل ، فلما خرج من المقبرة أتى بمراكب الخلافة فركب .

ثم دخل البلد وأمر فنودى فى الناس إن الصلاة جامعة ، ودخل الخضراء فاغتسل ولبس ثياباً حسنة ثم خرج فخطب الناس أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أيها الناس ! إن معاوية كان عبداً من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممن بعده ودون من قبله ، ولا أزكيه على الله عز وجل فانه أعلم به ، إن عفى عنه فبرحمته ، وإن عاقبه فبذنبه ، وقد وليت الأمر من بعده ، ولست آسى على طلب ، ولا أعتذر من تفريط ، وإذا أراد الله شيئا كان . وقال لهم فى خطبته هذه : وإن معاوية كان يغزيكم فى البحر ، وإنى لست حاملا أحداً من المسلمين فى البحر ، وإن معاوية كان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتيا أحداً بأرض الروم ، وإن معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثا وأنا أجمعه لكم كله . قال : فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون

عليه أحداً . وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : بعث معاوية وهو مريض إلى ابنه يزيد ، فلما جاءه البريد ركب وهو يقول : ـ

جاء البريد بقرطاسٍ يخبُّ بهِ * فأوجس القلب من قرطاسهِ فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم * قال الخليفةُ أمسى مثقلاً وجعا
فمادتِ الأرض أو كادتْ تميدُ بنا * كأنَّ أغبرَ من أركانها انقلعا
ثم انبعثنا إلى خوصٍ مضمرةٍ * نرمى الفجاج بها ما نأتلى سرعا
فما نبالى إذا بلَّغنَ أرحلنا * ما ماتَ منهنَّ بالمرمات أو ظلعا
لما انتهينا وبابُ الدار منصفقٌ * لصوتِ رملةَ ريعَ القلبُ فانصدعا
مَن لا تزلْ نفسهُ توفى على شرفٍ * توشكْ مقاليدُ تلكَ النفسِ أن تقعا
أودى ابن هندٍ وأودى المجدُ يتبعهُ * كأنا جميعاً خليطاً سالمين معا
أغرَّ أبلجَ يستسقى الغمامُ بهِ * لو قارعَ الناسَ عن أحلامِهمْ قرعا
لا يرقعُ الناسُ ما أوهى وإن جهدوا * أنْ يرقعوه ولا يوهونَ ما رقعا

وقال الشافعي : سرق يزيد هذين البيتين من الأعشى ، ثم ذكر أنه دخل قبل موت أبيه دمشق وأنه أوصى إليه ، وهذا قد قاله ابن إسحاق وغير واحد ، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلا بعد موت أبيه ، وأنه صلى على قبره بالناس كما قدمناه والله أعلم . وقال أبو الورد العنبرى يرثى معاوية رضى الله عنه : ـ

ألا أنعى معاويةَ بنَ حربٍ * نعاةَ الحلِ للشهرِ الحرامِ
نعاهُ الناعياتُ بكلِّ فجٍ * خواضعُ فى الأزمةِ كالسهامِ
فهاتيكَ النجومُ وهنَّ خرسٌ * ينحنَ على معاويةَ الهمامِ

وقال أيمن بن خريم يرثيه أيضا : ـ

رمى الحدثانُ نسوةَ آلِ حربٍ * بمقدارٍ سمدنَ لهُ سمودا
فردَّ شعورهنَّ السودَ بيضاً * وردَّ وجوههنَّ البيضَ سودا
فإنكَ لو شهدتَ بكاءَ هندٍ * ورملةَ إذ يصفقنَ الخدودا
بكيتَ بكاءَ معولةٍ قريحٍ * أصابَ الدهرُ واحدها الفريدا

ذكر من تزوج من النساء ومن وُلد له

كان له عبد الرحمن وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وكان ضعيف العقل ، وأمهما فاختة بنت قرظة ابن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد تزوج بأختها منفردة عنها بعدها ، وهى كنوة بنت قرظة وهى

التي كانت معه حين افتتح قبرص ، وتزوج نائلة بنت عمارة الكلبية فأعجبته وقال لميسون بنت بحدل : ادخلي فانظري إلى ابنة عمك ، فدخلت فسألها عنها فقالت : إنها لكاملة الجمال ، ولكن رأيت تحت سرتها خالا ، وإني لأرى هذه يقتل زوجها ويوضع رأسه في حجرها . فطلقها معاوية فتزوجها بعده حبيب بن سلمة الفهري ، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير فقتل ووضع رأسه في حجرها . ومن أشهر أولاده يزيد وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة الكلبي ، وهي التي دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته ، وكانت حازمة عظيمة الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينا ، دخل عليها معاوية يوما ومعه خادم خصي فاستترت منه وقالت : ما هذا الرجل معك ؟ فقال : إنه خصي فاظهري عليه ، فقالت : ما كانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه ، وحجبته عنها . وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مثلتك له لن تحل ما حرمه الله عليه ، فلهذا أولى الله ابنها يزيد الخلافة بعد أبيه . وذكر ابن جرير أن ميسون هذه ولدت لمعاوية بنتا أخرى يقال لها : أمة رب المشارق ، ماتت صغيرة ، ورملة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان ، كانت دارها بدمشق عند عقبة السمك تجاه زقاق الرمان ، قاله ابن عساكر قال : ولها طاحون معروفة إلى الآن ، وهند بنت معاوية تزوجها عبد الله بن عامر ، فلما أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنعت عليه وأبت أشد الاباء ، فضربها فصرخت ، فلما سمع الجواري صوتها صرخن وعلت أصواتهن ، فسمع معاوية فنهض إليهن فاستعلمهن ما الخبر ؟ فقلن : سمعنا صوت سيدتنا فصحنا ، فدخل فاذا بها تبكي من ضربه ، فقال لابن عامر : ويحك ! ! مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة ؟ ثم قال له : اخرج من ههنا ، فخرج ابن عامر وخلا بها معاوية فقال لها : يا بنية إنه زوجك الذي أحله الله لك ، أو ما سمعت قول الشاعر : ـ

من الخفرات البيض أما حرامها * فصعب وأما حلها فذلول ؟

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها : ادخل فقد مهدت لك خلقها ووطأته . فدخل ابن عامر فوجدها قد طابت أخلاقها فقضى حاجته منها رحمهم الله تعالى .

كان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب ، فلما حضره الموت أشار على معاوية بتولية فضالة بن عبيد ، ثم مات فضالة فولى أبا إدريس الخولاني . وكان على حرسه رجل من الموالي يقال له المختار وقيل مالك ، ويكنى أبا المخارق ـ مولى لحمير ـ وكان معاوية أول من اتخذ الحرس ، وعلى حجابته سعد مولاه وعلى الشرطة قيس بن حمزة ، ثم زميل بن عمرو العذري ، ثم الضحاك بن

قيس الفهري ، وكان صاحب أمره سرجون بن منصور الرومي . وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم وختم الكتب

وممن ذكر أنه توفى فى هذه السنة ـ أعنى سنة ستين ـ (صفوان بن المعطل) بن رخصة بن المؤمل ابن خزاعى أبو عمرو ، وأول مشاهده المريسيع ، وكان فى الساقة يومئذ ، وهو الذى رماه أهل الافك بأم المؤمنين فبرأه الله وإياها مما قالوا ، وكان من سادات المسلمين ، وكان ينام نوما شديداً حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ ، فقال له رسول الله ص : « إذا استيقظت فصل » وقد قتل صفوان شهيداً .

ابو مسلم الخولاني

عبد بن ثُوَب الخولانى من خولان ببلاد اليمن . دعاه الأسود العنسى إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال له : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، أشهد أن محمداً رسول الله ، فأجج له ناراً وألقاه فيها فلم تضره ، وأنجاه الله منها فكان يشبه بابراهيم الخليل ، ثم هاجر فوجد رسول الله ص . قد مات ، فقدم على الصديق فأجلسه بينه و بين عمر وقال له عمر : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى فى أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل ، وقبله بين عينيه ، وكانت له أحوال ومكاشفات والله سبحانه أعلم . ويقال إنه توفى فيها النعمان بن بشير ، والأظهر أنه مات بعد ذلك كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه

بويع له بالخلافة بعد أبيه فى رجب سنة ستين ، وكان مولده سنة ست وعشرين ، فكان يوم بويع ابن أربع وثلاثين سنة ، فأقر نواب أبيه على الأقاليم ، لم يعزل أحداً منهم ، وهذا من ذكائه.

قال هشام بن محمد الكلبى عن أبى مخنف لوط بن يحيى الكوفى الأخبارى : ولى يزيد فى هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وأمير الكوفة النعمن بن بشير ، وأمير البصرة عبد الله بن زياد ، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية البيعة ليزيد ، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة : « بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد فان معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له ، فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ومات براً تقيا والسلام .

وكتب إليه فى صحيفة كأنها أذن الفارة : أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن

الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخصة حتى يبايعوا والسلام . فلما أتاه نعى معاوية فظع به وكَبُر عليه ، فبعث إلى مروان فقرأ عليه الكتاب واستشاره فى أمر هؤلاء النفر ، فقال : أرى أن تدعُوَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية إلى البيعة ، فان أبَوْ ضربت أعناقهم . فأرسل من فوره عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان إلى الحسين وابن الزبير ــ وهما فى المسجد ــ فقال لهما : أجيبا الأمير ، فقالا : انصرف الآن نأتيه ، فلما انصرف عنهما قال الحسين لابن الزبير : إنى أرى طاغيتهم قد هلك ، قال ابن الزبير : وأنا ما أظن غيره . قال : ثم نهض حسين فأخذ معه مواليه وجاء باب الأمير فاستأذن فأذن له ، فدخل وحده ، وأجلس مواليه على الباب ، وقال : إن سمعتم أمراً يريبكم فادخلوا ، فسلم وجلس ومروان عنده ، فناوله الوليد بن عتبة الكتاب ونعى إليه معاوية ، فاسترجع وقال : رحم الله معاوية ، وعظم لك الأجر ، فدعاه الأمير إلى البيعة فقال له الحسين : إن مثلى لا يبايع سرا ، وما أراك تجتزى منى بهذا ، ولكن إذا اجتمع الناس دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً ، فقال له الوليد ــ وكان يحب العافية ــ فانصرف على اسم الله حتى تأتينا فى جماعة الناس . فقال مروان للوليد : والله لئن فارقك ولم يبايع الساعة ليكثرن القتل بينكم وبينه ، فاحبسه ولا تخرجه حتى يبايع وإلا ضربت عنقه ، فنهض الحسين وقال : يا ابن الزرقاء أنت تقتلنى ؟ كذبت والله وأثمت . ثم انصرف إلى داره ، فقال مروان للوليد : والله لاتراه بعدها أبداً . فقال الوليد : والله يا مروان ما أحب أن لى الدنيا وما فيها وأنى قتلت الحسين ، سبحان الله ! أقتل حسينا أن قال لا أبايع ؟ والله إنى لأظن أن من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة . وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير فامتنع عليه وما طله يوما وليلة ، ثم إن ابن الزبير ركب فى مواليه واستصحب معه أخاه جعفرا وسار إلى مكة على طريق الفُرُع ، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدروا على رده ، وقد قال جعفر لأخيه عبد الله وهما سائران متمثلا بقول صبرة الحنظلى : ــ

وكلُّ بنى أمٍّ سيمسونَ ليلةً * ولم يبقَ من أعقابهمْ غيرُ واحدِ

فقال : سبحان الله ! ما أردت إلى هذا ؟ فقال : والله ما أردت به شيئا يسوءك ، فقال : إن كان إنما جرى على لسانك فهو أكره إلى ، قالوا وتطير به . وأما الحسين بن على فان الوليد تشاغل عنه بابن الزبير وجعل كلما بعث إليه يقول حتى تنظر وننظر ، ثم جمع أهله وبنيه وركب ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب من هذه السنة ، بعد خروج ابن الزبير بليلة ، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفية ، فانه قال له : والله يا أخى لأنت أعز أهل الأرض على ، وإنى ناصح لك لا تدخلن مصراً من هذه الأمصار ، ولكن اسكن البوادى والرمال ، وابعث إلى الناس فاذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل المصر ، وإن أبيت إلا سكنى المصر فاذهب إلى مكة ، فان رأيت ما تحب وإلا ترفعت

إلى الرمال والجبال فقال له : جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشفقت ، وسار الحسين إلى مكة فاجتمع هو وابن الزبير بها ، و بعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال : بايع ليزيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فقال رجل : إنما تريد أن تختلف الناس و يقتتلون حتى يتفانوا ، فاذا لم يبق غيرك بايعوك ؟ فقال ابن عمر : لا أحب شيئاً مما قلت ، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيرى بايعت ، وكانوا يتخوَّفونه.
وقال الواقدى : لم يكن ابن عمر بالمدينة حين قدم نعى معاوية ، و إنما كان هو وابن عباس بمكة فلقيهما وهما مقبلان منها الحسين وابن الزبير ، فقال : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية والبيعة ليزيد بن معاوية ، فقال لهما ابن عمر : اتقيا الله ولا تفرقا بين جماعة المسلمين ، وقدم ابن عمر وابن عباس إلى المدينة فلما جاءت البيعة من الأمصار بايع ابن عمر مع الناس ، وأما الحسين وابن الزبير فانهما قدما مكة فوجدا بها عمر و بن سعيد بن العاص فخافاه وقالا : إنا جئنا عواذاً بهذا البيت .

وفى هذه السنة فى رمضان منها عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه ، وأضافها إلى عمر و بن سعيد بن العاص نائب مكة ، فقدم المدينة فى رمضان ، وقيل فى ذى القعدة ، وكان متألهاً متكبراً ، وسلط عمر و بن الزبير ـ وكان عدواً لأخيه عبد الله ـ على حربه وجرده له ، وجعل عمر و بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة لحرب ابن الزبير . وقد ثبت فى الصحيحين أن أبا شريح الخزاعى قال لعمر و بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إيذن لى أيها الأمير أن أحدثك حديثا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناى ووعاه قلبى حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه وقال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، و إنه لم يحل القتال فيها لأحد كان قبلى ، ولم تحل لأحد بعدى ، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار ، ثم قد صارت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » . وفى رواية « فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » فقيل لأبى شريح : ما قال لك ؟ فقال : قال لى نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بخربة .

قال الواقدى : ولى عمر و بن سعيد شرطة المدينة عمر و بن الزبير فتتبع أصحاب أخيه ومن يهوى هواه ، فضربهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير ، وانه لابد أن يأخذ أخاه عبد الله فى جامعة من فضة حتى يقدم به على الخليفة ، فضرب المنذر بن الزبير ، وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخبيب بن عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم ، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جلدة ، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان التيمى ، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل فى أناس من مكة ثم جاء العزم من يزيد إلى عمر و بن سعيد فى تطلب ابن الزبير ، وأنه لا يقبل منه و إن

بايع حتى يؤتى به إلى فى جامعة [١] من ذهب أو من فضة تحت برنسه ، فلا ترى إلا أنه يسمع صوتها ، وكان ابن الزبير قد منع الحارث بن خالد المخزومى من أن يصلى بأهل مكة ، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها ، فحينئذ صمم عمرو على تجهيز سرية إلى مكة بسبب ابن الزبير ، فاستشار عمرو بن سعيد عمرو ابن الزبير : من يصلح أن نبعثه إلى مكة لأجل قتاله ؟ فقال له عمرو بن الزبير : إنك لا تبعث إليه من هو أنكى له منى ، فعينه على تلك السرية وجعل على مقدمته أنيس بن عمرو الأسلمى فى سبعمائة مقاتل . وقال الواقدى : إنما عينهما يزيد بن معاوية نفسه ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد ، فعسكر أنيس بالجرف وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يغزو مكة وأن يترك ابن الزبير بها ، فانه عما قليل إن لم يقتل يمت ، فقال أخوه عمرو بن الزبير : والله لنغزونه ولو فى جوف الكعبة على رغم أنف من رغم . فقال مروان : والله إن ذلك ليسرنى . فسار أنيس واتبعه عمرو بن الزبير فى بقية الجيش ـ وكانوا ألفين ـ حتى نزل بالأبطح ، وقيل بداره عند الصفا ، ونزل أنيس بذى طوى ، فكان عمرو بن الزبير يصلى بالناس ، ويصلى وراءه أخوه عبد الله بن الزبير ، وأرسل عمرو إلى أخيه يقول له : برعين الخليفة ، وأته وفى عنقك جامعة من ذهب أو فضة ، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضا ، واتق الله فانك فى بلد حرام . فأرسل عبد الله يقول لأخيه : موعدك المسجد . وبعث عبد الله ابن الزبير عبد الله بن صفوان بن أمية فى سرية فاقتتلوا مع عمرو بن أنيس الأسلمى فهزموا أنيسا هزيمة قبيحة ، وتفرق عن عمرو بن الزبير أصحابه وهرب عمرو إلى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبيدة بن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : تجير من فى عنقه حقوق الناس ؟ ثم ضربه بكل من ضربه بالمدينة إلا المنذر بن الزبير وابنه فانهما أبيا أن يستقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه عارم ، فسمى سجن عارم ، وقد قيل إن عمرو بن الزبير مات تحت السياط والله أعلم .

قصة الحسين بن عليّ وسبب خروجه من مكة في طلب الأمارة وكيفية مقتله

ولنبدأ قبل ذلك بشيء من ترجمته ثم نتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله .

هو الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبد الله القرشى الهاشمى ، السبط الشهيد بكربلاء ابن بنت رسول الله ﷺ ، فاطمة الزهراء ، وريحانته من الدنيا ، ولد بعد أخيه الحسن ، وكان مولد الحسن فى سنة ثلاث من الهجرة ، وقال بعضهم : إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل ، وولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع . وقال قتادة : وُلد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ ، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء فى المحرم سنة إحدى وستين ، وله

(١) الجامعة الغل بضم الغين . وهو مايوضع فى اليد أو العنق .

أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف ، رضى الله عنه . وروى عن النبى (ص) أنه حنكه وتفل فى فيه ودعا له وسماه حسينا ، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حربا ، وقيل جعفراً ، وقيل : إنما سماه يوم سابعه وعق عنه . وقال جماعة عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانئ بن هانئ عن على رضى الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله (ص) ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه به ما بين أسفل من ذلك ، وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن الضحاك الحزامى . قال : كان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله (ص) ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله (ص) . وروى محمد بن سيرين وأخته حفصة ، عن أنس . قال : كنت عند ابن زياد فجئ برأس الحسين فجعل يقول بقضيب فى أنفه ويقول : ما رأيت مثل هذا حسناً ، فقلت له : إنه كان من أشبههم برسول الله (ص) . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبى زياد : رأيت الحسين ؟ قال : نعم أسود الرأس واللحية إلا شعرات ههنا فى مقدم لحيته ، فلا أدرى أخضب وترك ذلك المكان تشبها برسول الله (ص) ، أولم يكن شاب منه غير ذلك ؟ وقال ابن جريج : سمعت عمر بن عطاء قال : رأيت الحسين بن على يصبغ بالوشمة ، أما هو فكان ابن ستين سنة ، وكان رأسه ولحيته شديدى السواد ، فأما الحديث الذى روى من طريقين ضعيفين أن فاطمة سألت رسول الله (ص) فى مرض الموت أن ينحل ولديها شيئا فقال : « أما الحسن فله هيبتى وسؤددى ، وأما الحسين فله جرأتى وجودى » فليس بصحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب المعتبرة ، وقد أدرك الحسين من حياة النبى (ص) خمس سنين أو نحوها ، وروى عنه أحاديث ، وقال مسلم بن الحجاج له رؤية من النبى (ص) ، وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال فى الحسن بن على : إنه تابعى ثقة ، وهذا غريب فلأن يقول فى الحسين إنه تابعى بطريق الأولى

وسنذكر ما كان رسول الله (ص) يكرمهما به ، وما كان يظهر من محبتهما والحنو عليهما . والمقصود أن الحسين عاصر رسول الله (ص) وصحبه إلى أن توفى وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً . ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان ، وصحب أباه وروى عنه ، وكان معه فى مغازيه كلها ، فى الجمل وصفين ، وكان معظما موقراً ، ولم يزل فى طاعة أبيه حتى قتل ، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شق ذلك عليه ولم يسدد رأى أخيه فى ذلك ، بل حثه على قتال أهل الشام ، فقال له أخوه : والله لقد هممت أن أسجنك فى بيت واطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك . فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم ، فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً ، ويقول لهما : مرحبا وأهلا ، ويعطيهما عطاء جزيلا ، وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف ، وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله

لا يعطيكها أحد قبلى ولا بعدى ، فقال الحسين : والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلا أفضل منا . ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية فى كل عام فيعطيه ويكرمه ، وقد كان فى الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد ، فى سنة إحدى وخمسين . ولما أخذت البيعة ليزيد فى حياة معاوية كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر وابن عمر وابن عباس ، ثم مات ابن أبى بكر وهو مصمم على ذلك ، فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد ، بايع ابن عمر وابن عباس ، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير ، وخرجا من المدينة فارين إلى مكة فأقاما بها ، فعكف الناس على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه ، ويستمعون كلامه ، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد ، وأما ابن الزبير فانه لزم مصلاه عند الكعبة ، وجعل يتردد فى غبون ذلك إلى الحسين فى جملة الناس ، ولا يمكنه أن يتحرك بشئ مما فى نفسه مع وجود الحسين ، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ، غير أنه قد تعينت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه ، ولكن أظفره الله بهم كما تقدم ذلك آنفا ، فانقشعت السرايا عن مكة مغلولين وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من اليزيديين ، وضرب أخاه عمراً وسجنه واقتص منه وأهانه ، وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز ، واشتهر أمره وبعد صيته ، ومع هذا كله ليس هو معظماً عند الناس مثل الحسين ، بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لأنه السيد الكبير ، وابن بنت رسول الله (ص) ، فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ، ولكن الدولة اليزيدية كانت كلها تناوئه .

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم - وذلك حين بلغهم موت معاوية وولاية يزيد ، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد - فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهمدانى ، وعبد الله بن وال ، معهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ، فقدما على الحسين لعشر مضين من رمضان من هذه السنة ، ثم بعثوا بعدهما نفراً منهم قيس بن مسهر الصدائى ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكوا الأرحبى ، وعمارة بن عبد الله السلولى ، ومعهم نحو من مائة وخمسين كتابا إلى الحسين ، ثم بعثوا هانئ بن هانئ السبيعى وسعيد بن عبد الله الحنفى ومعهما كتاب فيه الاستعجال فى السير إليهم ، وكتب إليه شبث بن ربعى ، وحجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث ابن رويم ، وعمرو بن حجاج الزبيدى ، ومحمد بن عمر بن يحيى التميمى : أما بعد فقد اخضرت الجنان وأينعت الثمار ولطمت الجمام ، فاذا شئت فأقدم على جند لك مجندة والسلام عليك . فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين ، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون فى كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ويتكلمون فى دولته ، وأنهم

لما يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم ، فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق ، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق ، فإن كان متحتما وأمراً حازماً محكما بعث إليه ليركب فى أهله وذويه ، ويأتى الكوفة ليظفر بمن يعاديه ، وكتب معه كتابا إلى أهل العراق بذلك ، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلين فسارا به على برارى مهجورة المسالك ، فكان أحد الدليلين منهما أول هالك ، وذلك من شدة العطش ، وقد أضلوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له المضيق ، من بطن خبيت ، فتطير به مسلم بن عقيل ، فتلبث مسلم على ما هنالك ومات الدليل الآخر فكتب إلى الحسين يستشيره فى أمره ، فكتب إليه يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ويستخبر خبرهم .

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدى ، وقيل نزل فى دار المختار ابن أبي عبيد الثقفى فالله أعلم . فتسامع أهل الكوفة بقدومه فجاؤا إليه فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصرنه بأنفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور ، فتجهز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سنذكره . وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير خبَّره رجل بذلك ، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبأ به ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة ، وأمرهم بالائتلاف والسنة ، وقال : إنى لا أقاتل من لايقاتلنى ، ولا أثب على من لا يثب علىّ ، ولا آخذكم بالظنة ، ولكن والله الذى لا إله إلا هو لئن فارقتم إمامكم ونكثتم بيعته لأقاتلنكم مادام فى يدى من سيفى قائمته . فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمى فقال له : إن هذا الأمر لايصلح إلا بالغشمة ، وإن الذى سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين . فقال له النعمان : لأن أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب إلى من أن أكون من الأقوياء الأعزين فى معصية الله . ثم نزل فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يعلمه بذلك ، وكتب إلى يزيد عمارة ابن عقبة وعمر و بن سعد بن أبي وقاص ، فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى عبيد الله ابن زياد مع البصرة ، وذلك بإشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية ، وكان يزيد يستشيره ، فقال سرجون : أكنت قابلا من معاوية ما أشار به لوكان حيا ؟ قال : نعم ! قال : فاقبل منى فانه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد ، فوله إياها . وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، فولاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره .

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد : إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل فان قدرت عليه فاقتله أو انفه ، وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلى ، فسار ابن زياد من البصرة إلى

الكوفة ، فلما دخلها دخلها متلثما بعمامة سوداء ، فجعل لايمر علاً من الناس إلا قال : سلام عليكم . فيقولون : وعليكم السلام مرحباً بابن رسول الله - يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه - وتكاثر الناس عليه ، ودخلها فى سبعة عشر راكباً ، فقال لهم مسلم بن عمرو من جهة يزيد : تأخروا : هذا الأمير عبيد الله بن زياد ، فلما علموا ذلك علتهم كآبة وحزن شديد ، فتحقق عبيد الله الخبر ، ونزل قصر الأمارة من الكوفة ، فلما استقر أمره أرسل مولى أبى رهم - وقيل كان مولى له يقال له معقل - ومعه ثلاثة آلاف درهم فى صورة قاصد من بلاد حمص ، وأنه إنما جاء لهذه البيعة ، فذهب ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التى يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها ، وهى دار هانئ بن عروة التى تحول إليها من الدار الأولى ، فبايع وأدخلوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياماً حتى اطلع على جلية أمرهم ، فدفع المال إلى أبى ثمامة العامرى بأمر مسلم بن عقيل - وكان هو الذى يقبض ما يؤتى به من الأموال ويشترى السلاح - وكان من فرسان العرب ، فرجع ذلك المولى وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها ، وقد تحول مسلم بن عقيل إلى دار هانئ بن حميد بن عروة المرادى ، ثم إلى دار شريك بن الأعور وكان من الأمراء الأكابر ، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته ، فبعث إلى هانئ يقول له : ابعث مسلم بن عقيل حتى يكون فى دارى ليقتل عبيد الله إذا جاء يعودنى ، فبعثه إليه فقال له شريك : كن أنت فى الخباء ، فاذا جلس عبيد الله فانى أطلب الماء وهى إشارتى إليك ، فاخرج فاقتله ، فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هانئ بن عروة ، وقام من بين يديه غلام يقال له مهران ، فتحدث عنده ساعة ثم قال شريك : اسقونى ، فتجبن مسلم عن قتله ، وخرجت جارية بكوز من ماء فوجدت مسلما فى الخباء فاستحيت ورجعت بالماء ثلاثا ، ثم قال : اسقونى ولو كان فيه ذهاب نفسى أتحموننى من الماء ؟ ففهم مهران الغدر فغمز مولاه فنهض سريعا وخرج ، فقال شريك : أيها الأمير ، إنى أريد أن أوصى إليك ، فقال : سأعود ! فخرج به مولاه فأركبه وطرد به - أى ساق به - وجعل يقول له مولاه : إن القوم أرادوا قتلك فقال : ويحك إنى بهم لرفيق . فما بالهم ؟ وقال شريك لمسلم : مامنعك أن تخرج فتقتله ؟ قال : حديث بلغنى عن رسول الله ص ، أنه قال « الايمان ضد الفتك ، لايفتك مؤمن » وكرهت أن أقتله فى بيتك ، فقال : أما لو قتلته لجلست فى القصر لم يستمد منه أحد وليكفينك أمر البصرة ، ولو قتلته لقتلت ظالما فاجرا ، ، ومات شريك بعد ثلاث .

ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلثم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم ، فأغلق باب القصر وقال : ما أنا بمسلم إليك أمانتى ، فقال له عبيد الله : افتح لافتحته ، ففتح وهو يظنه الحسين ، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط فى يده ، فدخل عبيد الله إلى قصر الامارة وأمر منادياً فنادى : إن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان

مير المؤمنين قد ولانى أمركم وثغركم وفيأكم ، وأمرنى بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، والاحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، والشدة على مريبكم وعاصيكم ، وإنما أنا ممتثل فيكم أمره ومنفذ عهده ، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق ، وأيما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نفى وأسقطت عرافته من الديوان – وكان هانئ أحد الامراء الكبار – ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم وتمارض ، فذكره عبيد الله وقال : مابال هانئ لم يأتنى مع الامراء ؟ فقالوا : أيها الامير إنه يشتكى ، فقال : إنه بلغنى أنه يجلس على باب داره . وزعم بعضهم أنه عاده قبل شريك بن الأعور ومسلم بن عقيل عنده ، وقد هموا بقتله فلم يمكنهم هانئ لكونه فى داره ، فجاء الامراء إلى هانئ بن عروة فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد ، فالتفت عبيد الله إلى القاضى شريح فقال متمثلا بقول الشاعر :

أريدُ حياتهُ ويريدُ قتلى * عذيركَ منْ خليلكَ منْ مرادِ

فلما سلم هانئ على عبيد الله قال : يا هانئ أين مسلم بن عقيل ؟ قال : لا أدرى ، فقام ذلك المولى التميمى الذى دخل دار هانئ فى صورة قاصد من حمص فبايع فى داره ودفع الدراهم بحضرة هانئ إلى مسلم ، فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ! فلما رآه هانئ قطع وأسقط فى يده ، فقال : أصلح الله الامير ، والله ما دعوته إلى منزلى ، ولكنه جاء فطرح نفسه على ، فقال عبيد الله : فأتنى به ، فقال : والله لو كان تحت قدمى ما رفعتها عنه ، فقال : أدنوه منى ، فأدنوه فضربه بحربة على وجهه فشجه على حاجبه وكسر أنفه ، وتناول هانئ سيف شرطى ليسله فدُفع عن ذلك ، وقال عبيد الله : قد أحل الله لى دمك ، لانك حرورى ، ثم أمر به فحبسه فى جانب الدار وجاء قومه من بنى مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل ، فسمع عبيد الله لهم جلبة ، فقال لشريح القاضى وهو عنده : اخرج إليهم فقل لهم : إن الأمير لم يحبسه إلا ليسأله عن مسلم بن عقيل ، فقال لهم : إنّ صاحبكم حى وقد ضربه سلطاننا ضربا لم يبلغ نفسه ، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فتفرقوا إلى منازلهم ، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره «يامنصور أمت» فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبى عبيد ، ومعه راية خضراء ، عبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء ، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو فى القلب إلى عبيد الله ، وهو يخطب الناس فى أمر هانئ ويحذرهم من الاختلاف ، وأشراف الناس وأمراؤهم تحت منبره ، فبينما هو كذلك إذ جاءت النظارة يقولون : جاء مسلم بن عقيل ، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب ، فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله فى القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف ، وتهددوهم وتوعدوهم ،

وأخرج عبيد الله بعض الامراء وأمرهم أن يركبوا فى الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل ، ففعلوا ذلك ، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له : ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه : كأنك غدا بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم ؟ فتخاذل الناس وقصروا وتصرموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتى لم يبق إلا فى خمسمائة نفس ، ثم تقالوا حتى بقى فى ثلاثمائة ثم تقالوا حتى بقى معه ثلاثون رجلاً ، فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها فى عشرة ، ثم انصرفوا عنه فبقى وحده ليس معه من يدله على الطريق ، ولا من يؤانسه بنفسه ، ولا من يأويه إلى منزله ، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد فى الطريق لا يدرى أين يذهب ، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها طوعة ، كانت أم ولد للأشعث بن قيس ، وقد كان لها ابن من غيره يقال له بلال بن أسيد ، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره ، فقال لها مسلم بن عقيل : اسقنى ماء فسقته ، ثم دخلت وخرجت فوجدته ، فقالت : ألم تشرب ؟ قال : بلى ! قالت : فاذهب إلى أهلك عافاك الله ، فانه لا يصلح لك الجلوس على بابى ولا أحله لك ، فقام فقال : ياأمة الله ليس لى فى هذا البلد منزل ولا عشيرة ، فهل إلى أجر ومعروف وفعل نكافئك به بعد اليوم ؟ فقالت : ياعبد الله وماهو ؟ قال أنامسلم بن عقيل ، كذبنى هؤلاء القوم وغرونى ، فقالت : أنت مسلم؟ قال : نعم ! قالت ادخل ! فأدخلته بيتا من دارها غير البيت الذى يكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج ، فسألها عن شأنها فقالت : يابنى اله عن هذا ، فألح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً ، فأخبرته خبر مسلم ، فاضطجع إلى الصباح ساكتا لا يتكلم . وأما عبيد الله بن زياد فانه نزل من القصر بمن معه من الامراء والاشراف بعد العشاء الآخرة فصلى بهم العشاء فى المسجد الجامع ، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث على طلبه ، ومن وجد عنده ولم يعلم به فدمه هدر ، ومن جاء به فله ديته ، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهددهم . فلما أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل فى دارهم ، فجاء عبد الرحمن فسار أباه بذلك وهو عند ابن زياد ، فقال ابن زياد : ما الذى سارك به ؟ فأخبره الخبر فنخس بقضيب فى جنبه وقال : قم فأتنى به الساعة . وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزومى — وكان صاحب شرطته — ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الاشعث فى سبعين أو ثمانين فارساً ، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التى هو فيها ، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وأصيبت شفته العليا والسفلى ، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار فى أطناب القصب فضاق بهم ذرعاً ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده ، وجاؤا ببغلة فأركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئا ، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول ،

ييأس من نفسه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال بعض من حوله : إن من يطلب مثل الذى تطلب لايبكى إذا نزل به هذا ، فقال : أما والله لست أبكى على نفسى ، ولكن أبكى على الحسين ، وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة ، ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال : إن ستطعت أن تبعث إلى الحسين على لسانى تأمره بالرجوع فافعل ، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصدق الرسول فى ذلك ، وقال : كل ما حم الإله واقع . قالوا : ولما انتهى مسلم بن عقيل الى باب القصر إذا على بابه جماعة من الامراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه ، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد ، ومسلم مخضب بالدماء فى وجهه وثيابه ، وهو مثخن بالجراح ، وهو فى غاية العطش ، وإذا قلة من ماء بارد هنالك فأراد أن يتناولها ليشرب منها فقال له رجل من أولئك : والله لاتشرب منها حتى تشرب من الحميم ، فقال له : ويلك يا ابن ناهلة ، أنت أولى بالحميم والخلود فى نار الجحيم منى ، ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلال والعطش ، فبعث عمارة بن عقبة بن أبى معيط مولى له إلى داره فجاء بقلة عليها منديل ومعه قدح ، فجعل يفرغ له فى القدح ويعطيه فيشرب فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التى تعلو على الماء مرتين أو ثلاثا ، فلما شرب سقطت ثناياه مع الماء فقال : الحمد لله لقد كان بقى لى من الرزق المقسوم شربة ماء ، ثم أدخل على ابن زياد ، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه ، فقال له الحرسى : ألا تسلم على الأمير ؟ ! فقال : لا ! إن كان يريد قتلى فلا حاجة لى بالسلام عليه ، وإن لم يرد قتلى فسأسلم عليه كثيراً ، فأقبل ابن زياد عليه فقال : إيه يا ابن عقيل ، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض ؟ قال : كلا لست لذلك أتيت ، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب . قال : وما أنت وذاك يافاسق ؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ . فقال : أنا أشرب الخمر ! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنك قلت بغير علم ، وأنت أحق بذلك منى ، [فانى لست كما ذكرت ، وإن أولى بها منى من يلغ فى دماء المسلمين ولغا ، ويقتل النفس التى حرم الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظن ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئا . فقال له ابن زياد : يافاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يرك أهله ، قال : فمن أهله يا ابن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد . قال : الحمد لله على كل حال ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم . قال : كأنك تظن أن لكم فى الأمر شيئاً ؟ قال : لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين . قال له : قتلنى الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد فى الاسلام من الناس . قال : أما إنك أحق من أحدث فى الاسلام مالم يكن فيه ،

أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم وقيل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً ، ومسلم ساكت لا يكلمه رواه ابن جرير عن أبى مخنف وغيره من رواة الشيعة . ثم قال له ابن زياد : إنى قاتلك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعنى أوصى إلى بعض قومى ، قال : أوص . فنظر فى جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص . فقال : ياعمر إن بينى وبينك قرابة ، ولى إليك حاجة ، وهى سر فقم معى إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد ، فقام فتنحى قريبا من ابن زياد فقال له مسلم : إن علىّ ديناً فى الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عنى ، واستوهب جثتى من ابن زياد فوارها ، وابعث إلى الحسين ، فانى كنت قد كتبت إليه أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلا ، فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له فأجاز ذلك له كله ، وقال : أما الحسين فانه لم يردنا لا نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلى أعلا القصر وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلى على ملائكة الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا ، ثم ضرب عنقه رجل يقال له بكير ابن حمران ، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر ، وأتبع رأسه بجسده . ثم أمر بهانئ بن عروة المذحجى فضُربت عنقه بسوق الغنم ، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكناسة ، فقال رجل شاعر فى ذلك قصيدة : ــ

فانْ كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظرى * إلى هانئٍ فى السوقِ وابنِ عقيلِ
أصابهما أمرَ الامامِ فأصبحا * أحاديثَ من يغشى بكلِ سبيلِ
إلى بطلٍ قد هشمَ السيفُ وجهَهُ * وآخرَ يهوى فى طمارِ قتيلِ
ترى جسداً قد غيرَ الموتُ لونَهُ * ونَضْحَ دمٍ قد سالَ كلَّ مسيلِ
فانْ أنتمُ لمْ تثأروا بأخيكمُ * فكونوا بغياً أرضيتْ بقليلِ

ثم إن ابن زياد قتل معهما أناساً آخرين ، ثم بعث برؤسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، وكتب له كتابا صورة ماوقع من أمرهما

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرق ، وذلك لما رواه هشام بن الكلبى وأبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن أبى عثمان النهدى . قال : بعث الحسين مع مولى له يقال له سلمان كتابا إلى أشراف أهل البصرة فيه : أما بعد فان الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ماأرسل به ، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس به وبمقامه

فى الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ،وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم، وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإن السنة قد أميتت ، و إن البدعة قد أحييت ، فتسمعوا قولى وتطيعوا أمرى ، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله . وعندى فى صحة هذا عن الحسين نظر ، والظاهر أنه مطرز بكلام مزيد من بعض رواة الشيعة . قال : فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتمه إلا المنذر بن الجارود فانه ظن أنه دسيسة من ابن زياد فجاء به إليه ؛ فبعث خلف الرسول الذى جاء به من حسين فضرب عنقه ، وصعد عبيد الله ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فوالله مابى تقرن الصعبة ، ومايقعقع لى بالشنان ، و إنى لنكال لمن عادانى ، وسهام لمن حاربنى ، أنصف « القارة »(1) من راماها ، يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولانى الكوفة وأنا غاد إليها الغداة ، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان ، و إياكم والخلاف والارجاف ، فوالذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ، ووليه ، ولآخذن الأدنى بالأقصى ، حتى يستقيم لى الأمر ، ولايكن فيكم مخالف ولا مشاقق ، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى ، ولم ينتزعنى شبه خال ولاعم. ثم خرج من البصرة ومعه مسلم ابن عمرو الباهلى فكان من أمره ماتقدم .

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن عون بن جحيفة قال : كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة ، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذى الحجة ، وذلك يوم عرفة سنة ستين ، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق بيوم واحد، وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الاحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال والقعدة ، وخرج من مكة لثمان مضين من ذى الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية وفى رواية ذكرها ابن جرير أن مسلم بن عقيل لما بكى قال له عبيد الله بن عباس السلمى . إن من يطلب مثل ماتطلب لايبكى إذا نزل به مثل الذى نزل بك ، قال : إنى والله مالنفسى أبكى ، ومالها من القتل أرثى ، و إن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ، ولكنى أبكى لأهلى المقبلين إلى الكوفة ، أبكى الحسين وآل حسين ، ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : ياعبد الله ! إنى والله أراك ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث رجلا على لسانى يبلغ حسينا عنى رسالة ؟ فإنى لاأراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته ، و إن ماتراه من جزعى لذلك ، فتقول له : إن ابن عقيل بعثنى إليك وهو فى أيدى القوم

أسير لا يدرى أيصبح أم يمسى حتى يقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبونى وليس لكاذب رأى ، فقال ابن الأشعث : والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أنى قد أمنتك . قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائى من بنى مالك بن ثمامة ـ وكان شاعراً ـ فقال له : اذهب فالق حسينا فأبلغه هذا الكتاب ـ وكتب فيه الذى أمره به ابن عقيل ـ ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره ، فخرج حتى لقى الحسين بزبالة ، لأربع ليال من الكوفة فأخبر الخبر وأبلغه الرسالة ، فقال الحسين : كل ما حم نازل ، عند الله نحتسب وأنفسنا وفساد أمتنا . ولما انتهى مسلم إلى باب القصر وأراد شرب الماء قال له مسلم بن عمرو الباهلى : أتراها ما أبردها ؟ والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم فى نار جهنم . فقال له ابن عقيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحق إذ أنكرته ، ونصح لامامه إذ غششته ، وسمع وأطاع إذ عصيت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلى . فقال له مسلم : لأمك الويل ! ما أجفاك وأفظك ، وأغلظك يا ابن ناهلة !! أنت والله أولى بالحميم ونار الجحيم

صفة مخرج الحسين إلى العراق

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق وتكررت الرسل بينهم وبينه ، وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله ، ثم وقع فى غبون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عقيل ، والحسين لا يعلم بشئ من ذلك ، بل قد عزم على المسير إليهم والقدوم عليهم ، فاتفق خروجه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد ـ فان مسلماً قتل يوم عرفة ـ ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك ، وحذروه منه ، وأشار عليه ذوو الرأى منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق ، وأمروه بالمقام بمكة ، وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم . قال سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس . قال : استشارنى الحسين بن على فى الخروج فقلت : لولا أن يزرى بى وبك الناس لشبثت يدى فى رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذى رد على أن قال : لأن أقتل فى مكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة . قال : فكان هذا الذى سلى نفسى عنه **وروى** أبو مخنف عن الحارث بن كعب الوالبى عن عقبة بن سمعان . أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لى ما أنت صانع ؟ فقال : إنى قد أجمعت المسير فى أحد يومى هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرنى إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حى وهو مقيم عليهم ، قاهر لهم ، وعماله تجبى بلادهم ، فانهم إنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمن عليك

أن يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذى دعوك أشد الناس عليك . فقال الحسين : إنى أستخير الله وأنظر ما يكون . فخرج ابن عباس عنه ، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدرى ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ، أخبرنى ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسى باتيان الكوفة ، ولقد كتب إلى شيعتى بها وأشرافها بالقدوم عليهم ، وأستخير الله . فقال ابن الزبير : أما لو كان لى بها مثل شيعتك ما عدلت عنها . فلما خرج من عنده قال الحسين : قد علم ابن الزبير أنه ليس له من الأمر معى شئ ، وأن الناس لم يعدلوا بى غيرى ، فود أنى خرجت لتخلو له . فلما كان من العشى أو من الغد ، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له يا ابن عم ! إنى أتصبر ولا أصبر ، إنى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم فى هذا البلد حتى ينفى أهل العراق عدوهم ثم اقدم عليهم ، وإلا فسر إلى اليمن فان به حصونا وشعابا ، ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس فى معزل ، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم ، فانى أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب . فقال الحسين : يا ابن عم ! والله إنى لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكنى قد أزمعت المسير . فقال له : فان كنت ولا بد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك ، فوالله إنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذى لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علىّ وعليك الناس أطعتنى وأقمت لفعلت ذلك. قال : ثم خرج من عنده فلقى ابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ؟ ثم قال :

يالكِ من قنبرةٍ بمعمرِ * خلالكِ الجوُّ فبيضى واصفرى

ونقرى ماشئتِ أن تنقرى * صيادكِ اليومَ قتيلٌ فابشرى

ثم قال ابن عباس : هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز

وقال غير واحد عن شبابة بن سوار . قال : حدثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدى قال سمعت الشعبى يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن على قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، وإذا معه طوامير وكتب ، فقال : هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال : لاتأتهم ، فأبى . فقال ابن عمر : إنى محدثك حديثا ، إن جبريل أتى النبى (ص) فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله ، والله مايليها أحد منكم أبداً ، وماصرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم ، فأبى أن يرجع . قال فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل . وقال يحيى بن معين : حدثنا أبو عبيدة ثنا سليم بن حيان عن سعيد ابن مينا . قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : عجل حسين قدره ، والله لو أدركته ماتركته يخرج

إلا أن يغلبنى ، ببنى هاشم فتح هذا الأمر ، وببنى هاشم يختم ، فإذا رأيت الهاشمى قد ملك فقد ذهب الزمان . قلت : وهذا مع حديث ابن عمر يدل على أن الفاطميين أدعياء كذبة ، لم يكونوا من سلالة فاطمة كما نص عليه غير واحد من الأئمة على ماسنذكره فى موضعه إن شاء الله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحميدى ثنا سفيان ثنا عبد الله بن شريك عن بشر ابن غالب . قال قال ابن الزبير للحسين : أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك ؟ فقال : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن تستحل بى - يعنى مكة - وقال الزبير بن بكار : حدثنى عمى مصعب بن عبد الله أخبرنى من سمع هشام بن يوسف يقول عن معمر قال : سمعت رجلا يحدث عن الحسين أنه قال لعبد الله بن الزبير : أتتنى بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعتاق إنهم معى ، فقال له ابن الزبير : أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟ قال هشام : فسألت معمراً عن الرجل فقال : هو ثقة . قال الزبير . وقال عمى : وزعم بعض الناس أن ابن عباس هو الذى قال هذا . وقد ساق محمد بن سعد كاتب الواقدى هذا سياقاً حسناً مبسوطاً . فقال: أنبأنا على ابن محمد عن يحيى بن إسماعيل بن أبى المهاجر عن أبيه ، وعن لوط بن يحيى العامرى عن محمد بن بشير الهمدانى وغيره ، وعن محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن هارون بن عيسى عن يونس بن إسحاق عن أبيه ، وعن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن مجالد عن الشعبى . قال محمد بن سعد : وغير هؤلاء قد حدثنى أيضاً فى هذا الحديث بطائفة فكتبت جوامع حديثهم فى مقتل الحسين رضى الله عنه وأرضاه :

قالوا : لما بايع الناس معاوية ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له ، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم فى خلافة معاوية ، كل ذلك يأبى عليهم ، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى ، وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم ، فقال له الحسين : إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويستطيلوا بنا ، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا ، فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم ، مرة يريد أن يسير إليهم ، ومرة يجمع الاقامة عنهم . فجاءه أبو سعيد الخدرى فقال : يا أبا عبد الله ! إنى لكم ناصح ، وإنى عليكم مشفق ، وقد بلغنى أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فانى سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم ، وملونى وأبغضونى ، وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب ، والله مالهم نيات ولا عزم على أمر ، ولا صبر على السيف . قال : وقدم المسيب بن عتبة الفزارى فى عدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأى أخيك ، فقال : إنى لأرجو أن يعطى الله أخى على نيته فى حبه الكف ، وأن يعطينى على نيتى

فى حي جهاد الظالمين وكتب مروان إلى معاوية : إنى لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظن يومكم من حسين طويلا . فكتب معاوية إلى الحسين : إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء ، وقد أنبئت أن قوما من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أبيك وأخيك ، فاتق الله واذكر الميثاق ، فانك متى تكدنى أكدك . فكتب اليه الحسين : أتانى كتابك وأنا بغير الذى بلغك عنى جدير ، والحسنات لا يهدى لها إلا الله ، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافا ، وما أظن لى عند الله عذراً فى ترك جهادك ، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة .

فقال معاوية : إن أثرنا بأبى عبد الله إلاشرا . وكتب إليه معاوية أيضاً فى بعض مابلغه عنه : إنى لأظن أن فى رأسك نزوة فوددت أنى أدركها فأغفرها لك . قالوا : فلما احتضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به ، وقال له : انظر حسين بن على بن فاطمة بنت رسول الله ، فانه أحب الناس إلى الناس ، فصل رحمه ، وارفق به ، يصلح لك أمره ، فان يكن منه شئ فانى أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وتوفى معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين ، وبايع الناس يزيد ، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامرى عامر بن لؤى ، إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وهو على المدينة : أن ادع الناس فبايعهم ، وابدأ بوجوه قريش ، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن على ، فان أمير المؤمنين عهد إلىّ فى أمره الرفق به واستصلاحه . فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن على وعبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاة معاوية ، ودعاهما إلى البيعة ليزيد ابن معاوية ، فقالا : إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس ، ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن الزبير وقالا : هو يزيد الذى نعرف ، والله ما حدث له عزم ولا مروءة . وقد كان الوليد أغلظ للحسين فشتمه الحسين وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه ، فقال الوليد : إن هجنا بأبى عبد الله إلا شرا . فقال له مروان ـ أو بعض جلسائه ـ اقتله ، فقال : إن ذلك لدم مضنون به مصون فى بنى عبد مناف.

قالوا : وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة ، وأصبح الناس فغدوا على البيعة ليزيد ، وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدا ، فقال المسور بن مخرمة : عجل الحسين وابن الزبير يلفته ويزجيه ليخلو بمكة ، فقدما مكة فنزل الحسين دار العباس ، ولزم ابن الزبير الحجر ، ولبس المعافرى وجعل يحرض الناس على بنى أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعة أبيك ، وكان ابن عباس ينهاه عن ذلك ، وقال له عبد الله بن مطيع : إنى فداؤك وأبى وأمى ، فأمتعنا بنفسك ولاتسر إلى العراق ، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذونا عبيداً وخولا . قالوا : ولقيهما عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وابن أبى ربيعة بالأبواء منصرفين

من العمرة فقال لهما ابن عمر : أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما فى صالح مايدخل فيـه الناس ، وتنظر فان اجتمع الناس عليـه فلم تشذا ، و إن افترقوا عليه كان الذى تريدان . وقال ابن عمر للحسين : لاتخرج فان رسول الله صلى الله عليـه وسلم خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، و إنك بضعة منه ولاتنالها ـ يعنى الدنيا ـ واعتنقه وبكى وودعه ، فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بن على بالخروج ، ولعمرى لقد رأى فى أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان ينبغى له أن لايتحرك ماعاش ، وأن يدخل فى صالح مادخل فيه الناس ، فان الجماعة خير . وقال له ابن عباس : وأين تريد ياابن فاطمة ؟ فقال : العراق وشيعتى ، فقال : إنى لكاره لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملالة لهم ؟ أذكرك الله أن تغرر بنفسك . وقال أبو سعيد الخدرى : غلبنى الحسين على الخروج ، وقلت له : اتق الله فى نفسك والزم بيتك ولاتخرج على إمامك . وقال أبو واقد الليثى : بلغنى خروج الحسين بن على فأدركته بملل فناشدته الله أن لايخرج فانه يخرج فى غير وجه خروج ، إنما خرج يقتل نفسه ، فقال : لا أرجع . وقال جابر بن عبد الله : كلمت حسيناً فقلت : اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض ، فوالله ماحمدتم ماصنعتم فعصانى . وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له . وقال أبو سلمة ابن عبد الرحمن : وقد كان ينبغى لحسين أن يعرف أهل العراق ولايخرج إليهم ، ولكن شجعه على ذلك ابن الزبير . وكتب إليـه المسور بن مخرمة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق و بقول ابن الزبير : الحق بهم فانهم ناصروك . وقال له ابن عباس : لاتبرح الحرم فانهم إن كانت بهم إليك حاجة فسيضربون إليك آباط الابل حتى يوافوك فتخرج فى قوة وعدة . فجزاه خيرا وقال : أستخير الله فى ذلك . وكتبت إليـه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليـه مايريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة ، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه وتقول : أشهد لسمعت عائشة تقول إنهـا سمعت رسول الله (ص) يقول : « يقتل الحسين بأرض بابل » فلما قرأ كتابها قال : فلابد لى إذا من مصرعى ومضى . وأتاه بكر بن عبـد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : يا ابن عم قـد رأيت ماصنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من قـد وعدك أن ينصرك ، و يخذلك من أنت أحب إليـه ممن ينصره ، فأذكرك الله فى نفسك . فقال . جزاك الله يا ابن عم خيراً ، مهما يقضى الله من أمر يكن . فقال أبو بكر : إنا لله وإنا إليـه راجعون ، نحتسب أبا عبـد الله عند الله . وكتب إليه عبـد الله بن جعفر كتابا يحذره أهل العراق ويناشده الله إن شخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إنى رأيت رؤيا ، ورأيت رسول الله (ص) ، أمرنى بأمر وأنا ماض له ، ولست بمخبرها أحداً حتى ألاقى عملى . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن

العاص نائب الحرمين : إنى أسأل الله أن يلهمك رشدك ، وأن يصرفك عما يرديك ، بلغنى أنك قد عزمت على الشخوص إلى العراق ، وإنى أعيذك الله من الشقاق ، فإنك إن كنت خائفاً فاقبل إلى ، فلك عندى الأمان والبر والصلة . فكتب إليه الحسين : إن كنت أردت بكتابك برى وصلتى فجزيت خيراً فى الدنيا والآخرة ، وإنه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ، وخير الأمان أمان الله ، ولم يؤمن بالله من لم يخفه فى الدنيا ، فنسأل الله مخافة فى الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة عنده . قالوا : وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنوه الخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكففه عن السعى فى الفرقة . وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش : —

يا أيها الراكبُ الغادى مطيتهُ * على عذافرةٍ فى سيرها قحمُ
أبلغ قريشاً على نأىِ المزارِ بها * بينى وبينَ حسينَ اللهِ والرحمُ
وموقفٌ بفناءِ البيتِ أنشدهُ * عهدَ الالهِ وما توفى بهِ الذممُ
عنيتمُ قومكمْ فخراً بأمكمُ * أمٌ لعمرى حصانٌ برةٌ كرمُ
هى التى لايدانى فضلها أحدٌ * بنتُ الرسولِ وخيرُ الناسِ قدعلموا
وفضلها لكمُ فضلٌ وغيركمُ * من قومكمْ لهمُ فى فضلها قسمُ
إنى لأعلمُ أو ظناً كعالمهِ * والظنُّ يصدقُ أحياناً فينتظمُ
أن سوفَ يترككمْ ماتدعونَ بها * قتلى تهاداكمُ العقبانُ والرخمُ
ياقومنا لاتشبوا الحربَ إذ سكنتْ * وتمسكوا بحبالِ السلمِ واعتصموا
قدجربَ الحربَ من قد كان قبلكمُ * من القرونِ وقد بادتْ بها الأممُ
فأنصفوا قومكمْ لاتهلكوا برحاً * فربَّ ذى برحٍ زلتْ بهِ القدمُ

قال : فكتب إليه ابن عباس : إنى لأرجو أن لايكون خروج الحسين لأمر تكرهه ، ولست أدع النصيحة له فى كل ماتجتمع به الألفة وتطفى به النائرة ، ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلا وقال له : أنشدك أن تهلك غداً بحال مضيعة لاتأتى العراق ، وإن كنت لابد فاعلا فأقم حتى ينقضى الموسم وتلقى الناس وتعلم مايصدرون ، ثم ترى رأيك ، وذلك فى عشر ذى الحجة . فأبى الحسين إلا أن يمضى إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إنى لأظنك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته ، والله إنى لأخاف أن تكون أنت الذى يقاد به عثمان ، فإنا لله وإنا اليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس إنك شيخ قد كبرت ، فقال له ابن عباس : لولا أن يزرى

ذلك بى وبك لنشبت يدى فى رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تباصينا أقمت لفعلت ، ولكن لا أخال ذلك مانعك . فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة وتستحل بى ، قال : فبكى ابن عباس وقال : أقررت عين ابن الزبير بذلك ، وذلك الذى سلى نفسى عنه قال : ثم خرج ابن عباس عنه وهو معضب وابن الزبير على الباب ، فلما رآه قال : يا ابن الزبير قد أتى ما أحببت ، قرت عينك ، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز ، ثم قال :

يالكِ من قنبرةٍ بمعمرِ * خلالكِ الجوُ فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئتِ أنْ تنقرى * صيادكِ اليومَ قتيل فابشرى

قال : وبعث الحسين إلى المدينة يقدم عليه من خف من بنى عبد المطلب ، وهم تسعة عشر رجلا ونساء وصبيان من إخوته وبناته ونسائه ، وتبعهم محمد بن الحنفية ، فأدرك حسيناً بمكة ، فأعلمه أن الخروج ليس له برأى يومه هذا ، فأبى الحسين أن يقبل ، فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد الحسين فى نفسه على محمد ، وقال : ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه ؟ فقال . وما حاجتى إلى أن تصاب ويصابون معك ؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم ؟ قالوا وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج متوجهاً إليهم فى أهل بيته وستين شخصاً من أهل الكوفة صحبته ، وذلك يوم الاثنين فى عشر ذى الحجة ، فكتب مروان إلى ابن زياد : أما بعد فان الحسين بن على قد توجه إليك ، وهو الحسين بن فاطمة . وفاطمة بنت رسول الله (ص) ، وتالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين ، فاياك أن تهيج على نفسك مالا تسده شئ ، ولا تنساه العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص : أما بعد فقد توجه إليك الحسين ، وفى مثلها تعتق أو تكون عبدا تسترق كما يسترق العبيد ، وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن الضحاك عن أبيه . قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : إنه قد بلغنى أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتليت أنت به من بين العمال ، وعندها تعتق أو تعود عبدا كما ترق العبيد وتعبد ، فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه .

قلت : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام كما سيأتى وفى رواية أن يزيد كتب إلى ابن زياد : قد بلغنى أن الحسين قد توجه إلى نحو العراق ، فضع المناظر والمسالح ، واحترس واحبس على الظنة وخذ على التهمة ، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلىّ فى كل ما يحدث من خبر والسلام .

قال الزبير بن بكار : وحدثنى محمد بن الضحاك قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة مر بباب المسجد الحرام وقال :

لاذعرتَ السوام فى فلق الصبح * مغيراً ولا دعيتَ يزيدا

يومَ أعطى مخافةَ الموتِ ضيماً * والمنايا ترصدننى أنْ أحيدا

وقال أبو مخنف : قال أبو جناب يحيى بن أبى خيثمة عن عدى بن حرملة الأسدى عن عبد الله ابن سليم والمنذر بن المشمعل الأسديين قالا : خرجنا حاجين من الكوفة فقدمنا مكة فدخلنا يوم التروية فاذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فوازرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك ؟ . فقال الحسين : إن أبى حدثنى أن لها كبشاً يستحل حُرمتها يقتل ، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش . فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئت وولنى أنا الأمر فتطاع ولا تعصى ، فقال : وما أريد هذا أيضاً ، ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دُعَاةَ الناس متوجهين إلى منى عند الظهيرة ، قالا : فطاف الحسين بالبيت و بين الصفا والمروة ، وقصَّر من شعره ، وحل من عمرته ، ثم توجه نحو الكوفة و توجهنا نحن مع الناس إلى منى .

وقال أبو مخنف : حدثنى الحارث بن كعب الوالبى عن عقبة بن سمعان . قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد ــ يعنى نائب مكة ــ عليهم أخوه يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرف أين تريد ؟ فأبى عليهم ومضى ، وتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط والعصى ، ثم إن حسينا وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قويا ، ومضى الحسين على وجهه ذلك ، فناداه : ياحسين ألا تتقى الله ؟ تخرج من الجماعة وتفرق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة ؟ قال : فتأول الحسين هذه الآية [لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون]

قال : ثم إن الحسين مر بالتنعيم فلقى بها عيراً قد بعث بها بحير بن زياد الحميرى نائب اليمن قد أرسلها من اليمن إلى يزيد بن معاوية ، عليها ورس وحلل كثيرة ، فأخذها الحسين وانطلق بها ، واستأجر أصحاب الجمال عليها إلى الكوفة ، ودفع إليهم أجرتهم ، ثم ساق أبو مخنف باسناده الأول أن الفرزدق لقى الحسين فى الطريق فسلم عليه وقال له : أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب . فسأله الحسين عن أمر الناس وما وراءه فقال له : قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء . فقال له : صدقت ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا فى شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه . وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيته ، والتقوى سريرته ، ثم حرك الحسين راحلته وقال :

السلام عليكم ثم افترقا . وقال هشام بن الكلبي عن عوانة بن الحكم عن لبطة بن غالب بن الفرزدق عن أبيه . قال : حججت بأمي فبينما أنا أسوق بها بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج ، وذلك في سنة ستين ، إذ لقيت الحسين خارجا من مكة معه أسيافه وأتراسه ، فقلت له : بأبي وأمي يا ابن رسول الله ، ما أعجلك عن الحج ؟ فقال : لولم أعجل لأخذت ، ثم سألني : ممن أنت ؟ فقلت : امرؤ من العراق ، فسألني عن الناس فقلت له : القلوب معك والسيوف مع بني أمية ، وذكر نحو ماتقدم .

قال الفرزدق : وسألت الحسين عن أشياء وعن المناسك فأخبرني بها قال . وإذا هو ثقيل اللسان من برسام كان أصابه بن بالعراق قال : ثم مضيت فاذا فسطاط مضروب في الحرم وهيئة حسنه ، فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألني فأخبرته أني لقيت الحسين ، قال : فهلا اتبعته ؟ فان الحسين لايحيك فيه السلاح ولايجوز فيه وفي أصحابه . فندم الفرزدق وهمّ أن يلحق به ، ووقع في قلبه مقالة ابن عمرو ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصدني ذلك عن اللحاق به ، فلما بلغه أنه قتل لعن ابن عمرو ، وكان ابن عمرو يقول : والله لاتبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يبلغ هـذا الأمر ويظهر ، وإنما أراد ابن عمرو بقوله : لايحيك فيه السلاح ، أي السلاح الذي لم يقدر أن يقتل به ، وقيل غير ذلك وقيل أراد الهزل بالفرزدق . قالوا : ثم سار الحسين لايلوي على شيء حتى نزل ذات عرق .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن علي بن الحسين بن علي . قال : لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد : أما بعد فاني أسائلك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هـذا ، فاني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيـه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت اليوم طفئ نور الاسلام ، فانك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلاتعجل بالسير فاني في أثر كتابي والسلام . ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد نائب مكة فقال له : اكتب إلى الحسين كتابا تجعل له فيه الأمان ، وتمنيه في البر والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب عني ماشئت وأتني به حتى أختمه . فكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد ما أراد عبد الله ، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فختمه بخاتمه ، وقال عبـد الله لعمرو بن سـعيد : ابعث معي أمانك ، فبعث معه أخاه يحيى ، فانصرفا حتى لحقا الحسين فقرآ عليه الكتاب فأبى أن يرجع وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقـد أمرني فيها بأمر وأنا ماض له ، فقالا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال : لاأحدث بها أحـداً حتى ألقى ربي عز وجل .

قال أبو مخنف : وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن ذي الرمة ،

بعث قيس بن مسهر الصيداوى إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فانى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التروية ، فاذا قدم عليكم رسولى فا كتموا أمركم وجدوا فانى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال : وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، ومضمونه : أما بعد فان الرائد لا يكذب أهله ، وإن جميع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابى هذا والسلام عليكم .

قال : وأقبل قيس بن مسهر الصيداوى بكتاب الحسين إلى الكوفة ، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له ابن زياد : اصعد إلى أعلا القصر فسب الكذاب ابن الكذاب على بن أبى طالب وابنه الحسين ، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن هذا الحسين بن على خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله (ص) وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقته بالحاجر من بطن ذى الرمة ، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلى والحسين . فأمر به ابن زياد فألقى من رأس القصر فتقطع ، ويقال بل تكسرت عظامه وبقى فيه بقية رمق ، فقام إليه عبد الملك بن عمير البجلى فذبحه ، وقال : إنما أردت إراحته من الألم ، وقيل إنه رجل يشبه عبد الملك بن عمير وليس به ، وفى رواية أن الذى قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن يقطر أخو الحسين من الرضاعة ، فألقى من أعلى القصر والله أعلم .

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشئ مما وقع من الأخبار . قال أبو مخنف عن أبى على الأنصارى عن بكر بن مصعب المزنى . قال : وكان الحسين لا يمر بماء من مياه العرب إلا اتبعوه ، قال قال أبو مخنف عن أبى جناب عن عدى بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمنذر بن المشمعل الأسديين قالا : لما قضينا حجنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين ، فأدركناه وقد مر برجل من بنى أسد فهم الحسين أن يكلمه ويسأله ثم ترك ، فجئنا ذلك الرجل فسألناه عن أخبار الناس فقال : والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما فى السوق . قالا : فلحقنا الحسين فأخبرناه فجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون مراراً . فقلنا له الله الله فى نفسك . فقال : لا خير فى العيش بعدهما . قلنا : خار الله لك . وقال له بعض أصحابه : والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قد قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع . وقال غيرهما : لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عقيل ، وثب عند ذلك بنو عقيل بن أبى طالب وقالوا : لا والله

لا ترجع حتى ندرك ثأرنا ، أو نذوق ماذاق أخونا. فسار الحسين حتى إذا كان بزرود بلغه أيضا مقتل الذى بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر ، فقال : خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه ، وليس عليه منا ذمام ، قال : فتفرق الناس عنه أيادى سبا يميناً وشمالا حتى بقى فى أصحابه الذين جاؤا معه من مكة ، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أن من اتبعه من الأعراب إنما اتبعوه لأنه يأتى بلداً قد استقامت له طاعة أهلها ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على م يقدمون ، وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا من يريد مواساته فى الموت معه قال : فلما كان السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا منه ، ثم سار حتى مر ببطن العقبة فنزل بها

وقال محمد بن سعد : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا جعفر بن سليمان عن يزيد الرشك قال : حدثنى من شافه الحسين قال : رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه لحسين قال فأتيته فاذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه ولحيته ، قال قلت : بأبى وأمى يا ابن بنت رسول الله ماأنزلك هذه البلاد والفلاة التى ليس بها أحد ؟فقال :هذه كتب أهل الكوفة إلى ولا أراهم إلا قاتلى ، فاذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها ، فيسلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة - يعنى مقنعتها - وأخبرنا على بن محمد عن الحسن بن دينار عن معاوية بن قرة . قال قال الحسين : والله لتعتدن على كما اعتدت بنو إسرائيل فى السبت . وحدثنا على بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعى . قال قال الحسين : والله لايدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى ، فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة . فقتل بنينوى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . وقال يعقوب بن سفيان :حدثنا أبو بكر الحميدى ثنا سفيان ثنا شهاب بن حراش عن رجل من قومه . قال : كنت فى الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين ، وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال الديلم ، فعينهم ابن زياد وصرفهم إلى قتال الحسين ، فلقيت حسيناً فرأيته أسود الرأس واللحية ، فقلت له :السلام عليك أبا عبد الله ، فقال : وعليك السلام - وكانت فيه غنة - فقال : لقد باتت فيكم سلة منذ الليلة - يعنى سراقا - قال شهاب : فحدثت به زيد بن على فأعجبه وكانت فيه غنة - قال سفيان بن عيينة : وهى فى الحسينيين

قال أبو مخنف عن أبى خالد الكاهلى . قال: لما صبحت الخيل الحسين بن على رفع يديه فقال : اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ، ورجائى فى كل شدة ، وأنت لى من كل أمر نزل ثقة وعدة ، فكم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، فأنزلته بك

وشكوته إليك برغبة فيه إليك عمن سواك ، ففرجته وكشفته وكفيتنيه ، فأنت لى ولىّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل غاية . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنى حجاج بن محمد عن أبى معشر عن بعض مشيخته . قال قال الحسين حين نزلوا كربلاء : ما اسم هذه الأرض؟ قالوا كربلاء ، قال : كرب وبلاء . وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم ، فقال له الحسين : ياعمر اختر منى إحدى ثلاث خصال ، إما أن تتركنى أرجع كما جئت ، فان أبيت هذه فسيرنى إلى يزيد فأضع يدى فى يده فيحكم فىّ ما رأى ، فان أبيت هذه فسيرنى إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهمّ أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر بن ذى الجوشن : لا ! إلا أن ينزل على حكمك ، فأرسل إلى الحسين بذلك فقال الحسين : والله لا أفعل ، وأبطأ عمر عن قتاله فأرسل ابن زياد شمر بن ذى الجوشن وقال له : إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقتله وكن مكانه ، فقد وليتك الامرة . وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلا من أعيان أهل الكوفة ،فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله (ص) ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً ؟ فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه .

وقال أبو زرعة : حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن حصين . قال : أدركت من مقتل الحسين قال : فحدثنى سعد بن عبيدة قال : فرأيت الحسين وعليه جبة برود ورماه رجل يقال له عمرو ابن خالد الطهوى بسهم ، فنظرت إلى السهم معلقاً بجبته . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عمار الرازى حدثنى سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام ثنا حصين أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة : إن معك مائة ألف . فبعث إليهم مسلم بن عقيل فذكر قصة مقتل مسلم كما تقدم . قال حصين : فحدثنى هلال بن يساف أن ابن زياد أمر الناس أن يأخذوا مابين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة حفظا فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج ، وأقبل الحسين ولا يشعر بشئ حتى أتى الأعراب فسألهم عن الناس فقالوا : والله لا ندرى ، غير أنك لا تستطيع أن تلج ولا تخرج ، قال : فانطلق يسير نحو يزيد بن معاوية ، فتلقته الخيول بكربلاء فنزل يناشدهم الله والاسلام ، قال : وكان بعث إليه ابن زياد عمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وحصين بن نمير ، فناشدهم الله والاسلام أن يسيروه إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده فى يده ، فقالوا له : لا ! إلا أن تنزل على حكم ابن زياد ، وكان فى جملة من معهم الحر بن يزيد الحنظلى ثم النهشلى على خيل ، فلما سمع مايقول الحسين قال لهم : ألا تتقون الله ؟ ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ، والله لو سألتكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوهم فأبوا إلا حكم ابن زياد ؟ فضرب الحر وجه فرسه وانطلق إلى الحسين ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم ، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمه الله .

وذكر أن زهير بن القين البجلى لقى الحسين وكان حاجاً فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبى مخرمة

المرادى ورجلان آخران ، وهما عمرو بن الحجاج ومعن السلمى ، وأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد وعليه جبة من برود ، فلما كلمهم انصرف فرماه رجل من بنى تميم يقال له عمرو الطهوى بسهم بين كتفيه ، فانى لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلقا بجبته ، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافّه وإنى لأنظر إليهم وهم قريب من مائة رجل ، فيهم لصلب على خمسة ، ومن بنى هاشم ستة عشر ، ورجل من بنى سليم حليف لهم ، ورجل من بنى كنانة حليف لهم ، وابن عم ابن زياد .

وقال حصين : حدثنى سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون فى الماء مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فسارّه فقال له : قد بعث إليك ابن زياد جويرية بن بدر التميمى وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك . قال : فوثب إلى فرسه فركبها ثم دعا بسلاحه فلبسه وإنه لعلى فرسه ، ونهض بالناس إليهم فقاتلوهم فجئ برأس الحسين إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيبه فى أنفه ويقول : إن أبا عبد الله كان قد شمط . قال : وجئ بنسائه وبناته وأهله قال : وكان أحسن شئ صنعه أن أمر لهم بمنزل فى مكان معتزل وأجرى عليهم رزقا ، وأمر لهم بنفقة وكسوة . قال : وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر - أو ابن أبى جعفر - فأتيا رجلا من طئ فلجآ إليه مستجيران به ، فضرب أعناقهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدى ابن زياد ، قال : فهم ابن زياد بضرب عنقه ، أمر بداره فهدمت . قال : وحدثنى مولى لمعاوية بن أبى سفيان قال : لما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه رأيته يبكى ويقول : لو كان بين ابن زياد وبينه رحم ما فعل هذا - يعنى ابن زياد - قال الحصين : ولما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع

قال أبو مخنف : حدثنى لوذان حدثنى عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين : أين تريد ؟ فحدثه ، فقال له : أنشدك الله لما انصرفت راجعاً ، فوالله ما بين يديك من القوم أحد يذب عنك ولا يقاتل معك ، وإنما والله أنت قادم على الأسنة والسيوف ، فان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء ، ثم قدمت عليهم بعد ذلك كان ذلك رأيا ، فأما على هذه الصفة فانى لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس يخفى علىّ ما قلت وما رأيت ، ولكن الله لا يغلب على أمره ، ثم ارتحل قاصداً الكوفة . وقال خالد بن العاص : -

رُبَّ مستنصح يغشُ ويُردى * وظنين بالغيب يلقى نصيحاً

وقد حج بالناس فى هذه السّنة عمرو بن سعيد بن العاص وكان عامل المدينة ومكة ليزيد ؛ وقد عزل يزيد عن إمرة المدينة الوليد بن عتبة وولاها عمرو بن سعيد بن العاص فى شهر رمضان منها والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلت هذه السنة والحسين بن على سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقراباته ؛ فقتل فى يوم عاشوراء من شهر المحرم من هذه السنة على المشهور الذى صححه الواقدى وغير واحد ، وزعم بعضهم أنه قتل فى صفر منها والأول أصح .

وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة هـذا الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب

قال أبو مخنف عن أبى جناب عن عدى بن حرملة عن عبد الله بن حرملة عن عبدالله بن سليم والمذرى [1] بن المشمعل الأسديين قالا : أقبل الحسين فلما نزل شرف قال لغلمانه وقت السحر : استقوا من الماء فأكثروا ، ثم ساروا إلى صدر النهار فسمع الحسين رجلا يكبر فقال له : مم كبرت ؟ قال : رأيت النخيلة ، فقال له الاسديان : إن هذا المكان لم ير أحد منه نخيلة ، فقال الحسين : فماذا تريانه رأى ؟ فقالا : هذه الخيل قد أقبلت ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله فى ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقالا : بلى : ذو حسم . فأخذ ذات اليسار إليها فنزل ، وأمر بأبنيته فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمى ، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد ، حتى وقفوا فى مقابلته فى نحر الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون سيوفهم ، فأمر الحسين أصحابه أن يترووا من الماء ويسقوا خيولهم ، وأن يسقوا خيول أعدائهم أيضا . وروى هو وغيره قالوا : لما دخل وقت الظهر أمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفى فأذن ثم خرج الحسين فى إزار ورداء ونعلين فخطب الناس من أصحابه وأعدائه واعتذر إليهم فى مجيئه هذا إلى ههنا ، بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة أنهم ليس لهم إمام ، وإن أنت قدمت علينا بايعناك وقاتلنا معك ، ثم أقيمت الصلاة فقال الحسين للحر : تريد أن تصلى بأصحابك ؟ قال لا ! ولكن صل أنت ونحن نصلى وراءك . فصلى بهم الحسين ، ثم دخل إلى خيمته واجتمع به أصحابه ، وانصرف الحر إلى جيشه وكل على أهبته ، فلما كان وقت العصر صلى بهم الحسين ثم انصرف فخطبهم وحثهم على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الادعياء السائرين فيكم بالجور . فقال له الحر : إنا لاندرى ماهذه الكتب ، ولامن كتبها ، فأحضر الحسين خرجين مملوءين كتبا فنثرها بين يديه وقرأ منها طائفة ، فقال الحر : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك فى شئ ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لانفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين : الموت أدنى من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ! فركبوا وركب النساء ، فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحر : ثكلتك أمك ، ماذا تريد ؟

---

(١) كذا بالأصلين . وفى الطبرى

فقال له الحر : أما والله لو غيرك يقولها لى من العرب وهو على مثل الحال التى أنت عليها لأقتص منه ، ولما تركت أمه ، ولكن لاسبيل إلى ذكر أمك إلا بأحسن مانقدر عليه ، وتقاول القوم وتراجعوا فقال له الحر : إنى لم أومر بقتالك ، وإنما أمرت أن لاأفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد ، فاذا أبيت فخذ طريقا لايقدمك الكوفة ولا تردك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد ، وأكتب أنا إلى ابن زياد إن شئت ، فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن أبتلى بشئ من أمرك . قال : فأخذ الحسين يساراً عن طريق العذيب والقادسية ، والحر بن يزيد يسايره وهو يقول له : ياحسين إنى أذكرك الله فى نفسك ، فانى أشهد لئن قاتلت لتقتلن ، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى . فقال له الحسين : أفبالموت تخوفنى ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول الله ص. فقال : أين تذهب فانك مقتول ؟ فقال :ـ

سأمضى ومابالموتِ عارٌ على الفتى * إذا مانوى حقًّا وجاهدَ مسلما
وآسى الرجالَ الصالحين بنفسه * وفارقَ خوفاً أن يعيشَ ويرغما

ويروى على صفة أخرى

سأمضى ومابالموتِ عارٌ على امرئ * إذا مانوى حقًّا ولم يلفِ مجرما
فانْ متُّ لم أندمْ وإنْ عشتُ لم ألمْ * كفى بكَ موتًا أنْ تذلَّ وترغما

فلما سمع ذلك الحر منه تنحى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، فانتهوا إلى عذيب الهجانات وإذا سفر أربعة ـ أى أربعة نفر ـ قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يخبون و يجتبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل قد أقبلوا من الكوفة يقصدون الحسين ودليلهم رجل يقال له الطرماح بن عدى راكب على فرس وهو يقول

ياناقتى لاتذعرى منْ زجرى * وشمرى قبل طلوع الفجرِ
بخيرِ ركبانٍ وخيرِ سفرِ * حتى تحلى بكريمِ النجرِ
الماجدِ الحرِّ رحيبِ الصدرِ * أتى بهِ اللهُ لخيرِ أمرِ
ثمت أبقاه بقاء الدهرِ

فأراد الحر أن يحول بينهم وبين الحسين فمنعه الحسين من ذلك ، فلماخلصوا إليه قال لهم : أخبرونى عن الناس وراءكم ، فقال له مجمع بن عبد الله العامرى أحد النفر الأربعة : أما أشراف الناس فهم إلب عليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم وملئت غرائرهم ، يستميل بذلك ودهم ويستخلص به نصيحتهم ، فهم إلب واحد عليك ، وأما سائر الناس فأفئدتهم تهوى إليك ، وسيوفهم غدا مشهورة عليك . قال

لهم : فهل لكم برسولى علم ؟ قالوا : ومن رسولك ؟ قال : قيس بن مسهر الصيداوى . قالوا : نعم أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلى عليك وعلى أبيك ولعن بن زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك فأمر به فألقى من رأس القصر فمات ، فترقرقت عينا الحسين ، وقرأ قوله تعالى [فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر] الآية

ثم قال : اللهم اجعل منازلهم الجنة نزلا ، واجمع بيننا وبينهم فى مستقر من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك . ثم إن الطرماح بن عدى قال للحسين : انظر فما معك ؟ لا أرى معك أحداً إلا هذه الشرذمة اليسيرة ، وإنى لأرى هؤلاء القوم الذين يسايرونك أكفاء لمن معك ، فكيف وظاهر الكوفة مملوء بالخيول والجيوش يعرضون ليقصدونك ، فأنشدك الله ، إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شبرا فافعل ، فان أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به من ملوك غسان وحمير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر ، والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أنزلك القرية ، ثم تبعث إلى الرجال من باجا وسلمى من طيء ، ثم أقم معنا ما بدالك ، فأنا زعيم بعشرة آلاف طائى يضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف . فقال له الحسين : جزاك الله خيراً ، فلم يرجع عما هو بصدده ، ، فودعه الطرماح ، ومضى الحسين ، فلما كان من الليل أمر فتيانه أن يستقوا من الماء كفايتهم ، ثم سرى فنعس فى مسيره حتى خفق برأسه ، واستيقظ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . ثم قال : رأيت فارساً على فرس وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسرى إليهم ، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا ، فلما طلع الفجر صلى بأصحابه وعجل الركوب ثم تياسر فى مسيره حتى انتهى إلى نينوى ، فاذا راكب متنكب قوساً قد قدم من الكوفة ، فسلم على الحر بن يزيد ولم يسلم على الحسين ، ودفع إلى الحر كتابا من ابن زياد ومضمونه أن يعدل بالحسين فى السير إلى العراق فى غير قرية ولا حصن ، حتى تأتيه رسله وجنوده ، وذلك يوم الخميس الثانى من المحرم سنة إحدى وستين ، فلما كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبى وقاص فى أربعة آلاف ، وكان قد جهزه ابن زياد فى هؤلاء إلى الديلم ، وخيم بظاهر الكوفة ، فلما قدم عليهم أمر الحسين قال له : سر إليه ، فاذا فرغت منه فسر إلى الديلم ، فاستعفاه عمر بن سعد من ذلك . فقال له ابن زياد : إن شئت عفيتك وعزلتك عن ولاية هذه البلاد التى قد استنبتك عليها ، فقال : حتى أنظر فى أمرى ، فجعل لا يستشير أحدا إلا نهاه عن المسير إلى الحسين ، حتى قال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة : إياك أن تسير إلى الحسين فتعصى ربك وتقطع رحمك ، فو الله لأن تخرج من سلطان الأرض كلها أحب إليك من أن تلقى الله بدم الحسين ، فقال : إنى أفعل إن شاء الله تعالى . ثم إن عبيد الله بن زياد تهدده وتوعده بالعزل والقتل ، فسار إلى الحسين فنازله فى المكان الذى ذكرنا ، ثم بعث إلى الحسين الرسل : ما الذى أقدمك ؟ فقال

كتب إلى أهل الكوفة أن أقدم عليهم ، فإذ قد كرهونى فأنا راجع إلى مكة وأذركم . فلما بلغ عمر بن سعد هذا قال : أرجو أن يعافينى الله من حربه ، وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فرد عليه ابن زياد : أن حل بينهم و بين الماء كما فعل بالتقى الزكى المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، واعرض على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فاذا فعلوا ذلك رأينا رأينا ، وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من الماء ، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج ، فدعا عليهم بالعطش فمات هذا الرجل من شدة العطش . ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين ، فجاء كل واحد منهما فى نحو من عشرين فارسا ، فتكلما طويلا حتى ذهب هزيع من الليل ، ولم يدر أحد ماقالا ، ولكن ظن بعض الناس أنه سأله أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشام و يتركا العسكرين متواقفين ، فقال عمر إذاً يهدم ابن زياد دارى ، فقال الحسين : أنا أبنيها لك أحسن مما كانت ، قال : إذا يأخذ ضياعى ، قال أنا أعطيك خيراً منها من مالى بالحجاز ، قال : فتكره عمر بن سعد من ذلك . وقال بعضهم : بل سأل منه إما أن يذهبا إلى يزيد ، أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك ، فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك ، فقال : نعم ! قد قبلت ، فقام الشمر بن ذى الجوشن فقال : لا والله حتى ينزل على حكمك هو وأصحابه ، ثم قال : والله لقد بلغنى أن حسينا وابن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل ، فقال له ابن زياد : فنعم ما رأيت.

وقد روى أبو مخنف : حدثنى عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سمعان . قال : لقد صحبت الحسين من مكة إلى حين قتل ، والله مامن كلمة قالها فى موطن إلا وقد سمعتها ، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده إلى يده ، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور ، ولكن طلب منهم أحد أمرين ، إما أن يرجع من حيث جاء ، و إما أن يدعوه يذهب فى الأرض العريضة حتى ينظر مايصير أمر الناس إليه . ثم إن عبيد الله بعث شمر بن ذى الجوشن فقال : اذهب فان جاء حسين وأصحابه على حكمى و إلا فمر عمر بن سعد أن يقاتلهم ، فان تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس . وكتب إلى عمر بن سعد يتهدده على توانيه فى قتال الحسين ، وأمره إن لم يجئ الحسين إليه أن يقاتله ومن معه ، فانهم مشاقون . فاستأمن عبيد الله بن أبى المحل لبنى عمته أم البنين بنت حرام من على ؛ وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان و بعثه عبيد الله بن المحل مع مولى له يقال له كرمان ، فلما بلغهم ذلك قالوا : أما أمان ابن سمية . فلا نريده ، وإنا لنرجو أمانا خيراً من أمان ابن سمية . ولما قدم شمر بن ذى الجوشن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد ، قال عمر : أبعد الله دارك ، وقبح ماجئت به ، والله إنى لأظنك الذى صرفته عن الذى عرضت عليه من الأمور الثلاثة التى طلبها الحسين ، فقال له شمر : فأخبرنى ماأنت صانع ؟ أتقاتلهم أنت أو تاركى و إياهم ؟

فقال له عمر : لا ولا كرامة لك ! أنا أتولى ذلك ، وجعله على الرجالة ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرم ، فقام شمر بن ذى الجوشن فقال : أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله ، وجعفر وعثمان بنو على بن أبى طالب ، فقال : أنتم آمنون . فقالوا : إن أمنتنا وابن رسول الله (ص) ، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك . قال : ثم نادى عمر بن سعد فى الجيش : ياخيل الله اركبى وابشرى ، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ ، هذا وحسين جالس أمام خيمته محتبيا بسيفه ، ونعس نخفق برأسه وسمعت أخته الضجة فدنت منه فأيقظته ، فرجع برأسه كما هو ، وقال : إنى رأيت رسول الله (ص) فى المنام فقال لى : « إنك تروح إلينا » فلطمت وجهها وقالت : ياويلتنا . فقال : ليس لك الويل يا أخته : اسكنى رحمك الرحمن ، وقال له أخوه العباس بن على : يا أخى جاءك القوم ، فقال : اذهب إليهم فسلهم مابدالهم ، فذهب إليهم فى نحو من عشرين فارساً فقال : مالكم ؟ فقالوا جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حكمه وإما أن نقاتلكم . فقال : مكانكم حتى أذهب إلى أبى عبد الله فأعلمه ، فرجع ووقف أصحابه فجعلوا يتراجعون القول ويؤنب بعضهم بعضا ، يقول أصحاب الحسين: بئس القوم ، أنتم تريدون قتل ذرّية نبيكم وخيار الناس فى زمانهم ؟ ثم رجع العباس بن على من عند الحسين إليهم فقال لهم : يقول لكم أبو عبد الله : انصرفوا عشيتكم هذه حتى ينظر فى أمره الليلة ، فقال عمر بن سعد لشمر بن ذى الجوشن : ما تقول ؟ فقال : أنت الأمير والرأى رأيك ، فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدى : سبحان الله ! والله لو سألكم ذلك رجل من الديلم لكان ينبغى إجابته . وقال قيس بن الأشعث : أجبهم إلى ما سألوك ، فلعمرى ليصبحنك بالقتال غدوة ، وهكذا جرى الأمر ، فان الحسين لما رجع العباس قال له : ارجع فارددهم هذه العشية لعلنا نصلى لربنا هذه الليلة ونستغفره وندعوه ، فقد علم الله منى أنى أحب الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، والاستغفار والدعاء . وأوصى الحسين فى هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه فى أول الليل فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة ، وقال لأصحابه : من أحب أن ينصرف إلى أهله فى ليلته هذه فقد أذنت له فان القوم إنما يريدوننى . فقال مالك بن النضر : على دين ولى عيال ، فقال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا ، ليأخذ كل منكم بيد رجل من أهل بيتى ثم اذهبوا فى بسيط الأرض فى سواد هذا الليل إلى بلادكم ومدائنكم ، فان القوم إنما يريدوننى ، فلو قد أصابونى لهوا عن طلب غيرى ، فاذهبوا حتى يفرج الله عز وجل . فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه : لا بقاء لنا بعدك ، ولا أرانا الله فيك ماتكره ، فقال الحسين : يابنى عقيل حسبكم بمسلم أخيكم ، اذهبوا فقد أذنت لكم ، قالوا : فما تقول الناس إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الأعمام ، لم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، رغبة فى الحياة الدنيا ، لا والله لا نفعل ، ولكن نفديك

بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرد موردك . فقبح الله العيش بعدك . وقال نحو ذلك مسلم بن عوسجة الأسدى ، وكذلك قال سعيد بن عبد الله الحنفى : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله (ص) فيك ، والله لو علمت أنى أقتل دونك ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك ، لأحببت ذلك ، وإنما هى قتلة واحدة . وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا من وجه واحد ، فقالوا : والله لانفارقك ، وأنفسنا الفداء لك ، نقيك بنحورنا وجباهنا ، وأيدينا وأبداننا ، فاذا نحن قتلنا وفينا وقضينا ما علينا . وقال أخوه العباس : لا أرانا الله يوم فقدك ولا حاجة لنا فى الحياة بعدك . وتتابع أصحابه على ذلك

وقال أبو مخنف : حدثنى الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن على بن الحسين زين العابدين . قال : إنى لجالس تلك العشية التى قتل أبى فى صبيحتها ، وعمتى زينب تمرضنى إذ اعتزل أبى فى خبائه ومعه أصحابه ، وعنده حوى مولى أبى ذر الغفارى ، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبى يقول : ـ

يا دهرُ أفٍ لكَ من خليلِ * كَمْ لكَ بالأشراقِ والأصيلِ

منْ صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ * والدهرُ لا يقنعُ بالبديلِ

وإنما الأمرُ إلى الجليلِ * وكلُّ حيٍ سالكُ السبيلِ

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى حفظتها وفهمت ما أراد ، فخنقتنى العبرة فرددتها ، ولزمت السكوت ، وعلمت أن البلاء قد نزل ، وأما عمتى فقامت حاسرة حتى انتهت إليه فقالت : واثكلاه ! ! ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم ، ماتت أمى فاطمة وعلى أبى ، وحسن أخى ، ياخليفة الماضى ، وثمال الباقى فنظر إليها وقال : يا أخيه ، لا يذهبن حلمك الشيطان ، فقالت : بأبى أنت وأمى يا أبا عبد الله ، استقتلت ؟ ولطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشيا عليها ، فقام إليها فصب على وجهها الماء وقال يا أخيه اتق الله واصبرى وتعزى بعزاء الله ، واعلمى أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لايبقون ، وأن كل شىء هالك إلا وجه الله الذى خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقهره وعزته ، ويعيدهم فيعبدونه وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمى أن أبى خير منى وأمى خير منى ، وأخى خير منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة ، ثم حرّج عليها أن لا تفعل شيئا من هذا بعد مهلكه ، ثم أخذ بيدها فردّها إلى عندى ، ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها فى بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصاً إليهم إلا من جهة واحدة ، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ، ومن ورائهم وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون ، وخيول حرس عدوهم تدور من ورائهم ، عليها عزرة بن قيس

الأحمسى [والحسين يقرأ (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الآية فسمعها رجل من تلك الخيل التى كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا الله منكم . قال فعرفته فقلت لزيد[1] بن حضير : أتدرى من هذا ؟ قال : لا ! فقلت هذا أبو حرب السبيعى عبيد الله بن شمير - وكان مضحاكا بطالا - وكان شريفا شجاعا فاتكا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه فى خيانة . فقال له يزيد بن حصين : يافاسق متى كنت من الطيبين ؟ فقال : من أنت ويلك ؟ قال : أنا يزيد بن حصين . قال : إنا لله ! هلكت والله عدو الله ! على م يريد قتلك ؟ قال فقلت له : يا أبا حرب هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله إنا لنحن الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم وأنا على ذلك من الشاهدين . قال : ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟ قال فانتهره عزرة بن قيس أمير السرية التى تحرسنا فانصرف عنا][2] قالوا : فلما صلى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة وقيل يوم السبت - وكان يوم عاشوراء - انتصب للقتال ، وصلى الحسين أيضا بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلا ، ثم انصرف فصفهم فجعل على ميمنته زهير بن القين ، وعلى الميسرة حبيب بن المطهر ، وأعطى رايته العباس بن على أخاه ، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقا وقذفوا فيه حطباً وخشباً وقصباً ، ثم أضرمت فيه النار لئلا يخلص أحد إلى بيوتهم من ورائها . وجعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدى ، وعلى الميسرة شمر بن ذى الجوشن - واسم ذى الجوشن شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بنى الضباب بن كلاب - وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسى ، وعلى الرجالة شبيث بن ربعى ، وأعطى الراية لوردان مولاه ، وتواقف الناس فى ذلك الموضع ، فعدل الحسين إلى خيمة قد نصبت فاغتسل فيها واطلى بالنورة وتطيب بمسك كثير ، ودخل بعده بعض الأمراء ففعلوا كما فعل ، فقال بعضهم لبعض : ماهذا فى هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : دعنا منك ، والله ماهذه بساعة باطل ، فقال يزيد بن حصين : والله لقد علم قومى أنى ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلا ، ولكن والله إنى لمستبشر بما نحن لاحقون ، والله مابيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء القوم فيقتلونا . ثم ركب الحسين على فرسه وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه ، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما تقدم ذكره : اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ، ورجائى فى كل شدة ، إلى آخره . وركب ابنه على بن الحسين - وكان ضعيفاً مريضاً - فرساً يقال له الأحمق ونادى الحسين أيها الناس : اسمعوا منى نصيحة أقولها لكم ، فأنصت الناس كلهم ، فقال بعد حمد

(١) كذا بالأصلين . وفى الطبرى : برير بن حضير (٢) سقط من المصرية

الله والثناء عليه : أيها الناس إن قبلتم منى وأنصفتمونى كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علىّ سبيل ، و إن لم تقبلوا منى [فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون . إن وليّىَ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين] .

فلما سمع ذلك أخواته و بناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء فقال عند ذلك : لا يبعد الله ابن عباس . ـ يعنى حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه و يدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر ـ ثم بعث أخاه العباس فسكتهن ، ثم شرع يذكر للناس فضله وعظمة نسبه وعلو قدره وشرفه ، و يقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها . هل يصلح لكم قتال مثلى ، وأنا ابن بنت نبيكم ، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيرى ؟ وعلى أبى ، وجعفر ذو الجناحين عمى ، وحمزة سيد الشهداء عم أبى ؟ وقال لى رسول الله (ص) ولأخى : « هذان سيدا شباب أهل الجنة » . فان صدقتمونى بما أقول فهو الحق ، فوالله ماتعمدت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب ، و إلا فاسألوا أصحاب رسول الله (ص) عن ذلك ، جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد ، وسهل بن سعد ، و زيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبرونكم بذلك ، ويحكم ! أما تتقون الله ؟ أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمى ؟ . فقال عند ذلك شمر بن ذى الجوشن : هو يعبد الله على حرف : إن كنت أدرى مايقول ؟ فقال له حبيب بن مطهر[1] : والله ياشمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفا ، وأما نحن فوالله إنا لندرى مايقول ، و إنه قد طبع على قلبك . ثم قال : أيها الناس ذرونى أرجع إلى مأمنى من الأرض ، فقالوا : وما يمنعك أن تنزل على حكم بنى عمك ؟ فقال : معاذ الله [إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب] ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها [ثم قال : أخبرونى أتطلبونى بقتيل لكم قتلته ؟ أو مال لكم أكلته ؟ أو بقصاصة من جراحة ؟ قال : فأخذوا لا يكلمونه . قال : فنادى ياشبيث بن ربعى ، ياحجار بن أبجر ، ياقيس بن الأشعث ، يازيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلىّ أنه قد أينعت الثمار واخضر الجناب ، فأقدم علينا فانك إنما تقدم على جند مجندة ؟ فقالوا له : لم نفعل . فقال : سبحان الله ! والله لقد فعلتم ، ثم قال : يا أيها الناس ! إذ قد كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم ، فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حكم بنى عمك فانهم لن يؤذوك ، ولا ترى منهم إلا ما تحب ؟ فقال له الحسين : أنت أخو أخيك ، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم ابن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل ، ولا أقر لهم إقرار العبيد .

قال : وأقبلوا يزحفون نحوه وقد تحيز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل ، منهم الحر بن يزيد أمير مقدمة جيش ابن زياد ، فاعتذر إلى الحسين مما كان منهم ،

---

(١) كذا بالأصلين وفى الطبرى : مظاهر .

قال : ولو أعلم أنهم على هذه النية لسرت معك إلى يزيد ، فقبل منه الحسين ، ثم تقدم بين يدى أصحاب الحسين فخاطب عمر بن سعد فقال : ويحكم ألا تقبلون من ابن بنت رسول الله (ص) ما يعرض عليكم من الخصال الثلاث واحدة منها ؟ فقال : لو كان ذلك إلىّ قبلت .

قال : وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك فى السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة ، وعلى دين واحد ، وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية ، عبيد الله بن زياد ، فانكم لم تدركوا منهما الاسوء عموم سلطانهما ، يسملان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويقتلان أماثلكم وقراءكم ، أمثال حجر بن عدى وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه . قال : فسبوه وأثنوا على ابن زياد ودعوا له ، وقالوا : لا ننزع حتى نقتل صاحبك ومن معه . فقال لهم : إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فان أنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم ، خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فلعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . قال : فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال له : اسكت أسكت الله نامتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك ، فقال له زهير : يا ابن البوال على عقبيه ، إياك أخاطب ؟ إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين ، فابشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال له شمر : إن الله قاتلك وصاحبك بعد ساعة ، فقال له زهير : أبالموت تخوفنى ؟ فوالله للموت معه أحب إلىّ من الخلد معكم . ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول : عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافى وأشباهه ، فوالله لا ينال شفاعة محمد (ص) قوم أهرقوا دماء ذريته ، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم .

وقال الحر بن يزيد لعمر بن سعد : أصلحك الله ! أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إى والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤس وتطيح الأيدى ، وكان الحر من أشجع أهل الكوفة ، فلامه بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : والله إنى أخير نفسى بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة غيرها ولو قطعت وحرقت . ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فاعتذر إليه عما تقدم ، ثم قال : يا أهل الكوفة لأمكم الهبل ، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، ومنعتموه التوجه فى بلاد الله العريضة الوسيعة التى لا يمنع فيها الكلب والخنزير ، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجارى الذى يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعهم

العطش ؟ بئس ما خلفتم محمداً فى ذريته ، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه . فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين وقال لهم عمر بن سعد : لو كان الأمر لى لأجبت الحسين إلى ما طلب ولكن أبى على عبيد الله بن زياد ، وقد خاطب أهل الكوفة وأنبهم ووبخهم وسبهم ، فقال لهم الحر بن يزيد : ويحكم منعتم الحسين ونساءه وبناته الماء الفرات الذى يشرب منه اليهود والنصارى ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، فهو كالأسير فى أيديكم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً .

قال فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه : يادريد أدن رايتك ، فأدناها ثم شمر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال : اشهدوا أنى أول من رمى القوم ، قال : فترامى الناس بالنبال ، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله ، فقالا : من يبارز ؟ فبرز لهما عبيد الله بن عمر الكلبى بعد استئذانه الحسين فقتل يساراً أولا ثم قتل سالماً بعده ، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى ، وحمل رجل يقال له عبد الله بن حوزة حتى وقف بين يدى الحسين فقال له : يا حسين أبشر بالنار ! فقال له الحسين : كلا ويحك إنى أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع ، بل أنت أولى بالنار . قالوا : فانصرف فوقصته فرسه فسقط وتعلقت قدمه بالركاب ، وكان الحسين قد سأل عنه فقال : أنا ابن حوزة ، فرفع الحسين يده وقال : اللهم حزه إلى النار ، فغضب ابن حوزة وأراد أن يقحم عليه الفرس وبينه وبينه نهر ، فجالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقى جانبه الآخر متعلقاً بالركاب ، وشد عليه مسلم بن عوسجة فضربه فأطار رجله اليمنى ، وغارت به فرسه فلم يبق حجر يمر به إلا ضرب به فى رأسه حتى مات .

وروى أبو مخنف عن أبى جناب قال : كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير من بنى عُلَيْم ، كان قد نزل الكوفة واتخذ داراً عند بئر الجعد من همدان ، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط ، فرأى الناس يتهيئون للخروج إلى قتال الحسين ، فقال : والله لقد كنت على قتال أهل الشرك حريصاً ، وإنى لأرجو أن يكون جهادى مع ابن بنت رسول الله ﷺ لهؤلاء أفضل من جهاد المشركين ، وأيسر ثوابا عند الله ، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما هو عازم عليه ، فقالت : أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك ، افعل وأخرجنى معك . قال : فخرج بها ليلا حتى أتى الحسين ، ثم ذكر قصة رمى عمر بن سعد بالسهم ، وقصة قتله يسار مولى زياد ، وسالم مولى ابن زياد ، وأن عبد الله ابن عمير استأذن الحسين فى الخروج إليهما فنظر إليه الحسين ، فرأى رجلا آدم طويلا شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين ، فقال الحسين : إنى لأحسبه للأقران قتالا ، اخرج إن شئت ،

فخرج فقالا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك إلا هو خير منكما ، ثم شد على يسار فكان كأمس الذاهب ، فانه لمشتغل به إذ حمل عليه سالم مولى ابن زياد فصاح به صائح قد رهقك العبد ، قال : فلم ينتبه حتى غشيه فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه ، ثم مال على الكلبي فضربه حتى قتله وأقبل يرتجز ويقول : ـ

إن تنكرانى فأنا ابنُ كلبِ نسبى * بيتى فى عليم حسبى * إنى امرؤٌ ذو مروءةٍ وغضبِ
ولستُ بالخوارِ عندَ الكربِ * إنى زعيمٌ لك أم وهبِ * بالطعنِ فيهمْ مقدما والضربِ
* ضربِ غلامٍ مؤمنٍ بالربِ *

فأخذت أم وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداؤك أبى وأمى ، قاتل دون الطيبين، ذرية محمد عليه السلام ، فأقبل إليها يردها نحو النساء فأقبلت تجاذبه ثوبه ، قالت : دعنى أكون معك ، فناداها الحسين : انصرفى إلى النساء فاجلسى معهن فانه ليس على النساء قتال ، فانصرفت إليهن

قال : وكثرت المبارزه يومئذ بين الفريقين والنصر فى ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم ، وأنهم مستميتون لاعاصم لهم إلا سيوفهم ، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل عمرو بن الحجاج أمير ميمنة جيش ابن زياد . وجعل يقول : قاتلوا من مرق من الدين وفارق الجماعة . فقال له الحسين : ويحك ياحجاج أعلىّ تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ؟ ستعلمون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصلىّ النار وقد قتل فى هذه الحملة مسلم بن عوسجة ، وكان أول من قتل من أصحاب الحسين فمشى إليه الحسين فترحم عليه ، وهو على آخر رمق ، وقال له حبيبُ بن مطهر : ابشر بالجنة ، فقال له بصوت ضعيف : بشرك الله بالخير . ثم قال له حبيب: لولا أنى أعلم أنى على أثرك لا حقك لكنت أقضى ما توصى به ، فقال له مسلم بن عوسجة : أوصيك بهذا ـ وأشار إلى الحسين ـ إلى أن تموت دُونه . قالوا : ثم حمل شمر بن ذى الجوشن بليسرة وقصدوا نحو الحسين فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعاً عظيما ، وكافحوا دونه مكافحة بليغة ، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة ، فبعث إليهم نحوا من خمسمائة ، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فعقروها كلها حتى بقى جميعهم رجالة ، ولما عقروا جواد الحر ابن يزيد نزل عنه وفى يده السيفُ كأنه ليث وهو يقول :

إن تعقروا بى فأنا ابنُ الحرِ * أشجعُ من ذى لبدٍ هزبرِ

ويقال إن عمر بن سعد أمر بتقويض تلك الأبنية التى تمنع من القتال من أتى ناحيتها ، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك ، فأمر بتحريقها فقال الحسين : دعوهم يحرقونها فانهم

لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أحرقت . وجاء شمر بن ذى الجوشن قبحه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمحه ـ يعنى الفسطاط ـ وقال : إيتونى بالنار لأحرقه على من فيه ، فصاحت النسوة وخرجن منه ، فقال له الحسين : أحرقك الله بالنار . وجاء شبيث بن ربعى إلى شمر قبحه الله فقال له : مارأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا ، أتريد أن ترعب النساء ؟ فاستحيى وهم بالرجوع وقال حميد بن مسلم : قلت لشمر سبحان الله ! ! إن هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين ؟ تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء ؟ والله إن فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك . قال فقال لى : من أنت ؟ قلت : لا أخبرك من أنا ـ وخشيت أنى إن أخبرته فعرفنى أن يسوءنى عند السلطان ـ .

وشد زهير بن القين فى رجال من أصحاب الحسين على شمر بن ذى الجوشن فأزالوه عن موقفه ، وقتلوا أبا عزة الضبابى ـ وكان من أصحاب شمر ـ وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قتل بان فيهم الخلل ، وإذا قتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبين ذلك فيهم لكثرتهم ، ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين : مروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلى ، فقال رجل من أهل الكوفة : إنها لاتقبل منكم ، فقال له حبيب بن مطهر : ويحك ! ! أتقبل منكم ولاتقبل من آل رسول الله ﷺ ؟ [وقاتل حبيب قتالا شديدا حتى قتل رجلا يقال له بديل بن صريم من بنى عقفان وجعل يقول :

أنا حبيبٌ وأبى مطهرٌ * فارسُ هيجاءٍ وحربٍ مسعرِ

أنتمْ أوفرُ عدةً وأكثرُ * ونحنُ أوفى منكمْ وأصبرُ

ونحنُ أعلى حجةً وأظهرُ * حقاً وأبقى منكمُ وأطهرُ

ثم حمل علي حبيب هذا رجل من بنى تميم فطعنه فوقع ، ثم ذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل إليه التميمى فاحتز رأسه وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه فعرفه فقال لحامله : اعطنى رأس أبى حتى أدفنه ، ثم بكى . قال : فمكث الغلام إلى أن بلغ أشده ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه ، قال : فلما كان زمن مصعب بن عمير دخل الغلام عسكر مصعب فاذا قاتل أبيه فى فسطاطه ، فدخل عليه وهو قائل فضربه بسيفه حتى برد .

وقال أبو مخنف : حدثنى محمد بن قيس قال : لما قتل حبيب بن مطهر هد ذلك الحسين ، وقال عند ذلك : أحتسب نفسى ، وأخذ الحرّ يرتجز ويقول للحسين :

آليتُ لا تقتلُ حتى أقتلا * ولن أصابُ اليومُ إلا مقبلا

أضربهمُ بالسيفِ ضرباً مقصلا * لا نا كلاً عنهمْ ولا مهملا

ثم قاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً فكان إذا شد أحدهما حتى استلحم شد الآخر حتى

يخلصه ، فعلا ذلك ساعة ، ثم إن رجالاً شدوا عـلى الحر بن يزيد فقتلوه ، وقتل أبو ثمامة الصائدى ابن عم له كان عـدواً له . ، ثم صلى الحسين بأصحابه الظهر صـلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بعـدها قتالا شديداً ودافع عن الحسين صناديد أصحابه ، وقاتل زهير بن القين بين يدى الحسين قتالاً شديداً ، ورمى بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدى الحسين وجعل زهير يرتجز ويقول : ـ

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ * أذودكمْ بالسيفِ عنِ الحسينِ

قال : وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول :

أقدمْ هديتَ هادياً مهديا * فاليومَ تلقى جدكَ النبيا

وحسناً والمرتضى عليا * وذا الجناحينِ الفتى الكميا

* وأسدَ اللهِ الشهيدَ الحيا *

قال : فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه

قال : وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجملى ، وكان قد كتب على فوق نبله فجعل يرمى بها مسمومة وهو يقول :

أرمى بها معلمةً أفواقها * والنفسُ لا ينفعها شقاقها * أنا الجملى أنا على دينِ على .

فقتل اثنى عشر من أصحاب عمر بن سعد ، سوى من جرح ، ثم ضرب حتى كسرت عضداه ، ثم أسروه فأتوا به عمر بن سعد فقال له : ويحك يا نافع ، ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إن ربى يعلم ما أردت ، والدماء تسيل عليه وعلى لحيته ، ثم قال : والله لقد قتلت من جندكم اثنى عشر سوى من جرحت ، وما ألوم نفسى على الجهد ، ولو بقيت لى عضد وساعد ما أسرتمونى . فقال شمر لعمر : اقتله ، قال : أنت جئت به ، فان شئت اقتله . فقام شمر فأنضى سيفه فقال له نافع : أما والله ياشمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمـد لله الذى جعل منايانا على يدى شرار خلقه . ثم قتلـه ، ثم أقبل شمر فحمل عـلى أصحاب الحسين وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقـدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ، فجاء عبـد الرحمن وعبـد الله ابنا عزرة الغفارى ، فقالا : أبا عبد الله عليك السلام ، حازنا العـدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك وندفع عنك . فقال : مرحباً بكما ، ادنوا منى ، فدنوا منه فجعلا يقاتلان قريباً منه وهما يقولان :

قـدْ علمتْ حقا بنو غفارِ * وخندفٌ بعدَ بنى نزارِ

لنضربنَّ معشرَ الفجـارِ * بكلِ عضبٍ قاطعٍ بتارِ

ياقومُ ذودوا عنْ بنى الأخيارِ * بالمشرفى والقنا الخطارِ

ثم أتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم و يقول :جزاكم الله أحسن جزاء المتقين ، فجعلوا يسلمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا ، ثم جاء عابس بن أبي شبيب فقال : يا أبا عبد الله ! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ منك ، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، اشهد لي أني على هديك . ثم مشى بسيفه صلتا و به ضربة على جبينه ـ وكان أشجع الناس ـ فنادى :ألا رجل لرجل ؟ ألا ابرزوا إليّ . فعرفوه فنكلوا عنه ، ثم قال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ، فرمي بالحجارة من كل جانب ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ، ثم شد على الناس ، والله لقد رأيته يكرد أكثر من مائتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقتل رحمه الله ، فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدد ، كل يدعي قتله ، فأتوا به عمر بن سعد فقال لهم : لا تختصموا فيه ، فانه لم يقتله إنسان واحد ، ففرق بينهم بهذا القول

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانوا ولم يبق معه أحد إلا سويد بن عمرو بن أبي مطاع الخثعمي ، وكان أول قتيل قتل من أهل الحسين من بني أبي طالب علي الأكبر بن الحسين بن علي ، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، طعنه مرة بن منقذ بن النعمان العبدي فقتله ، لأنه جعل يقي أباه ، وجعل يقصد أباه ، فقال علي بن الحسين :

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ علي * نحنُ وبيتُ اللهِ أولى بالنبي
تاللهِ لا يحكمُ فينا ابنُ الدعي * كيفَ ترونَ اليومَ ستري عن أبي

فلما طعنه مرة احتوشته الرجال فقطعوه بأسيافهم ، فقال الحسين : قتل الله قوماً قتلوك يابني ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه ؟ ! فعلى الدنيا بعدك العفاء . قال : وخرجت جارية كأنها الشمس حسنا فقالت : يا أخياه ويا ابن أخاه ، فاذا هي زينب بنت علي من فاطمة ، فأكبت عليه وهو صريع . قال : فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط ، وأمر به الحسين فحُوِّل من هناك إلى بين يديه عند فسطاطه ، ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل . ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب ، ثم قتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد ، وكان رامياً ، وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة . جثى على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم ، فلما فرغ من الرمي قال : قد تبين لي أني قتلت خمسة نفر :

أنا يزيدُ وأنا المهاجرْ * أشجعُ من ليثٍ قويٍّ حادرْ

يربو إلى الحسين تحسرٌ • ولابن سعد تاركٌ وهاجرُ

قالوا : ومكث الحسين نهاراً طويلا وحده لا يأتى أحدٌ إليه إلا رجع عنه ، لايحب أن يلى قتله ، حتى جاءه رجل من بنى بدّاء ، يقال له مالك بن البشير ، فضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدمى رأسه ، وكان على الحسين برنس فقطعه وجرح رأسه فامتلأ البرنس دماً ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشرك الله مع الظالمين . ثم ألقى الحسين ذلك البرنس ودعا بعمامة فلبسها .

وقال أبو مخنف : حدثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد . قال : خرج إلينا غلام كأن وجهه فلقة قمر فى يده السيف وعليه قميص و إزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمر بن سعد بن نفيل الأزدى : والله لأشدن عليه . فقلت له : سبحان الله ! ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك . قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم . فقال : والله لأشدّنّ عليه ، فشد عليه عمر بن سعد أمير الجيش ، فضربه وصاح الغلام : ياعماه ، قال : فشد الحسين على عمر بن سعد شدة ليث أغضب ، فضرب عمر بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنّها من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه ، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين ، فاستقبلت عمر بصدورها وحركت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انجلت الغبرة فاذا بالحسين قائم على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجله والحسين يقول : بُعداً لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك . ثم قال : عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لاينفعك،صوت والله كثر واتره وقل ناصره . ثم احتمله فكأنى أنظر إلى رجلى الغلام يخطان فى الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه على الأكبر ومع من قتل من أهل بيته ، فسألت عن الغلام فقيل لى هو القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب .

وقال هانئ بن ثبيت الحضرمى : إنى لواقف يوم مقتل الحسين عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقميص ، وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالا ، فكأنى أنظر إلى درتين فى أذنيه تذبذبان كلما التفت ، إذ أقبل رجل يركض فرسه حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام السكونى : هانئ بن ثبيت هو الذى قتل الغلام ، خاف أن يعاب ذلك عليه فكنى عن نفسه

قال : ثم إن الحسين أعيا فقعد على باب فسطاطه وأتى بصبى صغير من أولاده اسمه عبد الله ، فأجلسه فى حجره ، ثم جعل يقبله ويشمه ويودعه ويوصى أهله ، فرماه رجل من بنى أسد يقال له « ابن موقد النار » بسهم فذبح ذلك الغلام ، فتلقى حسين دمه فى يده وألقاه نحو السماء وقال : رب

إن تك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير ، وانتقم لنا من الظالمين . ورمى عبد الله ابن عقبة الغنوى أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضا ، ثم قتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنوا على بن أبى طالب ، إخوة الحسين . وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر ، بل مانعوه عنه ، فخلص إلى شربة منه ، فرماه رجل يقال له حصين بن تميم بسهم فى حنكه فأثبته ، فانتزعه الحسين من حنكه ففار الدم فتلقاه بيديه ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دماً ، ثم رمى به إلى السماء وقال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولاتذرعلى الأرض منهم أحداً . ودعا عليهم دعاء بليغا .

قال : فوالله إن مكث الرجل الرامى له إلا يسيراً حتى صب الله عليه الظمأ ، فجعل لا يروى ويُسقى الماء مبرداً ، وتارة يبرد له اللبن والماء جميعاً ، ويسقى فلا يروى ، بل يقول : ويلكم اسقونى قتلنى الظمأ . قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقد بطنه انقداد بطن البعير . ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل فى نحو من عشرة من رجّالة الكوفة قبل منزل الحسين الذى فيه ثقله وعياله ، فمشى نحوهم فحالوا بينه وبين رحله ، فقال لهم الحسين : ويلكم ! ! إن لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون يوم المعاد فكونوا فى دنياكم أحراراً وذوى أحساب ، امنعوا رحلى وأهلى من طغاتكم وجهالكم ، فقال ابن ذى الجوشن ذلك لك يا ابن فاطمة ، ثم أحاطوا به فجعل شمر يحرضهم على قتله ، فقال له أبو الجنوب : وما يمنعك أنت من قتله ؟ فقال له شمر : إلى تقول ذا ؟ فقال أبو الجنوب : إلى تقول ذا ؟ فاستبا ساعة ، فقال له أبو الجنوب ـ وكان شجاعاً ـ : والله لقد هممت أن أخضخض هذا السنان فى عينك ، فانصرف عنه شمر

ثم جاء شمر ومعه جماعة من الشجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فسطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه ، فجاء غلام يشتد من الخيام كأنه البدر ، وفى أذنيه درّتان ، فخرجت زينب بنت على لترده فامتنع عليها ، وجاء يحاجف عن عمه فضربه رجل منهم بالسيف فاتقاه بيده فأطنها سوى جلده ، فقال : يا أبتاه ، فقال له الحسين : يابنى احتسب أجرك عند الله ، فانك تلحق بآبائك الصالحين . ثم حمل على الحسين الرجال من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يمينا وشمالا ، فيتنافرون عنه كتنافر المعزى عن السبع ، وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول : ليت السماء تقع على الأرض ، وجاءت عمر بن سعد فقالت : ياعمر أرضيت أن يقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فتحادرت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنها ، ثم جعل لايقدم أحد على قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوشن: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم . فحملت الرجال من كل جانب

على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى ، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو ، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع ، ثم نزل فذبحه وحز رأسه ، ثم دفع رأسه إلى خولي بن يزيد . وقيل : إن الذي قتله شمر بن ذي الجوشن ، وقيل رجل من مذحج ، وقيل عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وليس بشيء ، وإنما كان عمر أمير السرية التي قتلت الحسين فقط والأول أشهر . وقال عبد الله بن عمار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى انذعروا عنه ، فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناناً منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله . وقال : ودنا عمر بن سعد من الحسين فقالت له زينب : ياعمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فبكى وصرف وجهه عنها.

وقال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير عن حُميد بن مسلم قال: جعل الحسين يشد على الرجال وهو يقول : أعلى قتلي تحابون ؟ أما والله لاتقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم بقتله مني ، وأيم الله إني أرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض دمه ، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله ، حتى نادى شمر بن ذي الجوشن ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدم إليه زرعة بن شريك التميمي فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو النخعي بالرمح ، ثم نزل فاحتز رأسه ودفعه إلى خولي . وقد روى ابن عساكر في ترجمة شمر بن ذي الجوشن ، وذو الجوشن صحابي جليل ، قيل اسمه شرحبيل ، وقيل عثمان بن نوفل ، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضبابي ، بطن من كلاب ، ويكنى شمر بأبي السابغة . ثم روى من طريق عمر بن شبة : ثنا أبو أحمد حدثني عمي فضيل بن الزبير عن عبد الرحيم بن ميمون عن محمد بن عمرو بن حسن . قال : كنا مع الحسين بنهرى كربلاء ، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله (ص) : « كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي » وكان شمر قبحه الله أبرص وأخذ سنان وغيره سلبه ، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله ، وما في خبائه حتى ما على النساء من الثياب الطاهرة .

وقال أبو مخنف عن جعفر بن محمد . قال : وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثة وثلاثين طعنة ، وأربعة وثلاثين ضربة ، وهمّ شمر بن ذي الجوشن بقتل علي بن الحسين الأصغر « زين العابدين » وهو صغير مريض حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه . وجاء عمر بن سعد فقال : ألا لا يدخلن

على هذه النسوة أحد ، ولا يقتل هذا الغلام أحد ، ومن أخذ من متاعهم شيئا فليرده عليهم ، قال: فوالله ما ردّ أحد شيئا . فقال له على بن الحسين : جزيت خيراً فقد دفع الله عنى بمقالتك شراً ، قالوا : ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلا صوته :

أو قِرْ رِكابى فضةً وذهبا * أنا قتلتُ الملكَ المحجبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أماً وأبا * وخيرَهمْ إذ ينسبونَ نسبا

فقال عمر بن سعد : أدخلوه علىّ ، فلما دخل رماه بالسوط وقال : ويحك أنت مجنون ، والله لوسمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك . ومنّ عمر بن سعد على عقبة بن سمعان حين أخبره أنه مولى ، فلم ينج منهم غيره . والمرفع بن ثمامة أسر فمنّ عليه ابن زياد ، وقتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفساً ، فدفنهم أهل الغاضرية من بنى أسد بعد ما قتلوا بيوم واحد ، قال : ثم أمر عمر بن سعد أن يوطأ الحسين بالخيل ، ولا يصح ذلك والله أعلم . وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفسا . وروى عن محمد بن الحنفية أنه قال : قتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من أولاد فاطمة ، وعن الحسن البصرى أنه قال : قتل مع الحسين ستة عشر رجلا كلهم من أهل بيته ، ماعلى وجه الأرض يومئذ لهم شبه . وقال غيره : قتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا ، فمن أولاد على رضى الله عنه جعفر ، والحسين ، والعباس ، ومحمد ، وعثمان ، وأبو بكر . ومن أولاد الحسين على الأكبر وعبد الله . ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة ، عبد الله ، والقاسم ، وأبو بكر بنو الحسن بن على ابن أبى طالب . ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان ، عون ومحمد . ومن أولاد عقيل ، جعفر ، وعبدالله وعبد الرحمن ، ومسلم قتل قبل ذلك كما قدمنا . فهؤلاء أربعة لصلبه ، واثنان آخران هما عبد الله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن أبى سعيد بن عقيل ، فكملوا ستة من ولد عقيل ، وفيهم يقول الشاعر . —

واندبى تسعةً لصلبِ علىٍ * قد أصيبوا وستةً لعقيلِ

وسمى النبىِ غودرَ فيهمْ * قد علوهُ بصارمٍ مصقولِ

وممن قتل مع الحسين بكربلاء أخوه من الرضاعة عبد الله بن بقطر ، وقد قيل إنه قتل قبل ذلك حيث بعث معه كتابا إلى أهل الكوفة فحمل إلى ابن زياد فقتله . وقتل من أهل الكوفة من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى ، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفنهم . ويقال إن عمر بن سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بحوافر خيولهم حتى ألصقوه بالأرض يوم المعركة ، وأمر برأسه أن يحمل من يومه إلى ابن زياد مع خولى بن يزيد الأصبحى ، فلما انتهى به إلى القصر وجده مغلقا فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجّانة وقال لامرأته نوار بنت مالك : جئتك بعز الدهر ، فقالت : وما هو ؟ فقال : برأس الحسين . فقالت : جاء الناس بالذهب والفضة ، وجئت أنت برأس ابن بنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله لا يجمعني وإياك فراش أبداً ، ثم نهضت عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من بني أسد فنامت عنده قالت المرأة الثانية الاسدية : والله ما زلت أرى النور ساطعاً من تلك الاجانة إلى السماء ، وطيوراً بيضاً ترفرف حولها ، فلما أصبح غدا به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه ، ويقال إنه كان معه رؤس بقية أصحابه ، وهو المشهور . ومجموعها اثنان وسبعون رأساً ، وذلك أنه ماقتل قتيل إلا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد ، ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية إلى الشام.

قال الامام أحمد : حدثنا حسين ثنا جرير عن محمد عن أنس . قال : أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل ينكت عليه وقال في حسنه شيئا ، فقال أنس : إنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مخضوباً بالوشمة . ورواه البخاري في المناقب عن محمد بن الحسن بن إبراهيم - هو ابن إشكاب - عن حسين بن محمد عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس فذكره . وقد رواه الترمذي من حديث حفصة بنت سيرين عن أنس . وقال : حسن صحيح ، وفيه « فجعل ينكت بقضيب في أنفه ويقول : مارأيت مثل هذا حسنا » . وقال البزار : حدثنا مفرج بن شجاع بن عبيد الله الموصلي ثنا غسان بن الربيع ثنا يونس بن عبيدة عن ثابت وحميد عن أنس . قال : لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان - أحسبه قال جميلا - فقلت : والله لأسوءنك « إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثم حيث يقع قضيبك » . قال فانقبض . تفرد به البزار من هذا الوجه وقال : لا نعلم رواه عن حميد غير يونس بن عبدة وهو رجل من أهل البصرة مشهور وليس به بأس . ورواه أبو يعلى الموصلي عن إبراهيم بن الحجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس فذكره . ورواه قرة بن خالد عن الحسن عن أنس فذكره .

وقال أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم . قال : دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأبشرهم بما فتح الله عليه وبعافيته ، فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه ، فدخلت فيمن دخل . فاذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت فيه بقضيب بين ثناياه ساعة ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الثنيتين يقبلهما » ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك ، قال : فنهض فخرج ، فلما خرج قال الناس : والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتله ، قال : فقلت ماقال ؟ قالوا : مر بنا وهو يقول : ملكَ عبدٌ عبيداً * فاتخذهمُ تليداً * أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم ، فبعداً لمن رضي بالذل . وقد روى من طريق أبي داود باسناده عن زيد بن أرقم بنحوه .

ورواه الطبراني من طريق ثابت عن زيد .

وقد قال الترمذي : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير . قال : لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه فنصبت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فإذا حية قد جاءت تتخلل الرؤس حتى دخلت في منخرى عبيد الله بن زياد ، فمكثت هنيهة ثم خرجت ، فذهبت حتى ، تغيب ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . ثم قال الترمذي : حسن صحيح .

وأمر ابن زياد فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلبهم الملك ويفرق الكلمة عليهم ، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقال : ويحك يا ابن زياد !! تقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين ! فأمر به ابن زياد فقتل وصلب . ثم أمر برأس الحسين فنصب بالكوفة وطيف به في أزقتها ، ثم سيره مع زحر بن قيس ومعه رؤس أصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام ، وكان مع زحر جماعة من الفرسان ، منهم أبو بردة بن عوف الأزدي : وطارق بن أبي ظبيان الأزدي ، فخرجوا حتى قدموا بالرؤس كلها على يزيد بن معاوية .

قال هشام : فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجرشي من حمير . قال : والله إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس فدخل على يزيد ، فقال له يزيد : ويحك ما وراءك ؟ فقال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره ، ورد علينا الحسين بن علي بن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته ، وستون رجلا من شيعته ، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، فغدونا إليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولا وزر ، ويلوذون منا بالآكام والحفر ، لواذاً كما لاذ الحمام من صقر ، فوالله ما كانوا إلا جزر جزور ، أو نومة قائل ، حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة ، وثيابهم مزملة ، وخدودهم معفرة ، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح ، وزوارهم العقبان والرخم .

قال : فدمعت عينا يزيد بن معاوية وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه ، ورحم الله الحسين . ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء . ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال : أما والله لو أني صاحبك ما قتلتك ، ثم أنشد قول الحسين بن الحمام المري الشاعر

يفلقنَ هاماً من رجالٍ أعزةٍ * علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جعفر العبسي قال : وقام يحيى بن الحكم - أخو مروان بن الحكم - فقال : -

لهامٌ بجنبِ الطفِ أدنى قرابةً * من ابن زيادِ العبدِ ذي الحسبِ الوغلِ

سمية أضحى نسلها عددَ الحصى * وليسَ لآلِ المصطفى اليومَ من نسلِ

قال : فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال له : اسكت ، وقال محمد بن حميد الرازي - وهو شيعي - : ثنا محمد بن يحيى الأحمري ثنا ليث عن مجاهد قال ، لما جئ برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات : -

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا * جزعَ الخزرجِ في وقعِ الأسلْ

فأهلوا واستهلوا فرحاً * ثم قالوا لي هنياً لا تسلْ

حينَ حكتْ بفناءٍ بركها * واستحرَّ القتلُ في عبد الأشلْ

قدْ قتلنا الضعفَ من أشرافكمْ * وعدلنا ميلَ بدرٍ فاعتدلْ(١)

قال مجاهد : نافق فيها ، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه أي ذمه وعابه .

وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ، على قولين ، الأظهر منهما أنه سيره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالله أعلم . وقال أبو مخنف عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الله اليماني عن القاسم بن بخيت ، قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينكت بقضيب كان في يده في ثغره ، ثم قال : إن هذا وإيانا كما قال الحصين ابن الحمام المري : -

يفلقنَ هاماً من رجالٍ أعزةٍ * علينا وهمْ كانوا أعقَّ وأظلما

فقال له أبو برزة الأسلمي : أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذا لقد رأيت رسول الله (ص) يرشفه ، ثم قال : ألا إن هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعه محمد ، وتجيء وشفيعك ابن زياد . ثم قام فولى . وقد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الوليد عن خالد بن يزيد بن أسد عن عمار الدهني عن جعفر . قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو برزة وجعل ينكت بالقضيب فقال له : « ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله (ص) يلثمه » . قال ابن أبي الدنيا : وحدثني مسلمة بن شبيب عن الحميدي عن سفيان سمعت سالم بن أبي حفصة قال قال الحسن : لما جئ برأس الحسين جعل يزيد

(١) بالهامش : لايتصور أن يكون يزيد قد تمثل بهذه الأبيات هذه الأيام ، فان المؤرخين قاطبة ذكروا أنه تمثل بها لما جاءه خبر وقعة الحرة بالمدينة الشريفة ، وقتل الأنصار ، ووقعة الحرة بعد هذه كما ستراه . وأيضا فان قضية الحسين رضي الله عنه لم يكن حاضرها أحد من الخزرج ، يعلم ذلك من الألمام بالأخبار وأيام الناس والله أعلم .

يطعن بالقضيب ، قال سفيان وأخبرت أن الحسين كان ينشد على إثر هذا : ـ

سمية أمسى نسلها عددَ الحصى * وبنتُ رسولِ الله ليسَ لها نسلُ

وأما بقية أهله ونسائه فان عمر بن سعد وكل بهم من يحرسهم ويكلؤهم ، ثم أركبوهم على الرواحل في الهوادج ، فلما مرّوا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هنالك بكته النساء ، وصرخن ، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها ، فقالت وهي تبكي :

يا محمداه ، يا محمداه * صلى عليك الله * وملكُ السماء * هـذا حسين بالعراء * مزمل بالدماء ، مقطع الأعضاء يا محمـداه * وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة ، تسفي عليها الصبا . قال فأبكت والله كل عدوّ وصديق .

قال قرة بن قيس لما مرّت النسوة بالقتلى صحن ولطمن خدودهن ، قال : فما رأيت من منظر من نسوة قط أحسن منظر رأيته منهن ذلك اليوم ، والله إنهن لأحسن من مهابير ين . وذكر الحديث كما تقدم ثم قال : ثم ساروا بهـم من كر بلاء حتى دخلوا الكوفة فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى وغيرها ، [قال : ودخلت زينب ابنة فاطمة في أرذل ثيابها قد تنكرت وحفت بها إماؤها ، فلما دخلت عـلى عبيـد الله بن زياد قال : من هذه ؟ فلم تكلمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة ، فقال : الحمـد لله الذى فضحكم وقتلكم وكذّب أحد وثتكم . فقالت : بل الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر . قال : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتكم ؟ فقالت : كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهـم فيحاجونك إلى الله . فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمرو بن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشئ من منطقها ؟ إنها لا تؤاخـذ بما تقول ولا تلام على خطل .

وقال أبو مخنف عن المجالد عن سعيد : إن ابن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين « زين العابدين » قال لشرطي : انظر أأدرك هذا الغلام ، فان كان أدرك فانطلقوا به فاضربوا عنقه ؟ فكشف إزاره عنـه فقال : نعم ! فقال : اذهب به فاضرب عنقه ، فقال له عـلي بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلا يحافظ عليهن ، فقال له ابن زياد : تعال أنت ! فبعثه معهن . قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم قال : إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين ، فقال له ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين ، قال : أو لم يقتل الله علي ابن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد . مالك لا تتكلم ؟ قال : كان لي أخ يقال له علي يعني قتله

الناس. قال : إن الله قتله ، فسكت ، فقال : مالك لاتتكلم ؟ فقال (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله) قال : أنت والله منهم ، ويحك ! ! انظروا هـذا أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلاً ، فكشف عنه مرى بن معاد الأحمرى فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ، فقال على بن الحسين : من يوكل بهذه النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمتـه فقالت : يا ابن زياد حسبك منا مافعلت بنا ، أما رويت من دمائنا ؟ وهل أبقيت منا أحـداً ؟ قال : واعتنقته وقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمنا إن قتلته لما قتلنى معه ، وناداه على فقال : يا ابن زياد ! ! إن كان بينك و بينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الاسـلام . قال : فنظر إليهن ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : عجباً للرحم ! ! والله إنى لأظن أنها ودّت لو أنى قتلته أن أقتلها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك . قال : ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبيانه و بناته فجهزن إلى يزيد ، وأمر بعلى بن الحسين فغل بغُل إلى عنقه ، وأرسلهم مع محفر بن ثعلبة العائذى ـ من عائذة قريش ـ ومع شمر بن ذى الجوشن قبحه الله ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع محفر بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفر بن ثعلبة ، أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة ، فأجابه يزيد بن معاوية : ماولدت أم محفر شر وألأم] [1] .

فلما دخلت الرؤس والنساء على يزيد دعا أشراف الشام فأجلسهم حوله ، ثم دعا بعلى بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلن عليه والناس ينظرون ، فقال لعلى بن الحسين : يا على أبوك قطع رحمى وجهل حقى ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت . فقال عـلى : [ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب] فقال يزيد لابنه خالد : أجبه . قال : فـما درى خالد ما يرد عليه ، فقال له يزيد : قل [ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير] فسكت عـنه ساعة ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئة قبيحة ، فقال : قبح الله ابن مرجانة ، لو كانت بينهم و بينه قرابة ورحم ما فعل هذا بهم ، ولا بعث بكم هكذا .

وروى أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت على قالت : لما أجلسنا بين يدى يزيد رق لنا وأمر لنا بشئ وألطفنا ، ثم إن رجلا من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين هب لى هذه ـ يعنينى ـ وكنتُ جارية وضيئة ، فارتعدت فزعة من قوله ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخـذت بثياب أختى زينب ـ وكانت أكبر منى وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز ـ فقالت لذلك الرجـل : كذبت والله ولؤمت ، ما ذلك لك وله : فغضب يزيد فقال لها : كذبت ! والله إن ذلك لى ، ولو شئت أن أفعـله لفعلت . قالت : كلا ! والله ما جعـل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا . قالت : فغضب يزيدواستطار ثم قال : إياى تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من

(١) سقط من المصرية

الدين أبوك وأخوك ، فقـالت زينب : بدين الله ودين أبى ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك . قال : كذبت يا عدوة الله . قالت : أنت أمير المؤمنين مسلط تشتم ظالما وتقهر بسلطانك . قالت : فوالله لكأنه استحى فسكت ، ثم قام ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين هب لى هذه . فقال له يزيد : اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً . ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلا أميناً معه رجال وخيل ، ويكون على بن الحسين معهن . ثم أنزل النساء عند حريمه فى دار الخلافة فاستقبلهن نساء آل معاوية يبكين وينحن على الحسين ، ثم أقمن المناحة ثلاثة أيام ، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا ومعه على بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين ، فقـال يزيد يوما لعمر بن الحسين ـ وكان صغيرا جدا ـ أتقاتل هذا ؟ ـ يعنى ابنه خالد بن يزيد ـ يريد بذلك ممازحته وملاعبته ، فقال : اعطنى سكينا واعطه سكينا حتى نتقاتل ، فأخـذه يزيد فضمه إليـه وقال : شِنْشِنَة أعرفها من أخزم ، هل تلد الحية إلا حية ؟

ولما ودعهم يزيد قال لعلى بن الحسين : قبح الله ابن سمية ، أما والله لو أنى صاحب أبيك ما سألنى خصلة إلا أعطيته إياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدى ، ولكن الله قضى ما رأيت ، ثم جهزه وأعطاه مالا كثيراً وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول ، وقال له : كاتبنى بكل حاجة تكون لك ، فكان ذلك الرسول الذى أرسله معهن يسير عنهن بمعزل من الطريق ، ويبعد عنهن بحيث يدركهن طرفه وهو فى خدمتهم حتى وصلوا المدينة ، فقالت فاطمة بنت على : قلت لأختى زينب : إن هذا الرجل الذى أرسل معنا قد أحسن صحبتنا فهل لك أن نصله ؟ فقالت : والله ما معنا شئ نصله به إلا حلينا ، قالت وقلت لها : نعطيه حلينا ، قالت : فأخذت سوارى ودملجى ، وأخذت أختى سوارها ودملجها وبعثنا به إليه واعتذرنا إليه وقلنا : هذا جزاؤك بحسن صحبتك لنا ، فقال : لو كان الذى صنعت معكم إنما هو للدنيا كان فى هذا الذى أرسلتموه ما يرضينى وزيادة ، ولكن والله ما فعلت ذلك إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله ص .

وقيل إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أتى ابن فاطمة ؟ وما الحامل له على مافعل ، وما الذى أوقعه فيما وقع فيـه ؟ قالوا : لا ! قال : يزعم أن أباه خير من أبى ، وأمه فاطمة بنت رسول الله (ص) خير من أمى ، وجده رسول الله خير من جـدى ، وأنه خير منى وأحق بهذا الأمر منى ، فأما قوله أبوه خير من أبى فقد حاج أبى أباه إلى الله عز وجل ، وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قوله أمه خير من أمى فلعمرى إن فاطمة بنت رسول الله ص خير من أمى ، وأما قوله جده رسول الله خير من جدى ، فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله فينا عـدلاً ولا نداً ، ولكنه إنما أتى من قلة فقهه لم يقرأ [قل اللهـم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك من

تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء] الآية ، وقوله تعالى [والله يؤتى ملكه من يشاء] . فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين ـ وكانت أكبر من سكينة ـ يايزيد ! بنات رسول الله (ص) ، سبايا . فقال يزيد : يا بنت أخى ، أنا لهذا كنت أكره . قالت قلت والله ماتركوا لنا خرصاً ، فقال : ابنة أخى ! ما أتى إليك أعظم مما ذهب لك . ثم أدخلهن داره ثم أرسل إلى كل امرأة منهن ماذا أخذ لك ؟ فليس منهن امرأة تدعى شيئا بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لها .

وقال هشام عن أبى مخنف : حدثنى أبو حمزة الثمالى عن عبد الله الثمالى عن القاسم بن نجيب . قال : لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا فأتينا والله على آخرهم ، وهذه الرؤس والسبايا ، فوثب مروان وانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال : ما صنعتم ؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه ، فقال لهم : حُجبتم عن محمد (ص) يوم القيامة ، لن أجامعكم على أمر أبدا ، ثم قام فانصرف . قال : ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بنى هاشم ونُحن عليه . وروى أن يزيد استشار الناس فى أمرهم فقال رجال ممن قبحهم الله : يا أمير المؤمنين لايتخذن من كلب سوء جروا ، اقتل على ابن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد ، فسكت يزيد فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله (ص) لو رآهم على هذه الحال . فرق عليهم يزيد و بعث بهم إلى الحمام وأجرى عليهم الكساوى والعطايا والاطعمة ، وأنزلهم فى داره

وهذا يرد قول الرافضة : إنهم حملوا على جنائب الابل سبايا عرايا ، حتى كذب من زعم منهم أن الابل البخاتى إنما نبتت لها الأسنمة من ذلك اليوم لتستر عوراتهن من قبلهن ودبرهن .

ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد أمير الحرمين يبشره بمقتل الحسين ، فأمر مناديا فنادى بذلك . فلما سمع نساء بنى هاشم ارتفعت أصواتهن بالبكاء والنوح ، فجعل عمرو بن سعيد يقول : هذا ببكاء نساء عثمان بن عفان . وقال عبد الملك بن عمير : دخلت على عبيد الله بن زياد و إذا رأس الحسين بن على بين يديه على ترس ، فوالله ما لبثت إلا قليلا حتى دخلت على المختار بن أبى عبيد و إذا رأس عبيد الله بن زياد بين يدى المختار على ترس ، و والله ما لبثت إلا قليلا حتى دخلت على عبد الملك بن مروان و إذا رأس مصعب بن الزبير على ترس بين يديه .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبرى فى تاريخه : حدثنى زكريا بن يحيى الضرير ثنا أحمد بن خباب المصيصى ثنا خالد بن يزيد عن عبد الله القسرى ثنا عمار الدهنى قال : قلت لأبى جعفر : حدثنى عن مقتل الحسين كأنى حضرته ، فقال : أقبل الحسين بكتاب مسلم بن عقيل الذى كان قد كتبه إليه يأمره

فيه بالقدوم عليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاث أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد؟ فقال : أريد هذا المصر، فقال له : ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيرا أرجوه، فهمّ الحسين أن يرجع، وكان معه أخوة مسلم بن عقيل، فقالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا ممن قتل أخانا أو نقتل. فقال : لاخير في الحياة بعدكم، فسار فلقيه أوائل خيل ابن زياد، فلما رأى ذلك عاد إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصيبا وحلفا ليقاتل من جهة واحدة. فنزل وضرب أبنيته وكان أصحابه خمسة وأربعين فارسا ومائة راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه بن زياد الري وعهد إليه عهده، فقال : اكفني هذا الرجل واذهب إلى عملك، فقال : اعفني. فأبى أن يعفيه، فقال : أنظرني الليلة، فأخره فنظر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضيا بما أمره به، فتوجه إليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث، إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور. فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله ابن زياد لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي، فقال الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً. فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شابا من أهل بيته، وجاءه سهم فأصاب ابناً له في حجره فجعل يمسح الدم ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، ثم أمر بحبرة فشقها ثم لبسها وخرج بسيفه فقاتل حتى قتل، قتله رجل من مذحج وحز رأسه فانطلق به إلى ابن زياد وقال في ذلك :—

أوقرْ ركابي فضةً وذهبا * فقدْ قتلتُ الملكَ المحجبا
قتلتُ خيرَ الناسِ أماً وأبا * وخيرهم إذْ ينسبونَ نسبا

قال فأوفده إلى يزيد بن معاوية فوضع رأسه بين يديه، وعنده أبو برزة الأسلمي، فجعل يزيد ينكت بالقضيب على فيه ويقول :—

يفلّقنَ هاماً منْ رجالٍ أعزةٍ * علينا وهمْ كانوا أعقَّ وأظلما

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيت رسول الله (ص) واضعاً فيه على فيه يلثمه.

قال : وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد، ولم يكن بقي من آل الحسين إلا غلام، وكان مريضاً مع النساء، فأمر به ابن زياد ليقتل فطرحت زينب نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني، فرقّ لها وكف عنه، قال : فأرسلهم إلى يزيد فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام ثم دخلوا عليه فهنّوه بالفتح، فقام رجل منهم أحمر أزرق — ونظر إلى وصيفة من بناته — فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه، فقالت زينب : لا ولا كرامة لك ولا له، إلا أن تخرجا من دين الله، قال : فأعادها الأزرق فقال له يزيد : كف عن هذا. ثم أدخلهم على عياله، ثم حملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تتلقاهم وهي تبكي،

وتقول:
ماذا تقولونَ إنْ قالَ النبيُّ لكمْ * ماذا فعلتمْ وأنتمْ آخرُ الأممِ
بعترتى وبأهلى بعدَ مفتقدى * منهمْ أسارى ومنهمْ ضرجوا بدمِ
ما كانَ هذا جزائى إذ نصحتُ لكمْ * أنْ تخلفونى بسوءٍ فى ذوى رحمِ

وقد روى أبو مخنف عن سليمان بن أبى راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود أن بنت عقيل هى التى قالت هذا الشعر ، وهكذا حكى الزبير بن بكار أن زينب الصغرى بنت عقيل بن أبى طالب هى التى قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبوية . وروى أبو بكر بن الأنبارى بإسناده أن زينب بنت على بن أبى طالب من فاطمة - وهى زوج عبد الله بن جعفر أم بنيه - رفعت سجف خبائها يوم كربلاء يوم قتل الحسين وقالت هذه الأبيات فالله أعلم . وقال هشام بن الكلبى : حدثنى بعض أصحابنا عن عمرو بن المقدام قال : حدثنى عمر بن عكرمة قال : أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة فإذا مولاة لنا تحدثنا قالت : سمعت البارحة منادياً ينادى وهو يقول :

أيها القاتلونَ ظلماً حسيناً * أبشروا بالعذابِ والتنكيلِ
كلُّ أهلِ السماءِ يدعو عليكمْ * منْ نبىٍ ومالكٍ وقبيلِ
لقد لعنتمْ على لسانِ ابنِ داودَ * وموسى وحاملِ الانجيلِ

قال ابن هشام : حدثنى عمرو بن حيزوم الكلبى عن أمه قالت : سمعت هذا الصوت . وقال الليث وأبو نعيم يوم السبت . ومما أنشده الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وغيره لبعض المتقدمين فى مقتل الحسين

جاءوا برأسكَ ياابنَ بنتِ محمدٍ * متزملاً بدمائهِ تزميلا
وكأنما بكَ ياابنَ بنتِ محمدٍ * قتلوا جهاراً عامدينَ رسولا
قتلوكَ عطشاناً ولمْ يتدبروا * فى قتلكَ القرآنَ والتنزيلا
ويكبرونَ بأنْ قتلتَ وإنما * قتلوا بكَ التكبيرَ والتهليلا

فصل

وكان مقتل الحسين رضى الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين . وقال هشام بن الكلبى ، سنة ثنتين وستين ، وبه قال على بن المدينى . وقال ابن لهيعة : سنة ثنتين أو ثلاث وستين . وقال غيره سنة ستين . والصحيح الأول . بمكان من الطف يقال له كربلاء من أرض العراق وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها ، وأخطأ أبو نعيم فى قوله : إنه قتل وله من العمر خمس أو ست وستون سنة

قال الأمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة ـ يعنى ابن زاذان ـ عن ثابت عن أنس قال : « استأذن ملك القطر أن يأتى النبى ﷺ ، فأذن له ، فقال لأم سلمة : احفظى علينا الباب لايدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن على فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد على منكب النبى ﷺ ، فقال الملك : أتحبه ؟ قال ! نعم : فقال : إن أمتك تقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه ، قال : فضرب بيده فأراه ترابا أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرته فى طرف ثوبها » . قال : فكنا نسمع أنه يقتل بكربلاء * وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع حدثنى عبد الله ابن سعيد عن أبيه عن عائشة ـ أو أم سلمة ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لقد دخل على البيت ملك لم يدخل قبلها ، فقال لى : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك الأرض التى يقتل بها ، قال : فأخرج تربة حمراء » . وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أم سلمة . ورواه الطبرانى عن أبى أمامة وفيه قصة أم سلمة . ورواه محمد بن سعد عن عائشة بنحو رواية أم سلمة فالله أعلم . وروى ذلك من حديث زينب بنت جحش ولبابة أم الفضل امرأة العباس . وأرسله غير واحد من التابعين .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا محمد بن هارون أبو بكر ثنا إبراهيم بن محمد الرقى وعلى بن الحسن الرازى قالا : ثنا سعيد بن عبد الملك أبو واقد الحرانى ثنا عطاء بن مسلم ثنا أشعث بن سحيم عن أبيه قال سمعت أنس بن الحارث يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ابنى ـ يعنى الحسين ـ يقتل بأرض يقال لها كربلاء ، فمن شهد منكم ذلك فلينصره » . قال : فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين ، قال : ولا أعلم رواه غيره . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا شراحيل بن مدرك عن عبد الله بن يحيى عن أبيه أنه سار مع على ـ وكان صاحب مطهرته ـ فلما جاؤا نينوى وهو منطلق إلى صفين ، فنادى على : اصبر أبا عبد الله ، اصبر أبا عبد الله ، بشط الفرات قلت : وماذا تريد ؟ قال : « دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان فقلت : ما أبكاك يارسول الله ؟ قال : بلى قام من عندى جبريل قبل ، فحدثنى أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال فقال : هل لك أن أشمك من تربته ؟ قال : فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينى أن فاضتا » . تفرد به أحمد .

وروى محمد بن سعد عن على بن محمد عن يحيى بن زكريا عن رجل عن عامر الشعبى عن على مثله . وقد روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن على بن أبى طالب أنه مر بكربلاء عند أشجار الحنظل وهو ذاهب إلى صفين ، فسأل عن اسمها فقيل كربلاء ، فقال : كربٌ وبلاء فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم قال : يقتل ههنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة ، يدخلون الجنة بغير حساب .

ـ وأشار إلى مكان هناك ـ فعلوه بشئ فقتل فيه الحسين . وقد روى عن كعب الأحبار آثار في كربلاء وقد حكى أبو الجناب الكلبي وغيره أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على الحسين وهن يقلن : ـ

مسحَ الرسولُ جبينهُ * فلهُ بريقٌ في الخدودِ
أبواهُ من عليا قريشٍ * جدهُ خيرُ الجدودِ

وقد أجابهم بعض الناس فقال : ـ

خرجوا بهِ وفداً إليـــهِ فهمْ لهُ شرُّ الوفودِ
قتلوا ابنَ بنتِ نبيهمْ * سكنوا بهِ ذاتَ الخدودِ

وروى ابن عساكر أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم فوجدوا في كنيسة مكتوبا

أترجو أمةٌ قتلتْ حسينا * شفاعةَ جدهِ يومَ الحسابِ ؟

فسألوهم : من كتب هذا ؟ فقالوا : إن هذا مكتوب ههنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة .
وروى أن الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم ، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بدم هذا البيت

أترجو أمةٌ قتلتْ حسينا * شفاعةَ جدهِ يومَ الحسابِ ؟

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن وعفان ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس . قال : « رأيت رسول الله ﷺ في المنام نصف النهار أشعث أغبر ، بيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي وأمي يارسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم » . قال عمار : فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم . تفرد به أحمد وإسناده قوي .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبد الله بن محمد بن هانئ أبو عبد الرحمن النحوي ثنا مهدي ابن سليمان ثنا علي بن زيد بن جدعان . قال : استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال : قتل الحسين والله ، فقال له أصحابه : لم يا ابن عباس ؟ فقال : « رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال : أتعلم ما صنعت أمتي من بعدي ؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله » . فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ، وتلك الساعة ، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوما حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة . وروى الترمذي عن أبي سعيد الأشج عن أبي خالد الأحمر عن رزين عن سلمى قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت : ما يبكيك ؟ فقالت : رأيت رسول الله ﷺ وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : ما لك يارسول الله ؟ قال : « شهدت قتل الحسين آنفا »

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى أنبأنا قرة بن خالد أخبرنى عامر بن عبد الواحد عن شهر بن حوشب قال : إنا لعند أم سلمة زوج النبى ... فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة فقالت : قتل الحسين . فقالت : قد فعلوها ، ملأ الله قبورهم - أو بيوتهم - عليهم ناراً ، ووقعت مغشيا عليها ، وقمنا . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا ابن مسلم عن عمار قال : سمعت أم سلمة قالت : سمعتُ الجن يبكين على الحسين وسمعت الجن تنوح على الحسين . رواه الحسين بن إدريس عن هاشم بن هاشم عن أمه عن أم سلمة قالت : سمعت الجن ينحن على الحسين وهن يقلن .

أيها القاتلونَ جهلاً حسيناً * أبشروا بالعذابِ والتنكيلِ

كلُّ أهلِ السماءِ يدعو عليكم * ونبى ومرسل وقبيل

قد لعنتم على لسانِ ابن داودَ * وموسى وصاحبِ الانجيلِ

وقد روى من طريق أخرى عن أم سلمة بشعر غير هذا فالله أعلم .

وقال الخطيب : أنبأنا أحمد بن عثمان بن ساج السكرى ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى ثنا محمد بن شداد المسمعى ثنا أبو نعيم ثنا عبيد الله بن حبيب بن أبى ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : « أوحى الله تعالى إلى محمد إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، وأنا قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . هذا حديث غريب جداً ، وقد رواه الحاكم فى مستدركه . وقد ذكر الطبرانى هَهُنا آثاراً غريبة جداً ، ولقد بالغ الشيعة فى يوم عاشوراء ، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا ، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم ، وأن أرجاء السماء احمرت ، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم ، وصارت السماء كأنها علقة ، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً ، وأمطرت السماء دماً أحمر ، وأن الحمرة لم تكن فى السماء قبل يومئذ ، ونحو ذلك . وروى ابن لهيعة عن أبى قبيل المعافرى أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر ، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الحيطان تسيل دماً ، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام ، ولم يمس زعفران ولا ورس [1] بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه ، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط ، وأن الإبل التى غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم . إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التى لا يصح منها شئ .

وأما ما روى من الأحاديث والفتن التى أصابت من قتله فأكثرها صحيح ، فانه قل من نجا من

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : مما .

أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة فى الدنيا ، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض ، وأ كثرهم أصابهم الجنون . وللشيعة والرافضة فى صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة ، وفيما ذكرنا كفاية ، وفى بعض ما أوردناه نظر ، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته ، وأ كثره من رواية أبى مخنف لوط بن يحيى ، وقد كان شيعيا ، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة ، ولكنه أخبارى حافظ ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره ، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين فى هذا الشأن ممن بعده والله أعلم .

وقد أسرف الرافضة فى دولة بنى بويه فى حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد فى يوم عاشوراء ، ويُذر الرماد والتبن فى الطرقات والأسواق ، وتعلق المسوح على الدكاكين ، ويظهر الناس الحزن والبكاء ، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين لانه قتل عطشانا . ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن ، حافيات فى الاسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة ، والأهواء الفظيعة ، والهتائك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بنى أمية ؛ لانه قتل فى دولتهم .

وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام ، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويغتسلون ويتطيبون ويلبسون أفخر ثيابهم ويتخذون ذلك اليوم عيداً يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويظهرون السرور والفرح ؛ يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم

وقد تأول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد فى صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك ، والتحذير منه ، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله ، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ماسأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها ، فاذا ذمت طائفة من الجبارين تذم الأمة كلها بكمالها وتتهم على نبيها ص ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه ، ولا كما سلكوه ، بل أ كثر الأئمة قديما وحديثا كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه ، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله ، وأ كثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة

فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون من الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة ، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه . وليس كل ذلك الجيش كان راضيا بما وقع من قتله ، بل ولا يزيد بن معاوية رضى بذلك والله أعلم ، ولا كرهه ، والذى يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه ، وكما صرح هو به مخبراً عن

نفسه بذلك . وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم

فكل مسلم ينبغى له أن يحزنه قتله رضى الله عنه ، فانه من سادات المسلمين ، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله (ص) التى هى أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً ، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذى لعل أكثره تصنع ورياء ، وقد كان أبوه أفضل منه فقتل ، وهم لا يتخذون مقتله مأتما كيوم مقتل الحسين ، فان أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر فى السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وكذلك عثمان كان أفضل من على عند أهل السنة والجماعة ، وقد قتل وهو محصور فى داره فى أيام التشريق من شهر ذى الحجة سنة ست وثلاثين ، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتما ، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلى ، قتل وهو قائم يصلى فى المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتما ، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتما ، ورسول الله (ص) سيد ولد آدم فى الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتما يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين . ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شئ مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة ، مثل كسوف الشمس والحمرة التى تطلع فى السماء وغير ذلك

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه على بن الحسين عن جده رسول الله (ص) أنه قال : « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها » . رواه الامام أحمد وابن ماجه .

واما قبر الحسين رضي الله عنه

فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه فى مشهد على . بمكان من الطف عند نهر كربلاء ، فيقال إن ذلك المشهد مبنى على قبره فالله أعلم وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر . وقد كان أبو نعيم ، الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام بن الكلبى أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحو أثره نضب الماء بعد أربعين يوما ، فجاء أعرابى من بنى أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال : بأبى أنت وأمى ، ما كان أطيبك وأطيب تربتك ! ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبرهُ عن عدوه * فطيبُ تراب القبر دلّ على القبر

وأما رأس الحسين رضي الله عنه

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندى أن الأول أشهر فالله أعلم . ثم اختلفوا بعد ذلك فى المكان الذى دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع ، وذكر ابن أبى الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح ـ وهما ضعيفان ـ أن الرأس لم يزل فى خزانة يزيد بن معاوية حتى توفى فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثانى . وذكر ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة ريًّا حاضنة يزيد بن معاوية ، أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبعرى يعنى قوله : ـ

ليتَ أشياخى ببدرٍ شهدوا * جزعَ الخزرجَ منْ وقعِ الأسَل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع فى خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جئ به إليه ، وقد بقى عظماً أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه فى مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوِّدة ـ يعنى بنى العباس ـ نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة فالله أعلم وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، الذى يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمسمائة. وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم فى ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء ، فى دولتهم فى حدود سنة أربعمائة ، كما سنبين ذلك كله إذا انتهينا إليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى . قلتُ : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاؤا برأسٍ فوضعوه فى مكان هذا المسجد المذكور، وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم

فصل

شيء من فضائله

روى البخارى من حديث شعبة ومهدى بن ميمون عن محمد بن أبى يعقوب سمعت ابن أبى نعيم

قال : سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال : أهل العراق يسألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله (ص) ، وقد قال رسول الله (ص) : « هما ريحانتاى من الدنيا » . ورواه الترمذى عن عقبة بن مكرم عن وهب بن جرير عن ابيه عن محمد ابن أبى يعقوب به نحوه : أن رجلا من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب ، فقال ابن عمر : أنظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت محمد (ص) . وذكر تمام الحديث . ثم قال : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن أبى الحجاف عن أبى حازم عن أبى هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « من أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى » ـ يعنى حسنا وحسينا ـ . وقال الامام أحمد : حدثنا تليد بن سليمان كوفى ثنا أبو الحجاف عن أبى حازم عن أبى هريرة . قال : « نظر النبى (ص) إلى على والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سالمكم » . تفرد بهما الامام أحمد . وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا حجاج ـ يعنى ابن دينار ـ عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبى هريرة . قال : « خرج علينا رسول الله (ص) ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه الواحد ، وهذا على عاتقه الآخر ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل يارسول الله ! والله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى » . تفرد به أحمد . وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنى عقبة بن خالد حدثنى يوسف بن إبراهيم التميمى أنه سمع أنس بن مالك يقول : سئل رسول الله (ص) أىّ أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » . قال : وكان يقول « ادع لى ابنىّ فيشمهما ويضمهما إليه » . وكذا رواه الترمذى عن أبى سعيد الأشج به ، وقال : حسن غريب من حديث أنس . وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر وعفان عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أنس . أن رسول الله (ص) « كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ، [إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً] ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عفان به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وقال الترمذى : حدثنا محمود بن غيلان ثنا أبو أسامة عن فضيل بن مرزوق عن عدى عن ثابت عن البراء أن رسول الله (ص) « أبصر حسنا وحسينا فقال : اللهم إنى أحبهما فأحبهما » . ثم قال : حسن صحيح . وقد روى الامام أحمد عن زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد وأهل السنن الأربعة من حديث الحسين بن واقد عن بريدة عن أبيه . قال : « كان رسول الله (ص) يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله (ص) عن المنبر

فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله ، (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » . وهذا لفظ الترمذى ، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد . ثم قال : حدثنا الحسين بن عرفة ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال قال رسول الله (ص) : « حسين منى وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » . ثم قال الترمذى . هذا حديث حسن . ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن عبد الله بن عثمان بن خيثم به . ورواه الطبرانى عن بكر بن سهل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح بن راشد بن سعد عن يعلى بن مرة أن رسول الله (ص) قال : « الحسن والحسين سبطان من الأسباط » . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن يزيد بن أبى زياد عن أبى نعيم عن أبى سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله (ص) : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ورواه الترمذى من حديث سفيان الثورى وغيره عن يزيد بن أبى زياد ، وقال : حسن صحيح . وقد رواه أبو القاسم البغوى عن داود بن رشيد عن مروان الفزارى عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبى نعيم عن أبيه عن أبى سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة ، يحيى وعيسى (ص) » . وأخرجه النسائى من حديث مروان بن معاوية الفزارى به ، ورواه سويد بن سعيد عن محمد بن حازم عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن ربيع بن سعد عن أبى سابط قال : دخل حسين بن على المسجد فقال جابر بن عبد الله : من أحبَّ أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، سمعته من رسول الله (ص) . تفرد به أحمد ، وروى الترمذى والنسائى من حديث إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة أن أمه بعثته ليستغفر له رسول الله (ص) ولها ، قال : فأتيته فصليت معه المغرب ثم صلى حين صلى العشاء ، ثم انفتل فتبعته فسمع صوتى فقال : « من هذا ؟ حذيفة ؟ قلت : نعم ! قال : ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ إن هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربه بأن يسلم علىّ ويبشرنى بان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف إلا من حديث إسرائيل . وقد روى مثل هذا من حديث على بن أبى طالب ومن حديث الحسين نفسه ، وعمر وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ، وفى أسانيده كلها ضعف والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا موسى بن عطية عن أبيه عن أبى هريرة . قال : سمعت رسول

الله ﷺ يقول فى الحسن والحسين : « من أحبنى فليحب هذين » . وقال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا إسماعيل - يعنى ابن جعفر - أخبرنى محمد - يعنى ابن حرملة - عن عطاء . أن رجلا أخبره أنه رأى النبى ﷺ « يضم إليه حسناً وحسيناً ويقول : اللهم إنى أحبهما فأحبهما » . وقد روى عن أسامة بن زيد وسلمان الفارسى شئ يشبه هذا وفيه ضعف وسقم والله أعلم . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا كامل وأبو المنذر ابنا كامل قال أسود : أنبأنا المعنى عن أبى صالح عن أبى هريرة . قال : « كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء فاذا سجد وثب الحسين والحسن على ظهره ، فاذا رفع رأسه أخذهما أخذا رفيقا فيضعهما على الأرض ، فاذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه ، قال : فقمت إليه فقلت : يارسول الله أردهما إلى أمهما ؟ قال فبرقت برقة فقال لهما : الحقا بأمكما ، قال فمكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما » . وقد روى موسى بن عثمان الحضرمى عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة نحوه ، وقد روى عن أبى سعيد وابن عمر قريب من هذا ، فقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا معاذ بن معاذ ثنا قيس بن الربيع عن أبى المقدام عبد الرحمن الأزرق عن على . قال : « دخل على رسول الله ﷺ ، وأنا نائم ، فاستسقى الحسن أو الحسين فقام رسول الله ﷺ إلى شاة لنا كى يحلبها فدرت فجاءه الآخر فنحاه ، فقالت فاطمة : يارسول الله كأنه أحبهما إليك ؟ قال : لا ولكنه استسقى قبله ، ثم قال : إنى وإياك وهذين وهذا الراقد فى مكان واحد يوم القيامة » . تفرد به أحمد . ورواه أبو داود الطيالسى عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبى فاختة عن على فذكر نحوه . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب كان يكرمهما ويحملهما ويعطيهما كما يعطى أباهما ، وجئ مرة بحلل من اليمن فقسمها بين أبناء الصحابة ولم يعطهما منها شيئا ، وقال : ليس فيها شئ يصلح لهما ، ثم بعث إلى نائب اليمن فاستعمل لهما حلتين تناسبهما .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا قبيصة بن عقبة ثنا يونس بن أبى إسحاق عن العيزار بن حريث قال : بينما عمرو بن العاص جالس فى ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلا فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء . وقال الزبير بن بكار : حدثنى سليمان بن الدراوردى عن جعفر بن محمد عن أبيه « أن رسول الله ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، ولم يبايع صغيرا إلا منا » . وهذا مرسل غريب . وقال محمد بن سعد : أخبرنى يعلى ابن عبيد ثنا عبد الله بن الوليد الرصافى عن عبد الله بن عبيد الله بن عُمير . قال : حج الحسين ابن على خمساً وعشرين حجة ماشيا ونجائبه تقاد بين يديه . وحدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسين بن على حج ماشيا وإن نجائبه لتقاد وراءه . والصواب أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخارى . وقال المدائنى : جرى بين

الحسن والحسين كلام فتهاجرا ، فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكب على رأسه يقبله ، فقام الحسين فقبله ايضا ، وقال . إن . . ى منعنى من ابتدائك بهذا أنى رأيت أنك أحق بالفضل منى فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به منى . وحكى الأصمعى عن ابن عون أن الحسن كتب إلى الحسين يعيب عليه إعطاء الشعراء فقال الحسين إن أحسن المال ما وقى العرض .

وقد روى الطبرانى : حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطى ثنا يزيد بن البراء بن عمرو ابن البراء الغنوى ثنا سليمان بن الهيثم قال : كان الحسين بن على يطوف بالبيت فأراد أن يستلم فما وسع له الناس ، فقال رجل : يا أبا فراس من هذا فقال الفرزدق

هذا الذى تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ * والبيتُ يعرفهُ والحلُ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلهمِ * هذا التقىّ النقىّ الطاهرُ العلمُ
يكادُ يمسكهُ عرفانَ راحتهِ * رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
إذا رأتهُ قريشٌ قالَ قائلها * إلى مكارمِ هذا ينتهى الكرمُ
يغضى حياء و يغضى من مهابتهِ * فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
فى كفهِ خيزرانٌ ريحها عبقٌ * بكفِ أورعَ فى عرنينهِ شممُ
مشتقةٌ من رسولِ اللهِ نسبتهُ * طابتْ عناصرهُ والخيمُ والشيمُ
لا يستطيعُ جوادٌ بُعْدَ غايتهِ * ولا يدانيه قومٌ إنْ هموا كرموا
من يعرفِ اللهَ يعرفْ أوّليةَ ذا * فالدينُ من بيتِ هذا نالهُ أممُ
أىّ العشائرِ هم ليستْ رقابهمُ * لاوليةِ هذا أولهُ نعمُ

هكذا أوردها الطبرانى فى ترجمة الحسين فى معجمه الكبير وهو غريب ، فان المشهور أنها من قيل الفرزدق فى على بن الحسين لا فى أبيه ، وهو أشبه فان الفرزدق لم ير الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسين ذاهب إلى العراق ، فسأل الحسين الفرزدق عن الناس فذكر له ماتقدم ، ثم إن الحسين قتل بعد مفارقته له بأيام يسيرة ، فمتى رآه يطوف بالبيت والله أعلم ، وروى هشام عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد : أين الكتاب الذى كتبته إليك فى قتل الحسين ؟ فقال : مضيت لأمرك وضاع الكتاب ، فقال له ابن زياد : لتجيئن به ، قال : ضاع ، قال : والله لتجيئن به ، قال : ترك والله يقرأ على عجائز قريش أعتذر إليهن بالمدينة ، أما والله لقد نصحتك فى حسين نصيحة لو نصحتها إلى سعد بن أبى وقاص لكنت قد أديت حقه ، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله ، صدق عمر والله . ولوددت والله أنه ليس من بنى زياد رجل إلا و فى أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسينا لم يقتل ، قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله بن زياد .

فصل

في شيء من أشعاره التي رويت عنه

فمن ذلك ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : ـ

اغنَ عن المخلوقِ بالخالقِ * تسد على الكاذبِ والصادقِ
واسترزقِ الرحمنَ من فضله * فليسَ غيرُ اللهِ من رازقِ
من ظنَّ أنَّ الناسَ يغنونهُ * فليسَ بالرحمنِ بالواثقِ
أو ظنَّ أن المالَ من كسبهِ * زلتْ به النعلانِ من حالقِ

عن الأعمش أن الحسين بن علي قال : ـ

كلما زيدَ صاحبُ المالِ مالاً * زيدَ في همهِ وفي الاشتغالِ
قد عرفناكِ يا منغصةَ العيـ * ـشِ ويا دارَ كلِ فانٍ وبالي
ليسَ يصفو لزاهدٍ طلبُ الزهـ * ـدِ إذا كانَ مثقلاً بالعيالِ

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال : ـ

ناديتَ سكانَ القبورِ فأسكتوا * وأجابني عن صمتهم تربُ الحصا
قالتْ أتدري مافعلتُ بساكني * مزقتُ لحمهمُ وخرقتُ الكسا
وحشوتُ أعينهمْ تراباً بعد ما * كانتْ تأذى باليسيرِ من القذا
أما العظامَ فانني مزقتها * حتى تباينتْ المفاصلُ والشوا
قطعتُ ذا زادٍ منْ هذا كذا * فتركتها رمماً يطوفُ بها البلا

وأنشد بعضهم للحسين رضي الله عنه أيضا : ـــ

لئنْ كانتِ الدنيا تعدُّ نفيسةً * فدارُ ثوابِ اللهِ أعلى وأنبلُ
وإنْ كانتِ الابدانُ للموتِ أنشئتْ * فقتلُ امرئٍ بالسيفِ في اللهِ أفضلُ
وإنْ كانتْ الأرزاقُ شيئاً مقدراً * فقلةُ سعي المرءِ في الرزقِ أجملُ
وإنْ كانتْ الاموالُ للتركِ جمعها * فما بالُ متروكٍ بهِ المرءَ يبخلُ

ومما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أنيف ، ويقال بنت امرىء القيس ابن عدي بن أوس الكلبي أم ابنته سكينة .

لعمركَ إنني لأحبُّ دارا * تحلّ بها سكينةُ والربابُ

أحبهما وأبذلُ جلَّ مالي * وليسَ للائمي فيها عتابُ
ولستُ لهمْ وإن عتبوا مطيعاً * حياتي أو يعليني الترابُ

وقد أسلم أبوها على يدي عمر بن الخطاب وأمره عمر على قومه ، فلما خرج من عنده خطب إليه علي بن أبي طالب أن يزوج ابنه الحسن أو الحسين من بناته ، فزوج الحسن ابنته سلمى ، والحسن ابنته الرباب ، وزوج علياً ابنته الثالثة ، وهي المحياة بنت امرئ القيس في ساعة واحدة ، فأحب الحسين زوجته الرباب حبا شديدا وكان بها معجبا يقول فيها الشعر ، ولما قتل بكربلاء كانت معه فوجدت عليه وجداً شديداً ، وذكر أنها أقامت على قبره سنة ثم انصرفت وهي تقول :

إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما * ومن يبكِ حولاً كاملاً فقدْ اعتذرْ

وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش فقالت : ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ص ، ووالله لا يؤويني ورجلا بعد الحسين سقف أبداً . ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت ، ويقال إنها إنما عاشت بعده أياماً يسيرة فالله أعلم ، وابنتها سكينة بنت الحسين كانت من أجمل النساء حتى إنه لم يكن في زمانها أحسن منها فالله أعلم .

وروى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب أن ابن زياد بعد مقتل الحسين تفقد أشراف أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر بن يزيد ، فتطلبه حتى جاءه بعد أيام فقال : أين كنت يا ابن الحر ؟ قال : كنت مريضا ، قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد من الله عليه بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبت ، ولكنك كنت مع عدونا ، قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكان مثلي ، ولكان الناس شاهدوا ذلك ، قال : وغفل عن ابن زياد غفلة فخرج ابن الحر فقعد على فرسه . ثم قال : أبلغوه أني لا آتيه والله طائعاً فقال ابن زياد : أين ابن الحر ؟ قال : خرج ، فقال علي به ، فخرج الشرط في طلبه فأسمعهم غليظ مايكرهون ، وترضى عن الحسين وأخيه وأبيه ثم أسمعهم في ابن زياد غليظاً من القول ثم امتنع منهم وقال في الحسين وفي أصحابه شعراً :-

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقُّ غادرٍ * ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمهْ
فياندمي أنْ لا أكونَ نصرتهُ * لذو حسرةٍ ما إنْ تفارقَ لازمهْ
سقى اللهُ أرواحَ الذينَ تبارزوا * على نصرهِ سقياً منَ الغيثِ دائمهْ
وقفتَ على أجداثهمْ وقبورهمْ * فكادَ الحشى ينقضُ والعينُ ساجمه
لعمري لقدْ كانوا مصاليتَ في الوغى * سراعاً إلى الهيجا حماةً حضارمهْ
تآسوا على نصرِ ابنِ بنتِ نبيهمْ * بأسيافهمْ آسادُ غيلٍ ضراغمهْ
فإن يقتلوا تلكَ النفوسَ التقيةَ * على الأرضِ قدْ أضحتْ لذلكَ واجمهْ

فما إن رأى الراءون أفضل منهمُ * لدى الموت سادات وزهر قماقمْ
أتقتلهم ظلماً وترجو ودادنا * فدى خطة ليست لنا بملائمْ
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم * فكم ناقم منا عليكم وناقمْ
أهم مراراً أن أسير بجحفل * إلى فئة زاغت عن الحق ظالمْ
فيا ابن زياد استعد لحربنا * وموقف ضنك تقصم الظهر قاصمْ

وقال الزبير بن بكار: قال سليمان بن قتيبة يرثى الحسين رضى الله عنه

وإن قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاباً من قريش فذلتِ
فإن تتبعوه عائذا لبيت تصبحوا * كعاد تعمت عن هداها فضلتِ
مررت على أبيات آل محمد * فألفيتها أمثالها حيث حلتِ
وكانوا لنا غنماً فعادوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلتِ
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وإن أصبحت منهم برغمى تخلتِ
إذا افتقرت قيس خبرنا فقيرها * وتقتلنا قيس إذا النعل زلتِ
وعند يزيد قطرة من دمائنا * سنجزيهم يوماً بها حيث حلتِ
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة * لقتل حسين والبلاد اقشعرتِ

ومما وقع من الحوادث فى هذه السنة ـ أعنى سنة إحدى وستين ـ بعد مقتل الحسين

فيها ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه، وله من العمر أربعة وعشرون سنة، وعزل عنها أخويه عباداً وعبد الرحمن، وسار سلم إلى عمله فجعل ينتخب الوجوه والفرسان، ويحرض الناس على الجهاد، ثم خرج فى جحفل عظيم ليغزو بلاد الترك، ومعه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبى العاص، فكانت أول امرأة من العرب قطع بها النهر، وولدت هناك ولداً أسموه صغدى، وبعثت إليها امرأة صاحب صغدى بتاجها من ذهب ولآلى. وكان المسلمون قبل ذلك لا يشتون فى تلك البلاد، فشتى بها سلم بن زياد. وبعث المهلب بن أبى صفرة إلى تلك المدينة التى هى للترك، وهى خوارزم فحاصرهم حتى صالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، وكان يأخذ منهم عروضا عوضا، فيأخذ الشىء بنصف قيمته فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فحظى بذلك المهلب عند سلم بن زياد

ثم بعث من ذلك ما اصطفاه ليزيد بن معاوية مع مرزبان ومعه وفد، وصالح سلم أهل سمرقند فى هذه الغزوة على مال جزيل. وفيها عزل يزيد عن إمرة الحرمين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن

عتبة بن أبى سفيان ، فولاه المدينة ، وذلك أن ابن الزبير لما بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ويعظم قتل الحسين وأصحابه جداً ، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين ، ويترحم على الحسين ويلعن من قتله ، ويقول : أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيرا فى النهار صيامه ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغنا والملاهى ، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحداء ، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام ، ولا بالجلوس فى حلق الذكر طلب الصيد ، - يُعرِّض فى ذلك بيزيد بن معاوية - فسوف يلقون غيا ، ويؤلب الناس على بنى أمية ويحثهم على مخالفته وخلع يزيد . فبايعه خلق كثير فى الباطن ، وسألوه أن يظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد ، وكان شديداً عليه ولكن فيه رفق ، وقد كان كاتبه أهل المدينة وغيرهم ، وقال الناس : أما إذ قتل الحسين فليس ينازع أحد ابن الزبير ، فلما بلغ ذلك يزيد شق ذلك عليه وقيل له : إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير ، أو يحاصره حتى يخرجه من الحرم ، فبعث فعزله وولى الوليد بن عتبة فيها ، وقيل فى مستهل ذى الحجة ، فأقام للناس الحج فيها ، وحلف يزيد ليأتينى ابن الزبير فى سلسلة من فضة ، وبعث بها مع البريد ومعه برنس من خزليبر يمينه ، فلما مر البريد على مروان وهو بالمدينة وأخبره بما هو قاصدٌ له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول : -

خذها فما هىَ للعزيزِ بخطةٍ * وفيها مقالٌ لامرئٍ متذلّلِ

أعامرُ إنَّ القومَ ساموكَ خطةً * وذلكَ فى الجيرانِ غزلٌ بمغزلِ

أراكَ إذا ما كنتَ فى القومِ ناصحاً * يقالُ لهُ بالدلوِ أدبرْ وأقبلِ

فلما انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنيه عبد الملك وعبد العزيز ليحضُرا مراجعته فى ذلك ، وقال : أسمعاه قولى فى ذلك ، قال عبد العزيز : فلما جلس الرسل بين يديه جعلت أنشده ذلك وهو يسمع ولا أشعره ، فالتفت إلىّ فقال : أخبرا أباكما أنى أقول : -

إنى لمنْ نبعةٍ صمٍّ مكاسرها * إذا تناوحتِ القصباءُ والعشرُ

ولا ألينُ لغيرِ الحقِ أسألهُ * حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

قال عبد العزيز : فما أدرى أيهما كان أعجب ! !

قال أبو معشر : لا خلاف بين أهل السير أن الوليد بن عتبة حج بالناس فى هذه السنه وهو أمير الحرمين وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان وسجستان سلم بن زياد أخو عبيد الله ابن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

من توفى فيها من الأعيان

الحسين بن على رضى الله عنهما ومعه بضعة عشر من أهل بيته قتلوا جميعاً بكربلاء ، وقيل بضعه

وعشرون كما تقدم. وقتل معهم جماعة من الأبطال والفرسان.

جابر بن عتيك بن قيس

أبو عبد الله الأنصارى السلمى، شهد بدراً وما معه، وكان حامل راية الأنصار يوم الفتح، كذا قال ابن الجوزى، قال: وتوفى فى هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة

حمزة بن عمرو الأسلمي

صحابى جليل ثبت فى الصحيحين عن عائشة أنها قالت: سأل حمزة بن عمرو رسول الله (ص) فقال: إنى كثير الصيام أفأصوم فى السفر؟ فقال له: «إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر». وقد شهد فتح الشام، وكان هو البشير للصديق يوم أجنادين، قال الواقدى: وهو الذى بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه فأعطاه ثوبيه، وروى البخارى فى التاريخ بإسناد جيد عنه أنه قال: «كنا مع رسول الله (ص) فى ليلة مظلمة فأضاءت لى أصابعى حتى جمعت عليها كل متاع كان للقوم». اتفقوا على أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة إحدى وستين -

شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري الحجبي

صاحب مفتاح الكعبة كان أبوه ممن قتله على بن أبى طالب يوم أحد كافرا، وأظهر شيبة الاسلام يوم الفتح، وشهد حنينا وفى قلبه شئ من الشك، وقد هم بالفتك برسول الله (ص)، فأطلع الله على ذلك رسوله فأخبره بما هم به فأسلم باطنا وجاد إسلامه، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر. قال الواقدى عن أشياخه: إن شيبة قال: كنت أقول والله لو آمن بمحمد جميع الناس ما آمنت به، فلما فتح مكة وخرج إلى هوازن خرجت معه رجاء أن أجد فرصة آخذ بثأر قريش كلها منه، قال: فاختلط الناس ذات يوم ونزل رسول الله (ص) عن بغلته فدنوت منه وانتضيت سيفى لأضربه به، فرفع لى شواظ من نار كاد يمحشنى، فالتفت إلى رسول الله (ص)، وقال: «ياشيبة ادن منى، فدنوت منه فوضع يده على صدرى وقال: اللهم أعذه من الشيطان. قال: فوالله ما رفع يده حتى لهو يومئذ أحب إلى من سمعى وبصرى، ثم قال: اذهب فقاتل، قال: فتقدمت إلى العدو والله لو لقيت أبى لقتلته لو كان حيا، فلما تراجع الناس قال لى: ياشيبة الذى أراد الله بك خير مما أردت لنفسك، ثم حدثنى بكل ما كان فى نفسى مما لم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل، فتشهدت وقلت: أستغفر الله، فقال: غفر الله لك». ولى الحجابة بعد عثمان بن طلحة واستقرت الحجابة فى بنيه وبنيه إلى اليوم، وإليه ينسب بنو شيبة، وهم حجبة الكعبة. قال خليفة بن خياط وغير واحد: توفى سنة تسع وخمسين. وقال محمد بن سعد: بقى إلى أيام يزيد بن معاوية. وقال ابن الجوزى فى المنتظم: مات فى هذه السنة.

عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم صحابى انتقل إلى دمشق وله بها دار،

ولما مات أوصى إلى يزيد بن معاوية وهو أمير المؤمنين .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ابن أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو وهب القرشي العبشمي ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، وللوليد من الأخوة خالد وعمارة وأم كلثوم ، وقد قتل رسول الله ص أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صبراً بين يديه ؛ فقال : يا محمد من للصبية ؟ فقال : « لهم النار » وكذلك فعل بالنضر بن الحارث . وأسلم الوليد هذا يوم الفتح ، وقد بعثه رسول الله (ص) على صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع ، فأخبر بذلك رسول الله ص . فأراد أن يجهز إليهم جيشاً ، فبلغهم ذلك فجاء من جاء منهم ليعتذروا إليه ويخبرونه بصورة ما وقع ، فأنزل الله تعالى في الوليد [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة] الآية . ذكر ذلك غير واحد من المفسرين والله أعلم بصحة ذلك . وقد حكى أبو عمرو بن عبد البر على ذلك الاجماع . وقد ولاه عمر صدقات بني تغلب ، وولاه عثمان نيابة الكوفة بعد سعد ابن أبي وقاص ، سنة خمس وعشرين ، ثم شرب الخمر وصلى بأصحابه ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ ووقع منه تخبيط ، ثم إن عثمان جلده وعزله عن الكوفة بعد أربع سنين فأقام بها ، فلما جاء علي إلى العراق سار إلى الرقة واشترى له عندها ضيعة وأقام بها معتزلا جميع الحروب التي كانت أيام علي ومعاوية وما بعدها إلى أن توفي بضيعته في هذه السنة ، ودفن بضيعته وهي على خمسة عشر ميلا من الرقة ، ويقال : إنه توفي في أيام معاوية فالله أعلم . روى له الامام أحمد وأبو داود حديثاً واحداً في فتح مكة ، وقد ذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، وذكر أيضاً وفاة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وقد تقدم ذكر وفاتها في سنة إحدى وخمسين ، وقيل إنها توفيت سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والصواب ما ذكرناه .

أم سلمة أم المؤمنين

هند بنت أبي أمية حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، القرشية المخزومية كانت أولا تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد فمات عنها ، فتزوجها رسول الله (ص) ودخل بها في شوال سنة ثلثين بعد وقعة بدر ، وقد كانت سمعت من زوجها أبي سلمة : حديثا عن رسول الله ص . أنه قال « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، إلا أبدله الله خيراً منها » قالت : فلما مات أبو سلمة قلت ذلك ثم قلت : ومن هو خير من أبي سلمة أول رجل هاجر ؟ ثم عزم الله لي فقلتها فأبدلني الله خيراً

منه ، رسول الله (ص) ، وكانت من حسان النساء وعابداتهن . قال الواقدى : توفيت سنة تسع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة . وقال ابن أبى خيثمة : توفيت فى أيام يزيد بن معاوية . قلت : والأحاديث المتقدمة فى مقتل الحسين تدل علـى أنها عاشت إلى ما بعـد مقتله والله أعـلم . ورضى الله عنها والله سبحانه أعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وستين

يقال فيها قدم وفد المدينة النبوية على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأجازهم بجوائز سنية ، ثم عادوا من عنده بالجوائز فخلعوه وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، فبعث إليهم يزيد جنداً فى السنة الآتية إلى المدينـة فكانت وقعة الحرة على ما سنبينه فى التى بعدها إن شاء الله تعالى ، وقد كان يزيد عزل عن الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص ، وولى عليهم الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، فلما دخل المدينة احتاط على الأموال والحواصل والأملاك ، وأخذ العبيد الذين لعمرو بن سعيد فحبسهم - ، وكانوا نحوا من ثلاثمائة عبد - فتجهز عمرو بن سعيد إلى يزيد وبعث إلى عبيـده أن يخرجوا من السجن ويلحقوا به ، وأعدّ لهم إبلا يركبونها ، ففعلوا ذلك ، فالحقوه حتى وصل إلى يزيد فأكرمه واحترمه ورحب به يزيد ، وأدنى مجلسه ، ثم إنه عاتبه فى تقصيره فى شأن ابن الزبير ، فقال له : يا أمير المؤمنين الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، وإن جل أهل مكة والحجاز مالأوه علينا وأحبوه ولم يكن لى جند أقوى بهم عليه لو ناهضته ، وقد كان يحذرنى ويحترس منى ، وكنت أرفق به كثيرا وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه ، مع أنى قد ضيقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا اسمه واسم أبيه ، ومن أى بلاد هو وما جاء له ، وماذا يريد ، فان كان من أصحابه أو ممن عرف أنه يريده رددته صاغراً ، وإلا خليت سبيله . وقد وليت الوليد وسيأتيك من عمله وأمره ما لعلك تعرف به فضل مسارعتى واجتهادى فى أمرك ومناصحتى لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ويكبت عدوك . فقال له يزيد : أنت أصدق ممن رماك وحملنى عليك ، وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وأدخره لذات الصدع ، وكفاية المهم وكشف نوازل الأمور العظام . فى كلام طويل .

وأما الوليد بن عتبة فانه أقام بالحجاز وقد هم مراراً أن يبطش بعبد الله بن الزبير فيجده متحذراً ممتنعاً قد أعد للأمور أقرانها . وثار باليمامة رجل آخر يقال له نجدة بن عامر الحنفى حين قتل الحسين ، وخالف يزيد بن معاوية ، ولم يخالف ابن الزبير بل بقى على حـدة ، له أصحاب يتبعونه ، فاذا كان ليـلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجمهور وتخلف عنـه ابن الزبير وأصحاب نجدة ، ثم يدفع كل فريق وحدهم . ثم كتب نجدة إلى يزيد : إنك بعثت إلينا رجلا أخرق لايتجه لأمر رشد ولا يرعوى لعظة

الحكيم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق لين الكنف ، رجوت أن يسهل به من الأمور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر فى ذلك فان فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى . قالوا : فعزل يزيد الوليد وولى عثمان محمد بن أبى سفيان ، فسار إلى الحجاز وإذا هو فتى غر حدث غمر لم يمارس الأمور ، فطمعوا فيه ، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى ، وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمى ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشراف أهل المدينة ، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وعظم جوائزهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة ، إلا المنذر بن الزبير فانه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة ، وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد ، ولما رجع وفد المدينة إليها أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا . قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر وتعزف عنده القينات بالمعازف ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه ، فتابعهم الناس على خلعه ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت ، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة فوافق أولئك على خلع يزيد ، وأخبرهم عنه أنه يشرب الخمر ويسكر حتى ترك الصلاة ، وعابه أكثر مما عابه أولئك . فلما بلغ ذلك يزيد قال : اللهم إنى آثرته وأكرمته ففعل ماقد رأيت ، فأدركه وانتقم منه . ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويحذرهم غب ذلك ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد وخوفهم الفتنة وقال لهم : إن الفتنة وخيمة ، وقال : لاطاقة لكم بأهل الشام ، فقال له عبد الله بن مطيع : مايحملك يانعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال له النعمان : أما والله لكأنى وقد تركت تلك الأمور التى تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب التى تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحا الموت بين الفريقين ، وكأنى بك قد ضربت جنب بغلتك إلىّ وخلفت هؤلاء المساكين ـ يعنى الأنصار ـ يقتلون فى سككهم ومساجدهم ، وعلى أبواب دورهم . فعصاه الناس فلم يسمعوا منه فانصرف وكان الأمر والله كما قال سواء . قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة الوليد بن عتبة كذا قال وفيه نظر ، فانه إن كان فى وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فانما وفد عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا فى أول سنة ثلاث وستين وهو أشبه والله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان

بريدة بن الحصيب الأسلمى كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة عند كراع الغميم ، فلما كان هناك تلقاه بريدة فى ثمانين نفساً من أهله فأسلموا ، وصلى بهم صلاة العشاء وعلمه

ليلتئذ صدراً من سورة مريم ، ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أحد فشهد معه المشاهد كلها وأقام بالمدينة ، فلما فتحت البصرة نزلها واختط بها داراً ، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرو فى خلافة يزيد بن معاوية . ذكر موته غير واحد فى هذه السنة .

الربيع بن خثيم

أبو يزيد الثورى الكوفى أحد أصحاب ابن مسعود قال له عبد الله بن مسعود : ما رأيتك قط إلا ذكرتُ المخبتين ، ولو رآك رسول الله ﷺ لأحبك . وكان ابن مسعود يجله كثيرا ، وقال الشعبي: كان الربيع من معادن الصدق ، وكان أورع أصحاب ابن مسعود ، وقال ابن معين : لا يسأل عن مثله ، وله مناقب كثيرة جداً ، أرخ ابن الجوزى وفاته فى هذه السنة .

علقمة بن قيس ابو شبل النخعي الكوفي كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم وكان يشبه بابن مسعود . وقد روى علقمة عن جماعة من الصحابة وعنه خلق من التابعين .

عقبة بن نافع الفهري

بعثه معاوية إلى إفريقية فى عشرة آلاف فافتتحها ، واختط القيروان ، وكان موضعها غيضه لا ترام من السباع والحيات والحشرات ، فدعا الله تعالى فجعلن يخرجن منها بأولادهن من الأوكار والجحار ، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة ، غزا أقواماً من البربر والروم فقتل شهيدا رضى الله عنه

عمرو بن حزم صحابى جليل استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمره سبع عشرة سنة وأقام بها مدة ، وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

مسلم بن مخلد الانصاري الزرقى ولد عام الهجرة ، وسمع من رسول الله ﷺ ، وشهد فتح مصر ، وولى الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات فى ذى القعدة من هذه السنة .

مسلم بن معاوية الديلمي صحابى جليل شهد بدراً وأحداً والخندق مع المشركين ، وكانت له فى المسلمين نكاية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد فتح مكة وحنينا ، وحج مع أبى بكر سنة تسع ، وشهد حجة الوداع ، وعمّر ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الاسلام ، قاله الواقدى . قال : وأدرك أيام يزيد بن معاوية ، وقال ابن الجوزى : مات فى هذه السنة .

وفيها توفيت الرباب بنت أنيف امرأة الحسين بن على التى كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدون فى السبت أو فى الجمعة على زوجها الحسين بن على ابن بنت رسول الله ﷺ

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ففيها كانت وقعة الحرة وكان سببها أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر ، فلما كان فى أول هذه السنة أظهروا

ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول : قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه ، ويلقيها عن رأسه ، ويقول الآخر : قد خلعته كما خلعت نعلي هذه ، حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك ، ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم ، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن عم يزيد ، وعلى إجلاء بني أمية من المدينة ، فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم ، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم ، واعتزل الناس علي بن الحسين « زين العابدين » وكذلك عبد الله بن عمر ابن الخطاب لم يخلعا يزيد ، ولا أحد من بيت ابن عمر ، وقد قال ابن عمر لأهله : لا يخلعن أحد منكم يزيد فتكون الفيصل ويروى الصيلم بيني وبينه ، وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده في ترجمة يزيد ، وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ على أن لا نفر ، وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبد المطلب ، وقد سئل محمد بن الحنفية في ذلك فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وناظرهم وجادلهم في يزيد ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شرب الخمر وتركه بعض الصلوات كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله ، وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والاهانة ، والجوع والعطش ، وإنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم ، وبعثوا ذلك مع البريد ، فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرد به مما به من النقرس في رجليه ، فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال: ويلك ! ما فيهم ألف رجل ؟ قال : بلى ، قال : فهل لا قاتلوا ساعة من نهار ؟ ثم بعث إلى عمرو بن سعيد ابن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم ، وعرض عليه أن يبعثه إليهم فأبى عليه ذلك ، وقال : إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة ، فأما الآن فإنما دماء قريش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ، ليتول ذلك من هو أبعد منهم مني ، قال : فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المزني وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس ، وقيل اثنا عشر ألفاً وخمسة عشر ألف رجل ، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار وقيل أربعة دنانير ، ثم استعرضهم وهو على فرس له ، قال المدائني : وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وعلى أهل حمص حُصين بن نمير السكوني ، وعلى أهل الأردن حبيش بن دلجة القيني ، وعلى أهل فلسطين رَوح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني ، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحسحاس الهلالي ، وعليهم مسلم بن عقبة المزني من غطفان ، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة . فقال النعمان بن بشير: يا أمير المؤمنين ولني عليهم أكفك - وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رَواحة - فقال يزيد لا ليس لهم إلا هذا الغشمة ، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة . فقال النعمان يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ . وقال له عبد الله بن جعفر : أرأيت

إن رجعوا إلى طاعتك أيقبل منهم ؟ قال : إن فعلوا فلا سبيل عليهم ، وقال يزيد لمسلم بن عقبة : ادع القوم ثلاثاً فان رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم ، و إلا فاستعن بالله وقاتلهم ، و إذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثا ثم اكفف عن الناس ، وانظر إلى على بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً ، وأدن مجلسه ، فانه لم يدخل فى شئ مما دخلوا فيه ، وأمر مسلم إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن الزبير ، وقال له : إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكونى . وقد كان يزيد كتب إلى عبد الله بن زياد أن يسير إلى الزبير فيحاصره بمكة ، فأبى عليه وقال : والله لا أجمعهما للفاسق أبداً ، أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغزو البيت الحرام ؟ وقد كانت أمه مرجانة قالت له حين قتل الحسين : ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت ؟ وعنفته تعنيفاً شديداً . قالوا : وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول فى خطبته : يزيد القرود ، شارب الخمور ، تارك الصلوات ، منعكف على القينات . فلما جهز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول : ـ

أبلغْ أبا بكرٍ إذا الجيشُ سرى * وأشرفَ الجيش على وادى القرى
أجمعَ سكرانَ من القوم ترى * ياعجباً منْ ملحدٍ فى أم القرى
* مخادعٌ للدينِ يقضى بالفرى *

وفى رواية

أبلغ أبا بكرٍ إذا الأمرُ انبرى * ونزلَ الجيشُ على وادى القرى
عشرونَ ألفاً بينَ كهلٍ وفتى * أجمعُ سكرانٌ من القومِ ترى

قالوا : وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة ، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة فى حصار بنى أمية ، وقالوا لهم : والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطونا موثقاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين ، ولا تمالئوهم علينا ، فأعطوهم العهود بذلك ، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يخبره أحد ، فانحصر لذلك ، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له : إن كنت تريد النصر فانزل شرقى المدينة فى الحرة ، فاذا خرجوا إليك كانت الشمس فى أقفيتكم و فى وجوههم ، فادعهم إلى الطاعة ، فان أجابوك و إلا فاستعن بالله وقاتلهم فان الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الامام وخرجوا عن الطاعة . فشكره مسلم بن عقبة على ذلك ، وامتثل ما أشار به ، فنزل شرقى المدينة فى الحرة ، ودعا أهلها ثلاثة أيام ، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة ، فلما مضت الثلاث قال لهم فى اليوم الرابع ـ وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ـ قال لهم : يا أهل المدينة : مضت الثلاث و إن أمير المؤمنين قال لى : إنكم أصله وعشيرته ، و إنه يكره إراقة دمائكم ، و إنه أمرنى أن أؤجلكم ثلاثاً فقد مضت ، فماذا أنتم صانعون ؟ أتسالمون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب . فقال : لا تفعلوا بل سالموا ونجعل جدنا وقوتنا على هذا الملحد ـ يعنى ابن الزبير ـ

فقالوا : ياعـدو الله ! لو أردت ذلك لـما مكناك منـه ، أنحن نتركم تذهبون فتلحدون فى بيت الله الحرام ؟ ثم تهيأوا للقتال ، وقد كانوا اتخذوا خندقا بينهم وبين ابن عقبة ، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير ، وجعلوا أجل الأرباع الربع الذى فيه عبـد الله بن حنظلة الغسيل ، ثم اقتتلوا قتالا شـديداً ، ثم انهزم أهل المدينة إليها . وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والاعيان ، منهم عبد الله بن مطيع و بنون له سبعة بين يديه ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شماس ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، وقد مر به مروان وهو مجندل فقال : رحمك الله فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود .

ثم أباح مسلم بن عقبة ، الذى يقول فيـه السلف مسرف بن عقبة ـ قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله ـ المدينـة ثلاثة أيام كما أمره يزيد ، لا جزاه الله خيراً ، وقتـل خلقاً من أشرافها وقُرّائها وانتهب أموالا كثيرة منها ، ووقع شرٌ عظيم وفساد عريض على ما ذكره غـير واحد . فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ، ولكن أسمعه فى يزيد كلاما غليظاً فنقم عليه بسببه ، واستدعى بعلى بن الحسين فجاء يمشى بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ليأخذ له بهما عنده أمانا ، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به ، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشراب ـ وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجا إلى المدينة فكان يشاب له بشرابه ـ فلما جئ بالشراب شرب مروان قليلا ثم أعطى الباقى لعلى بن الحسين ليأخذ له بذلك أمانا ، وكان مروان مُواداً لعلى ابن الحسين ، فلما نظر إليـه مسلم بن عقبة قد أخذ الاناء فى يده قال له : لا تشرب من شرابنا ، ثم قال له : إنما جئت مع هذين لتأمن بهما ؟ فارتعدت يد على بن الحسين وجعل لا يضع الاناء من يده ولا يشربه ، ثم قال له : لولا أن أمير المؤمنين أوصانى بك لضربت عنقك ، ثم قال له : إن شئت أن تشرب فاشرب ، وإن شئت دعونا لك بغيرها ، فقال : هذه الذى فى كفى أريد ، فشرب ثم قال له مسلم بن عقبة : قم إلى ههنا فاجلس ، فأجلسه معه عـلى السرير وقال له : إن أمـير المؤمنين أوصانى بك ، وإن هؤلاء شـغلونى عنك . ثم قال لعلى بن الحسين : لعل أهلك فزعوا ، فقال : إى والله . فأمر بدابتـه فأسرجت ثم حمله عليها حتى ردّه إلى منزله مكرما . ثم اسـتدعى بعمرو بن عثمان بن عفان ـ ولم يكن خرج مع بنى أمية ـ فقال له : إنك إن ظهر أهل المدينـة قلت أنا معكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين : ثم أمر به فنتفت لحيته بين يديه ـ وكان ذا لحية كبيرة ـ

قال المدائنى : وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال . فأرسلت سعدى بنت عوف المرية إلى مسلم بن عقبة تقول له : أنا بنت عمك فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لابلنا بمكان كذا وكذا ، فقال لأصحابه : لا تبدؤا إلا بأخذ إبلها أولا . وجاءته امرأة فقالت:

أنا مولاتك وابنى فى الأسارى ، فقال : عجلوه لها ، فضربت عنقه ، وقال : اعطوه رأسه ، أما ترضين أن لايقتل حتى تتكلمى فى ابنك ؟ ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة فى تلك الأيام من غير زوج فالله أعلم . قال المدائنى عن أبى قرة قال قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج . وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله ، وخرج أبو سعيد الخدرى فلجأ إلى غار فى جبل فلحقه رجل من أهل الشام ، قال : فلما رأيته انتضيت سيفى فقصدنى ، فلما رآنى صمم على قتلى فشممت سيفى ثم قلت : (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) فلما رأى ذلك قال : من أنت ؟ قلت : أنا أبو سعيد الخدرى قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ! فمضى وتركنى .

قال المدائنى : وجئ إلى مسلم بسعيد بن المسيب فقال له : بايع ! فقال : أبايع على سيرة أبى بكر وعمر . فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون فخلى سبيله . وقال المدائنى عن عبد الله القرشى وأبى إسحاق التميمى قالا : لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان ، فقال ابن عمر : بعثمان ورب الكعبة . قال المدائنى عن شيخ من أهل المدينة . قال : سألت الزهرى كم كان القتلى يوم الحرة قال : سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الموالى وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف . قال : وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام . قال الواقدى وأبو معشر : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

قال الواقدى عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون قال : وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكانوا يسمونه العائذ ـ يعنى العائذ بالبيت ـ ويرون الأمر شورى ، وجاء خبر الحرة إلى أهل مكة ليلة مستهل المحرم مع سعيد مولى المسور بن مخرمة ، فحزنوا حزناً شديداً وتأهبوا لقتال أهل الشام . قال ابن جرير : وقد رويت قصة الحرة على غير ما رواه أبو مخنف ، فحدثنى أحمد بن زهير ثنا أبى سمعت وهب بن جرير ثنا جويرية بن أسماء قال : سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فان فعلوا فارمهم بمسلم ابن عقبة فانه رجل قد عرفت نصيحته لنا ، فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة ، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر ـ وكان شريفاً فاضلاً سيداً عابداً ـ ومعه ثمانية بنين له فأعطاه يزيد مائة ألف درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنىّ هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا : قد بلغنا أنه أعطاك وأخدمك وأحذاك

ولكرمك . قال : قد فعل وما قبلت منه إلا لأتقوّى به على قتاله ، فحض الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عقبة ، وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم و بين الشام فصبوا فيه زقا من قطران وغوّروه ، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً بالمطر ، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وكان أميرهم مسلم شديد الوجع ، فبينما الناس فى قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم فى جوف المدينة ، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر ، فانهزم الناس فكان من أصيب فى الخندق أعظم ممن قتل ، فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يغط نوماً ، فنبهه ابنه ، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس ، أمر أكبر بنيه فتقدم فقاتل حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية ، و يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ماشاء.

وقد روى ابن عساكر فى ترجمة أحمد بن عبد الصمد من تاريخه من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكى : ثنا الحسين بن الحسن اليشكرى ثنا الزيادى عن الأصمعى ح . وحدثنى محمد بن الحارث عن المدائنى قال : لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبى قبيس مساء تلك الليلة ، وابن الزبير جالس يسمع :—

والصائمون القانتو * نَ أولوا العبادةِ والصلاحِ
المهتدونَ المحسنو * نَ السابقونَ إلى الفلاحِ
ماذا بواقمَ والبقيـ * ـعُ من الجحاجحةِ الصباحِ
وبقاعِ يثربَ ويحهن * نَ من النوادبِ والصياحِ
قتلَ الخيارَ بنوا الخيا * رِ ذوى المهابةِ والسماحِ

فقال ابن الزبير : ياهؤلاء قتل أصحابكم فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً فى قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينه ثلاثة أيام ، وهذا خطأ كبير فاحش ، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم ، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدى عبيد الله بن زياد . وقد وقع فى هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة فى المدينة النبوية مالا يحد ولا يوصف ، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد أراد بارسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ، ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه و بين ما يشتهيه ، فقصمه الله قاصم الجبابرة ، وأخذه أخذ عزيز مقتدر وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد .

قال البخارى فى صحيحه : حدثنا الحسين بن الحارث ثنا الفضل بن موسى ثنا الجعد عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص عن أبيها . قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء » . وقد رواه مسلم من حديث أبى عبد الله القراظ المدينى ـ واسمه دينار ـ عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله (ص) قال : « لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص ـ أو ذوب الملح فى الماء » . وفى رواية لمسلم من طريق أبى عبد الله القراظ عن سعد وأبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : « من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء »

وقال الامام أحمد : حدثنا أنس بن عياض ثنا يزيد بن خصيفة عن عطاء بن يسار عن السائب ابن خلاد أن رسول الله (ص) قال : « من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا » . ورواه النسائى من غير وجه عن على ابن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة عن عطاء بن يسار عن خلاد بن منجوف بن الخزرج أخبره فذكره . وكذلك رواه الحميدى عن عبد العزيز بن أبى حازم عن يزيد بن خصيفة . ورواه النسائى أيضا عن يحيى بن حبيب بن عربى عن حماد عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن أبى مريم عن عطاء بن يسار عن ابن خلاد ـ وكان من أصحاب النبى (ص) ـ فذكره . وقال ابن وهب : أخبرنى حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن أبى بكر عن عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد ، قال سمعت رسول الله (ص) يقول : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وقال الدارقطنى : ثنا على بن أحمد بن القاسم ثنا أبى ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصارى عن محمد وعبد الرحمن ابنى جابر عبد الله قالا : خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال : تعس من أخاف رسول الله (ص) فقلنا : يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله (ص) ؟ فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من أخاف أهل هذا الحى من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين ـ ووضع يده على جبينه ـ » قال الدارقطنى : تفرد به سعد بن عبد العزيز لفظا وإسنادا ، وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص فى لعنة يزيد بن معاوية وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضى أبو يعلى وابنه القاضى أبو الحسين وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزى فى مصنف مفرد ، وجوز لعنته . ومنع من ذلك آخرون وصنفوا فيه أيضا لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إماما فاسقا ، والامام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولى العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما فى ذلك من

إثارة الفتنة ، ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة وجيشه ، فرح بذلك فرحاً شديداً ، فانه كان يرى أنه الامام وقد خرجوا عن طاعته ، وأمروا عليهم غيره ، فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة ، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم ، وقد جاء فى الصحيح : « من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنا من كان » . وأما ما يوردونه عنه من الشعر فى ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبعرى فى وقعة أحد التى يقول فيها

ليتَ أشياخي ببدر شهدوا * جزعَ الخزرجِ من وقعِ الأسلْ

حينَ حلتْ بفنائهم بركَها * واستحرَ القتلُ فى عبدِ الأشلْ

قد قتلنا الضعفَ منْ أشرافهمْ * وعدلنا ميْلَ بدرٍ فاعتدلْ

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال :-

لعبتْ هاشمُ بالملكِ فلا * ملكٌ جاءهُ ولا وحيٌ نزلْ

فهذ إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه ، وسيذكر فى ترجمة يزيد بن معاوية قريبا ، وما ذكر عنه وماقيل فيه وما كان يمانيه من الأفعال والقبائح والأقوال فى السنة الآتية ، فانه لم يمهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذى قصم الجبابرة قبله وبعده ، إنه كان عليما قديرا . وقد توفى فى هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم فى وقعة الحرة مما يطول ذكرهم . فمن مشاهيرهم من الصحابه عبد الله بن حنظلة أمير المدينة فى وقعة الحرة ، ومعقل بن سنان وعبيد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنهم ، ومسروق بن الأجدع .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ففيها فى أول المحرم منها سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التفَّ عليه من الأعراب ، على مخالفة يزيد بن معاوية ، واستخلف على المدينة روح بن زنباع ، فلما بلغ ثنية هرشا بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم ، فقال : إن أمير المؤمنين عهد إلىّ إن حدث بى حدث الموت أن أستخلف عليكم حصين بن نمير السكونى ، ووالله لو كان الأمر لى مافعلت ، ثم دعا به فقال : انظر يا ابن بردعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ، ثم أمره إذا وصل مكة أن يناجز ابن الزبير قبل ثلاث ، ثم

قال : اللهم إنى لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أحب إلىَّ من قتل أهل المدينة ، وأجزى عندى فى الآخرة . وإن دخلت النار بعد ذلك إنى لشقى ، ثم مات قبحه الله ودفن بالمسلك فيما قاله الواقدى .

ثم أتبعه الله بيزيد بن معاوية فمات بعده فى ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه ، فما متعهما الله بشىء مما رجوه وأملوه ، بل قهرهم القاهر فوق عباده ، وسلبهم الملكَ ، ونزعه منهم من ينزع الملك ممن يشاء .

وسار حصين بن نمير بالجيش نحو مكة فانتهى إليها لأربع بقين من المحرم فيما قاله الواقدى ، وقيل لسبع مضين منه ، وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقى من أشراف أهل المدينة ، وانضاف إليه أيضا نجدة بن عامر الحنفى ـ من أهل اليمامة ـ فى طائفة من أهلها ليمنعوا البيت من أهل الشام ، فنزل حصين بن نمير ظاهر مكة ، وخرج إليه ابن الزبير فى أهل مكة ومن التفّ معه فاقتتلوا عند ذلك قتالا شديدا ، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة ، فانكشف أهل مكة ، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به ، فكرّ عليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة فقاتلوا دونه حتى قتلوا جميعا ، وصابرهم ابن الزبير حتى الليل فانصرفوا عنه ثم اقتتلوا فى بقية شهر المحرم وصفراً بكماله ، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورموها حتى بالنار ، فاحترق جدار البيت فى يوم السبت ، هذا قول الواقدى ، وهم يقولون :

خطّارةٌ مثلُ الفنيقِ المزبد * ترمى بها جدرانُ هذا المسجد

وجعل عمر بن حوطة السدوسى يقول :

كيفَ ترى صنيعَ أم فروهْ * تأخذهمْ بينَ الصفا والمروهْ

وأم فروة اسم المنجنيق ، وقيل : إنما احترقت لأن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة ، فعلقت النار فى بعض أستار الكعبة فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت ، وقيل إنما احترقت لأن ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة فى ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام ، فرُفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل ، فأطارت الريح شررةً من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليمانى والأسود من الكعبة ، فعلقت فى أستارها وأخشابها فاحترقت ، واسود الركن وانصدع فى ثلاثة أمكنة منه . واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر ، وجاء الناسَ نعىُ يزيد بن معاوية ، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس

أو ثمان أو تسع وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أو ثمانية أشهر ، فغلب أهل الشام هنالك وانقلبوا صاغرين ؛ فحينئذ خمدت الحرب وطفئت نار الفتنة ، ويقال : إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة ، ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام فنادى فيهم : يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيتكم ، فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل ، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع ، فلم يصدق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به ، حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع بالخبر اليقين . ويذكر أن حصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدثه بين الصفين فاجتمعا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما ، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفها ، فقال له ابن الزبير : مالك ؟ فقال : إن الحمام تحت رجلي فرسي تأكل من الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم ، فقال له : تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين ؟ فقال له حصين . فأذن لنا فلنطف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا ، فأذن لهم فطافوا .

وذكر ابن جرير أن حصينا وابن الزبير اتعدا ليلة أن يجتمعا فاجتمعا بظاهر مكة ، فقال له حصين : إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الامر بعده ، فهلم فارحل معي إلى الشام ، فوالله لا يختلف عليك اثنان . فيقال : إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك وأغلظ له في المقال فنفر منه ابن نمير وقال : أنا أدعوه إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقال ؟ ثم كر بالجيش راجعاً إلى الشام ، وقال : أعده بالملك ويتواعدني بالقتل ؟ . ثم ندم ابن الزبير على ما كان منه إليه من الغلظة ، فبعث إليه يقول له : أما الشام فلست ... ولكن خذلي البيعة على من هناك ، فاني أؤمنكم وأعدل فيكم . فبعث إليه يقول له : إن من يبتغيها من أهل هذا البيت بالشام لكثير . فرجع فاجتاز بالمدينة فطمع فيه أهلها وأهانوهم إهانة بالغة ، وأكرمهم علي بن الحسين « زين العابدين » وأهدى لحصين ابن نمير قتا وعلفاً ، وارتحلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استخلف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك ، والله سبحانه أعلم بالصواب .

وهذه ترجمة يزيد بن معاوية

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي ، ولد سنة خمس أوست أو سبع وعشرين ، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين ، فاستمر متوليًا إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . وأمه ميسون بنت مخول بن أنيف بن دلجة بن نفاثة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي ، روى عن أبيه معاوية أن رسول الله ﷺ قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وحديثا آخر في الوضوء . وعنه ابنه خالد

وعبـد الملك بن مروان ، وقـد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة ، وهي العليا ، وقال : له أحاديث ، وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جميلا طويلا ضخم الهامة محدد الأصابع غليظها مجدرا ، وكان أبوه قـد طلق أمه وهي حامل به ، فرأت أمـه في المنام أنه خرج منها قمر من قبلها ، فقصت رؤياها على أمها فقالت : إن صدقت رؤياك لتلدن من يبايع له بالخـلافة . وجلست أمه ميسون يوماً تمشطه وهو صبي صغير ، وأبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنظرة ، وهي فاختة بنت قرظة ، فلما فرغت من مشطه نظرت أمه إليه فأعجبها فقبلته بين عينيه ، فقال معاوية عند ذلك :

إذا ماتَ لم تفلحْ مزينةُ بعدهُ * فنوطي عليهِ يامزينُ التمائما

وانطلق يزيد يمشي وفاختـة تتبعه بصرها ثم قالت : لعن الله سواد ساقي أمك ، فقال معاوية : أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله ـ وهو ولده منها وكان أحمق ـ فقالت فاختة : لا والله لكنك تؤثر هـذا عليه ، فقال : سوف أبين لك ذلك حتى تعرفينه قبل أن تقومي من مجلسك هذا . ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له : إنه قد بدا لي أن أعطيك كل ماتسألني في مجلسي هـذا ، فقال : حاجتي أن تشتري لي كلبا فارهاً وحماراً فارهاً ، فقال : يا بني أنت حمار وتشـتري لك حماراً ؟ قم فاخرج . ثم قال لأمه : كيف رأيت ؟ ثم استدعى بيزيد فقال : إني قد بدا لي أن أعطيك كل ماتسألني في مجلسي هـذا ، فسلني ما بدالك . فخر يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة ، وأراه فيّ هذا الرأي ، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك ، وتوليني العام صائفة المسلمين ، وتأذن لي في الحج إذا رجعت ، وتوليني الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتي ، وتعرض لأيتام بني جمح ، وأيتام بني سهم ، وأيتام بني عدي . فقال : مالك ولأيتام بني عدي ؟ فقال : لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري . فقال معاويه : قـد فعلت ذلك كله . وقبل وجهه ، ثم قال لفاختة بنت قرظة : كيف رأيت ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين أوصه بي فأنت أعلم به مني ، ففعل . وفي روايه أن يزيد لما قال له أبوه : سلني حاجتك ، قال له يزيد : اعتقني من النار أعتق الله رقبتك منها ، قال : وكيف ؟ قال : لأني وجـدت في الآثار أنه من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمه الله على النار ، فاعهد إلي بالأمر من بعدك ففعل .

وقال العتبي : رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له فقال له : اعلم أن الله أقدر عليك منك عليه ، سوأة لك ! ! أتضرب من لايستطيع أن يمتنع عليك ؟ والله لقد منعتني القدرة من الانتقام من ذوي الاحن ، وإن أحسن من عفا لمن قدر .

قلت : وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ، رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له فقال : « اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه » . قال العتبي : وقدم زياد بأموال كثيرة و بسفط مملوء جواهر

عـلى معاوية فسرّ بذلك معاوية ، فقام زياد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية ، فقام يزيد فقال : إن تفعل ذلك يازياد فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بنى أمية . فقال له معاوية : اجلس فداك أبى و أمى .

وعن عطاء بن السائب قال : غضب معاوية على ابنه يزيد فهجره فقال له الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين إنما هم أولادنا ، ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فأرضهم ، و إن طلبوا فأعطهم ، ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك و يتمنوا موتك . فقال معاوية : لله درك يا أبا بحر ، ياغلام ائت يزيد فأقره منى السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم ، ومائة ثوب . فقـال يزيد : من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأحنف ، فقال يزيد : لاجرم لأقاسمنه ، فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوبا .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن زكريا الغلابى ثنا ابن عائشة عن أبيه . قال : كان يزيد فى حداثته صاحب شراب يأخذ مأخذ الاحداث ، فأحس معاوية بذلك فأحب أن يعظه فى رفق ، فقال : يابنى ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غـير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك ، و يشمت بك عدوك ويسىء بك صديقك ، ثم قال : يابنى إنى منشدك أبياتا فتأدب بها واحفظها ، فأنشده : —

انصَبْ نهارا فى طلاب العلا * واصبرْ على هجر الحبيب القريبْ
حتى إذا الليـلُ أتى بالدجا * واكتحلتْ بالغمض عينُ الرقيبْ
فباشر الليل بمـا تشتهى * فإنما الليلُ نهـارُ الأريبْ
كم فاسقٍ تحسبُهُ ناسكاً * قد باشرَ الليـلَ بأمرٍ عجيبْ
غطى عليه الليلُ أستارهُ * فبـاتَ فى أمنٍ وعيشٍ خصيبْ
ولذةُ الأحمـقِ مكشوفةٌ * يسعى بها كلُّ عـدوٍ مريبْ (١)

قلت : وهذا كما جاء فى الحديث « من ابتلى بشىء من هـذه القاذورات فليستتر بستر الله عز وجل » .

وروى المدائنى أن عبد الله بن عباس وفد إلى معاوية فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه فى الحسن بن على ، فلما دخل عـلى ابن عباس رحّب به وأكرمه ، وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنمـا أجلس مجلس المعزى لا المهنى ، ثم ذكر الحسن فقال رحم الله أبا محمد أوسع الرحمـة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك ، وعوضك من مصابك ما هو خيرٌ لك ثوابا وخير عقبى . فلما نهض يزيد من عنـده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب

(١) بالهامش ــ ونسبة هذا الشعر إلى معاوية فيه نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذهب علماء الناس ، ثم أنشد متمثلا .

مغاض عن العوراء لاينطقوا بها * وأصلُ وراثاتِ الحلوم الأوائلُ

وقد كان يزيد أول من غزى مدينة قسطنطينية فى سنة تسع وأربعين فى قول يعقوب بن سفيان . وقال خليفة بن خياط : سنة خمسين . ثم حج بالناس فى تلك السنة بعد مرجعه من هذه الغزوة من أرض الروم . وقد ثبت فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم » . وهو الجيش الثانى الذى رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه عند أم حرام فقالت : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : « أنت من الأولين » . يعنى جيش معاوية حين غزا قبرص ، ففتحها فى سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان ، وكانت معهم أم حرام فماتت هنالك بقبرص ، ثم كان أمير الجيش الثانى ابنه يزيد بن معاوية ، ولم تدرك أم حرام جيش يزيد هذا . وهذا من أعظم دلائل النبوة .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر ههنا الحديث الذى رواه محاضر عن الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله . أن رسول الله ﷺ قال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . وكذلك رواه عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مثله . ثم أورد من طريق حماد بن سلمة عن أبى محمد عن زرارة بن أوفى قال : القرن عشرون ومائة سنة ، فبعث رسول الله ﷺ فى قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية . قال أبو بكر بن عياش : حج بالناس يزيد بن معاوية فى سنة إحدى وخمسين وثنتين وخمسين وثلاث خمسين . وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا أبو كريب ثنا رشد بن عمرو بن الحارث عن أبى بكير بن الأشج أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا إن وليت ؟ قال : يمتع الله بك يا أمير المؤمنين ، قال لتخبرنى : قال ، كنت والله يا أبة عاملا فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يابنىّ والله لقد جهدت على سيرة عثمان بن عفان فما أطقتها فكيف بك وسيرة عمر ؟

وقال الواقدى : حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن مروان بن أبى سعيد بن المعلى قال قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت : يايزيد !! اتق الله فقد وطأت لك هذا الأمر ، ووليت من ذلك ماوليت ، فان يك خيراً فأنا أسعد به ، وإن كان غير ذلك شقيت به ، فارفق بالناس وأغمض عما بلغك من قول تؤذى به وتنتقص به ، وطأ عليه يهنك عيشك ، وتصلح لك رعيتك ، وإياك والمناقشة وحمل الغضب ، فانك تهلك نفسك ورعيتك ، وإياك وخيرة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم ، ولن لهم لينا بحيث لايروا منك ضعفا ولاخوراً ، وأوطئهم فراشك وقربهم إليك وادنهم منك ، فانهم يعلموا لك حقك ، ولا تهنهم ولاتستخف بحقهم فيهينوك ويستخفوا بحقك ويقعوا فيك ،

فاذا أردت أمراً فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى فشاورهم ولاتخالفهم ، وإياك والاستبداد برأيك فان الرأى ليس فى صدر واحد ، وصدق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف ، واخزن ذلك عن نسائك وخدمك ، وشمر إزارك ، وتعاهد جندك ، وأصلح نفسك تصلح لك الناس ، لاتدع لهم فيك مقالا فان الناس سراع إلى الشر ، واحضر الصلاة ، فانك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقك ، وعظمت مملكتك ، وعظمت فى أعين الناس ، واعرف شرف أهل المدينة ومكة فانهم أصلك وعشيرتك ، واحفظ لأهل الشام شرفهم فانهم أهل طاعتك ، واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعدهم فيه منك بالمعروف ، فان ذلك يبسط آمالهم ، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم فانهم لمن وراءهم ، ولاتسمعن قول قاذف ولا ماحل فانى رأيتهم وزراء سوء .

ومن وجه آخر أن معاوية قال ليزيد : إن لى خليلاً من أهل المدينة فاكرمه، قال : ومن هو؟ قال : عبد الله بن جعفر . فلما وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التى كان معاوية يعطيه إياها ، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له : بأبى أنت وأمى ، فأعطاه ألف ألف أخرى . فقال له ابن جعفر : والله لا أجمع أبوى لأحد بعدك . ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفى ألف ، رأى على باب يزيد بخاتى مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان ، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد فسأله منها ثلاث بخاتى ليركب عليها إلى الحج والعمرة ، وإذا وفد إلى الشام على يزيد ، فقال يزيد للحاجب : ما هذه البخاتى التى على الباب ؟ ـ ولم يكن شعر بها ـ فقال : يا أمير المؤمنين هذه أربعمائة بختية جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألطاف ـ وكان عليها أنواع من الأموال كلها ـ فقال : اصرفها إلى أبى جعفر بما عليها . فكان عبد الله بن جعفر يقول : أتلوموننى على حسن الرأى فى هذا ؟ ـ يعنى يزيد ـ

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأى فى الملك . وكان ذا جمال حسن المعاشرة ، وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات فى بعض الأوقات ، وإماتتها فى غالب الأوقات . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ثنا حيوة حدثنى بشير بن أبى عمرو الخولانى أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أباسعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر» . فقلت للوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به . تفرد به أحمد . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير بن حرب ثنا الفضل بن دكين ثنا كامل أبو العلاء سمعت

أبا صالح سمعت أبا هريرة . يقول قال رسول الله ص : « تعوذوا بالله من سنة سبعين ، ومن إمارة الصبيان » . وروى الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال فى يزيد بن معاوية :

لستَ منا وليسَ خالكَ منا * يا مضيعَ الصلواتِ للشهواتِ

قال : وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار ، ويعرف بموسى شهوات ، وروى عن عبد الله بن الزبير أنه سمع جارية له تغنى بهذا البيت فضربها وقال قولى :

أنتَ منا وليسَ خالكَ منا * يا مضيعَ الصلواتِ للشهواتِ

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحكم بن موسى ثنا يحيى بن حمزة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبى عبيدة : أن رسول الله ص قال : « لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد » . وهذا منقطع بين مكحول وأبى عبيدة بل معضل . وقد رواه ابن عساكر من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقى عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبى ثعلبة الخشنى عن أبى عبيدة . عن رسول الله ص قال : « لا يزال أمر هذه الأمة قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد » . ثم قال وهو منقطع أيضا بين مكحول وأبى ثعلبة . وقال أبو يعلى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن عوف عن خالد بن أبى المهاجر عن أبى العالية . قال : كنا مع أبى ذر بالشام فقال أبو ذر سمعت رسول الله ص ، يقول : « أول من يغير سنتى رجل من بنى أمية » . ورواه ابن خزيمة عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد عن عوف : حدثنا مهاجر بن أبى مخلد حدثنى أبو العالية حدثنى أبو مسلم عن أبى ذر فذكر نحوه ، وفيه قصة وهى أن أبا ذر كان فى غزاة عليهم يزيد بن أبى سفيان فاغتصب يزيد من رجل جارية ، فاستعان الرجل بأبى ذر على يزيد أن يردها عليه ، فأمره أبو ذر أن يردها عليه ، فتلكأ فذكر أبو ذر له الحديث فردها ، وقال يزيد لأبى ذر : نشدتك بالله أهو أنا ؟ قال : لا . وكذا رواه البخارى فى التاريخ وأبو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب . ثم قال البخارى : والحديث معلول ولا نعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . قال : وقد مات يزيد بن أبى سفيان زمن عمر فولى مكانه أخاه معاوية . وقال عباس الدورى : سألت ابن معين : أسمع أبو العالية من أبى ذر ؟ قال : لا إنما يروى عن أبى مسلم عنه ، قلت : فمن أبو مسلم هذا ؟ قال : لا أدرى .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث فى ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح شئ منها ، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه والله أعلم . قال الحارث بن مسكين عن سفيان عن شبيب عن عرقدة بن المستظل . قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد علمت ورب الكعبة

متى تهلك العرب ، إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ولم يكن له قدم فى الاسـلام . قلت : يزيد بن معاوية أكثر ما نقم عليه فى عمله شرب الخمر و إتيان بعض الفواحش ، فأما قتل الحسين فانه كما قال جـده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه . وقد قدمنا أنه قال : لو كنت أنا لم أفعل معه مافعله ابن مرجانة ـ يعنى عبيد الله بن زياد ـ وقال للرسل الذين جاؤا برأسه : قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا ، ولم يعطهم شيئاً ، وأكرم آل بيت الحسين وردّ عليهم جميع مافقد لهم وأضعافه ، وردهم إلى المدينـة فى محامل وأهبة عظيمة ، وقـد ناح أهله فى منزله عـلى الحسين حين كان أهل الحسين عندهم ثلاثة أيام ، وقيل إن يزيد فرح بقتل الحسين أول مابلغه ثم ندم عـلى ذلك ، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : إن يونس بن حبيب الجرمى حـدثه قال : لمـا قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤسهم إلى يزيد ، فسرّ بقتله أولا وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلا حتى ندم ! فكان يقول : وما كان على لو احتملت الأذى وأنزلته فى دارى وحكمته فيما يريده ، وإن كان عـلى فى ذلك وكف ووهن فى سلطانى ، حفظا لرسول الله ﷺ ، ورعاية لحقه وقرابته ، ثم يقول : لعن الله ابن مرجانة فانه أحرجه واضطره ، وقـد كان سأله أن يخلى سبيله أو يأتينى أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبغضنى بقتله إلى المسلمين ، وزرع لى فى قلوبهم العداوة ، فأبغضنى البر والفاجر بمـا استعظم الناس من قتلى حسينا ، مالى ولابن مرجانة قبحه الله وغضب عليه .

ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يذكروا عنه ـوهم أشد الناس عداوةً له ـ إلا ماذكروه عنه من شرب الخمر و إتيانه بعض القاذورات ، لم يتهموه بزندقة كما يقـذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسـقا والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج كما وقع زمن الحرة ، فانه بعث إليهم من يردّهم إلى الطاعة وأنظرهم ثلاثة أيام ، فلما رجعوا قاتلهم وغـير ذلك ، وقد كان فى قتال أهل الحرة كفاية ، ولكن تجاوز الحد بإباحة المدينة ثلاثة أيام ، فوقع بسبب ذلك شرٌ عظيم كما قدمنا ، وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد . ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد . كما قال الامام أحمد: حـدثنا إسماعيل بن علية حدثنى صخر بن جويرية عن نافع . قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعـد فانا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول . « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ، وإن من أعظم الغـدر إلا أن يكون الاشراك بالله ، أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته » . فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم فى هذا الأمر . فيكون الفيصل بينى وبينه .

وقد رواه مسلم والترمذى من حديث صخر بن جويرية ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى عن صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر فذكر مثله .

ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ماتذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة متحريا للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة ، قالوا : فان ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذى خاف منى أو رجا حتى يظهر إلى الخشوع ؟ أفأطلعكم على ماتذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه . فقال لهم أبى الله ذلك على أهل الشهادة ، فقال : [إلا من شهد بالحق وهم يعلمون] ولست من أمركم فى شئ ، قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ماتريدوننى عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك ، قال : جيئونى بمثل أبى أقاتل على مثل ماقاتل عليه ، فقالوا : فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا ، قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاما تحض الناس فيه على القتال ، قال : سبحان الله !! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذاً ما نصحت لله فى عباده . قالوا : إذا نكرهك . قال : إذا آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق ، وخرج إلى مكة .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا مصعب الزبيرى ثنا ابن أبى حازم عن هشام عن زيد بن أسلم عن أبيه أن ابن عمر دخل وهو معه على ابن مطيع ، فلما دخل عليه . قال : مرحبا بأبى عبد الرحمن ضعوا له وسادة ، فقال : إنما جئتك لأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نزع يداً من طاعة فانه يأتى يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات مفارق الجماعة فانه يموت موتة جاهلية » . وهكذا رواه مسلم من حديث هشام بن سعد عن زيد عن أبيه عن ابن عمر به ، وتابعه إسحاق بن عبد الله ابن أبى طلحة عن زيد بن أسلم عن أبيه . وقد رواه الليث عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فذكره . وقال أبو جعفر الباقر : لم يخرج أحد من آل أبى طالب ولا من بنى عبد المطلب أيام الحرة ، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرمه وأدنى مجلسه وأعطاه كتاب أمان . وروى المدائنى أن مسلم بن عقبة بعث روح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرة ، فلما أخبره بما وقع قال : واقوماه ، ثم دعا الضحاك بن قيس الفهرى فقال له : ترى مالقى أهل المدينة ؟ فما الذى يجبرهم ؟ قال : الطعام والأعطية ، فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيته . وهذا خلاف ماذكره كذبة الروافض

عنه من أنه شمت بهم واشتفى بقتلهم ، وأنه أنشد ذكرا وأثرا شعر ابن الزبعرى المتقدم ذكره . وقال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام : حدثنى محمد بن القاسم سمعت الأصمعى يقول سمعت هارون الرشيد ينشد ليزيد بن معاوية : —

إنها بين عامر بن لؤى * حين تنمى وبين عبد مناف
ولها فى الطيبين جدود * ثم نالت مكارم الأخلاف
بنت عم النبى أكرم من * يمشى بنعل على التراب وحافى
لن تراها على التبذل والغلـ * ـظة إلا كدرة الأصداف

وقال الزبير بن بكار : أنشدنى عمى مصعب ليزيد بن معاوية بن أبى سفيان

آب هذا الهم فاكتنفا * ثم مر النوم فامتنعا
راعياً للنجم أرقبه * فاذا ما كوكب طلعا
حام حتى أننى لأرى * أنه بالغور قد وقعا
ولها بالمطارون إذا * أكل النمل الذى جمعا
نزهة حتى إذا بلغت * نزلت من جلق بيعا
فى قباب وسط دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

ومن شعره

وقائلة لى حين شبهت وجهها * ببدر الدجى يوماً وقد ضاق منهجى
تشبهنى بالبدر هذا تناقص * بقدرى ولكن لست أول من هجى
ألم تر أن البدر عند كماله * إذا بلغ التشبيه عاد كدملجى
فلا فخر إن شبهت بالبدر مبسمى * وبالسحر أجفانى وبالليل مدعجى

قد ذكره الزبير بن بكار عن أبى محمد الجزرى قال : كانت بالمدينة جارية مغنية يقال لها سلامة ، من أحسن النساء وجهاً ، وأحسنهن عقلاً وأحسنهن قدا ، قد قرأت القرآن . وروت الشعر وقالته ، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها . فعلقت الأحوص فصدت عن عبد الرحمن ؛ فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام فامتدحه ودله على سلامة وجمالها وحسنها وفصاحتها . وقال : لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين ، وأن تكون من سمارك . فأرسل يزيد فاشتريت له وحملت إليه ، فوقعت منه موقعا عظيما ، وفضلها على جميع من عنده ، ورجع عبد الرحمن إلى المدينة فمر بالأحوص فوجده مهموما ، فأراد أن يزيده إلى ما به من الهم هما فقال :

يا مبتلى بالحب مقروحا * لاقى من الحب تباريحا
أفحمه الحب فما ينثنى * إلا بكاس الحب مصبوحا
وصار ما يعجبه مغلقاً * عنه وما يكره مفتوحا
قد حازها من أصبحت عنده * ينال منها الشم والريحا
خليفة الله فسل الهوى * وعزّ قلباً منك مجروحا

قال : فأمسك الأحوص عن جوابه ثم غلبه وجده عليها فسار إلى يزيد فامتدحه فأكرمه يزيد وحظى عنده ، فدست إليه سلامة خادماً وأعطته مالاً على أن يدخله إليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلك ، فقال : امض لرسالتها ، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد فى مكان يراهما ولا يريانه ، فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فألقى له كرسى فقعد عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه إليه فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما ريبة ، حتى إذا همّ الأحوص بالخروج قال : —

أمسى فؤادى فى هم وبلبال * من حب من لم أزل منه على بال
فقالت : صحا المحبون بعد النأي إذ يئسوا * وقد يئست وما أصحوا على حال
فقال : من كان يسلو بيأس عن أخى ثقة * فعنك سلامُ ما أمسيتُ بالسالى
فقالت : والله والله لا أنساك ياشجنى * حتى تفارق منى الروح أوصالى
فقال : والله ما خاب من أمسى وأنت له * ياقرة العين فى أهل وفى مال

قال : ثم ودعها وخرج ، فأخذه يزيد ودعا بها فقال : أخبرانى عما كان فى ليلتكما واصدقانى ، فأخبراه وأنشداه ما قالا ، فلم يحرفا منه حرفا ولا غيرا شيئاً مما سمعه ، فقال لها يزيد : أتحبينه ؟ قالت : إى والله يا أمير المؤمنين

حباً شديداً جرى كالروح فى جسدى * فهل يفرق بين الروح والجسد ؟

فقال له : أتحبها ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين

حباً شديداً تليداً غير مطرف * بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال يزيد : إنكما لتصفان حبا شديداً خذها يا أحوص فهى لك ، ووصله صلة سنية . فرجع بها الأحوص إلى الحجاز وهو قرير العين . وقد روى أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغنا والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً ، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويلبس القرد قلانس الذهب ، وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرد حزن عليه . وقيل :

إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته . وذكروا عنه غير ذلك والله أعلم بصحة ذلك.

وقال عبد الرحمن بن أبي مذعور : حدثني بعض أهل العلم قال : آخر ماتكلم به يزيد بن معاوية : اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ، ولم أرده ، واحكم بيني وبين عبيد الله بن زياد . وكان نقش خاتمه آمنت بالله العظيم

مات يزيد بحوارين من قرى دمشق في رابع عشر ربيع الأول ، وقيل يوم الخميس للنصف منه ، سنة أربع وستين . وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين ، وكان مولده في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وقيل سبع وعشرين . ومع هذا فقد اختلف في سنه ومبلغ أيامه في الامارة على أقوال كثيرة ، وإذا تأملت ماذكرته لك من هذه التحديدات انزاح عنك الأشكال من هذا الخلاف ، فان منهم من قال : جاوز الأربعين حين مات فالله أعلم . ثم حمل بعد موته إلى دمشق وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وفي أيامه وسع النهر المسمى بيزيد في ذيل جبل قاسيون ، وكان جدولاً صغيراً فوسعه أضعاف ما كان يجري فيه من الماء .

وقال ابن عساكر : حدثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدي قاضي البحرين من لفظه وكتبه لي بخطه ـ قال : رأيت يزيد بن معاوية في النوم فقلت له : أنت قتلت الحسين ؟ فقال : لا ! فقلت له : هل غفر الله لك ؟ قال : نعم ، وأدخلني الجنة . قلت : فالحديث الذي يروى أن رسول الله (ص) « رأى معاوية يحمل يزيد فقال : رجل من أهل الجنة يحمل رجلا من أهل النار » ؟ فقال : ليس بصحيح . قال ابن عساكر . وهو كما قال ، فان يزيد بن معاوية لم يولد في حياة النبي (ص) . وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة .

وقال أبو جعفر بن جرير :

أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا ليلى وهو الذي يقول فيه الشاعر : ـ

إني أرى فتنة قدحان أولها * والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وخالد بن يزيد يكنى أبا هاشم كان يقال إنه أصاب علم الكيمياء ، وأبو سفيان ، وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم ، وهي التي يقول فيها الشاعر :

أنعمي أمَّ خالدٍ * ربَّ ساعٍ كقاعدِ

وعبد العزيز بن يزيد ويقال له الأسوار، وكان من أرمى العرب، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الذى يقول فيه الشاعر :

زعمَ الناسُ أنَّ خيرَ قريشٍ * كلهمْ حينَ يذكرونَ الأساوِرْ

وعبد الله الأصغر، وأبو بكر، وعتبة، وعبد الرحمن، والربيع، ومحمد، لأمهات أولاد شتى. ويزيد وحرب وعمر وعثمان. فهؤلاء خمسة عشر ذكراً، وكان له من البنات عاتكة ورملة وأم عبدالرحمن وأم يزيد، وأم محمد. فهؤلاء خمس بنات. وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب، والله سبحانه أعلم.

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية

أبى عبد الرحمن ويقال أبو يزيد ويقال أبو يعلى القرشى الأموى، وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم ابن عتبة بن ربيعة، بويع له بعد موت أبيه — وكان ولى عهده من بعده — فى رابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان رجلا صالحاً ناسكا، ولم تطل مدته، قيل: إنه مكث فى الملك أربعين يوما، وقيل عشرين يوما، وقيل شهرين، وقيل شهراً ونصف شهر، وقيل ثلاثة أشهر وعشرون يوما، وقيل أربعة أشهر فالله أعلم.

وكان فى مدة ولايته مريضا لم يخرج إلى الناس، وكان الضحاك بن قيس هو الذى يصلى بالناس ويسد الأمور، ثم مات معاوية بن يزيد هذا عن إحدى وعشرين وقيل ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوما، وقيل تسع عشرة سنة، وقيل عشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون سنة، وقيل: إنما عاش ثمانى عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة، وقيل عشرون، وقيل خمس وعشرون فالله أعلم. وصلى عليه أخوه خالد، وقيل عثمان بن عنبسة، وقيل الوليد بن عتبة وهو الصحيح، فانه أوصى إليه بذلك، وشهد دفنه مروان بن الحكم، وكان الضحاك بن قيس هو الذى يصلى بالناس بعده حتى استقر الأمر لمروان بالشام، ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق، ولما حضرته الوفاة قيل له ألا توصى فقال: لاأتزود مرارتها إلى اخرتى وأترك حلاوتها لبنى أمية، وكان رحمه الله أبيض شديد البياض كثير الشعر كبير العينين جعد الشعر أقنى الأنف، مدور الرأس، جميل الوجه كثير شعر الوجه دقيقه حسن الجسم. قال أبو زرعة الدمشقى: معاوية وعبد الرحمن وخالد أخوه، وكانوا من صالحى القوم وقال فيه بعض الشعراء — وهو عبد الله بن همام السلولى: —

تلقاها يزيدُ عن أبيه * فدونكها معاوى عن يزيدا
أديروها بنى حرب عليكمْ * ولا ترموا بها الغرضَ البعيدا

ويروى أن معاوية بن يزيد هذا نادى فى الناس الصلاة جامعة ذات يوم، فاجتمع الناس فقال لهم فيما قال: يا أيها الناس إنى قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه، فان أحببتم تركتها لرجل قوى كما

تركها الصديق لعمر ، وإن شئتم تركتها شورى فى ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لذلك ، وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم . ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى . ويقال إنه سقى ويقال إنه طعن .

ولما دفن حضر مروان دفنه فلما فرغ منه قال مروان : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم معاوية ابن يزيد ، فقال مروان : هو أبو ليلى الذى قال فيه أزنم الفزارى

إنى أرى فتنةً تغلى مراجلها * والملكُ بعدَ أبى ليلى لمن غلبا

قالوا : فكان الأمر كما قال ، وذلك أن أبا ليلى توفى من غير عهد منه إلى أحد ، فتغلب إلى الحجاز عبد الله بن الزبير ، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم ، وبايع أهل خراسان سلم بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة ، وأحبوه محبة عظيمة ، وسار فيهم سلم سيرة حسنة أحبوه عليها ، ثم أخرجوه من بين أظهرهم . وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق ، وطردوا عنهم عبيد الله بن زياد بعد ما كانوا بايعوه عليهم حتى يصير للناس إمام ، فأخرجوه عنهم ، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها ، وقد بايعوا بعده عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف ببَبَّة ، وأمه هند بنت أبى سفيان ، وقد جعل على شرطة البصرة هميان بن عدى السدوسى ، فبايعه الناس فى مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وقد قال الفرزدق

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعهدهم * وببةَ قد بايعتهُ غيرَ نادمِ

فأقام فيها أربعة أشهر ثم لزم بيته ، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلى بالناس ، فصلى بهم شهرين ، ثم كان ماسنذكره . وخرج نجدة بن عامر الحنفى باليمامة ، وخرج بنو ماحورا فى الأهواز وفارس وغير ذلك على ماسيأتى تفصيله قريباً إن شاء الله تعالى .

إمارة عبدالله بن الزبير
وعند ابن حزم وطائفة أنه امير المؤمنين آنذاك

قد قدمنا أنه لما مات يزيد أقلع الجيش عن مكة وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير وهو عائذ بالبيت فلما رجع حصين بن نمير السكونى بالجيش إلى الشام ، استفحل ابن الزبير بالحجاز وماوالاها ، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة هناك ، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير ، وأمره باجلاء بنى أمية عن المدينة فأجلاهم فرحلوا إلى الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير بعد حروب جرت بينهم وفتن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم فى أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحوا من أربعة أمراء من بينهم ثم تضطرب أمورهم ، ثم بعثوا إلى ابن الزبير

وهو بمكة يخطبونه لأنفسهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلى بهم ، ويقال إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن ، فقال الناس : هذا أمر فيه صعوبة ، وبايعه عبد الله بن جعفر وعبدالله ابن على بن أبى طالب ، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفية وابن عباس ليبايعوا فأبوا عليه . وبويع فى رجب بعد أن أقام الناس نحو ثلاثة أشهر بلا إمام . وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبدالرحمن ابن يزيد الأنصارى على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج ، واستوثق له المصران جميعاً ، وأرسل إلى مصر فبايعوه . واستناب عليها عبد الرحمن بن جحدر ، وأطاعت له الجزيرة ، وبعث على البصرة الحارث بن عبد الله بن ربيعة ، وبعث إلى اليمن فبايعوه ، وإلى خراسان فبايعوه ، وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايع ، وقيل إن أهل دمشق وأعمالها من بلاد الأردن لم يبايعوه ، لأنهم بايعوا مروان بن الحكم لما رجع الحصين بن نمير من مكة إلى الشام ، وقد كان التف على عبد الله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه ، منهم نافع بن الأزرق ، وعبد الله بن أباض ، وجماعة من رؤسهم . فلما استقر أمره فى الخلافة قالوا فيما بينهم : إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيه فى عثمان بن عفان — وكانوا ينتقصون عثمان — فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان فأجابهم فيه بما يسوؤهم ، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الايمان والتصديق ، والعدل والاحسان والسيرة الحسنة ، والرجوع إلى الحق إذا تبين له ، فعند ذلك نفروا عنه وفارقوه ، وقصدوا بلاد العراق وخراسان ، فتفرقوا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة ، التى لاتنضبط ولا تنحصر ، لأنها مفرعة على الجهل وقوة النفوس ، والاعتقاد الفاسد ، ومع هذا استحوذوا على كثير من البلدان والكور ، حتى انتزعت منهم على ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله .

ذكر بيعة مروان بن الحكم

وكان سبب ذلك أن حصين بن نمير لما رجع من أرض الحجاز وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ، وانتقلت بنو أمية من المدينة إلى الشام ، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد ، وقد كان معاوية بن يزيد قد عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق ، وقد بايع أهلها الضحاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقيم لهم أمرهم حتى [illegible] الناس على إمام ، والضحاك يريد أن يبايع لابن الزبير ، وقد بايع لابن الزبير النعمان بن بشير بحمص ، وبايع له زفر بن عبد الله الكلابى بقنسرين ، وبايع له نائل بن قيس بفلسطين ، وأخرج منها روح بن زنباع الجذامى ، فلم يزل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير بمروان بن الحكم يحسنون له أن يتولى ، حتى ثنوه عن رأيه وحذروه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام ، وقالوا له : أنت شيخ قريش وسيدها ، فأنت أحق بهذا الأمر . فرجع عن البيعة لابن الزبير ، وخاف ابن زياد الهلاك إن تولى غير بنى

أمية ، فعند ذلك ألف مولاه كلهم مع قومه بنى أمية ومع أهل اليمن على مروان ، فوافقهم على ما أرادوا ، وجعل يقول ماقلت شيء ، وكتب حسان بن مالك بن بحدل الكلبى إلى الضحاك بن قيس يثنيه عن المبايعة لابن الزبير ، و يعرفه أيادى بنى أمية عنده و إحسانهم ، ويذكر فضلهم وشرفهم ، وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبنى أمية ، وهو يدعو إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان ، و بعث إلى الضحاك كتابا بذلك ، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة على المنبر ، و بعث بالكتاب مع رجل يقال له ناغضة بن كريب الطابجى ، وقيل هو من بنى كلب وقال له : إن لم يقرأه هو على الناس فاقرأه أنت ، فأعطاه الكتاب فسار إلى الضحاك فأمره بقراءة الكتاب فلم يقبل ، فقام ناغض فقرأه على الناس فصدقه جماعة من أمراء الناس ، وكذبه آخرون ، وثارت فتنة عظيمة بين الناس ، فقام خالد بن يزيد بن معاوية وهو شاب حدث على درجتين من المنبر فسكن الناس ، ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ، وأمر الضحاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناغضة أن يسجنوا ، فثارت قبائلهم فأخرجوهم من السجن ، واضطرب أهل دمشق فى ابن الزبير و بنى أمية ، وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب الجيرون « فسمى هذا اليوم يوم جيرون »

قال المدائنى : وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أن يتولى عليهم فأبى ، وهلك فى تلك الليالى ، ثم إن الضحاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به ، ونال من يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من بنى كلب فضربه بعصى كانت معه ، والناس جلوس متقلدى سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا فى المسجد قتالا شديدا ، فقيس ومن لف لفيفها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحاك بن قيس ، و بنو كلب يدعون إلى بنى أمية وإلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، ويتعصبون ليزيد وأهل بيته ، فنهض الضحاك بن قيس فدخل دار الامارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس إلا يوم السبت لصلاة الفجر ، ثم أرسل إلى بنى أمية فجمعهم إليه فدخلوا عليه وفيهم مروان بن الحكم ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية . قال المدائنى : فاعتذر إليهم مما كان منه ، واتفق معهم أن يركب معهم إلى حسان بن مالك الكلبى فيتفقوا على رجل يرتضونه من بنى أمية للامارة ، فركبوا جميعا إليه ، فبينما هم يسيرون إلى الجابية لقصد حسان ، إذ جاء معن بن ثور بن الأخنس فى قومه قيس ، فقال له : إنك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبناك ، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابى ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له الضحاك : وما الرأى ؟ قال : الرأى أن نظهر ما كنا نسر ، وأن ندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها من أباها . فمال الضحاك بمن معه فرجع إلى دمشق ، فأقام بها بمن معه من الجيش من قيس ومن لف لفيفها ،

و بعث إلى أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير ، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك ، فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه ، وكتب إليه بنيابة الشام ، وقيل بل بايع لنفسه بالخلافة فالله أعلم .

والذى ذكره المدائنى أنه إنما دعا إلى بيعة ابن الزبير أولا ، ثم حسن له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه ، وذلك إنما فعله مكراً منه وكباراً ليفسد عليه ما هو بصدده ، فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام ، فنقم الناس عليه ذلك وقالوا : دعوتنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعته بلا سبب ولا عذر ، ثم دعوتنا إلى نفسك ؟ فرجع إلى البيعة لابن الزبير فسقط بذلك عند الناس ، وذلك الذى أراد ابن زياد . وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه بمروان وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه ، ثم فارق مروان ليخدع له الضحاك ، فنزل عنده بدمشق وجعل يركب إليه كل يوم ، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيوش إليه ليكون أمكن له ، فركب الضحاك إلى مرج راهط فنزل بمن معه من الجنود ، وعند ذلك اجتمع بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن واجتمع إليهم من هنالك من قوم حسان بن مالك من بنى كلب . ولما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لابن الزبير ، وما استوثق له من الملك ، عزم على الرحيل إليه لمبايعته وليأخذ منه أماناً لبنى أمية ، فسار حتى بلغ أذرعات فلقيه ابن زياد مقبلا من العراق فصده عن ذلك وهجن رأيه ، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص ، وحصين بن نمير ، وابن زياد ، وأهل اليمن وخلق ، فقالوا لمروان : أنت كبير قريش ، وخالد بن يزيد غلام ، وعبد الله بن الزبير كهل ، فإنما يقرع الحديد بعضه ببعض ، فلا تناوئه بهذا الغلام ، وارم بنحرك فى نحره ، ونحن نبايعك ، ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه بالجابية فى يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين ، قاله الواقدى ، فلما تمهد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس فالتقيا بمرج راهط فغلبه مروان بن الحكم وقتله وقتل من قيس مقتلة لم يسمع بمثلها ، على ما سيأتى تفصيله فى أول سنة خمس وستين . فإن الواقدى وغيره قالوا : إنما كانت هذه الوقعة فى المحرم من أول سنة خمس وستين . وفى رواية محمد بن سعد : وعن الواقدى وغيره قالوا : إنما كانت فى أواخر هذه السنة . وقال الليث بن سعد والواقدى والمدائنى وأبو سليمان بن يزيد وأبو عبيدة وغير واحد : كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذى الحجة سنة أربع وستين والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري رضي الله عنه

قد تقدم أن الضحاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبى سفيان ، وكان يصلى عنهم إذا اشتغلوا

أو غابوا ، ويقيم الحدود ويسد الأمور ، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه ، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد ، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه الناس من دمشق حتى تجتمع الناس على إمام ، فلما اتسعت البيعة لابن الزبير عزم على المبايعة له ، فخطب الناس يوما وتكلم في يزيد بن معاوية وذمه ، فقامت فتنة في المسجد الجامع ، حتى اقتتل الناس فيه بالسيوف ، فسكن الناس ثم دخل دار الامارة من الخضراء وأغلق عليه الباب ، ثم اتفق مع بنى أمية على أن يركبوا إلى حسان ابن مالك بن بحدل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على من يراه أهلا للامارة ، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد ، ويزيد ابن ميسون ، وميسون بنت بحدل ، أخت حسان ، فلما ركب الضحاك معهم انخذل بأكثر الجيش فرجع إلى دمشق فامتنع بها ، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير ، وسار بنو أمية ومعهم مروان وعمرو بن سعيد ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية . وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحاك بن قيس ، فعزم مروان على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ أمانا منه لبنى أمية ، فانه كان قد أمر بأجلائهم عن المدينة ، فسار حتى وصل إلى أذرعات فلقيه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق ، فاجتمع به ومعه حصين بن نمير ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، فحسنوا إليه أن يدعو إلى نفسه ، فانه أحق بذلك من ابن الزبير الذى قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء ، فلم يزالوا بمروان حتى أجابهم إلى ذلك ، وقال له عبيد الله بن زياد : وأنا أذهب لك إلى الضحاك إلى دمشق فأخدعه لك وأخذل أمره ، فسار إليه وجعل يركب إليه كل يوم ويظهر له الود والنصيحة والمحبة ، ثم حسن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير فانك أحق بالأمر منه ، لأنك لم تزل فى الطاعة مشهوراً بالأمانة ، وابن الزبير خارج عن الناس ، فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصمد معه ، فرجع إلى الدعوة لابن الزبير ، ولكنه انحط بها عند الناس ، ثم قال له ابن زياد : إن من يطلب ما تطلب لا ينزل المدن والحصون ، وإنما ينزل الصحراء ويدعو إليه بالجنود ، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فنزله ، وأقام ابن زياد بدمشق وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبد الله عند خالهم حسان بالجابية ، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته ، فدعا إلى نفسه ، وتزوج بأم خالد بن يزيد – وهى أم هاشم . بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة – فعظم أمره وبايعه الناس ، واجتمعوا عليه ، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس ، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عباد بن زياد ، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً ، وبدمشق من جهته يزيد بن أبى النمر ، وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يمد مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك . ويقال كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن بن أم الحكم ، وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص ، وبعث الضحاك

إلى النعمان بن بشير فأمده النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذى الكلاع . وركب إليه زفر ابن الحارث الكلابى فى أهل قنسرين . فكان الضحاك فى ثلاثين ألفاً ، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلى ، وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلالى ، فتصافوا وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون بالمرج فى كل يوم فيقتتلون قتالا شديداً ، ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى الموادعة خديعة فان الحرب خدعة ، وأنت وأصحابك على الحق ، وهم على الباطل ، فنودى فى الناس بذلك ، ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتالا شديداً ، وصبر الضحاك صبرا بليغا ، فقتل الضحاك بن قيس فى المعركة ، قتله رجل يقال له زحمة بن عبد الله من بنى كلب ، طعنه بحربة فأنفذه ولم يعرفه . وصبر مروان وأصحابه صبرا شديدا حتى فر أولئك بين يديه ، فنادى مروان : ألا لاتتبعوا مدبراً ، ثم جىء برأس الضحاك ، ويقال إن أول من بشره بقتله روح بن زنباع الجذامى ، واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم . وروى أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط ، فقال : أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك ؟

قلت : ولم تطل مدته فى الملك إلا تسعة أشهر على ما سنذكره .

وقد كان الضحاك بن قيس بن خالد الاكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان ابن محارب بن فهر بن مالك ، أبو أنيس الفهرى أحد الصحابة على الصحيح ، وقد سمع من النبى (ص) وروى عنه أحاديث عدة ، وروى عنه جماعة من التابعين ، وهو أخو فاطمة بنت قيس وكانت أكبر منه بعشر سنين ، وكان أبو عبيدة بن الجراح عمه . حكاه ابن أبى حاتم . وزعم بعضهم أنه لا صحبة له ، وقال الواقدى : أدرك النبى (ص) وسمع منه قبل البلوغ . وفى رواية عن الواقدى أنه قال : ولد الضحاك قبل وفاة النبى (ص) بسنتين . وقد شهد فتح دمشق وسكنها وله بها دار عند حجر الذهب مما يلى نهر بردا ، وكان أميراً على أهل دمشق يوم صفين مع معاوية ، ولما أخذ معاوية الكوفة استنابه بها فى سنة أربع وخمسين . وقد روى البخارى فى التاريخ أن الضحاك قرأ سورة ص فى الصلاة فسجد فيها فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود فى السجود . ثم استنابه معاوية عنده على دمشق فلم يزل عنده حتى مات معاوية وتولى ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد ، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبأنا على بن زيد عن الحسن بن الضحاك بن قيس كتب إلى الهيثم حين مات يزيد بن معاوية : السلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، فتنا كقطع الدخان ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمنا ويصبح

كافراً ، يبيع أقوام أخلاقهم بدينهم بعرض من الدنيا قليل » . وإن يزيد بن معاوية قد مات وأنتم إخواننا وأشقاؤنا فلا تسبقونا حتى نحتال لأنفسنا . وقد روى ابن عساكر من طريق ابن قتيبة عن العباس بن الفرج الرياشي عن يعقوب بن إسحاق بن ثوبة عن حماد بن زيد . قال : دخل الضحاك ابن قيس على معاوية فقال معاوية منشداً له :

تطاولتُ للضحاكِ حتى رددتهُ * إلى حسبٍ فى قومهِ متقاصرِ

فقال الضحاك : قد علم قومنا أنا أحلاس الخيل ، فقال : صدقت ، أنتم أحلاسها ونحن فرسانها يريد معاوية أنتم راضة وساسة ، ونحن الفرسان - . ورأى أن أصل الكلمة من الحلس وهو كساء يكون تحت البرذعة أى أنه لازم ظهر الفرس كما يلزم الحلس ظهر البعير والدابة . وروى أن مؤذن دمشق قال للضحاك بن قيس : والله أيها الأمير إنى لأحبك فى الله . فقال له الضحاك : ولكنى والله أبغضك فى الله . قال : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأنك تتراءى فى أذانك وتأخذ على تعليمك أجرا .

قتل الضحاك رحمه الله يوم مرج راهط وذلك للنصف من ذى الحجة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وأبو عبيد والواقدى وابن زبر والمدائنى .

وفيها مقتل النعمان بن بشير الانصاري

وأمه عمرة بنت رواحة ، كان النعمان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار ، فى جمادى الأولى سنة ثنتين من الهجرة ، فأتت به أمه تحمله إلى النبى ص، فحنكه وبشرها بأنه يعيش حميداً ، ويقتل شهيدا ، ويدخل الجنة ، فعاش فى خير وسعة ، وولى نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر ، ثم سكن الشام ، وولى قضاءها بعد فضالة بن عبيد ، وفضالة بعد أبى الدرداء . وناب بحمص لمعاوية ، وهو الذى رد آل رسول الله ص، إلى المدينة بأمر يزيد له فى ذلك ، وهو الذى أشار على يزيد بالاحسان إليهم فرق لهم يزيد وأحسن إليهم وأكرمهم ، ثم لما كانت وقعة مرج راهط وقتل الضحاك بن قيس ، وكان النعمان قد أمده بأهل حمص . فقتلوه بقرية يقال لها بيرين ، قتله رجل يقال له خالد بن خلى المازنى وقتل خلى بن داود وهو جد خالد بن خلى . وقد رثته ابنته فقالت :

ليتَ ابنَ مزنةَ وابنهُ * كانوا لقتلكَ واقيةْ
وبنى أميةَ كلهمْ * لم تبقَ منهمْ باقيةْ
جاءَ البريدُ بقتلهِ * يا للكلابِ العاويةْ
يستفتحونَ برأسهِ * دارتْ عليهمْ فانيةْ
فلأبكينَ سريرةً * ولأبكين علانيةْ
ولأ بكينكَ ما حييـ * ـتُ معَ السباعِ العاديةْ

وقيل إن أعشى همدان قدم على النعمان بن بشير وهو على حمص وهو مريض ، فقال له النعمان : ما أقدمك ؟ قال : لتصلنى وتحفظ قرابتى وتقضى دينى ، فقال : والله ما عندى ، ولكنى سائلهم لك شيئاً ، ثم قام فصعد المنبر ثم قال : يا أهل حمص ، إن هـذا ابن عمكم من العراق ، وهو مسترفدكم شيئاً فما ترون ؟. فقالوا : احتكم فى أموالنا ، فأبى عليهم ، فقالوا : قد حكمنا من أموالنا كل رجل دينارين ـ وكانوا فى الديوان عشرين ألف رجل ـ فعجلها له النعمان من بيت المال أربعين ألف دينار ، فلما خرجت أعطياتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين .

ومن كلام النعمان بن بشير رضى الله عنه قوله : إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل السيئات فى زمان البلاء . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو اليمان ثنا إسماعيل بن عياش عن أبى رواحة يزيد ابن أيهم عن الهيثم بن مالك الطائى سمعت النعمان بن بشير على المنبر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن للشيطان مصالى وفخوخا ، وإن من مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله ، والفخر بعطاء الله ، والكبر على عباد الله ، واتباع الهوى فى غير ذات الله » . ومن أحاديثه الحسان الصحاح ما سمعه من رسول الله ﷺ يقول : « إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهى القلب » . رواه البخارى ومسلم .

وقال أبو مسهر : كان النعمان بن بشير على حمص عاملا لابن الزبير ، فلما تملك مروان خرج النعمان هاربا فاتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله . قال أبو عبيدة وغير واحد : فى هذه السنة . وقد روى محمد بن سعد بأسانيده أن معاوية تزوج امرأة جميلة جداً فبعث إحدى امرأتيه ـ ميسون أو فاختة ـ لتنظر إليها . فلما رأتها أعجبتها جداً ، ثم رجعت إليه فقال: كيف رأيتها ؟ قالت : بديعة الجمال ، غير أنى رأيت تحت سرتها خالا أسود ، وإنى أحسب أن زوجها يقتل ويلقى رأسه فى حجرها . فطلقها معاوية وتزوجها النعمان بن بشير ، فلما قتل ألقى برأسه فألقى فى حجرها سنة خمس وستين ، وقال سليمان بن زبر قتل بسلمية سنة ست وخمسين . وقال غيره : سنة خمس وستين ، وقيل سنة ستين والصحيح ما ذكرناه .

وفيها توفى المسور بن مخرمة بن نوفل ، صحابى صغير ، أصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير بمكة وهو قائم يصلى فى الحجر . وهو من أعيان من قتل فى حصار مكة وهو المسور بن مخرمة بن نوفل أبو عبد الرحمن الزهرى ، أمه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف ، له صحبة ورواية ، ووفد على معاوية ،

وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب ، وقيل إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعا ، وصلى ركعتين ، وقيل إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب مرصع بالياقوت فلم يدر ماهو ، فلقيه رجل من الفرس فقال له : بعنيه بعشرة آلاف ، فعلم أنه شيء له قيمة ، فبعث بة إلى سعد بن أبي وقاص فنفله إياه ، فباعه بمائة ألف . ولما توفي معاوية قدم مكة فأصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير لمارموا به الكعبة ، فمات من بعد خمسة أيام ، وغسله عبد الله بن الزبير ، وحمله في جملة من حمل إلى الحجون ، وكانوا يطأون به القتلى ، ويمشون به بين أهل الشام ، واحتكر المسور بن مخرمة طعاماً في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى سحابا فكرهه ، فلما أصبح غدا إلى السوق فقال : من جاءني أعطيته ، فقال عمر : أجننت يا أبا مخرمة ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت سحابا فكرهت ما فيه الناس فكرهت أن أربح فيه شيئاً ، فقال له عمر : جزاك الله خيراً . ولد المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين.

المنذر بن الزبير بن العوام

ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمائة ألف ، وأقطعه أرضا ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال . وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام يقاتلون أهل الشام بالنهار ، ويطعمانهم بالليل . قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه ، ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن ينزل في قبره

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف

كان شابا دينا فاضلا . قتل مصعب أيضا في حصار مكة مع ابن الزبير .

وممن قتل في وقعة الحرة محمد بن أبي بن كعب ، وعبد الرحمن بن أبي قتادة ، وأبو حكيم معاذ بن الحارث الأنصاري الذي أقامه عمر يصلي بالناس ، وقتل يومئذ ولدان لزينب بنت أم سلمة ، وزيد بن محمد بن سلمة الأنصاري قتل يومئذ ، وقتل معه سبعة من إخوته وغير هؤلاء رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين . وفيها توفي الأخنس بن شريق ، شهد فتح مكة وكان مع علي يوم صفين

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وستين - جرت حروب كثيرة وفتن منتشرة ببلاد المشرق واستحوذ على بلاد خراسان رجل يقال له عبد الله بن خازم ، وقهر عمالها وأخرجهم منها ، وذلك بعد موت يزيد وابنه معاوية ، قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي ، وجرت بين عبد الله ابن خازم هذا وبين عمرو بن مرثد حروب يطول ذكرها وتفصيلها ، اكتفينا بذكرها إجمالا إذ لا يتعلق بذكرها كبير فائدة ، وهي حروب فتنة وقتال بغاة بعضهم في بعض ، والله المستعان .

وقال الواقدي : وفي هذه السنة بعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل خراسان سلم بن زياد بن

أبيه ، وأحبوه حتى أنهم سموا باسمه فى تلك السنة أكثر من ألف غلام مولود ، ثم نكثوا واختلفوا فخرج عنهم سلم وترك عليهم المهلب بن أبى صفرة

وفيها اجتمع ملأ الشيعة على سليمان بن صرد بالكوفة ، وتواعدوا النخيلة ليأخذوا بثأر الحسين ابن على بن أبى طالب ، وما زالوا فى ذلك مجدين ، وعليه عازمين ، من مقتل الحسين بكربلاء من يوم عاشوراء عشرة المحرم سنة إحدى وستين ، وقد ندموا على ما كان منهم من بعثهم إليه ، فلما أتاهم خذلوه وتخلوا عنه ولم ينصروه * فجادت بوصل حين لاينفع الوصل * فاجتمعوا فى دار سليمان بن صرد وهو صحابى جليل ، وكان رؤس القائمين فى ذلك خمسة ، سليمان بن صرد الصحابى ، والمسيب بن نجبة الفزارى أحد كبار أصحاب على ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى ، وعبد الله بن وال التيمى ، ورفاعة بن شداد البجلى . وكلهم من أصحاب على رضى الله عنه ، فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ على تأمير سليمان بن صرد عليهم ، فتعاهدوا وتعاقدوا وتواعدوا النخيلة ، وأن يجتمع من يستجيب لهم إلى ذلك الموضع بها فى سنة خمس وستين ، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئاً كثيراً وأعدوه لذلك . وقام المسيب بن نجبة خطيباً فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فقد ابتلينا بطول العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين فى نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن كتبنا إليه وراسلناه ، فأتانا طمعا فى نصرتنا إياه ، فخذلناه وأخلفناه ، وأتينا به إلى من قتله وقتل أولاده وذريته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذلنا عنهم بألسنتنا ، ولا قويناهم بأموالنا ، فالويل لنا جميعا ويلا متصلا أبداً لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتله والممالئين عليه ، أو نقتل دون ذلك وتنهب أموالنا وتخرب ديارنا ، أيها الناس قوموا فى ذلك قومة رجل واحد ، وتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم . وذكر كلاما طويلا . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن يجتمعوا بالنخيلة فى السنة الآتية .

وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك فاستجاب له ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن ، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول ، وتمالؤا عليه وتواعدوا النخيلة فى التاريخ المذكور . وكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد بذلك ففرح أهل الكوفة من موافقة أهل المدائن لهم على ذلك ، وتنشطوا لأمرهم الذى تمالؤا عليه . فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بعد قليل ، طمعوا فى الأمر ، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا ، ولم يبق من يقيم لهم أمرا ، فاستشاروا سليمان فى الظهور وأن يخرجوا إلى النخيلة قبل الميقات ، فنهاهم عن ذلك وقال : لا ، حتى يأتى الأجل الذى واعدنا إخواننا فيه ، ثم هم فى الباطن يعدون السلاح والقوة

ولا يشعر بهم جمهور الناس ، وحينئذ عمد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حريث نائب عبيد الله ابن زياد على الكوفة فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب دحروجة ، فبايع لعبد الله بن الزبير ، فهو يسد الأمور حتى تأتى نواب ابن الزبير . فلما كان يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من هذه السنة – أعنى سنة أربع وستين – قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير ، أحدهما عبد الله بن يزيد الخطمى ، على الحرب والثغر ، والآخر إبراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله التيمى ، على الخراج والأموال . وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار بن أبى عبيد – وهو المختار بن أبى عبيد الثقفى الكذاب – فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيما زائداً ، وهم معدون للحرب. فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدى محمد بن على بن أبى طالب ،وهو محمد بن الحنفية فى الباطن ، ولقبه المهدى ، فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة وفارقوا سليمان بن صرد ، وصارت الشيعة فرقتين ،الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة ، وجاءت العين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخطمى نائب ابن الزبير بما تمالأ عليه فرقتا الشيعة على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون ، وأشار من أشار عليه بأن يبادر إليهم ويحتاط عليهم ويبعث الشرط والمقاتلة فيقمعهم عما مجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة . فقام خطيباً فى الناس وذكر فى خطبته مابلغه عن هؤلاء القوم ، وما أجمعوا عليه من الامر ، وأن منهم من يريد الأخذ بثأر الحسين ، ولقد علموا أنى لست ممن قتله ، وإنى والله لممن أصيب بقتله وكره قتله ، فرحمه الله ولعن قاتله ، وإنى لا أتعرض لأحد قبل أن يبدأنى بالشر ، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بثأر الحسين فليعمدوا إلى ابن زياد فانه هو الذى قتل الحسين وخيار أهله فليأخذوا منه بالثأر ، ولا يخرجوا بسلاحهم على أهل بلدهم ، فيكون فيه حتفهم واستئصالهم . فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال : أيها الناس لا يغرنكم من أنفسكم كلام هذا المداهن ؛ إنا والله قد استيقنا من أنفسنا أن قوما يريدون الخروج علينا ، ولنأخذن الوالد بالولد والولد بالوالد ، والحميم بالحميم ، والعريف بما فى عرافته ، حتى تدينوا بالحق وتذلوا للطاعة . فوثب إليه المسيب بن نجبة الفزارى فقطع كلامه فقال : يا ابن الناكثين أنهددنا بسيفك وغشمك ؟ أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك ، وإنا لنرجوا أن نلحقك بهما قبل أن تخرج من هذا القصر . وساعد المسيب بن نجبة من أصحاب إبراهيم بن محمد ابن طلحة جماعة من العمال ، وجرت فتنة وشىء كبير فى المسجد ، فنزل عبد الله بن يزيد الخطمى

عن المنبر وحاولوا أن يوفقوا بين الأميرين فلم يتفق لهم ذلك ، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن صرد بالسلاح ، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس ، وركبوا مع سليمان بن صرد فقصدوا نحو الجزيرة ، وكان من أمرهم ما سنذكره .

وأما المختار بن عبيد الثقفي الكذاب فانه قد كان بغيضا إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو ذاهب إلى الشام بأهل العراق ، فلجأ إلى المدائن ، فأشار المختار على عمه وهو نائب المدائن بأن يقبض على الحسين ويبعثه إلى معاوية فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فامتنع عم المختار من ذلك ، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك ، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان وقتله ابن زياد ، كان المختار يومئذ بالكوفة فبلغ ابن زياد أنه يقول : لأقومن بنصرة مسلم ولآخذن بثأره ، فأحضره بين يديه وضرب عينه بقضيب كان بيده فشترها ، وأمر بسجنه ، فلما بلغ أخته سجنه بكت وجزعت عليه ، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من السجن ، فبعث يزيد إلى ابن زياد : أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن عبيد من السجن ، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك ، فأخرجه وقال له : إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك . فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول : والله لأقطعن أنامل عبيد الله بن زياد ، ولأقتلن بالحسين بن علي على عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا . فلما استفحل أمر عبد الله بن الزبير بايعه المختار بن عبيد ، وكان من كبار الأمراء عنده ، ولما حاصره الحصين بن نمير مع أهل الشام قاتل المختار دون ابن الزبير أشد القتال ، فلما بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق ، نقم على ابن الزبير في بعض الأمر وخرج من الحجاز فقصد الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهيئون للصلاة ، فجعل لا يمر بملأ إلا سلم عليه وقال : أبشروا بالنصر . ودخل المسجد فصلى إلى سارية هنالك حتى أقيمت الصلاة ، ثم صلى من بعد الصلاة حتى صليت العصر ، ثم انصرف فسلم عليه الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظموه ، وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفية ، ويظهر الانتصار لأهل البيت ، وأنه ما جاء إلا بصدد أن يقيم شعارهم ، ويظهر منارهم ، ويستوفي ثأرهم ، ويقول للناس الذين اجتمعوا على سليمان بن صرد من الشيعة ـ وقد خشي أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان ـ فجعل يخذلهم ويستميلهم إليه ويقول لهم : إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الرضى ، والامام المهدي ، بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النعماء ، وأن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو غشمة من الغشم ، وشن بال ليس بذي تجربة للأمور ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، وإني إنما أعمل على مثل مثل لي ، وأمر قد بين لي ، فيه عز وليكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني وأطيعوا أمري ، ثم أبشروا

وتباشروا ، فانى لكم بكل ما تأملون وتحبون كفيل . فالتف عليه خلق كثير من الشيعة ، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن صرد ، فلما خرجوا مع سليمان إلى النخيلة قال عمر بن سعد بن أبى وقاص وشبث بن ربعى وغيرهما لعبد الله بن زياد نائب الكوفة : إن المختار بن أبى عبيد أشد عليكم من سليمان بن صرد ، فبعث إليه الشرط فأحاطوا بداره فأخذ فذهب به إلى السجن مقيداً ، وقيل بغير قيد ، فأقام به مدة ومرض فيه . قال أبو مخنف : فحدثنى يحيى بن أبى عيسى أنه قال : دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدى نعوده ونتعاهده . فسمعته يقول : أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطين الأخيار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لدن خطار ، ومهند بتار ، بجند من الأخيار ، وجموع من الأنصار ، ليسوا بميل الأغمار ، ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، وجبرت صدع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركت ثأر أولاد النبيين ، لم أبك على زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا دنا . قال : وكان كلما أتيناه وهو فى السجن يردد علينا هذا القول حتى خرج .

ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام ابن الزبير

قال ابن جرير : وفى هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وذلك لأنه مال جدارها من رمى المنجنيق فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود فى تابوت فى سرق من حرير ، وادخر ما كان فى الكعبة من حلى وثياب وطيب ، عند الخزان حتى أعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل ، وذلك كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن ، من طرق عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : «لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر ، فان قومك قصرت بهم النفقة ، ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، ولألصقت بابها بالأرض فان قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا » . فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ ، فجزاه الله خيرا . ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف فى سنة ثلاث وسبعين كما سيأتى ، هدم الحائط الشمالى وأخرج الحجر كما كان أولا ، وأدخل الحجارة التى هدمها فى جوف الكعبة فرصها فيه ، فارتفع الباب وسد الغربى ، وتلك آثاره إلى الآن ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان فى ذلك ، ولم يكن بلغه الحديث ، فلما بلغه الحديث قال : وددنا أنا تركناه وما تولى من ذلك . وقد هم ابن المنصور المهدى أن يعيدها على مابناها ابن الزبير ، واستشار الامام مالك بن أنس فى ذلك ، فقال : إنى أكره أن يتخذها الملوك لعبة ، - يعنى يتلاعبون فى بنائها بحسب آرائهم - فهذا يرى رأى ابن الزبير ، وهذا يرى رأى

عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأياً آخر والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة أخوه عبيد الله ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمى ، وعلى قضائها سعيد بن المرزبان ، وامتنع شريح أن يحكم فى زمان الفتنة ، وعلى البصرة عمر بن معمر التيمى ؛ وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم ، وكان فى أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قدمنا ، وقد استقر ملك الشام لمروان بن الحكم ، وذلك بعد ظفره بالضحاك بن قيس وقتله له فى الوقعة ، وقيل إن فيها دخل مروان مصر وأخذها من نائبها الذى من جهة ابن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جحدر . واستقرت يد مروان على الشام ومصر وأعمالها والله أعلم .

وقال الواقدى : لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاور الناس فى هدمها فأشار عليه جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها ، فلا تزال تهدم حتى يتهاون الناس بحرمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما يتهدم من بنيانها . ثم إن ابن الزبير استخار الله ثلاثة أيام ، ثم غدا فى اليوم الرابع فبدأ ينقض الركن إلى الأساس ، فلما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلا بالحجر مشبكا كأصابع اليدين ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلا فأمرهم أن يحفروا ، فلما ضربوا بالمعاول فى تلك الأحجار المشبكة ارتجت مكة فتركه على حاله ، ثم أسس عليه البناء ، وجعل للكعبة بابين موضوعين بالأرض ، باب يدخل منه وباب يخرج منه ، ووضع الحجر الأسود بيده ، وشده بفضة لأنه كان قد تصدع ، وزاد فى وسع الكعبة عشرة أذرع ، ولطخ جدرانها بالمسك وسترها بالديباج ، ثم اعتمر من مساجد عائشة وطاف بالبيت وصلى وسعى ، وأزال ما كان حول الكعبة من الزبالة ، وما كان حولها من الدماء ، وكانت الكعبة قد وهت من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق ، واسود الركن وانصدع الحجر الأسود من النار التى كانت حول الكعبة ، وكان سبب تجديد ابن الزبير لها ماثبت فى الصحيحين من حديث عائشة المتقدم ذكره والله أعلم

ثم دخلت سنة خمس وستين

فيها اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفا ، كلهم يطلبون الأخذ بثأر الحسين ممن قتله ، قال الواقدى : لما خرج الناس إلى النخيلة كانوا قليلا ، فلم تعجب سليمان قلتهم ، فأرسل حكيم ابن منقذ فنادى فى الكوفة بأعلى صوته : ياثارات الحسين ، فلم يزل ينادى حتى بلغ المسجد الأعظم ، فسمع الناس فخرجوا إلى النخيلة وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريبا من عشرين ألفا أو يزيدون ، فى ديوان سليمان بن صرد ، فلما عزم على المسير بهم لم يصف معه منهم سوى أربعة آلاف ، فقال

المسيب بن نجبة لسليمان : إنه لاينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية ، وباع نفسه لله عز وجل ، فلا تنتظرن أحداً وامض لأمرك فى جهاد عدوك واستعن بالله عليهم . فقام سليمان فى أصحابه وقال : يا أيها الناس ! من كان إنما خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقون معه : ماللدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا ، فقيل له : أنسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلته عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره ؟ فقال سليمان : إن ابن زياد هو الذى جهز الجيش إليه وفعل به مافعل ، فاذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ، ولو قاتلتموهم أولاً وهم أهل مصركم ماعدم الرجل منكم أن يرى رجلا قد قتل أباه قد قتل أخاه أو حميمه ، فيقع التخاذل ، فاذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت . فنادى فيهم : سيروا على اسم الله تعالى ، فساروا عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول

وقال فى خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزبرجدها فليس معنا مما يطلب شىء ، وإنما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح فى أكفنا ، وزاد يكفينا حتى نلقى عدونا . فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه ، وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولا ، فليس له إلا السيف ، وها هو قد أقبل من الشام قاصداً العراق . فصمم الناس معه على هذا الرأى ، فلما أزمعوا على ذلك بعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد أمراء الكوفة من جهة ابن الزبير ، إلى سليمان بن صرد يقولان له : إنا نحب أن تكون أيدينا واحدة على ابن زياد ، وأنهم يريدون أن يبعثوا معهم جيشا ليقويهم على ماهم قد قصدوا له ، وبعثوا بريدا بذلك ينتظرهم حتى يقدموا عليه ، فتهيأ سليمان بن صرد لقدومهم عليه فى رؤس الأمراء ، وجلس فى أبهته والجيوش محدقة به ، وأقبل عبد الله بن يزيد وابراهيم بن طلحة فى أشراف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين ، لئلا يطمعوا فيهم ، وكان عمر بن سعد بن أبى وقاص فى هذه الأيام كلها لايبيت إلا فى قصر الامارة عند عبد الله بن يزيد خوفا على نفسه ، فلما اجتمع الاميران عند سليمان بن صرد قالا له وأشارا عليه أن لايذهبوا حتى تكون أيديهما واحدة على قتال ابن زياد ، ويجهزوا معهم جيشاً ، فان أهل الشام جمع كثير وجم غفير ، وهم يحاجفون عن ابن زياد ، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال : إنا خرجنا لأمر لانرجع عنه ولا نتأخر فيه . فانصرف الأميران راجعين إلى الكوفة ، وانتظر سليمان بن صرد وأصحابه أصحابهم الذين كانوا قد واعدوهم من أهل البصرة وأهل المدائن فلم يقدموا عليهم ولا واحد منهم ، فقام سليمان فى أصحابه خطيباً وحرضهم على الذهاب لما خرجوا عليه ، وقال : لوقد سمع إخوانكم بخروجكم للحقوكم سراعا . فخرج سليمان وأصحابه من النخيلة يوم الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول سنة خمس وستين ، فسار بهم

مراحل ، مايتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلف عنه طائفة من الناس الذين معه ، فلما مروا بقبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وتباكوا وباتوا عنده ليلة يصلون ويدعون ، وظلوا يوما يترحمون عليه ويستغفرون له ويترضون عنه ويتمنون أن لوكانوا ماتوا معه شهداء .قلت: لوكان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلة ، لكان أنفع له وأنصر من اجتماع سليمان وأصحابه لنصرته بعد أربع سنين ، ولما أرادوا الانصراف جعل لايريم أحد منهم حتى يأتى القبر فيترحم عليه ويستغفر له ، حتى جعلوا يزدحمون أشد من ازدحامهم عند الحجر الأسود . ثم ساروا قاصدين الشام ، فلما اجتازوا بقرقيسيا تحصن منهم زفر بن الحارث ، فبعث إليه سليمان بن صرد : إنا لم نأت لقتالكم فأخرج إلينا سوقا فانا إنما نقيم عندكم يوما أو بعض يوم ، فأمر زفر بن الحارث أن يخرج إليهم سوق ، وأمر للرسول إليه وهو المسيب بن نجبة بفرس وألف درهم . فقال : أما المال فلا . وأما الفرس فنعم . وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن صرد ورؤس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزورا وطعاما وعلفا كثيرا ، ثم خرج زفر بن الحارث فشيعهم ، وسار مع سليمان بن صرد وقال له : إنه قد بلغنى أن أهل الشام قد جهزوا جيشا كثيفا وعدداً كثيراً ، مع حصين بن نمير ، وشرحبيل بن ذى الكلاع ، وأدهم بن محرز الباهلى . وربيعة بن مخارق الغنوى ، وجبلة بن عبد الله الخثعمى . فقال سليمان بن صرد : على الله توكلنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ثم عرض عليهم زفر أن يدخلوا مدينته ويكونوا عند بابها ، فان جاءهم أحد كان معهم عليه ، فأبوا أن يقبلوا وقالوا : قد عرض علينا أهل بلدنا مثل ذلك فامتنعنا . قال : فاذ أبيتم ذلك فبادروهم إلى عين الوردة ، فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم . ومابيننا وبينكم فأنتم آمنون منه ، ثم أشار عليهم بما يعتمدونه فى حال القتال فقال : ولا تقاتلوهم فى فضاء فانهم أكثر منكم عدداً فيحيطون بكم ، فانى لا أرى معكم رجالا والقوم ذووا رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم . فأثنى عليه سليمان بن صرد والناس خيراً ، ثم رجع عنهم ، وسار سليمان بن صرد فبادر إلى عين الوردة فنزل غربيها ، وأقام هناك قبل وصول أعدائه إليه ، واستراح سليمان وأصحابه واطمأنوا

وقعة عين وردة

فلما اقترب أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابه فرغبهم فى الآخرة وزهدهم فى الدنيا ، وحثهم على الجهاد ، وقال : إن قتلت فالأمير عليكم المسيب بن نجبة ، فان قتل فعبدالله بن سعد بن نفيل ، فان قتل فعبد الله بن وال ، فان قتل فرفاعة بن شداد ، ثم بعث بين يديه المسيب بن نجبة فى خمسمائة فارس ، فأغاروا على جيش ابن ذى الكلاع وهم غارون ، فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين .

واستاقوا نعما، وأتى الخبر إلى عبيد الله بن زياد فأرسل بين يديه الحصين بن نمير فى إثنى عشر ألفا، فصبح سليمان بن صرد وجيشه واقفون فى يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى، وحصين بن نمير قائم فى إثنى عشر ألفا، وقد تهيأ كل من الفريقين لصاحبه، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول فى طاعة مروان بن الحكم، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلونه عن الحسين، وامتنع كل من الفريقين أن يجيب إلى ما دعا إليه الآخر، فاقتتلوا قتالا شديداً عامة يومهم إلى الليل، وكانت الدائرة فيه للعراقيين على الشاميين، فلما أصبحوا أصبح ابن ذى الكلاع وقد وصل إلى الشاميين فى ثمانية عشرة ألف فارس، وقد أنبه وشتمه ابن زياد، فاقتتل الناس فى هذا اليوم قتالا لم ير الشيب والمرد مثله قط، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل، فلما أصبح الناس من اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن محرز فى عشرة آلاف، وذلك فى يوم الجمعة، فاقتتلوا قتالا شديداً إلى حين ارتفاع الضحى، ثم استدار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب، فخطب سليمان بن صرد الناس وحرضهم على الجهاد، فاقتتل الناس قتالا عظيما جداً، ثم ترجل سليمان بن صرد وكسر جفن سيفه ونادى ياعباد الله، من أراد الرواح، إلى الجنة والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فليأت إلى، فترجل معه ناس كثيرون وكسروا جفون سيوفهم، وحملوا حتى صاروا فى وسط القوم. وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا فى الدماء، وقتل سليمان بن صرد أمير العراقيين، رماه رجل يقال له يزيد بن الحصين بسهم فوقع، ثم وثب ثم وقع ثم وثب ثم وقع، وهو يقول: فزت ورب الكعبة، فأخذ الراية المسيب بن نجبة فقاتل بها قتالا شديدا وهو يقول: –

قد علمت ميالة الذوائبْ * واضحة اللباتِ والترائبْ

أنى غداةَ الروعِ والتغالبْ * أشجعُ من ذى لبدةٍ مواثبْ

* قصاعُ أقرانٍ مخوفُ الجانبْ *

ثم قاتل قتالا شديداً فقضى ابن نجبة نحبه، ولحق فى ذلك الموقف صحبه رحمهم الله، فأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل فقاتل قتالا شديداً أيضا، وحمل حينئذ ربيعة بن مخارق على أهل العراق حملة منكرة. وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نفيل، ثم اتحدا فحمل ابن أخى ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله. ثم احتمل عمه، فأخذ الراية عبد الله بن وال، فحرض الناس على الجهاد وجعل يقول: الرواح إلى الجنة – وذلك بعد العصر – وحمل بالناس ففرق من كان حوله ثم قتل – وكان من الفقهاء المفتيين – قتله أدهم بن محرز الباهلى أمير حرب الشاميين ساعتئذ، فأخذ الراية رفاعة بن شداد فانحاز بالناس وقد دخل الظلام، ورجع الشاميون إلى رحالهم، وانشمر رفاعة بمن بقى معه راجعا إلى بلاده، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كروا راجعين إلى بلادهم، فلم يبعثوا وراءهم طلباً ولا أحداً

لما لقوا منهم من القتل والجراح ، فلما وصلوا الى هيت إذا سعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن معه من أهل المدائن ، قاصدين إلى نصرتهم ، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم ، ونعوا إليه أصحابهم ترحموا عليهم واستغفروا لهم وتباكوا على إخوانهم ، وانصرف أهل المدائن إليها ، ورجع راجعة أهل الكوفة إليها ، وقد قتل منهم خلق كثير وجم غفير ، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو فى السجن لم يخرج منه ، فكتب إلى رفاعة بن شداد يعزيه فيمن قتل منهم ويترحم عليهم ويغبطهم بما نالوا من الشهادة ، وجزيل الثواب ويقول : مرحبا بالذين أعظم الله أجورهم ورضى عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه فى أرواح النبيين والشهداء والصالحين ، وبعد فأنا الأمير المأمون ، قاتل الجبارين والمفسدين إن شاء الله ؛ فأعدوا واستعدوا وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت . وذكر كلاما كثيراً فى هذا المعنى .

وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه الذى كان يأتى إليه من الشياطين ، فانه قد كان يأتى إليه شيطان فيوحى إليه قريباً مما كان يوحى شيطان مسيلمة إليه ، وكان جيش سليمان بن صرد وأصحابه يسمى بجيش التوابين رحمهم الله ، وقد كان سليمان بن صرد الخزرجى صحابيا جليلا نبيلا عابداً زاهدا ، روى عن النبى ص أحاديث فى الصحيحين وغيرهما ، وشهد مع على صفين ، وكان أحد من كان يجتمع الشيعة فى داره لبيعة الحسين ، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقدوم إلى العراق ، فلما قدمها تخلوا عنه وقتل بكربلاء بعد ذلك ، ورأى هؤلاء أنهم كانوا سببا فى قدومه ، وأنهم خذلوه حتى قتل هو وأهل بيته ، فندموا ، على ما فعلوا معه ، ثم اجتمعوا فى هذا الجيش وسموا جيشهم جيش التوابين ، وسموا أميرهم سليمان بن صرد أمير التوابين ، فقتل سليمان رضى الله عنه فى هذه الوقعة بعين وردة سنة خمس وستين ، وقيل سنة سبع وستين . والأول أصح . وكان عمره يوم قتل ثلاثا وتسعين سنة رحمه الله . وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجية إلى مروان بن الحكم بعد الوقعة ، وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفرهم من عدوهم . فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق ، وقد قال : أهلك الله رؤس الضلال سليمان ابن صرد وأصحابه ، وعلق الرؤس بدمشق ، وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز . وأخذ بيعة الأمراء على ذلك فى هذه السنة ، قاله ابن جرير وغيره .

وفيها دخل مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدق إلى الديار المصرية فأخذاها من نائبها الذى كان لعبد الله بن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جحدم ، وكان سبب ذلك أن مروان قصدها

فخرج إليه نائبها ابن جحدم فقابله مروان ليقاتله فاشتغل به ، وخلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جحدم فدخل مصر فملكها ، وهرب عبد الرحمن ودخل مروان إلى مصر فملكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز . وفيها بعث ابن الزبير أخاه مصعبا ليفتح له الشام ، فبعث إليه مروان عمرو بن سعيد فتلقاه إلى فلسطين فهرب منه مصعب بن الزبير وكر راجعا ولم يظفر بشيء . واستقر ملك الشام ومصر لمروان .

وقال الواقدي : إن مروان حاصر مصر فخندق عبد الرحمن بن جحدم على البلد خندقا ، وخرج في أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل في خواص أهل البلد فقتل منهم خلق كثير ، وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدى كرب الكلاعي أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرق الناس وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلا تخلفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأكيدر بن حملة اللخمي ، وكان من قتلة عثمان ، وذلك في نصف جمادى الآخر يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنازته فدفنوه في داره ، واستولى مروان على مصر وأقام بها شهراً ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان وموسى بن نصير وزيراً له ، وأوصاه بالاحسان إلى الأكابر ورجع إلى الشام —

وفيها جهز مروان جيشين أحدهما مع حبيش بن دلجة العتبي ليأخذ له المدينة ، وكان من أمره ما سنذكره ، والآخر مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعه من نواب ابن الزبير ، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صرد وكان من أمرهم ماتقدم ذكره . واستمر جيش الشاميين ذاهباً إلى العراق ، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة ، وكان سبب موته أنه تزوج بأم خالد امرأة يزيد ابن معاوية ، وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وإنما أراد مروان بتزويجه إياها ليصغر ابنها خالداً في أعين الناس ، فانه قد كان في نفوس كثير من الناس منه (١) أن يملكوه بعد أخيه معاوية ، فتزوج أمه ليصغر أمره ، فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان ، إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه ، فلما جلس قال له فيما خاطبه به : يا ابن الرطبة الاست ، فذهب خالد إلى أمه فأخبرها بما قال له ، فقالت : اكتم ذلك ولا تعلمه أنك أعلمتني بذلك ، فلما دخل عليها مروان قال لها : هل ذكرني خالد عندك بسوء ؟ فقالت له : وما عساه يقول لك وهو يحبك ويعظمك ؟ ثم إن

(١) كذا بالأصلين ، ولعل كلمة : منه زائدة ، أو ان في العبارة سقطاً .

مروان رقد عندها ،فلما أخذه النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحاملت عليها هى وجواريها حتى مات غما ، وكان ذلك فى ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ،وقيل إحدى وثمانون سنة ، وكانت إمارته تسعة أشهر ، وقيل عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام .

ترجمة مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشى الأموى ،أبو عبد الملك و يقال أبو الحكم ، و يقال أبو القاسم ، وهو صحابى عند طائفة كثيرة لأنه ولد فى حياة النبى (ص) ، و روى عنه فى حديث صلح الحديبية ، وفى رواية فى صحيح البخارى عن مروان والمسور بن مخرمة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله ، و روى مروان عن عمر وعثمان وكان كاتبه ـ أى كان كاتب عثمان ـ وعلى و زيد بن ثابت و بسيرة بنت صفوان الأزدية وكانت حماته ، وقال الحاكم أبو أحمد : كانت خالته ، ولامنافاة بين كونها حماته وخالته . و روى عنه ابنه عبد الملك وسهل بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين زين العابدين ومجاهد وغيرهم . قال الواقدى ومحمد بن سعد : أدرك النبى (ص) ولم يحفظ عنه شيئاً ، وكان عمره ثمان سنين حين توفى النبى (ص)، وذكره بن سعد فى الطبقة الأولى من التابعين ، وقد كان مروان من سادات قريش وفضلائها ، روى ابن عساكر وغيره أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها فقالت : قد خطبها جرير بن عبد الله البجلى وهو سيد شباب المشرق ، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قريش ، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم ، فقالت المرأة : أجادٌ يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قالت : قد زوجتك يا أمير المؤمنين . وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه ، وكان كاتب الحكم بين يديه ، ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، و بسببه حصر عثمان بن عفان فيها . وألح عليه أولئك أن يسلم مراون إليهم فامتنع عثمان أشد الامتناع ، وقد قاتل مروان يوم الدار قتالا شديداً ، وقتل بعض الخوارج ، وكان على الميسرة يوم الجمل ، و يقال إنه رمى طلحة بسهم فى ركبته فقتله فالله أعلم .

وقال أبو الحكم : سمعت الشافعى يقول : كان على يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان فقيل له فى ذلك فقال : إنه يعطفنى عليه رحم ماسة ، وهو سيد من شباب قريش . وقال ابن المبارك عن جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية : من تركت لهذا الأمر من بعدك ؟ فقال : أما القارئ لكتاب الله ، الفقيه فى دين الله ، الشديد فى حدود الله ، مروان بن الحكم . وقد استنابه على المدينة غير مرة ، يعزله ثم يعيده إليها ، وأقام للناس

الحج فى سنين متعددة ، وقال حنبل عن الامام أحمد ، قال يقال كان عند مروان قضاء ، وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب . وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول وذكر مروان يوما فقال قال مروان : قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ثم أصبحت فيما أنا فيه ، من إهراق الدماء وهذا الشان . وقال إسماعيل ابن عياش عن صفوان بن عمرة عن شريح بن عبيد وغيره . قال : كان مروان إذا ذكر الاسلام قال:

بنعمتِ ربى لا بما قدمتْ يدى * ولا بتراثى إننى كنتُ خاطئا

وقال الليث عن يزيد بن حبيب عن سالم أبى النضر أنه قال : شهد مروان جنازة فلما صلى عليها انصرف ، فقال أبو هريرة : أصاب قيراطاً وحرم قيراطاً ، فأخبر بذلك مروان فأقبل يجرى حتى بدت ركبتاه ، فقعد حتى أذن له . وروى المدائنى عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد أن مروان كان أسلف على بن الحسين حتى يرجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار ، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من على بن الحسين شيئاً ، فبعث إليه عبد الملك بذلك فامتنع من قبولها ، فألح عليه فقبلها . وقال الشافعى : أنبأنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان ولا يعيدانها ، ويعتدان بها . وقد روى عبد الرزاق عن الثورى عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : أول من قدم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان ، فقال له رجل : خالفت السنة : فقال له مروان : إنه قد ترك ماهنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ماعليه ، سمعت رسول الله (ص) يقول : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » . قالوا : ولما كان نائبا بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة فاستشارهم فيها . قالوا : وهو الذى جمع الصيعان فأخذ بأعدلها فنسب إليه الصاع ، فقيل صاع مروان ، وقال الزبير بن بكار : حدثنا إبراهيم ابن حمزة حدثنى ابن أبى على اللهبى عن إسماعيل بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه . قال : خرج أبو هريرة من عند مروان فلقيه قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له : يا أباهريرة ، إنه أشهدنا الآن على مائة رقبة أعتقها الساعة ، قال : فغمز أبو هريرة يدى وقال : يا أبا سعيد ، بك من كسب طيب خير من مائة رقبة . قال الزبير : البك الواحد .

وقال الامام أحمد : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد . قال قال رسول الله (ص) . « إذا بلغ بنو أبى فلان ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ، ودين الله دخلا ، وعباد الله خولا » . ورواه أبو يعلى عن زكريا بن زحويه عن صالح بن عمر عن مطرف عن عطية عن أبى سعيد . قال قال رسول الله (ص) « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دخلا ، وعباد الله خولا ، ومال الله دولا » . وقد رواه الطبرانى عن أحمد بن عبد الوهاب عن أبى

المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذر . قال سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا » . وذكره ، وهذا منقطع ، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة من قوله « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا » فذكره ، ورواه البيهقي وغيره من حديث ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب عن معاوية وعبد الله بن عباس عن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين اتخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباد الله خولا ، وكتاب الله دغلا ، فاذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة ، وأن رسول الله (ص) ذكر عبد الملك بن مروان فقال أبو الجبابرة الأربعة » . وهذه الطرق كلها ضعيفة . وروى أبو يعلى وغيره من غير وجه عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة : « أن رسول الله (ص) رأى في المنام أن بني الحكم يرقون على منبره وينزلون ، فأصبح كالمتغيظ ، وقال : رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة ، فما رؤي رسول الله (ص) مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات » ورواه الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا وفيه « فأوحى الله إليه إنما هي دنيا أعطوها» . فقرت عينه » وهي قوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) يعني بلاء للناس واختباراً ، وهذا مرسل وسنده إلى سعيد ضعيف . وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة ، فلهذا أضربنا صفحا عن إيرادها لعدم صحتها .

وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي (ص) ، وإنما أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ثم طرده النبي (ص) إلى الطائف ، ومات بها ، ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان لأنه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفد ، ولما كان متوليا على المدينة لمعاوية كان يسب علياً كل جمعة على المنبر ، وقال له الحسن بن علي : لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه فقال : لعن الله الحكم وما ولد والله أعلم

وقد تقدم أن حسان بن مالك لما قدم عليه مروان أرض الجابية ، أعجبه إتيانه إليه ، فبايع له وبايع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الأمرة لخالد بن يزيد ، ويكون لمروان إمرة حمص ، ولعمرو بن سعيد نيابة دمشق ، وكانت البيعة لمروان يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وغيره ، وقال الليث : وكانت وقعة مرج راهط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر بيومين ، قالوا : فغلب الضحاك بن قيس واستوثق له ملك الشام ومصر ، فلما استقر ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك ، ثم من بعده لولده عبد العزيز ـ والد عمر بن عبد العزيز ـ وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، لأنه كان لا يراه أهلا للخلافة ،

و وافقه على ذلك مالك بن حسان ، و إن كان خالا لخالد بن يزيد : وهو الذى قام بأعباء بيعة عبد الملك ، ثم ان أم خالد دبرت أمر مروان فسمته ويقال : بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادة فمات مخنوقا ثم إنها أعلنت الصراخ هى وجواريها وصحن : مات أمير المؤمنين فجأة . ثم قام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنذكره . وقال عبد الله بن أبى مذعور : حدثنى بعض أهل العلم قال : كان آخر ما تكلم به مروان : وجبت الجنة لمن خاف النار ، وكان نقش خاتمه العزة لله . وقال الأصمعى : حدثنا عدى بن أبى عمار عن أبيه عن حرب بن زياد قال : كان نقش خاتم مروان آمنت بالعزيز الرحيم

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى وقيل ثلاث وستين سنة ، وقال أبو معشر : كان عمره يوم توفى إحدى وثمانين سنة ، وقال خليفة : حدثنى الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاث وستين ، وصلى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوما ، وقال غيره : عشرة أشهر . وقال ابن أبى الدنيا وغيره : كان قصيراً أحمر الوجه أوقص دقيق العنق كبير الرأس واللحية ، وكان يلقب خيط باطل ، قال ابن عساكر وذكر سعيد بن كثير بن عفير أن مروان مات حين انصرف من مصر بالصنبرة ويقال بلد ، وقد قيل إنه مات بدمشق ودفن بين باب الجابية و باب الصغير .

وكان كاتبه عبيد بن أوس ، وحاجبه المنهال مولاه ، وقاضيه أبو إدريس الخولانى ، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغسانى ، وكان له من الولد عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومعاوية . وغير هؤلاء ، وكان له عدة بنات من أمهات شتى

خلافة عبد الملك بن مروان

بويع له بالخلافة فى حياة أبيه ، فلما مات أبوه فى ثالث رمضان منها جددت له البيعة بدمشق ومصر وأعمالها ، فاستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه ، وقد كان أبوه قبل وفاته بعث بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعها من نواب ابن الزبير ، فلقى فى طريقه جيش التوابين مع سليمان بن صرد عند عين الوردة ، فكان من أمرهم ما تقدم ، من ظفره بهم ، وقتله أميرهم وأكثرهم. والبعث الآخر مع حبيش بن دلجة إلى المدينة ليرتجعها من نائب ابن الزبير : فسار نحوها ، فلما انتهى إليها هرب نائبها جابر بن الأسود بن عوف ، وهو ابن أخى عبد الرحمن بن عوف ، فجهز نائب البصرة من قبل ابن الزبير وهو الحارث بن عبد الله بن ربيعة ، جيشا من البصرة إلى ابن دلجة بالمدينة ، فلما سمع بهم حبيش بن دلجة سار إليهم . و بعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائبا عن المدينة ،

وأمره أن يسير فى طلب حبيش ، فسار فى طلبهم حتى لحقهم بالربذة فرمى يزيد بن سياه حبيشاً بسهم فقتله ، وقتل بعض أصحابه وهزم الباقون ، وتحصن منهم خمسمائة فى المدينة ثم نزلوا على حكم عباس ابن سهل فقتلهم صبراً ، ورجع فلهم إلى الشام

قال ابن جرير : ولما دخل يزيد بن سياه الاسوارى قاتل حبيش بن دلجة إلى المدينة مع عباس ابن سهل كان عليه ثياب بياض وهو راكب برذوناً أشهب ، فما لبث أن اسودت ثيابه ودابته مما يتمسح الناس به ومن كثرة ماصبوا عليه من الطيب والمسك .

وقال ابن جرير : وفى هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وفيها قتل نافع بن الأزرق وهو رأس الخوارج ورأس أهل البصرة ، مسلم بن عبيس فارس أهل البصرة ، ثم قتله ربيعة السلوطى وقتل بينهما نحو خمسة أمراء ، وقتل فى وقعة الخوارج قرة بن إياس المزنى أبو معاوية ، وهو من الصحابة . ولما قتل نافع بن الأزرق رأست الخوارج عليهم عبيد الله بن ماجور ، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا أهلها ثم غلبوا على الأهواز وغيرها ، وجبوا الأموال وأتتهم الأمداد من اليمامة والبحرين ، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عتاب بن ورقاء الرياحى ، فالتقاهم فهزمهم ، ولما قتل أمير الخوارج ابن ماجور كما سنذكر ، أقاموا عليهم قطرى بن الفجاءة أميراً

ثم أورد ابن جرير قصة قتالهم مع أهل البصرة بمكان يقال له دولاب ، وكانت الدولة للخوارج على أهل البصرة ، وخاف أهل البصرة من الخوارج أن يدخلوا البصرة ، فبعث ابن الزبير فعزل نائبها عبد الله بن الحارث المعروف بببّه ، بالحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المعروف بالقباع ، وأرسل ابن الزبير المهلب بن أبى صفرة الأزدى على عمل خراسان ، فلما وصل إلى البصرة قالوا له : إن قتال الخوارج لا يصلح إلا لك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد بعثنى إلى خراسان ، ولست أعصى أمره. فاتفق أهل البصرة مع أميرهم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة على أن كتبوا كتابا على لسان ابن الزبير إلى المهلب يأمره فيه بالمسير للخوارج ليكفهم عن الدخول إلى البصرة ، فلما قرئ عليه الكتاب اشترط على أهل البصرة أن يقوى جيشه من بيت مالهم ، وأن يكون له ماغلب عليه من أموال الخوارج ، فأجابوه إلى ذلك ، ويقال إنهم كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأمضى لهم ذلك وسوّغه ، فسار إليهم المهلب . وكان شجاعا بطلا صنديداً ، فلما أراد قتال الخوارج أقبلوا إليه يزفون فى عدة لم ير مثلها من الدروع والزرود والخيول والسلاح ، وذلك أن لهم مدة يأكلون تلك النواحى ، وقد صار لهم تحمل عظيم مع شجاعة لا تدانا ، وإقدام لا يسامى ، وقوة لا تجارى ، وسبق إلى حومة الوغى فلما تواقف الناس بمكان يقال له سل وَسل ابرى ، اقتتلوا قتالا شديداً عظيما ، وصبر كل من الفريقين

صبراً باهراً ، وكان فى نحو من ثلاثين ألفا ، ثم إن الخوارج حملوا حملة منكرة ، فانهزم أصحاب المهلب لا يلوى والد على ولد ، ولا يلتفت أحد إلى أحد ، ووصل إلى البصرة فَلٌّ لهم ، وأما المهلب فانه سبق المنهزمين فوقف لهم بمكان مرتفع ، وجعل ينادى : إلى عباد الله ، فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان ، فقام فيهم خطيبا فقال فى خطبته : أما بعد أيها الناس ، فان الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهزمون ، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ، ولعمرى ما بكم الآن من قلة ، وأنتم فرسان الصبر وأهل النصر ، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن [ولو كانوا فيكم مازادوكم إلا خبالا] ثم قال : عزمت على كل رجل منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم فانهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيولهم فى طلب إخوانكم ، فوالله إنى لأرجو أن لا ترجع خيولهم إلا وقد استبحتم عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم . ففعل الناس ذلك ، فزحف بهم المهلب بن أبى صفرة على معشر الخوارج فقتل منهم خلقا كثيراً نحواً من سبعة آلاف ، وقتل عبيد الله بن الماجور فى جماعة كثيرة من الازارقة ، واحتاز من أموالهم شيئا كثيراً ، وقد أرصد المهلب خيولا بينه وبين الذين يرجعون من طلب المنهزمين ، فجعلوا يقتطعون دون قومهم ، وانهزم فلهم إلى كرمان وأرض أصبهان ، وأقام المهلب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة ، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة كما سيأتى قريباً

قال ابن جرير : وفى هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمدا إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر . قلت : محمد بن مروان هذا هو والد مروان الحمار ، وهو مروان بن محمد بن مروان ، وهو آخر خلفاء بنى أمية ، ومن يده استلبت الخلافة العباسيون كما سيأتى .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة عزل ابن الزبير أخاه عبيد الله عن إمرة المدينة وولاها أخاه مصعبا ، وذلك أن عبيد الله خطب الناس فقال فى خطبته : وقد رأيتم ما صنع الله بقوم صالح فى ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فلما بلغت أخاه قال : إن هذا لهو التكلف ، وعزله . ويسمى عبيد الله مقوم الناقة لذلك ، قال ابن جرير : وفى آخرها عزل ابن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمى ، وولى عليها عبد الله بن مطيع الذى كان أمير المهاجرين يوم الحرة ، لما خلعوا يزيد .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة ، وقال ابن الجوزى فى المنتظم : كان فى سنة أربع وستين ، وقد قيل إنما كان فى سنة تسع وستين ، وهذا هو المشهور الذى ذكره شيخنا الذهبى وغيره ، وكان معظم ذلك بالبصرة ، وكان ذلك فى ثلاثة أيام ، فمات فى أول يوم من الثلاثة من أهل البصرة سبعون ألفا ، وفى اليوم الثانى منها إحدى وسبعون ألفا ، وفى اليوم الثالث منها ثلاثة وسبعون ألفا ، وأصبح الناس فى اليوم الرابع موتى الا قليل من آحاد الناس ، حتى ذكر أن

أم الأمير بها ماتت فلم يوجد لها من يحملها ، حتى استأجروا لها أربعة أنفس . وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : حدثنا عبيد الله ثنا أحمد بن عصام حدثنى معدى عن رجل يكنى أبا النفيد ، وكان قد أدرك من هـذا الطاعون ، قال : كنا نطوف بالقبائل وندفن الموتى ، فلما كثروا لم نقو عـلى الدفن ، فكنا ندخل الدار وقـد مات أهلها فنسد بابها عليهم . قال فدخلنا دارا ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حيا فسددنا بابها ، فلما مضت الطواعين كنا نطوف فنفتح تلك السدد عن الأبواب ، ففتحنا سـدة الباب الذى كنا فتشناه ــ أو قال الدار التى كنا سددناها ــ وفتشناها فاذا نحن بغلام فى وسط الدار طرى دهين ، كأنما أخذ ساعتئذ من حجر أمـه : قال : فبينما نحن وقوف على الغلام نتعجب منه إذ دخلت كلبـة من شق فى الحائط فجعلت تلوذ بالغلام والغـلام يحبو إليها حتى مص من لبنها ، قال معدى : وأنا رأيت ذلك الغلام فى مسجد البصرة وقد قبض على لحيته

قال ابن جرير : وفى هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير الكعبة البيت الحرام ، يعنى أكمل بناءها وأدخل فيها الحجر ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قال ابن جرير : حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل حدثنى عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعانى أبو محمد حـدثنى زياد بن جبل أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير ، فسمعته يقول : حدثتنى أمى أسماء بنت أبى بكر أن رسول الله (ص) قال لعائشة : « لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد فى الكعبة من الحجر » : قال : فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا تلاعا أمثال الابل ، فحركوا منها تلعة ــ أو قال صخرة ــ فبرقت برقة فقال : أقروها عـلى أساسها ، فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر

قلت : هـذا الحديث له طرق متعددة عن عائشـة فى الصحاح والحسان والمسانيد ، وموضوع سياق طرق ذلك فى كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن جرير فى هذه السنة حروبا جرت بين عبـد الله بن خازم بخراسان ، وبين الحرشى ابن هلال القريعى يطول تفصيلها . قال : وحج بالناس فى هذه السنة عبـد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى .

وممن توفى فيها من الأعيان عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أبو محمد السهمى كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم ، وكتب عن النبى (ص) كثيراً ، أسلم قبل أبيه ، ولم يكن أصغر من أبيه الا باثنى عشرة سنة ، وكان واسع العلم مجتهداً فى العبادة ، عاقلا ، وكان يلوم أباه فى القيام مع معاوية ،

وكان سميناً ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة ، وقيل إنه بكى حتى عمى ، وكان يقوم الليل و يصوم يوما و يفطر يوما و يصوم يوما . استنابه معاوية على الكوفة ثم عزله عنها بالمغيرة بن شعبة ، توفى فى هذه السنة بمصر . وقتل بمكة عبد الله بن سعدة الفزارى ، له صحبة ، نزل دمشق وقيل إنه من سبى فزارة

ثم دخلت سنة ست وستين

فقيها وثب المختار بن أبى عبيد الثقفى الكذاب بالكوفة ليأخذوا ثأر الحسين بن على فيما يزعم ، وأخرج عنها عاملها عبد الله بن مطيع ، وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صرد مغلو بين إلى الكوفة وجدوا المختار بن أبى عبيد مسجونا فكتب إليهم يعزيهم فى سليمان بن صرد و يقول : أنا عوضه وأنا أقتل قتلة الحسين . فكتب إليه رفاعة بن شداد وهو الذى رجع بمن بقى من جيش التوابين نحن على ما تحب ، فشرع المختار يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، وقال لهم فيما كتب به إليهم خفية : أبشروا فانى لو قد خرجت إليهم جردت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف فجعلتهم باذن الله ركاما ، وقتلهم أفرادا وتوأما ، فرحب الله بمن قارب منهم واهتدى ، ولا يبعد الله إلا من أبى وعصى ، فلما وصلهم الكتاب قرؤه سراً وردوا إليه : إنا كما تحب ، فمتى أحببت أخرجناك من محبسك ، فكره أن يخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة ، فتلطف فكتب إلى زوج أخته صفية ، وكانت امرأة صالحة ، و زوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب إليه أن يشفع فى خروجه عند نائبي الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمى و إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فكتب ابن عمر إليهما يشفع عندهما فيه ، فلم يمكنهما رده ، وكان فيما كتب إليهما ابن عمر : قد علمتما ما بينى و بينكما من الود ، وما بينى و بين المختار من القرابة والصهر ، وأنا أقسم عليكما لما خليتما سبيله والسلام .

فاستدعيا به فضمنه جماعة من أصحابه ، واستحلفه عبد الله بن يزيد إن هو بغى للمسلمين غائلة فعليه ألف بدنة ينحرها تجاه الكعبة ، وكل مملوك له عبد وأمة حر ، فالتزم لهما بذلك ، ولزم منزله ، وجعل يقول : قاتلهما الله ، أما حلفانى بالله ، فانى لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يمينى ، وأتيت الذى هو خير ، وأما إهدائى ألف بدنة فيسير ، وأما عتق مما ليكى فوددت أنه قد استتم لى هذا الأمر ولا أملك مملوكا واحداً ، واجتمعت الشيعة عليه وكثر أصحابه و بايعوه فى السر . وكان الذى يأخذ البيعة له و يحرض الناس عليه خمسة ، وهم السائب بن مالك الأشعرى ، و يزيد بن أنس ، وأحمد بن شميط ، ورفاعة بن شداد ، وعبد الله بن شداد الجشمى . ولم يزل أمره يقوى و يشتد و يستفحل و يرتفع ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد و إبراهيم بن محمد

ابن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع نائبا عليها ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة نائباً على البصرة ، فلما دخل عبد الله بن مطيع المخزومي إلى الكوفة في رمضان سنة خمس وستين ، خطب الناس وقال في خطبته : إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أمرني أن أسير في فيئكم بسيرة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان . فقام إليه السائب بن مالك الشيعي فقال : لا نرضى إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا ، ولا نريد سيرة عثمان ـ وتكلم فيه ـ ولا سيرة عمر وإن كان لا يريد للناس إلا خيراً ، وصدقه على ما قال بعض أمراء الشيعة ، فسكت الأمير وقال : إني سأسير فيكم بما تحبون من ذلك ، وجاء صاحب الشرطة وهو إياس بن مضارب البجلي إلى ابن مطيع فقال : إن هذا الذي يرد عليك من رؤس أصحاب المختار ، ولست آمن من المختار ، فابعث إليه فاردده إلى السجن فان عيوني قد أخبروني أن أمره قد استجمع له ، وكأنك به وقد وثب في المصر . فبعث إليه عبد الله ابن مطيع زائدة بن قدامة وأميراً آخر معه ، فدخلا على المختار فقالا له : أجب الأمير . فدعا بثيابه وأمر باسراج دابته ، وتهيأ للذهاب معهما ، فقرأ زائدة بن قدامة [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك] الآية . فألقى المختار نفسه وأمر بقطيفة أن تلقى عليه ، وأظهر أنه مريض ، وقال : أخبرا الأمير بحالي ، فرجعا إلى ابن مطيع فاعتذرا عنه ، فصدقهما ولهاعنه . فلما كان شهر المحرم من هذه السنة عزم المختار على الخروج لطلب الأخذ بثأر الحسين فيما يزعم ، فلما صمم على ذلك اجتمعت عليه الشيعة وثبطوه عن الخروج الآن إلى وقت آخر ، ثم أنفذوا طائفة منهم إلى محمد بن الحنفية يسألونه عن أمر المختار وما دعا إليه ، فلما اجتمعوا به كان ملخص ما قال لهم إنا لا نكره أن ينصرنا الله بمن شاء من خلقه ، وقد كان المختار بلغه مخرجهم إلى محمد بن الحنفية ، فكره ذلك وخشي أن يكذبه فيما أخبر به عنه ، فانه لم يكن باذن محمد بن الحنفية ، وهم بالخروج قبل رجوع أولئك ، وجعل يسجع لهم سجعاً من سجع الكهان بذلك ، ثم كان الأمر على ما سجع به ، فلما رجعوا أخبروه بما قال ابن الحنفية ، فعند ذلك قوى أمر الشيعة على الخروج مع المختار بن أبي عبيد .

وقد روى أبو مخنف أن أمراء الشيعة قالوا للمختار : اعلم أن جميع أمراء الكوفة مع عبد الله بن مطيع وهم إلب علينا ، وإنه إن بايعك إبراهيم بن الأشتر النخعي وحده أغنانا عن جميع من سواه . فبعث إليه المختار جماعة يدعونه إلى الدخول معهم في الأخذ بثأر الحسين ، وذكروه سابقة أبيه مع علي رضي الله عنه ، فقال : قد أجبتكم إلى ما سألتم ، على أن أكون أنا ولي أمركم . فقالوا : إن هذا لا يمكن ، لأن المهدي قد بعث لنا المختار وزيراً له وداعياً إليه ، فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر فرجعوا إلى المختار فأخبروه ، فمكث ثلاثا ثم خرج في جماعة من رؤس أصحابه إليه ، فدخل على ابن الأشتر فقام إليه واحترمه وأكرمه وجلس إليه ، فدعاه إلى الدخول معهم ، وأخرج له كتابا على لسان ابن الحنفية

يدعوه إلى الدخول مع اصحابه من الشيعه فيما قاموا فيـه من نصرة آل بيت النبي «ص.»، والأخذ بثأرهم . فقال ابن الأشتر : إنه قد جائتني كتب محمد بن الحنفية بغير هذا النظام ، فقال المختار : إن هذا زمان وهـذا زمان ، فقال ابن الأشتر : فمن يشهد أن هذا كتابه ؟ فتقدم جماعة من أصحاب المختار فشهدوا بذلك ، فقام ابن الأشتر من مجلسه وأجلس المختار فيه وبايعه ، ودعا لهم بفاكهة وشراب من عسل. قال الشعبي : وكنت حاضرا أنا وأبي أمر إبراهيم بن الأشتر . ذلك المجلس ، فلما انصرف المختار قال إبراهيم بن الأشتر : ياشعبي ماترى فيما شهد به هؤلاء ؟ فقلت : إنهم قراء وأمراء ووجوه الناس : ولاأراهم يشهدون إلا بمـا يعلمون ، قال : وكتمته ما في نفسي من اتهامهم ، ولكني كنت أحب أن يخرجوا للأخذ بثأر الحسين ، وكنت على رأى القوم . ثم جعل إبراهيم يختلف إلى المختار في منزله هو ومن أطاعه من قومه ، ثم اتفق رأى الشيعة على أن يكون خروجهم ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من هذه السنة ــ سنة ست وستين .

وقد بلغ ابن مطيع أمر القوم وما اشتوروا عليه ، فبعث الشرط في كل جانب من جوانب الكوفة وألزم كل أمير أن يحفظ ناحيته من أن يخرج منها أحد ، فلما كانَ ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الاشتر قاصـداً إلى دار المختار في مائة رجل من قومه ، وعليهم الدروع تحت الاقبيـة ، فلقيه إياس بن مضارب فقال له : أين تريد يا ابن الأشتر في هـذه الساعة ؟ إن أمرك لمريب ، فوالله لا أدعك حتى أحضرك إلى الأمـير فيرى فيك رأيه ، فتناول ابن الأشتر رمحا من يد رجل فطعنـه في ثغرة نحره فسقط ، وأمر رجلا فاحتز رأسه ، وذهب به إلى المختار فألقاه بين يديه ، فقال له المختار : بشرك الله بخير ، فهذا طائر صالح . ثم طلب إبراهيم من المختار أن يخرج في هذه الليلة ، فأمر المختار بالنار أن ترفع وأن ينادى شعار أصحابه : يامنصور أمت ، ياثارات الحسين . ثم نهض المختار فجعل يلبس درعه وسلاحه وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل * واضحة الخدين عجزاء الكفل * أني غداة الروع مقدام بطل

وخرج بين يديه إبراهيم بن الأشتر فجعل يتقصد الأمراء الموكلين بنواحي البلد فيطردهم عن أماكنهم واحداً واحداً . وينادى بشعار المختار ، و بعث المختار أبا عثمان النهدي فنادى بشعار المختار ، ياثارات الحسين . فاجتمع الناس إليه من ههنا وههنا ، وجاء شبث بن ربعى فاقتتل هو والمختار عنـد داره. وحصره حتى جاء ابن لأشتر فطرده عنه ، فرجع شبث إلى ابن مطيع وأشار عليه بأن يجمع الأمراء إليه ، وأن ينهض بنفسه ، فان أمر المختار قد قوى واستفحل ، وجاءت الشيعة من كل فج عميق إلى المختار ، فاجتمع إليـه في أثناء الليل قريب من أربعـة آلاف ، فأصبح وقد عبى جيشه وصلى بهم الصبح ، فقرأ فيها[والنازعات غرقا] [وعبس وتولى] في الثانية قال بعض من سمعه : فما سمعت إماما

أفصح لهجة منه ، وقد جهز ابن مطيع جيشه ثلاثة آلاف عليهم شبث بن ربعى ، وأربعة آلاف أخرى مع راشد بن إياس بن مضارب ، فوجه المختار ابن الأشتر فى ستمائة فارس وستمائة راجل إلى راشد بن إياس ، وبعث نعيم بن هبيرة فى ثلاثمائة فارس وستمائة راجل إلى شبث بن ربعى ، فأما ابن الأشتر فانه هزم قرنه راشد بن إياس وقتله وأرسل إلى المختار يبشره ، وأما نعيم بن هبيرة فانه لقى شبث بن ربعى فهزمه شبث وقتله وجاء فأحاط بالمختار وحصره . وأقبل إبراهيم بن الأشتر نحوه فاعترض له حسان بن فائد بن العبسى فى نحو من ألفى فارس من جهة ابن مطيع ، فاقتتلوا ساعة . فهزمه إبراهيم ، ثم أقبل نحو المختار فوجد شبث بن ربعى قد حصر المختار وجيشه ، فما زال حتى طردهم فكروا راجعين ، وخلص إبراهيم إلى المختار ، وارتحلوا من مكانهم ذلك إلى غيره فى ظاهر الكوفة ، فقال له إبراهيم بن الأشتر اعمد بنا إلى قصر الامارة فليس دونه أحد يرد عنه ، فوضعوا ما معهم من الأثقال ، وأجلسوا هنالك ضعفة المشايخ والرجال ، واستخلف على من هنالك أبا عثمان النهدى ، وبعث بين يديه ابن الأشتر ، وعبأ المختار جيشه كما كان ، وسار نحو القصر ، فبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج فى ألفى رجل ، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس وسار هو وابن الأشتر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكناسة ، وأرسل ابن مطيع شمر بن ذى الجوشن الذى قتل الحسين فى ألفين آخرين ، فبعث إليه المختار سعد بن منقذ الهمدانى ، وسار المختار حتى انتهى إلى سكة شبث . وإذا نوفل بن مساحق ابن عبد الله بن مخرمة فى خمسة آلاف وخرج ابن مطيع من القصر فى الناس ، واستخلف عليه شبث بن ربعى ، فتقدم ابن الأشتر إلى الجيش الذى مع ابن مساحق ، فكان بينهم قتال شديد ، قتل فيه رفاعة بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم ، وعبد الله بن سعد وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر فهزمهم ، وأخذ بلجام دابة ابن مساحق فمت إليه بالقرابة ، فأطلقه ، وكان لا ينساها بعد لابن الأشتر . ثم تقدم المختار بجيشه إلى الكناسة وحصروا ابن مطيع بقصره ثلاثا ، ومعه أشراف الناس سوى عمرو بن حريث فانه لزم داره ، فلما ضاق الحال على ابن مطيع وأصحابه استشارهم فأشار عليه شبث بن ربعى أن يأخذ له ولهم من المختار أمانا ، فقال : ما كنت لأفعل هذا وأمير المؤمنين مطاع بالحجاز وبالبصرة ، فقال له : فان رأيت أن تذهب بنفسك مختفيا حتى تلحق بصاحبك فتخبره بما كان من الأمر وبما كان منا فى نصره وإقامة دولته ، فلما كان الليل خرج ابن مطيع مختفياً حتى دخل دار أبى موسى الأشعرى ، فلما أصبح الناس أخذ الأمراء إليهم أمانا من ابن الأشتر فأمنهم ، فخرجوا من القصر وجاؤا إلى المختار فبايعوه ، ثم دخل المختار إلى القصر فبات فيه ، وأصبح أشراف الناس فى المسجد وعلى باب القصر ، فخرج المختار إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثم دعا الناس إلى البيعة وقال : فوالذى جعل السماء سقفا مكفوفا والأرض فجاجا

سبلا ، ما بايعتم بعد بيعة عليٍّ أهدى منها. ثم نزل فدخل الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله ، والطلب بثأر أهل البيت وجاء رجل إلى المختار فأخبره أن ابن مطيع فى دار أبى موسى ، فأراه أنه لا يسمع قوله ، فكرر ذلك ثلاثا فسكت الرجل ، فلما كان الليل بعث المختار إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم . وقال له : اذهب فقد أخذت بمكانك ـ وكان له صديقاً قبل ذلك ـ فذهب ابن مطيع إلى البصرة وكره أن يرجع إلى ابن الزبير وهو مغلوب ، وشرع المختار يتحبب إلى الناس بحسن السيرة ، ووجد فى بيت المال تسعة آلاف ألف ، فأعطى الجيش الذين حضروا معه القتال نفقات كثيرة . واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل اليشكرى ، وقرب أشراف الناس فكانوا جلساءه ، فشق ذلك على الموالى الذين قاموا بنصره ، وقالوا : لأبى عمرة كيسان مولى غزينة ـ وكان على حرسه ـ قدم والله أبو إسحاق العرب وتركنا ، فأنهى ذلك أبو عمرة إليه ، فقال : بل هم منى وأنا منهم ، ثم قال [إنا من المجرمين منتقمون] فقال لهم أبو عمرة : أبشروا فانه سيدنيكم ويقربكم . فأعجبهم ذلك وسكتوا .

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحى والبلدان والرساتيق ، من أرض العراق وخراسان ، وعقد الالوية والرايات ، وقرر الامارة والولايات ، وجعل يجلس للناس غدوة وعشية يحكم بينهم ، فلما طال ذلك عليه استقضى شريحا فتكلم فى شريح طائفة من الشيعة ، وقالوا : إنه شهد حجر بن عدى ، وإنه لم يبلغ عن هانئ بن عروة كما أرسله به ، وقد كان على بن أبى طالب عزله عن القضاء . فلما بلغ شريحا ذلك تمارض ولزم بيته ، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائى قاضيا .

فصل

ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله ، وكان سبب ذلك أن عبيد الله ابن زياد كان قد جهزه مروان من دمشق ليدخل الكوفة ، فان ظفر بها فليبحها ثلاثة أيام ، فسار ابن زياد قاصدا الكوفة ، فلقى جيش التوابين فكان من أمرهم ما تقدم . ثم سار من عين وردة حتى انتهى إلى الجزيرة فوجد بها قيس غيلان ، وهم من أنصار ابن الزبير ، وقد كان مروان أصاب منهم قتلى كثيرة يوم مرج راهط ، فهم إلب عليه ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فتعوق عن المسير سنة وهو فى حرب قيس غيلان بالجزيرة ، ثم وصل إلى الموصل فانحاز نائبها عنه إلى تكريت ، وكتب إلى المختار يعلمه بذلك فندب المختار يزيد بن أنس فى ثلاثة آلاف اختارها ، وقال له : إنى سأمدك بالرجال بعد الرجال ، فقال له : لا تمدنى إلا بالدعاء . وخرج معه المختار إلى ظاهر الكوفة فودعه ودعا له

وقال له: ليكن خبرك فى كل يوم عندى، وإذا لقيت عدوك فناجزك فناجزه، ولا تؤخر فرصة. ولما بلغ مخرجهم ابن زياد جهز بين يديه سريتين إحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف، والأخرى مع عبد الله بن حملة ثلاثة آلاف، وقال: أيكم سبق فهو الأمير، وإن سبقتما معاً فالأمير عليكم أسنكما. فسبق ربيعة بن مخارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا فى طرف أرض الموصل مما يلى الكوفة، فتواقفا هنالك، ويزيد بن أنس مريض مدنف، وهو مع ذلك يحرض قومه على الجهاد ويدور على الارباع وهو محمول مضنى وقال للناس: إن هلكت فالامير على الناس عبد الله بن ضمرة الفزارى، وهو رأس الميمنة؛ وإن هلك فسعر بن أبى مسعر رأس الميسرة، وكان ورقاء بن خالد الاسدى على الخيل. وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الارباع، وكان ذلك فى يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح، فاقتتلوا هم والشاميون قتالا شديداً، واضطربت كل من الميمنتين والميسرتين، ثم حمل ورقاء على الخيل فهزمها وفر الشاميون وقتل أميرهم ربيعة بن مخارق، واحتاز جيش المختار ما فى معسكر الشاميين، ورجع فرارهم فلقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة، فقال: ماخبركم؟ فأخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فانتهى إليهم عشاء، فبات الناس متحاجزين، فلما أصبحوا تواقفوا على تعبئتهم، وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين، فاقتتلوا قتالا شديداً، فهزم جيش المختار جيش الشاميين أيضا، وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واحتووا على ما فى معسكرهم، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، فجاؤا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق، فأمر بضرب أعناقهم.

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورقاء بن عامر ودفنه، وسقط فى أيدى أصحابه وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة، فقال لهم ورقاء ياقوم ماذا ترون؟ إنه قد بلغنى أن ابن زياد قد أقبل فى ثمانين ألفاً من الشام، ولا أرى لكم بهم طاقة، وقد هلك أميرنا، وتفرق عنا طائفة من الجيش من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونظهر أنا إنما انصرفنا حزنا منا على أميرنا لكان خيراً لنا من أن نلقاهم فيهزمونا ونرجع مغلوبين، فاتفق رأى الأمراء على ذلك، فرجعوا إلى الكوفة. فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة، وأن يزيد بن أنس قد هلك، أرجف أهل الكوفة بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس فى المعركة وانهزم جيشه، وعما قليل يقدم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشتف خضراكم، ثم تمالؤا على الخروج على المختار وقالوا: هو كذاب، واتفقوا على حربه وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم، واعتقدوا أنه كذاب، وقالوا: قد قدم موالينا على أشرافنا، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالاخذ بثأر الحسين وهو لم يأمره بشىء، وإنما هو متقول عليه، وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم بن الاشتر فإنه قد عينه المختار أن يخرج فى سبعة آلاف للقاء ابن زياد، فلما خرج ابن الاشتر اجتمع أشراف الناس ممن كان فى جيش قتلة الحسين وغيرهم

فى دار شبث بن ربعى وأجمعوا أمرهم على قتال المختار، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها فى ناحية من نواحى الكوفة، وقصدوا قصر الامارة، و بعث المختار عمرو بن توبة بريداً إلى إبراهيم بن لأشتر ليرجع إليه سريعاً و بعث المختار إلى أولئك يقول لهم : ماذا تنقمون ؟ فانى أجيبكم إلى جميع ما تطلبون، و إنما يريد أن يثبطهم عن مناهضته حتى تقدم إبراهيم بن الأشتر، وقال : إن كنتم لاتصدقوننى فى أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهتكم وأبعث من جهتى من يسأله عن ذلك، ولم يزل يطاولهم حتى قدم ابن الأشتر بعد ثلاث، فانقسم هو والناس فرقتين، فتكفل المختار بأهل اليمن، وتكفل ابن الأشتر بمضر وعليهم شبث بن ربعى، وكان ذلك باشارة المختار، حتى لايتولى ابن الأشتر بقتال قومه من أهل اليمن فيحنو عليهم وكان المختار شديداً عليهم.

ثم اقتتل الناس فى نواحى الكوفة قتالا عظيما وكثرت القتلى بينهم من الفريقين، وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها، وقتل جماعة من الأشراف، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندى، وسبعمائة وثمانين رجلا من قومه، وقتل من مضر بضعة عشر رجلا، و يعرف هذا اليوم بجبانة السبيع، وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة ست وستين، ثم كانت النصرة للمختار عليهم، وأسر منهم خمسمائة أسير، فعرضوا عليه فقال : انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه، فقتل منهم مائتان وأربعون رجلا، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم و يسىء إليهم بغير أمر المختار، ثم أطلق الباقين، وهرب عمرو بن الحجاج الزبيدى، وكان ممن شهد قتل الحسين فلا يدرى أين ذهب من الأرض.

مقتل شمر بن ذي الجوشن . امير السرية التي قتلت حسناً

وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير، وكان ممن هرب لقصده شمر بن ذى الجوشن قبحه الله، فبعث المختار فى أثره غلاما له يقال له زرنب، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه : تقدموا وذرونى وراءكم بصفة أنكم قد هربتم وتركتمونى حتى يطمع فى هذا العلج، فساقوا وتأخر شمر فأدركه زرنب فعطف عليه شمر فدق ظهره فقتله، وسار شمر وتركه، وكتب كتابا إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة ينذره بقدومه عليه، ووفادته إليه، وكان كل من فرّ من هذه الوقعة يهرب إلى مصعب بالبصرة، و بعث شمر الكتاب مع علج من علوج قرية قد نزل عندها يقال لها الكلبانية عند نهر إلى جانب تل هناك، فذهب ذلك العلج فلقيه علج آخر فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : إلى مصعب . قال : ممن ؟ قال : من شمر، فقال : اذهب معى إلى سيدى، و إذا سيده أبو عمرة أمير حرس المختار، وهو قد ركب فى طلب شمر، فدله العلج على مكانه فقصده أبو عمرة، وقد أشار أصحاب شمر عليه أن يتحول من مكانه ذلك، فقال لهم : هذا كله فرق من الكذاب، والله لاأرتحل من ههنا

إلى ثلاثة أيام حتى أملأ قلوبهم رعبا فلما كان الليل كابسهم أبوعمرة فى الخيل فأعجلهم أن يركبوا أو يلبسوا أسلحتهم ، وثار إليهم شمر وبن ذى الجوشن فطاعنهم برمحه وهو عريان ثم دخل خيمته فاستخرج منها سيفا وهو يقول : ـ

نبهتمُ ليثَ عرينٍ باسلا * جهماً محياهُ يدقُ الكاهلا
لم يُرَ يوماً عن عدوٍ ناكلا * إلا أ كرَّ مقاتلاً أوقاتلا
يزعجهم ضرباً ويروي العاملا

ثم مازال يناضل عن نفسه حتى قتل ، فلما سمع أصحابه وهم منهزمون صوت التكبير وقول أصحاب المختار الله أ كبر قتل الخبيث عرفوا أنه قد قتل قبحه الله .

قال أبومخنف عن يونس بن أبى إسحاق قال : ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر ـ يعنى منصرفه من القتال ـ ناداه سراقة بن مرداس بأعلا صوته وكان فى الأسرى

امنن على اليوم ياخير معد * وخير من حل بشحر والجند * وخير من لبى وصام وسجد

قال : فبعث إلى السجن فاعتقله ليلة ثم أطلقه من الغد ، فأقبل إلى المختار وهو يقول

ألا أخبرْ أبا إسحاقَ أنا * نزونا نزوةً كانتْ علينـا
خرجنا لانرى الضعفاء شيئاً * وكان خروجنا بطراً وشينا
نراهمْ فى مصافهمُ قليـلاً * وهمْ مثلُ الربا حينَ التقينا
برزنا إذْ رأينـاهمْ فلما * رأينا القومَ قدْ برزوا إلينا
رأينا منهمُ ضرباً وطعناً * وطعناً صائباً حتى انثنينا
نصرتَ على عدوكَ كلَّ يومٍ * بكلِ كتيبةٍ تنعى حسيناً
كنصرِ محمدٍ فى يومِ بدرٍ * ويومَ الشعبِ إذْ لاقى حنينا
فاسجحْ إذملكتَ فلوملكنا * لجرنا فى الحكومةِ واعتدينا
تقبـلْ توبـةً منى فانى * سأشكرُ إذْ جعلتَ العفودينا

وجعل سراقة بن مرداس يحلف أنه رأى الملائكة على الخيول البلق بين السماء والأرض ، وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيخبر الناس بذلك . فصعد المنبر فأخبر الناس بذلك ، فلما نزل خلابه المختار فقال له : إنى قد عرفت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت بقولك هذا أنى لا أقتلك ، ولست أقتلك فاذهب حيث شئت لئلا تفسد على أصحابى ، فذهب سراقة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وجعل يقول : ـ

ألا أخبر أبا إسحاقَ أنى * رأيتُ البلقَ دهماً مصمتاتٍ

كفرتُ بوحيكمْ وجعلتُ نذراً * عليَّ قتالكمْ حتى المماتِ
رأيتْ عيناىَ ما لمْ تبصراهَ * كلانا عالمٌ بالـترهاتِ
إذا قالوا : أقولُ لهمْ كذبتمْ * وإنْ خرجوا لبستُ لهمْ أداتى

قالوا : ثم خطب المختار أصحابه يحرضهم فى خطبته تلك عـلى من قتل الحسين من أهل الـكوفة المقيمين بها ، فقالوا : ماذنبنا نترك أقواماً قتلوا حسيناً يمشون فى الدنيا أحياء آمنين ، بئس ناصرو آل محمد إنى إذا كذاب كما سميتمونى أنتم ، فانى بالله أستعين عليهم ، فالحمـد لله الذى جعلنى سيفا أضربهم ، ورمحا أطعنهم ، وطالب وترهم ، وقائما بحقهم ، وإنه كان حقا على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهـل حقهـم ، فسموهم ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فانه لايسيغ لى الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم ، وأنفى من فى المصر منهـم . ثم جعل يتتبع من فى الـكوفة ـ وكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهـم على أنواع من القتلات مما يناسب ما فعلوا ـ ، ومنهـم من حرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من يرمى بالنبال حتى يموت ، فأتوه بمالك ابن بشر فقال له المختار : أنت الذى نزعت برنس الحسين عنه ؟ فقال : خرجنا ونحن كارهون فامنن علينا ، فقال : اقطعوا يديه ورجليه . ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات ، وقتل عبدالله بن أسيد الجهنى وغيره شر قتلة

مقتل خولي بن يزيد الأصبحي الذي احتز رأس الحسين

بعث إليه المختار أبا عمرة صاحب حرسه ، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت : لا أدرى أين هو ، وأشارت بيدها إلى المكان الذى هو مختف فيه ، ـ وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها ، وكانت تلومه على ذلك ـ واسمها العيوق بنت مالك بن نهار بن عقرب الحضرمى ، فدخلوا عليـه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة فحملوه إلى المختار فأمر بقتله قريبا من داره ، وأن يحرق بعد ذلك . و بعث المختار إلى حكيم بن فضيل السنبسى ـ وكان قد سلب العباس بن على بن أبى طالب يوم قتل الحسين ـ فأخذ فذهب أهله إلى عدى بن حاتم ، فركب ليشفع فيـه عند المختار ، فخشى أولئك الذين أخذوه أن يسبقهم عدى إلى المختار فيشفعه فيـه ، فقتلوا حكيما قبل أن يصل إلى المختار ، فدخل عدى فشفع فيه فشفعه فيه فلما رجعوا وقـد قتلوه شتمهم عدى وقام متغضبا عليهم وقد تقلد منة المختار . و بعث المختار إلى يزيد بن ورقاء وكان قد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ، فلما أحاط الطلب بداره خرج فقاتلهم فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط ، ثم حرقوه و به رمق الحياة ، وطلب المختار سنان بن أنس ، الذى كان يدعى أنه قتل الحسين ، فوجدوه قد هرب إلى البصرة أو الجزيرة

فهدمت داره ، وكان محمد بن الأشعث بن قيس ممن هرب إلى مصعب فأمر المختار بهدم داره وأن يبنى بها دار حجر بن عدى التى كان زياد هدمها .

مقتل عمر بن سعد بن ابي وقاص امير الذين قتلوا الحسين

قال الواقدى : كان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه جالساً ذات يوم إذ جاء غلام له ودمه يسيل على عقبيه ، فقال له سعد : من فعل بك هذا ؟ فقال : ابنك عمر ، فقال سعد : اللهم اقتله وأسل دمه. وكان سعد مستجاب الدعوة ، فلما خرج المختار على الكوفة استجار عمر بن سعد بعبد الله بن جعدة بن هبيرة ، وكان صديقاً للمختار من قرابته من على ، فأتى المختار فأخذ منه لعمر بن سعد أماناً مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره ، مالم يحدث حدثا . وأراد المختار مالم يأت الخلاء فيبول أو يغوط . ولما بلغ عمر بن سعد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلا يريد السفر نحو مصعب أو عبيد الله بن زياد ، فنمى للمختار بعض مواليه ذلك ، فقال المختار : وأى حدث أعظم من هذا ؟ وقيل إن مولاه قال له ذلك ، وقال له : تخرج من منزلك و رحلك ؟ ارجع ، فرجع . ولما أصبح بعث إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك ؟ وقيل إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك فقال له المختار : اجلس ؛ وقيل إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له :هل أنت مقيم على أمانك له ؟ فقال له المختار : اجلس ، فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه : اذهب فأتنى برأسه فذهب إليه فقتله وأتاه برأسه

وفى رواية أن المختار قال ليلة : لأقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين ، مشرف الحاجبين يسر بقتله المؤمنون والملائكة المقربون ، وكان الهيثم بن الأسود حاضراً فوقع فى نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث إليه ابنه العريان فأنذره ، فقال : كيف يكون هذا بعد ما أعطانى من العهود والمواثيق ؟ وكان المختار حين قدم الكوفة أحسن السيرة إلى أهلها أولا وكتب لعمر بن سعد كتاب أمان إلا أن يحدث حدثا

قال أبو مخنف : وكان أبو جعفر الباقر يقول : إنما أراد المختار إلا أن يدخل الكنيف فيحدث فيه ، ثم إن عمر بن سعد قلق أيضا ، ثم جعل يتنقل من محلة إلى محلة ثم صار أمره أنه رجع إلى داره ، وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع فقال : كلا والله إن فى عنقه سلسلة ترده لوجهه ، إن يطير لأدركه دم الحسين فأخذ برجله . ثم أرسل إليه أبا عمرة فأراد الفرار منه فعثر فى جبته ، فضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله ، وجاء برأسه فى أسفل قبائه حتى وضعه بين يدى المختار ، فقال المختار ، لابنه

حفص – وكان جالساً عند المختار – فقال : أتعرف هـذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ولاخير فى العيش بعده ، فقال : صدقت ، ثم أمر فضربت عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه ، ثم قال المختار : هذا بالحسين وهذا بعلى بن الحسين الأكبر ، ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ماوفوا أنملة من أنامله . ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد بن الحنفية ، وكتب إليه كتابا فى ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد بن على من المختار بن أبى عبيد ، سلام عليك أيها المهدى فانى أحمـد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بعثنى نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله الذى قتل قاتليكم ، ونصر مؤازركم ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا ممن اشترك فى دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليـه ، ولن يعجز الله من بقى ، ولست عنحجم عنهم حتى يبلغنى أنه لم يبق عـلى وجه الأرض منهم أحد ، فا كتب إلى أيها المهدى برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدى ورحمه الله وبركاته . ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية ردجوابه ، مع أن ابن جرير قد تقصى هذ الفصل وأطال شرحه ، و يظهر من غبون كلامه قوة وجده به وغرامه ، ولهـذا توسع فى إيراده بروايات أبى مخنف لوط بن يحيى ، وهو متهم فيما يرويه ، ولاسيما فى باب التشيع ، وهذا المقام للشيعة فيه غرام وأى غرام ، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلتهم ، والانتقام منهم : ولا شك أن قتل قتلته كان متحتما ، والمبادرة إليـه كان مغنما ، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذى صار بدعواه إتيان الوحى إليـه كافرا ، وقد قال رسول الله ص « إن الله ليؤيد هـذا الدين بالرجل الفاجر » . وقال تعالى فى كتابه الذى هو أفضل ما يكتبه الكاتبون [وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون] وقال بعض الشعراء :–

وما من يد إلا يد الله فوقها ✽ ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وسيأتى فى ترجمة المختار مايدل على كذبه وافترائه ، وادعائه نصرة أهل البيت ، وهو فى نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعاعا من الشيعة الذين بالكوفة . ليقيم لهم دولة و يصول بهم و يجول على مخالفيه صولة .

ثم إن الله تعالى سلط عليه من انتقم منه ، وهذا هو الكذاب الذى قال فيه الرسول فى حديث أسماء بنت الصديق : « إنه سيكون فى ثقيف كذاب ومبير » . فهذا هو الكذاب وهو يظهر التشيع وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف الثقفى ، وقد ولى الكوفة من جهة عبد الملك بن مروان كما سيأتى ، وكان الحجاج عكس هذا ، كان ناصبيا جلداً ظالماً غاشما ، ولكن لم يكن فى طبقة هـذا ، متهم على دين الاسلام ودعوة النبوة ، وأنه يأتيه الوحى من العلى العلام .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة بعث المختار المثنى بن مخرمة العبدى إلى البصرة يدعو إليه من

استطاع من أهلها ، فدخلها وابتنى بها مسجداً يجتمع فيه إليه قومه ، فجعل يدعو إلى المختار ، ثم أتى مدينة الورق فعسكر عندها فبعث إليه الحارث بن عبد الله بن ربيعة القباع — وهو أمير البصرة قبل أن يعزل بمصعب — جيشا مع عباد بن الحصين أمير الشرطة ، وقيس بن الهيثم . فقاتلوه وأخذوا منه المدينة وانهزم أصحابه ، وكان قد قام بنصرتهم بنو عبد القيس . فبعث إليهم الجيش فبعثوا إليه فأرسل الأحنف بن قيس وعمرو بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس ، وساعدهما مالك بن مسمع ، فانحجز الناس بعضهم عن بعض . ورجع إلى المختار فى نفر يسير مغلولا مغلوبا مسلوبا ، وأخبر المختار بما وقع من الصلح على يدى الأحنف وغيره من أولئك الأمراء ، وطمع المختار فيهم وكاتبهم فى أن يدخلوا معه فيما هو فيه من الأمر ، وكان كتابه إلى الأحنف بن قيس : من المختار إلى الأحنف بن قيس ومن قبله من الأمراء : أفسلم أنتم أما بعد فويل لبنى ربيعة من مضر ، وأن الأحنف يورد قومه سقر ، حيث لا يستطيع لهم صدر ، وإنى لا أملك لكم ماقد خط فى القدر ، وقد بلغنى أنكم سميتمونى الكذاب ، وقد كذب الأنبياء من قبلى ولست بخير منهم .

وقال ابن جرير : حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة ثنا الحسن بن حماد عن حماد بن على عن مجالد عن الشعبى . قال : دخلت البصرة فقعدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال بعض القوم : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل الكوفة ، فقال : أنتم موال لنا ، قلت : وكيف ؟ قال : أنقذناكم من أيدى عبيدكم من أصحاب المختار ، قلت : أتدرى ماقال شيخ من همدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف : وما قال ؟ قلت : قال : —

أفخرتمْ انْ قتلتمْ أعبداً * وهزمتمْ مرةً آلَ عدَلْ
فاذا فاخرتمونا فاذكروا * مافعلنا بكمُ يومَ الجملْ
بينَ شيخٍ خاضبٍ عثنونهُ * وفتى أبيضَ وضاحاً رفلْ
جاءَ يُهدجُ فى سابغةٍ * فذبحناهُ ضحىً ذبحَ الحملْ
وعفونا فنسيتمْ عفونا * وكفرتمْ نعمةَ اللهِ الأجلْ
وقتلتمْ بحسينٍ منهمُ * بدلاً من قومكمْ شرَّ بدلْ

قال : فغضب الأحنف وقال : يا غلام هات الصحيفة ، فأتى بصحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبى عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أما بعد فويل لبنى ربيعة من مضر فان الأحنف يورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصدر ، وقد بلغنى أنكم تكذبونى ، فان كذبت فقد كذبت رسل من قبلى ، ولست بخير منهم ، ثم قال الأحنف : هذا منا أو منكم .

فصل

ولما علم المختار أن ابن الزبير لاينام عنهم ، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك مع ابن زياد يقصدونه فى جمع كثير لا يرام ، شرع يصانع ابن الزبير ويعمل على خداعه والمكر به ، فكتب إليه : إنى كنت بايعتك على السمع والطاعة والنصح لك ، فلما رأيتك قد أعرضت عنى تباعدت عنك ، فان كنت على ما أعهد منك فأنا على السمع والطاعة له ، والمختار يخفى هذا كل الاخفاء عن الشيعة ، فاذا ذكر له أحد شيئاً من ذلك أظهر لهم أنه أبعد الناس من ذلك ، فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلم أصادق أم كاذب ، فدعا عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد وليتكها ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ فقال : يزعم أنه سامع لنا مطيع ، وأعطاه قريبا من أربعين ألفا يتجهز بها ، فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار فى خمسمائة فارس ملبسة ، ومعه سبعون ألفا من المال ، وقد تقدم إليه المختار فقال : اعطه المال فان هو انصرف والافأره الرجال فقاتله حتى ينصرف ، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجد قبض المال وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابن مطيع بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ، وذلك قبل وثوب المثنى بن مخرمة كما تقدم ، وقبل وصول مصعب بن الزبير إليها .

وبعث عبدالملك بن مروان بن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم فى جيش إلى وادى القرى ليأخذوا المدينة من نواب ابن الزبير ، وكتب المختار إلى ابن الزبير إن أحببت أن أمدك بمدد ، وإنما يريد خديعته ومكايدته ، فكتب إليه ابن الزبير : إن كنت على طاعتى فلست أكره ذلك فابعث بجند إلى وادى القرى ليكونوا مددا لنا على قتال الشاميين . فجهز المختار ثلاثة آلاف عليهم شرحبيل ابن ورس الهمدانى ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فاذا دخلت فاكتب إلى حتى يأتيك أمرى ، وإنما يريد أخذ المدينة من ابن الزبير ، ثم يركب بعد ذلك إلى مكة ليحاصر ابن الزبير بها ،وخشى ابن الزبير أن يكون المختار بعث ذلك الجيش مكرا فبعث العباس ابن سهل بن سعد الساعدى فى ألفين ، وأمره أن يستعين بالأعراب وقال لهم : إن رأيتموهم فى طاعتى وإلا فكايدوهم حتى يهلكهم الله . فأقبل العباس بن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم ، وقد بقى ابن ورس فى جيشه ، فاجتمعا على ماء هنالك ، فقال له العباس : ألستم فى طاعة ابن الزبير ؟ فقال : بلى ، قال : فانه قد أمرنى أن نذهب إلى وادى القرى فنقاتل من به من الشاميين . فقال له ابن ورس : فانى لم أومر بطاعتك ، وإنما أمرنى أن أدخل المدينة ثم أكتب إلى صاحبى فانه يأمرنى بأمره ، ففهم عباس مغزاه ولم يظهر له أنه فطن لذلك ، فقال له : رأيك أفضل ، فاعمل ما بدالك . ثم نهض

العباس من عنده و بعث إليهم الجزر والغنم والدقيق، وقد كان عندهم حاجة شديدة إلى ذلك، وجوع كثير، فجعلوا يذبحون و يطبخون و يختبزون و يأكلون على ذلك الماء، فلما كان الليل بيتهم عباس بن سهل فقتل أميرهم وطائفة منهم نحوا من سبعين، وأسر منهم خلقا كثيرا فقتل أكثرهم، و رجع القليل منهم إلى المختار و إلى بلادهم خائبين

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول: ـ

أنا ابنُ سهلٍ فارسٍ غيرُ وكلْ * أروعُ مقدامٌ إذا الكبشُ نكل
وأعتلي رأسَ الطرماحِ البطلْ * بالسيفِ يومَ الروعِ حتى ينجدلْ

فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيباً فقال: إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار، ألا إنه كان أمراً مأتيا، وقضاء مقضيا. ثم كتب إلى محمد بن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي كتابا يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشا لنصرته فغدر بهم جيش ابن الزبير، فان رأيت أن أبعث جيشا آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلا إليهم فافعل، فكتب إليه ابن الحنفية: أما بعد فان أحب الأمور كلها إلي ما أطيع الله فيه، فأطع الله فيما أسررت وأعلنت، واعلم أني لو أردت القتال لوجدت الناس إلي سراعا، والأعوان لي كثيرة، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. وقال لصالح بن مسعود: قل للمختار فليتق الله وليكف عن الدماء. فلما انتهى إليه كتاب محمد بن الحنفية قال: إني قد أمرت بجمع البر واليسر، و بطرح الكفر والغدر.

وذكر ابن جرير من طريق المدائني وأبي مخنف أن ابن الزبير عمد إلى ابن الحنفية وسبعة عشر رجلا من أشراف أهل الكوفة فحبسهم حتى يبايعوه، فكرهوا أن يبايعوا إلا من اجتمعت عليه الأمة، فتهددهم وتوعدهم واعتقلهم بزمزم، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه و يستنصرونه، و يقولون له: إن ابن الزبير قد توعدنا بالقتل والحريق، فلا تخذلونا كما خذلتم الحسين وأهل بيته، فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا صريخ أهل البيت يستصرخكم و يستنصركم، فقام في الناس بذلك وقال: لست أنا بأبي إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً، و إن لم أرسل إليهم الخيل كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل بابن الكاهلية الويل، ثم وجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكبا من أهل القوة، وظبيان بن عمر التيمي في أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، و كتب إلى محمد بن الحنفية مع الطفيل بن عامر بتوجيه الجنود إليه، فنزل أبو عبد الله الجدلي بذات عرق حتى تلاحق به نحو من مائة وخمسين فارساً، ثم سار بهم حتى دخل المسجد الحرام نهاراً جهاراً وهم يقولون: ياثارات الحسين، وقد أعد ابن الزبير الحطب لابن الحنفية وأصحابه ليحرقهم به إن لم يبايعوه، وقد بقي من الأجل يومان، فعمدوا ـ يعني أصحاب

المختار - إلى محمد بن الحنفية فأطلقوه من سجن ابن الزبير ، وقالوا: إن أذنت لنا قاتلنا ابن الزبير ، فقال : إنى لا أرى القتال فى المسجد الحرام ، فقال لهم ابن الزبير : ليس تبرح وتبرحون حتى يبايع وتبايعوا معه ، فامتنعوا عليه ثم لحقهم بقية أصحابهم فجعلوا يقولون وهم داخلون الحرم : ياثارات الحسين فلما رأى ابن الزبير ذلك منهم خافهم وكف عنهم ، ثم أخذوا محمد بن الحنفية وأخذوا من الحجيج مالا كثيراً فسار بهم حتى دخل شعب علي ، واجتمع معه أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال . هكذا أورده ابن جرير وفى صحتها نظر والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان نائبه بالمدينة أخاه مصعب ونائبه على البصرة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ، وقد استحوذ المختار على الكوفة ، وعبد الله ابن خازم على بلاد خراسان ، وذكر حروبا جرت فيها لعبد الله بن خازم يطول ذكرها

فصل

قال ابن جرير :وفى هذه السنة سار إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد ، وذلك لثمان بقين من ذى الحجة . وقال أبو مخنف عن مشايخه : ماهو إلا أن فرغ المختار من جبانة السبيع وأهل الكناسة ، فما ترك ابن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذى كان وجهه فيه لقتال أهل الشام ، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذى الحجة سنة ست وستين ، وخرج معه المختار يودعه فى وجوه أصحابه ، وخرج معهم خاصة المختار ، ومعهم كرسى المختار على بغل أشهب ليستنصروا به على الأعداء ، وهم حافون به يدعون و يستصرخون و يستنصرون ويتضرعون ، فرجع المختار بعد أن وصاه بثلاث قال : يا ابن الأشتر اتق الله فى سرك وعلانيتك ، وأسرع السير ، وعاجل عدوك بالقتال . واستمر أصحاب الكرسى سائرين مع ابن الأشتر ، فجعل ابن الأشتر يقول: اللهم لاتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، سنة بنى إسرائيل والذى نفسى بيده إذ عكفوا على عجلهم ، فلما جاوز القنطرة هو وأصحابه رجع أصحاب الكرسى .

قال ابن جرير : وكان سبب اتخاذ هذا الكرسى ماحدثنى به عبد الله بن أحمد بن شيبويه حدثنى أبى ثنا سليمان ثنا عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحى بن طلحة حدثنى معد بن خالد حدثنى طفيل بن جعدة بن هبيرة قال : أعدمت مرة من الورق فانى كذلك إذ مررت بباب رجل هو جار لى له كرسى قد ركبه وسخ شديد ، فخطر فى بالى أن لو قلت فى هذا ، فرجعت فأرسلت إليه أن ارسل إلى بالكرسى ، فأرسل به ، فأتيت المختار فقلت له : إنى كنت أكتمك شيئاً وقد بدالى أن أذكره إليك ، قال : وماهو ؟ قال : قلت كرسى كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه كان يرى أن فيه أثرة من

علم . قال : سبحان الله ! ! فلم أخرت هذا إلى اليوم ؟ ابعثه إلى ، قال فجئت به وقد غسل فخرج عودا ناضرا وقد شرب الزيت ، فأمر لى باثنى عشر ألفا ، ثم نودى فى الناس الصلاة جامعة ، قال : فخطب المختار الناس فقال : إنه لم يكن فى الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن فى هذه الأمة مثله ، وإنه قد كان فى بنى إسرائيل تابوت يستنصرون به ، وإن هذا مثله ، ثم أمر فكشف عنه أثوابه وقامت السبابية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا ، فقام شبث بن ربعى فأنكر على الناس وكاد أن يكفر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم . وأشار بأن يكسر ويخرج من المسجد ويرمى فى الحش ، فشكرها الناس لشبث ابن ربعى ، فلما قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل ، وبعث المختار ابن الأشتر ، بعث معه بالكرسى يحمل على بغل أشهب قد غشى بأثواب الحرير ، عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فلما تواجهوا مع الشاميين كما سيأتى وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد : ازداد تعظيمهم لهذا الكرسى حتى بلغوا به الكفر ، قال الطفيل بن جعدة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وندمت على ما صنعت ، وتكلم الناس فى هذا الكرسى وكثر عيب الناس له ، فغيب حتى لا يرى بعد ذلك .

وذكر ابن الكلبى أن المختار طلب من آل جعدة بن هبيرة الكرسى الذى كان على يجلس عليه فقالوا : ما عندنا شئ مما يقول الأمير، فألح عليهم حتى علموا أنهم لو جاءوا بأى كرسى كان لقبله منهم، فحملوا إليه كرسيا من بعض الدور فقالوا : هذا هو ، فخرجت شبام وشاكر وسائر رءوس المختارية وقد عصبوه بالحرير والديباج . وحكى أبو مخنف أن أول من سدن هذا الكرسى موسى بن أبى موسى الأشعرى ، ثم إن الناس عتبوا عليه فى ذلك ، فرفعه إلى حوشب البرسمى ، وكان صاحبه حتى هلك المختار قبحه الله . ويروى أن المختار كان يظهر أنه لا يعلم بما يعظم أصحابه هذا الكرسى ، وقد قال فى هذا الكرسى أعشى همدان : ـ

شهدتُ عليكمْ أنكمْ سبائيةٌ * وأنى بكم ياشرطةَ الشركِ عارفُ

وأقسمُ ما كرسيكمْ بسكينةٍ * وإنْ كانَ قد لفتْ عليهِ اللفائفُ

وأنَ ليسَ كالتابوتِ فينا وإنْ سعتْ * شبامٌ حواليهِ ونهدٌ وخارفُ

وإنى امرؤٌ أحببتُ آلَ محمدٍ * وتابعتُ وحياً ضمنتهُ المصاحفُ

وتابعتُ عبدَ اللهِ لما تتابعتْ * عليهِ قريشٌ شمطها والغطارفُ

وقال المتوكل الليثى

أبلغْ أبا إسحاقَ إن جئتهُ * أنى بكرسيكمْ كافرُ

تنزوا شبامٌ حولَ أعوادهِ * وتحملُ الوحىَ لهُ شاكرُ

محمرةٌ أعينهمْ حولهُ * كأنهنَ الحمصُ الحادرُ

قلت : هذا وامثاله مما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه ، وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله ، ورداءة فهمه ، وترويجه الباطل على أتباعه وتشبه الباطل بالحق ليضل به الطغام ، ويجمع عليه جهال العوام

قال الواقدى : و فى هذه السنة وقع فى مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها ، وفيها ضرب الدنانير عبد العزيز بن مروان بمصر ، وهو أول من ضربها بها . قال صاحب مرآت الزمان : وفيها ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى ، وكملت عمارته فى سنة ثلاث وسبعين ، وكان السبب فى ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة ، وكان يخطب فى أيام منى وعرفة ، ومقام الناس بمكة ، وينال من عبد الملك ويذكر مساوى بنى مروان ، ويقول : إن النبى (ص) لعن الحكم وما نسل ، وأنه طريد رسول الله (ص) ولعينه ، وكان يدعو إلى نفسه ، وكان فصيحا ، فمال معظم أهل الشام إليه ، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا ، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم ، وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤسهم ، ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه ، وكان يشنع عليه بمكة ويقول : ضاهى بها فعل الأكاسرة فى إيوان كسرى ، والخضراء ، كما فعل معاوية .

ولما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولاه ، وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس ، وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة ، وأمر رجاء بن حيوة ويزيد أن يفرغا الأموال إفراغا ولا يتوقفا فيه ، فبثوا النفقات وأكثروا ، فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء ، وفرشاها بالرخام الملون ، وعملا للقبة جلالين أحدهما من اليود الأحمر للشتاء ، وآخر من أدم للصيف ، وحفا القبة بأنواع الستور ، وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران ، ويعملون منه غالية ويبخرون القبة والمسجد من الليل ، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئاً كثيرا ، وجعل فيها العود القمارى المغلف بالمسك وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مسافة بعيدة ، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياما ، ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس ، وأنه دخل الصخرة ، وكان فيه من السدنة والقوم القائمين بأمره خلق كثير . ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس ، بحيث إن الناس التهوا بها عن الكعبة والحج ، وبحيث كانوا لا يلتفتون فى موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس ، وافتتن الناس بذلك افتتانا عظيما ، وأتوه من كل مكان ، وقد عملوا فيه من الأشارات والعلامات المكذوبة شيئاً كثيرا مما فى الآخرة . فصوروا

فيه صورة الصراط وباب الجنة ، وقدم رسول الله (ص) ، ووادي جهنم ، وكذلك في أبوابه ومواضع منه ، فاغتر الناس بذلك ، وإلى زماننا ، وبالجملة أن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظراً ، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء وغير ذلك شيء كثير ، وأنواع باهرة . ولما فرغ رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام من عمارتها على أكمل الوجوه فضل من المال الذي أنفقاه على ذلك ستمائة ألف مثقال ، وقيل ثلاثمائة ألف مثقال ، فكتبا إلى عبد الملك يخبرانه بذلك ، فكتب إليهما : قد وهبته منكما ، فكتبا إليه : إنا لو استطعنا لزدنا في عمارة هذا المسجد من حلي نسائنا ، فكتب إليهما إذ أبيتما أن تقبلاه فأفرغاه على القبة والأبواب ، فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة مما عليها من الذهب القديم والحديث . فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قدم بيت المقدس في سنة أربعين ومائة ، فوجد المسجد خراباً ، فأمر أن يقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمروا بها ما تشعث في المسجد ، ففعلوا ذلك . وكان المسجد طويلا فأمر أن يؤخذ من طوله ويزاد في عرضه ، ولما كمل البناء كتب على القبة مما يلي الباب القبلي : أمر ببنائه بعد تشعيثه أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنتين وستين من الهجرة النبوية ، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وخمسة وستون ذراعاً ، وعرضه أربعمائة وستون ذراعا ، وكان فتوح القدس سنة ستة عشر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ففيها كان مقتل عبيد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية ، ثم استهلت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل ، فكان اجتماعهما بمكان يقال له الخازر ، بينه وبين الموصل خمسة فراسخ ، فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهرا لا يستطيع النوم ، فلما كان قريب الصبح نهض فعبى جيشه وكتّب كتائبه ، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت ، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد ، وزحف بجيشه رويدا وهو ماش في الرجالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد ، فإذاهم لم يتحرك منهم أحد ، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين ، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيحرضهم على قتال ابن زياد ويقول : هذا قاتل ابن بنت رسول الله (ص) ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم ، فعليكم به فإنه قد فعل في ابن بنت رسول الله (ص) مالم يفعله فرعون في بني إسرائيل هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين ماء الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونساؤه ، ومنعه أن ينصرف إلى بلده أو يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله ،

ويحكم !! اشفوا صدوركم منـه ، وارووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هـذا الذى فعل فى آل نبيكم ما فعل ، قد جاءكم الله به ، ثم أكثر من هذا القول وأمثاله ، ثم نزل تحت رايته وأقبل ابن زياد فى خيله ورجله فى جيش كثيف قـد جعل على ميمنته حصين بن نمير وعلى الميسرة ، عمير بن الحباب السلمى - وكان قـد اجتمع بابن الأشتر ووعـده أنه معه وأنه سينهزم بالناس غدا - وعلى خيل ابن زياد شرحبيل بن الـكلاع ، وابن زياد فى الرجالة يمشى معهم . فـا كان إلا أن تواقفا الفريقان حتى حمـل حصين بن نمير بالميمنة عـلى ميسرة أهل العراق فهزمها ، وقتل أميرها على بن مالك الجشمى فأخذ رايته من بعده ولده محمد بن على فقتل أيضاً ، واستمرت الميسرة ذاهبة فجعل الأشتر يناديهم إلى ياشرطة الله ، أنا ابن الأشتر ، وقـد كشف عن رأسـه ليعرفوه ، فالتاثوا به وانعطفوا عليـه ، واجتمعوا إليـه ، ثم حملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة أهل الشام . وقيل بل انهزمت ميسرة أهل الشام وانحازت إلى ابن الأشتر ، ثم حمـل ابن الأشتر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايتـه : ادخل برايتك فيهـم ، وقاتل ابن الأشتر يومئذ قتالا عظيما ، وكان لايضرب بسيفه رجلا إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم ، وقيل إن ميسرة أهل الشام ثبتوا وقاتلوا قتالا شديداً بالرماح ثم بالسيوف ، ثم أردف الحملة ابن الأشتر فانهزم جيش الشام بين يديه ، فجعل يقتلهـم كما يقتل الحملان ، واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان ، وثبت عبيد الله بن زياد فى موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لايعرفه ، لـكن قال لأصحابه : التمسوا فى القتلى رجـلا ضربته بالسيف فنفحتنى منـه ريح المسك ، شرقت يداه وغربت رجلاه ، وهو واقف عنـد راية منفردة على شاطىء نهر خازر : فالتمسوه فاذا هو عبيد الله بن زياد ، وإذا هو قد ضربه ابن الأشتر فقطعه نصفين ، فاحتزوا رأسه وبعثوه إلى المختار إلى الكوفة مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام ، وقتل من رؤس أهل الشام أيضاً حصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع ، واتبع الكوفيون أهل الشام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم أكثر ممن قتل ، واحتازوا مافى معسكرهم من الأموال والخيول .

وقد كان المختار بشر أصحابه بالنصر قبل أن يجىء الخبر ، فما ندرى أكان ذلك تفاؤلا منه أواتفاقا وقع له ، أوكهانة . وأما على ما كان يزعم أصحابه أنه أوحى إليـه بذلك فلا ، فان من اعتقد ذلك كفر ومن أقرهم عـلى ذلك كفر ، لـكن : قال إن الوقعـة كانت بنصيبين فأخطأ مكانها ، فانها إنما كانت بأرض الموصل ، وهذا مما انتقده عامر الشعبى على أصحاب المختار حين جاءه الخبر ، وقد خرج المختار من الكوفة ليتلقى البشارة ، فأتى المدائن فصعد منبرها فبينا هو يخطب إذ جاءته البشارة وهو هنالك . قال الشعبى : فقال لى بعض أصحابه : أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا ؟ فقلت له : زعم أن الوقعة كانت

بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإنما قال البشير : إنهم كانوا بالخازر من أرض الموصل ، فقال : والله لاتؤمن ياشعبى حتى ترى العذاب الأليم . ثم رجع المختار إلى الكوفة .

وفى غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جبانة السبيع والكناسة من الخروج إلى مصعب ابن الزبير إلى البصرة ، وكان منهم شبث بن ربعى ، وأما ابن الأشتر فانه بعث بالبشارة وبرأس ابن زياد وبعث رجلا على نيابة نصيبين واستمر مقيما فى تلك البلاد ، وبعث عمالا إلى الموصل وأخذ سنجار ودارا وما ولاها من الجزيرة

وقال أبو أحمد الحاكم : كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة ست وستين ، والصواب سنة سبع وستين . وقد قال سراقة بن مرداس البارقى يمدح ابن الأشتر على قتله ابن زياد

أتاكمْ غلام منْ عرانينُ مذحج * جرئٌ على الاعداءِ غيرُ نكولِ
فيا ابنَ زيادٍ بؤ بأعظم هالكٍ * وذقْ حدَّ ماضى الشفرتين صقيلِ
ضربناكَ بالعضبِ الحسام بحدهِ * إذا ما أتانا قتيلاً بقتيلِ
جزى اللهُ خيراً شرطةَ اللهِ إنهم * شفوا من عبيدِ اللهِ أمسِ غليلى

وهذه ترجمة ابن زياد

هو عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبى سفيان ، ويقال له زياد بن أبيه ، وابن سمية ، أمير العراق بعد أبيه زياد ، وقال ابن معين : ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهى أمه ، وقال غيره : وكانت مجوسية ، وكنيته أبو حفص ، وقد سكن دمشق بعد يزيد بن معاوية ، وكانت له دار عند الديماس تعرف بعده بدار ابن عجلان ، وكان مولده فى سنة تسع وثلاثين فيما حكاه ابن عساكر عن أبى العباس أحمد بن يونس الضبى ، قال ابن عساكر : وروى الحديث عن معاوية وسعد بن أبى وقاص ومعقل بن يسار . وحدث عنه الحسن البصرى وأبو المليح بن أسامة . وقال أبو نعيم الفضل ابن دكين: ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين كان عمره ثمانيا وعشرين سنة ، قلت : فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث وثلاثين فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن معاوية كتب إلى زياد : أن أوفد إلى ابنك ، فلما قدم عليه لم يسأله معاوية عن شىء إلا نفد منه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً ، فقال له : ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنى كرهت أن أجمع فى صدرى مع كلام الرحمن كلام الشيطان ، فقال معاوية : اغرب فوالله ما منعنى من الفرار يوم صفين إلا قول ابن الاطنابة حيث يقول :

أبتْ لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمدَ بالثمنِ الربيحِ
وإعطائى على الاعدامِ مالى * وإقدامى على البطلِ المشيحِ

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعد عن إنف صحيح

ثم كتب إلى أبيه : أن روه من الشعر ، فروّاه حتى كان لا يسقط عنه منه شئ بعد ذلك ، ومن شعره بعد ذلك : —

سيعلم مروان بن نسوة أننى * إذا التقت الخيلان أطعنها شزراً

وإنى إذا حل الضيوف ولم أجد * سوى فرسى أوسعته لهم نحراً

وقد سأل معاوية يوماً أهل البصرة عن ابن زياد فقالوا : إنه لظريف ولكنه يلحن ، فقال : أوليس اللحن أظرف له ؟ قال ابن قتيبة وغيره : إنما أرادوا أنه يلحن فى كلامه ، أى يلغز ، وهو ألحن بحجته كما قال الشاعر فى ذلك : —

منطق رائع ويلحن أحياناً * وخير الحديث ما كان لحنا

وقيل إنهم أرادوا أنه يلحن فى قوله لحنا وهو ضد الاعراب ، وقيل أرادوا اللحن الذى هو ضد الصواب وهو الأشبه والله أعلم . فاستحسن معاوية منه السهولة فى الكلام وأنه لم يكن ممن يتعمق فى كلامه ويفخمه ، ويتشدق فيه ، وقيل أرادوا أنه كانت فيه لكنة من كلام العجم ، فان أمه مرجانة كانت سيروية وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم يزدجرد أوغيره ، قالوا : وكان فى كلامه شيء من كلام العجم ، قال يوما لبعض الخوارج :أهروري أنت ؟ يعنى أحروري أنت ؟ وقال يوما من كاتلنا كاتلناه ، أى من قاتلنا قاتلناه ، وقول معاوية ذاك أظرف له ، أى أجود له حيث نزع إلى أخواله ، وقد كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم .

ثم لما مات زياد سنة ثلاث وخمسين ولى معاوية على البصرة سمرة بن جندب سنة ونصفا ثم عزله وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة ستة أشهر ، ثم عزله وولى عليها ابن زياد سنة خمس وخمسين . فلما تولى يزيد الخلافة جمع له بين البصرة والكوفة ، فبنى فى إمارة يزيد البيضاء ، وجعل باب القصر الأبيض الذى كان لكسرى عليها . وبنى الحمراء وهى على سكة المربد ، فكان يشتو فى الحمراء ويصيف فى البيضاء ، قالوا : وجاء رجل إلى ابن زياد فقال : أصلح الله الأمير ، إن امرأتى ماتت ، وإنى أريد أن أتزوج أمها ، فقال له : كم عطاؤك فى الديوان ؟ فقال : سبعمائة، فقال : ياغلام حط من عطائه أربعمائة ، ثم قال له : يكفيك من فقهك هذا ثلاثمائة ، قالوا : وتخاصمت أم الفجيج وزوجها إليه وقد أحبت المرأة أن تفارق زوجها ، فقال أبو الفجيج : أصلح الله الأمير إن خير شطرى الرجل آخره ، وإن شر شطرى المرأة آخرها ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الرجل إذا أسن اشتد عقله واستحكم رأيه وذهب جهله ، وإن المرأة إذا أسنت ساء خلقها وقل عقلها وعقم

رحمها واحمد لسانها ، فقال : صدقت خذ بيدها وانصرف ، وقال يحيى بن معين : أمر ابن زياد لصفوان بن محرز بألفى درهم فسرقت ، فقال : عسى أن يكون خيراً فقال أهله : كيف يكون هذا خيراً ؟ فبلغ ذلك ابن زياد فأمر له بألفين آخرين ، ثم وجد الألفين فصارت أربعة آلاف فكان خيراً . وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة ـ وكانت قد تزوجت بعده أزواجا من نواب العراق ـ من أعز أزواجك عندك وأكرمهم عليك ؟ فقالت : ما أكرم النساء أحد إكرام بشير بن مروان ، ولاهاب النساء هيبة الحجاج بن يوسف ، ووددت أن القيامة قد قامت فأرى عبيد الله بن زياد وأشتفى من حديثه والنظر إليه ـ وكان أبى عذارتها ـ وقد تزوجت بالآخرين أيضاً .

وقال عثمان بن أبى شيبة عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : أول من جهر بالمعوذتين فى الصلاة المكتوبة ابن زياد ، قلت : يعنى والله أعلم فى الكوفة ، فان ابن مسعود كان لايكتبهما فى مصحفه وكان فقهاء الكوفة عن كبراء أصحاب ابن مسعود يأخذون والله أعلم .

وقد كانت فى ابن زياد جرأة و إقدام ومبادرة إلى مالا يجوز ، ومالا حاجة له به ، لما ثبت فى الحديث الذى رواه أبو يعلى ومسلم ، كلاهما عن شيبان بن فروخ عن جرير عن الحسن أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أى بنى ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن شر الرعاء الحطمة ، فاياك أن تكون منهم » . فقال له اجلس فانما أنت من نخالة أصحاب رسول الله (ص) ، فقال : وهل كان فيهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفى غيرهم . وقد روى غير واحد عن الحسن أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار يعوده فقال له : إنى محدثك بحديث سمعته من رسول الله (ص) أنه قال : « ما من رجل استرعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » .

وقد ذكر غير واحد أنه لما مات معقل صلى عليه عبيد الله بن زياد ولم يشهد دفنه ، واعتذر بما ليس يجدى شيئا وركب إلى قصره ، ومن جراءته إقدامه على الأمر باحضار الحسين إلى بين يديه وإن قتل دون ذلك ، وكان الواجب عليه أن يجيبه إلى سؤاله الذى سأله فيما طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور ، فلما أشار عليه شمر بن ذى الجوشن بأن الحزم أن يحضر عندك وأنت تسيره بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الخصال أو غيرها ، فوافق شمراً على ما أشار به من إحضاره بين يديه فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضى فيه بما رآه ابن مرجانة . وقد تعس وخاب وخسر ، فليس لابن بنت رسول الله (ص) أن يحضر بين يدى ابن مرجانة الخبيث ، وقد قال محمد ابن سعد : أنبأنا الفضل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالا : حدثنا عبد السلام بن حرب عن عبد الملك بن كردوس عن حاجب عبيد الله بن زياد قال : دخلت معه القصر حين قتل الحسين قال

فاضطرم فى وجهه ناراً أو كلمة نحوها ، فقال بكه هكذا على وجهه وقال : لا تحدثن بها أحـدا ، وقال شريك عن مغيرة قال قالت مرجانة لابنها عبيـد الله : ياخبيث قتلت ابن بنت رسول الله (ص) ؟ لا ترى الجنـة أبداً . وقد قدمنا أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس فى المصرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على إمام ، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم ، فسار إلى الشام فاجتمع بمروان ، وحسن له أن يتولى الخـلافة ويدعو إلى نفسـه ففعل ذلك ، وخالف الضحاك بن قيس ، ثم انطلق عبيد الله إلى الضحاك بن قيس فما زال به حتى أخرجه من دمشق إلى مرج راهط ، ثم حسن له أن دعا إلى بيعة نفسه وخلع ابن الزبير ففعل ، فانحل نظامه ووقع ما وقع بمرج راهط ، من قتل الضحاك وخلق معه هنالك ، فلما تولى مروان أرسل ابن زياد إلى العراق فى جيش فالتقى هو وجيش التوابين مع سليمان بن صرد فكسرهم ، واستمر قاصدا الكوفة فى ذلك الجيش ، فتعوق فى الطريق بسبب من كان يمانعه من أهل الجزيرة من الأعداء الذى هم من جهة ابن الزبير . ثم اتفق خروج ابن الأشتر إليه فى سبعة آلاف ، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك ، ولكن ظفر به ابن الأشتر فقتله شر قتلة على شاطىء نهر الخازر قريبا من الموصل بخمس مراحل .

قال أبو أحمد الحاكم : وكان ذلك يوم عاشوراء قلت : وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين ، ثم بعث ابن الأشتر برأسـه إلى المختار ومعه رأس حصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وجماعـة من رؤساء أصحابهم ، فسر بذلك المختار ، فقال يعقوب بن سفيان : حـدثنى يوسف بن موسى بن جرير عن يزيد بن أبى زياد قال : لما جىء برأس ابن مرجانة وأصحابه طرحت بين يدى المختار فجاءت حية رقيقـة ثم تخللت الرؤس حتى دخلت فى فم ابن مرجانة وخرجت من منخره ، ودخلت فى منخره وخرجت من فه ، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرؤس . ورواه الترمذى من وجـه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا واصل بن عبد الاعلا بن أبى معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير . قال : لما جىء برأس عبيد الله وأصحابه فنصبت فى المسجد فى الرحبة ، فانتهيت إليها وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فاذا حية قد جاءت تخلل الرؤس حتى دخلت فى منخرى عبيد الله بن زياد ، فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا : قد جاءت قـد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . قال الترمذى : وهذا حديث حسن صحيح .

وقال أبو سليمان بن زيد : وفى سنة ست وستين قالوا فيها قتل ابن زياد والحصين بن نمير ، ولى قتلهما إبراهيم بن الأشـتر وبعث برؤسـهما إلى المختار فبعث بهما إلى ابن الزبير ، فنصبت بمكة والمدينة . وهكذا حكى ابن عساكر عن أبى أحـمد الحاكم وغيره أن ذلك كان فى سنة ست وستين ، زاد أبو أحمد فى يوم عاشوراء ، وسكت ابن عساكر عن ذلك ، والمشهور أن ذلك كان فى سـنة سبع

وستين كما ذكره ابن جرير وغيره ، ولكن بعث الرؤس إلى ابن الزبير فى هذه السنة متعذر لأن العداوة كانت قد قويت وتحققت بين المختار وابن الزبير فى هذه السنة ، وعما قليل أمر ابن الزبير أخاه مصعباً أن يسير من البصرة إلى الكوفة لحصار المختار وقتاله والله أعلم .

مقتل المختار بن أبي عبيد على يدي مصعب ابن الزبير

كان عبد الله بن الزبير قد عزل فى هذه السنة عن نيابة البصرة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى المعروف بالقباع ، وولاها لأخيه مصعب بن الزبير ، ليكون ردأً وقرناً وكفؤاً للمختار ، فلما قدم مصعب البصرة دخلها متلثماً فيمم المنبر ، فلما صعده قال الناس : أمير أمير ، فلما كشف اللثام عرفه الناس فأقبلوا إليه ، وجاء القباع فجلس تحته بدرجة ، فلما اجتمع الناس قام مصعب خطيباً فاستفتح القصص حتى بلغ [إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا] وأشار بيده نحو الشام أو الكوفة ، ثم قال [ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض] وأشار إلى الحجاز . وقال : يا أهل البصرة إنكم تلقبون أمراءكم ، وقد سميت نفسى الجزار ، فاجتمع عليه الناس وفرحوا به ، ولما انهزم أهل الكوفة حين خرجوا على المختار فقهرهم وقتل منهم من قتل ، كان لا ينهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة ، ثم خرج المختار ليلتقى بالذى جاء بالرؤس والبشارة ، اغتنم من بقى بالكوفة من أعداء المختار غيبته فذهبوا إلى البصرة فراراً من المختار لقلة دينه وكفره ، ودعواه أنه يأتيه الوحى ، وأنه قدم الموالى على الأشراف ، واتفق أن ابن الأشتر حين قتل ابن زياد واستقل بتلك النواحى ، فأحرز بلاداً وأقاليم ورساتيق لنفسه ، واستهان بالمختار ، فطمع مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث بن قيس على البريد إلى المهلب بن أبى صفرة ، وهو نائبهم على خراسان ، فقدم فى تجمل عظيم ومال ورجال وعدد وعدد ، وجيش كثيف ، ففرح به أهل البصرة وتقوى به مصعب ، فركب فى أهل البصرة ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا فى البحر والبر قاصدين الكوفة .

وقدم مصعب بين يديه عباد بن الحصين ، وجعل على ميمنته عمر بن عبيد الله بن معمر ، وعلى الميسرة المهلب بن أبى صفرة ، ورتب الأمراء على راياتها وقبائلها ، كمالك بن مسمع ، والأحنف ابن قيس ، وزياد بن عمر ، وقيس بن الهيثم وغيرهم ، وخرج المختار بعسكره فنزل المدار وقد جعل على مقدمته أبا كامل الشاكرى ، وعلى ميمنته عبد الله بن كامل ، وعلى ميسرته عبد الله بن وهب الجشمى ، وعلى الخيل وزير بن عبد الله السلولى ، وعلى الموالى أبا عمرة صاحب شرطته

ثم خطب الناس وحثهم على الخروج ، وبعث بين يديه الجيوش ، وركب هو وخلق من أصحابه

وهو يبشرهم بالنصر ، فلما انتهى مصعب إلى قريب الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية ، فما لبثت المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حمية ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء ، وخلق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء ، ثم انتهت الهزيمة إلى المختار.

وقال الواقدى : لما انتهت مقدمة المختار إليه جاء مصعب فقطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد وخرج المختار بمن بقى معه فنزل حروراء فلما قرب جيش مصعب منه جهز إلى كل قبيلة كردوسا ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ ، وإلى عبد القيس مالك بن منذر ، وإلى العالية عبد الله بن جعدة ، وإلى الأزد مسافر بن سعيد ، وإلى بنى تميم سليم بن يزيد الكندى ، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك ، ووقف المختار فى بقية أصحابه فاقتتلوا قتالا شديداً إلى الليل فقتل أعيان أصحاب المختار وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث وعمير ابن على بن أبى طالب ، وتفرق عن المختار باقى أصحابه ، فقيل له القصر القصر ، فقال : والله ماخرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه ، ولكن هذا حكم الله ، ثم ساروا إلى القصر فدخل وجاءه مصعب ففرق القبائل فى نواحى الكوفة ، واقتسموا المحال ، وخلصوا إلى القصر ، وقد منعوا المختار المادة والماء ، وكان المختار يخرج فيقاتلهم ثم يعود إلى القصر ، ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه : إن الحصار لايزيدنا إلا ضعفا ، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراما ، فوهنوا فقال أما فوالله لا أعطى بيدى . ثم اغتسل وتطيب وتحنط وخرج فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا

وقيل بل أشار عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته ، فدخله وهو ملوم مذموم ، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم ، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم ، وضيق عليهم المسالك والمقاصد ، وانسدت عليهم أبواب الحيل ، وليس فيهم رجل رشيد ولاحليم ، ثم جعل المختار يجيل فكرته ويكرر رويته فى الأمر الذى قد حل به ، واستشار من عنده فى هذا السبب السيئ الذى قد اتصل سببه بسببه من الموالى والعبيد ، ولسان القدر والشرع يناديه [قد جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد] ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه ، على أن أخرجته من بين من كان يحالفه ويواليه ، ورأى أن يموت على فرسه ، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه ، فنزل حمية وغضباً ، وشجاعة وكلبا ، وهو مع ذلك لايجد مناصاً ولا مفراً ولامهرباً ، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر ، ولعله إن كان قد استمر على ماعاش عليه أن لايفارقه التسعة عشر الموكلون بسقر ، ولما خرج من القصر سأل أن يخلى سبيله فيذهب فى أرض الله فقالوا له : إلا على حكم الأمير . والمقصود أنه لما خرج من القصر تقدم إليه رجلان شقيقان أخوان ،

وهما طرفة وطراف ابنا عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة ، فقتلاه بمكان الزياتين من الكوفة ، واحتزا رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير ، وقد دخل قصر الامارة ، فوضع بين يديه ، كما وضع رأس ابن زياد بين يدى المختار ، وكما وضع رأس الحسين بين يدى ابن زياد ، وكما سيوضع رأس مصعب بين يدى عبد الملك بن مروان ، فلما وضع رأس المختار بين يدى مصعب أمر لهما بثلاثين ألفا .

وقد قتل مصعب جماعة من المختارية ، وأسر منهم خمسمائة أسير ، فضرب أعناقهم عن آخرهم فى يوم واحد ، وقد قتل من أصحاب مصعب فى الوقعة محمد بن الأشعث بن قيس ، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت وسمرت إلى جانب المسجد ، فلم يزل هنالك حتى قدم الحجاج ، فسأل عنها فقيل له هى كف المختار ، فأمر بها فرفعت وانتزعت من هنالك ، لأن المختار كان من قبيلة الحجاج والمختار هو الكذاب ، والمبير الحجاج ، ولهذا أخذ الحجاج بثأره من ابن الزبير فقتله وصلبه شهوراً ، وقد سأل مصعب أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار عنه فقالت : ما عسى أن أقول فيه إلا ماتقولون أنتم فيه ، فتركها واستدعى بزوجته الأخرى وهى عمرة بنت النعمان بن بشير فقال لها : ماتقولين فيه ؟ فقالت : رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فسجنها وكتب إلى أخيه إنها تقول إنه نبيٌّ فكتب إليه أن اخرجها فاقتلها ، فأخرجها إلى ظاهر البلد فضربت ضربات حتى ماتت ، فقال فى ذلك عمر بن أبى ربيعة المخزومى .

إنّ من أعجبِ العجائبِ عندى * قتلَ بيضاء حرةٍ عطبولِ

قتلتْ هكذا على غير جرمٍ * إنَّ لله درها من قتيلِ

كُتبَ القتلُ والقتالُ علينا * وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

وقال أبو مخنف : حدثنى محمد بن يوسف أن مصعبا لقى عبد الله بن عمر بن الخطاب فسلم عليه فقال ابن عمر : من أنت ؟ فقال : أنا ابن أخيك مصعب بن الزبير ، فقال له ابن عمر : نعم ، أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة فى غداة واحدة ؟ عش ما استطعت ، فقال له مصعب : إنهم كانوا كفرة سحرة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدلهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا .

وهذه ترجمة المختار بن أبى عُبيد الثقفى

هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عميرة بن عوف بن ثقيف الثقفى ، أسلم أبوه فى حياة النبى ﷺ ، ولم يره ، فلهذا لم يذكره أكثر الناس فى الصحابة ، وإنما ذكره ابن الأثير فى الغابة ، وقد كان عمر بعثه فى جيش كثيف فى قتال الفرس سنة ثلاث عشرة ، فقتل يومئذ شهيداً وقتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين ، كما قدمنا ، وعرف ذلك الجسر به ، وهو جسر على دجلة فيقال له إلى اليوم جسر أبى عبيد ، وكان له من الولد صفية بنت أبى

عبيد ، وكانت من الصالحات العابدات . وهى زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله لها مكرما ومحبا ، وماتت فى حياته ، وأما أخوها المختار هذا فانه كان أولا ناصبياً يبغض عليا بغضاً شديداً ، وكان عنـد عمه فى المدائن ، وكان عمه نائبها ، فلما دخلها الحسن بن على خذله أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه ، فلما أحس الحسن منهم بالغدر فر منهم إلى المدائن فى جيش قليل ، فقال المختار لعمه : لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لا تخذت عنده اليد البيضاء أبدا ، فقال له عمه : بئس ما تامرنى به يا ابن أخى ، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبى طالب ما كان ، وكان المختار من الأمراء بالكوفة ، فجعل يقول : أما لأنصرنه ، فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مائة جلدة ، فأرسل ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يتشفع فيه ، فأرسل يزيد إلى ابن زياد فأطلقه وسيره إلى الحجاز فى عباءة ، فصار إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره أهل الشام قتالا شديدا ، ثم بلغ المختار ما قال أهل العراق فيـه من التخبيط ، فسار إليهم وترك ابن الزبير ، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتابا إلى ابن مطيع نائب الكوفـة ففعل ، فسار إليها ، وكان يظهر مدح ابن الزبير فى العلانيـة ويسبه فى السر ، ويمدح محمـد بن الحنفية ويدعو إليه ، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بثأر الحسين ، وبسبب ذلك التفت عليـه جماعات كثيرة من الشيعة وأخرج عامل ابن الزبير منها ، واستقر ملك المختار بها ، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليـه ويخبره أن ابن مطيع كان مداهنا لبنى أمية ، وقد خرج من الكوفة ، وأنا ومن بها فى طاعتك ، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤس الناس ، ويظهر طاعته ، ثم شرع فى تتبع قتلة الحسين ومن شهد الوقعة بكربلاء من ناحية ابن زياد ، فقتل منهم خلقا كثيراً ، وظفر برؤس كبار منهـم ، كعمر بن سعد بن أبى وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين . وشمر بن ذى الجوشن أمير الألف الذين ولوا قتل الحسين ، وسنان بن أبى أنس ، وخولى بن يزيد الأصبحى ، وخلق غير هؤلاء ، وما زال حتى بعث سيف نقمته إبراهيم بن الأشتر فى عشرين ألفا إلى ابن زياد ، وكان ابن زياد حين التقاه فى جيش أعظم من جيشـه ـ فى أضعاف مضاعفة ـ كانوا ثمانين ألفا ، وقيل ستين ألفا ، فقتل ابن الأشتر ابن زياد وكسر جيشـه ، واحتاز ما فى معسكره ، ثم بعث برأس ابن زياد ورؤس أصحابه مع البشارة إلى المختار ، ففرح بذلك فرحاً شـديداً ، ثم إن المختار بعث برأس ابن زياد ورأس حصين بن نمير ومن معهما إلى ابن الزبير بمكة . فأمر ابن الزبير بها فنصبت على عقبة الحجون .

وقد كانوا نصبوها بالمدينة ، وطابت نفس المختار بالملك ، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع ، فلما تبين ابن الزبير خداعه ومكره وسوء مذهبه ، بعث أخاه مصعباً أميراً على العراق ، فسار إلى البصرة

فجمع العساكر فما تم سرور المختار حتى سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة فى جيش هائل فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد ، و بعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرط على البريد ، إلى أخيه عبد الله بن الزبير ، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل ، فما زال يصلى حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذى جاء بالرأس ، فلما كان قريب الفجر قال : ماجاء بك ؟ فألقى إليه الكتاب فقرأه ، فقال : يا أمير المؤمنين معى الرأس ، فقال : ألقه على باب المسجد ، فألقاه ثم جاء فقال : جائزتى يا أمير المؤمنين ، فقال : جائزتك الرأس الذى جئت به تأخذه معك إلى العراق

ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن ، وكذلك سائر الدول ، وفرح المسلمون بزوالها ، وذلك لأن الرجل لم يكن فى نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً يزعم أن الوحى يأتيه على يد جبريل . قال الامام أحمد: حدثنا ابن نمير حدثنا عيسى القارئ أبو عمير بن السدى عن رفاعة القتبانى قال : دخلت على المختار فألقى لى وسادة وقال : لولا أن أخى جبريل قام عن هذه لألقيتها لك ، قال : فأردت أن أضرب عنقه قال فذكرت حديثا حدثنيه أخى عمر بن الحمق ، قال قال رسول الله ﷺ : « أيما مؤمن أمن مؤمنا على دمه فقتله فأنا من القاتل برئ » . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن حماد بن سلمة حدثنى عبد الملك بن عمير عن رفاعة بن شداد . قال : كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسل سيفى فأضرب عنقه ، فذكرت حديثا حدثناه عمر بن الحمق . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أمن رجلا على نفسه فقتله أعطى لواء غدر يوم القيامة » ورواه النسائى وابن ماجه من غير وجه عن عبد الملك بن عمير وفى لفظ لهما : « من أمن رجلا على دم فقتله فأنا برى من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً » . وفى سند هذا الحديث اختلاف . وقد قيل لابن عمر : إن المختار يزعم أن الوحى يأتيه ، فقال صدق ، قال تعالى [وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم] وروى ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمنى وأنزلنى عنده ، وكان يتعاهد مبيتى بالليل قال فقال لى : اخرج فحدث الناس ، قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ماتقول فى الوحى ؟ فقلت الوحى وحيان قال الله تعالى [إنا أوحينا إليك هذا القرآن] وقال تعالى [وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً] قال فهموا أن يأخذونى فقلت : مالكم وذاك ! إنى مفتيكم وضيفكم . فتركونى ، وإنما أراد عكرمة أن يعرض بالمختار وكذبه فى ادعائه أن الوحى ينزل عليه .

وروى الطبرانى من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم أن أباها دخل على المختار بن أبى عبيد فقال له : يا أبا عامر لو شفت [1] رأى جبريل وميكائيل ، فقال له زيد خسرت وتعست ، أنت أهون

(١) كذا بالأصول كلها وفى القاموس : شاف تطلع وأشرف .

على الله من ذلك ، كذاب مفتر على الله ورسوله ، وقال الامام أحمد : حدثنا ابن إسحاق بن يوسف ثنا ابن عوف الصديق الناجي أن الحجاج بن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق ، بعد ماقتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل به وفعل ، فقالت له كذبت ، كان باراً بالوالدين ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله (ص) « أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . هكذا رواه أحمد بهذا السند واللفظ . وقد أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل عن عقبة بن مكرم العمى البصري عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل عن أبي عقرب واسمه معاوية بن سلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله (ص) قال : « إن في ثقيف كذابا ومبيراً » . وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي ، وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في دلائل النبوة ، وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة ، وأسرّ إلى أخصائه أنه يوحى إليه ، ولكن ما أدري هل كان يدعى النبوة أم لا ؟ وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال ، ويستر بالحرير ، ويحمل على البغال ، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن ، ولاشك أنه كان ضالا مضلا أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ، كما قال تعالى [وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون] وأما المبير فهو القتال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي نائب العراق لعبد الملك ابن مروان ، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير ، كما سيأتي بيانه قريباً .

وذكر الواقدي أن المختار لم يزل مظهراً موافقة ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً ، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه ، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار ، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكذب ، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الامارة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر ، ثم قتله في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين ، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل

فصل

ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة بعث إلى إبراهيم بن الأشتر ليقدم عليه ، وبعث إليه عبد الملك بن مروان ليقدم عليه ، فحار ابن الأشتر في أمره ، وشاور أصحابه إلى أيهما يذهب ، ثم اتفق رأيهم على الذهاب إلى بلدهم الكوفة ، فقدم ابن الأشتر على مصعب بن الزبير فأكرمه وعظمه

واحترمه كثيراً ، و بعث مصعب المهلب بن أبى صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية ، وكان قد استخلف على البصرة حين خرج منها عبيد الله بن عبد الله بن معمر ، وأقام هو بالكوفة ؛ ثم لم تنسلخ هذه السنة حتى عزله أخوه عبد الله بن الزبير عن البصرة وولى عليها ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان شجاعا جواداً مخلطا يعطى أحيانا حتى لايدع شيئاً ، ويمنع أحياناً مالم يمنع مثله ، وظهرت خفة وطيش فى عقله ، وسرعة فى أمره ، فبعث الأحنف إلى عبد الله بن الزبير فعزله وأعاد إلى ولايتها أخاه مصعباً مضافاً إلى ما بيده من ولاية الكوفة ، قالوا : وخرج حمزة بن عبد الله بن الزبير من البصرة بمال كثير من بيت مالها ، فعرض له مالك بن مسمع ، فقال : لاندعك تذهب بأعطياتنا ، فضمن له عبيد الله بن معمر العطاء فكف عنه ، فلما انصرف حمزة لم يقدم على ابيه مكة ، بل عدل إلى المدينة ، فأودع ذلك المال رجالا فكلهم غل ما أودعه وجحده ، سوى رجل من أهل الكتاب ، فأدى إليه أمانته . فلما بلغ أباه ماصنع قال . أبعده الله ، أردت أن أباهى به بنى مروان فنكص . وذكر أبو مخنف أن حمزة بن عبد الله بن الزبير ولى البصرة سنة كاملة فالله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس فيها عبد الله بن الزبير ، وكان عامله على الكوفة أخاه مصعبا ، وعلى البصرة ابنه حمزة ، وقيل بل كان رجع إليها أخوه ، وعلى خراسان وتلك البلاد عبد الله بن خازم السلمى من جهة ابن الزبير والله سبحانه أعلم .

وممن توفى فيها من الأعيان الوليد بن عقبة بن أبى معيط . وأبو الجهم ، وهو صاحب الانبجانية المذكورة فى الحديث الصحيح . وفيها قتل خلق كثير يطول ذكرهم .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ففيها رد عبد الله أخاه مصعباً إلى إمرة البصرة ، فأتاها فأقام بها ، واستخلف على الكوفة الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، قباع ، واستعمل على المدينة جابر بن الأسود الزهرى ، وعزل عنها عبد الرحمن بن الأشعث لكونه ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطا ، فانه أراد منه أن يبايع لابن الزبير فامتنع من ذلك فضربه ، فعزله ابن الزبير . وفيهـا هلك ملك الروم قسطنطين بن قسطنطين ببلده ، وفيها كانت وقعة الأزارقة .

وذلك أن مصعباً كان قد عزل عن ناحية فارس المهلب بن أبى صفرة ، وكان قاهراً لهم وولاه الجزيرة ، وكان المهلب قاهراً للأزارقة ، وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن معمر ، فثاروا عليه فقاتلهم عمر بن عبيد الله فقهرهم وكسرهم ، وكانوا مع أميرهم الزبير بن الماحور ، ففروا بين يديه إلى اصطخر فاتبعهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقتلوا ابنه ، ثم ظفر بهم مرة أخرى ثم هربوا إلى بلاد

أصبهان ونواحيها ، فتقووا هنالك وكثر عـددهم وعددهم ، ثم أقبلوا يريدون البصرة ، فروا ببعض بلاد فارس وتركوا عمر بن عبيـد الله بن معمر وراء ظهورهم ، فلما سمع مصعب بقدومهـم ركب فى الناس وجعل يلوم عمر بن عبيد الله بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده ، وقـد ركب عمر بن عبيد الله فى آثارهم ، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله وراءهم ، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويبقرون بطون الحبالى ، ويفعلون أفعالا لم يفعلها غـيرهم ، فقصدهم نائب الكوفة الحارث بن أبى ربيعة ومعه أهلها وجماعات من أشرافها ، منهـم ابن الأشتر وشبث بن ربعى ، فلما وصلوا إلى جسر الصراة قطعه الخوارج بينه وبينهـم ، فأمر الأمير باعادته ، ففرت الخوارج هاربين بين يديه ، فاتبعهم عبـد الرحمن بن مخنف فى سـتة آلاف فروا على الـكوفة ثم صاروا إلى أرض أصبهان ، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم ، ثم أقبلوا فحاصروا عتاب بن ورقاء شهراً ، بمدينة جيا ، حتى ضيقوا عـلى الناس فنزلوا إليهـم فقاتلوهم فكشفوهم وقتـلوا أميرهم الزبير بن الماجور وغنموا ما فى معسكرهم ، وأمرت الخوارج عليهم قطرى بن الفجاءة ثم ساروا إلى بلاد الأهواز ، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبى صفرة - وهو على الموصل - أن يسير إلى قتال الخوارج وكان أبصر الناس بقتالهـم ، وبعث مكانه إلى الموصل إبراهيم بن الأشـتر فانصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالا لم يسمع بمثله

قال ابن جرير : وفى هـذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام بحيث لم يتمكنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم . قال ابن جرير : وفيها قتل عبيد الله بن الحر وكان من خبره أنه كان رجلا شجاعا تتقلب به الأحوال والأيام والآراء ،حتى صار من أمره أنه لايطاع لأحد من بنى أمية ولا لآل الزبير ، وكان يمر على عامل الـكورة من العراق وغيره فيأخـذ منه جميع ما فى بيت ماله قهراً ويكتب له براءة وينهب فينفقه على أصحابه . وكان الخلفاء والأمراء يبعثون إليـه الجيوش فيطردها ويكسرها قلت أو كثرت ، حتى كاع فيـه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق ، ثم إنه وفد على عبد الملك بن مروان فبعثه فى عشرة نفر وقال : ادخل الكوفة وأعلمهم أن الجنود ستصل إليهم سريعاً ، فبثّ فى السر إلى جماعة من إخوانه فظهر على أمره فأعـلم أمير الكوفة الحارث بن عبد الله فبعث إليه جيشا فقتلوه فى المـكان الذى هو فيه ، وحمل رأسه إلى الكوفة ، ثم إلى البصرة ، واستراح الناس منه .

قال ابن جرير : وفيها شهد موقف عرفة أربع رايات متباينة ، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى الواحدة لمحمد بن الحنفية فى أصحابه ، والثانية لنجدة الحرورى وأصحابه ، والثالثة لبنى أمية ، والرابعة لعبد الله بن الزبير ، وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية ، ثم نجدة ، ثم بنو أمية ، ثم دفع ابن الزبير

فدفع الناس معه ، وكان عبد الله بن عمر فيمن انتظر دفع ابن الزبير ، ولكنه تأخر دفعه ، فقال ابن عمر : أشبه بتأخره دفع الجاهلية ، فدفع ابن عمر فدفع ابن الزبير ، وتحاجز الناس فى هذا العام فلم يكن بينهم قتال . وكان على نيابة المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهرى من جهة ابن الزبير ، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب ، وعلى ملك الشام ومصر عبد الملك بن مروان ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان

عبد الله بن يزيد الأوسى ، شهد الحديبية ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث . وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، ابن أخى عمر بن الخطاب ، أدرك النبي (ص) ، وتوفى بالمدينة عن نحو سبعين سنة . عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى . عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن امرىء القيس ، صحابى جليل ، سكن الكوفة ثم سكن قوميسيا . زيد بن أرقم بن زيد صحابى جليل

وفيها توفي عبدالله بن عباس ترجمان القرآن

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى أبو العباس الهاشمى بن عم رسول الله (ص) ، حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله وترجمانه ، كان يقال له الحبر والبحر ، وروى عن رسول الله (ص) شيئا كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله ، رضى الله عنه وأرضاه . وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو أخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس ، وهو آخرهم مولداً ، وقد مات كل واحد منهم فى بلد بعيد عن الآخر كما سيأتى ذلك . قال مسلم بن خالد الزنجى المكى عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس . قال : لما كان رسول الله (ص) فى الشعب جاء أبى إلى رسول الله (ص) فقال له : يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : « لعل الله أن يقر أعينكم » . قال : فلما ولدتنى أتى بى رسول الله (ص) وأنا فى خرقة فحنكنى بريقه . قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله (ص) بريقه غيره ، وفى رواية أخرى فقال رسول الله (ص) : « لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام » فولدت عبد الله بن عباس ، وعن عمرو بن دينار قال : ولد ابن عباس عام الهجرة ، وروى الواقدى من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين ، ونحن فى الشعب ، وتوفى رسول الله (ص) وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم قال الواقدى : وهذا مالا خلاف فيه بين أهل العلم . واحتج الواقدى بأنه كان قد ناهز الحلم

عام حجه الوداع . وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : توفى رسول الله (ص) وأنا مختون ، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم . وقال شعبة وهشام وابن عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : توفى رسول الله (ص) وأنا ابن عشر سنين مختون . زاد هشام : وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله (ص) . قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل . وقال أبو داود الطيالسى عن شعبة عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قبض رسول الله (ص) وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون ، وهذا هو الأصح ويؤيده صحة ماثبت فى الصحيحين ، ورواه مالك عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس قال : أقبلت راكبا على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله (ص) يصلى بالناس بمنى إلى غير جدار ، فمررت بين يدى بعض الصف ، فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت فى الصف ، فلم ينكر على ذلك أحد . وثبت عنه فى الصحيح أنه قال : كنت أنا وأمى من المستضعفين ، كانت أمى من النساء وكنت أنا من الولدان ، وهاجر مع أبيه قبل الفتح ، فاتفق لقياهما النبى (ص) بالجحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة ، فشهد الفتح وحنيناً والطائف عام ثمان ، وقيل كان فى سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر ، وصحب النبى (ص) حينئذ ولزمه ، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال ، وأخذ عن الصحابة علماً عظيما مع الفهم الثاقب ، والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة ، والاصالة والبيان ، ودعا له رسول الرحمن (ص) ، كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان ، أن رسول الله (ص) « دعا له بأن يعلمه التأويل ، وأن يفقهه فى الدين » . وقال الزبير ابن بكار : حدثنى ساعدة بن عبيد الله المزنى عن داود بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أنه قال : إن عمر كان يدعو عبد الله بن عباس فيقربه ويقول : إنى رأيت رسول الله (ص) دعاك يوماً فمسح رأسك وتفل فى فيك وقال : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » . وبه أن رسول الله (ص) قال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » . وقال حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : بت فى بيت خالتى ميمونة فوضعت للنبى (ص) غسلا ، فقال : « من وضع هذا ؟ قالوا : عبد الله بن عباس ، فقال : اللهم علمه التأويل ، وفقهه فى الدين » . وقد رواه غير واحد عن ابن خثيم بنحوه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن بكر بن أبى صفرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريباً أخبره أن ابن عباس قال : أتيت رسول الله (ص) من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدى فجرنى حتى جعلنى حذاءه ، فلما أقبل رسول الله (ص) على صلاته خنست فصلى رسول الله (ص) فلما انصرف من صلاته قال : « ماشأنى أجعلك فى حذائى فتخنس » ؟ فقلت : يارسول الله أو ينبغى لأحد أن يصلى فى حذائك وأنت رسول الله الذى أعطاك الله عز وجل ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لى أن يزيدنى

علما وفهما ، قال : ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى سمعت نفخه ، ثم أتاه بلال فقال : يارسول الله الصلاة ، فقام فصلى ما أعاد وضوءاً .

وقال الامام أحمد وغيره : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا ورقاء سمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءاً ، فلما خرج قال من وضع ذا ؟ فقيل ابن عباس ، فقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » . وقال الثورى وغيره عن ليث عن أبى جهضم موسى بن سالم عن ابن عباس أنه رأى جبريل وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بالحكمة ، وفى رواية بالعلم ، مرتين . وقال الدارقطنى : حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمى وآخرون قالوا : حدثنا العباس بن محمد حدثنا محمد بن مصعب بن أبى مالك النخعى عن أبى إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأيت جبريل مرتين ، ودعا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرتين » ، ثم قال : غريب من حديث أبى إسحاق السبيعى عن عكرمة تفرد به عنه أبو مالك النخعى عبد الملك بن حسين

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علمه الحكمة » . ورواه أحمد أيضاً عن إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء عن عكرمة عنه قال : « ضمنى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : اللهم علمه الكتاب » . وقد رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث خالد وهو ابن مهران الحذاء عن عكرمة عنه به وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد ثنا سليمان بن بلال ثنا حسين بن عبد الله بن عكرمة عن ابن عباس . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل » . تفرد به أحمد ، وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا . ومنهم من أرسله عن عكرمة ، والمتصل هو الصحيح ، فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس ، وروى من طريق أمير المؤمنين المهدى عن أبيه عن أبى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم علمه الكتاب وفقهه فى الدين » .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو كامل وعفان المعنى قالا : ثنا حماد ثنا عمار بن أبى عمار عن ابن عباس . قال : « كنت مع أبى عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يناجيه ، قال عفان : وهو كالمعرض عن العباس ، فخرجنا من عنده فقال العباس : ألم أر ابن عمك كالمعرض عنى ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيه ، قال عفان قال عباس : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم ، فرجع إليه فقال : يارسول الله هل كان عندك أحد آنفا ؟ فان عبد الله أخبرنى أنه كان عندك رجل يناجيك ، قال : هل رأيته يا عبد الله ؟ قال : قلت نعم ! قال ذاك جبريل عليه السلام » . وقد روى من حديث المهدى عن

آبائه ، وفيه ان رسول الله (ص) قال له : « أما إنك ستصاب فى بصرك » . وكان كذلك ، وقد روى من وجه آخر أيضاً والله أعلم .

ذكر صفة اخرى لرؤيته جبريل

رواها قتيبه عن الدراوردى عن ثور بن يزيد عن موسى بن ميسرة أن العباس بعث ابنه عبد الله فى حاجة إلى رسول الله (ص) ، فوجد عنده رجلا فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل ، فلقى العباس بعد ذلك رسول الله (ص) ، فقال العباس : يارسول الله أرسلت إليك ابنى فوجد عندك رجلا فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه ، فقال رسول الله (ص) : « ياعم تدرى من ذاك الرجل ؟ قال : لا ! قال: ذاك جبريل، ولن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علما » . ورواه سليمان بن بلال عن ثور بن يزيد كذلك ، وله طريق أخرى . وقد ورد فى فضائل ابن عباس أحاديث كثيرة منها ماهو منكر جداً أضربنا عن كثير منها صفحا ، وذكرنا مافيه مقنع وكفاية عما سواه .

وقال البيهقى : أنبأ أبو عبد الله الحافظ أنبأ عبد الله بن الحسن القاضى بمرو ثنا الحارث بن محمد أنبأ يزيد بن هارون أنبأ جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لما قبض رسول الله (ص) قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فانهم اليوم كثير ، فقال : ياعجبا لك يا ابن عباس ! ! أترى الناس يفتقرون إليك وفى الناس من أصحاب رسول الله (ص) من فيهم ؟ قال : فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله (ص) ، فان كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فآتى بابه وهو قائل فأتوسد ردائى على بابه يسفى الريح على من التراب ، فيخرج فيرانى فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلى فآتيك ؟فأقول : لا ! أنا أحق أن آتيك ، قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع حولى الناس يسألونى ، فيقول: هذا الفتى كان أعقل منى » . وقال محمد بن عبد الله الأنصارى : ثنا محمد بن عمرو ابن علقمة ثنا أبو سلمة عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله (ص) عند هذا الحى من الأنصار . إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لى عليه لأذن لى ، ولكن أبتغى بذلك طيب نفسه . وقال محمد بن سعد : أنبأ محمد بن عمر حدثنى قدامة بن موسى عن أبى سلمة الحضرمى قال سمعت ابن عباس يقول : كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازى رسول الله (ص) ، ومانزل من القرآن فى ذلك ، وكنت لا آتى أحداً منهم إلا سر باتيانى إليه ، لقربى من رسول الله (ص) ، فجعلت أسأل أبى بن كعب يوماً - وكان من الراسخين فى العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل سبع وعشرون سورة وسائرها مكى .

وقال أحمد : عن عبد الرزاق عن معمر قال : عامة علم ابن عباس من ثلاثة ، من عمر وعلى وأبى

بن كعب ، وقال طاوس عن ابن عباس أنه قال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد من ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال مغيرة عن الشعبي قال: قيل لابن عباس : أنى أصبت هذا العلم ؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول . وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وكان إذا أقبل يقول عمر : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السئول ، والقلب العقول . وثبت فى الصحيح أن عمر سأل الصحابة عن تفسير [إذا جاء نصر الله والفتح] فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر ، ثم سأل ابن عباس عنها فقال : أجل رسول الله ﷺ نعى إليه ، فقال : لا أعلم منها إلا ما تعلم ، وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره ، وكبير منزلته فى العلم والفهم . وسأله مرة عن ليلة القدر فاستنبط أنها فى السابعة من العشر الأخير فاستحسنه عمر واستجاده كما ذكرنا فى التفسير .

وقد قال الحسن بن عرفة : حدثنا يحيى بن اليمان عن عبد الملك بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير عن عمر أنه قال لابن عباس : لقد علمت علماً ما علمناه ، وقال الأوزاعى قال عمر لابن عباس : إنك لأصبح فتياننا وجها ، وأحسنهم عقلا ، وأفقهم فى كتاب الله عز وجل . وقال مجاهد عن الشعبى عن ابن عباس قال قال لى أبى : إن عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عنى ثلاثا ، لاتفشين له سرا ، ولاتغتابن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذبا . قال الشعبى : قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

وقال الواقدى : حدثنا عبد الله بن الفضل بن أبى عبد الله عن أبيه عن عطاء بن يسار أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر ، وكان يفتى فى عهد عمر وعثمان إلى يوم مات . قلت : وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبى سرح ، وقال الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه قال : نظر أبى إلى ابن عباس يوم الجمل يمشى بين الصفين ، فقال : أقر الله عين من له ابن عم مثل هذا ، وقد شهد مع على الجمل وصفين وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج وكان ممن أشار على على أن يستنيب معاوية على الشام ، وأن لا يعزله عنها فى بادئ الأمر ، حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فوله شهراً واعزله دهراً ، فأبى على إلا أن يقاتله ، فكان ما كان مما قد سبق بيانه . ولما تراوض الفريقان على تحكيم الحكمين طلب ابن عباس أن يكون من جهة على ليكافئ عمرو بن العاص ، فامتنعت مذحج وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة على أبو موسى الأشعرى ، وكان من أمر الحكمين ما سلف . وقد استنابه على على البصرة ، وأقام للناس الحج فى بعض السنين فخطب بهم فى عرفات خطبة وفسر فيها سورة البقرة ، وفى رواية سورة النور ، قال من سمعه : فسر ذلك تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا . وهو أول من عرّف بالناس فى البصرة ، فكان

يصعد المنبر ليلة عرفة ويجتمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن ، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب ، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب ، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك ، فمنهم من كره ذلك وقال : هو بدعة لم يعملها رسول الله ص ، ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس ، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الحجاج .

وقد كان ابن عباس ينتقد على علي في بعض أحكامه فيرجع إليه علي في ذلك ، كما قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن عليا حرق ناسا ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم بالنار ، إن رسول الله ص قال : « لاتعذبوا بعذاب الله » بل كنت قاتلهم لقول رسول الله ص : « من بدل دينه فاقتلوه » . فبلغ ذلك علياً فقال : ويح ابن عباس ، وفي رواية ويح ابن عباس إنه لغواص على الهنات وقد كافأه على فان ابن عباس كان يرى إباحة المتعة ، وأنها باقية ، وتحليل الحمر الانسية ، فقال علي : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله ص « نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الانسية يوم خيبر » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما ، وله ألفاظ هذا من أحسنها والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال البيهقي : أنبأ أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر بن المؤمل يقول سمعت أبا نصر بن أبي ربيعة يقول : ورد صعصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس ـ وكان علي خلفه بها ـ فقال صعصعة : ياأمير المؤمنين ، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث ، آخذ بقلوب الرجال إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حُدث وبأيسر الأمرين إذا خولف . وترك المراء ومقارنة اللئيم ، وما يعتذر منه . وقال الواقدي : ثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن سعيد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه . قال : ما رأيت أحداً أحضر فهما ولا ألب لبا ، ولا أكثر علما ، ولا أوسع حلما من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءتك معضلة ، ثم لايجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار . وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله بن مسعود : لو أدرك ابن عباس أسناننا ماعشره منا أحد . وكان يقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، وعن ابن عمر أنه قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ص .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر حدثني يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال سمعت جابر بن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفق باحدى يديه على الأخرى : مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس ، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق . وبه إلى يحيى بن العلاء عن عمر بن عبد الله عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . قال : لما مات ابن عباس قال رافع ابن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم . قال الواقدي : وحدثني

أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عمرو بن أبي عمرو : عن عكرمة قال : سمعت معاوية يقول مات والله أفقه من مات ومن عاش ، وروى ابن عساكر عن ابن عباس قال : دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو ، فاذا عنده أناس فقال : مرحباً بابن عباس ، ما تحاكت الفتنة بيني و بين أحد كان أعز علي بعداً ولا أحب إلى قربا ، الحمد لله الذي أمات علياً، فقلت له : إن الله لايذم في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني من ابن عمي وأعفيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك . وقالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس : هو أعلم الناس بالمناسك . وقال ابن المبارك عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال : لاتفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ ، قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد : أرني يداك ؟ فأخرج يديه فقبلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وقال الواقدي : حدثني داود بن هند عن سعيد بن جبير سمعت ابن المسيب يقول : ابن عباس أعلم الناس . وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عتبة قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال . بعلم ما سبق إليه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل . وما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما ما يذكر فيه إلا التأويل ، ويوما ما يذكر فيه إلا المغازي ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ، ومارأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا وجدت سائلا سأله إلا وجد عنده علما . قال : وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتا . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت مثل ابن عباس قط . وقال عطاء : مارأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقها ، ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر عنه يسألونه ، فكلهم يصدر في واد أوسع .

وقال الواقدي : حدثني بشر بن أبي سليم عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان ابن عباس قد يسبق على الناس في العلم كما تسبق النخلة السحوق على الودى الصغار . وقال ليث بن أبي سليم قلت لطاوس : لم لزمت هذا الغلام ؟ - يعني ابن عباس - وتركت الأكابر من الصحابة ؟ فقال : إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شئ صاروا إلى قوله ، وقال طاوس أيضاً : مارأيت أفقه منه ، قال وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره . وقال علي بن المديني ويحيى بن معين وأبو نعيم وغيرهم عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : ما رأيت مثله قط ، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة - يعني ابن عباس - وقال أبو بكر بن أبي شيبة وغيره عن أبي أسامة عن الأعمش

عن مجاهد . قال : كان ابن عباس أمدهم قامة ، وأعظمهم جفنة ، وأوسعهم علما . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلسه - يعني ابن عباس - الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام . وقال مجاهد : ما رأيت أعرب لسانا من ابن عباس ، وقال محمد بن سعد : ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن أخضر عن سليمان التيمي - وهو ممن أرسله الحكم بن أديب - إلى الحسن سأله عن أول من جمّع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة ؟ قال : ابن عباس ، وكان رجلا مثجا - أحسب في الحديث - كثير العلم ، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرها آية آية .

وقد روى من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه ، وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري : روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال : كان ابن عباس أول من عرّف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا . مثجى : قال ابن قتيبة مثجى من الثج وهو السيلان ، قال تعالى [وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا] وقيل كثيرا بسرعة : وقال يونس بن بكير : حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح : قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر ، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع لي وضوءا ، قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال إخوانكم فخرجوا ، ثم قال اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها ، فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال إخوانكم فخرجوا ، قال أبو صالح : فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا ، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس .

وقال طاوس وميمون بن مهران : ما رأينا أورع من ابن عمر ولا أفقه من ابن عباس ، قال ميمون : وكان ابن عباس أفقههما ، وقال شريك القاضي عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس ، فإذا نطق قلت أفصح الناس ، فإذا تحدث

قلت أعلم الناس . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن عكرمة قال : كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن ، وكان على أعلمهما بالمبهمات ، وقال إسحاق بن راهويه : إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ماعند على من التفسير ، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى بن كعب وغيرهم من كبار الصحابة . مع دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له أن يعلمه الله الكتاب . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبى وائل شقيق بن سلمة قال : خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرؤها ويفسرها فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لوسمعته فارس والروم لأسلمت . وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل أن ابن عباس حج بالناس عام قتل عثمان فقرأ سورة النور وذكر نحو ماتقدم ، فلعل الأول كان فى زمان على فقرأ فى تلك الحجة سورة البقرة ، وفى فتنة عثمان سورة النور ، والله أعلم .

وقد روينا عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقف عند كل آية فأسأل عنها ، وروى عنه أنه قال : أربع من القرآن لا أدرى ما به جيء : الأواه ، والحنان ، والرقيم ، والغسلين . وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع . وقال ابن وهب وغيره عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد . قال : كان ابن عباس إذا سئل عن مسألة فان كانت فى كتاب الله قال بها ، وإن لم تكن وهى فى السنة قال بها ، فان لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجدها عن أبى بكر وعمر قال بها ، وإلا اجتهد رأيه ، وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو عاصم وعبد الرحمن بن الشمي عن كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة . قال : شتم رجل ابن عباس فقال له : إنك لتشتمنى وفى ثلاث خصال ، إنى لآتى على الآية من كتاب الله فأود أن الناس علموا منها مثل الذى أعلم ، وإنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضى بالعدل ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعو إليه ، ولعلى لا قاضى إليه ولاأحاكم أبداً وإنى لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به ومالى بها من سائمة أبداً ، ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون عن كهمس به . وقال ابن أبى مليكة : صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة ، وكان يصلى ركعتين فاذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفا حرفا ، ويكثر فى ذلك من النشيج والنحيب ويقرأ [وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد] وقال الأصمعى عن المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم قال : كان فى هذا المكان – وأومأ إلى مجرى الدموع من خديه يعنى خدى ابن عباس – مثل الشراك البالى من البكاء . وقال غيره : كان يصوم يوم الأثنين والخميس ، وقال : أحب أن يرتفع عملى وأنا صائم ، وروى هاشم وغيره عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام

إلى الله عز وجل . ومن أكرم العباد على الله عز وجل ، ومن أكرم الاماء على الله عز وجل . وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا فى رحم ؛ وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكان فى الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة ، وعن قوس قزح ما هو ؟ وعن المجرة . فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن فكتب ابن عباس إليه : أما أحب الكلام إلى الله فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأكرم العباد على الله آدم ؛ خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء . وأكرم الاماء على الله مريم بنت عمران ، وأما الأربعة الذين لم يركضوا فى رحم فآدم وحواء وعصى موسى ، وكبش إبراهيم الذى فدى به إسماعيل . وفى رواية وناقة صالح ، وأما القبر الذى سار بصاحبه فهو حوت يونس ، وأما المكان الذى لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنوا إسرائيل فيه ، وأما قوس قزح فأمان لأهل الأرض من الغرق ، والمجرة باب فى السماء ، وفى رواية الذى ينشق منه . فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال : والله ما هى من عند معاوية ولا من قوله ، وإنما هى من عند أهل النبى ص... ، وقد ورد فى هذه الاسئولة روايات كثيرة فيها وفى بعضها نظر والله أعلم

فصل

تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور ، وفى غيبته هذه قتل عثمان ، وحضر ابن عباس مع على الجمل ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وشهد قتال الخوارج وتأمر على البصرة من جهة على ، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلى على الصلاة ، وزياد بن أبى سفيان على الخراج ، وكان أهل البصرة مغبوطين به ، يفقههم ويعلم جاهلهم ، ويعظ مجرمهم ، ويعطى فقيرهم ، فلم يزل عليها حتى مات على ، ويقال إن عليا عزله عنها قبل موته ، ثم وفد على معاوية . فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه ، وكان يلقى عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعا ، فكان معاوية يقول : ما رأيت أحداً أحضر جواباً منه ، ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن على اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزاه فيه بأحسن تعزية ، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً كما قدمنا ، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدى ابن عباس وعزاه بعبارة فصيحة وجيزة ، شكره عليها ابن عباس ، ولما مات معاوية ورام الحسين الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهى ، وأراد ابن عباس أن يتعلق بثياب الحسين - لأن ابن عباس كان قد أضر فى آخر عمره - فلم يقبل منه ، فلما بلغه موته حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته ، وكان يقول : يالسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم : فانك إن لاتفعل تندم . وجاء إليه رجل يقال له جندب فقال له : أوصنى ، فقال : أوصيك

بتوحيد الله والعمل له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فان كل خير آتيه أنت بعد ذلك منك مقبول ، وإلى الله مرفوع ، ياجندب إنك لن تزدد من موتك إلا قربا ، فصل صلاة مودع . واصبح فى الدنيا كأنك غريب مسافر : فانك من أهل القبور ، وابك على ذنبك وتب من خطيئتك ، ولتكن الدنيا عليك أهون من شسع نعلك ، فكأن قد فارقتها وصرت إلى عدل الله ، ولن تنتفع بما خلفت ، ولن ينفعك إلا عملك . وقال بعضهم : أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم ، قال : لاتكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعا ، ولا تمار سفيها ولا حليما فان الحليم يغلبك والسفيه يزدريك ، ولاتذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذى تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالاحسان مأخوذ بالاجرام . فقال رجل عنده : يا ابن عباس ! هذا خير من عشرة آلاف . فقال ابن عباس : كلمة منه خير من عشرة آلاف . وقال ابن عباس : تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره ـ يعنى أن تعجل العطية للمعطى ، وأن تصغر فى عين المعطى ـ وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها ! فان فى إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطى ، واستحياءه من الناس . وقال ابن عباس : أعز الناس على جليس لو استطعت أن لايقع الذباب على وجهه لفعلت ، وقال أيضاً : لا يكافىء من أتانى يطلب حاجة فرآنى لها موضعا إلا الله عز وجل ، وكذا رجل بدأنى بالسلام أو أوسع لى فى مجلس أو قام لى عن المجلس ، أو رجل سقانى شربة ماء على ظمأ ، ورجل حفظنى بظهر الغيب . والمأثور عنه من هذه المكارم كثير جداً وفيما ذكرنا إشارة إلى مالم نذكره .

وقد عده الهيثم بن عدى فى العميان من الأشراف ، وفى بعض الأحاديث الواردة عنه مايدل على ذلك ، وقد أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه ، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه ، فقيل له فى ذلك فقال : أصابنى مارأيتم فى الأولى شفقة على الأخرى ، فلما ذهبتا اطمأن قلبى . وقال أبو القاسم البغوى : ثنا على بن الجعد ثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه وقع فى عينيه الماء فقال له الطبيب : ننزعك من عينيك الماء على أن لا تصلى سبعة أيام . فقال : لا ! إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقى الله وهو عليه غضبان ، وفى رواية أنه قيل له : نزيل هذا الماء من عينيك على أن تبقى خمسة أيام ولا تصلى إلا على عود ، وفى رواية إلا مستلقيا ، فقال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقى الله وهو عليه غضبان . وقد أنشد المدائنى لابن عباس حين عمى

إن يأخذ اللهُ مِنْ عينىَّ نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نورُ
قلبى ذكىٌّ وعقلى غيرُ ذى دخلٍ * وفى فمى صارمٌ كالسيفِ مأثورُ

ولما وقع الخلف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس ، فدعاهما ابن الزبير ليبايعاه فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لانبايعك ولا نخالفك ، فهم بهما

فبعثا أبا الطفيل عامر بن واثلة فاستنجد لهما من العراق من شيعتهما . فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهموا بابن الزبير فهرب فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائذ بالله ، فكفوهم عنه ، ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف ، وأقام ابن عباس سنتين لم يبايع أحداً كما تقدم .

فلما كان فى سنة ثمان وستين توفى ابن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، فلما وضعوه ليدخلوه فى قبره جاء طائر أبيض لم ير مثل خلقته ، فدخل فى أكفانه والتف بها حتى دفن معه . قال عفان : وكانوا يرون علمه وعمله ، فلما وضع فى اللحد تلا تال لا يعرف من هو وفى رواية أنهم سمعوا من قبره [ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى] هذا القول فى وفاته هو الذى صححه غير واحد من الأئمة ، ونص عليه أحمد بن حنبل والواقدى وابن عساكر ، وهو المشهور عند الحفاظ ، وقيل إنه توفى فى سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ، وقيل سنة سبع وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، وقيل سنة سبعين . والأول أصح ، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة والله سبحانه وتعالى أعلم . وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أربع وسبعين ، والأول أصح والله أعلم .

صفة ابن عباس

كان جسيما إذا جلس يأخذ مكان رجلين ، جميلا له وفرة ، قد شاب مقدم رأسه ، وشابت لمته ، وكان يخضب بالحناء وقيل بالسواد ، حسن الوجه يلبس حسناً ويكثر من الطيب بحيث إنه كان إذا مر فى الطريق يقول النساء هذا ابن عباس أو رجل معه مسك ، وكان وسيما أبيض طويلا جسيما فصيحاً ، ولما عمى اعترى لونه صفرة يسيرة . وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومعبد ، وقثم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام . وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول .

تموا بتمام فصاروا عشرة * يارب فاجعلهم كراماً بررة * واجعلهم ذكراً وانم الثمرة

فأما الفضل فمات بأجنادين شهيداً ، وعبدالله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، ومعبد وعبد الرحمن بافريقية ، وقثم وكثير بينبع ، وقيل إن قثما مات بسمرقند ، وقد قال مسلم بن حماد المكى مولى بنى مخزوم : ما رأيت مثل بنى أم واحدة أشراف ولدوا فى دار واحدة أبعد قبوراً من بنى أم الفضل ، ثم ذكر مواضع قبورهم كما تقدم ، إلا أنه قال الفضل مات بالمدينة ، وعبيد الله بالشام .

وقد كان عبد الله بن عباس يلبس الحلة بألف درهم ، وكان له من الولد العباس وعلى ، وكان على يدعى السجاد لكثرة صلاته ، وكان أجمل قرشى على وجه الأرض ، وقد قيل إنه كان يصلى كل يوم

ألف ركعة ، وقيل فى الليل والنهار مع الجمال التام ، وعلى هذا فهو أبو الخلفاء العباسيين ، فنى ولده كانت الخلافة العباسية كما سيأتى ، وكان لابن عباس أيضاً محمد والفضل وعبد الله ، وأمهم زرعة بنت مسرح بن معدى كرب ، وله أسماء وهى لأم ولد ، وكان له من الموالى عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة ودقيق وأبو عمرة وأبو عبيد . وأسند ألفا وستمائة وسبعين حديثا والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفيها توفى أبو شريح الخزاعى العدوى الكعبى ، اختلف فى اسمه على أقوال أصحها خويلد بن عمرو ، أسلم عام الفتح ، وكان معه أحد ألوية بنى كعب الثلاثة ، قال محمد بن سعد : مات فى هذه السنة وله أحاديث * وفيها توفى أبو واقد الليثى صحابى جليل مختلف فى اسمه وفى شهوده بدراً ، قال الواقدى توفى سنة ثمان وستين عن خمس وسبعين سنة ، وكذا قال غير واحد فى تاريخ وفاته . وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة ، مات بمكة بعد ماجاوز بها سنة ودفن فى مقابر المهاجرين والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وستين

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأموى قتله عبد الملك بن مروان وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب فى أول هذه السنة فى جنوده قاصداً قرقيسيا ليحاصر زفر بن الحارث الكلابى الذى أعان سليمان بن صرد على جيش مروان حين قاتلوهم بعين وردة . ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك ، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق ، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال وقيل بل كان مع عبد الملك ولكنه انخذل عنه فى طائفة من الجيش وكر راجعا إلى دمشق فى الليل ، ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبى ، وزهير بن الابرد الكلبى ، فانتهوا إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائباً من جهة عبد الملك ، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن ، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجميل ، ولما علم عبد الملك بما فعله الأشدق كر راجعا من فوره فوجد الأشدق قد حصن دمشق وعلق عليها الستائر والمسوح ، وانحاز الأشدق إلى حصن رومى منيع كان بدمشق فنزله ، فحاصره عبد الملك وقاتله الأشدق مدة ستة عشر يوما ، ثم اصطلحا على ترك القتال ، وعلى أن يكون ولى العهد بعد عبد الملك ، وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له ، وكتبا بينهما كتاب أمان ، وذلك عشية الخميس ، ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الامارة على عادته ، وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له : رد على الناس أعطياتهم التى أخذتها من بيت المال ، فبعث إليه الأشدق : إن هذا ليس إليك ، وليس هذا البلد لك فاخرج منه ، فلما كان يوم الاثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالاتيان إلى منزله بدار الامارة الخضراء ، فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت

الأشدق ، فاستشاره عمرو الأشدق فى الذهاب إليه فقال له : يا أبا سعيد والله لأنت أحب إلى من سمعى و بصرى ، وأرى أن لا تأتيه ، فان تبيعاً الحميرى ابن امرأة كعب الأحبار قال : إن عظيما من عظماء بنى إسماعيل يغلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل . فقال عمرو : والله لو كنت نائما ما تخوفت أن ينبهنى ابن الزرقاء ، وما كان ليجترىء على ذلك منى ، مع أن عثمان بن عفان أتانى البارحة فى المنام فألبسنى قميصه ، وقال عمرو بن سعيد أبلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشية إن شاء الله . فلما كان العشى - يعنى بعد الظهر - لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سيفه ونهض فعثر بالبساط فقالت امرأته و بعض من حضره : إنا لانرى أن لاتأتيه ، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى فى مائة من مواليه ، وكان عبد الملك قد أمر بنى مروان فاجتمعوا كلهم عنده ، فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم ، فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذى فيه عبد الملك ، ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف ، فرمى ببصره فاذا مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك ، فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همساً : ويلك انطلق إلى أخى يحيى فقل له فليأتنى ، فلم يفهم عنه وقال له : لبيك ، فاعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضاً وقال : لبيك ، فقال : ويلك أغرب عنى فى حرق الله وناره ، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك ابن بحدل ، وقبيصة بن ذؤيب ، فأذن لهما عبد الملك بالانصراف ، فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السرير ، ثم جعل يحدثه طويلا ، ثم إن عبد الملك قال : ياغلام خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : أو تطمع أن تتحدث معى متقلدا سيفك ؟ فأخذ الغلام السيف عنه ، ثم تحدثا ساعة ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : إنك حيث خلعتنى آليت بيمينى إن ملأت عينى منك وأنا مالك لك أن أجمعك فى جامعة ، فقالت بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ، فقال ثم أطلقه ، وما عسيت أن أفعل بأبى أمية ، فقال بنو مروان : بر يمين أمير المؤمنين ، فقال عمرو : بر قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال : ياغلام قم فاجمعه فيها ، فقام الغلام فجمعه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجنى فيها على رؤس الناس ، فقال عبد الملك : أمكرا يا أبا أمية عند الموت ؟ لاها الله إذا ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك إلا صعداً ، ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته ، فقال عمرو : أذكرك الله أن يدعوك كسر عظمى إلى ماهو أعظم من ذلك ، فقال عبد الملك : والله لو أعلم أنك إذا بقيت تفى لى وتصلح قريش لأطلقتك ، ولكن ما اجتمع رجلان فى بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وفى رواية أنه قال له : أما علمت ياعمرو أنه لا يجتمع فحلان

فى شركك ؟ . فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له : أعذراً يا ابن الزرقاء ؟ وأسمعه كلاماً رديئاً بشعاً ، وبينما هما كذلك إذ أذن المؤذن للعصر ، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة . وأمر أخاه عبد العزيز ابن مروان بقتله ، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو : أذكرك الله والرحم أن لا تلى ذلك منى ، وليتول ذلك غيرك ، فكف عنه عبد العزيز . ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أرجف الناس بعمرو ، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد فى ألف عبد لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير ، وأسرع عبد الملك الدخول إلى دار الامارة ، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الامارة ويقولون : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك فى رأسه بالسيف فجرحه ، فأدخله إبراهيم بن عدى صاحب الديوان بيتا ، وأحرزه فيه ، ووقعت خبطة عظيمة فى المسجد ، وضجت الأصوات ؛ ولما رجع عبد الملك وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه — ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك — فقال له : ناشدنى الله والرحم ، وكان ابن عمه عبد الملك بن مروان ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام أتنى بالحربة ، فأتاه بها فهزها وضربه بها فلم تغن شيئاً ، ثم ثنى فلم تغن شيئاً ، فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال : أدارع أيضاً ؟ إن كنت معداً ، ياغلام ائتنى بالصمصامة ، فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فذبحه وهو يقول : —

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى * أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

قالوا : وانتفض عبد الملك بعد ما ذبحه كما تنتفض القصبة برعدة شديدة جداً ، بحيث إنهم ما رفعوه عن صدره إلا محمولا ، فوضعوه على سريره وهو يقول : ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا آخرة ، ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم ، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل ، فألقيت بين الناس فجعلوا يختطفونها ، ويقال : إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال ، ويقال إن الذى ولى قتل عمرو بن سعيد مولى عبد الملك أبو الزعيزعة بعد ما خرج عبد الملك إلى الصلاة فالله أعلم . وقد دخل يحيى بن سعيد — أخو عمرو بن سعيد — دار الامارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتتلوا ، وجرح جماعات من الطائفتين ، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة فى رأسه أشغلته عن نفسه وعن القتال ، ثم إن عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول : ويحكم أين الوليد ؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيم بن عدى الكنانى فقال : هذا الوليد عندى قد أصابته جراحة وليس عليه بأس ، ثم أمر عبد الملك بيحيى بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز ابن مروان ، وفى جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم ، فشفعه فيهم وأمر بحبسه فحبس شهراً ، ثم سيره وبنى عمرو بن سعيد وأهليهم إلى العراق فدخلوا على مصعب بن الزبير فأكرمهم

وأحسن إليهم ، ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير ، وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلطف بعضهم فى العبارة حتى رق لهم رقة شديدة ، فقال لهم عبد الملك : إن أباكم خيرنى بين أن يقتلنى أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلى ، وأما أنتم فما أرغبنى فيكم وأوصلنى لقرابتكم وأرعانى لحقكم فأحسن جائزتهم وقربهم ، وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعثى إلى بكتاب الأمان الذى كنت كتبته لعمرو ، فقالت : إنى دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله . وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولى العهد من بعد ولده عبد الملك ، كلاماً مجرداً ، فطمع فى ذلك وقويت نفسه بسبب ذلك ، وكان عبد الملك يبغضه بغضا شديداً من حال الصغر ، ثم كان هذا صنيعه إليه فى الكبر . قال ابن جرير : وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته حتى قتلته ؟ فقال : ــ

وأدنيته منى ليسكن روعهُ * فأصول صولةَ حازمٍ مستمكنِ
غضباً وحمية لدينى إنهُ * ليس المسىءُ سبيلهُ كالمحسنِ

قال خليفة بن خياط : وهذا الشعر للضبى بن أبى رافع تمثل به عبد الملك . وروى ابن دريد عن أبى حاتم عن الشعبى أن عبد الملك قال : لقد كان عمرو بن سعيد أحب إلى من دم النواظر ، ولكن والله لا يجتمع فحلان فى الابل إلا أخرج أحدهما الآخر ، وإنا لكما قال أخو بنى يربوع : ــ

أجازى مَنْ جزانى الخيرَ خيراً * وجازى الخير يجزى بالنوالِ
وأجزى من جزانى الشرّ شراً * كما تحذا النعالُ على النعالِ

قال خليفة بن خياط : وأنشد أبو اليقظان لعبد الملك فى قتله عمرو بن سعيد

صحتْ ولا تشلل وضرتْ عدوها * يمينٌ أراقتْ مهجةَ ابنِ سعيدِ
وجدت ابنَ مروانَ ولا نبلَ عندهُ * شديدٌ ضربُ الناسِ غيرَ بليدِ
هو ابن أبى العاصى لمروانَ ينتهى * إلى أسرةٍ طابتْ لهُ وجدودِ

وكان الواقدى يقول : أما حصار عبد الملك لعمرو بن سعيد الأشدق فكان فى سنة تسع وستين ، رجع إليه من بطنان فحاصره بدمشق ثم كان قتله فى سنة سبعين والله أعلم .

وهذه ترجمة الأشدق

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو أمية القرشى الأموى ، المعروف بالأشدق ، يقال إنه رأى النبى ﷺ ، وروى عنه أنه قال : « ما نحل والد ولداً أحسن من أدب حسن » وحديثا آخر فى العتق ، وروى عن عمر وعثمان وعلى وعائشة ، وحدث عنه بنوه أمية وسعيد

وموسى وغيرهم ، واستنابه معاوية على المدينة ، وكذلك يزيد بن معاوية بعد أبيه كما تقدم ، وكان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين ، يعطى الكثير ، ويتحمل العظائم ، وكان وصى أبيه من بين بنيه ، وكان أبوه كما قدمنا من المشاهير الكرماء ، والسادة النجباء ، قال عمرو : ما شتمت رجلا منذ كنت رجلا ، ولا كلفت من قصدنى أن يسألنى ، لهو أمن على منى عليه ، وقال سعيد بن المسيب : خطباء الناس فى الجاهلية الأسود بن عبد المطلب ، وسهيل بن عمرو ، وخطباء الناس فى الاسلام معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبد الله بن الزبير .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد ثنا على بن زيد أخبرنى من سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول . « ليرعفن على منبرى جبار من جبابرة بنى أمية حتى يسيل رعافه » قال : فأخبرنى من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه . وهو الذى كان يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير ، فنهاه أبو شريح الخزاعى وذكر له الحديث الذى سمعه من رسول الله ﷺ ، فى تحريم مكة ، فقال : نحن أعلم بذلك منك ياشريح ، إن الحرام لايعيذ عاصياً ولافاراً بدم ، ولا فاراً بجزية ، الحديث كما تقدم وهو فى الصحيحين . ثم إن مروان دخل إلى مصر بعد ما دعا إلى نفسه واستقر له الشام ، ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر ، وقد كان وعد عمراً أن يكون ولى العهد من بعد عبد الملك ، وأن يكون قبل ذلك نائباً بدمشق ، فلما قويت شوكة مروان رجع عن ذلك ، وجعل الأمر من بعد ذلك لولده عبد العزيز ، وخلع عمراً . فما زال ذلك فى نفسه حتى كان من أمره ما تقدم ، فدخل عمرو دمشق وتحصن بها وأجابه أهلها ، فحاصره عبد الملك ثم استنزله على أمان صورى ، ثم قتله كما قدمنا .

وكان ذلك فى هذه السنة على المشهور عند الأكثرين ، وقال الواقدى وأبو سعيد بن يونس سنة سبعين فالله أعلم . ومن الغريب ما ذكره هشام بن محمد الكلبى بسند له أن رجلا سمع فى المنام قائلا يقول على سور دمشق قبل أن يخرج عمرو بالكلية ، وقبل قتله بمدة هذه الأبيات :

ألا يا قومُ للسفاهةِ والوهنِ * وللفاجرِ الموهونِ والرأى الأفنِ
ولا بن سعيدٍ بينما هوُ قائمٌ * على قدميهِ خرّ للوجهِ والبطنِ
رأى الحصنَ منجاةً من الموتِ فالتجا * إليهِ فزارتهُ المنيةُ فى الحصنِ

قال : فأتى الرجل عبد الملك فأخبره فقال : ويحك سمعها منك أحد ؟ قال : لا ! قال : فضعها تحت قدميك ، قال : ثم بعد ذلك خلع عمرو الطاعة وقتله عبد الملك بن مروان ، وقد قيل إن عبد الملك لما حاصره راسله وقال : أنشدك الله والرحم أن تدع أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة فان فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيعتك ولك على عهد الله وميثاقه ،

وحلف له بالايمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدي ، وكتبا بينهما كتابا ، فانخدع له عمرو وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم .

ومن توفي فيها من الأعيان

ابو الاسود الدؤلي

ويقال له الديلي. قاضي الكوفة ، تابعي جليل ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ابن جلس بن شبانة بن عدى بن الدؤل بن بكر ، أبو الأسود الذى نسب إليه علم النحو ، ويقال إنه أول من تكلم فيه ، وإنما أخذه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وقد اختلف فى اسمه على أقوال ، أشهرها أن اسمه ظالم بن عمرو ، وقيل عكسه ، وقال الواقدى : اسمه عويمر بن ظويلم . قال وقد أسلم فى حياة النبى (ص) ولم يره ، وشهد الجمل وهلك فى ولاية عبد الله بن زياد ، وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلى : كان ثقة وهو أول من تكلم فى النحو ، وقال ابن معين وغيره : مات بالطاعون الجارف سنة تسع وستين . قال ابن خلكان : وقيل إنه توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد كان ابتداؤها فى سنة تسع وتسعين . قلت : وهذا غريب جداً . قال ابن خلكان وغيره : كان أول من ألقى إليه علم النحو على بن أبى طالب ، وذكر له أن الكلام اسم وفعل وحرف ، ثم إن أبا الأسود نحى نحوه وفرع على قوله ، وسلك طريقه ، فسمى هذا العلم النحو لذلك ، وكان الباعث لأبى الأسود على ذلك تغير لغة الناس ، ودخول اللحن فى كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق ، وكان أبو الأسود مؤدب بنيه ، فانه جاء رجل يوماً إلى زياد فقال : توفى أبانا وترك بنون ، فأمره زياد أن يضع للناس شيئا يهتدون به إلى معرفة كلام العرب ، ويقال إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة : يا أبة ما أحسن السماء ، قال نجومها ، فقالت : إنى لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها ، فقال قولى : ما أحسن السماء قال ابن خلكان : وقد كان أبو الأسود يبخل

وكان يقول : أطعنا المساكين فى أموالنا لكنا مثلهم : وعشى ليلة مسكيناً ثم قيده وبيته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لئلا يؤذى المسلمين بسؤاله ، فقال له المسكين : اطلقنى ، فقال هيهات ، إنما عشيتك لأريح منك المسلمين الليلة ، فلما أصبح أطلقه . وله شعر حسن .

قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وقد أظهر خارجى التحكيم بمنى فقتل عند الجمرة . والنواب فيها هم الذين كانوا فى السنة التى قبلها **ومن توفي فيها** جابر بن سمرة ابن جنادة ، له صحبة ورواية ولأبيه أيضاً صحبة ورواية ، وقيل توفى فى سنة ست وستين فالله أعلم .

اسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، بايعت النبى (ص) ، وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم ليلة عرسها ، وسكنت دمشق ودفنت بباب الصغير

حسان بن مالك أبو سليمان البحدلى قام ببيعة مروان لما تولى الخلافة ، مات فى هذه السنة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام ، واستضعفوهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين بنى مروان وابن الزبير ، فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك فى كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام . وفيها وقع الوباء بمصر فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية ، فنزل حلوان وهى على مرحلة من القاهرة ، واتخذها منزلا واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار ، و بنى بها داراً للامارة وجامعاً ، وأنزلها الجند . وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة . فأعطى وفرق وأطلق لجماعة من رؤس الناس بالحجاز أموالا كثيرة .

وممن توفى فيها من الأعيان عاصم بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، وأمه جميلة بنت ثابت ابن أبى الأفلح ، ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو إلا عن أبيه حديثا واحداً « إذا أقبل الليل من ههنا » الحديث ، وعنه ابناه حفص وعبد الله ، وعروة بن الزبير ، وقد طلق أبوه أمه فأخذته جدته الشموس بنت أبى عامر ، أتى به الصديق وقال شمها ولطفها أحب إليه منك ، ثم لما زوجه أبوه فى أيام إمارته أنفق عليه من بيت المال شهراً ، ثم كف عن الانفاق عليه وأعطاه ثمن ماله وأمره أن يتجر وينفق على عياله . وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم و بين الحسن والحسين منازعة فى أرض ، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال : هى لك ، فقال له : بل هى لك ، فتركاها ولم يتعرضا لها ، ولا أحد من ذريتهما حتى أخذها الناس من كل جانب ، وكان عاصم رئيسا وقوراً كريما فاضلا .

قال الواقدى : مات سنة سبعين بالمدينة **قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكلبي** أبو العلاء من كبار التابعين وهو أخو معاوية من الرضاعة ، كان من فقهاء أهل المدينة وصالحيهم ، انتقل إلى الشام وكان معلم كتاب

قيس بن ذريح

المشهور أنه من بادية الحجاز ، وقيل إنه أخو الحسين بن على من الرضاعة ،وكان قد تزوج لبنى بنت الحباب ثم طلقها ، فلما طلقها هام لما به من الغرام ، وسكن البادية ، وجعل يقول فيها الأشعار ونحل جسمه ، فلما زاد ما به أتاه ابن أبى عتيق فأخذه ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له : فداك أبى وأمى ، اركب معى فى حاجة ، فركب واستنهض معه أربعة نفر من وجوه قريش ، فذهبوا معه وهم لا يدرون ما يريد، حتى أتى بهم باب زوج لبنى ، فخرج إليهم فإذا وجوه قريش ، فقال : جعلنى الله فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجة لابن أبى عتيق ، فقال الرجل : اشهدوا أن حاجته مقضية ، وحكمه جائز ، فقالوا : أخبره بحاجتك ، فقال ابن أبى عتيق : اشهدوا على أن زوجته لبنى منه طالق ،

فقال عبد الله بن جعفر : قبحك الله ، ألهذا جئت بنا ؟ فقال : جعلت فداكم يطلق هذا زوجته ويتزوج بغيرها خير من أن يموت رجل مسلم فى هواها صبابة ، والله لا أبرح حتى ينتقل متاعها إلى بيت قيس ، ففعلت وأقاموا مدة فى أرغد عيش وأطيبه رحمهم الله تعالى .

يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري

الشاعر كان كثير الشعر والهجو ، وقد أراد عبيد الله بن زياد قتله لكونه هجا أباه زياداً ، فمنعه بمعاوية من قتله ؛ وقال . أدبه ، فسقاه دواء مسهلا وأركبه على حمار وطاف به فى الأسواق وهو يسلح على الحمار فقال فى ذلك : —

يغسل الماءُ ما صنعتَ وشعرى * راسخٌ منك فى العظامِ البوالى

بشير بن النضر قاضى مصر ، كان رزقه فى العام ألف دينار ، توفى بمصر ، وولى بعده عبد الرحمن بن حجرة الخولانى ، والله سبحانه أعلم **مالك بن يخامر** السكسكى الألهانى الحمصى تابعى جليل ، ويقال له صحبة فالله أعلم . روى البخارى من طريق معاوية عنه عن معاذ بن جبل فى حديث الطائفة الظاهرة على الحق أنهم بالشام ، وهذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر ، إلا أن يقال له صحبة ، والصحيح أنه تابعى وليس بصحابى ، وكان من أخص أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال غير واحد : مات فى هذه السنة ، وقيل سنة اثنتين وسبعين والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة احدى وسبعين

فيها كان مقتل مصعب بن الزبير ، وذلك أن عبد الملك بن مروان سار فى جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير ، فالتقيا فى هذه السنة ، وقد كانا قبلها يركب كل واحد ليلتقى بالآخر فيحول بينهما الشتاء والبرد والوحل ، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده ، فلما كان فى هذا العام سار إليه عبد الملك وبعث بين يديه السرايا ، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدعا أهلها إلى عبد الملك فى السر ، فاستجاب له بعضهم ، وقد كان مصعب سار إلى الحجاز فجاء ودخل البصرة على إثر ذلك ، فأنب الكبراء من الناس وشتمهم ولامهم على دخول أولئك إليهم ، وإقرارهم لهم على ذلك ، وهدم دور بعضهم ، ثم شخص إلى الكوفة ، ثم بلغه قصد عبد الملك له بجنود الشام فخرج إليه ووصل عبد الملك إلى مسكن ، وكتب إلى المروانية الذين استجابوا لمن بعثه إليهم فأجابوه ، واشترطوا عليه أن يوليهم أصبهان فقال نعم — وهم جماعة كثيرة من الأمراء — وقد جعل عبد الملك على مقدمته أخاه محمد بن مروان ، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية ، وخرج مصعب وقد اختلف عليه أهل العراق ، وخذلوه وجعل يتأمل من معه فلا يجدهم يقاوون أعداءه ، فاستقتل وطمن نفسه على ذلك ، وقال : لى بالحسين بن على أسوة حين امتنع من

إلقائه يده، ومن الذلة لعبيد الله بن زياد ، وجعل ينشد ويقول مسلياً نفسه :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أصحابه أن يقيم بالشام وأن يبعث إلى مصعب جيشا ، فأبى وقال : لعلى إن بعثت رجلا شجاعا كان لا رأى له ، ومن له رأى ولا شجاعة له ، وإنى أجد من نفسى بصيراً بالحرب وشجاعة ، وإن مصعباً فى بيت شجاعة ، أبوه أشجع قرشى ، وأخوه لا تجهل شجاعته ، وهو شجاع ومعه من يخالفه ولا علم له بالحرب ، وهو يحب الدعة والصفح ، ومعى من ينصح لى ويوافقنى على ما أريد ، فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب يدعوهم إلى نفسه ويعدهم الولايات ، فجاء إبراهيم بن الأشتر إلى مصعب فألقى إليه كتاباً مختوماً وقال : هذا جاءنى من عبد الملك ، ففتحه فاذا هو يدعوه إلى الاتيان إليه وله نيابة العراق ، وقال لمصعب : أيها الأمير ! إنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا ، فان أطعتنى ضربت أعناقهم . فقال له مصعب : إنى لو فعلت ذلك لم ينصحنا عشائرهم بعدهم ، فقال : فابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه ، فان كانت لك النصرة ضربت أعناقهم ، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك . فقال له : يا أبا النعمان ، إنى لفى شغل عن هذا ، ثم قال مصعب : رحم الله أبا بحر ـ يعنى الأحنف ـ أن كان ليحذرنى غدر أهل العراق ، وكأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه الآن . ثم تواجه الجيشان بدير الجاثليق من مسكن ، فحمل إبراهيم بن الأشتر ـ وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب ـ على محمد بن مروان ـ وهو أمير مقدمة الشام ـ فأزالهم عن موضعهم ، فأردفه عبد الملك بعبد الله بن يزيد بن معاوية ، فحملوا على ابن الأشتر ومن معه فطحنوهم ، وقتل ابن الأشتر رحمه الله وعفا عنه ، وقتل معه جماعة من الأمراء ، وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب فهرب أيضاً ولجأ إلى عبد الملك بن مروان ، وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف فى القلب ينهض أصحاب الرايات ويحث الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم ، فلا يتحرك أحد ، فجعل يقول : يا إبراهيم ولا إبراهيم لى اليوم ، وتفاقم الأمر واشتد القتال ، وتخاذلت الرجال ، وضاق الحال ، وكثر النزال . قال المدائنى : أرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال : إن مثلى لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالبا أو مغلوباً . قالوا : فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال : يا ابن أخى لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد أمنك عمك فامض إليه ، فقال : لا يتحدث نساء قريش أنى أسلمتك للقتل ، فقال له : يا بنى فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فانى مقتول ههنا ، فقال : والله إنى لا أخبر عنك أحداً أبداً ، ولا أخبر نساء قريش بمصرعك ، ولا أقتل إلا معك ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فانهم على الجماعة ، فقال : والله لا يتحدث قريش

بأنى فررت من القتال ، فقال لابنه : تقدم بين يدى حتى أحتسبك ، فتقدم ابنه فقاتل حتى قتل ، وأثخن مصعب بالرمى فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعنه وهو يقول : ياثارات المختار ، ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمى فقتله وحز رأسه وأتى به عبد الملك بن مروان ، فسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار فأبى أن يقبلها وقال : لم أقتله على طاعتك ولكن بثأر كان لى عنده ، وكان قد ولى له عملا قبل ذلك فعزله عنه وأهانه .

قالوا : ولما وضع رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال عبد الملك : لقد كان بينى وبين مصعب صحبة قديمة ، وكان من أحب الناس إلى ، ولكن هذا الملك عقيم ، وقال : لما تفرق عن مصعب جموعه قال له ابنه عيسى : لو اعتصمت ببعض القلاع وكاتبت من بعدعنك مثل المهلب بن أبى صفرة وغيره فقدموا عليك ، فاذا اجتمع لكما تريد منهم لقيت القوم ، فانك قد ضعفت جداً . فلم يرد عليه جوابا ، ثم ذكر ما جرى للحسين بن على وكيف قتل كريما ولم يلق بيده ، ولم يجد من أهل العراق وفاء ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحن ما وجدنا لهم وفاء ، ثم انهزم أصحابه و بقى فى قليل من خواصه ، ومال الجميع إلى عبد الملك ، وقد كان عبد الملك يحب مصعباً حباً شديداً ، وكان خليلا له قبل الخلافة ، فقال لأخيه محمد : اذهب إليه فأمنه ، فجاءه فقال له : يامصعب قد أمنك ابن عمك على نفسك وولدك ومالك وأهلك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، ولو أراد بك غير ذلك لكان ، فقال مصعب : قضى الأمر ، إن مثلى لاينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أومغلوباً ، فتقدم ابنه عيسى فقاتل ، فقال محمد بن مروان : يا ابن أخى لا تقتل نفسك . ثم ذكر من قوله ما تقدم ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله ، ثم ذكر من قتل منهم بعده كما تقدم ، قال : ولما وضع رأس مصعب بين يدى عبد الملك بكى وقال : والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبى له حتى دخل السيف بيننا ، ولكن الملك عقيم . ولقدكانت المحبة والحرمة بيننا قديمة ، متى تلد النساء مثل مصعب ؟ ثم أمر بمواراته ودفنه هو وابنه و إبراهيم بن الأشتر فى قبور بمسكن بالقرب من الكوفة . قال المدائنى: وكان مقتل مصعب بن الزبير يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الأولى أو الآخرة من سنة إحدى وسبعين فى قول الجمهور وقال المدائنى : سنة ثنتين وسبعين والله أعلم .

قالوا : ولما قتل عبد الملك مصعباً ارتحل إلى الكوفة فنزل النخيلة فوفدت عليه الوفود من رؤساء القبائل وسادات العرب ، وجعل يخاطبهم بفصاحة و بلاغة واستشهاد بأشعار حسنة، وبايعه أهل العراق وفرق العمالات فى الناس ، و ولى الكوفة قطن بن عبد الله الحرى أربعين يوما ، ثم عزله وولى أخاه بشر بن مروان عليها . وخطب عبد الملك يوما بالكوفة فقال فى خطبته : إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه ولم يغرز ذنبه فى الحرم ، ثم قال لهم : إنى قد استخلفت عليكم

أخى بشر بن مروان وأمرته بالاحسان إلى أهل الطاعة ، وبالشدة على أهل المعصية ؛ فاسمعوا له وأطيعوا.

وأما أهل البصرة فانهم لما بلغهم مقتل مصعب تنازع فى إمارتها أبان بن عثمان بن عفان ، وعبيد الله بن أبى بكرة ، فغلبه أبان عليها ، فبايعه أهلها فكان أشرف الرجلين ، قال أعرابى : والله لقد رأيت رداء أبان مال عن عاتقه يوما فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه على منكبيه ، وقال غيره : مدّ أبان يوما رجله فابتدرها معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها ، قال : فبعث عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد واليا عليها - يعنى على البصرة - فأخذها من أبان واستناب فيها عبيد الله بن أبى بكرة ، وعزل أبانا عنها . قالوا : وقد أمر عبد الملك بطعام كثير فعمل لأهل الكوفة فأكلوا من سماطه ومعه يومئذ على السرير عمرو بن حريث ، فقال له عبد الملك : ما ألذ عيشنا لوأن شيئا يدوم ؟ ولكن كما قال الأول

وكل جديد يا أميم إلى البلى * وكل امرئ يوما يصير إلى كان

فلما فرغ الناس من الأكل نهض فدار فى القصر وجعل يسأل عمرو بن حريث عن أحوال القصر ومن بنى أماكنه وبيوته ثم عاد إلى مجلسه فاستلقى وهو يقول :

اعمل على مهل فانك ميتٌ * واكدح لنفسك أيها الانسانُ
فكأنَ ما قد كانَ لم يكُ إذ مضى * وكأنّ ما هو كائنٌ قدْ كانَ

قال ابن جرير : وفيها رجع عبد الملك كما زعم الواقدى إلى الشام ، وفيها عزل ابن الزبير جابر ابن الأسود عن المدينة وولى عليها طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان هو آخر أمرائه عليها ، حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان من جهة عبد الملك . وفيها حج بالناس عبد الله بن الزبير ولم يبق له ولاية على العراق . قال الواقدى : وفيها عقد عبد العزيز بن مروان نائب مصر لحسان الغانى على غزو إفريقية فسار إليها فى عدد كثير ، فافتتح قرطاجنة وكان أهلها روما عباد أصنام . وفيها قتل نجدة الحرورى الذى تغلب على اليمامة ، وفيها خرج عبد الله بن ثور فى اليمامة .

وهذه ترجمة مصعب بن الزبير

وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ، أبو عبد الله القرشى ، ويقال له أبو عيسى أيضاً الأسدى ، وأمه كرمان بنت أنيف الكلبية ، كان من أحسن الناس وجها ، وأشجعهم قلباً . وأسخاهم كفا ، وقد حكى عن عمر بن الخطاب ، وروى عن أبيه الزبير وسعد وأبى سعيد الخدرى ، وروى عنه الحكم بن عيينة وعمرو بن دينار الجمحى ، وإسماعيل ابن أبى خالد ، ووفد على معاوية ، وكان ممن يجالس أبا هريرة ، وكان من أحسن الناس وجها ، حكى الزبير بن بكار أن جميلا نظر إليه وهو واقف بعرفة فقال : إن ههنا فتى أكره أن تراه بثينة ، وقال

الشعبي : مارأيت أميراً على منبر قط أحسن منه ، وكذا قال إسماعيل بن خالد . وقال الحسن هو أجمل أهل البصرة ، وقال الخطيب البغدادي : ولى إمرة العراقين لأخيه عبدالله حتى قتله عبد الملك بمسكن بموضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق ، وقبره إلى الآن معروف هناك . وقد ذكرنا صفة مقتله المختار بن أبي عبيد ، وأنه قتل في غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف ، قال الواقدي : لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان فأمنهم ، ثم بعث إليهم عباد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتفين ، فقال له رجل : الحمد لله الذى نصركم علينا وابتلانا بالأسر ، ياابن الزبير من عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لايأمن القصاص ، نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم وقد قدرت فاسمح واعف عنا ، قال : فرق لهم مصعب وأراد أن يخلى سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا : قد قتلوا أولادنا وعشائرنا وجرحوا منا خلقاً ، اخترنا أو اخترهم ، فأمر حينئذ بقتلهم ، فنادوا بأجمعهم : لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك فى قتال عبد الملك بن مروان ، فان ظفرنا فلكم ، وإن قتلنا لا نقتل حتى نقتل منهم طائفة ، وكان الذى تريد ، فأبى ذلك مصعب ، فقال له مسافر : اتق الله يا مصعب ، فان الله عز وجل أمرك أن لا تقتل نفسا مسلمة بغير نفس ، وإن [من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما] فلم يسمع له بل أمر بضرب رقابهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس ، ثم كتب مصعب إلى ابن الأشتر أن أجبنى فلك الشام وأعنة الخيل ، فسار ابن الأشتر إلى مصعب . وقيل إن مصعباً لما قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال : أى عم : إنى أسألك عن قوم خلعوا الطاعة وقاتلوا حتى غلبوا تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم ؟ فقال : خمسة آلاف ، فسبح ابن عمر واسترجع وقال : لوأن رجلا أتى ماشية الزبير فذبح منها خمسة آلاف ماشية فى غداة واحدة ألست تعده مسرفا ؟ قال : نعم : قال : أفتراه إسرافا فى البهائم ولاتراه إسرافا فى من ترجو توبته ؟ يا ابن أخى أصب من الماء البارد ما استطعت فى دنياك . ثم إن مصعباً بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة وتمكن مصعب فى العراق تمكنا زائداً ، فقرر بها الولايات والعمال ، وحظى عنده ابن الأشتر فجعله على الوفادة ، ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعلمه بما فعل فأقره على ماصنع ، إلا ابن الأشتر لم يمض له ما جعله عليه ، وقال له : أترانى أحب الأشتر وهو الذى جرحنى هذه الجراحة ، ثم استدعى بمن قدم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم : والله لوددت أن لى بكل رجلين منكم رجلا من أهل الشام . فقال له أبو حاجز الأسدى — وكان قاضى الجماعة بالبصرة — إن لنا ولكم مثلا قد مضى يا أمير المؤمنين وهو ما قال الاعشى : —

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجلُ

قلت كما قيل أيضاً : ـ

جننا بليلى وهى جنتْ بغيرنا ❁ وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدها

علقناك يا أمير المؤمنين وعلقت أهل الشام وعلق أهل الشام إلى مروان ، فما عسينا أن نصنع ؟ قال الشعبي : ما سمعت جوابا أحسن منه ، وقال غيره . وكان مصعب من أشد الناس محبة للنساء وقد أمضى من ذلك شيئاً كثيرا كما روى أنه اجتمع عند الحجر الأسود جماعة منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم وليسأل من الله حاجته ، فسأل ابن عمر المغفرة ، وسأل مصعب أن يزوجه الله سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، وكانتا من أحسن النساء فى ذلك الزمان ، وأن يعطيه الله إمرة العراقين ، فأعطاه الله ذلك ، تزوج بعائشة بنت طلحة ، وكان صداقها عليه مائة ألف دينار ، وكانت باهرة الجمال جداً ، وكان مصعب أيضاً جميلا جداً ، وكذلك بقية زوجاته ، قال الاصمعى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : اجتمع فى الحجر مصعب وعروة وابن الزبير وابن عمر ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عنى العلم : وقال مصعب ، أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتمنى المغفرة . قال : فنالوا كلهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر الله له

وقال عامر الشعبى : بينما أنا جالس إذ دعانى الأمير مصعب بن الزبير فأدخلنى دار الامارة ثم كشف فاذا وراءه عائشة بنت طلحة ، فلم أر منظراً أبهى ولا أحسن منها ، فقال : أتدرى من هذه ؟ فقلت : لا فقال : هذه عائشة بنت طلحة ، ثم خرجت فقالت : من هذا الذى أظهرتنى عليه ؟ قال : هذا عامر الشعبى ، قالت : فأطلق له شيئاً ، فأطلق لى عشرة آلاف درهم . قال الشعبى : فكان أول مال ملكته ، وحكى الحافظ ابن عساكر أن عائشة بنت طلحة تغضبت مرة على مصعب فترضاها بأربعمائة ألف درهم ، فأطلقتها هى للمرأة التى أصلحت بينهما ، وقيل إنه أهديت له نخلة من ذهب ثمارها من صنوف الجواهر الثمنة ، فقومت بألفى ألف دينار ، وكانت من متاع الفرس فأعطاها لعائشة بنت طلحة .

وقد كان مصعب من أجود الناس وأكثرهم عطاء ، لا يستكثر ما يعطى ولو كان ماعساه أن يكون فكانت عطاياه للقوى والضعيف ، والوضيع والشريف متقاربة ، وكان أخوه عبد الله يبخل . وروى الخطيب البغدادى فى تاريخه أن مصعباً غضب مرة على رجل فأمر بضرب عنقه ، فقال له الرجل : أعز الله الأمير ! ما أقبح بمثلى أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك هذه الحسنة ، وبوجهك هذا الذى يستضاء به، فأقول : يارب سل مصعبا فيم قتلنى . فعفا عنه، فقال الرجل : أعز الله الأمير إن

رأيت ما وهبتنى من حياتى فى عيش رضى ، فأطلق له مائة ألف ، فقال الرجل إنى أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيات حيث يقول فيك :ـ

إنّ مصعباً شهابٌ منَ اللهِ * تجلتْ عنْ وجههِ الظلماءُ

ملكهُ ملكُ رحمةٍ ليسَ فيهِ * جبروتٌ منهُ ولا كبرياءُ

يتقى اللهَ فى الأمورِ وقدْ * أفلحَ منْ كانَ همهُ الاتقاءُ

وفى رواية أنه قال له : أيها الأمير قد وهبتنى حياة ، فان استطعت أن تجعل ما قد وهبتنى من الحياة فى عيش رضى وسعة فافعل ، فأمر له بمائة ألف .

وقال الامام أحمد : حدثنا حماد بن سلمة ثنا على بن زيد قال : بلغ مصعبا عن عريف الأنصارى شىء فهم به ، فدخل عليه أنس بن مالك فقال له : سمعت رسول الله ص ، يقول : « استوصوا بالأنصار خيراً ـ أو قال معروفا ـ اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » . فألقى مصعب نفسه عن سريره وألصق خده بالبساط وقال : « أمر رسول الله ص ، على الرأس والعين » فتركه . ومن كلام مصعب فى التواضع أنه قال : العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى فى مجرى البول مرتين .

وقال محمد بن يزيد المبرد : سئل القاسم بن محمد عن مصعب فقال : كان نبيلا رئيسا تقيا أنيسا . وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار قتل من أصحابه فى غداة واحدة خمسة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، فلما كان بعد ذلك لقى ابن عمر فسلم عليه فلم يعرفه ابن عمر ، لأنه كان قد انضر فى عينيه ، فتعرف له فعرفه ، قال : أنت الذى قتلت فى غداة واحدة خمسة آلاف ممن يوحد الله ؟ فاعتذر إليه بأنهم بايعوا المختار ، فقال : أما كان فيهم من هو مستكره أو جاهل فينظر حتى يتوب ؟ أرأيت لو أن رجلا جاء إلى غنم الزبير فنحر منها خمسة آلاف فى غداة واحدة ، أما كان مسرفا ؟ قال : بلى ! قال : وهى لاتعبد الله ولا تعرفه كما يعرفه الآدمى ، فكيف بمن هو موحد ؟ ثم قال له : يابنى تمتع من الماء البارد ما استطعت ، وفى رواية أنه قال له : عش ما استطعت .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن الحسن عن زفر بن قتيبة عن الكلبى قال قال عبد الملك ابن مروان يوما لجلسائه : من أشجع العرب والروم ؟ قالوا شبيب ، وقال آخر : قطرى بن الفجاءة وفلان وفلان . فقال عبد الملك : إن أشجع الناس لرجل جمع بين سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمه الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز ، وابنه ريان بن أنيف الكلبى ، سيد ضاحية العرب وولى العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف ، مع ما لنفسه من الأموال وملك غير ذلك من الأثاث والدواب والأموال مالا يحصى ، وأعطى مع هذا الأمان وأن يسلم هذا له جميعه مع الحياة فزهد فى هذا كله وأبى واختار القتل على مقام ذل ، ومفارقة هذا كله ومشو

بسيفه فقاتل حتى مات ، وذلك بعد خذلان أصحابه له ، فذلك مصعب بن الزبير رحمه الله ، وليس هو كمن قطع الجسور مرة ههنا ومرة ههنا . فهذا هو الرجل وهذا هو الزهد . قالوا : وكان مقتله يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى فليح بن إسماعيل وجعفر بن أبى بشير عن أبيه . قال : لما وضع رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال : ــ

لقد أردى الفوارسَ يومَ عبسٍ * غلامٌ غيرُ مناعِ المتاعِ
ولا فرحٌ بخيرٍ إن أتاهُ * ولا هلعٌ منَ الحدثانِ لاعِ
ولا رقابةٌ والخيلُ تعدو * ولا خالٌ كانبوبِ اليراعِ

فقال الرجل الذى جاء برأسه : والله ياأمير المؤمنين لو رأيته والرمح فى يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويطعن بهذا ، لرأيت رجلا يملأ القلب والعين شجاعة ، لكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقى وحده ما زال ينشد : ــ

وإنى على المكروهِ عندَ حضورهِ * أكذبُ نفسى والجفونُ لم تغضِ
وما ذاكَ من ذلٍ ولكنْ حفيظةٌ * أذبُ بها عندَ المكارمِ عنْ عرضى
وإنى لأهلِ الشرِ بالشرِ مرصدٌ * وإنى لذى سلمٍ أذلُّ منَ الأرضِ

فقال عبد الملك : كان والله كما وصف به نفسه وصدق ، ولقد كان من أحب الناس إلى ، وأشدهم لى ألفة ومودة ، ولكن الملك عقيم . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مصعباً عند دير الجاثليق على شاطئ نهر يقال له دجيل ، من أرض مسكن ، واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكراً لله ، وكان ابن ظبيان فاتكا رديئا وكان يقول : ليتنى قتلت عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتلت ملكى العرب ، قال يعقوب : وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين فالله أعلم . وحكى الزبير بن بكار فى عمره يوم قتل ثلاثة أقوال ، أحدها خمس وثلاثون سنة والثانى أربعون سنة ، والثالث خمس وأربعون سنة فالله أعلم .

وروى الخطيب البغدادى أن امرأته سكينة بنت الحسين كانت معه فى هذه الوقعة فلما قتل طلبته فى القتلى حتى عرفته بشامة فى خده فقالت : نعم بعل المرأة المسلمة ، كنت أدركك والله ما قال عنتر

وخليلِ غانيةٍ تركتُ مجندلاً * بالقاعِ لم يعهدْ ولم يتثلمِ
فهتكتَ بالرمحِ الطويلِ إهابهُ * ليسَ الكريمُ على القنا بمحرمِ

قال الزبير : وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرثى مصعب بن الزبير رحمه الله تعالى :

لقد أورثَ المصرينَ حزناً وذلةً * قتيلٌ بديرِ الجاثليقِ مقيمُ
فما نصحتْ لله بكرُ بنُ وائلٍ * ولا صدقتْ يومَ اللقاءِ تميمُ
ولو كان بكرياً يعطفُ حولهُ * كتائبُ يبقى حرها ويدومُ
ولكنهُ ضاعَ الذمامُ ولم يكنْ * بها مضريٌّ يومَ ذاكَ كريمُ
جزى اللهُ كوفياً هناكَ ملامةً * وبصريَّهم إنَّ الملومَ ملومُ
وإن بني العلاتِ أخلوا ظهورنا * ونحنُ صريحٌ بينهمْ وصميمُ
فإن نفنُ لا يبقى أولئكَ بعدنا * لذي حرمةٍ في المسلمينَ حريمُ

وقد قال أبو حاتم الرازي : ثنا يحيى بن مصعب الكلبي ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد الملك بن عمير قال : دخلت القصر بالكوفة فإذا رأس الحسين بن علي على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار ، والمختار على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار على ترس بين يدي مصعب بن الزبير ، ومصعب على السرير ، ثم دخلت القصر بعد حين فرأيت رأس مصعب ابن الزبير على ترس بين عبد الملك ، وعبد الملك على السرير . وقد حكى ذلك الامام أحمد وغير واحد عن عبد الملك بن عمير . وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعبا أيضاً

نعتِ السحائبُ والغمامُ بأسرها * جسداً بمسكنَ عاريَ الأوصالِ
تمسي عوائدهُ السباعَ ودارهُ * بمنازلٍ أطلالهنَّ بوالي
رحلَ الرفاقُ وغادروهُ ثاوياً * للريحِ بينَ صبا وبينَ شمالِ

فصل

وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذي قتل معه وسكينة وأمهم فاطمة بنت عبد الله بن السائب ، وعبد الله ومحمد ، وأمهما عائشة بنت طلحة ، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر والمنذر لأمهات شتى ، والرباب وأمها سكينة بنت الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم

قال ابن جرير . وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى حدثني مصعب بن عثمان قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام في الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويـ ويذل من يشاء ، بيده

الخير وهو على كل شئ قدير ، ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً وحده ، ولن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه ولو كان معه الانام طراً ، ألا وإنه أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا ، أتانا قتـل مصعب فأحزننا فأما الذى أفرحنا فعلمنا أن قتـله له شهادة ، وأما الذى أحزننا فان الحميم لفراقه لوعة يجدها حميمه عنـد المصيبة ثم يرعوى من بعدها ، وذو الرأى جميل الصبر كريم العزاء ، ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله ، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبـد من عبيـد الله ، وعون من أعوانى ، ألا وإن أهل العراق أهل الغـدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فان يقتل فانا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبى العاص ، والله ما قتل منهم رجل فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام : وما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظل السيوف ، فان بنى أبى العاص يجمعون الناس بالرغبات والرهبات ، ثم يقاتلون بهـم أعداءهم ممن هو خير منهم وأكرم ولا يقاتلون تابعيهـم زحفاً ، ألا وإن الدنيا عارية من الملك الأعلاء الذى لايزول سلطانه ولايبيد ملكه ، فان تقبل الدنيا لآخذها أخذ الاشر البطر ، وإن تدبر لا أبكى عليها بكاء الحزين الأسف المهين ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ومن توفي فيها من الأعيان ابراهيم بن الاشتر

كان أبوه ممن قام على عثمان وقتله ، وكان إبراهيم هذا من المعروفين بالشجاعة وله شرف ، وهو الذى قتل عبيد الله بن زياد كما ذكرنا

عبد الرحمن بن غسيلة أبو عبد الله المرادى الصنابحى ، كان من الصلحاء ، وكان عبد الملك يجلسه معه على السرير ، وكان عالماً فاضلا ، توفى بدمشق .

عمر بن سلمة المخزومى المدنى ربيب النبى (ص) ولد بأرض الحبشة

سفينة مولى رسول الله (ص)

أبو عبد الرحمن كان عبـداً لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله (ص) ، فقال : أنا لا أزال أخدم رسول الله (ص) لو لم تعتقينى ماعشت ، وقد كان سفينة بآل رسول الله (ص) أليفاً ، وبهـم خليطاً ، وروى الطبرانى أن سفينة سـئل عن اسمه لم سمى سفينة ؟ قال : سمانى رسول الله (ص) سفينة ، خرج مرة ومعه أصحابه فثقل عليهـم متاعهـم ، فقال لى رسول الله (ص) : « ابسط كساءك فبسطته فجعل فيه متاعهم ، ثم قال لى : احمل ما أنت إلا سفينة ، قال فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ماثقل على » . وروى محمد بن المنكدر عن سفينة قال : ركبت مرة سفينة فى البحر فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرحنى البحر إلى غيضة فيها الأسد فجاءنى فقلت : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله (ص) ، فطأطأ رأسه وجعل يدفعنى بجنبه أو بكفه حتى وضعنى

على الطريق ، ثم همهم همهمة فظننت أنه يودعني . وقال حماد بن سلمة : ثنا سعيد بن جهمان عن سفينة أن رسول الله (ص) « دخل بيت فاطمة فرأى في ناحية البيت قرما مضروبا فرجع ولم يدخل ، فقالت فاطمة لعلي : سل رسول الله (ص) ما الذي رده ؟ فسأله فقال : ليس لي ولا لنبي أن يدخل بيتاً مزوقاً » .

عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري الأعرج غزا مع النبي (ص) ثلاث عشرة غزوة

يزيد بن الاسود الجرشي السكوني كان عابداً زاهداً صالحا ، سكن الشام بقرية زيدين ، وقيل بقرية جرين ، وكانت له دار داخل باب شرقي ، وهو مختلف في صحبته ، وله روايات عن الصحابة ، وكان أهل الشام يستسقون به إذا قحطوا ، وقد استسقى به معاوية والضحاك بن قيس ، وكان يجلسه معه على المنبر ، قال معاوية : قم يزيد اللهم إنا نتوسل إليك بخيارنا وصلحائنا ، فيستسقي الله فيسقون ، وكان يصلي الصلوات في الجامع بدمشق ، وكان إذا خرج من القرية يريد الصلاة بالجامع في الليلة المظلمة يضيء له إبهام قدمه ، وقيل أصابع رجليه كلها حتى يدخل الجامع ، فاذا رجع أضاءت له حتى يدخل القرية . وذكروا أنه لم يدع شجرة في قرية زيدين إلا صلى عندها ركعتين ، وكان يمشي في ضوء إبهامه في الليلة المظلمة ذاهبا إلى صلاة العشاء بالجامع بدمشق وآتيا إلى قريته ، وكان يشهد الصلوات بالجامع بدمشق لاتفوته به صلاة . مات بقرية زيدين أو جرين من غوطة دمشق رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

فيها كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة و بين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاف مكثوا نحواً من ثمانية أشهر متواقفين ، وجرت بينهم حروب يطول بسطها ، وقد استقصاها ابن جرير ، وقتل في أثناء ذلك من هذه المدة مصعب بن الزبير ، ثم إن عبد الملك أقر المهلب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها ، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناء كثيراً ، ثم تواقع الناس في دولة عبد الملك بالأهواز فكسر الناس الخوارج كثرة فظيعة ، وهربوا في البلاد لايلوون على أحد ، واتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس وداود بن مخذم فطردوهم ، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن مروان أن يمدهم بأربعة آلاف ، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب بن ورقاء فطردوا الخوارج كل مطرد ، ولكن لقي الجيش جهدا عظيما وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم إلا مشاة إلى أهليهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الحارثي وهو من قيس بن ثعلبة ، وغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحارثي ، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية ابن عبد الله في جيش كثيف ، فهزمهم أبو فديك وأخذ جارية لأمية واصطفاها لنفسه ، وكتب خالد أمير البصرة إلى عبد الملك يعلمه بما وقع ، واجتمع على خالد هذا حرب أبي فديك وحرب

الأزارقة أصحاب قطرى بن الفجاءة بالأهواز .

قال ابن جرير : وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة ، قال : وكان السبب فى بعثه له دون غيره ، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعبا وأخذه العراق ، ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين أنا له ، وقص الحجاج على عبد الملك مناماً زعم أنه رآه ، قال : رأيت يا أمير المؤمنين كأنى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعث بى إليه فانى قاتله ، فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أمانا لأهل مكة إن هم أطاعوه ، قالوا : فخرج الحجاج فى جمادى من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام ، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف ، وجعل يبعث البعوث إلى عرفة ، و يرسل ابن الزبير الخيل فيلتقيان فيهزم خيلُ ابن الزبير وتظفر خيل الحجاج ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه فى دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير ، فانه قد كلت شوكته ، وملت جماعته ، وتفرق عنه عامة أصحابه ، وسأله أن يمده برجال أيضا ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه بالحجاج ، وارتحل الحجاج من الطائف فنزل بئر ميمونة ، وحصر ابن الزبير بالمسجد ، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج فى هذه السنة وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات ، وكذا فيما بعدها من المشاعر ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة ، بل نحر بدنا يوم النحر ، وهكذا لم يتمكن كـ . ممن معه من الحج ، وكذا لم يتمكن كثير ممن مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت ، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثانى ، والحجاج وأصحابه نزول بين الحجون و بئر ميمونة فانا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان يدعوه إلى بيعته و يقطعه خراسان سبع سنين ، فلما وصل إليه الكتاب قال للرسول : بعثك أبو الذبان ؟ وا . . لا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ولكن كل كتابه فأكله ، و بعث عبد الملك إلى بكير بن وشاح نائب . . خازم على مرو يعده بأمرة خراسان إن هو خلع عبد الله بن خازم ، فخلعه ، فجاء ابن خازم فقاتله فقتل فى المعركة عبد الله بن خازم أمير خراسان ، قتله رجل يقال له وكيع بن عميرة ، لكن كان قد ساعده غيره ، فجلس وكيع على صدره وفيه رمق ، فذهب لينوء فلم يتمكن من ذلك ، وجعل وكيع يقول : ياثارات دويلة - يعنى أخاه - وكان دويلة قد قتله ابن خازم ، ثم إن ابن خازم تنخم فى وجه وكيع قال وكيع : لم أر أحدا أكثر ريقاً منه فى تلك الحال ، وكان أبو هريرة إذا ذكر هذا يقول : هذه والله هى البسالة ، وقال له ابن خازم : ويحك أتقتلنى بأخيك ؟ لعنك الله ، أتقتل كبش مصر بأخيك

الملج ؟ وكان لا يساوى كفا من تراب ـ أو قال من نوى ـ قال : فاحتز رأسه وأقبل بكير بن وشاح فأراد أخذ الرأس فنعه منه بحير بن ورقاء بعمود وقيده ، ثم أخذ الرأس ثم بعثه إلى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بالنصر والظفر ، فسر بذلك سروراً كثيراً ، وكتب إلى بكير بن وشاح باقراره على نيابة خراسان . وفى هذه السنة أخذت المدينة من ابن الزبير واستناب فيها عبد الملك طارق ابن عمرو ، الذى كان بعثه مدداً للحجاج . .

وهذه ترجمة عبدالله بن خازم

هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى أبو صالح البصرى أمير خراسان أحد الشجعان المذكورين ، والفرسان المشكورين ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه : ويقال له صحبة ، روى عن النبى (ص) فى العمامة السوداء ، وهو عند أبى داود والترمذى والنسائى لكن لم يسموه ، وروى عنه سعد بن عثمان الرازى وسعيد بن الأزرق. روى أبو بشير الدولابى أنه قتل فى سنة إحدى وسبعين ، وقيل : فى سنة سبع وثمانين ، وليس هذا القول بشئ . انتهى ما ذكره شيخنا ، وقد ذكره أبو الحسن ابن الأثير فى الغابة فى أسماء الصحابة ، فقال : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن نهية بن سليم بن منصور ، أبو صالح السلمى ، أمير خراسان ، شجاع مشهور ، و بطل مذكور ، وروى عنه سعيد بن الأزرق ، وسعد بن عثمان ، قيل إن له صحبة ، وفتح سرخس ، وكان أميراً على خراسان أيام فتنة ابن الزبير ، وأول ما وليها سنة أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية ، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره بها ، وقد استقصينا أخباره فى كتاب الكامل فى التاريخ ، وقتل سنة إحدى وسبعين . وهكذا حكى شيخنا عن الدولابى ، وكذا رأيت فى التاريخ لشيخنا الذهبى . والذى ذكره ابن جرير فى تاريخه أنه قتل سنة ثنتين وسبعين ، قال : وزعم بعضهم أنه قتل بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم بخراسان ، و بعث يدعوه إلى طاعته وله خراسان عشر سنين ، وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لايعطى عبد الملك طاعة أبداً ، ودعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وكفنه وطيبه و بعث به إلى أهله بالمدينة ، ويقال بل دفنه عنده بخراسان والله أعلم . وأطعم الكتاب للبريد الذى جاء به وقال : لولا أنك رسول لضربت عنقك ، وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه

وممن توفي فيها من الأعيان الأحنف بن قيس

أبو معاية بن حصين التيمى السعدى أبو بحر البصرى ابن أخى صعصعة بن معاوية ، والأحنف لقب له ، وإنما اسمه الضحاك ، وقيل صخر ، أسلم فى حياة النبى (ص) ولم يره ، وجاء فى حديث أن

رسول الله ص ، دعا له ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً ، عليم اللسان ، وكان يضرب بحلمه المثل وله أخبار فى حلمه سارت بها الركبان ، قال عنه عمر بن الخطاب : هو مؤمن عليم اللسان . وقال الحسن البصرى : ما رأيت شريف قوم أفضل منه ، وقال أحمد بن عبد الله العجلى : هو بصرى تابعى ثقة ، وكان سيد قومه ، وكان أعور أحيف الرجلين ذميما قصيرا كوسجا له بيضة واحدة ، احتبسه عمر عن قومه سنة يختبره ، ثم قال : هذا والله السيد ـ أو قال السؤدد ـ وقيل إنه خطب عند عمر فأعجبه منطقه ، قيل ذهبت عينه بالجدرى ، وقيل فى فتح سمرقند ، وقال يعقوب بن سفيان : كان الأحنف جوادا حليما ، وكان رجلا صالحا ، أدرك الجاهلية ثم أسلم ، وذكر للنبى ص ، فاستغفر له ، وقال : كان ثقة مأمونا قليل الحديث وكان كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلى ويبكى حتى الصباح ، وكان يضع أصبعه فى المصباح ويقول : حس يا أحنف ، ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويقول لنفسه : إذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على النار الكبرى ؟ وقيل له : كيف سودك قومك وأنت أرذلهم خلقة ؟ قال : لو عاب قومى الماء ما شربته ، كان الأحنف من أمراء على يوم صفين ، وهو الذى صالح أهل بلخ على أربعمائة ألف دينار فى كل سنة . وله وقائع مشهودة مشهورة ، وقتل من أهل خراسان خلقا كثيرا فى القتال بينهما ، وانتصر عليهم . وقال الحاكم : وهو الذى افتتح مرو الروذ ، وكان الحسن وابن سيرين فى جيشه ، وهو الذى افتتح سمرقند وغيرها من البلاد . وقيل إنه مات سنة سبع وستين ، وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة . وقيل عن أكثر من ذلك .

ومن كلامه وقد سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : الذل مع الصبر ، وكان إذا تعجب الناس من حلمه يقول : والله إنى لأجد ما يجدون ، ولكنى صبور . وقال : وجدت الحلم أنصر لى من الرجال وقد انتهى إليه الحلم والسؤدد ، وقال : احيى معروفك بإماتة ذكره ، وقال عجبت لمن يجرى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ وقال : ما أتيت باب أحد من هؤلاء إلا أن أدعى ، ولا دخلت بين اثنين إلا أن يدخلانى بينهما . وقيل له : بم سدت قومك ؟ قال : بتركى من الأمر مالا يعنينى ، كما عناك من من أمرى مالا يعنيك . وأغلظ له رجل فى الكلام وقال : والله يا أحنف لئن قلت لى واحدة لتسمعن بعدها عشراً ، فقال له : إنك إن قلت لى عشراً لا تسمع منى واحدة ، وكان يقول فى دعائه : اللهم إن تعذبنى فأنا أهل لذلك ، وإن تغفر لى فأنت أهل لذلك . وقد كان زياد بن أبيه يقربه ويدنيه ، فلما مات زياد وولى ابنه عبيد الله لم يرفع به رأسا ، فتأخرت عنده منزلته ، فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية أدخلهم عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه ، فلما رآه معاوية أجله وعظمه ، وأدناه وأكرمه ، وأجلسه معه على الفراش ، ثم أقبل عليه يحادثه دونهم ،

ثم شرع الحاضرون فى الثناء على ابن زياد والأحنف ساكت : فقال له معاوية : مالك لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمت خالفتهم ، فقال معاوية : أشهدكم أنى قد عزلته عن العراق ، ثم قال لهم . انظروا لكم نائبا ، وأجلهم ثلاثة أيام ، فاختلفوا بينهم اختلافا كثيراً ، ولم يذكر أحد منهم بعد ذلك عبيد الله ، ولا طلبه أحد منهم ، ولم يتكلم الأحنف فى ذلك كلمة واحدة مع أحد منهم ، فلما اجتمعوا بعد ثلاث أفاضوا فى ذلك الكلام ، وكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : تكلم ، فقال له : إن كنت تريد أن تولى فيها أحداً من أهل بيتك فليس فيهم من هو مثل عبيد الله ، فانه رجل حازم لايسد أحد منهم مسده ، وإن كنت تريد غيره فأنت أعلم بقرابتك ، فرده معاوية إلى الولاية ، ثم قال له بينه وبينه : كيف جهلت مثل الأحنف ؟ إنه هو الذى عزلك وولاك وهو ساكت ، فعظمت منزلة الأحنف بعد ذلك عند ابن زياد جداً .

توفى الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير ، ومشى فى جنازته ، وقد تقدمت له حكاية ، ذكر الواقدى أنه قدم على معاوية فوجده غضبان على ابنه يزيد ، وأنه أصلح بينهما بكلام ، قال فبعث معاوية إلى يزيد بمال جزيل وقماش كثير ، فأعطى يزيد نصفه للأحنف والله سبحانه أعلم .

البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن أوس الأنصارى الحارثى الأوسى . صحابى جليل ، وأبوه أيضا صحابى ، روى عن رسول الله (ص) أحاديث كثيرة ، وحدث عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وبعض الصحابة . وقيل إنه مات بالكوفة أيام ولاية مصعب بن الزبير على العراق **عبيدة السلماني القاضي** وهو عبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السلمانى المرادى أبو عمرو الكوفى . وسلمان بطن من مراد ، أسلم عبيدة فى حياة النبى (ص) وروى عن ابن مسعود وعلى وابن الزبير . وحدث عنه جماعة من التابعين ، وقال الشعبى : كان يوازى شريحا فى القضاء ، قال ابن نمير : كان شريح إذا أشكل عليه أمر كتب إلى عبيدة فيه ، وانتهى إلى قوله ، وقد أثنى عليه غير واحد ، وكانت وفاته فى هذه السنة ، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين فالله أعلم . وقد قيل إن مصعب بن الزبير قتل فيها فالله أعلم . وممن توفى فيها أيضا عبد الله بن السائب بن صيفى المخزومى ، له صحبة ورواية ، وقرأ على أبى بن كعب ، وقرأ عليه مجاهد وغيره **عطية بن بشر** المازنى له صحبة ورواية **عبيدة بن نضيلة** ابو معاوية الخزاعى الكوفى مقرى أهل الكوفة ، مشهور بالخير والصلاح ، توفى بالكوفة فى هذه السنة **عبدالله بن قيس الرقيات** القرشى العامرى أحد الشعراء ، مدح مصعبا وابن جعفر **عبد الله بن همام** أبو عبد الرحمن الشاعر السلولى هجا بنى أمية بقوله : ـ

شربنا الغيض حتى لو سقينا * دماء بنى أمية ما روينا

ولو جاؤا برملةَ أو بهند * لبايعنا أميرَ المؤمنينا

وكان عبيدة السلمانى أعوراً، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتنون الناس. توفى بالكوفة

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه على يدى الحجاج بن يوسف الثقفى المبير قبحه الله وأخزاه، قال الواقدى: حدثنى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد - وكان عالما بفتنة ابن الزبير - قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة خلت من جمادى الأول سنة ثلاث وسبعين، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة وقد ذكرنا فيما تقدم أن الحجاج حج بالناس فى هذه السنة الخارجة، وكان فى الحج ابن عمر، وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر فى المناسك كما ثبت ذلك فى الصحيحين، فلما استهلت هذه السنة استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك وكان مع الحجاج الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقا كثيراً، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمى من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم، وجعلت الحجارة تقع فى الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام الله الله فى الطاعة، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال إنهم آخذوه فى هذه الشدة، فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بنى شيبة، ثم يكرون عليه فيشد عليهم، فعل ذلك مراراً، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول: هذا وأنا ابن الحوارى. وقيل لابن الزبير ألا تكلمهم فى الصلح!! فقال: والله لو وجدوكم فى جوف الكعبة لذبحوكم جميعا والله لا أسألهم صلحا أبداً.

وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلو أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثنى عشر رجلا فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول: إنى خبير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها، وإن القوم يصيبهم مثل الذى يصيبكم، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضا، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة، وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون: مثل الفنيق المزبد * نرمى بها أعواد هذا المسجد * فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن الرمى والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال: ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم؟ فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، فعادوا إلى المحاصرة.

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف ، فأمنهم وقل أصحاب ابن الزبير جداً ، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله ابن الزبير ، فأخذا لأنفسهما أماناً من الحجاج فأمنهما ، ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له ، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبق معه إلا اليسير ، ولم يبق لهم صبر ساعة ، والقوم يعطونني ماشئت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : يابني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فدنا منها فقبل رأسها وقال : هذا والله رأيي ، ثم قال : والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته ، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أماه فاني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك ، وسلمي لأمر الله ، فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ، ولا عمل نفاحشة قط ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته ، ولم يكن عندي آثر من رضى ربي عز وجل ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي ، اللهم أنت أعلم بي مني ومن غيري ، ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلو عني ، فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً ، إن تقدمتني أو تقدمتك ، ففي نفسي اخرج يابني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك ، فقال جزاك الله ياأمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل وبعد . فقالت : لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبي ، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين . ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها - وكانت قد أضرت في آخر عمرها - فوجدته لابسا درعا من حديد فقالت : يابني ما هذا لباس من يريد ما يريد من الشهادة !! فقال : يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به ، فقالت : لا يابني ولكن انزعه فنزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهي تقول : شمر ثيابك ، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل ، وجعلت تذكره بأبيه الزبير ، وجده أبي بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، وخالته عائشة زوج رسول الله (ص) وترجيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيدا ، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضي الله عنهما وعن أبيه وأبيها .

قالوا : وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون

عنه يميناً وشمالاً ، ولا يثبت له أحد وهو يقول : —

إني إذا أعرفُ يومي أصبرُ * إذْ بعضهمْ يعرفُ ثمَّ ينكرُ

وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب ابن الزبير ، وكان لأهل حمص حصار الباب الذى يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بنى شيبة ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بنى جمح ، ولأهل قنسرين باب بنى سهم ، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد ، وكان الحجاج وطارق بن عمرو فى ناحية الأبطح ، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرقهم وبدد شملهم ، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح لو كان قرنى واحداً كفيته ، فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضا : إى والله وألف رجل ، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك ، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضارى ، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته ، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلى طول ليلته ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته ، ثم قال : أذن ياسعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابن الزبير ثم صلى ركعتى الفجر ، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر . ثم قرأ سورة ن حرفا حرفا ، ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم ، فكشفوا وجوههم وعليهم المغافر ، فحرضهم وحثهم على القتال والصبر ، ثم نهض ثم حمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته فى وجهه فارتعش لها ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم : —

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا * ولكنْ على أقدامنا تقطرُ الدما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضى الله عنه ، وجاؤا إلى الحجاج فأخبروه فخر ساجدا قبحه الله ، ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكر من هذا ، فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! هو أعذر لأنا محاصروه وليس هو فى حصن ولا خندق ولا منعة ينتصف منا ، بل يفضل علينا فى كل موقف ، فلما بلغ ذلك عبد الملك غرب طارقا . وروى ابن عساكر فى ترجمة الحجاج أنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبد الله بن الزبير رحمه الله ، فخطب الحجاج الناس فقال : أيها الناس ! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب فى الخلافة ونازعها أهلها وألحد فى الحرم فأذاقه الله من عذابه الأليم ، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير ، وكان فى الجنة ، وهى أشرف من مكة ، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التى نهى عنها أخرجه الله من الجنة ، قوموا إلى صلاتكم

يرحمكم الله ، وقيل إنه قال : يا أهل مكة إكبارکم واستعظامکم قتل ابن الزبير ، فان ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب فى الدنيا ونازع الخلافة أهلها ، فخلع طاعة الله وألحد فى حرم الله ، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء . فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض . وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، وان ابن الزبير غير كتاب الله . فقال له عبد الله بن عمر : لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت ، والله إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله ، بل كان قواما به صواما، عاملا بالحق .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع ، و بعث برأس ابن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن حزم إلى عبد الملك ، ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرءوس بها ، ثم يسيروا بها إلى الشام ، ففعلوا ما أمرهم به ، وأرسل بالرءوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصى أولاده فرحا بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون . ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كدا عند الحجون ، يقال منكسة ، فما زالت مصلوبة . حتى مر به عبد الله بن عمر فقال : رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت صواما قواما ، ثم قال : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك . ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان ، ولم يزل الحجاج مقيما بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضا وهو على مكة واليمامة واليمن .

وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ، أبو بكر ويقال له أبو خبيب القرشى الأسدى ، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، ذات النطاقين ، هاجرت وهى حامل به ثم فولدته بقبا أول مقدمهم المدينة وقيل إنما ولدته فى شوال سنة ثنتين من الهجرة ، قاله الواقدى ومصعب الزبيرى وغيرهما ، والأول أصح لما رواه أحمد عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بمكة قالت: فخرجت به وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقبا فولدته ، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ، فكان أول ما دخل فى جوفه ريق رسول الله ﷺ ، قالت : ثم حنكه ثم دعا له وتبرك عليه ، فكان أول مولود ولد فى الاسلام . وهو صحابى جليل ، روى عن النبى ﷺ أحاديث ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم . وعنه جماعة من التابعين ، وشهد الجمل مع أبيه وهو صغير ، وحضر خطبة عمر بالجابية ، ورواها عنه بطولها ثبت ذلك من غير وجه . وقدم

دمشق لغزو القسطنطينية ، ثم قدمها مرة أخرى وبويع بالخلافة أيام يزيد بن معاوية لما مات معاوية ابن يزيد ، فكان على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان وسائر بلاد الشام إلا دمشق ، وتمت البيعة له سنة أربع وستين وكان الناس بخير فى زمانه . وثبت من غير وجه عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهى حبلى به فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة ، فأتت به رسول الله (ص) فحنكه وسماه عبد الله ودعا له ، وفرح المسلمون به لأنه كانت اليهود قد زعموا أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم فى المدينة ، فلما ولد ابن الزبير كبر المسلمون ، وقد سمع عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند قتله ، فقال : أما والله للذين كبروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبروا عند قتله . وأذن الصديق فى أذنه حين ولد رضى الله عنهما ، ومن قال إن الصديق طاف به حول الكعبة وهو فى خرقة فهو واهم والله أعلم . وإنما طاف الصديق به فى المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود . وقال مصعب الزبيرى : كان عارضا عبد الله خفيفين ، وما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة ، وقال الزبير بن بكار : حدثنى على بن صالح عن عامر بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن رسول الله (ص) كلم فى غلمة ترعرعوا منهم عبد الله ابن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وعمر بن أبى سلمة ، فقيل يارسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكر ، فأتى بهم إليه فكأنهم تكمكعوا واقتحم عبد الله بن الزبير ، فتبسم رسول الله (ص) وقال : « إنه ابن أبيه وبايعه » . وقد روى من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبى (ص) : « كان النبى (ص) قد احتجم فى طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه فقال له لا تمسك النار إلا تحلة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك » . وفى رواية أنه قال له : « يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد ، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشربه ، فلما رجع قال : ماصنعت بالدم ؟ قال : إنى شربته لأزداد به علما وإيمانا ، وليكون شئ من جسد رسول الله (ص) فى جسدى ، وجسدى أولى به من الأرض ، فقال : ابشر لا تمسك النار أبداً . وويل لك من الناس وويل للناس منك » .

وقال محمد بن سعد : أنبأ مسلم بن إبراهيم ثنا الحارث بن عبيد ثنا أبو عمران الجونى أن نوفا كان يقول : إنى لأجد فى كتاب الله المنزل أن ابن الزبير فارس الخلفاء . وقال حماد بن زيد عن ثابت البنانى قال : كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلى خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لايتحرك . وقال الأعمش عن يحيى بن وثاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه الا جذم حائط . وقال غيره : كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح ، ويركع ليله حتى

يصبح ، ويسجد ليله حتى يصبح . وقال بعضهم : ركع ابن الزبير يوماً فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء : كنت إذا رأيت ابن الزبير يصلى كأنه كعب راسب ، وفى رواية ثابت . وقال أحمد : تعلم عبد الرزاق الصلاة من ابن جريج ، وابن جريج من عطاء ، وعطاء من ابن الزبير ، وابن الزبير من الصديق ، والصديق من رسول الله ﷺ . وقال الحميدى عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن ابن المنكدر قال : لو رأيت ابن الزبير يصلى كأنه غصن شجرة يصفقها الريح ، والمنجنيق يقع هاهنا وهاهنا . قال سفيان : كأنه لا يبالى به ولا يعده شيئاً . وحكى بعضهم لعمر بن عبد العزيز أن حجراً من المنجنيق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقة منه فمرت بين لحية ابن الزبير وحلقه ، فما زال عن مقامه ولا عرف ذلك فى صورته ، فقال عمر بن عبد العزيز : لا إله إلا الله ، جاء ما وصفت . وقال عمر بن عبد العزيز يوما لابن أبى مليكة : صف لنا عبد الله بن الزبير ، فقال : والله ما رأيت جلداً قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثله ، ولا رأيت نفسا ركبت بين جنبين مثل نفسه ، ولقد مرت آجرة من رمى المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ماخشع ولا قطع لها قراءته ، ولا ركع دون ما كان يركع ، وكان إذا دخل فى الصلاة خرج من كل شئ إليها . ولقد كان يركع فيكاد الرخم أن يقع على ظهره ويسجد فكأنه ثوب مطروح .

وقال أبو القاسم البغوى عن على بن الجعد عن شعبة عن منصور بن زاذان قال : أخبرنى من رأى ابن الزبير يسرب فى صلاته وكان ابن الزبير من المصلين . [وسئل ابن عباس عن ابن الزبير فقال : كان قارئا لكتاب الله ، متبعاً لسنة رسول الله ، قانتا لله صائما فى الهواجر من مخافة الله ، ابن حوارى رسول الله ، وأمه بنت الصديق ، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله ، زوجة رسول الله ، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله . وروى أن ابن الزبير كان يوما يصلى فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة وانزعج أهل المنزل واجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلوها ، وسلم الولد ، فعلوا هذا كله وابن الزبير فى الصلاة لم يلتفت ولادرى بما جرى حتى سلم . وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن الضحاك الحزامى وعبد الملك بن عبد العزيز ومن لا أحصى كثرة من أصحابنا أن ابن الزبير كان يواصل الصوم سبعا ، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى ، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة ، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة ، وكان إذا أفطر أول ما يفطر على لبن لقحة وسمن وصبر ، وفى رواية أخرى فأما اللبن فيعصمه ، وأما السمن فيقطع عنه العطش ، وأما الصبر فيفتق الامعاء . وقال ابن معين عن روح عن حبيب بن الشهيد عن ابن أبى مليكة قال : كان ابن

الزبير واصل سبعة أيام و يصبح فى الثامن وهو أليثنا . وروى مثله من غير وجه . وقال بعضهم : لم يكن يأكل فى شهر رمضان سوى مرة واحدة فى وسطه . وقال خالد بن أبى عمران : كان ابن الزبير لايفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام . ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره . وقال ليث عن مجاهد : لم يكن أحد يطيق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة رضى الله عنه . ولقد جاء سيل مرة فطبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، وقال بعضهم : كان ابن الزبير لاينازع فى ثلاث ، فى العبادة والشجاعة والفصاحة . وقد ثبت أن عثمان جعله فى النفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وذكره سعيد بن المسيب فى خطباء الاسلام مع معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه ، وقال عبد الواحد بن أيمن : رأيت على ابن الزبير رداءاً يمانيا عدنيا يصلى فيه ، وكان صيتاً إذا خطب تجاوبه الجبلان أبو قبيس وزوراء . وكان آدم نحيفا ليس بالطويل ، وكان بين عينيه أثر السجود كثير العبادة مجتهداً شهماً فصيحاً صواما قواما شديد البأس ذا أنفة له نفس شريفة وهمة عالية ، وكان خفيف اللحية ليس فى وجهه من الشعر إلا قليلا . وكانت له جمة وكان له لحية صفراء . وقد ذكرنا أنه شهد مع ابن أبى سرح قتال البربر وكانوا فى عشرين ومائة ألف ، والمسلمون عشرون ألفا ، فأحاطوا بهم من كل جانب ، فما زال عبد الله بن الزبير يحتال حتى ركب فى ثلاثين فارسا ، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش ، وجواريه يظللنه بريش النعام ، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك ، فلما فهمه الملك ولى مدبراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجعله فى رأس رمح وكبر وكبر المسلمون ، وحملوا على البربر فهزموهم بين أيديهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالا وغنائم كثيرة جداً ، وبعث ابن أبى سرح بالبشارة مع ابن الزبير فقص على عثمان الخبر وكيف جرى ، فقال له عثمان : إن استطعت أن تؤدى هذا للناس فوق المنبر ، قال : نعم ! فصعد ابن الزبير فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى ، قال عبد الله : فالتفت فاذا أبى الزبير فى جملة من حضر ، فلما تبينت وجهه كاد أن يرتج على فى الكلام من هيبته فى قلبى ، فرمزنى بعينه وأشار إلى ليحضنى ، فمضيت فى الخطبة كما كنت ، فلما نزلت قال : والله لكأنى أسمع خطبة أبى بكر الصديق حين سمعت خطبتك يابنى . وقال أحمد بن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : خرج ابن الزبير فى ليلة مقمرة على راحلة له فنزل فى تبوك فالتفت فاذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية فشد عليه ابن الزبير فتنحى عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى ، قال فناداه : والله يا ابن الزبير لو دخل قلبك الليلة منى شعرة لخبلتك ، قال : ومنك أنت يالعين يدخل قلبى شئ ؟ وقد روى لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة ، وروى عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير

قال : أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة فى ركب من قريش فلما كانوا عند اليناصب أبصروا رجلا عنـد شجرة ، فتقدمهم ابن الزبير، فلما انتهى إليه سلم عليه فلم يعبأ به ورد رداً ضعيفاً ، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل ، فقال له ابن الزبير: تنح عن الظل ، فانحاز متكارها ، قال ابن الزبير : فجلست وأخذت بيده وقلت : من أنت ؟ فقال : رجل من الجن ، فما عدا أن قالها حتى قامت كل شعرة منى فاجتذبته وقلت : أنت رجل من الجن وتبـدو إلى هكذا ؟ و إذا له سفلة وانكسر ونهرته وقلت : إلى تتبدا وأنت من أهل الأرض ، فذهب هاربا وجاء أصحابى فقالوا : أين الرجل الذى كان عنـدك ؟ فقلت : إنه كان من الجن فهرب . قال : فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته ، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم الحج وما يعقلون . وقال سفيان بن عيينة قال ابن الزبير : دخلت المسجد ذات ليلة فاذا نسوة يطفن بالبيت فأعجبنى ، فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت فى أثرهن لأعلم أين منزلهن ، فخرجن من مكة حتى أتين العقبة ثم انحدرن حتى أتين فجا فدخلن خربة فدخلت فى أثرهن . فاذا مشيخة جلوس فقالوا : ماجاء بك يا ابن الزبير ؟ فقلت : أشتهى رطبا ، وما بمكة يومئذ من رطبة ، فأتونى برطب فأكلت ثم قالوا : احمل ما بقى معك ، فجئت به المنزل فوضعته فى سفط وجعلت السفط فى صندوق ، ثم وضعت رأسى لأنام ، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت جلبة فى البيت ، فقال بعضهم لبعض أين وضعه ؟ قالوا : فى الصندوق ، ففتحوه فاذا هو فى السفط داخله ، فهموا بفتحه فقال بعضهم : إنه ذكر اسم الله عليه ، فأخذوا السفط بما فيه فذهبوا به ، قال . فلم آسف على شئ أسفى كيف لم أثب عليهم وهم فى البيت . وقد كان عبد الله بن الزبير ممن حاجف عن عثمان يوم الدار، وجرح يومئذ بضع عشرة جراحة ، وكان على الراجلة يوم الجمل وجرح يومئذ تسع عشرة جراحة أيضا ، وقد تبارز يومئذ هو ومالك بن الحارث بن الأشتر ، فاتحدا فصرع الأشتر ابن الزبير فلم يتمكن من القيام عنه ، بل احتضنه ابن الزبير وجعل ينادى : اقتلونى ومالكا ، واقتلوا مالكا معى ، فأرسلها مثلا . ثم تفرقا ولم يقدر عليه الأشتر ، وقد قيل إنه جرح يومئذ بضع وأربعون جراحة ، ولم يوجد إلا بين القتلى وبه رمق ، وقد أعطت عائشة لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً ، وكانت تحبه حباً شـديداً ، لأنه ابن أختها ، وكان عزيزاً عليها ، وقد روى عن عروة أن عائشة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله ﷺ وأبى بكر مثل حبها ابن الزبير ، قال : وما رأيت أبى وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى أخى هارون بن أبى بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد عن يحيى بن عروة عن عمه عن عبـد الله بن عروة قال أقحمت السـنة نابغة بنى جعدة فدخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام فأنشد هذه الأبيات :ـ

حكيتَ لنا الصديقَ لما وليتها * وعثمانَ والفاروقَ فارتاح معدمُ
وسويت بين الناس في الحق فاستووا * فعاد صباحاً حالكُ اللونِ مظلمُ
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجا * دجى الليل جواب الفلاة غشمشمُ
لتجبرَ منهُ جانباً غدرتْ بهِ * صروفُ الليالي والزمانُ المصممُ

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى . فان الشعر أهون وسائلك عندنا ، أما صفوه فما لنا فلال الزبير ، وأما عفوه فان بني أسد يشغلها عنك وتيما ، ولكن لك في مال الله حقان ، حق لرؤيتك لرسول الله (ص) ، وحق لشركتك أهل الاسلام في فيئهم ، ثم أخذ بيده فأدخله دار النعم فأعطاه قلائص سبعا وجملا وخيلا ، وأوقر له الركاب براً وتمراً وثيابا ، فجعل النابغة يستعجل ويأكل الحب صرفا ، فقال له ابن الزبير : ويح أبي ليلى ، لقد بلغ الجهد . فقال النابغة : أشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول : « ماوليت قريش وعدلت ، واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ، ووعدت خيراً فأنجزت ، فأنا والنبيون فرط العاصفين »

وقال محمد بن مروان صاحب كتاب المجالسة : أخبرني خبيب بن نصير الأزدي ثنا محمد بن دينار الضبي ثنا هشام بن سليمان المخزومي عن أبيه قال : أذن معاوية للناس يوما فدخلوا عليه فاحتفل المجلس وهو على سريره ، فأجال بصره فيهم فقال : أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالتها العرب ، ثم قال : يا أبا خبيب فقال : مهيم ، قال أنشد ذلك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين بثلاثمائة ألف كل بيت بمائة ألف ، قال : نعم إن ساوت ، قال أنت بالخيار ، وأنت واف كاف ، فأنشده للأفوه الأزدي : ـ

بلوتُ الناسَ قرناً بعدَ قرنٍ * فلمْ أرَ غيرَ ختالٍ وقالِ — فقال معاوية صدق
ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وقعاً * وكيداً من معاداتِ الرجالِ — فقال معاوية صدق
وذقتُ مرارةَ الأشياءِ طراً * فماشيءٌ أمرُّ منَ السؤالِ — فقال صدق

ثم قال معاوية : هيه يا خبيب ، قال : إلى ههنا انتهى ، قال : فدعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق كل واحد منهم بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم ، فمروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره .

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي يزيد النميري عن أبي عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء أن معاوية لما حج تلقته الناس وتخلف ابن الزبير ثم جاءه وقد حلق رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما أكبر حجرة رأسك ! ! فقال له اتق أن لايخرج عليك منها حية فتقتلك ، فلما أفاض معاوية طاف معه ابن الزبير وهو آخذ بيده ثم استدعاه إلى داره ومنازله بقعيقعان ، فذهب معه إليها ، فلما خرجا قال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون جاء معه أمير المؤمنين إلى دوره ومنازله فنعل معه ماذا ، لا والله

لا أدعك حتى تعطيني مائة ألف ، فأعطاه فجاء مروان فقال : والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك ، جاءك رجل قد سمى بيت مال الديوان وبيت الخلافة ، وبيت كذا ، وبيت كذا ، فأعطيته مائة ألف ، فقال له : ويلك كيف أصنع بابن الزبير ؟ وقال ابن أبي الدنيا : أخبرني عمر بن بكير عن على بن مجاهد بن عروة قال : سأل ابن الزبير معاوية شيئاً فمنعه ، فقال : والله ما أجهل أن ألزم هذه البنية فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصم لك حسباً ، ولكني أسدل عمامتي من بين يدي ذراعا ، ومن خلفي ذراعا في طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبي بكر الصديق وعمر فيقول الناس : من هذا ؟ فيقولون ابن حوارى رسول الله (ص) وابن بنت الصديق ، فقال معاوية : حسبك بهذا شرفاً ، ثم قال : هات حوائجك . وقال الأصمعي : ثنا غسان بن نصر عن سعيد بن يزيد . قال : دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابناً له صغيراً فلطمه لطمة دوخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي : ادن مني ، فدنا منه ، فقال له : الطم معاوية ، قال : لا أفعل ، قال : ولم ؟ قال لأنه أبي ، فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمة جعل يدور منها كما تدور الدوامة ، فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجز عليه الأحكام ؟ قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه ، فأحببت أن أحسن أدبه . وقال أبو الحسن على بن محمد المدائني عن عبد الله بن أبي بكر قال : لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينعس على راحلته ، فقال له : أتنعس وأنا معك ؟ أما تخاف مني أن أقتلك ؟ فقال : إنك لست من قتال الملوك ، إنما يصيد كل طائر قدره . قال لقد سرت تحت لواء أبي إلى على بن أبي طالب ، وهو من تعلمه ، فقال : لاجرم قتلكم والله بشماله . قال : أما إن ذلك كان في نصرة عثمان ، ثم لم يجز بها . فقال : إنما كان لبغض على لا لنصرة عثمان ، فقال له ابن الزبير : إنا قد أعطيناك عهدا فنحن وافون لك به ما عشت ، فسيعلم من بعدك ، فقال : أما والله ما أخافك إلا على نفسك ، وكأني بك قد خبطت في الحبالة واستحكمت عليك الأنشوطة ، فذكرتني وأنت فيها ، فقلت ليت أبا عبد الرحمن لها ، ليتني والله لها ، أما والله لأحللتك رويداً ، ولأطلقتك سريعاً ، ولبئس الولي أنت تلك الساعة . وحكى أبو عبد الله نحو هذا ، وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة انشمر منها ابن الزبير والحسين بن على فقصدا مكة فأقاما بها ، ثم خرج الحسين إلى العراق وكان من أمره ما تقدم ، وتفرد بالرياسة والسؤدد بمكة ابن الزبير ، ولهذا كان ابن عباس ينشد :ـ

يالكِ من قنبرةٍ بمعمرى * خلالكِ الجوُّ فبيضى واصفرى * ونقرى ما شئتِ أن تنقرى

يعرض بابن الزبير . وقيل إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول : إني قد بعثت إليك بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة وحلفت لتأتيني في ذلك فأبر قسمي ولا تشق

العصا ، فلما قرأ كتابه ألقاه من يده وقال : ـ

ولا ألينُ لغيرِ الحقِ أسأله * حتى تلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريباً ، استفحل أمر عبد الله بن الزبير جداً ، و بويع له بالخلافة فى جميع البلاد الاسلامية ، وبايع له الضحاك بن قيس بدمشق وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم فى ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جهز السرايا إلى العراق ، ومات وتولى بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها ، ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر حتى ظفر به فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

وكانت ولاية ابن الزبير فى سنة أربع وستين ، وحج بالناس فيها كلها ، و بنى الكعبة فى أيام ولايته كما تقدم ، وكساها الحرير ، وكانت كسوتها قبل ذلك الانطاع والمسوح ، وكان ابن الزبير عالما عابدا مهيباً وقوراً كثير الصيام والصلاة ، شديد الخشوع جيد السياسة ، قال أبو نعيم الاصبهانى : حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق الثقفى ثنا أحمد بن سعيد الدارمى ثنا أبو عاصم عن عمر بن قيس . قال : كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت إليه فى أمر دنياه قلت : هذا رجل لم يرد الله والدار الآخرة طرفة عين ، و إذا نظرت إليه فى أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين . وقال الثورى عن الأعمش عن أبى الضحى قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك مالو كان لى كان رأس مال ، وكان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة . وقال ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال : دخل ابن الزبير على امرأته بنت الحسن فرأى ثلاثة مثل ـ يعنى أفرشة ـ فقال : هذا لى وهذا لابنة الحسن ، وهذا للشيطان فأخرجوه . وقال الثورى عن عبد الله بن أبى بشير عن عبد الله بن مساور . قال : سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على البخل و يقول : قال رسول الله ﷺ : « ليس بالمؤمن من يبيت شبعان وجاره إلى جنبه جائع » . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى عن عثمان بن عفان . قال قال له عبد الله بن الزبير حين حصر : إن عندى نجائب قد أعددتها لك ، فهل لك أن تتحول إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ! إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يلحد كبش من قريش اسمه عبد الله ، عليه مثل أوزار الناس » . وهذا الحديث منكر جداً وفى إسناده ضعف ، و يعقوب هذا هو القمى وفيه تشيع ، ومثل هذا لايقبل تفرده به ، و بتقدير صحته فليس هو بعبد الله ابن الزبير ، فانه كان على صفات حميدة ، وقيامه فى الامارة إنما كان لله عز وجل ، ثم هو كان الامام

بعد موت معاوية بن يزيد لامحالة ، وهو أرشد من مروان بن الحكم ، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة عليه ، وقامت البيعة له فى الآفاق وانتظم له الأمر والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ثنا إسحاق بن سعيد ثنا سعيد بن عمرو قال : أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير وهو فى الحجر جالس فقال : يا ابن الزبير إياك والالحاد فى حرم الله ، فانى أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحلها ويحل به رجل من قريش ، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » . فانظر أن لا تكونه ، فقال له : يا ابن عمر فانك قد قرأت الكتب وصحبت النبى ﷺ ، قال فانى أشهد أن هـذا وجهى إلى الشام مجاهداً . وهذا قد يكون رفعه غلطاً ، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمر ، وما أصابه من الزاملتين يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب ، والله أعلم . وقال وكيع عن الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى صادق عن حبشى الكنانى عن عليم الكندى عن سلمان الفارسى . قال : « ليحرقن هـذا البيت على يدى رجل من آل الزبير » . وقال أبو بكر بن أبى خيثمة عن يحيى بن معين عن أبى فضيل ثنا سالم بن أبى حفصة عن منذر الثورى قال قال ابن الحنفية : اللهم إنك تعلم أنى كنت أعلم مما علمتنى أن ابن الزبير لا يخرج منها إلا قتيلا يطاف برأسه فى الأسواق . وقد روى الزبير بن بكار عن هشام بن عروة قال : إن أول ما فصح به عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف السيف ، فكان لا يضعه من فيه ، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام ، وقد تقدم كيفية مقتله ، وأن الحجاج صلبه على جذع فوق الثنية ، وأن أمه جاءت حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولا يقطر من عينها دمعة ثم انصرفت ، وكذلك وقف عليه ابن عمر فدعا له وأثنى عليه ثناء كثيراً جداً . وقال الواقدى : حدثنى نافع بن ثابت عن عبد الله مولى أسماء قال: لما قتل عبد الله خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه وهى على دابة ، فأقبل الحجاج فى أصحابه فسأل عنها فأخبر بها ، فأقبل حتى وقف عليها فقال : كيف رأيت نصر الله الحق وأظهره ؟ فقالت : ربما أديل الباطل على الحق وأهله ، وإنك بين فرثها والجنة ، فقال إن ابنك ألحد فى هذا البيت ، وقد قال الله تعالى [ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم] وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم ، قالت : كذبت ، كان أول مولود ولد فى الاسلام بالمدينة ، وسر به رسول الله ﷺ وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به ، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله ، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك ، وكان مع ذلك براً بالوالدين صواما قواما بكتاب الله ، معظما لحرم الله . يبغض من يعصى الله عز وجل ، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » وفى رواية : « سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير » فانكسر الحجاج

وانصرف : فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يلومه فى مخاطبته أسماء ، وقال: مالك ولابنة الرجل الصالح ؟ وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : ثنا عقبة بن مكرم حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى أنبأ الأسود بن شيبان عن أبى نوفل . قال : رأيت عبد الله بن الزبير على ثنية الحجون مصلوباً فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال : السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله إن كنت ماعلمت صواما قواما وصولا للرحم ، أما والله لأمة أنت شرها لأمة خير ، ثم بعد عبد الله بن عمر . فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال ، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه وألقى فى قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبى بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتينى أولأ بعثن إليك من يسحبك من قرونك ، فأبت وقالت : والله لا آتيه حتى يبعث إلى من يسحبنى بقرونى ، فقال الحجاج : أرونى سبتيّى فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتينى صنعت بعدو الله ؟ قالت رأيتك فسدت عليه دنياه ، وأفسدت عليك آخرتك ، بلغنى أنك تقول : يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله (ص) وطعام أبى بكر ، وأما الآخر فنطاق المرأة التى لاتستغنى عنه ، أما إن رسول الله حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها » انفرد به مسلم . وروى الواقدى أن الحجاج لما صلب ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه ، وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها ، حتى كتب إلى عبد الملك فى ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون ، وذكروا أنه كان يشم من عند قبره ريح المسك .

وكان الحجاج قد قدم من الشام فى ألفى فارس وانضاف إليه طارق بن عمرو فى خمسة آلاف ، وروى محمد بن سعد وغيره بسنده أن الحجاج حاصر ابن الزبير ، وأنه اجتمع معه أربعون ألفا : وأنه نصب المنجنيق على أبى قبيس ليرمى به المسجد الحرام ، وأنه أمن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك ، وقال : إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير ، وأنه خير ابن الزبير بين ثلاث إما أن يذهب فى الأرض حيث شاء ، أو يبعثه إلى الشام مقيدا بالحديد ، أو يقاتل حتى يقتل . فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط ، ويروى أنها استدعت بكفن له وبخرته وشجعته على القتل ، فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالا شديداً فجاءته آجرة ففلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض ، ثم أراد أن ينهض فلم يقدر ، فاتكأ على مرفقه الأيسر وجعل يحدم بالسيف من جاءه ، فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجله ، ثم

تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزوا رأسه ، وكان مقتله قريباً من الحجون ، ويقال : بل قتل وهو متعلق بأستار الكعبة فالله أعلم . ثم صلبه الحجاج متكسا على ثنية كدا عند الحجون ، ثم لما أنزله دفنه فى مقابر اليهود كما رواه مسلم ، وقيل دفن بالحجون بالمكان الذى صلب فيه ، فالله أعلم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال قال عبد الله بن الزبير لما جىء برأس المختار : ما كان يحدثنا كعب الأحبار شيئاً إلا وجدناه إلا قوله إن فتى ثقيف يقتلنى ، وهذا رأسه بين يدى ، قال ابن سيرين : ولم يشعر أنه قد خبئ له الحجاج . وروى هذا من وجه آخر . قلت : والمشهور أن مقتل الزبير كان فى سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى ، وقيل الآخرة منها ، وعن مالك وغيره أن مقتله كان على رأس اثنين وسبعين ، والمشهور الصحيح هو الأول ، وكانت بيعته فى سابع رجب سنة أربع وستين ، وكان مولده فى أول سنة إحدى من الهجرة ، وقيل فى شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فمات وقد جاوز السبعين قطعاً والله أعلم .

وأما أمه فانها لم تعش بعده إلا مائة يوم ، وقيل عشرة أيام ، وقيل خمسة ، والأول هو المشهور وستأتى ترجمتها قريباً رضى الله عنها وعن أبيها وابنها ، وقد رثى ابن الزبير وأخوه مصعب بمراثى كثيرة حسنة بليغة ، من ذلك قول معمر بن أبى معمر الذهلى يرثيهما بأبيات : ـ

لعمرك ما أبقيت فى الناس حاجة * ولا كنت ملبوس الهدى متذبذبا
غداة دعانى مصعب فأجبته * وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
أبوك حوارى الرسول وسيفه * فأنت بحمد الله من خيرنا أبا
وذاك أخوك المهتدى بضيائه * بمكة يدعونا دعاء مثوبا
ولم أك ذا وجهين وجه لمصعب * مريض ووجه لابن مروان إذ صبا
وكنت امرأ ناصحته غير مؤثر * عليه ابن مروان ولا متقربا
إليه بما تقذى به عين مصعب * ولكننى ناصحت فى الله مصعبا
إلى أن رمته الحادثات بسهمها * فلله سهماً ما أسد وأصوبا
فان يك هذا الدهر أردى بمصعب * وأصبح عبد الله شلواً ملحبا
فكل امرئ حاس من الموت جرعة * وإن حاد عنها جهده وتهيبا

وقيل : إن عبد الله بن الزبير غسلته أمه أسماء بعد أن قطعت مفاصيله وحنطته وطيبته وكفنته وصلت عليه وحملته إلى المدينة ، فدفنته بدار صفية بنت حيى ، ثم إن هذه الدار زيدت فى مسجد النبى ﷺ ، فهو مدفون فى المسجد مع النبى ﷺ ، وأبى بكر وعمر ، وقد ذكر ذلك غير واحد فالله أعلم .

وقد روى الطبرانى عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن النبى ﷺ أعطاه دم

محاجمه بهريقه فحساه ، فلما رجع إلى النبي ص ، قال : « ما صنعت ياعبد الله بالدم ؟ قلت : جعلته فى مكان ظننت أنه خاف على الناس ، قال : فلعلك شربته ؟ قلت نعم ! قال : ومن أمرك أن تشرب الدم ؟ ويل لك من الناس ، وويل للناس منك » . ودخل سلمان الفارسى مرة على النبي ص ، فاذا عبد الله بن الزبير قائم فى الدهليز ومعه طست يشرب منه ، فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله ص ، قال له : « فرغت ؟ قال : نعم : قال سلمان : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : أعطيته غسالة محاجمى يهريق ما فيها ، قال سلمان : شربها والذى بعثك بالحق ، قال شربته ؟ قال : نعم ! قال : لم ؟ قال : أحببت أن يكون دم رسول الله ص فى جوفى ، فقال بيده على رأس ابن الزبير . وقال : ويل لك من الناس ، وويل للناس منك ، لا تمسك النار إلا تحلة القسم » . ولما بعث يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ذلك القيد من ذهب وسلسلة من فضة وجامعة من فضة وأقسم لتأتينى فيها ، فقالوا له : بر قسم أمير المؤمنين فقال :

ولا ألينُ لغيرِ الحقِ أسألهُ * حتى تلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

ثم قال : والله لضربة بسيف بعز ، أحب إلى من ضربة بسوط فى ذل ، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية . وروى الطبرانى أن ابن الزبير دخل على أمه فقال : إن فى الموت لراحة ، وكانت أمه قد أتت عليها مائة سنة لم تسقط لها سن ، ولم يفسد لها بصر ، فقالت : ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك ، إما أن تملك فتقر عينى ، وإما أن تقتل فأحتسبك ، ثم خرج عنها وهو يقول :ــ

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبةٍ * ولا بمرتقٍ من خشيةِ الموتِ سلما

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول ليكن أحدكم سيفه كما وجهه فيدفع عن نفسه بيده كأنه أمراه ، والله ما بقيت زحفا قط إلا فى الرعيل الأول ، وما ألمت جرحاً إلا ألم الدواء ، ثم حمل عليهم ومعه سفيان ، فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله ، فقال له الأسود : أخ يا ابن الزانية ، فقال له ابن الزبير : اخسأ يا ابن حام ، أسماء زانية ؟ ثم أخرجهم من المسجد ، وكان على ظهر المسجد جماعة من أعوانه يرمون أعداءه بالآجر ، فأصابته آجرة من أعوانه من غير قصد فى مفرق رأسه فغلقت رأسه فوقف قائما وهو يقول : لو كان قرنى واحداً كفيته ويقول :ــ

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا * ولكنّ على أقدامنا يقطرُ الدمُ

ثم وقع فأكب عليه موليان له وهما يقولان : العبد يحمى ربه ويحتمى . ثم أرسلوا إليه فحزوا رأسه . وروى الطبرانى أيضاً عن إسحاق بن أبى إسحاق قال : أنا حاضر مقتل عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام ، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد ، وكلما دخل قوم من باب حمل

عليهم حتى يخرجهم ، فبينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد ، فوقعت على رأسه فصرعته ، وهو يتمثل بهذه الأبيات : –

أسماءُ أسماءُ لاتبكيني * لم يبقَ إلا حسبي وديني

* وصارمٌ لانت به يميني *

وقد روى أن أمه قالت للحجاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال الحجاج : ابنك المنافق ، فقالت : والله ما كان منافقا ، إن كان لصواما قواما وصولا للرحم ، فقال : انصرفي يا عجوز ، فانك قد خرفت ، فقالت والله ماخرفت منذ سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت » . وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر فمر على ابن الزبير فوقف فترحم عليه ثم التفت إلى وقال : أخبرنى أبو بكر الصديق أن رسول الله ص قال : « من يعمل سوءاً يجز به » . وروى سفيان عن ابن جريج عن أبي مليكة قال : ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس قال : كان عفيفا فى الاسلام ، قارئا للقرآن ، صواما قواما . أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، وجده أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة : والله لأحاسبن له بنفسى محاسبة لم أحاسبها لأبى بكر ولا لعمر . وقال الطبرانى : حدثنا زكريا الناجى ثنا حوثرة بن محمد ثنا أبو أسامة ثنا سعيد بن المرزبان أبو سعيد العبسى ثنا محمد بن عبد الله الثقفى قال : شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فأنكم جئتم من آفاق شتى وفودا إلى الله عز وجل ، فحق على الله أن يكرم وفده ، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فان طالب ما عند الله لا يخيب فصدقوا قولكم بفعل ، فان ملاك القول الفعل والنية النية ، والقلوب القلوب ، الله الله فى أيامكم هذه فانها أيام تغفر فيها الذنوب ، جئتم من آفاق شتى فى غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا ، ثم لبى ولبى الناس ، فما رأيت باكيا أكثر من يومئذ . وروى الحسن بن سفيان قال : ثنا حيان بن موسى ثنا عبد الله بن المبارك ثنا مالك بن أنس عن وهب بن كيسان قال : كتب إلى عبد الله بن الزبير بموعظة : أما بعد فان لأهل التقوى علامات يعرفون بها و يعرفونها من أنفسهم ، صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وكظم الغيظ ، وصبر على البلاء ورضى بالقضاء ، وشكر للنعماء ، وذل لحكم القرآن ، وإنما الايام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها ، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهله . وإن نفق الباطل عنده حمل إليه وجاءه أهله

وقال أبو معاوية : ثنا هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال : ما رأيت ابن الزبير يعطى سلمه قط لرغبة ولا لرهبة سلطان ولا غيره . وبهذه الاسنادات أهل الشام كانوا يعيرون ابن الزبير ويقولون له : يا ابن ذات النطاقين . فقالت له أسماء : يابنى إنهم يعيرونك بالنطاقين وإنما كان لى

لطاق واحد شققته نصفين فجعلت فى سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما وأوكيت قربته بالآخر لما خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة إلى المدينة . فكان ابن الزبير بعد ذلك إذا عيروه بالنطاقين يقول : إنها والله تلك شكاة ظاهر عنك عارها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وممن قتل مع ابن الزبير فى سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان

عبدالله بن صفوان

ابن أمية بن خلف الجمحى أبو صفوان المكى ، وكان أكبر ولد أبيه ، أدرك حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عن عمر وجماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً حليما يحتمل الأذى ، لوسبه عبد أسود ما استنكف عنه ، ولم يقصده أحد فى شئ فرده خائباً ، ولا سمع بمفازة إلا حفر بها جبًّا أو عمل فيها بركة ، ولا عقبة إلا سهلها . وقيل إن المهلب بن أبى صفرة قدم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه ، فجاء ابن صفوان فقال : من هذا الذى شغلك منذ اليوم ؟ قال : هذا سيد العرب من أهل العراق ، فقال : ينبغى أن يكون المهلب . فقال المهلب لابن الزبير : ومن هذا الذى يسأل عنى يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا سيد قريش بمكة ، فقال : ينبغى أن يكون عبد الله بن صفوان ، وكان ابن صفوان كريماً جداً .

وقال الزبير بن بكار بسنده : قدم معاوية حاجا فتلقاه الناس فكان ابن صفوان فى جملة من تلقاه ،فجعل يساير معاوية وجعل أهل الشام يقولون : من هذا الذى يساير أمير المؤمنين ؟ فلما انتهى إلى مكة إذا الجبل أبيض من الغنم ، فقال : يا أمير المؤمنين هذه غنم أجزتكها ، فاذا هى ألفا شاة ، فقال أهل الشام : ما رأينا أكرم من ابن عم أمير المؤمنين . كان ابن صفوان من جملة من صبر مع ابن الزبير حين حصره الحجاج ، فقال له ابن الزبير : إنى قد أقلتك بيعتى فاذهب حيث شئت ، فقال إنى إنما قاتلت عن دينى . ثم صبر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة فى هذه السنة ، رحمه الله وأكرمه .

عبدالله بن مطيع

ابن الأسود بن حارثة القرشى العدوى المدنى ، ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه ودعا له بالبركة ، وروى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقتل قرشى بعد اليوم صبراً إلى يوم القيامة » . وعنه ابناه إبراهيم ومحمد والشعبى وعيسى بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن أبى موسى . قال الزبير بن بكار : كان ابن مطيع من كبار رجال قريش جلدا وشجاعة ، وأخبرنى عمى مصعب أنه كان على قريش أميراً يوم الحرة ثم قتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذى يقول :

أنا الذى فررت يوم الحره * والشيخ لا يفر إلا مره * ولا جبرت فرة بكره رحمه الله

عوف بن مالك رضي الله عنه

هو عوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعى الغطفانى صحابى جليل،شهد موتة مع خالد بن الوليد والامراء قبله ، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ ، وشهد فتح الشام ، وروى عن رسول الله ص ، أحاديث ، وروى عنه جماعة من التابعين وأبو هريرة ، وقد مات قبله ، وقال الواقدى وخليفة ابن خياط وأبو عبيد وغير واحد : توفى سنة ثلاث وسبعين بالشام

أسماء بنت ابي بكر الصديق

والدة عبد الله بن الزبير، يقال لها ذات النطاقين ، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شقت نطاقها فربطت به سفرة النبى ص، وأبى بكر حين خرجا عامدين إلى المدينة ، وأمها قيلة وقيل قبيلة بنت عبد العزى من بنى عامر بن لؤى . أسلمت أسماء قديماً وهم بمكة فى أول الاسلام ، وهاجرت هى وزوجها الزبير وهى حامل متم ولدها عبد الله فوضعته بقبا أول مقدمهم المدينة ، ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر . وهى آخر المهاجرين والمهاجرات موتا ، وكانت هى وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابيين رضى الله عنهم ، وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها ، وهى أكبر من أختها عائشة بعشر سنين . وقيل إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال : يا أماه إن أمير المؤمنين أوصانى بك فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، إنما أنا أم المصلوب على الثنية ، ومالى من حاجة ، ولكن أحدثك أنى سمعت رسول الله ص، يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراك إلا إياه . فقال : أنا مبير المنافقين . وقيل إن ابن عمر دخل معه عليها وابنها مصلوب فقال لها : إن هذا الجسد ليس بشئ وإنما الأرواح عند الله فاتقى الله واصبرى . فقالت : وما يمنعنى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل ؟ . وقيل إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلت عليه ثم دفنته ، ثم ماتت بعده بأيام فى آخر جمادى الآخرة ، ثم إن الزبير لما كبرت طلقها ، وقيل بل قال له عبد الله ابنه : إن مثلى لا توطأ أمه ، فطلقها الزبير ، وقيل : بل اختصمت هى والزبير فجاء عبد الله ليصلح بينهما فقال الزبير : إن دخلت فهى طالق ، فدخلت فبانت فالله أعلم .

وقد عمرت أسماء دهراً صالحا وأضرت فى آخر عمرها ، وقيل بل كانت صحيحة البصر لم يسقط لها سن . وأدركت قتل ولدها فى هذه السنه كما ذكرنا ، ثم ماتت بعده بخمسة أيام ، وقيل بعشرة ، وقيل بعشرين ، وقيل بضع وعشرين يوما ، وقيل عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر ، وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل رحمها الله . وقد روت عن النبى ص، عدة أحاديث طيبة مباركة رضى الله عنها ورحمها .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة ـ يعنى سنة ثلاث وسبعين ـ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وأضافها إلى أخيه بشر بن مروان مع الكوفة ، فارتحل إليها واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم . وقيل إنه كان فى هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية ، وهو فى أربعة آلاف ، والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم . وأقام للناس الحج فى هذه السنة الحجاج وهو على مكة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى إمرة خراسان بكير بن وشاح ، يعنى الذى كان نائبا لعبد الله بن خازم والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير

عبدالله سعد بن جشم الأنصاري له صحبة وشهد اليرموك ، وكان كثير العبادة والغزو .

عبدالله بن ابي حدرد الأسلمي أبو محمد له صحبة ورواية توفى بالمدينة .

مالك بن مسمع بن غسان البصري كان شديد الاجتهاد فى العبادة والزهادة .

ثابت بن الضحاك الانصاري

له صحبة ورواية توفى بالمدينة ، يقال له أبو زيد الاشهلى وهو من أهل البيعة تحت الشجرة . قال يحيى بن أبى كثير : أخبرنى أبو قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله ص ، تحت الشجرة وأن رسول الله ص ، قال : «من قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله »

زينب بنت ابي سلمى المخزومي ربيبة النبي ص ، ولدتها أمها بالحبشة ، ولها رواية وصحبة .

توبة بنت الصمة

وهو الذى يقال له مجنون ليلى ، كان توبة يشن الغارات على بنى الحارث بن كعب ، فرأى ليلى فهواها وتهتك بها وهام بها محبة وعشقا ، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة، التى لم يسبق إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من المعانى والحكم ، وقد قيل له مرة : هل كان بينك وبين ليلى ريبة قط ؟ فقال : برئت من شفاعة محمد ص . إن كنت قط حللت سراويلى على محرم . وقد دخلت ليلى على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامة فقال لها : ماذا رأى منك توبة حتى عشقك هذا العشق كله ؟ فقالت : والله يا أمير المؤمنين لم يكن بينى وبينه قط ريبة ولا خنا ، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الأشعار فيمن تهوى وتحب مع العفة والصيانة لأنفسها عن الدناءات . فأزال ظلامتها وأجازها . توفى توبة فى هذه السنة وقيل إن ليلى جاءت إلى قبره فبكت حتى ماتت والله أعلم .

تم الجزء الثامن من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء التاسع وأوله سنة أربع وسبعين من الهجرة وما فيها من الحوادث نسأل الله التوفيق والأعانة

فهرست الجزء الثامن من كتاب البداية والنهاية

صحيفة
٢ فصـــل
في ذكر شيء من سيرته الفاضلة
ومواعظـــه وقضاياه الفاصلة
وخطبه وحكمه
١١ غريبة من الغرائب وآبدة من الأوابد
١٤ خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه
١٧ سنة احدي وأربعين
١٩ معاوية بن ابي سفيان ومُلكه
٢٠ فضل معاوية بن ابي سفيان
٢٢ خروج طائفة من الخوارج عليه
من أعيان من توفي هذا العام
٢٣ ركانة بن عبد العزيز
صفوان بن أمية
عثمان بن طلحة
عمرو بن الأسود السكوني
عاتكة بنت زيد
٢٤ سنة ثنتين وأربعين
سنة ثلاث وأربعين
٢٧ سنة أربع وأربعين
٢٩ سنة خمس وأربعين
٣٠ سنة ست وأربعين
٣١ سراقة بن كعب شهد بدرا وما بعدها
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
سنة سبع وأربعين
٣٢ سنة تسع وأربعين
٣٣ ذكر من توفي في هذه السنة
الحسن بن علي بن ابي طالب
٤٥ سنة خمسين من الهجرة
٤٦ صفية بنت حيي بن أخطب

صحيفة
وأما ام شريك الأنصارية
وأيا عمرو بن أمية الضمري
أما جبير بن مطعم
٤٧ وأما حسان بن ثابت
وأما الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري
وأما دحية بن خليفة الكلبي
وأما عقيل بن ابي طالب
٤٨ وأما كعب بن مالك الأنصاري السلمي
المغيرة بن شعبة
٤٩ جويرية بنت الحـــارث
سنة إحدى وخمسين
٥٥ فأما جرير بن عبدالله البجلي
٥٦ جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطلب
وأما حارثة بن النعمان الأنصارى
٥٧ وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وأما عبدالله أنيس بن الجهنى ابو يحيى
وأما ابو بكرة نفيـع بن الحارث
٥٨ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين .
ذكر من توفي فيها من الأعيان
خالد بن زيد بن كليب
٦٠ عبدالله بن المغفل المزنى
كعب بن عجزة الأنصاري
معاوية بن خديج
٦١ هانيء بن نيار ابو بردة البلوي
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين
رويفع بن ثابت
٦٣ صعصعة بن ناجية جبلة بن الأيهم
٦٦ سنة اربع وخمسين
٦٧ ذكر من توفي فيها من الاعيان
اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي
ثوبان بن بجدد جبير بن مطعم

صحيفة
٦٨ الحارث بن ربعي
حكيم بن حزام
٦٩ حويطب بن عبد العزى العامري
٧٠ معبد بن يربوع بن عنكثة
مرة بن شراحيل الهمداني
النعمان بن عمرو
سودة بن زمعة
٧١ ثم دخلت سنة خمس وخمسين
ذكر من توفي من الأعيان
ارقم بن أبي الأرقم
سحبان بن زفر بن إياس
٧٢ سعد بن ابي وقاص
٧٨ فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي
قثم بن العباس بن عبد المطلب
كعب بن عمرو أبو اليسر
ثم دخلت سنة ست وخمسين
٨١ سنة سبع وخمسين
سنة ثمان وخمسين
٨٢ قصة غريبة
٨٣ ذكر من توفي فيها من الأعيان
٨٧ شداد بن أوس بن ثابت
٨٨ عبدالله بن عامر
عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما
٩٠ قصته مع ليلى بنت الجودي
عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب
٩١ ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق
٩٤ ثم دخلت سنة تسع وخمسين
٩١ قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري
٩٧ من توفي في هذه السنة من الأعيان
الحطيئة الشاعر
٩٩ عبد الله بن مالك بن القشب
قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي
١٠٢ معقل بن يسار المزني

صحيفة
ابو هريرة الدوسي رضي الله عنه
١١٥ سنة ستين من الهجرة النبوية
١١٧ وهذه ترجمة معاوية
١٤٤ ذكر من تزوج من النساء ومن ولد
١٤٥ فصل
١٤٦ فصل
ابو مسلم الخولاني
يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه
١٤٩ قصة الحسين بن علي وسبب خروجه
من مكة في طلب الأمارة ومقتله
١٥٩ صفة مخرج الحسين إلى العراق
١٧٢ ثم دخلت سنة إحدى وستين
صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن
لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب
١٩٨ فصل
٢٠٣ وأما قبر الحسين رضي الله عنه
٢٠٤ فصل
وأما رأس الحسين رضي الله عنه
شيء من فضائله
٢٠٩ فصل
في شيء من أشعاره التي رويت عنه
٢١٢ من توفي فيها من الأعيان
٢١٣ جابر بن عتيك حمزة بن عمرو
شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري
٢١٤ الوليد بن عقبة بن ابي معيط
أم سلمة أم المؤمنين
٢١٥ ثم دخلت سنة ثنتين وستين
٢١٦ وممن توفي في هذه السنة من الأعيان
٢١٧ الربيع بن خثيم

صحيفة

علقمة بن قيس ابو شبل النخعي الكوفي
عقبة بن نافع الفهري عمرو بن حزم
مسلم بن معاوية الديلي
ثم دخلت سنة ثلاث وستين
٢٢٤ ثم دخلت سنة أربع وستين
٢٣٦ وهذه ترجمة يزيد بن معاوية
٢٣٦ أولاد يزيد بن معاوية وعددهم
٢٣٧ إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية
٢٣٨ إمارة عبدالله بن الزبير آنذاك
٢٣٩ ذكر بيعة مروان بن الحكم
٢٤١ وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك
٢٤٤ وفيها مقتل النعمان بن بشير الأنصاري
٢٤٦ المنذر بن الزبير بن العوام
مصعب بن عبد الرحمن بن عوف
٢٥٠ هدم الكعبة وبنائها أيام ابن الزبير
٢٥١ ثم دخلت سنة خمس وستين
٢٥٣ وقعة عين وردة
٢٥٧ ترجمة مروان بن الحكم
٢٦٠ خلافة عبد الملك بن مروان
٢٦٤ ثم دخلت سنة ست وستين
٢٦٨ فصل
٢٧٠ مقتل شمر بن ذي الجوشن
٢٧١ يزعجهم ضرباً ويروي العاملا
٢٧٢ مقتل خولي بن يزيد الأصبحي
٢٧٣ مقتل عمر بن سعد بن ابي وقاص
٢٧٦ فصل
٢٧٨ فصل
٢٨٠ ثم دخلت سنة سبع وستين
٢٨٣ وهذه ترجمة ابن زياد
٢٨٧ مقتل المختار بن ابي عبيد

صحيفة

٢٨٩ ترجمة المختار بن ابي عُبيد الثقفي
٢٩٢ فصل
٢٩٣ ثم دخلت سنة ثمان وستين
٢٩٥ وممن توفي فيها من الأعيان
عبدالله بن عباس ترجمان القرآن
٢٩٨ ذكر صفة اخرى لرؤيته جبريل
٣٠٤ فصل
٣٠٦ صفة ابن عباس
٣٠٧ ثم دخلت سنة تسع وستين
٣١٠ وهذه ترجمة الأشدق
٣١٢ وممن توفي فيها من الأعيان
ابو الاسود الدؤلي اسماء بنت يزيد
٣١٣ ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة
قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكلبي
قيس بن ذريح
٣١٤ يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري
بشر بن النضر مالك بن يخامر
ثم دخلت سنة احدى وسبعين
٣١٧ وهذه ترجمة مصعب بن الزبير
٣٢٢ فصل
٣٢٣ وممن توفي فيها من الأعيان
ابراهيم بن الاشتر عبد الرحمن بن غسيله
عمر بن سلمة
سفينة مولى رسول الله (ص)
٣٢٤ عمر بن اخطب
يزيد بن الاسود الجرشي السكوني
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين
٣٢٦ وهذه ترجمة عبدالله بن خازم
وممن توفي فيها من الأعيان
الأحنف بن قيس

صحيفة
٣٢٨ البراء بن عازب
عبيدة السلماني القاضي
عطية بن بشر
عبيدة بن نضيلة
عبدالله بن قيس الرقيات
عبد الله بن حمام
٣٢٩ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين
٣٣٢ ترجمة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير
٣٤٥ عبدالله بن صفوان وعبدالله بن مطيع

صحيفة
٣٤٦ عوف بن مالك رضي الله عنه
أسماء بنت ابي بكر الصديق
ثابت بن الضحاك الانصاري
زينب بنت ابي سلمى المخزومي
٣٤٧ توبة بنت الصمة

انتهى الفهرست

مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد

مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد